

چورچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

الكتاب الخامس

رقصة مع التنانين

الجزء الثاني

الكتاب: رقصة مع التانين II (الكتاب الخامس من أغنيّة الجليد والنّار) / رواية
المؤلف: جورج ر. ر. مارتن
ترجمة: هشام فهمي
عدد الصفحات: 624 صفحة
الترقيم الدولي: 978-614-472-116-2
الطبعة الأولى: 2020


هذه ترجمة مرّخصة لكتاب:

A Dance With Dragons by George R. R. Martin

A Dance With Dragons copyright © 2011 by George R.R. Martin

Published by agreement with The Lotts Agency Ltd.

جميع حقوق النسخة العربية محفوظة لدار التنوير ©
الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر 

لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية قاسم فارس (سارة بنما) - الطابق السفلي
هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة - 2 شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقاً) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com

موقع إلكتروني: www.daraltanweer.com

تنفيذ طباعي: ديموبرس - لبنان / هاتف: +961 5 472669 +961 5 472694
بريد إلكتروني: kansopress@yahoo.com / kansopress@gmail.com

چورچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

الكتاب الخامس

رقصة مع التنانين

الجزء الثاني

ترجمة: هشام فهمي





تيريون

للخنزيرة طبع أهدأ من بعض الخيول التي سبق لتيريون ركوبها. وجدها صبوراً ثابتة القوائم، وقد قبلته دون قباع تقريباً عندما اعتلى ظهرها، وظلّت هادئة إذ مدّ يده إلى الترس والرّمح، لكن حين شدّ عنانها وهمز جانبيها بقدميه تحرّكت على الفور. اسمها الجميلة، اختصاراً للخنزيرة الجميلة، ومدربّة على السّرج واللّجام منذ صغرها.

خشخت الدّرع الخشبيّة الملوّنة مع هرولة الخنزيرة على سطح السّفينة. كان تيريون يحسّ بوخزٍ في إبطيه من الرّطوبة، وسالت قطرات العرق على نذبتة تحت الخوذة الكبيرة التي لا تُناسب مقاس رأسه، وعلى الرغم من هذا، وللحظةٍ عبثيّةٍ واحدة، شعر كأنه چايمي راكباً في مضمار النّزال حاملاً رُمحاً وتؤمّض درعه الذهبية في ضوء الشّمس.

حينما بدأ الضّحك ذابّ الحُلم. إنه ليس بطلاً، بل مجرّد قزم على ظهر خنزيرة، يُمسك عصا ويؤدّي عرضاً فكاهياً لتسلية بعض البحّارة الضّجرين السّكرانين بالرّم على أمل تحسين مزاجهم. في مكانٍ ما في الجحيم يتميّز أبوه غيظاً ويستغرب چوفري ضحكاً. شعر تيريون بأعينهما الميتة الباردة تُشاهد هذه المهزلة بنفس حماسة طاقم (السّلياسوري كوران).

والآن تأتي خصمه. ركبت پني كلبها الرّمادي الكبير ولوّحت برّمحها المقلم إذ انطلق الحيوان على السّطح. تُرسها ودرعها مطلّيان بالأحمر، ولو أن الطلاء باهت متقشّر، أمّا درعه هو فزرقاء. ليست درعي، بل درع جروت. أرجو ألا تكون لي أبداً.

ركل تيريون كفل الخنزيرة يحثّها على الإسراع منقّضةً فيما شجّعه البحّارة

بالتَّهْلِيلِ وَالصَّيْحَاحِ، وَمَعْ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ يَقِينًا إِنْ كَانُوا يُشَجِّعُونَهُ حَقًّا أَمْ يَتَهَكَّمُونَ عَلَيْهِ فَإِنْ عِنْدَهُ فِكْرَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا. كَيْفَ سَمَحْتُ لِنَفْسِي بِالِاقْتِنَاعِ بِالِاشْتِرَاكِ فِي هَذِهِ الْمَهْزَلَةِ؟

غير أنه يعرف الإجابة. منذ اثني عشر يومًا تطفو السَّفِينَةُ فِي مِيَاهِ (خَلِيجِ الثُّبُورِ) فِي غِيَابِ تَامِ لِلرَّيْحِ. صَارَ مَزَاجُ أَفْرَادِ الطَّاقِمِ قَبِيحًا، وَمَتَوَقَّعٌ أَنْ يَصِيرَ أَقْبَحَ حِينَ تَنْضَبُ حَصَّتُهُمُ الْيَوْمِيَّةُ مِنَ الرَّمِّ. كَمْ سَاعَةً فِي الْيَوْمِ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يُكْرِّسَهَا لِرْتِقِ الشُّرَاعِ وَسَدِّ الثَّغْرَاتِ وَصَيْدِ الْأَسْمَاكِ عَلَى كُلِّ حَالٍ؟ سَمِعَهُمْ جُورًا مَورَمُونَ أَنْ حَظَّ الْأَقْرَامُ خَذْلَهُمْ، وَلِئِنْ كَانَ طَاهِي السَّفِينَةِ لَا يَزَالُ يَفْرُكُ رَأْسَ تِيرِيُونَ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ أَمَلًا أَنْ يُحْرِكَ هَذَا الرَّيْحَ، فَقَدْ بَدَأَ الْآخَرُونَ يَرْشُقُونَهُ بِنِظَارَاتٍ تَطُقُّ شَرًّا مَتَى صَادَفَهُمْ. وَنَصِيبُ بَنِي أَسْوَأَ، مِنْذُ نَشَرَ الطَّاهِي فِكْرَةَ إِنْ اعْتَصَارَ ثَدِي فَتَاةٍ قَزَمَةٌ قَدْ يَكُونُ الْمَطْلُوبُ تَحْدِيدًا لِاسْتِعَادَةِ حَظِّهِمْ، كَمَا أَنَّهُ بَدَأَ يَدْعُو الْخَنْزِيرَةَ الْجَمِيلَةَ بِاللَّحْمِ الْمَقْدَّدِ، وَهِيَ الدُّعَابَةُ الَّتِي بَدَتْ أَطْرَفٌ كَثِيرًا حِينَ كَانَ تِيرِيُونَ يُرَدِّدُهَا.

تَذَرَعَتْ إِلَيْهِ بَنِي قَائِلَةٌ: «يَجِبُ أَنْ نُضْحِكَهُمْ، يَجِبُ أَنْ نَجْعَلَهُمْ يُحِبُّونَا. إِذَا قَدَّمْنَا لَهُمْ عَرْضًا فَيُسَاعِدُهُمْ عَلَى النَّسْيَانِ. أَرْجُوكَ يَا سَيِّدِي». وَبِشَكْلِ مَا، بِوَسِيلَةٍ مَا، بِصُورَةٍ مَا وَافِقٍ. مُؤَكَّدٌ أَنَّ الرَّمَّ السَّبَبُ. نَبِيذُ الرُّبَّانِ أَوَّلُ مَا نَفَدَ، وَاكْتَشَفَ تِيرِيُونَ لِانْسِتَرِ أَنَّ السُّكَّرَ بِالرَّمِّ أَسْرَعُ بِكَثِيرٍ مِنَ السُّكَّرِ بِالنَّبِيذِ.

وَهَكَذَا وَجَدَ نَفْسَهُ مَرْتَدِيًا دَرَعَ جَرُوتِ الْخَشَبِيَّةِ الْمَلُونَةِ عَلَى مَتْنِ خَنْزِيرَةِ جَرُوتِ فِيمَا لَقَّنَتْهُ أُخْتُ جَرُوتِ أَهَمَّ النَّقَاطِ الْخَاصَّةِ بِالنِّزَالِ الْهَزْلِيِّ الَّذِي كَانَ مَصْدَرُ رِزْقِهِمَا. فِي الْأَمْرِ نَوْعٌ مَعَيَّنٌ مِنَ السُّخْرِيَّةِ اللَّذِيذَةِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ تِيرِيُونَ كَادَ يَفْقَدُ رَأْسَهُ مِنْ قَبْلِ عِنْدَمَا رَفَضَ امْتِطَاءَ الْكَلْبِ تَلْبِيَّةً لِرُغْبَاتِ ابْنِ أُخْتِهِ الشَّاذَّةِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ وَجَدَ تَقْدِيرًا مَا فِي الْمَسْأَلَةِ مِنْ فُكَاهِيَّةٍ صَعْبًا وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ الْخَنْزِيرَةِ.

نَزَلَ رُمَحُ بَنِي فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِأَنْ يَمَسَّ رَأْسَهُ الْمَثْلُومِ كَتْفَهُ، أَمَّا رُمَحُهُ هُوَ فَتَقَلَّقَ إِذْ أَنْزَلَهُ وَضْرَبَ بِهِ رُكْنَ ثُرْسِهَا بِصَوْتٍ مَزْعَجٍ. نَجَحَتْ هِيَ فِي الْإِحْتِفَاطِ بِوَضْعِهَا، وَسَقَطَ تِيرِيُونَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ أَنْ يَحْدُثَ. بِسَهْوَةِ السُّقُوطِ مِنْ فَوْقِ خَنْزِيرٍ... وَلَوْ أَنَّ السُّقُوطَ مِنْ فَوْقِ هَذِهِ الْخَنْزِيرَةِ

أصعب مما يبدو. متذكّرًا درسه، تكوّر تيريون على نفسه لحظة سقوطه، ومع ذلك ارتطم بالسطح بصوتٍ عنيفٍ مكتومٍ وعُصّ لسانه بقوةٍ حتى إنه ذاق دمًا في فمه. أحسّ كأنه في الثانية عشرة من عمره من جديد، يدور على يديه وقدميه فوق مائدة العشاء في القاعة الكبرى بـ(كاسترلي روك). في ذلك الحين كان عمّه جيريون موجودًا ليُثني على مجهوده بدلًا من هؤلاء البحّارة الأجلّاف، الذين بدت ضحكاتهم زهيدةً متصنعةً مقارنةً بعواصف الضحك التي حيّت طرائف جروت وپني في مأدبة زفاف چوفري. هسهس بعضهم في وجهه غضبًا، وصاح أحدهم من فوق السلوفاة الخلفية: «لا-أنف، نزالك كهيتك، قبيح. أكيد أنك بلا خصيتين، تركت الفتاة تغلبك». قال تيريون لنفسه: لا بدّ أنه راهن عليّ بنقود. تجاهل الإهانة، فقد سبق أن سمع ما هو أسوأ.

عسرت الدرّع الخشبيّة النهوض، ووجد نفسه يُلوح بيديه وقدميه كسلحفاةٍ مقلوبة على ظهرها، لكن هذا -على الأقل- أضحك بعض البحّارة. مؤسفٌ أنني لم أكسر ساقي. كان ذلك ليجعلهم يعوون ضحكًا. ولو كانوا موجودين في المرحاض حيث أصبتُ أبي في أحشائه فلربما ضحكوا بقوةٍ تجعلهم يتبرّزون في سراويلهم معه. أي شيءٍ للحفاظ على رضا هؤلاء الأوباش الملاعين على كلِّ حال.

أخيرًا أشفقَ چورا مورمونت على تيريون في معاناته وسحبَه لينهض وهو يقول: «بدوت أحرق».

هذه هي النية. «صعب أن تبدو بطلًا وأنت تمتطي خنزيرًا».

- «لا بدّ أن هذا هو السبب الذي يجعلني لا أركب الخنازير».

حلّ تيريون أبايزم خوذته وخلعها وبصق كتلةً من البلغم الدّامي من فوق الحاجز، ثم قال: «أحسّ كأنني قضمتُ نصف لسانني».

قال السير چورا: «المرة القادمة عُصّ بقوةٍ أكبر»، وهزّ كتفيه مضيفًا: «الحقيقة أنني رأيتُ منازلين أسوأ».

أهذا مديح؟ «لقد سقطتُ من فوق الخنزيرة اللّعينة وعضضتُ لسانني. ما الأسوأ من هذا؟».

- «أن تخزق شظية عينك وتموت».

قالت پني التي ترَجَلت عن كلبها الرَّمادي الكبير المسمَّى كَرَنش: «الفكرة
ألاً تُحسِن النِّزال يا هيو جور». دائماً تحرص على مخاطبته باسم هيو جور
على مسمع من أيِّ أحد. «الفكرة أن تُضحكهم وتجعلهم يُلقون لك النقود».
فكَّر تيريون: ثَمَن يخس نظير الدَّم والرُّضوض، لكنه احتفظ بهذا الخاطر
لنفسه أيضاً، وقال: «فشلنا في هذا أيضاً. لا أحد ألقى نقوداً». لا پني ولا
جروت.

- «سيفعلون حين نتحسَّن». قالتها پني وخلعت خوذتها لينسدل شعرها
البني الفئرانى إلى أذنيها. عيناها بنيتان أيضاً تحت جبهتها الغليظة البارزة،
ووجنتاها ناعمتان متورّدتان. أخرجت حفنة من جوز البلوط من كيس جلدي
للخزيرة الجميلة، فأكلتها من يدها قابعةً بسعادة. «عندما نُؤدِّي عرضنا أمام
الملكة ديرس ستهطل الفضة علينا كالمطر، سترى».

كان بعض البحّارة يصيحون فيهما ويدقون السطح بكعبهم مطالبين بنزال
آخر، أصخبهم طاهي السفينة كالمعتاد. تعلم تيريون أن يزدري هذا الرجل،
على الرغم من أنه لاعب السايكاس شبه الجيد الوحيد على متن الكوج.
قالت پني بابتسامة صغيرة آملة: «أترى؟ لقد أعجبناهم. هل ننازل ثانية يا
هيو جور؟».

كان على وشك الرّفص عندما أَعفّته صيحة من أحد الوُكلاء من ذلك. إنه
منتصف الصّباح، والرُّبان يُريد إنزال القوارب مرّةً أخرى. كما هي الحال منذ
أيام، يتدلّى شراع الكوج المخطّط الضخم مرتخياً من الصّاري، لكن الرّجل
يأمل أن يعثروا على ريبج في مكانٍ ما إلى الشمال، ومعنى هذا التّجذيف. على
أن القوارب صغيرة والكوج كبير، وجُرّه عمل حار شاق مرهق يُصيب أيدي
الملاحين بالقروح وظهورهم بالألم ولا يُثير شيئاً. يكره أفراد الطاقم هذا
العمل، ولا يستطيع تيريون أن يلومهم. غمغم بحدّة: «كان على الأرملة أن
تضعنا على متن قادس. سأكون ممتناً إذا ساعدني أحد على خلع هذه الألواح
اللّعينة. أظنُّ أن في عاتبي شظية».

أدّى مورونت هذا الواجب وإنما على مضض، وأخذت پني الكلب
والخزيرة وقادتهما إلى قمرتها بالأسفل. بينما حلّ السير چورا بأبازيم
الأحزمة التي تربط واقى الصّدر بواقى الظّهر أخبر تيريون: «الأفضل أن تقول

لسيِّدتك أن تُغلق بابها وتُوصِده وهي بالدَّاخل. إنني أسمعُ كلامًا كثيرًا عن الصُّلوع والأفخاذ واللحم المقدَّد».

- «هذه الخنزيرة نصف معاشها».

خلع مورمونت واقبي الصدر والظَّهر قائلاً: «لو كان الطَّاقم جيسكارياً لأكل الكلب أيضًا. أخبرها فحسب».

- «كما تُريد». كانت سُترته مَبْتَلَّةً عن آخرها بالعرق وملتصقةً بصدرة، فشدَّها تيريون متمنياً القليل من النسيم. الدرع الخشبيَّة خانقة ثقيلة لا تُريح، نصفها طلاء قديم، طبقة فوق طبقة فوق طبقة من إعادة دهانها مئة مرَّة. يذكُر تيريون أن في مأدبة زفاف چوفري حمل أحد القزمين رمز ذئب روب ستارك الرَّهيب والثاني رمز وألوان عائلة باراثيون. «سنحتاج إلى كلا الحيوانين إذا أردنا النزال أمام الملكة دنيرس». إذا قرَّر البحَّارة أن يذبحوا الخنزيرة الجميلة فلا أمل له أو لپني في منعهم... لكن قد يجعلهم سيف السير چورا الطَّويل يتردَّدون على الأقل.

- «أهكذا تأمل أن تحتفظ برأسك أيها العفريت؟».

- «السير عفريت إذا سمحت. والإجابة نعم. حالما تعرف جلالتها قيمتي الحقيقيَّة ستقدِّرني. إنني شخص صغير محبَّب في النِّهاية، وأعرفُ أشياء مفيدة كثيرة عن أهلي، لكن الأفضل أن أسألها حتى ذلك الحين».

- «توتب وتراقص كما تشاء، فلن يمحو هذا جرائمك. دنيرس تارجارين ليست طفلةً سخيَّة تُلهيها الدُّعابات والألعاب. ستعاملك بالعدل».

أوه، لا أملُ هذا. تفرَّس تيريون في وجه مورمونت بعينه غير المتماثلتين، وقال: «وكيف ستستقبلك هذه الملكة العادلة؟ بعناقٍ دافئ؟ ضحكة فتاة صغيرة؟ فأس جلاَّد؟»، وابتسم ابتسامته العريضة لمراى ارتباك الفارس الواضح، وتابع: «هل توقَّعت حقًا أن أصدِّق أنك كنت تُؤدِّي مهمَّةً للملكة في ذلك الماخور؟ أنك تُدافع عنها وبينكما نصف عالم؟ أم أنك كنت هاربًا بعد أن صرفتكَ ملكة التَّنانين من خدمتها؟ لكن لماذا... أه، مهلاً. لقد كنت تتجسَّس عليها!»، وقهقهة تيريون قبل أن يُواصل: «إنك تنوي شراء حظوتها من جديد بتقديمي إليها. خطَّة عقيمة في رأيي، وقد يقول المرء إنه تصرَّف ترتب على اليأس والسُّكر. ربما لو كنتُ چايمي... لكن چايمي قتل أباه،

وأنا قتلتُ أبي فقط. تظنُّ أن دنيرس ستُعِدُّمني وتعفو عنك، إلا أن العكس وارد أيضًا. ربما عليك أن تمتطي تلك الخنزيرة أيها السير چورا. ارتدِ بِرْةً من الحديد الملوّن مثل فلوريان الـ...».

أدَارَتِ الضَّرْبَةَ التي هوى بها الفارس عليه رأسه وطرَحَتْه إلى الجانبِ بعُنْفٍ جعلَ رأسه يرتدُّ عن السَّطْحِ. ملأَ الدَّمُ فمه إذ قامَ مترنِّحًا على رُكْبَةٍ واحدة، وبصقَ سِنًّا مكسورةً. أزدادُ وسامةً كلَّ يوم، لكنني أعتقدُ أنني نكأتُ جرحًا. مسحَ تيريون فقاقيع الدَّمِ عن شفته المشقوقة بظَّهر كَفِّهِ متسائلًا: «هل قال القزم ما يُسيءُ أيها الفارس؟».

قال مورمونت: «سئمتُ فمك هذا أيها القزم. ما زالتَ لديك أسنان متبقية. إذا أردتَ الاحتفاظ بها فابتعد عني حتى نهاية هذه الرَّحْلة.»
- «سيكون هذا صعبًا. إننا نتقاسم قمرًا».

- «يُمكنك أن تجد مكانًا آخر تنام فيه، في المخزن بالأسفل أو على السَّطْحِ، لا يعينيني. ابتعد عن نظري فحسب».

سحبَ تيريون نفسه ناهضًا، وردَّ بفم مليءٍ بالدَّمِ: «كما تُريد»، لكن الفارس الكبير كان قد رحلَ بالفعل، يدقُّ حذاءه ألواح السَّطْحِ بقوَّة. وجدته يني في المطبخ بالأسفل يغسل فمه بالرَّمِ والماء وتقلَّص ملامحه من لسعة الألم، وخاطبته قائلةً: «سمعتُ بما حدث. أوه، هل جُرِحت؟».

هزَّ كتفيه مجيبًا: «القليل من الدَّمِ ويسن مكسورة». لكنني أعتقدُ أنني جرحته أكثر. «وهو الفارس. يُؤسِّفني أن أقول إننا لا نستطيع الاتِّكال على السير چورا في حال احتياجنا إلى حماية».

قالت: «ماذا فعلتُ؟ أوه، شفتك تنزف»، وأخرجت مندبلاً من كُمِّها وضغطت به على الشِّفة برفقٍ متسائلةً: «ماذا قلتُ؟».

- «بضع حقائق لم يرغب السير حصوة في سماعها».
- «يجب ألا تسخر منه. ألا تعرف شيئًا؟! لا يُمكنك أن تُحدِّث شخصًا كبيرًا هكذا. إنهم قادرون على إيدائك! كان يُمكن أن يُلقيك السير چورا في البحر، ولضحك البحَّارة لرؤيتك تغرق. عليك اتِّخاذ الحذر مع الأشخاص الكبار. كُن مرحًا مازحًا معهم، اجعلهم يبتسمون ويضحكون. هذا ما كان أبي يقوله دومًا. ألم يُعلِّمك أبوك كيف تتصرَّف مع الأشخاص الكبار؟».

قال تيريون: «كان الجميع صغارًا عند أبي، ولم يكن بالرجل الذي يُمكنك وصفه بالمرح»، وأخذَ رشفةً أخرى من الرَّم المخفف بالماء ودوّره في فمه ثم بصقه، وتابعَ: «لكنني أفهمُ قصدك. ما زالت أمامي أشياء كثيرة أتعلّمها عن حياة الأقرام. هلّا تفضّلتِ بتعليمي بين التّزالات وركوب الخنازير؟»
- «سأفعلُ يا سيّدي، بكلّ سرور... لكن ما تلك الحقائق؟ لماذا ضربك السير چورا بهذا العُنْف؟».

- «من أجل الحُبِّ بالطّبع، السّبب نفسه الذي جعلني أطبخُ المغنيّ في يخبنة». ففكر في شاي والنظرة في عينيها إذ ضيّق خناق السّلسلة حول عنقها ولواها بقبضته، سلسلة الأيدي الذهب. فالأيدي الذهب دومًا باردة، لكن يدي المرأة تشعّان دفئًا. «أأنتِ عذراء يا بني؟»
تخصّص وجهها خجلًا مجيبيّة: «نعم، بالطّبع. من عساه...».

- «أبقي هكذا. الحُبُّ جنون، والشّهوة سُم. احتفظي بعذريّتك. ستكونين أسعد، ولن تجدي نفسك في ماخورٍ قدر على ضفاف (الروين) مع عاهرة تُشبهه حبيبتك المفقودة نوعًا». أو تقطعي نصف العالم في مطاردة أمله أن تعرفي أين تذهب العاهرات. «السير چورا يحلم بإنقاذ ملكة التّنانين والتّنعّم بعرفانها، لكنني أعرف شيئًا أو شيئين عن عرفان الملوك، وأوثر أن يكون لي قصر في (قاليريا)». بتر تيريون كلامه فجأة ليقول: «هل شعرت بهذا؟ السّفينة تحرّكت».

قالت بني وقد أضاء وجهها فرحًا: «نعم، إننا نتحرّك مجددًا. الرّيح...»، وهرعت إلى الباب مردفةً: «أريدُ أن أرى. هلمّ، سأسألك إلى أعلى»، وانطلقت.

بينما اندفعت بني من المطبخ صاعدة السّلام الخشب بأقصى سرعةٍ تُتيحها لها ساقاها القصيرتان ذكّر تيريون نفسه مرغمًا: إنها صغيرة، أقرب إلى طفلة، وعلى الرغم من هذا دغدغته رؤية حماسها، وتبعها إلى أعلى.

دبّت الحياة من جديد في الشّراع، ينتفخ ويفرغ وينتفخ ثانية، وتتلوّى الشّرائط الحمراء على قماشه كالشّعابين. اندفع البحّارة على السّطح يشدّون الحبال فيما زعق الوكلاء بالأوامر بلغة (فولانتيس القديمة)، وحلّ المجذّفون في القوارب حبال الجرّ وبدأوا يعودون أدراجهم إلى الكوج مجدّفين بقوّة.

كانت الرِّيح تهبُّ شديدةً من الشَّرْق قابضةً على الحبال والمعاطف كطفيلٍ
مشاغِب، وعادَت (السُّلياسوري كُوران) إلى الحركة.
قد نَبُلغ (ميرين) في النِّهاية رِغم كلِّ شيءٍ ٤.
لكن حين تسلَّق سُلَّم السَّلوقِيَّة الخلفِيَّة ونظرَ من المؤخِّرة تذبذبت
ابتسامته. سماءُ زرقاءٍ وبحرٌ أزرقٌ هنا، لكن إلى الغرب... لم أرَ سماءً بهذا
اللَّون قطُّ. في الأفقِ رُكامٌ رعدي⁽¹⁾ كثيف، وقال تيريون مشيرًا إليه: «ابن
الطَّبيعة الحرام».
- «ما معنى هذا؟».

- «معناه أن وغدًا كبيرًا يزحف علينا من الخلف».
أدهشهُ انضمام موكُورو واثنين من أصابعه النَّارِيَّة إليهم على السَّلوقِيَّة
الخلفِيَّة الآن في منتصفِ النَّهار، فالرَّاهب الأحمر ورجاله لا يظهرون عادةً
حتى الغسق. حيَّاه الرَّاهب بإيماءٍ رصينة قائلاً: «ها أنت ذا تراها الآن يا
هيو جور هيل، غضبة الإله. إله الضِّياء لا يسمح بالسُّخرية منه».
قال تيريون وقد خامره شعور سيِّئ: «الأرملة قالت إن السَّفينة لن تَبُلغ
وجهتها أبدًا. حسبتُ معنى هذا أن الرُّبَّان سيبدِّل الاتِّجاه إلى (ميرين) ما إن
نَخرُج إلى البحر بعيدًا عن متناول القناصل، أو أنك ستستولي على السَّفينة
بيدك النَّارِيَّة وتأخذنا إلى دنيرس، لكن ليس هذا ما رآه راهبكم الأعلى
إطلاقًا، أليس كذلك؟»

دقَّ صوت موكُورو العميق بوقار ناقوس جنازةٍ إذ أجاب: «هذا هو ما
رأه»، ورفع الرَّاهب عصاه وأشارَ بها إلى الغرب.
حائرةٌ قالت بِنِي: «لستُ أفهمُ. ما معنى هذا؟».
- «معناه أن علينا أن نزل إلى أسفل. السيرُ چورا نفاي من قمرتنا. هل
تسمحين بأن أختبئ في قمرتك عندما يحين الوقت؟».
- «نعم، سيكون هذا... أوه...».

طوال ثلاث ساعاتٍ تقريبًا سبقوا الرِّيح فيما ظلَّت العاصفةُ تدنو بإصرار.

(1) الرُّكام الرَّعدي نوع من السَّحاب يتشكَّل على نحوٍ عمودي كثيف ويحمل المطر ويتزامن
مع هبوب العواصف الرَّعديَّة. (المترجم).

اخضرت سماء الغرب ثم ارمدت ثم اسودت، وارتفع جدار من السحاب القاتم من ورائهم ممخوضاً كالحليب إذا ترك في المرجل على النار وقتاً أطول من اللازم. شاهد تيريون وبني من فوق السلوقية الأمامية وقد قيعا عند تمثال المقدمة بيدين متعاقبتين وحرصاً على الابتعاد عن طريق الرُّبان والطَّاقم.

العاصفة السابقة كانت مثيرةً مُسكرةً، زوبعةً مباحثةً طهرته وأنعشته، أمّا هذه فيشعر من البداية بأنها مختلفة، وهو ما شعر به الرُّبان أيضاً، فغيّر مسارهم إلى الشمال والشمال الشرقي محاولاً الابتعاد عن طريقها.

على أن جهده ذهب هدراً، فالعاصفة هائلة. هاج البحر وماج من حولهم، وبدأت الريح تعوي، وارتفعت (الوكيل الزنخ) وانخفضت إذ اعتلجت الأمواج وتكسرت على بدنهما، ومن ورائهم هوى البرق من السماء يطعن البحر بالسنّة أرجوانيةً مُعمية تراقصت على الماء في شباك من الضوء، وبعد البرق دوى الرعد. أخذ تيريون وبني من ذراعها وقادها إلى أسفل قائلاً: «حان وقت الاختباء».

أصاب الخوف الجميلة وكرّش بالجنون. كان الكلب ينبح وينبح وينبح، ولدى دخولهما طرح تيريون أرضاً، وكانت الخنزيرة تتبرّز في كل مكان. نظف تيريون الغائط قدر المستطاع فيما حاولت بني تهدئة الحيوانين، ثم إنهما ربطا أو خبّأ كل شيء مفكوك. قالت بني معترفةً: «أنا خائفة». بدأت القمرة تتمايل وتقفز في هذا الاتجاه وذلك من جرّاء تلاطم الأمواج التي ما برحت تدق بدن السفينة دقاً.

ثمّة سبل للموت أسوأ من الغرق. هذا ما تعلّمه أخوك والسيد والدي، وكذا شاي، تلك الكاذبة السافلة. الأيدي الذهب دوماً باردة، لكن يدي المرأة تسعان دفئاً. قال تيريون على سبيل الاقتراح: «علينا أن نلعب لعبة. قد يُساعد هذا في إلهائنا عن العاصفة».

قالت في الحال: «ليس السايقاس».

أيدها قائلاً والأرض ترتفع من تحته: «ليس السايقاس». لن يُفصي هذا إلّا إلى تطاير القطع في أنحاء القمرة وسقوطها على الخنزيرة والكلب. «هل لعبت (تعال إلى قلعتي) في صغرِك؟».

- «لا. هَلَّا عَلَّمْتَنِي؟».

هل يستطيع؟ تردّد تيريون. أيها القزم الأحمق. بالطبع لم تلعب (تعال إلى قلعتي) من قبل. إنها لم تَسْكُنْ في قلعة قط. (تعال إلى قلعتي) لعبة لأولاد عليّة القوم، الغرض منها تعليمهم الذوق ورموز النبالة وشيئا أو اثنين عن أصدقاء وأعداء آبائهم اللوردات. بدأ يقول: «لن...»، إلا أن القمرة ارتفعت ثانية بعنف ليرتطم ببني التي أطلقت صرخة رُعب. ضاغطاً على أسنانه قال تيريون: «لن تصلح تلك اللعبة. آسف، لا أدري أيُّ لعبة...».

قاطعته بني: «أنا أدري»، وقبلته.

كانت القُبلة مندفعة خرقاء، لكنها باغتته تماماً. ارتفعت يده بحركة حادة وأطبقتا على كتفيها لتدفعها بعيداً عنه، غير أنه تردّد بدلاً من ذلك، ثم جذبها إليه واعتصرها بين ذراعيه. وجدّ تيريون شفيتها جافّتين جامدتين مغلقتين بإحكام كيس نقود البخيل، ففكّر: رحمة صغيرة. ليس هذا شيئاً أرادّه. إنه يستلطف بني، يُشفق على بني، بل ومعجب ببني إلى حدّ ما أيضاً، لكنه لم يرغب فيها قط. لكنه لا يريد أن يجرحها، فقد أصابها الآلهة وأخته الجميلة بما يكفي من ألم بالفعل، وهكذا ترك القُبلة تستمرّ وقد أمسك كتفيها برفق، وإن ظلت شفّتها مغلقتين عن آخرهما.

وتمايلت (السلياسوري كوران) وارتجّت من حولهما.

أخيراً سحبت وجهها بوصة أو اثنتين، ورأى تيريون انعكاسه في عينيها اللامعتين. قال لنفسه: عينان جميلتان، إلا أنه رأى فيهما أشياء أخرى أيضاً. الكثير من الخوف، القليل من الأمل... ولا ذرة من الشهوة. إنها لا تُريدني مثلما لا أريدها.

حين خفّضت رأسها وضع يده تحت ذقنها ورفعته ثانية قائلاً: «لا يُمكننا أن نلعب هذه اللعبة يا سيّدتي».

وبالأعلى دوى هزيم الرّعد الذي يدنو أكثر فأكثر.

- «لم أقصد... لم أقبل صبيّاً من قبل، ولكن... خطر لي فقط... ماذا لو غرقنا ولم... لم...».

كاذباً قال: «كانت قُبلة حلوة، لكنني متزوج. لقد كانت معي في المأدبة. لعلك تذكّرينها، الليدي سانزا».

- «أهي زوجتك؟ كانت... كانت رائعة الجمال...».
وغادرة. سانزا، شاي، نسائي جميعاً... تايشا الوحيدة التي أحببني حقاً.
أين تذهب العاهرات؟ «فتاة فاتنة، وقد عُقدَ قراننا على مرأى من الآلهة والبشر.
ربما ضاعت مني، لكن عليّ أن أبقى مخلصاً لها إلى أن أعلم ذلك يقيناً».
أشاحت بوجهها قائلة: «مفهوم».
فكّر تيريون بمرارة: امرأتي المثالية، الصغيرة التي ما زالت تُصدّق هذه
الأكاذيب البيّنة.

كان بدن السفينة يصرُّ والسّطح يتحرّك والخزيرة تصرّخ مذعورة. زحفت
بني على أرض القمرة على يديها ورُكبتها وأحاطت رأس الجميلة بذراعيها
وتمتمت لها ببعض كلمات الطمأنة. بالنّظر إليهما وجدّ صعباً أن يُميّز من
تُواسي من، منظرهما عجيب لدرجة أنه من المفترض أن يكون في غاية
الطرافة، لكن تيريون لم يستطع أن يتسم مجرد ابتسامة. الفتاة تستحق ما هو
أفضل من خزيرة، تستحق قبلة صادقة والقليل من الحنان. كل إنسانٍ يستحق
هذا مهما كان كبيراً أو صغيراً. تلفت باحثاً عن كوب النبيذ، ولما وجده كان
الرّم كله قد انسكب، فقال لنفسه بجهامة: الغرق سيّء بما فيه الكفاية، لكن أن
أغرق حزينا مستقيماً فهذه قسوة بالغة.

في النهاية لم يغرقوا... ولو أن في أوقاتٍ معيّنة كانت لفكرة الغرق بهدوءٍ
وسلام جاذبيّة معيّنة. زارت العاصفة طيلة ما تبقى من النّهار وبعد حلول اللّيل
بساعاتٍ عدّة، وعوت ريح صرصر بليلة حولهم وارتفعت الأمواج كقبضات
عمالقة غرقى لتتكسّر على السفينة. لاحقاً عرف تيريون وبني أن العاصفة
ابتلعت أحد وكلاء الرُّبان واثنين من البحّارة، وفقد الطّاهي بصره عندما
طارت قدر من الشّحم السّاخن في وجهه، وسقط الرُّبان من فوق السّلوقيّة
الخلفية إلى السّطح الرّئيس بعنفٍ كسر كلتا ساقيه. بالأسفل عوى كرنش
وعصّ الهواء في وجه بني، وبدأت الخزيرة الجميلة تتبرّز من جديد محوّلة
القمرة الضيّقة الرّطبة إلى زريبة. استطاع تيريون تحاشي إفراغ معدته خلال
كلّ هذا بفضل غياب النبيذ في الغالب، أمّا بني فلم يُحالفها الحظّ مثله، لكنه
أمسكها على كلّ حالٍ فيما صرّ بدن السفينة وأنّ على نحوٍ مروّع كبرميلٍ على
وشك الانفجار.

فُرب منتصَف اللَّيلِ خمدت الرِّيحُ أخيراً وهدأ البحر بما فيه الكفاية لصعود تيريون إلى السَّطح، وما رآه هناك لم يُطمئنّه. الكوج طافٍ في بحرٍ من زُجاج التّين تحت صفحةٍ من النُّجوم، لكن في كلِّ مكانٍ حولهم ما زالت العاصفةُ ثائرةً. شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، أينما نظرَ رأى السُّحبَ ترتفع كجبالٍ سوداء دبت الحياة في منحدراتها المتقوّضة وجروفيها الهائلة بالبرق الأزرق والأرجواني. لم يكن المطر يسقط، لكن السَّطح مبتل زلق تحت قدميه.

سمع تيريون أحدهم يصرخ من أسفل بصوتٍ عالٍ رفيع مسعور من فرط الخوف، وسمع موكورو أيضاً. كان الرَّاهب الأحمر واقفاً فوق السَّلوقية الأمامية في مواجهة العاصفة، عصاه مرفوعة فوق رأسه إذ ردّد صلاةً بصوته الجمهوري، وفي منتصف السفينة كافتحت دسنة من البحارة وإصبعان نارياً لحلّ الحبال المنعقدة وإرخاء فُماش القنب المشبّع بالماء، وإن لم يدرِ القزم إن كانوا يُحاولون رفع الشُّراع أم إنزاله. أيّاً كان ما يفعلونه فقد بدت له فكرة سيئة للغاية، وهي كذلك.

عادت الرِّيح تهبُّ كتهديدٍ مهموس، باردةً رطبةً تمسُّ وجنتيه وتُحرِّك الشُّراع المبتل وتدور وتشدُّ ثوب موكورو القرمزي. دفعت غريزة ما تيريون إلى التَّمسُّك بأقرب حاجز، وفي الوقت المناسب تماماً. خلال ثلاث نبضات قلب استحال النسيم الهادئ إلى ريح هوجاء. صاح موكورو بشيء ما، وانطلق لسان من اللهب الأخضر من فم التّين على رأس عصاه ليختفي في اللَّيل. ثم عاد المطر الأسود المُعمي ينهمر، واختفت السَّلوقيتان الأمامية والخلفية معاً وراء حائطٍ من المياه. رفرَف شيء ما ضخم بالأعلى، ورفع تيريون عينيه في اللحظة المناسبة ليرى الشُّراع يطير برجلين ما زال متدلّيين من الحبال. ثم إنه سمع قرقعةً، ولم يجد وقتاً إلا ليُفكّر: بحقّ الجحيم، مؤكّد أنه الصَّاري.

وجد حبالاً وتشبّث به مناضلاً للوصول إلى الكوة كي يتعد عن العاصفة، لكن هبةً من الرِّيح أسقطت ساقيه من تحته وضربته أخرى بالحاجز، وهناك تمسَّك ليجلد المطر وجهه جلدًا ويحجب الرؤية تماماً. امتلاً فمه بالدماء مرّةً أخرى، وأنت السفينة وزمجرت من تحته كرجلٍ بدين مصاب بالإمساك يُحاول إفراغ أحشائه. ثم انفلق الصَّاري.

لم يره تيريون، لكنه سمعه. تلك القرقعة ثانية، ثم صرخة الخشب المعذب، وفجأة امتلأ الهواء بالشدف والشطايا. أخطأت إحداها عينه بنصف بوصة، وأصابته ثانية عنقه، وانغرست الثالثة في ربله ساقه مخترقة جلد الحذاء وقماش السراويل. صرخ تيريون، لكنه ظل متشبثاً بالحبل بقوة كان يجهل أنه يملكها. قال لنفسه متذكراً: الأرملة قالت إن السفينة لن تبلى وجهتها أبداً، ثم انفجر يضحك ويضحك بصرابة وجنون والرعد يهزم والخشب يئن والأمواج تتكسر في كل جهة حوله.

عندما هجعت العاصفة أخيراً، وصعد الناجون من المسافرين والطاقم إلى السطح كديدان وردية شاحبة تخرج إلى أديم الأرض بعد المطر، كانت (السلياسوري كوران) قد صارت كياناً مكسوراً طافياً في الماء وتميل عشر درجات إلى اليسار، وقد تحطم بدنهما في غير موضع وأصبح صاريها قطعة خشب خربة لا تتجاوز القزم طولاً، وحتى تمثال المقدمة لم ينح، فانكسرت ذراعها التي تحمل اللفائف. تسعة رجال فقدوا، بمن فيهم أحد وكلاء الربان وإصبعان نارياً وموكونو نفسه.

تساءل تيريون في داخله عندما أدرك ضياع الراهب الأحمر: هل رأى بنيرو هذا في ناره؟ هل رآه موكونو؟

قال لچورا مورمونت متذكراً: «النبوءة مثل البغلة الذي لم يكتمل تدريبها، تبدو لك مفيدة، لكن لحظة أن تثق بها ترفسك في رأسك. تلك الأرملة الملعونة كانت تعلم أن السفينة لن تصل إلى وجهتها أبداً، وقد نبهتنا إلى هذا، قالت إن بنيرو رآه في ناره، لكنني حسبت أن معنى هذا... لا يهم»، والتوى فمه متابعا: «معناه الحقيقي أن عاصفة شعواء لعينة ستحوّل الصاري إلى هشيم كي نطفو بلا هدف في (خليج الثبور) إلى أن ينفد طعامنا ونبدأ في أكل بعضنا بعضاً. من تحسبهم سيأكلونه أولاً... الخنزيرة أم الكلب أم أنا؟».

- «أشدكم جلباً».

مات الربان في اليوم التالي، وطاهي السفينة بعد ثلاث ليالٍ. بذل أفراد الطاقم المتبقون أقصى ما بوسعهم للحفاظ على الحطام طافياً، وخمن الوكيل الذي تولى القيادة أنهم في مكان ما قرب طرف (جزيرة الأرز) الجنوبي، ولما

أُنزَلَ اثْنَيْنِ مِنَ الْقَوَارِبِ لَجَرَّهُمْ إِلَى أَقْرَبِ يَابِسَةٍ غَرَقَ أَحَدُهُمَا وَقَطَعَ الرَّجَالُ فِي الثَّانِي الْحَبَالَ وَيَمَّمُوا نَحْوَ الشَّمَالِ مَتَخَلِّينَ عَنِ الْكُوجِ وَرِفَاقِهِمْ.
قال چورا مورمونت باحتقار: «يا للعبيد».

حسب كلام الفارس الكبير فقد ظلَّ نائمًا خلال العاصفة، وهو ما يرتاب فيه تيريون، لكنه احتفظَ بربيته لنفسه، فقد يضطرُّ يومًا ما إلى عَضِّ أحدهم في ساقه، ولأجل هذا سيحتاج إلى أسنانه. بدا مورمونت قانعًا بتجاهلَّه خلافهما، وقرَّر تيريون أن يتظاهر بأنه لم يقع.

طوال تسعة عشر يومًا ظلوا طافين فيما تناقص الطَّعام والماء وانهاالت عليهم الشَّمس بحرارتها بلا رحمة. قبعَت بِنِي فِي قَمَرْتِهَا مَعَ كَلْبِهَا وَخَنزِيرَتِهَا، وَجَلَبَ لَهَا تِيرِيون الطَّعام، يعرج على رَبلة ساقه المضمَّدة ويتشمَّم الجرح ليلاً، وحين لا يجد شيئاً آخر يفعلُه يخز أصابع يديه وقدميه أيضًا. واطبَّ السير چورا على شحذ سيفه كلَّ يوم وصقله حتى البريق، وواظب رجال اليد النَّارِيَّة الثلاثة على إشعال النَّار اللَّيْلِيَّة عندما تميل الشَّمس إلى المغيب، وإن ارتدوا دروعهم المنمَّقة وهم يقودون الطَّاقم في الصَّلَاة، واحتفظوا بحراهم في تناول اليد.

ولم يُحاوِلِ بحَّارٌ واحدٌ أن يَفْرُكَ رأس القزم أو القزمة.
في ليلةٍ سألت بِنِي: «هل نُقدِّمُ لهم عرضاً آخر؟»
أجاب تيريون: «الأفضل ألا نفعل وإلا ذكَّرناهم بأن لدينا خنزيرةً سمينةً».
مع أن الحقيقة أن الجميلة تفقد مزيداً من وزنها كلَّ يوم، وأضحى كرنش فرواً على عظم.

ليلتها رأى في المنام أنه عادَ إلى (كينجز لاندنج) وفي يده نُشايَّة. قال اللورد تايوين: «أينما تذهب العاهرات»، لكن حين انضغَطَ إصبع تيريون ورنَّ الوتر ألْفَى بِنِي أمامه بالسَّهم في بطنها.
ثم استيقظ على صوت صياح.

كان السَّطح يتحرَّك من تحته، ولْبُرْهَةِ شعَرَ بالارتباك البالغ حتى إنه حسبَ أنه على متن (العذراء الخجول)، لكن نفحةً من خراء الخنازير رَدَّتْ إليه صوابه. (الويلات) وراءه، بينها وبينه نصف عالم، ومسرات تلك الفترة أيضًا. تذكَّر كم كانت ليمور تبدو أخذًا بعد سباحتها الصَّبَاحِيَّة وقطرات الماء تلتمع

على بشرتها العارية، لكن الأثى الوحيدة هنا هي المسكينة پني، الصَّغيرة القزمة ناقصة النُّمو.

على أن شيئاً ما يحدث. نزل تيريون من فوق شبكة النُّوم متثائباً وبحث عن حذائه، وعلى الرغم مما في هذا من جنونٍ بحثٍ عن النشائية أيضاً، لكنه لم يجدها بالطَّبع. يا للخسارة. كانت لتتفعني نوعاً عندما يأتي الكبار لأكلي. انتعل حذاءه وصعد إلى السطح ليرى سبب الصَّياح، ووجد پني سقطته إلى هناك وقد اتَّسعت عيناها عجباً، ولمَّا رآته صاحت: «شراع، هناك، هناك، هل تراه؟ شراع. لقد رأونا، رأونا. شراع!».

هذه المرَّة قبلها هو... مرَّة على كلِّ وجنةٍ ومرَّة على جبهتها وأخيراً على شفتيها، ومع القُبلة الأخيرة كان وجهها قد تورَّد وراحت تضحك وقد عادَ إليها خجلها. لكن لا يهمُّ، فالسَّفينة الأخرى تدنو، وقد رأى أنها قادم كبير تُخلِّف مجاذيفه أثراً أبيض طويلاً وراءه.

خاطبَ تيريون السير چورا مورمونت متسائلاً: «ما هذه السَّفينة؟ هل يُمكنك أن تقرأ اسمها؟».

قال مورمونت: «لستُ محتاجاً إلى قراءة اسمها. إننا في اتُّجاه الرِّيح، ويُمكنني أن أشمَّها»، واستلَّ سيفه مضيئاً: «هذه سفينة نخاسين».



المارق

بدأت الرقائق الأولى تنزل من السماء حين آبت الشمس في الغرب، ومع هبوط الليل كان الثلج يتساقط بكثافة أخفت القمر وراء حجاب من الأبيض. وفي الصباح التالي، والرجال مجتمعون على الإفطار في قاعة (وينترفل) الكبرى، أعلن روروس بولتون: «آلهة الشمال أنزلت باللورد ستانيس غضبتها. إنه غريب هنا، ولن تسمح له الآلهة القديمة بالبقاء حياً».

هدر رجاله مؤيدين وأخذوا يدقون المواثد الخشبية الطويلة بقبضاتهم. قد تكون (وينترفل) منكوبة، لكن أسوارها وجدرانها الجرانيت كفيلا بوقاية من داخلها من السواد الأعظم من الريح والطقس السيئ، علاوة على أن عندهم مخزوناً كافياً من الطعام والشراب، وناراً تدفئهم في أوقات الراحة من الواجب، ومكاناً يجففون فيه ثيابهم، وأركاناً مريحة يستلقون فيها وينامون، كما أن اللورد بولتون خزّن حطباً يكفي لإطعام النار طيلة نصف عام، فلا يعوز القاعة الكبرى الدفء أو الراحة أبداً.

أمّا ستانيس فلا يتمتع بشيء من هذا.

لم يشارك ثيون جرايچوي في الضجة، ولم يقمته أن يلحظ أن رجال عائلة فراي لم يشاركون كذلك. قال لنفسه مراقباً السير اينس وأحاه غير الشقيق السير هوستين: هم أيضاً غرباء هنا. لم يشهد أبناء فراي الذين ولدوا ونشأوا في أراضي النهر ثلوجاً كهذه من قبل قط. الشمال اقتنصر ثلاثة من ذويهم بالفعل. يذكر ثيون الرجال الذين بحث عنهم رامزي عبثاً على إثر ضياعهم بين (الميناء الأبيض) و(بلدة الروابي).

على المنصة جلس اللورد وايمان ماندرلي بين اثنين من فرسان (الميناء

الأبيض) يحشو وجهه السمين بالثريد، وإن لم يبد أنه يستمتع به كما استمتع ببطائر لحم الخنزير يوم الزفاف، وفي بقعة أخرى انهمك هاروود ستاوت ذو الذراع الواحدة في حوار هادئ مع باقر العاهرة أو مبر الأعجف.

أخذ ثيون مكانه مع الرجال في طابور الثريد، الذي يُعرف في آنية خشبية من صف من القدور النحاس. رأى اللوردات والفُرسان يُحلون حصصهم بالعسل والحليب، بل والزبدة أيضاً، إلا أن شيئاً من هذا لن يُعرض عليه. كان عهده كأمر (ويترفل) وجيزاً، وقد لعب دوره في التمثيلية وسلم آريا المزيقة للزواج، والآن لم تُعد له عند رُووس بولتون فائدة.

قال أحد رجال هورنوود في الطابور أمامه: «في أول شتاءٍ أذكره ارتفع الثلج فوق رأسي».

ردَّ خيال من (العُدران): «أجل، لكن طولك كان ثلاثة أقدام فقط آنذاك». ليلة البارحة، عاجزاً عن الرُقود، وجد ثيون نفسه يُسهب في التفكير في الهرب، في الانسلاخ دون أن يراه أحد في وقت يكون فيه انتباه رامزي والسيّد والده منصباً على شيءٍ آخر. لكن كلَّ بوايةٍ في القلعة مغلقة ومزوجة وتحت حراسةٍ مشددة، وليس مسموحاً لأحد بالدخول أو الخروج إلا بإذن اللورد بولتون. وحتى إذا وجد ثيون طريقاً سرّياً للخروج فلن يُمكنه أن يثق به. إنه لم ينس كايرو ومفاتيحها. وإذا خرج فأين يذهب؟ أبوه ميت، ولا حاجة إليه عند أعمامه، و(بايك) ضاعت منه. أقرب شيءٍ إلى الديار تبقى له موجود هنا بين عظام (ويترفل).

رجل خرب وقلعة خربة. هذا مكاني.

كان ينتظر حصته من الثريد حين دخل رامزي القاعة مع صبيان النغل وصاح أمراً بالموسيقى، ففرك إيبيل آثار النوم من عينيه والتقط عوده وشرع يُغني (زوجة الدورني)، فيما دقت إحدى غسالاته الإيقاع على طبلتها. على أن المغني غير الكلمات، وبدلاً من تذوق زوجة الدورني غنى عن تذوق ابنة الشمالي.

فكر ثيون وإنائه يُملأ بالثريد: يُمكن أن يفقد لسانه لأجل هذا. إنه مجرد مغنٍ، يستطيع اللورد رامزي أن يسلخ جلد يديه الاثنتين ولن يقول أحد كلمة. لكن اللورد بولتون ابتسم للبيت وضحك رامزي بصخب، وعندها عرف

الآخرون أن ضحكهم أيضًا مأمون، ووجدَ القضيب الأصفر الأغنيّة في غاية الطرافة حتى إن النّبيذ تطايرَ من أنفه.

لم تكن الليدي آريا حاضرةً لتُشارك في المرح. منذ ليلة زفافها لم تُر خارج غرفة نومها، وقد ردّدَ أكن اللفظ أن اللورد رامزي يتّرك عروسه عاريةً مقيدةً إلى أحد أعمدة الفِراش، لكن ثيون يعلم أن هذا هُراء. ليست هناك سلاسل -على الأقل من النّوع الذي يُرى بالعين- وليس هناك سوى حارسين خارج باب الفتاة لمنعها من التّجوال. ولا تتعرّى إلا عندما تستحمُّ.

والفتاة تستحمُّ كلَّ ليلة تقريبًا، فاللورد رامزي يحبُّ زوجته نظيفةً. كان قد قال لثيون: «المسكينة بلا وصيفات، أي أنك الوحيد المتاح يا ريك. هل ألبسك فُستانًا؟»، وضحك متابعًا: «ربما إذا توسّلت إليّ، لكن في الوقت الحالي يكفي أن تُساعدنا على الاستحمام. لستُ أريدُ أن تكون رائحتها كرائحتك». وهكذا متى طابَ لرامزي أن يُباشر زوجته وقعَ على عاتق ثيون أن يستعير بعض الخادِمات من الليدي والدا أو الليدي داستن لإحضار الماء السّاخن من المطابخ. على الرغم من أن آريا لا تُحدّثهم أبدًا فلم تُفتهم رؤية كدماتها. إنها غلطتها. لم تُرضه. في مرّةٍ أُخبرَ الفتاة وهو يُساعدها على النزول في الماء: «كوني آريا فحسب. اللورد رامزي لا يُريد أن يُؤذيك. إنه لا يُؤذينا إلا... إلا عندما ننسى. لم يعجر حني دون سببٍ من قبل».

همست متحبةً: «ثيون...».

قاطعها: «ريك»، وأمسك ذراعها وهزّها مردفًا: «أنا هنا ريك. يجب أن تتذكّري يا آريا». لكن الفتاة ليست من آل ستارك حقًا، بل مجرد بنت وكيل. چين، اسمها چين، ولا يجب أن تتطلّع إليّ لأفقدّها. في الماضي كان ثيون جرابجوي ليُحاول أن يُساعدها، لكن ثيون كان حديديّ الميلاد ورجلاً أشجع من ريك. ريك، ريك، علي قافية ريك.

عند رامزي ألعبوبة جديدة تُسليّه، ألعبوبة لها ثديان وفرج... لكن سرعان ما ستفقد دموع چين نكهتها ويُريد رامزي مخلوقه ريك ثانيةً. سيسلخني بوصةً بوصةً، وحين تنفد أصابعي تمامًا سيأخذ يدي، وبعدها أصابع قدمي ثم القدمين، لكن فقط إذا تضرّعتُ إليه، عندما يسوء الألم لدرجة أن أتوسّل أن يمنحني شيئًا من الرّاحة. لا حمّامات ساخنة لريك. سيتقلّب في الخراء مجددًا

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِ الْاِغْتِسَالَ، وَتَتَحَوَّلُ ثِيَابُهُ إِلَى أَسْمَالٍ مَتَّسَخَةً كَرِيهَةً الرَّائِحَةَ، وَيُجَبِّرُ عَلَى ارْتِدَائِهَا إِلَى أَنْ تَتَعَفَّنَ. أَفْضَلُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَأْمَلَهُ أَنْ يُعِيدُوهُ إِلَى وَجَارِ الْكِلَابِ وَصُحْبَةِ فِتْيَاتِ رَامِزِي. كَايِرَا، يُسَمَّى الْكَلْبَةَ الْجَدِيدَةَ كَايِرَا. أَخَذَ إِنْءَاءً إِلَى مَوْخِرَةِ الْقَاعَةِ وَوَجَدَ مَكَانًا عَلَى دَكَّةٍ شَاغِرَةً عَلَى بُعْدِ يَارِدَاتٍ مِنْ أَقْرَبِ مَشْعَلٍ. نَهَارًا أَوْ لَيْلًا لَا يَخْلُو أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ الدَّكَّةِ تَحْتَ الْمَلْحِ، حَيْثُ يَجْلِسُ الرَّجَالُ يَشْرَبُونَ أَوْ يَلْعَبُونَ النَّرْدَ أَوْ يَتَكَلَّمُونَ أَوْ يَنَامُونَ بِثِيَابِهِمْ فِي الْأَرْكَانِ الْهَادِئَةِ. عِنْدَمَا يَحِينُ وَقْتُ ارْتِدَاءِ مَعَاطِفِهِمْ مِنْ جَدِيدٍ وَحِرَاسَةِ الْأَسْوَارِ يُوقِظُهُمْ رُقْبَاؤُهُمْ بِرَكْلَةٍ، لَكِنْ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا يُرْحَبُ بِرِفْقَةِ ثِيُونَ الْمَارِقِ، وَلَا هُوَ يَحِبُّ رِفْقَتَهُمْ.

وَجَدَ الثَّرِيدَ رَمَادِيًّا مَائِعًا، وَقَدْ دَفَعَهُ بَعِيدًا عَنِ الْمَلْعَقَةِ الثَّلَاثَةِ وَتَرَكَهُ يَتَخَشَّرُ فِي الْإِنْءَاءِ. عَلَى الْمَائِدَةِ الْمَجَاوِرَةِ كَانَ الرَّجَالُ يَتَنَاقَشُونَ بِشَأْنِ الْعَاصِفَةِ وَيَتَسَاءَلُونَ كَمَا سَيَسْتَمِرُّ الثَّلْجُ فِي السَّقُوطِ. بِإِصْرَارٍ قَالَ رَامٌ كَبِيرَ الْحَجْمِ أَسْوَدَ اللَّحْيَةِ عَلَى صَدْرِهِ فَأَسْ سُرُورِينَ: «طَوَالَ النَّهَارِ وَطَوَالَ اللَّيْلِ، وَقَدْ يَسْتَمِرُّ مُدَّةً أَطْوَلَ»، وَتَكَلَّمَ بَعْضُ الرَّجَالِ الْأَكْبَرِ سِنًّا عَنْ عَوَاصِفِ ثَلْجِيَّةٍ سَابِقَةٍ وَأَكْدَوْا أَنْ هَذِهِ لَيْسَتْ أَكْثَرَ مِنْ مَسْحُوقٍ خَفِيفٍ مَقَارَنَةً بِمَا رَأَوْهُ فِي أَشْتِيَةِ شِبَابِهِمْ، وَهُوَ مَا رَوَعَ رِجَالَ أَرْضِي النَّهْرِ. لَا يَحِبُّ هَؤُلَاءِ الْجُنُودَ الْجَنُوبِيِّونَ الثَّلْجَ وَالْبَرْدَ. كَانَ الدَّاخِلُونَ إِلَى الْقَاعَةِ يَذْهَبُونَ لِيَقْبَعُوا عِنْدَ بَوْرِ النَّارِ أَوْ يَفْرُكُوا أَيْدِيَهُمْ فَوْقَ الْمَسْتَوَقَدَاتِ الْمَتَّقَدَةِ بَعْدَ تَعْلِيقِ مَعَاطِفِهِمْ الْمَبْلَلَةَ عَلَى الْمَشَاجِبِ.

كَانَ الْهَوَاءُ ثَقِيلًا مَلِيئًا بِالدُّخَانِ وَقَدْ تَكَوَّنَتْ قَشْرَةٌ عَلَى وَجْهِ ثَرِيدِهِ عِنْدَمَا قَالَ صَوْتُ امْرَأَةٍ مِنْ وِرَائِهِ: «ثِيُونَ جَرَايِچُوي».

كَأَذَى يَقُولُ: اسْمِي رِيكُ، وَسَأَلَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟».

جَلَسَتْ إِلَى جَوَارِهِ وَاضْعَةً الدَّكَّةَ بَيْنَ سَاقَيْهَا، وَأَزَاحَتْ شَعْرَهَا الْبَنِيَّ الْمَحْمَرِ الثَّائِرَ عَنْ عَيْنَيْهَا قَائِلَةً: «لِمَاذَا تَأْكُلُ وَحْدَكَ يَا سَيِّدِي؟ هَلَمْ، انْهَضْ، انْضَمِّ إِلَى الرَّقْصَةِ».

قَالَ عَائِدًا إِلَى ثَرِيدِهِ: «لَسْتُ أَرْقُصُ». كَانَ أَمِيرٌ (وَيَنْتَرِفَلُ) رَاقِصًا رَشِيقًا، لَكِنْ مَنْظَرُ رِيكٍ بِأَصَابِعِ قَدَمِيهِ الْمَفْقُودَةِ سَيَكُونُ شَاذًا. «دَعِينِي وَشَأْنِي. لَسْتُ أَمْلِكُ مَالًا».

ابْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةً مَعُوجَّةً، وَقَالَتْ: «هَلْ تَحْسِبُنِي عَاهِرَةً؟». إِنَّهَا وَاحِدَةٌ

من غَسَّالات المغنِّي، الفارعة المهزولة، أنحل وأخشن من أن تُوصَف بالجمال... ومع ذلك في زمنٍ سابق كان ثيون ليعتليها رغم كل شيء ليختبر شعور أن تَلْفَه بهاتين السَّاقين الطَّويلتين. «ما فائدة المال هنا؟ ماذا أشتري به؟ الثلج؟»، وضحكت مضيئةً: «يُمكنك أن تدفع لي بابتسامة. لم أرك تبتسم من قبل، ولا حتى في مآذبة زفاف أختك».

ردُّ: «الليدي أريا ليست أختي»، وكان ليُخبرها: ولستُ أبتسم. رامزي كرهَ ابتساماتي، فضربني في أسناني بمطرفة. أستطيع الأكل بالكاد. «لم تكن أختي قط». - «لكنها فتاة جميلة».

لم أكن بحُسن سائرا قطُّ، لكنهم قالوا جميعاً إنني جميلة. تردَّدت أصدقاء عبارة چين في ذهنه على إيقاع الطبلتين اللتين تدقهما اثنتان من نسوة إيبيل. كانت واحدة ثالثة قد سحبت والدر فراي الصَّغير إلى فوق المائدة لتعلِّمه الرِّقص، وارتفعت ضحكات الجميع. كرَّر ثيون: «دعيني وشأني».

قالت المرأة: «ألا أعجبُ سيدي؟ يُمكنني أن أرسل إليك ميرتل إذا أردت. أو هولبي، قد تُعجبك أكثر. كل الرِّجال يُحبُّون هولبي. إنهما ليستا أختي أيضاً، لكنهما لطيفتان»، ومآلت عليه ليشمَّ رائحة النَّبيذ في أنفاسها، وواصلت: «إن لم تكن ستبتسم لي فأخبرني كيف استوليت على (ويترفل). سيؤلِّف إيبيل من الحكاية أغنيةً تُخلدك إلى الأبد».

- «باعتباري خائناً، باعتباري ثيون المارق».

- «ولمَ ليس ثيون الفذ؟ كانت مآثرة جريئةً حسبما سمعنا. كم رجلاً كان معك؟ مئة؟ خمسون؟».

أقل. «كانت لوثة جنون».

- «لوثة جنونٍ مجيدة. يقولون إن مع ستانيس خمسة آلاف رجل، لكن إيبيل يزعم أن عشرة أضعاف هذا العدد لا تستطيع اختراق هذه الأسوار. كيف دخلت إذن يا سيدي؟ هل استخدمت طريقاً سرياً؟».

استخدمتُ الحبال والكلايات، استخدمتُ الظلام وعامل المفاجأة. كانت الحراسة على القلعة مخففةً، وباغتهم بالهجوم. لم يَبْح بشيء من هذا. إذا ألَّف إيبيل أغنيةً عنه فعلى الأرجح سيفقع رامزي طبلتي أذنيه ليضمن ألا يسمعها ثيون أبداً.

- «يُمكنك أن تثق بنا يا سيدي. إيبيل يثق بنا». وضعت الغسالة يدها على يد ثيون. يدها مقفرتان بالصوف والجلد، ويدها مكشوفتان طويلتا الأصابع خشتان، وأظفارهما مقضومة حتى اللحم. «لم تسألني عن اسمي. إنه روان». انتزع ثيون يده. هذه خدعة، إنه واثق. رامزي أرسلها. إنها واحدة أخرى من دُعاباته، مثل كاي را بمفاتيحها. دُعابة مرحة، هذا كل ما في الأمر. يُريدني أن أهرب لبعقبني.

أراد أن يضر بها، أن يُحطم هذه الابتسامة السّاخرة على وجهها. أراد أن يُقبلها، أن ينكحها هنا على المائدة ويجعلها تصرخ باسمه. لكنه يعلم أنه لا يستطيع أن يمسهَا غضبًا أو شهوةً. ريك، ريك، اسمي ريك. يجب ألا أنسى اسمي. هبّ واقفًا وشقّ طريقه إلى الباب بلا كلام، يعرج على قدميه المشوهتين.

كان الثلج لا يزال يسقط بالخارج، وقد تراكم مبتلًا ثقيلًا صامتًا حتى بدأ يُغطّي آثار أقدام الدّاخلين إلى القاعة والخارجين منها، والآن ترتفع الأكوام حتى قمة حدائه. مؤكّد أن الثلوج أعمق في (غابة الذئاب)... وعلى (طريق الملوك)، حيث تعصف الرّيح، لن يكون هناك مفرّ منها. في السّاحة تدور معركة بين صبية (بلدة الرّوايي) وأترابهم من آل ريزويل الذين يقذفونهم بكرات الثلج، وبالأعلى رأى ثيون مرافقين يصنعون رجالًا ثلجيين فوق الأسوار ويُسلحونهم بالحرايب والتروس ويضعون حُودًا حديديةً قصيرةً على رؤوسهم ويرصّونهم بطول السور الدّخلي في صفّ من الحرس المثلجين. قال له أحد الحُرّاس خارج القاعة الكُبرى مازحًا: «اللورد شتاء انضمّ إلينا بجنوده»... قبل أن يرى وجه ثيون ويُدرِك مَنْ يُحدّث، ثم يُشبح بوجهه ويصق.

وراء الخيام كانت الجياد الحربيّة الكبيرة، التي أحضرها الفرسان من (الميناء الأبيض) و(التّوأمتين)، ترتجف في صفوفها. حين نهب رامزي (ويتترفل) أحرق الاسطبلات، فبنى أبوه على عجل اسطبلاتٍ جديدةً أكبر من القديمة مرّتين لتسع خيول فرسانه واللوردات حملة رايته، أمّا بقية الخيول فمربوطة في الألفية، يتحرّك بينها ساسة يرتدون القلنسوات ويُغطونها بالدثر لتدفئتها.

توغَّل ثيون أكثر في البقاع الخربة من القلعة، وبينما شقَّ طريقه عبر الحجارة المحطَّمة التي كانت بُرج المايستر لوين نظرت إليه الغدبان من الفجوة في الحائط بالأعلى وراحت تتبادل التمتمة، وبين الفينة والفينة يُطلق أحدها صرخةً صاخبةً. وقفَ في مدخل الغرفة التي كانت غرفة نومه وقد غاصَ حتى الكاحل في الثلج الذي نفخته الريح عبر النافذة المكسورة، وزارَ أنقاض ورشة ميكن وسِبت الليدي كاتلين، وأسفل (البُرج المحروق) مرَّ بريكارد ريزويل الذي يُمرِّغ أنفه في عنق واحدةٍ أخرى من غسَّلات إيل، الممتلئة ذات الوجنتين التفاحتين والأنف الأفتس. كانت الفتاة حافية القدمين في الثلج وملتحفةً بمعطفٍ فرو، وخطرَ له أنها قد تكون عاريةً تحته. لمَّا رآته قالت شيئاً ما لريزويل أضحكته بشدةً.

ابتعدَ ثيون عنهما بخطى ثقيلة. وراء الاسطبلات سُلم نادراً ما يُستعمل، وإلى هناك أخذته قدماه. الدَّرجات عالية خطرة، فصعدَ بحذرٍ ليجد نفسه في سُرفة السُّور الدَّاخلي بعيداً بمسافةٍ لا بأس بها عن المُرافقين ورجالهم الثلجيين. لم يسمح له أحدٌ بحرِّيَّة التَّجول، لكن أحداً لم يُحرِّجها عليه كذلك، ويستطيع أن يذهب أينما شاء داخل القلعة.

سور (وينترفل) الدَّاخلي أقدم وأعلى الاثنين، ترتفع سُرفاته الرَّماديَّة العتيقة مئة قدم، وفي كلِّ زاوية بُرج، والسُّور الخارجي الذي سُيِّد بعد قرونٍ أقصر بعشرين قدماً، لكنه أمتن وأفضل ترميمًا، وتبرُّز منه أبراج ثمانية الأضلاع بدلاً من المربَّعة. بين السُّورين الخندق العميق العريض... والمتجمَّد. بدأت أكوام الثلج ترحف على سطحه الجليدي، كما بدأت تتراكم في الشُّرفات أيضًا وتملأ الثُّلمات بين الشُّرفات وتضع قُبعةً شاحبةً ناعمةً على رأس كلِّ بُرج.

وراء الأسوار، وعلى مدى بصره، كان العالم يستحيل إلى الأبيض. الغابة والحقول والطُّريق، الثلوج تُغطِّيها جميعًا بغلافٍ شاحبٍ ناعم، وتدفن بقايا (البلدة الشُّتويَّة) مخفيةً الجُدُران المسوَّدة التي خَلَفها رجال رامزي بعدما أشعلوا النَّار في البيوت. فكَّر ثيون: الجراح التي أحدثها سنو يطمرها سميته الثلج... لكن هذا خطأ. رامزي يحمل اسم بولتون الآن وليس سنو، ليس سنو أبداً.

على مسافةٍ أبعد كان (طريق الملوك) المحفَّر قد اختفى، ضاعَ بين الحقول
والثَّلال المائجة، كلُّها حَيَّزٌ واحد شاسع من الأبيض. وما زالَ الثلج يتساقط
بصمِّتٍ من السَّماء السَّاكنة. ستانيس باراثيون في مكانٍ ما بالخارج يتجمَّد.
ثرى هل يُحاول اللورد ستانيس اقتحام (وينترفل)؟ إذا فعلَ فقد حكمَ على
قضيتِّه بالفشل. القلعة قويَّةٌ للغاية، وحتى مع تجمُّد الخندق تظلُّ دفاعات
(وينترفل) منيعَّة. ثيون استولى على القلعة خلسةً، أرسلَ أفضلَ رجاله
يتسلَّقون الأسوار ويعبُرُون الخندق سباحةً تحت جناح الظَّلام، ولم يدرك
المُدافعون أنهم تحت الهجوم إلَّا بعد فوات الأوان. تلك الخديعة ليست
متاحةً لستانيس بتاتاً.

قد يُفضِّل أن يقطع القلعة عن العالم الخارجي ويُجوِّع المُدافعين عنها
حتى يستسلموا. مخازن (وينترفل) وأفييتها خالية. صحيحٌ أن قافلةً طويلةً من
المؤن جاءت مع بولتون وأصدقائه أبناء فراي عبر (العنق)، وجلبت الليدي
داستن طعامًا وعلفًا من (بلدة الرّوايي)، ووصلَ اللورد ماندلري بقدرٍ وافر
من المؤن من (الميناء الأبيض)... إلَّا أن الجيش كبير، ومع كثرة الأفواه التي
يجب إطعامها لن يدوم مخزونهم طويلًا. مؤكَّد أن اللورد ستانيس ورجاله
جياع أيضًا، ويُعانون البرد وأوجاع الأقدام، وليسوا في حالةٍ تسمح بالقتال...
لكن العاصفة ستجعلهم متلهِّفين إلى دخول القلعة.

يسقط الثلج على أكمة الآلهة أيضًا، ويذوب حين يمسُّ الأرض. تحت
الأشجار المتدثِّرة بالأبيض تحوَّلت الأرض إلى وحل، وعلقت خيوط من
الضَّبَاب في الهواء كشرائطٍ شبحيَّة. لماذا جئتُ هنا؟ ليست هذه آلهتي، ليس
هذا مكاني. أمامه ترتفع شجرة القلوب كعملاقٍ شحاب، لها وجه منقوش
وأوراق كأياذٍ دامية.

تُغطِّي طبقة رقيقة من الجليد البركة المجاورة لشجرة الويروود، وقد
خرَّ ثيون على رُكبتيه إلى جانبها، وغمغمَ عبر أسنانه المكسورة: «أرجوكِ.
لم تكن نيتي قط...». احتبست الكلمات في حلقة، وأخيرًا استطاعَ أن يقول:
«أنقذيني. امنحيني...». ماذا؟ القوَّة؟ الشجاعة؟ الرِّحمة؟ سقط الثلج حوله
باهتًا صامتًا متجاهلًا إياه، والصَّوت الوحيد في المكان نحيب خفيض. حين،
إنها هي، تبكي في فراش العروس. من غيرها؟ الآلهة لا تبكي. أم أنها تبكي؟

كان الصَّوت أشدَّ إيلاًماً من أن يحتمله. أمسك ثيون فرعاً وأثكأ عليه لينهض، ثم نفّض الثلج عن ساقيه وعادَ يعرج نحو الأضواء. في (وينترفل) أشباح، وأنا أحدها.

عندما رجع ثيون جراييجوي إلى السَّاحة وجدَ مزيداً من الرِّجال الثلجيين. لقيادة الحرس الثلجيين على الأسوار صنع المُرَاقون دسّته من اللوردات الثلجيين. واضح تماماً أن أحدها اللورد ماندري، فهو أسمن رجل ثلجي رآه ثيون على الإطلاق، واللورد ذو الدَّرَاع الواحدة لا يُمكن أن يكون إلا هاروود ستاوت، والليدي الثلجية هي باربري داستن، وهذا الأقرب إلى الباب بلحيتها المصنوعة من كُتل الجليد مؤكّد أنه باقر العاهرة أومبر.

بالدَّاخل كان الطُّهاة يغرفون يخنةً من اللحم البقري والشَّعير فيها الكثير من الجزر والبصل، ومقدّمة في أرغفة مفرّغة من خُبز أمس. ألقى الطُّهاة أيضاً بقايا اللحم على الأرض لتلتهمها فتيات رامزي والكلاب الأخرى.

تعرفه الفتيات من رائحته، وقد سُررن لرؤيته. وثبتت چاين الحمراء لتلحق يده، ونزلت هليسن تحت المائدة وتكوّرت على نفسها عند قدمه وبين فكّيها عظمة. إنهن كلبات طبيّات، ويسهل نسيان حقيقة أن كلاً منهن تحمل اسم فتاة طاردها رامزي وقتلها.

على الرغم من إرهاقه كانت شهية ثيون تسمح بأكل القليل من الخينة وشرب القليل من المِزر. عندئذ كانت الضجّة قد سادت القاعة، بعد عودة اثنين من كشافه رروس بولتون إلى القلعة عبر (بوابة الصيادين) لإبلاغه بأن تقدّم اللورد ستانيس قد تباطأ إلى حدّ الزحف. يركب فرسانه جياداً حربيةً كبيرة تُعرج في الثلج، أمّا خيول عشائر الجبال الصّغيرة واثقة الخطى فتبلي بلاءً أحسن، لكن رجال العشائر لا يريدون أن يسبقوا البقية وإلا تفكك الجيش بأكمله. أمر اللورد رامزي إيبيل بأن يُعني لهم أغنية عسكريّة على شرف اللورد ستانيس المتخبّط في الثلوج، فشرع الشّاعر يعزف على عوده، فيما لا طفت إحدى غسالاته ألن الفظ لتأخذ سيفه، وراحت تُحاكي ستانيس يُقاتل نُدْف الثلج.

كان ثيون يُحدّق إلى ثُمالة المِزر في دورقه الثالث عندما دخلت الليدي باربري داستن القاعة وأرسلت اثنين من حرسها الشّخصيين يجلبونه إليها،

ولمّا وقفَ أمامَ المنصّة تطلّعت إليه من أعلى إلى أسفل، وتنشّقت قائلةً: «هذه هي الملابس نفسها التي كنت ترتديها في الزّفاف».

- «نعم يا سيّدي. إنها الملابس التي أعطيتُ إياها». أحد الدُّروس التي تعلّمها في (معقل الخوف) أن يأخذ ما يُعطى إياه ولا يَطْلُب المزيد أبداً.

ترتدي الليدي داستن الأسود كالمعتاد، ولو أن كُمّيها مبطنان بالفرو، ولُفستانها ياقة عالية جامدة تصنع لرأسها إطاراً. «أنت تعرف هذه القلعة».

- «فيما سبق».

- «في مكان ما تحتنا السّراديب التي يجلس فيها ملوك ستارك القُدّامي في الظلام. لم يتمكّن رجالي من العثور على طريق النزول إليها. لقد بحثوا في جميع الحجرات السُّفليّة والأقيية، وحتى في الزّنازين، ولكن...».

- «الزّنازين لا تقود إلى السّراديب يا سيّدي».

- «هل يُمكنك أن تُريني طريق النزول؟».

- «ليس هناك شيء بالأسفل إلّا...».

- «... موتى آل ستارك؟ أجل، وجميع المفضّلين عندي من آل ستارك

موتاهم. هل تعرف الطّريق أم لا؟».

- «أعرفه». لا يحبُّ ثيون السّراديب ولم يُحبّها قطُّ، لكنها ليست غريبةً

عليه.

- «أرني. أيها الرّقيب، قنديل».

- «ستحتاج سيّدي إلى معطفٍ ثقيل. علينا أن نخرُج».

كان الثلج يسقط بكثافةٍ شديدة حين غادروا القاعة، وقد التفتّ الليدي

داستن بفرو السّمور. بالخارج يكاد التّمييز بين الحُرّاس القابعين بمعاطفهم

المقلّنة والرجال الثّاجيين يكون مستحيلاً، الدّلّيل الوحيد على أنهم ما زالوا

أحياءً هو أنفاسهم التي تُعشّي الهواء. فوق الأسوار تشتعل نيران المشاعل

في محاولةٍ عقيمة لطرده الظلام. وجدّ أفراد مجموعتهم الصّغيرة أنفسهم

يتحرّكون بعناءٍ في مساحةٍ ممتدّة من الأبيض الأملس النّظيف الذي يرتفع

فوق الكاحل، ورأوا الخيام في السّاحة نصف مدفونة ومرتخية تحت وزن

الثلج المتكدّس.

يقع مدخل السّراديب في أقدم قطاعات (ويتترفل)، قُرب قدم (القلعة

الأولى) المهجورة منذ قرون. كان رامزي قد أحرق الحصن العتيق حين نهب (وينترف)، وما لم يُحرقه انهارَ معظمه، فلم يَبْقَ إِلَّا هيكل أحد جوانبه مكشوف لعوامل التَّعْرية ويمتلئ بالثلج، وقد تناثر الرُّكام في كلِّ مكانٍ حوله، قطع ضخمة من الحجارة المكسورة وعوارض محروقة وكِراجِلٍ محطّمة. كان الثلج المتساقط قد دفنَها كلّها تقريبًا، لكن جزءًا من أحد الكِراجِلِ لم يزل بارزًا، يُزْمَجِرُ وجهه الأعمى البشع للسماء.

هنا وجدوا بران بعد سقطته. كان ثيون يصطاد يومها في صُحبة اللورد إدارد والملك روبرت، بلا أدنى فكرة عن الخبر الأليم الذي ينتظرهم في القلعة. تذكّر وجه روب حين أخبروه. لم يتوقّع أحد أن يعيش الصَّبي المكسور. لم تستطع الآلهة أن تقتل بران مثلما لم أستطع. وجدّه خاطرًا غريبًا، وخاطرًا أغرب حين تذكّر أن بران قد يكون حيًّا ما زال. قال ثيون مشيرًا إلى حيث ترتفع كومة ثلجٍ عند جدار الحصن: «هناك، تحت. انتبها للأحجار المكسورة».

استغرق رجلا الليدي داستن ما يقرب من ساعة في جرف الثلج ونقل الحجارة حتى كشفوا المدخل، ولمّا فعلا وجدا الباب مغلقًا متجمدًا، واضطرَّ الرقيب إلى الذهاب والعثور على فأس ليفتحه. صرخت المفصلات مفضحة عن السلالم الحجرية التي تلتف نازلة إلى الظلمة، وقال ثيون منبهاً: «الطريق إلى أسفل طويل يا سيديتي». بالعزم نفسه قالت الليدي داستن: «بيرون، الضوء».

الطريق ضيقٌ منحدر، وقد أبلت الأقدام الصّاعدة والنّازلة على مرّ القرون الدّرجات من المنتصف. تحرّكوا في طابور؛ الرقيب بالقنديل ثم ثيون والليدي داستن ووراءهما رجلها الآخر. لطالما عدّ السّرايب باردةً، وهكذا تبدو في الصّيف بالفعل، لكن الآن مع نزولهم ازدادَ الهواء دفتًا. ليس دافئًا، فهنا لا يعرف الهواء الدّفء أبدًا، لكنه أدفأ من أعلى. يبدو أن البرد تحت الأرض يثبت ولا يتبدّل.

قالت الليدي داستن وهم ينزلون بحذرٍ خطوةً خطوةً: «العروس تبكي، سيّدتنا الصّغيرة آريا».

حذارِ الآن، حذارِ، حذارِ. جعل ضوء القنديل المتبدّل الدّرجات تبدو

كأنها تتحرَّك تحت قدميه، فوضع يده على الحائط وقال: «كما... كما تقولين يا سيِّدتي».

- «رووس ليس مسرورًا. أخبر نغلك بهذا».
أرادَ أن يقول: ليس نغلي، لكن صوتًا آخر في داخله قال: بل هو كذلك، هو كذلك. ريك ينتمي إلى رامزي، ورامزي ينتمي إلى ريك. يجب ألا تنسى اسمك.

- «لا جدوى من إلباسها الرَّمادي والأبيض إذا تُرِكَت الفتاة تبكي. قد لا يُبالي أبناء فراي، لكن الشماليين... إنهم يخشون (معقل الخوف)، لكنهم يُحبُّون آل ستارك».
علَّق ثيون: «أنتِ لا تُحبيينهم».

قالت سيِّدة (بلدة الرُّوابي): «أنا لا أحبُّهم، لكن الآخرين نعم. باقِر العاهرة العجوز هنا فقط لأنَّ چون الكبير أسير عند آل فراي. وهل تخال أن رجال هورنود نسوا زيجة النَّغل الأخيرة وكيف جوَّع السيِّدة زوجته حتى قضمت أصابعها؟ ما الذي تحسبه يدور بخلدكم حين يسمعون بكاء العروس الجديدة، فتاة الصَّنديد ند الصَّغيرة الغالية؟».

لا، الفتاة ليست من دم اللورد إدارد. اسمها چين، مجرد ابنة وكيل. إنه واثق بأن الليدي داستن تُساورها الشكوك، ورغم ذلك...

- «بُكاء الليدي آريا يضرُّنا أكثر من سيوف وجراب اللورد ستانيس كلِّها. إذا أرادَ النَّغل أن يبقى سيِّد (وينترفل) فخيرٌ له أن يُعلم زوجته الضَّحك».
قاطعها ثيون: «وصلنا يا سيِّدتي».

علَّقت: «الدَّرجات تنزل إلى أسفل أكثر».

قال ثيون: «ثُمَّ مستويات أدنى وأقدم. سمعتُ أن المستوى السُّفلي منهار جزئيًّا. لم أنزل إلى هناك من قبل»، ودفع الباب وقادهم إلى نفقٍ مقنطرٍ طويل، حيث تتوغَّل الأعمدة الجرانيت الشامخة أزواجًا في الظلام.

رفع رقيب الليدي داستن القنديل لتتحرَّك الظلال وتبدل. ضوء صغير في ظلِّمة عظيمة. لم يشعُر ثيون بالارتياح في السَّراديب قَط. رأى الملوك الحجر يرمقونه بأعينهم الحجر وقد التفت أيديهم الحجر حول مقابض سيوفهم الطويلة الصَّدئة.

لا أحد من هؤلاء كان يكنُّ حُبًّا للحديديين، وهو ما أفعم ثيون بإحساسٍ مألوف بالخوف.

قالت الليدي داستن: «كثيرون للغاية. هل تعرف أسماءهم؟». أجاب ثيون: «كنتُ... لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل»، وأشار مضيئاً: «الذين على هذا الجانب كانوا ملوكاً في الشمال. تورين آخرهم».

- «الملك الذي ركع».

- «أجل يا سيّدي. بعده أصبحوا لوردات فقط».

- «حتى الذئب الصّغير. أين مقبرة ندر ستارك؟».

- «في النهاية. من هنا يا سيّدي».

تردّدت أصداً خطواتهم على القناطر إذ شقّوا طريقهم بين صفيّ الأعمدة. بدا كأن أعين الموتى الحجرية تتبعهم، وأعين ذئابهم الرهيبة أيضاً. حرّكت الوجوه ذكرياتٍ خابية، وبلا دعوة استعاد بعض الأسماء، يهمسها صوت المايستر لوين الشّحبي. الملك إدريك لحية الثلج الذي حكم الشمال مئة عام، وبراندون السفان الذي أبحر إلى ما وراء مغرب الشّمس، والذئب الجائع ثيون ستارك. سمّي. واللورد بيرون ستارك الذي تحالف مع (كاسترلي روك) في الحرب ضد داجون جرايچوي سيّد (بايك)، في العصر الذي حكم فيه (الممالك السّبع) فعلاً وإن لم يكن اسماً النّغل المشعوذ الذي لقبوه بغُذاف الدّم.

علّقت الليدي داستن: «سيف هذا الملك مفقود».

المرأة محقّقة. لا يذكُر ثيون أيُّ ملكٍ هذا، لكن السّيف الطّويل الذي يُفترض أن يمسّكه غير موجود، لم يتبقّ منه إلا خطوط الصّدأ حيث كان. أزعجه المنظر. لطالما سمع أن حديد السّيوف يُبقي أرواح الموتى حيصةً في قبورها، فإذا كان أحد السّيوف مفقوداً...

في (ويترفل) أشباح، وأنا أحدها.

واصلوا المشي، وبدا له أن ملامح الليدي داستن تقسو مع كلّ خطوة. مثلي، ليست تحبُّ هذا المكان. سمع نفسه يسأل: «سيّدي، لماذا تكرهين آل ستارك؟».

أمعنت النّظر إليه مجيئةً: «للسّبب ذاته الذي تحبّهم من أجله».

تعرّثيون، وقال: «أحبهم؟ إنني لم... لقد أخذتُ هذه القلعة منهم يا سيّدي، و... وأمرتُ بقتل بران وريكون ووضعُ رأسيهما على خازوقين. لقد...».

- «... ركبت جنوبًا مع روب ستارك، وقالتُ إلى جانبه في (الغابة الهامسة) وعند (ريثرزن)، ورجعتُ إلى (جزر الحديد) كمندوب عنه لتتفاوض مع أبيك. (بلدة الرّوابي) أيضًا أرسلتُ رجالًا مع الذّئب الصّغير. أعطيتُه أقلّ عددٍ أجرؤ عليه، لكنني علمتُ أن عليّ أن أعطيه بعض الرّجال وإلاّ أترتُ حفيظة (وينترفل)، وهكذا كانت لي أعيني وأذاني في جيشه، واطّلعْتُ على الأخبار أوّلاً بأول. إنني أعرفُ من تكون، وأعرفُ ماذا تكون. والآن أجب عن سؤالي، لماذا تحبُّ آل ستارك؟».

وضعُ ثيون يدًا مقفزةً على عمودٍ قائلاً: «إنني... أردتُ أن أكون واحدًا منهم...».

- «ولم تستطع قطّ. إن بيننا أشياء مشتركة أكثر مما تظنُّ يا سيّدي. لكن تعالّ».

بعد مسافةٍ قصيرة وجدوا ثلاث مقابر مرتصّة معًا، وهناك توقّفوا، وقالت الليدي داستن رامة التّمثال الأوسط: «اللورد ريكارد». يرتفع التّمثال فوقهم طويل الوجه ملتحيًا وقورًا، له نفس العينين الحجريّتين كالأخرين، غير أن في هاتين نظرة حزن. «سيفه أيضًا مفقود».

- «أحدهم كان هنا يسرق السّيوف. سيف براندون اختفى أيضًا».

قالت: «كان ليكره هذا»، وخلعتُ قفّازها ومسّت رُكبة براندون ستارك، بشرة شاحبة على حجر داكن. «أحبّ براندون سيفه، أحبّ أن يشحذه. اعتاد أن يقول: أريده حادًا بما فيه الكفاية لحلاقة شعر عانة امرأة. ولكم أحبّ استخدامه. ذات مرّة أخبرني: السّيف الدّامي شيء جميل».

قال ثيون: «كنتُ تعرفينه».

قالت وضوء القنديل المنعكس في عينيها يُصوّرهما كأنهما مشتعلتان نازًا: «براندون نشأ في (بلدة الرّوابي) عند اللورد داستن القديم، والد الآخر الذي تزوّجته لاحقًا، لكنه أمضى أكثر وقته في الرّكوب في (العُدّان).

أحبَّ الرُّكوب، واحتدَّت أخته الصَّغيرة مثاله في هذا. كانا قنطورين⁽¹⁾ هذان الاثنان. والسيدُّ والذي كان مسرورًا دومًا باستضافة وريث (ويترفل). كانت لأبي طموحات عظيمة لعائلة ريزويل، وكان ليقدِّم عُذرتي لأبي ابن لستارك يتصادف أن يمرَّ بنا، لكنه لم يجد داعيًا. براندون لم يخجل قطُّ من أخذ ما يُريده. إنني عجوز يابسة الآن، أرملة منذ سنين طويلة، لكنني ما زلتُ أذكرُ منظر دماء بكَارتي على قضيبه يوم أخذني، وأظنُّ أن براندون أحبَّ المنظر أيضًا. السيف الدَّامي شيء جميل، نعم. تألمتُ، لكنه كان ألمًا حلَّوًا. لكن يوم أن عرفت أن براندون سيتزوَّج كاتلين تلي... لم تكن في ذلك الألم حلاوة. إنه لم يُردها قطُّ، أو كُذِّ لك، وقد أخبرني بهذا في ليلتنا الأخيرة معًا... إلَّا أن ريكارد ستارك كانت له طموحات عظيمة أيضًا، طموحات جنوبيَّة ما كان ليخدمها زواج وريثه بإحدى بنات أتباعه. بعدها راودَ أبي شيء من الأمل في تزويجي بإدارد شقيق براندون، لكن كاتلين تلي نالتَه أيضًا، وتُركتُ للورد داستن الصَّغير، إلى أن أخذَه ند ستارك مني».

- «ثورة روبرت...».

- «لم يكن نصف عام قد مرَّ على زواجي بالورد داستن عندما ثار روبرت واستدعى ند ستارك راياته. توسَّلتُ إلى زوجي ألا يذهب. كان له أقارب بإمكانه إرسالهم بدلًا منه؛ عمُّ شهير ببراغته في القتال بالفأس، وعمُّ كبير قاتل في حرب ملوك التسعة البنسات. لكنه كان رجلًا مفعمًا بالكبرياء، ولم يُرضه إلَّا أن يقود جنود (بلدة الرُّواي) بنفسه. أهديتُ إليه حصانًا يوم رحل، فحلًّا أحمر له لبدة ناربيَّة، فخر قطعان السيدِّ والدي، وأقسم سيدي أنه سيركبه إلى الديار بعد انتهاء الحرب. أعادَ ند ستارك إليَّ الحصان في طريق عودته إلى (ويترفل)، وأخبرني بأن السيدِّ زوجي مات ميتةً مشرفَّةً، وبأن جُثمانه مدفون في جبال (دورن) الحمراء. جلبَ رُفات أخته معهُ أيضًا، وها هي ذي... لكنني أعدك بأن رُفات اللورد إدارد لن يستقرَّ إلى جانبها أبدًا. إنني أنوي إطعامه للكلاب».

تساءل ثيون الذي لم يفهم: «رُ... رُفاتُه؟».

(1) القنطور مخلوق أسطوري يصفه السُّفلي حصان والعُلوي إنسان. (المُترجم).

التوت شفتها في ابتسامه قبيحة، ابتسامه ذكرته برامزي، وقالت: «كاتلين تلي أرسلت رفات اللورد إدارد شمالاً قبل الرفاف الأحمر، لكن عمك الحديدي استولى على (خندق كايلىن) وسد الطريق. إنني أراقب منذ ذلك الحين. إذا خرج هذا الرفات من المستنقعات في أي وقت فإنه لن يتجاوز (بلدة الروابي)»، وألقت نظرة أخيرة مطولة على تمثال إدارد ستارك، واستطردت: «انتهينا هنا».

وجدوا العاصفة لا تزال نائرة حين خرجوا من السرايب. ظلت الليدي داستن صامتة طوال صعودهم، لكن عندما وقفوا عند أطلال (القلعة الأولى) ثانية قالت مرتجفة: «خير لك ألا ترد شيئاً مما قلته بالأسفل، أهذا مفهوم؟». مفهوم. «أحفظ لسانى وإلا فقدته».

قالت: «رووس أحسن تدريبك»، وتركته هناك.



غنيمة الملك

غادر جيش الملك (ربوة الغابة) في ضوء الفجر الذهبي منبسّطاً من وراء المتاريس الخشبية كأفعى فولاذية طويلة تخرُج من جحرها. خرج الفرسان الجنوبيون على خيولهم مدرّعين بصفائح وحلقات معدنية بعجتها وشوّهتها المعارك التي خاضوها، وإن كانت لا تزال لامعة كفاية للتألق متى سقطت عليها أشعة الشمس المشرقة. وعلى الرغم من أن راياتهم وسُتراتهم باهتة متسخة مرتوقة فقد صنعت مهرجاً من الألوان وسط الغابة الشتوية؛ سماوي وبرتقالي، وأحمر وأخضر، وأرجواني وأزرق وذهبي، كلها بهي بين الجذوع البنية العارية وأشجار الصنوبر والحارس الخضراء الرمادية وأكوام الثلج المتسخ.

لكل فارس مرافقوه وخدمه ورجاله المدججون بالسلاح، وبعدهم يأتي الحدّادون والطهاة والسائسون، وأرتال من حاملي الفؤوس والجراب والرّماة، منهم مُحاربون قدامى خاضوا مئة معركةٍ ومنهم صبية خُضر في الطريق إلى معرّكتهم الأولى. أمامهم يمضي رجال عشائر التلال، زُعماء وأبطال يمتطون أحصنة صغيرة مشعّثة، ويخبُّ مقاتلوهم المُشعرون إلى جوارهم مرتدين الفرو والجلد المقوى وحلقات المعدن القديمة، وقد طلى بعضهم وجهه بالبنّي والأخضر وربطَ حول نفسه حزاماً من ورق الشجر ليستطيع الاختفاء في الأدغال.

تتبع قافلة الأمتعة الطّابور الأساسي؛ بغال وخيول وثيران، وميل كامل من العربات المدفوعة والمجرورة المحمّلة بالأطعمة والعلف والخيام وغيرها من المؤن والعتاد، وأخيراً حرس المؤخّرة، المزيد من الفرسان المدرّعين

بالمعدن، تتبعهم مجموعة من الكشافة المتخفين لضمان ألا يُباغتهم عدو ما بالهجوم من الخلف.

تركب آشا جرايچوي في قافلة الأمتعة في عربة مغطاة لها عجلتان ضخمتان مؤطرتان بالحديد، معصماها وكاحلاها مقيدان بالأصفاذ، وتراقبها ليل نهار دُبة غطيها ألّعن من غطيّ أيّ رجل. لم يُخاطر جلاله الملك ستانيس بأن تفرّ غنيمته من أسرها، إذ ينوي أن يأخذها إلى (وينترفل) ويعرضها مكبلة بالحديد هناك ليراها لوردات الشمال جميعًا، ابنة الكراكن المكتوفة المكسورة، برهان قوته.

تُصاحب الأبواق النحاسية الجيش في طريقه، وتلتع رؤوس الحراب في ضوء الشمس المشرقة، وبطول جانبي الطريق يبرق صقيع الصباح على أعواد الكلا. بين (ربوة الغابة) و(وينترفل) مئة فرسخ من الغابة، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران الغداف، «خمسة عشر يومًا» كما قال بعض الفرسان لبعض.

سمعت آشا اللورد فل يقول مزهواً: «كان روبرت ليفعلها في عشرة». قتل روبرت جدّ فل عند (قلعة الصيف)، وبشكل ما رفع هذا قاتله إلى مصاف الآلهة في عيني الحفيد. «لكان روبرت داخل (وينترفل) منذ أسبوعين بالفعل، يغيظ بولتون من فوق الأسوار».

ردّ چاستن ماسي: «الأفضل ألا تذكر هذا لستانيس وإلا جعلنا نرحل ليلاً علاوة على النهار».

الملك يعيش في ظلّ أخيه.

متى حاولت أن تضع ثقلها على كاحلها أحسّت فيه بطعنة ألم، ولا تشكّ آشا في أن هناك شيئاً ما مكسوراً في داخله. كان التورم قد خفّ في (ربوة الغابة)، لكن الألم باقٍ. لو أنه التواء في مفصل لكان قد سُفيّ بالفعل. كلما تحرّكت صلصلت سلاسلها الحديد وراحت الأصفاذ تسحج معصمها وكبرياءها، غير أن هذا هو ثمن الاستسلام.

ذات مرّة أخبرها أبوها: «لم يحدث أن مات أحد قطّ من الرُكوع. من يركع يستطيع أن ينهض ثانية بسيف في يده، ومن يأبى الرُكوع يظل ميتاً متخشب الساقين». أثبت بالون جرايچوي حقيقة قوله هذا حين فشل تمرّده الأول

وركع الكراكين للوعل والذئب الرهيب، فقط لينهض ثانيةً بعد موت روبرت باراثيون وإدارد ستارك.

وهكذا فعلت ابنة الكراكين المثل في (ربوة الغابة) عندما ألقوها أمام الملك مقيّدةً تعرّج - وإن لم تُغتصب لحسن الحظّ - وكاحلها مشتعل ألماً. قالت: «أستسلمُ يا جلالة الملك. افعل بي ما شئت. لا أطلبُ إلا أن تصفح عني رجالي». كارل وتريس والآخرون الذين نجوا من (غابة الذئاب) هم كل ما تبقى لها وتهتمُّ بأمره، وهؤلاء تسعة فقط. نحن التسعة المضنون، كما سمّاهم كروم الذي عانى أبلغ الإصابات.

أبقى ستانيس على حياتهم، لكنها لم تستشعر رحمةً حقيقيةً في الرجل. إنه قويُّ الإرادة بما لا يدع مجالاً للشك، ولا يفتقر إلى الشجاعة، ويقول الناس إنه عادل... وإذا كان عدله قاسياً متجرّداً من المشاعر فهذا ما عوّدت الحياة في (جزر الحديد) أشا جرايجوي إياه. وعلى الرغم من ذلك لا تجد في نفسها القدرة على الإعجاب بهذا الملك. عيناه الزرقاوان الغائضتان هاتان تبدوان مفعمتين بالارتياح دوماً، تعتمل تحت سطحهما ثورة باردة، كما أن حياتها لا تعني له شيئاً يُذكر، فهي رهينته لا أكثر، غنيمة يُري بها الشمال أنه استطاع قمع الحديديين.

حماقة. ليس مرجحاً أن تُذهل الإطاحة بامرأة الشماليين حسب ما تعرفه عنهم، وقيمتها كرهينة أقل من صفر. عمّها يحكم (جزر الحديد) الآن، ولن يعبأ عين الغراب بحياتها أو موتها. قديبالي نوعاً الزوج الخرب المأفون الذي ابتلاها به يورون، إلا أن إريك آيرونميكرا لا يملك ما لا يدفع به فديتها. لكن لا طائل من شرح هذه الأشياء لستانيس باراثيون، إذ يبدو أن أنوثتها في حد ذاتها تُسيء إليه. إنها تعلم أن رجال الأراضي الخضراء يحبون نسوتهم ناعماتٍ خانعاتٍ يرتدين الحرير وليس الحلقات المعدنية والجلد المقوى وفي كل يد فأس، على أن معرفتها القصيرة بالملك في (ربوة الغابة) أقتعتها بأنه لم يكن ليحبّها أكثر ولو ارتدت فستاناً. حتى مع الليدي سيبيل زوجة جالبارت جلوفر الورعة تعامل بانضباطٍ وكياسة، وإن بدا عليه عدم الرّاحة بوضوح. يبدو أن هذا الملك الجنوبي من الرجال الذين يعدون النساء جنساً آخر غريباً مبهمًا

كالجرامكنات والعمالقة وأطفال الغابة، حتى إن الدببة نفسها أيضًا تجعله يكرُّ على أسنانه حتى تصرُّ.

ثمة امرأة واحدة يُنصت إليها ستانيس، ولقد تركها على (الجدار). كان السير چاستن ماسي، الفارس الأشقر الذي يقود قافلة الأمتعة، قد أخبرها: «ولو أنني أفضل لو كانت معنا. آخر مرة دخلنا المعركة دون الليدي مليساندرا كانت يوم (النهر الأسود)، حين انقضَّ علينا شبح اللورد رنلي وأغرق نصف جيشنا في الخليج».

سألته آشا: «آخر مرة؟ هل كانت تلك المشعوذة في (ربوة الغابة)؟ لم أرها».

أجابها السير چاستن مبتسمًا: «كانت تلك معركةً بالكاد. رجالك الحديديون قاتلوا بشجاعةٍ يا سيديتي، لكن أعدادنا فاقتكم مرارًا، وأخذناكم على حين غرة. أمّا (وينترفل) فستعرف أننا قادمون، ومع رروس بولتون أعداد مماثلة لنا».

أو أكثر.

حتى السُّجناء لهم آذان، وقد سمعت آشا الكلام الذي دار في (ربوة الغابة) عندما ناقش الملك ستانيس وقادته هذا الزحف. من البداية عارضه السير چاستن ومجموعة كبيرة من الفرسان واللوردات الذين أتوا مع ستانيس من الجنوب، في حين أصرَّ الذئاب قائلين إنهم لن يسمحوا لروس بولتون بالاحتفاظ بـ(وينترفل)، وإن عليهم إنقاذ ابنة الند من براثن نغله، وهو ما ردَّده مورجان ليدل وبراندون نوري والدلو الكبير وول وأبناء فلينت والدببة أيضًا، وليلة احتدام النقاش في قاعة جالبارت جلوغر الطويلة قال آرتوس فلينت: «مئة فرسخٍ من (ربوة الغابة) إلى (وينترفل)، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران الغداف».

علّق فارس اسمه كورليس پني: «رحلة طويلة».

بإصرارٍ قال السير جودري، الفارس الكبير الذي يُلقَّبونه بقاتِل العمالقة: «ليست بذلك الطول. لقد قطعنا شوطًا طويلًا بالفعل، وسيُشير إله الضياء لنا طريقًا».

قال السير چاستن: «ولمَّا نصل إلى (وينترفل)؟ ثمة سوران بينهما خندق،

والسُّور الدَّاخِلي يرتفع مئة قدم. بولتون لن يَخْرُجَ لمواجهتنا في الميدان أَبَدًا، ونحن لا نملك ما يكفي من ذخيرةٍ وعتادٍ لحصار القلعة». قال هاروود فل: «لا تنسَ أن آرنولف كارستارك سيضُمُّ قوَّته إلى قوَّتنا، ومورس أومبر أيضًا. سنحظى بأعدادٍ من الشَّماليين كالتي مع اللورد بولتون، والغابة كثيفة شمال القلعة. سنبنى أبراج حصار ومدكات...». وتموتون بالآلاف.

اقتَرَحَ اللورد پيزبوري: «قد يكون الأفضل لنا أن نقضي الشَّتاء هنا». هدرَ الدَّلُو الكبير: «نقضي الشَّتاء هنا! كم خَزَنَ جالبارت جلوغر من الطَّعام والعلف في تقديرِك؟».

عندها انفَتَّ السير ريتشارد هورپ، الفارس ذو الوجه المجذور وعُثَّ رأس الموت على سُرَّتِه، إلى ستانيس قائلاً: «جلالة الملك، أخوك...». قاطعه الملك: «كلنا نعلم ما كان أخي ليفعله. كان روبرت ليُهرول إلى بؤابة (ويتترفل) بمفرده ويحطِّمها بمطرقته ويركب عبر الأنقاض ليقتل رووس بولتون بيُسراه ونغله بيمناه»، ونهَضَ ستانيس مضيضاً: «لستُ روبرت، لكننا سنزحف، وسنُحرِّر (ويتترفل)... أو نموت ونحن نُحاول».

أياً كانت الشُّكوك التي تُساور لورداته فرجال ستانيس العوام مؤمنون بمليكتهم. لقد دحَرَ ستانيس هَمَج مانس رايدر عند (الجدار)، ونظف (ربوة الغابة) من آشا ورجالها الحديديين، كما أنه أخو روبرت الذي انتصر في معركةٍ بحريَّة شهيرة قُرب (الجزيرة القصية)، والرَّجل الذي استطاع الحفاظ على (ستورمز إند) طيلة ثورة روبرت، وبالإضافة إلى كلِّ هذا يحمل سيف بطل سحرياً، (جالِب الضَّياء) الذي يُنير وجهه اللَّيل.

فِي اليوم الأول للزَّحف أكَّد السير چاستن لآشا قائلاً: «أعداؤنا ليسوا بالهيبه التي تبدو عليهم. رووس بولتون يحظى بالخوف وليس الحب، وأصدقائه أبناء فراي... الشَّمال لم ينسَ الزَّفاف الأحمر. كلُّ لورد في (ويتترفل) فقدَ قريباً هناك. ما على ستانيس إلا أن يُدمي بولتون وسيتخلى عنه الشَّماليون».

هذا ما تأملهُ، لكن على الملك أن يُدميه أولاً. لا يتخلى عن الجانب الرَّابح إلاَّ أحمق.

زار السير چاستن عربتها عدّة مرّاتٍ في ذلك اليوم الأول، ليجلب لها الطّعام والشّراب وأخبار الزّحف. إنه رجل سهل الابتسام لا يكفُّ عن المزاح، كبير الحجم مكتنز له وجتان متورّدتان وعينان زرقاوان وشعر نفّسته الرّيح، أشقر أبيض باهت كألياف الكتّان. الحقيقة أنه سجّان مراع دائم الحرص على راحة سجينته.

بعد زيارته الثالثة قالت لها الدّبّة: «إنه راغب فيك».

اسمها الحقيقي أليسان سليلة عائلة مورمونت، لكنها تحمل الاسم الآخر بسهولة ارتدائها حلقات المعدن. وريثة (جزيرة الدّبّة) قصيرة ممتلئة غليظة العضلات، فحذاها كبيرتان ونهداها كبيران ويدها كبيرتان متكسّتان. حتى في نومها ترتدي قميصًا من الحلقات المعدنيّة تحت الفرو، وتحت الجلد المقوّى، وتحت الجلد فروة خروفٍ قديمة مقلوبة طلبًا للدّفء، وقد جعلت كلّ هذه الطبقات عرضها يُناهز طولها. إنها ضارية أيضًا. أحيانًا يصعب على أشا جرايچوي أن تتذكّر أنها والدّبّة في سنّ واحدة تقريبًا.

ردّت أشا: «بل راغب في أرضي، في (جزر الحديد)». إنها تعرف هذه العلامات التي رأتها من قبل في خطّاب آخرين. بعيدًا في الجنوب ضاعت من ماسي أملاكه الموروثة، وعليه يجب أن يجد زوجةً تدرّ عليه منفعة أو يقنع بحقيقة أنه مجردّ فارس ضمن أهل بيت الملك. كان ستانيس قد أحبط آمال ماسي في الزّواج بالأميرة الهمجيّة التي سمعت عنها أشا الكثير، وهكذا يُسلّط نظره عليها الآن. لا شك أنه يحلم بأن يضعها على كرسيّ حجر اليم في (بايك) ويحكم من خلالها باعتباره سيّدتها وزوجها، وهو ما يتطلّب تخليصها من سيّدتها وزوجها الحالي بالتأكيد... بغضّ النظر عن العمّ الذي زوّجها به. غير وارد. عين الغراب يستطيع أن يأكل السير چاستن على الإفطار دون أن يتجنّسًا حتى.

لا يهّم، فلن تصير أراضي أبيها لها أبدًا أيّا كان زوجها. الحديديون ليسوا شعبًا متسامحًا، وأشا هُزمت مرّتين، مرّة في انتخاب الملك على يد عمّها يورون ومرّة في (ربوة الغابة) على يد ستانيس، أكثر مما يكفي لوسمها بالعجز عن الحكم. الزّواج بچاستن ماسي أو أيّ من رجال ستانيس باراثيون سيضُرّ أكثر مما ينفع، وسيقول الرّبابنة والملوك: اتّضح أن ابنة الكراكن مجردّ امرأة في النّهاية. انظروا كيف تفتح ساقها لابن الأراضي الخضراء الخرع.

لكن إذا كان السير چاستن راغبًا في التَّوَدُّدِ إليها بالطَّعام والنَّبِيدِ والكلام فلن تُثَبِّطَ هَمَّتَهُ، فَصُحْبَتُهُ أَفْضَلُ مِنَ الدُّبَّةِ الصَّمُوتِ، وباستثنائهما أشا وحيدة بين خمسة آلاف من الأعداء، فقد تُرِكَ تريس بوتلي وكارل البكر وكروم وروجون والباقون من مجموعتها المشخنة بالجراح في (ربوة الغابة) في زنازين جالبارت جلوثر.

قطع الجيش اثنين وعشرين ميلًا في اليوم الأول طبقًا للأدلة الذين زوّدتهم بهم الليدي سبيل، مقتضو أثر وصيادون مقسمون على الولاء لـ(ربوة الغابة) ويحملون أسماء عشائر على غرار وودز وفورستر وبرانش وبول. في اليوم الثاني قطع الجيش أربعة وعشرين ميلًا إذ تجاوزت الطليعة أراضي جلوثر ودخلت (غابة الذئاب) الكثيفة، وليلتها اجتمع المؤمنون حول نارٍ أجاجة أمام سُرادق الملك، وصلّوا: «أيا راهلور، أرسل إلينا ضياءك يهديننا في هذا الظلام». فُرسان وجنود جنوبيون كافة، وكانت أشا لتدعوهم برجال الملك لولا أن رجال أراضي العواصف وأراضي التّاج الآخرين يدعونهم برجال الملكة... وإن كانت الملكة التي يتبعونها هي تلك المرأة الحمراء في (القلعة السوداء) وليست الزّوجة التي تركها ستانيس باراثيون في (القلعة الشّرقية). ترثم رجال الملكة للهب: «أيا إله الضياء، تنضرع إليك أن تنظر إلينا بعينك النّارية وتحفظنا وتدفننا، فالليل مظلم ومفعم بالأهوال».

قأدهم الفارس الكبير المدعو بجودري فارنج. جودري قاتل العمالقة. اسم كبير لرجل ضئيل. لفارنج صدر عريض وعضلات مفتولة تحت درعه، وإن بدا لأشا أنه مغرور متغطرس، متجوّج للمجد يصمُّ أذنيه عن الحذر، يشتهي النّساء ويحترق العوام والذئاب... والنساء. في الجزء الأخير لا يختلف عن مليكه. عندما زار السير چاستن عربتها حاملًا نصف فخذ خنزير قالت له: «صّعني على حصان. إنني أفقد عقلي في هذه الأغلال. لن أحاول الهرب، لك كلمتي».

- «ليتني أستطيعُ يا سيّدتي. إنك أسيرة الملك لا أسيرتي».

- «ملكك يرفض أن يقبل كلمة امرأة».

دمدمت الدبّة: «لِمَ نقو بكلمة أيّ حديديّ بعد ما فعله أخوك في

(ويتترفل)؟».

رَدَّتْ أَشَا بِإِصْرَارٍ: «أَنَا لَسْتُ ثِيون»... لَكِنِ الْأَغْلَالَ بَقِيَتْ.
بينما ابتعد السير چاستن ووجدت نفسها تتذكر آخر مرة رأت أمها. كان هذا
في (البروج العشرة) في (هارلو)، وقد اشتعلت شمعة وحيدة في غرفة أمها
لكن الفراش الكبير المزخرف كان خالياً تحت مظلته المتربة. جلست الليدي
ألانيس عند النافذة تنظر إلى البحر، وبفم واجف سألت: «هل أحضرت
ولدي الصغير؟»، فأجابتها أشا: «لم يستطع ثيون أن يأتي»، وتطلعت إلى
حُطام المرأة التي ولدتها، إلى أم فقدت اثنين من أبنائها، والثالث...
أرسل إلى كل منكم قطعة من الأمير.

أيًا كان ما جرى حينما اندلعت المعركة عند (ويتترفل) فأشا جرايچوي
لا تظن أن أخواها نجا منها. ثيون المارق. حتى الذبّة تُريد رأسه على خازوق.
سألت أشا حارستها: «ألك إخوة؟».

أجابت أليسان مورمونت بفظاظتها المعهودة: «أخوات. كنا خمسًا، بنات
جميعًا. ليانا في (جزيرة الذببة)، ولايرا وچوري مع أمنا، وداسي قُتلت».
- «الرّفاف الأحمر».

قالت أليسان: «أجل»، وحدقت إلى أشا لحظةً، ثم أردفت: «عندي ابن في
الثانية، وابنتي في التاسعة».
- «بدأت مبكرًا».

- «مبكرًا للغاية، لكن هذا أفضل من الانتظار طويلًا».
طعنة موجهة إليّ، لكن تجاهلها. «أنت متزوجة إذن».
مبتسمة قالت أليسان: «لا. لقد أنجبت طفلي من دُب». أسنانها معوجة،
إلا أن في هذه الابتسامة شيئًا يبعث الشّرور في النفس. «نساء عائلة مورمونت
مبدلات جِلدة، تتحوّل إلى دُبّات ونجد أزواجًا في الغابة. الكلّ يعلم هذا».
ابتسمت أشا بدورها قائلةً: «نساء عائلة مورمونت مُقاتلات أيضًا».

خبّت ابتسامة المرأة الأخرى، وقالت: «نحن كما جعلتمونا. في (جزيرة
الذببة) يتعلّم كلُّ طفل أن يخشى صعود الكراكين من البحر».

النّهج القديم. أشاحت أشا بوجهها وسلاسلها تُصلصل بخفوت.
في اليوم الثالث أُطبقت عليهم الغابة، واستحالت الطرق المحفّرة إلى
دروب فرائس سرعان ما اتّضح أنها أضيّق من أن تُعبرها العربات الكبيرة. هنا

وهناك مرّوا بمعالِم مألوفة؛ تل حجري يُشبه رأس الذئب نوعاً حين يُرى من زاوية معينة، وشلال شبه متجمّد، وفترة حجريّة طبيعيّة ملتحية بالطّحالب الخضراء الرّماديّة. تعرفها آشا كلّها، فقد قطعَت هذا الطّريق من قبل وقت أن ذهبت إلى (ويتترفل) لإقناع أخيها ثيون بالعدول عن غزوته والعودة معها إلى أمان (ربوة الغابة). هذا أيضاً فشلتُ فيه.

في ذلك اليوم قطعوا أربعة عشر ميلاً وعدّوا أنفسهم محظوظين. حين حلَّ الغسق أوقفَ الحوذني العربية تحت شجرة، وخبَّ السير جاستن إلى آشا وحلَّ أصفاد كاحليها بنفسه، ثم قادها مع الدّبة عبر المعسكر إلى خيمة الملك. قد تكون أسيرة، لكنها من آل جرايچوي أولاد (بايك)، ويسرّ ستانيس باراثيون أن يُطعمها بقايا مائدته، حيث يتناول العشاء مع لورداته وقادته. يُناهِز سُرادق الملك القاعة الطويلة في (ربوة الغابة) حجماً، لكن باستثناء حجمه فلا يُمكن وصفه بالفخامة. الحوائط اليابسة المصنوعة من قماش القنب الأصفر السّميك باهتة جدّاً ويُلوثها الوحل والماء، وثمة بقاع يلوح فيها العفن، وعلى السّارية الوُسطى تُرْفَرُ الرّاية الملكيّة الذّهبيّة ذات رأس الوعل داخل القلب النّاري. تُحيط بالسُّرادق من ثلاث جهات خيام اللوردات الجنوبيّين الذين أتوا مع ستانيس شمالاً، وفي الجّهة الرّابعة تضطرم النّار الليليّة جالدة السّماء المظلمة باللسنة اللهب.

حين وصلت آشا تعرّج على كاحلها مع حارسها رأّت دستة من الرّجال يُقطّعون الحطب لإذكاء النّار. رجال الملكة. إلههم راهلور الأحمر، ويا له من إله غيور. في أعينهم إلهها إله الجُزر الغريق شيطان، وإذا لم تعتيق ملّة إله الضّيأ هذا فإنها ملعونة هالكة. سيسرّهم إحراقى كما يحرقون هذا الحطب والفروع المكسورة. أحدهم حصّ الملك على هذا تحديداً بالفعل على مسمع منها، لكن ستانيس رفض.

وجَدت الملك واقفاً خارج خيمته يُحدّق إلى النّار الليليّة. ماذا يرى فيها؟ النّصر؟ الويل؟ وجه ربّه الأحمر الجائع؟ عيناه غائضتان في حُفرتين عميقتين، ولحيته المشدّبة لا تتعدّى ظلّاً على وجنتيه الجوفأوين وفكّه النّاحل... لكن في نظره قوّة، عزماً حديدياً أكّد لآشا أن هذا الرّجل لن يحيد عن طريقه أبداً ومهما حدث.

جئت على رُكبتها أمامه قائلةً: «مولاي». هل ذُلتُ بما فيه الكفاية يا صاحب الجلالة؟ هل يُعجبك انهزامي وانحنائي وانكساري؟ «أتوسَّل إليك أن تخلع هذه السلاسل عن معصمي. دعني أركبُ. لن أحاول الهرب». رَمَقها ستانيس كأنما يَرْمُقُ كلبًا تجرُّ على حِكْ ذَكَره بساقه، وقال: «لقد استحققتِ هذه القيود».

- «استحققتها. والآن أعرض عليك رجالي وسُفني وعقلي».
- «سُفنيك لي أو احترقت، ورجالك... كم تبقى منهم؟ عشرة؟ اثنا عشر؟».

تسعة. ستة إذا حسبت من يقوون على القتال فقط. «داجمر ذو الفك المفلوق يُسيطر على (مربع تورين). إنه مُقاتل فتاك وخادم مخلص لعائلة جرايچوي. أستطيع أن أعطيك تلك القلعة وحاميتها أيضًا». كانت لتسبق وعدها بـ«قد»، ولكن لن ينفعها أن تُبدي الشكَّ أمام الملك.
- «(مربع تورين) لا تستأهل الوحل تحت حذائي. (ويتترفل) هي المهمة».

- «اخلع هذه السلاسل ودعني أساعدك على أخذها يا مولاي. كان أخو جلاتك الملك مشهورًا بتحويل الأعداء المهزومين إلى أصدقاء. اجعلني رجلك».

ردَّ ستانيس: «الآلهة لم تخلُقك رجلًا، فكيف أجعلك أنا واحدًا؟»، وعادَ يلتفت إلى ناره اللَّيلىَّة وما يراه يتراقص هناك بين ألسنة اللهب البرتقالي.
أمسك السير چاستن ماسي آشا من ذراعها وسحبها إلى داخل الخيمة الملكية قائلاً: «أسأت التقدير يا سيدي. لا تُحدِّثه عن روبرت أبدًا».
كان عليَّ أن أكون أعقل من هذا. تعرف آشا مجريات الأمور بين الإخوة. تذكَّرت ثيون في صباه وكيف كان طفلًا خجولًا يعيش في انبهار - وخوف - من رودريك ومارون. لا يتجاوزون هذا أبدًا مهما طالت أعمارهم. قد يبلغ الأخ الصَّغير مئة عام من العُمُر لكنه يظلُّ أخًا صغيرًا. هزَّت جواهرها الحديدية وتخيَّلت كم سيكون سارًّا إذا وقفت وراء ستانيس وخنقته بالسُّلسلة بين معصمها.

ليلتها أكلوا يخنة مطبوخة من ذُكر أيل هزيل اقتنصه كشاف اسمه بنچيكوت

برانش، لكن هذه الوجبة اقتصرَت على السُّرادق الملكي فقط، أمَّا وراء هذه الحوائط القماش فقد نال كل رجل قطعةً من الخُبز وأخرى من السُّجق الأسود لا تتجاوز الإصبع طولاً، وشرب آخر ما تبقى من مزر جالبارت جلوثر.

مئة فرسخ من (ربوة الغابة) إلى (وينترفل)، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران الغداف. في اليوم الرَّابع من الزَّحف، يوم بدأ الثلج يسقط، قال چاستن ماسي: «لينا كنا غدفاً». في البدء سقط الثلج خفيفاً متقطعاً. أي نعم كان بارداً مبتلاً، غير أنه لم يُشكّل عائقاً لا يُمكنهم اجتيازه.

لكنه سقط ثانيةً في اليوم التَّالي، واليوم التَّالي، واليوم الذي تلاه، وسرعان ما اكتست لحي الذئاب الكثة بالجليد حيث تجمَّدت أنفاسهم، وبدأ كل صبيٍّ جنوبي حليق يُطلق لحيته لأجل تدفئة وجهه. لم يمض وقت طويل قبل أن تتدنَّر الأرض أمام الطَّابور بالأبيض، لتتوارى الأحجار والجذور الملتوية والأشجار السَّاقطة وتحوَّل كلُّ خطوةٍ إلى مُغامرة. اشتدَّت الرِّيح أيضًا دافعةً الثلج أمامها، واستحال جيش الملك إلى طابورٍ من الرِّجال الثلجيين، يتقدَّم بصعوبةٍ عبر أكوام من الثلج ترتفع حتى الرُّكبة.

في اليوم الثَّالث من سقوط الثلج بدأ جيش الملك يتفكَّك، ولئن عانى الفُرسان واللوردات الجنوبيُّون فقد أبلَى رجال التلال الشِّماليَّة بلاءً أحسن. أحصنتهم الصَّغيرة حيوانات واثقة الخطى تأكل أقل من خيول الرُّكوب التَّقليديَّة وأقل كثيرًا من الجياد الحرِّيَّة الكبيرة، والرِّجال الذين يمتطونها في موطنهم وسط الثلوج. يُضيف كثير من الذئاب إلى أحذيتهم نعالاً غريبةً يُسمونها «كفوف الدِّببة»، أشياء مطوَّلة مصنوعة من الأخشاب الملوَّية وشرائط الجلد، يربطونها أسفل أحذيتهم فتُتيح لهم بشكل ما أن يمشوا فوق الثلج دون أن يكسروا قشرته ويغوصوا فيه حتى أفخادهم.

كما أنهم وضعوا كفوف الدِّببة لبعض خيولهم أيضًا، وقد انتعلتها الأحصنة المشعثة بسهولة انتعال الخيل الأخرى الحدوات... لكن الخيل الأخرى رفضتها تمامًا، وعندما جرَّب بعض فُرسان الملك تركيبتها على أقدامها نكصت الخيول الجنوبيَّة الكبيرة ورفضت الحركة أو حاولت خلعها، وكسر أحد الجياد الحرِّيَّة كاحله لمَّا حاول المشي بها.

سرعان ما بدأ الشِّماليُّون بكفوفهم يسبقون بقيَّة الجيش. أولاً سبقوا

الفرسان في الطَّابور الأساسي، ثم السير جودري وطليعته، وفي تلك الأثناء كانت عربات قافلة الأمتعة تتخلف أكثر فأكثر حتى إن رجال حرس المؤخرة أخذوا يحثونها باستمرارٍ على الإسراع.

في اليوم الخامس من العاصفة عبرت قافلة الأمتعة مساحةً مائجةً من أكوام الثلج المرتفعة حتى الخصر تُخفي بركةً متجمّدة، ولَمَّا تشقَّق الجليد المخفي تحت وزن العربات ابتلعت المياه قارسة البرودة ثلاثة حوذيين وأربعة أحصنة، بالإضافة إلى رجلين ممَّن حاولوا إنقاذهم. كان أحدهما هاروود فل الذي انتشلهُ فرسانه قبل أن يغرق، ولكن ليس قبل أن تترقُّ شفتاه وتمتقع بشرته حتى حاكَّت الحليب، وبعدها لم ينجح شيء مما فعلوه في تدفئته، وراح فل يرتجف بعُنْفٍ لساعات، حتى بعد أن مزَّقوا ثيابه المبتلة وخلعوها وذرّوه بالفرو الثقيل ووضعوه عند النار. ليلتها غابَ في نومٍ محموم ولم يستيقظ ثانيةً.

وتلك هي الليلة التي سمعت فيها آشا رجال الملكة يُهمِّمون بكلامٍ عن قربان، عن تضحيةٍ لإلههم الأحمر كي يُنهي العاصفة.

قال السير كورليس پني: «آلهة الشمال أطلقت هذه العاصفة علينا».

ردَّ السير جودري قاتل العمالقة بإصرار: «آلهة زائفة».

وقال السير كلايتون سوجز: «راهلور معنا».

فردَّ چاستن ماسي: «مليساندرا ليست معنا».

لم يقل الملك شيئًا، لكنه سمع. آشا موقنة من هذا. جلس ستانيس إلى المائدة العالية وأمامه يَبْرُد طبق من حساء البصل لم يمس شيئًا منه تقريبًا، يُحدِّق إلى لهب أقرب شمعة بهاتين العينين الظلّيتين متجاهلاً الكلام الدائر حوله. بدلًا منه تكلم نائبه، الفارس الطويل النحيل السير ريتشارد هورپ الذي قال: «مؤكّد أن العاصفة ستنجلي قريبًا».

إلا أن العاصفة ساءت، وأضحّت الرّيح كُرباجًا يُنافس سياط النّحاسين. حسبت آشا أنها عرفت البرد في (پايك) حين كانت الرّيح تهبُّ عاويةً من البحر، لكن ذلك لا شيء مقارنةً بهذا. برد يدفع المرء إلى الجنون.

حتى عندما يرتفع هتاف التّخميم عبر الطّابور فليس من السهل أن يجد المرء الدّفء، فالخيام رطبة ثقيلة، نصبها صعب وتفكيكها أصعب، كما أنها

عُرْضَةٌ لِلانْهِيَارِ الْمَفَاجِئِ إِذَا تَرَكَمَ ثَلْجٌ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ فَوْقَهَا. جَيْشُ الْمَلِكِ يَزْحَفُ فِي أَغْوَارِ أَضْحَمٍ غَابِئَةٍ فِي (الْمَمَالِكِ السَّبْعِ)، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الْعَثُورُ عَلَى خَشَبٍ جَافٍ. الْآنَ فِي كُلِّ مَعْسَكٍ تَشْتَعِلُ نِيرَانٌ أَقْلٌ، وَتَلِكِ الْمَشْتَعَلَةُ تَبْعَثُ دُخَانًا أَكْثَرَ مِنَ الدَّفْعِ، وَفِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ يُؤْكَلُ الطَّعَامُ بَارِدًا نَيْئًا. حَتَّى النَّارُ اللَّيْلِيَّةُ تَقْلَصُتْ وَوَهْنَتْ مَرُوعَةً رِجَالَ الْمَلِكَةِ، فَقَادَهُمُ السَّيْرُ جُودَرِي قَاتِلِ الْعِمَالِقَةِ فِي الصَّلَاةِ بِصَوْتِهِ الْعَمِيقِ: «أَيَا إِلَهَ الضِّيَاءِ، احْفَظْنَا مِنْ هَذَا الشَّرِّ، أَرْنَا شَمْسَكَ السَّاطِعَةَ مِنْ جَدِيدٍ وَهَدَيْتَ هَذِهِ الرِّيْحَ وَأَذِيبْ هَذِهِ الثَّلُوجَ لِكِي نَبْلُغَ أَعْدَاءِكَ وَنَقْهَرَهُمْ. اللَّيْلُ مَظْلَمٌ وَبَارِدٌ وَمَفْعَمٌ بِالْأَهْوَالِ، لَكِنْ النُّورُ سُلْطَانُكَ وَمَجْدُكَ. اْمَلْنَا بِنَارِكَ يَا رَاهِلُور».

لَا حَقًّا، حِينَ تَسْأَلُ السَّيْرُ كُورْلَيْسَ بَنِي إِنْ كَانَ جَيْشٌ بِأَكْمَلِهِ قَدْ تَجَمَّدَ مِنْ قَبْلِ فِي عَاصِفَةٍ شَتَوِيَّةٍ، ضَحَكَ الذَّنَابُ وَأَعْلَنَ الدَّلُو الْكَبِيرُ وَوَل: «لَيْسَ هَذَا شِتَاءً. فِي الثَّلَالِ بِالْأَعْلَى نَقُولُ إِنْ الْخَرِيفُ يُقْبَلُكَ، أَمَّا الشِّتَاءُ فَيُنْكَحُكَ. مَا هَذِهِ إِلَّا مَجْرَدُ قُبْلَةٍ خَرِيفِيَّةٍ».

لَا تَجْعَلْنِي أَعْرِفُ الشِّتَاءَ الْحَقِيقِي أَبَدًا إِذْنِ يَا إِلَهِي. عَلَى أَنْ آشَأَ نَفْسَهَا جُنِبَتْ أَسْوَأَ مَا فِي الْأَمْرِ، فَهِيَ غَنِيمَةُ الْمَلِكِ رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ. بَيْنَمَا جَاعَ الْآخَرُونَ أُطْعِمَتْ، وَبَيْنَمَا ارْتَجَفَ الْآخَرُونَ تَدَفَّاتِ، وَبَيْنَمَا قَاسَى الْآخَرُونَ فِي عُبُورِ الثَّلُوجِ عَلَى مَتُونِ خِيُولٍ مِنْهَكَةً تَتَمَدَّدُ هِيَ عَلَى سَرِيرٍ مِنَ الْفِرَاءِ دَاخِلَ عَرَبَةٍ، يَقِيهَا سَقْفٌ مِنَ الْقَنْبِ الْيَابِسِ الثَّلْجِ وَيَتْرُكُهَا مَسْتَرِيحَةً فِي سِلَاسِلِهَا.

أَعْظَمُ الْمَعَانَاةِ مِنْ نَصِيبِ الْخِيُولِ وَالْعَوَامِ. طَعَنَ مُرَافِقَانِ مِنْ أَرَاظِي الْعَوَاصِفِ جُنْدِيًّا حَتَّى الْمَوْتِ فِي شَجَارِ حَوْلِ أَقْرَبِ مَنْ يَجْلِسُ عِنْدَ النَّارِ، وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ تَسَبَّبَ بَعْضُ الرُّمَاتِ الرَّاغِبِينَ بِيَأْسٍ فِي الدَّفْعِ فِي إِشْعَالِ النَّارِ بِخِيْمَتِهِمْ، وَهُوَ مَا أَفْضَى عَلَى الْأَقْلِ إِلَى تَدْفِئَةِ الْخِيَامِ الْمَجَاوِرَةِ. بَدَأَتْ الْجِيَادُ الْحَرَبِيَّةُ تَنْفُقُ إِرْهَاقًا وَبَرْدًا، وَبَدَأَ بَعْضُ الرُّجَالِ يُحَاجِي بَعْضًا قَائِلِينَ: «مَا الْفَارِسُ بِلَا حِصَانٍ؟ رَجُلٌ ثَلْجِي بِسَيْفٍ». كُلُّ حِصَانٍ يَمُوتُ يُذْبَحُ فِي التَّوِّ وَاللَّحْظَةَ مِنْ أَجْلِ لَحْمِهِ، ذَلِكَ أَنَّ الْمَوْنَ بَدَأَتْ تَنْضُبُ أَيْضًا.

حَثَّ پِزَبُورِي وَكُوبُ وَفُوكَسْجَلُوفُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ اللُّورْدَاتِ الْجَنُوبِيِّينَ الْمَلِكَ عَلَى التَّخْيِيمِ حَتَّى تَمُرَّ الْعَاصِفَةُ، لَكِنْ سَتَانَيْسُ رَفَضَ رَفَضًا قَاطِعًا، وَلَمْ يُصْغِرْ إِلَى رِجَالِ الْمَلِكَةِ عِنْدَمَا أَتُوا يُنَاشِدُونَهُ تَقْدِيمَ قُرْبَانٍ لِإِلَهِهِمُ الْأَحْمَرِ الْجَائِعِ.

سمعت هذه الحكاية من چاستن ماسي الذي لا يتسم بتدئين أكثر الرجال. قال كلايتون سوجز: «القربان سيثبت أن إيماننا ما زال مشتعلًا مخلصًا يا مولاي»، وقال جودري قاتل العمالقة: «آلهة الشمال القديمة أطلقت هذه العاصفة علينا، ووحده راهلور يستطيع أن يردعها. يجب أن نُعطيه كافرًا». ردّ ستانيس: «نصف جيشي من الكافرين. لن أحرق أحدًا. أخلصوا أكثر في الصلاة».

لا حرق اليوم أو غدًا... لكن إذا استمرّ الثلج فكم من الوقت قبل أن يبدأ عزم الملك يضعف؟ لم تُشارك أشا عمّها آرون إيمانه بالآله الغريق قط، لكنها في تلك الليلة صلّت لإلهها الساكن تحت الأمواج بحرارة ذي الشعر الرطب. ولم تهجع العاصفة. واصل الجيش تقدّمه بتؤدّة ثم بزحفٍ فعلي. إذا قطعوا خمسة أميالٍ في اليوم عدّوه إنجازًا، ثم أصبحت الأميال الخمسة ثلاثة، ثم ميلين.

بحلول اليوم التاسع شهد كلُّ معسكرٍ قاده يدخلون خيمة الملك مبتلين متعبين ليحشوا أمامه ويبلغوه بخسائر اليوم.

- «رجل واحد ميت وثلاثة مفقودون».

- «فقدنا ستة خيول، منها حصاني».

- «ثلاثة موتى، أحدهم فارس. أربعة خيول سقطت. استطعنا إسعاف أحدها، الآخرون ماتوا. جوادان حربيّان وواحد للرُّكوب».

سمّته أشا «تعداد البرد». عانت قافلة الأمتعة أكثر الخسائر، من الخيل الميتة إلى الرّجال المفقودين إلى العربات المقلوبة التالفة. أخبر چاستن ماسي الملك: «الخيول تنهار في الثلج، والرّجال يتعدون ويتوهون أو يجلسون في أماكنهم ليموتوا».

ردّ الملك ستانيس محتدًا: «فليفعلوا. سنواصل التقدّم».

الشّماليون حالهم أفضل كثيرًا بخيولهم الصّغيرة وكفوف الدّبية. دونل فلينت الأسود وأخوه غير الشّقيق آرتوس فقدوا معًا رجلًا واحدًا، أمّا وول وليدل ونوري فلم يفقدوا أحدًا على الإطلاق، وضلّ أحد بغال مورجان ليدل الطّريق، لكنه يحسب أن رجال فلينت سرقوه.

مئة فرسخٍ من (ربوة الغابة) إلى (ويتترفل)، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران

الغداف، خمسة عشر يومًا. حلَّ اليوم الخامس عشر ومرَّ ولم يقطعوا بعدُ نصف المسافة، والآن يمتدُّ وراءهم أثر من العربات المكسورة والجُثث المتجمِّدة مدفونًا تحت الثلج، وغابت الشمس والقمر والنجوم تمامًا حتى إن أشأ بدأت تتساءل إن كان وجودها من قبل حُلْمًا رأيته.

في اليوم العشرين من الزحف حُرِّرت أخيرًا من قيود كاحليها. في ساعة متأخرة من الظهيرة يومها نفق أحد الخيول التي تجرُّ عربتها وهو ماش، ولم يستطيعوا العثور على بديل، فخيول الجرِّ المتبقية ضرورية لسحب العربات التي تحمل الأطعمة والعلف. حين انضمَّ إليهم السير جاستن ماسي أمرهم بذبح الحصان لأجل لحمه وتفكيك العربة لأجل الحطب، ثم حل القيود عن كاحلي أشأ المتيسين ودلَّكهما قائلاً: «ليس عندي حصان أعطيه لك يا سيديتي، وإذا ركبت معي فستكون هذه نهاية حصاني أيضًا. يجب أن تمشي». نبض كاحل أشأ ألمًا تحت ثقلها مع كل خطوة، فأخبرت نفسها: سيخدره البرد قريبًا. في غضون ساعة لن أحسَّ بقدمي نهائيًا. لكنها كانت مخطئة جزئيًا، إذ استغرق فقدانها الإحساس بقدميها أقل من ساعة، ولما أوقف الظلام الجيش كانت تتعثر بالفعل وتحنُّ إلى راحة سجنها المتحرك. الحديد أضعفني. وقت العشاء غلبها إرهاقها تمامًا لدرجة أنها نامت وهي جالسة إلى المائدة.

في اليوم السادس والعشرين من مسيرة الخمسة عشر يومًا استهلك آخر الخضراوات، وفي اليوم الثاني والثلاثين آخر الحبوب والعلف. تساءلت أشأ كم يستطيع الإنسان أن يعيش على لحم الخيول النيء شبه المتجمد. ليلتها بعد تعداد البرد أخبر السير ريشارد هورب الملك: «برانش يُقسم أن (وينترفل) تبعد ثلاثة أيام فقط».

قال كورليس پني: «هذا إذا تركنا أضعف الرجال وراءنا». ردَّ هورب بإصرار: «لا سبيل لإنقاذ أضعف الرجال. على من ما زالوا يتمتعون بالقوة أن يبلغوا (وينترفل) أو يموتوا أيضًا». قال السير جودري فارنج: «سيؤتينا إله الضياء القلعة. لو كانت الليدي مليساندرا معنا...».

أخيرًا، بعد يوم كابوسي تقدَّم فيه الجيش ميلًا واحدًا وفقدَ دستة من

الخيول وأربعة رجال، انقلبَ اللورد پيزبوري على السَّمالين، وزعقَ فيهم: «هذا الزَّحف كان جنونًا من البداية. المزيد يموتون كلَّ يوم، ومن أجل ماذا؟ فتاة ما؟».

قال مورجان ليدل: «فتاة ند». إنه ثاني ثلاثة أبناء، ولذا يدعوه الذَّئب الآخرون بليدل الأوسط، ولكن ليس في وجهه أبدًا. مورجان هو مَنْ كادَ يَقْتُلَ آشا في المعركة بعد خروجها من (ربوة الغابة)، ولاحقًا أتاها في أثناء المسيرة يعتذر إليها عن دعوتها بالقحبة في خضمِّ شهوة القتال، وليس عن محاولته فلق رأسها بفأسه.

ردَّد الدَّلُو الكبير وول: «فتاة ند»، وأضاف: «ولكنا نلناها هي والقلعة بالفعل لو لم تُبلِّلوا سراويلكم الحرير بسبب القليل من الثلج أيها الجنوبيُّون السُّفهاء».

التوى فم پيزبوري الأنثوي النَّاعم غضبًا، وقال: «القليل من الثلج؟! إنها نصيحتك الفاسدة التي أجبرتنا على الزَّحف يا وول. بدأتُ أشكُّ في أنك مخلوق بولتون من البداية، أليس كذلك؟ هل أرسلك لبثَّ السُّموم في أذن الملك؟».

ضحكَ الدَّلُو الكبير في وجهه قائلاً: «اللورد فاصوليا. لو كنت رجلاً لقتلتك لما قلته، لكن فولاذ سيفي أجود من أن ألوثه بدمك أيها الجبان»، وأخذَ رشفةً من المِزر ومسحَ فمه قبل أن يُردِف: «أجل، الرِّجال يموتون، وسيموت منهم المزيد قبل أن نرى (وينترفل). وماذا في هذا؟ إنها حرب. الرِّجال يموتون في الحرب. هكذا طبيعتها كما كانت دومًا».

رمقَ السير كورليس پني زعيم العشيرة مصدومًا، وسأله: «هل تُريد أن تموت يا وول؟».

قال السَّمالي الذي وجدَ السُّؤال طريفًا: «أريدُ أن أحيأ إلى الأبد في أرضي يدوم فيها الصَّيف ألف عام، أريدُ قلعةً في السَّماء أنظرُ منها إلى العالم بالأسفل، أريدُ أن أرجع إلى سنِّ السَّادسة والعشرين. حين كنتُ في السَّادسة والعشرين كان بإمكانني القتال طوال النَّهار والنِّكاح طوال اللَّيل. ما يُريده الإنسان لا يهمُّ. السُّتاء أَرَفَ أيها الصَّبي، والسُّتاء موت. أوثرُ أن يموت رجالي وهم يُقاتلون من أجل ابنة الند الصَّغيرة بدلًا من أن يموتوا جائعين وحيدين

في الثلج، يذرفون دمعاً يتجمد على وجوههم. لا أحد يُغني عمّن يموتون هكذا. أمّا أنا فعجوز، وسيكون هذا شتائي الأخير. فلأتحمّم بدماء بولتون قبل أن أموت. أريد أن أشعر به يتناثر على وجهي عندما تنغرس فأسي في جمجمة بولتون، أريد أن ألعقه عن شفّتي وأموت بمذاقه على لساني».

هتفَ مورجان ليدل: «نعم! الدّم والمعركة!»، وانضمَّ إليه رجال العشائر جميعاً، يهتفون ويدقون الموائد بالأكواب وقرون الشّراب مألّين خيمة الملك ضجيجاً.

عن نفسها، تُرْحب آشا جرايچوي بالقتال. معركة واحدة تضع نهايةً لهذا البؤس. فولاذ على فولاذ، وثلوج مخضّبة بالوردي، وتروس محطّمة وأطراف مبتورة، وينتهي كل شيء.

في اليوم التّالي صادفَ كشافَة الملك قرية مُزارعين مهجورةً بين بُحيرتين، مكاناً صغيراً فقيراً لا يضمُّ أكثر من بضعة أكواخ وقاعةٍ طويلة وبُرج مراقبة. أمرَ ريتشارد هورب بالتوقّف مع أن الجيش لم يتقدّم أكثر من نصف ميلٍ هذا النّهار وما زالت تفصلهم عن الظلام ساعات.

حين وصلت قافلة الأمتعة ومعها آشا أخيراً كان القمر قد طلّع منذ مُدّة ليست بالقصيرة.

أخبرَ هورب الملك: «في هاتين البُحيرتين أسماك. سنصنع حُفراً في الجليد. السّماليون يعرفون الطّريقة».

حتى في معطفه الفرو السّميك ودرعه الثّقيلة بيدو ستانيس كرجل إحدى قدميه في القبر، وقد ذوى خلال الرّحف ما بدا من لحم قليل على هيكله الطّويل النّحيل في (ربوة الغابة). تستطيع آشا أن ترى شكّل جمجمته تحت الجلد، وترى فكّه مكبوساً بقوةٍ خيّلت إليها أن أسنانه ستتحطّم تحطيماً. قال الملك لافظاً كلّ كلمةٍ بحدّة: «اصطادوا إذن. ستتحرك مع أول خيوط الفجر».

لكن مع أول خيوط الفجر استيقظ المعسكر على الثلج والصّمت وسماءٍ استحالت من الأسود إلى الأبيض ومع ذلك لا تبدو أسطع. صحت آشا جرايچوي بردانته متشنّجة العضلات تحت كومة الأغطية وأصغت إلى غطيظ الدّبّة. لم تعرف قطُّ امرأةً تغطُّ بهذا الصّوت العالي، إلّا أنها اعتادته خلال الرّحف، حتى إنه يبث فيها شيئاً من الرّاحة الآن. الصّمت هو ما أزعجها. لم

تدوُّ أبواقُ نحاسٍ تُوقظُ الرِّجالَ وتحثُّهم على امتطاء الخيول وأخذ تشكييلهم والاستعداد للحركة، ولم تدوُّ أبواق الحرب التَّقليديَّة من الشِّمالِيِّين. شيء ما على غير ما يُرام.

خرجت أشا من تحت الأغطية وغادرت الخيمة بعد أن هدمت جدار الثلج الذي أغلقها خلال الليل، وصلصل حديدها إذ نهضت وأخذت نفساً من هواء الصِّباح الجليدي. ما زال الثلج يتساقط بكثافةٍ أشد من ليلة البارحة لَمَّا دخلت الخيمة، واختفت البُحيرتان والغابة أيضاً. رأت أشكال خيام أخرى والوهج البُرْتقالي الباهت الصَّادر من المنارة المشتعلة على قمَّة بُرج المراقبة، لكنها عجزت عن رؤية البُرج نفسه. والبقية ابتلعها العاصفة.

في مكانٍ ما أمامهم يتظرهم رروس بولتون خلف أسوار (ويتترفل)، لكن جيش ستانيس باراثيون حبيس لا يتحرَّك، محاط بالجليد والثلج من كلِّ حدبٍ وصوب، ويتضوَّر جوعاً.



دنيرس

الشَّمعة على وشك الانطفاء، تبقي منها أقل من بوصة بارزة من الشَّمع
الدَّائب الدَّافئ، تُلقِي ضوءها على فراش الملكة وقد بدأ لهبها يتذبذب.
سرعان ما ستنطفئ، وعند انطفائها ستنتهي ليلة أخرى.
دائمًا يستعجل الفجر المجيء.

لم تنم داني، لم تستطع أن تنام، ولم تُرد أن تنام. لم تجرؤ حتى على إغلاق
عينيه خشية أن تجد الصُّبح طلع حين تفتحهما ثانية. لو أنها تملك القدرة
لجعلت ليليهما تدوم إلى الأبد، لكن أفضل ما بوسعها أن تظل مستيقظة
وتحاول الاستمتاع بكل اللحظات الجميلة قبل أن يُحيلها الفجر إلى ذكريات
خافية.

إلى جوارها ينام داريو نهريس بسلام طفل حديث الولادة. كان قد أخبرها
متباهياً بأنه موهوب في النوم، وقد ابتسم ابتسامته الواثقة إياها، وزعم أنه ينام
راكباً حصانه في الميدان معظم الوقت ليكون قد نال قسطاً من الراحة في حال
اندلاع قتال. سواء أكان الطُّقس مشمساً أم عاصفاً فلا فرق. «المُحارب الذي
لا ينام تخور قواه سريعاً ولا يقوى على القتال». والكوايس لا تُكدره كذلك.
حين حكّت له داني أن أشباح الفرسان الذين قتلهم سروين ذو الترس المرأة
كانت تُلاحقه في منامه ضحك داريو قائلاً: «إذا جاء من قتلهم يُزعجونني
فسأقتلهم ثانية». لحظتها أدركت داني أن له ضمير مرتزق. أي أنه بلا ضمير
على الإطلاق.

استلقى داريو على بطنه، الأغطية الكتان الخفيفة معقودة حول ساقيه
الطويلتين، ووجهه شبه مدفون بين الوسائد.

مررت داني يدها على ظهره متبعةً خطَّ عموده الفقري. بشرته ملساء تحت لمستها، لا شعر فيها تقريباً. بشرته حرير وساتان. تحبُّ ملمسه تحت أصابعها، وتحبُّ مداعبة شعره بهذه الأصابع، وتدليك ساقيه من الألم بعد يوم طويل من الركوب، واحتواء ذكره بكفها والشعور به يصلب.

لو أنها امرأة تقليدية لأسعدها أن تقضي حياتها كلها في لمس داريو وتتبع ندوبه وجعله يروي لها كيف أصيب بكلِّ واحدة. سأتخلى عن تاجي إذا سألني... لكن داريو لم يسألها ذلك ولن يفعل أبداً. قد يهمس لها بكلمات الحب عندما يكونان واحداً، لكنها تعلم أن من يحبها هي ملكة التناين. إذا تخليتُ عن تاجي فلن يريدي. كما أن الملوك الذين يفقدون تيجانهم يفقدون رأسهم أيضاً في أغلب الأحيان، وليست ترى سبباً يجعل الأمر يختلف مع الملكات.

تذبذبت الشمعة مرةً أخيرةً وانطفأت غارقةً في شمعها الذائب، وابتلعت الظلمة الفراش الوثير وشاغليته وملأت كلَّ ركن في الغرفة. طوّقت داني قائدها بذراعيها وضغطت نفسها إلى ظهره، تشرب رائحته وتلذذ بدفء بشرته والشعور بها على بشرتها. أخبرت نفسها: تذكري، تذكري ملمسه، وقبّلتها على كتفه.

انقلب داريو على جانبه نحوها بعينين مفتوحتين، وقال بابتسامة كسول: «دنيرس». واحدة أخرى من مواهبه أنه يستيقظ في الحال كالقِطط. «أهو الفجر؟».

- ليس بعد. ما زال أمامنا بعض الوقت».

- «كاذبة. إنني أرى عينيك. هل كنت لأراهما لو أنه الليل؟»، وركل داريو الأغصية واعتدل جالساً، وأضاف: «عتمة ما قبل الفجر. سيحل النهار قريباً».

- «لا أريد لهذه الليلة أن تنتهي».

- «حقاً؟ ولم يا مولاتي؟».

- «أنت تعرف».

قال ضاحكاً: «الزفاف؟ تزوجيني بدلاً منه».

- «تعلم أنني لا أستطيع».

تحسّس ساقتها قائلاً: «إنك ملكة، تستطيعين أن تفعلي ما شئت. كم ليلةً تبقت لنا؟».

اثنتان، اثنتان فقط. «أنت تعرف مثلما أعرف. هذه الليلة واللييلة التالية، وبعدها يجب أن تُنهي هذا».

- «تزوَّجيني وسنحظى بكلِّ اللَّيالي إلى الأبد».

ليتني أقدِّر. كان الكَمالُ دروجو شمسها ونجومها، لكن وقتًا طويلًا جدًّا مرَّ منذ وفاته حتى إن داني كادت تنسى معنى أن تُحِبَّ وتُحَبَّ، ولقد ساعدها داريو على التَّدكُّر. كنتُ ممتَّةً وأحيانِي، كنتُ نائمةً وأيقظني. قائدِي الشُّجاع. ومع ذلك أصبح داريو أجراً من اللّازم في الفترة الأخيرة. يوم رجع من آخر غاراته ألقى رأس أحد السّادة اليونكيين عند قدميها وقبلها في القاعة على مرأى من الجميع، إلى أن أبعده السير باريستان عنها، وكانت غضبة الجدِّ الفارس عظيمةً حتى إن داني خشت أن تُراق الدِّماء. «لا يُمكننا أن نتزوَّج يا حبيبي. أنت تعرف السَّبب».

نزل من فراشها قائلاً: «تزوَّجني هيزدار إذن. سأعطيه قرنين أنيقين على سبيل هدية الزّفاف. الرّجال الجيسكاريون يحبّون البختر بالقرن، يصنعونها من شعرهم بالأمشاط والشَّمع والحديد». وجدَّ داريو سراويله وارتداها دون ثيابٍ داخلية، فتلك لا يُفضّلها.

سحبت داني الأغطية على ثديها، وقالت: «ما إن أنزوَّج ستكون خيانة عظمى أن تشتهيني».

- «سأكون خائناً إذن». ارتدى قميصاً أزرق من الحرير وسوى شعب لحيته بأصابعه. كان قد صبغها مجدداً من أجلها، معيداً إياها من الأرجواني إلى الأزرق كما كانت حين التقت داني أول مرّة. قال متشمّماً أصابعه ومبتسماً ابتساماً عريضةً: «رائحتك عالقة بي».

تحبُّ داني التماعة سنّه الذهب حين يتسم، وتحبُّ الشَّعر النَّاعم على صدره، وتحبُّ قوّة ذراعيه، ووقع ضحكته، وكيف ينظر دائماً في عينيها وينطق اسمها وهو يلجها. بينما شاهدته يتعل حذاء الرُّكوب ويعقد أربطته اندفعت تقول: «أنت جميل!». في بعض الأيام يتركها تفعل هذا من أجله، ولكن ليس اليوم على ما يبدو. هذا أيضاً انتهى.

قال داريو متناولاً حزام سيفه من على المشجب حيث علّقه: «لستُ بالجَمال الكافي للزّواج بي».

- «أين ستذهب؟»
 - «إلى المدينة لأشرب برميلاً أو اثنتين وأشاكس أحداً. مضى وقت طويل منذ قتلْتُ رجلاً. ربما عليّ أن أسعى إلى خطيبك».
 ألقته داني بوسادةٍ قائلةً: «دع هيزدار وشأنه!»
 - «كما تأمر مولاتي. هل ستعقدن البلاط اليوم؟»
 - «لا. غداً سأكونُ امرأةً متزوجةً وهيزدار ملكاً. فليعقد هو البلاط. هؤلاء قومه».
 - «بعضهم قومه وبعضهم قومك، أنتِ التي حررتهم».
 - «هل تُؤنّيني؟»
 - «الذين تدعينهم بأطفالك. إنهم يريدون أمهم».
 - «نعم، أنتِ تُؤنّيني».
 - «قليلاً فقط يا ذات القلب الوضاء. هلاً عقدتِ البلاط؟»
 - «بعد زفافي ربما، بعد السلام».
 - «هذا الـ«بعد» الذي تتكلمين عنه لا يأتي أبداً. يجدرُ بك أن تعقدي البلاط. رجالي لا يُصدّقون أنكِ حقيقيّة، هؤلاء الذين انضموا إلينا من المذروّين. أكثرهم وُلِدَ في (وستروس)، ولديهم حكايات كثيرة عن آل تارجارين. يريدون أن يروا أحدهم بأعينهم. الضفدع معه هديّة لك».
 سألته مقهقهةً: «الضفدع؟ ومن هذا؟»
 هزّ كتفيه مجيباً: «فتى دورني ما، مُرافق الفارس الكبير الذي يدعونه بالمُصران الأخضر. قلتُ له أن يُعطيني الهديةَ لأسلّمها إليك لكنه رفض».
 قالت: «أوه، ضفدع ذكي. أعطني الهدية»، وألقته بوسادةٍ أخرى مضيئةً:
 «هل كنتُ لأراها أبداً؟»
 ملّس داريو على شاربه المذهب قائلاً: «وهل يُمكنني أن أسرق من مليكتي الفاتنة؟ لو كانت هديّة تليق بكِ لوضعتها في يديك النَّاعمتين بنفسي».
 - «كأمانةٍ على حُبّك؟»
 - «لن أردّ على هذا، لكنني أخبرته بأنه يستطيع أن يُعطيكِ إياها بنفسه. لن تجعللي داريو نهاريس يبدو كاذباً، أليس كذلك؟»
 قالت داني عاجزةً عن الرّفص: «كما تشاء. اجلب ضفدعك إلى البلاط

غداً، والآخرين أيضاً، الوستروسيين». سيكون لطيفاً أن تسمع اللغة العامية من أحدٍ بخلاف السير بارستان.

قال داريو: «كما تأمر مولاتي»، وانحنى بشدة مبتسماً ابتسامته العريضة، ثم غادرَ ومعطفه يُرفرف من ورائه.

جلست داني بين أغطية السرير المتجمّدة محتضنة رُكبتها بذراعيها وشاعرةً ببؤس حالٍ دون سماعها ميسانداي حين دخلت حاملّة الخبز والحليب والتين. قالت الفتاة: «جلالة الملكة، أنت بخير؟ هذه الواحدة سمعتك تصرّخين ليلاً».

تناوكت داني حبة تين سوداء ممتلئة ما زال عليها ندى الصّباح، وتساءلت في قرارة نفسها: هل سيجعلني هيزدار أصرخُ؟ ردّت: «سمعت الريح تصرّخ»، وأخذت قضمه، لكن الفاكهة فقدت لذتها بعد ذهاب داريو. تهذبت داني ونادت إيربي تطلب معطفاً، ثم خرجت إلى الشرفة.

أعداؤها يُحيطون بها من كلّ جهة. لا يقل عدد السفن الرّاسية على السّاحل عن دسته أبداً، وفي بعض الأيام ترى منها مئة تُنزل الجنود إلى اليابسة. كما أن اليونكيين يجلبون الأخشاب عن طريق البحر، ووراء خنادقهم بينون المجانيق والعرّادات والمقاديف الطويلة. في الليالي الهادئة تسمع داني رنين المطارق في الهواء الدافئ الجاف. لكن لا أبراج حصار ولا مدكات. لن يُحاولوا الاستيلاء على (ميرين) بالاقترام، بل سينتظرون خلف خطوط الحصار ويرمونها بالحجارة إلى أن تذلل المجاعة والأمراض شعبها وتُخضعه.

سيجتلب لي هيزدار السّلام، لا مناص من أن يفعل.

ليلتها شوى لها طهاتها جدياً بالتمر والجزر، إلا أن داني لم تستطع أن تأكل ولو قضمه. أعيها احتمال أن تخوض صراعاً آخر مع (ميرين)، وجانب النوم مضجعها حتى عندما عاد داريو ثملاً لدرجة أنه بالكاد استطاع الوقوف. تحت أغطيتها تقلبت وتلوت حاملةً بهيزدار يُقبلها... لكن شفّيته كانت زرقاوين مكدومتين، ولما ولجها كان ذكره بارداً كالجليد. اعتدلت جالسةً بشعرٍ منفوش وقد انعقدت الأغطية على جسدها. قائدها نائم إلى جانبها، لكنها وحيدة. أرادت أن تهزه، تُوقظه، تجعله يحتضنها، ينكحها، يُساعدها على النسيان، لكنها تعلم أنها إذا فعلت فسيكتفي بالابتسام ويتشاءب ويردّ: «كان مجرد حلمٍ

يا مولاتي. عودي إلى النوم». وهكذا، بدلاً من ذلك، ارتدت معطف نوم مزوداً بقلنسوة وخرجت إلى الشرفة ووقفت وراء سورها تتطلع إلى المدينة كما فعلت من قبل مئات المرات. لن تكون مدينتي أبداً، لن تكون وطني أبداً.
طلع ضوء الفجر الوردي الشاحب عليها وهي لا تزال في الشرفة، نائمة على العُشب تحت دثارٍ من الندى، وحين أيقظتها وصفاتها أخبرتهن دنيرس: «وعدتُ داريو بأن أعقد البلاط اليوم. ساعدني على العثور على تاجي. أوه، وبعض الثياب، شيء خفيف».

بعد ساعة نزلت إلى القاعة، حيث أعلنت ميسانداي: «ليركع الجميع لدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترق، ملكة (ميرين)، ملكة الأنداليين والروينار والبشر الأوائل، كاليسي بحر العُشب العظيم، محطمة الأصفاد، وأم التنانين».

انحنى لها رزناك مورزناك، وقال متهلل الأساير: «كل يوم تزدادين حسناً يا صاحبة السمو. أظن أن زفافك المرتقب أضفى عليك وهجاً، آه يا مليكتي البهية!». تنهدت داني قائلة: «استدع الملمس الأول».

كان وقت طويل جداً قد مضى منذ عقدت البلاط حتى إن غمرة الدعوى استبدت بها. مؤخرة القاعة بنيان مرصوص من الناس الذين نشبت بين بعضهم شجارات على الأسبقية. لزاماً، جالازا جالارهي من تقدمت برأس مرفوع ووجهٍ مختفٍ وراء بُرقعٍ أخضر براق، وقالت: «صاحبة الرنونق، الأفضل أن نتحدث على انفراد».

ردت داني بعدوبة: «ليتني أملك الوقت. إن زفافي غداً». لم يكن لقاءها الأخير بذات النعمة الخضراء قد مضى على ما يُرام. «فيم ترغبين مني؟» - «أريد أن أحدثك عن اجترأ قائد جماعة مرتزقة معين».

فكرت داني وقد اشتعلت رجل الغضب في أعماقها: كيف تجرؤ على قول هذا في البلاط المفتوح؟ إنها شجاعة، أقرُّ بهذا، لكن إذا كانت تحسب أنني سأسمح بتوبيخ آخر فقد جانبها الصواب تماماً. قالت: «خيانة بن بلوم النبي صدمتنا جميعاً، لكن أو ان تحذيرك فات. والآن أعلم أنك تُريدن العودة إلى معبدك لتُصلي من أجل السلام».

انحنت ذات النعمة الخضراء قائلة: «سأصلي من أجلك أيضاً».

قالت داني لنفسها والدّماء تصعد إلى وجهها: صفقة أخرى.
تألّفت البقيّة من الملل الذي تعرفه الملكة جيّدًا. جلست على وسائدها
تُصغي مؤرّحةً ساقها بصبرٍ قليل، وفي منتصف النهار جلبت لها چيڤكوي
طبقًا من التّين ولحم الخنزير. بدت الالتماسات بلا نهاية، ومقابل كلّ فردين
انصرفا مبتسمين غادرَ واحد محمّر العينين أو يُرغي ويُزبد.

كان الغروب يدنو حين ظهرَ داريو نهاريِس ومعه غريبان العاصفة الجُدُد،
الوستروسيون الذين تركوا المذروّين وانضمّوا إليه. وجدت داني نفسها
تختلس النّظر إليهم فيما تكلم ملتمس آخر وتكلم. هؤلاء قومي. أنا ملكتهم
الشّرعيّة. يبدوون ثلّةً وضيعةً، لكن هذا هو المتوقّع من المرتزقة بطبيعة الحال.
أصغرهم لا يمكن أن يكبرها بأكثر من عام، أمّا أكبرهم فمؤكّد أنه شهد ستين
يوم ميلاد على الأقل، وتلوح على بعضهم علامات الثروة، من حلقات
الأذرع الذهبيّة إلى القمصان الحريري إلى أحزمة السّيوف المطعّمة بالفصّة.
غنائم. غالبية ثيابهم تقليديّة ويبدو عليها الاهتراء.

عندما تقدّم بهم داريو رأت أن إحداهم امرأة شقراء كبيرة الحجم ترتدي
الحلقات المعدنيّة. دعاها القائد بميريس الحسنا، ولو أن الحُسن آخر ما
يُمكن أن تصفها به داني. تبلّغ المرأة ستّة أقدام طولًا وكلتا أذنيها مبتورتان،
ولها أنف مشقوق وندوب عميقة على وجنتيها كلتيهما وأبرد عينين رأتهما
الملكة في حياتها كلّها. والآخرون...

هو هنجرفورد نحيل جاد الملامح، طويل السّاقين وطويل الوجه،
ويرتدي ثيابًا أنيقةً بهتت ألوانها، ووبر قصير القامة مفتول العضلات، وعلى
رأسه وصدرة وذراعيه وشوم عناكب. ادّعى أورسون ستون ذو الوجه الأحمر
أنه فارس، وكذا لوسيفر لونج النّحيف، ورمقها ويل ابن (الغابة) بشبقي وهو
يجثو أمامها. لديك سترو عينان بزُرقة زهرة الدّرة وشعر أبيض كالألياف الكتّان
وابتسامة مزعجة، ويختفي وجه چاك الزنجبيل وراء لحيّة بُرتقاليّة شعشاء
وينطق كلامًا غير مفهوم، وهو ما فسّره لها هنجرفورد بقوله: «في معركة
الأولى قضم نصف لسانه».

بدا الدورثيون مختلفين، وقد قدّمهم داريو قائلاً: «بعد إذن صاحبة
الجلالة، هؤلاء الثلاثة هم المُصران الأخضر وچيرو ولد والضفدع».

المُصران الأخضر ضخم وأصلح كالحجر، ذراعاه غليظتان تُنافِسان ذراعَي بلواس القوي، وچيرولد شاب طويل نحيل، في شَعْرهُ خطوط بلون الشَّمْس وله عيمان خضراوان مزرقَّتان ضاحكتان. أراهنُ أن هذه الابتسامة ظفرت له بقلوب فتياتٍ عدَّة. معطفه من الصُّوف البني النَّاعم المبطن بالحرير الرَّملي، رداء فاخر.

المُرافق المسمَّى الضَّفدع أصغر الثلاثة سنًّا وأقلهم إثارةً للإعجاب. الفتى مكتنز كئيب الملامح، بَنِي الشَّعر والعينين، وجهه مربع وجبهته عالية وفكُّه ثقيل وأنفه عريض، والزَّغب على وجنتيه وذقنه يجعله يبدو كصبيٍّ يُحاول إطلاقاً لحيته الأولى. لم تفهم داني إطلاقاً لِم يدعونه بالضَّفدع. ربما يستطيع القفز أبعد من الآخرين.

خاطبتهم الملكة: «انهضوا. داريو يُخبرني بأنكم أتيتُمونا من (دورن). مرحباً دوماً بالدورنيين في بلاطي. (صنسيبر) ظلت مخلصةً لأبي حين سرق الغاصب عرشه. مؤكِّد أنكم واجهتم أخطاراً كثيرةً حتى تصلوا إليّ». قال السير چيرولد الوسيم: «كثيرةٌ للغاية. كنا ستَّة حين غادرنا (دورن) يا جلالة الملكة».

ردَّت الملكة: «أسفة لخسارتكم»، والتفتت إلى رفيقه الكبير قائلةً: «المُصران الأخضر اسم عجيب».

- «إنها دُعاة يا صاحبة الجلالة، من الشُّفن. كانت مصاريني مقلوبةً طوال الطَّريق من (فولانتيس)، وظللتُ أتقيّاً و... لا يجدر بي أن أقول». قهقهت داني، وقالت: «أظنُّ أنني أستطيعُ التخمين أيها الفارس. اللُّقب صحيح، أليس كذلك؟ داريو أخبرني بأنك فارس». - «بعد إذن صاحبة الجلالة، ثلاثتنا فُرسان».

رمقت داني داريو فرأت الغضب يُومض على وجهه. لم يكن يعرف. «إنني محتاجة إلى فُرسان».

قال السير بارستان الذي استيقظت شكوكه: «من السَّهل الظُّفر بالفروسيَّة بعيداً عن (وستروس). أنتم مستعدون للدِّفاع عن هذا الادِّعاء بالسَّيف والرَّمح؟».

أجابَ چيرولد: «إذا لزم الأمر، ولو أنني لا أدعي أن أحدنا صنو لباريستان الباسل. أستميحك العُذر يا جلالة الملكة، لكننا جئناك بأسماء زائفة».

قالت داني: «عرفتُ شخصاً آخر فعلَ هذا مرّةً، رجلاً اسمه آرستان ذو اللحية البيضاء. أخبروني بأسمائكم الحقيقية إذن».

- «بكل سرور... لكن إن كان لنا أن نستجدي رحابة صدر الملكة، أهنالك مكان للكلام فيه أعين وأذان أقل؟».

الأعيب داخل الأعيب. «كما ترغبون. سكاهاز، أخل البلاط».

رفع الرأس الحليق عقيرته بالأوامر، وأدّى الوحوش النحاس الباقي سائقين الوستروسيين الآخرين وسائر ملتسمي اليوم من القاعة، ومكث مُستشاروها.

قالت داني: «والآن أسماؤكم».

انحنى چيرولد الشاب الوسيم قائلاً: «السير جيريس درينكووتر يا صاحبة الجلالة. سيفي لك».

وعقد المُصران الأخضر ذراعيه على صدره، وقال: «ومطرتي. أنا السير آرشيولد يرونوود».

سألت الملكة الفتى المسمّى الضفدع: «وأنت أيها الفارس؟».

- «بعد إذن صاحبة الجلالة، هل لي أن أقدم هديتي؟».

أجابت دنيرس بحذر: «إذا أردت»، لكن إذ تقدّم الضفدع قطع عليه داريو نهريس الطريق ومدّ يده المقفزة قائلاً: «أعطني هذه الهدية».

بوجه حجري انحنى الفتى المكتنز وحلّ أربطة فردة حذائه وأخرج رَقاً مصفراً من جيب سرّي بالدّاخل.

قال داريو: «هذه هديتك؟ قطعة ورق؟»، واختطفَ الرّق من يد الدورني وبسطه، ثم ضيق عينيه رامقاً الأختام والتوقيعات، وغمغم: «جميل جداً الذهب والشرائط، لكني لا أقرأ شخبطكم الوستروسيّة».

قال السير باريستان أمراً: «أعطه للملكة، فوراً».

شاعرةً بالغضب المعتمل في القاعة قالت داني بخفّة: «أنا مجرد فتاة صغيرة، والفتيات الصغيرات يجب أن ينلن هداياهن. داريو، أرجوك، لا تُعابثني. أعطني إياها».

وجدت الملكة الرَّقِّ مكتوبًا باللُّغة العاميَّة، وبسطته ببطءٍ متفحِّصَةً الأختام والتَّوقيعات، ولمَّا رأت اسم السير ويلم داري تسارعت نبضات قلبها بعض الشَّيء. قرأت المکتوب مرَّةً ثمَّ أعادت قراءته.

سألها السير باريستان: «هل لنا أن نعلم ما تقوله الورقة يا جلالة الملكة؟». أجابت داني: «إنه اتِّفاق سرِّي جرى في (برافوس) حين كنتُ طفلةً، وقَّعه نيابةً عنا السير ويلم داري، الرَّجل الذي هَرَّبني وأخي من (دراجونستون) قبل أن يقبض علينا رجال الغاصب. الأمير أوبرين مارتل وقَّع ممثلاً (دورن)، ووقَّع أمير بحر (برافوس) باعتباره شاهداً»، وناولت الرَّقِّ للسير باريستان ليقرأه بنفسه متابعَةً: «يقول إن التَّحالف سيبرم بزواج. لقاء مساعدة (دورن) في الإطاحة بالغاصب سيَّخذ أخي فُسيرس آريان ابنة الأمير دوران ملكة له». قرأ الفارس العجوز نصَّ الاتِّفاق بتؤدة، ثمَّ قال: «لو علم روبرت بهذا لدمَّر (صنسيير) كما دمَّر (بايك) من قبل وقطع رأسي الأمير دوران والأفعوان الأحمر... وغالبًا رأس الأميرة الدورنيَّة أيضًا».

قالت دويرس: «لا شك أن الأمير دوران اختارَ الحفاظ على سرِّيَّة الاتِّفاق لهذا السَّبب. لو علم أخي فُسيرس أن في انتظاره أميرة دورنيَّة لعبَرَ البحر إلى (صنسيير) بمجرد بلوغه سنِّ الزَّواج».

قال الضُّفدع: «ومن ثمَّ كانت مطرقة روبرت لتُهوي عليه وعلى (دورن) أيضًا، لكن أبي قنعَ بالانتظار حتى يجد الأمير فُسيرس جيشه».

- «أبوك؟».

جثا على رُكبته قائلاً: «الأمير دوران. جلالة الملكة، يُشرِّفني أن أكون الأمير الدورني كوينتن مارتل وتابعك المخلص».

وضحكت داني.

احتقنَ وجه الأمير الدورني فيما حدجها مُستشاروها بنظرات الدهشة، وتساءلَ الرَّأس الحليق سكاهاز: «صاحبة الرَّونق، لماذا تضحكين؟».

قالت: «يدعونه بالضُّفدع، والآن نعرف السَّبب. في (الممالك السَّبْع) حكايات أطفال عن ضفادع تتحوَّل إلى أمراء مسحورين حين تُقبَّلهم حبيبتهم الحقيقيَّة»، وابتسمت للفارسان الدورنيَّين وعادت تتكلَّم العاميَّة متسائلةً: «أخبرني أيها الأمير كوينتن، أنت مسحور؟».

- «لا يا جلالة الملكة».

- «كما خشيت». ليس مسحورًا ولا ساحرًا للأسف. مؤسف أنه هو الأمير وليس الآخر عريض الكتفين رملي الشعر. «لكنك أتيت راغبًا في قبلة. تُريد أن تنزّوجني، أليس كذلك؟ الهدية التي جلبتها لي هي نفسك. بدلًا من فُسيرس وأختك فعلينا أنا وأنت إبرام الاتفاق إذا أردتُ (دورن)».

- «أبي أمل أن تجديني مقبولًا».

أطلق داريو ضحكةً ساخرةً، وقال: «أقولُ إنك جرو صغير. الملكة محتاجة إلى رجل إلى جوارها لا إلى صبيِّ باك. أنت لا تصلح زوجًا لامرأةٍ مث لها. حين تلعق شفتيك أما زلت تذوق لبن أمك؟».

ردَّ السير جيريس درينكووتر بصرامة: «احفظ لسانك أيها المرتزق. إنك تُخاطب أميرًا دورنيًا».

قال داريو: «ومرضعته أيضًا على ما أظنُّ»، ومسَّ مقبضي سلاحه بإبهاميه مبتسمًا بخطورة.

عبس سكاهاز عبوسه المعهود قائلاً: «قد يصلح الفتى لـ(دورن)، لكن (ميرين) تحتاج إلى ملكٍ من الدّم الجيسكاري».

قال رزناك مو رزناك: «سمعت عن (دورن) هذه. (دورن) رمال وعقارب ورجال حمراء مقفرة تحرقها الشمس».

ردَّ عليه الأمير كوينتن: «(دورن) خمسون ألف حربةٍ وسيف تحت إمرة مليكتنا».

متهكمًا قال داريو: «خمسون ألفًا؟ عددتُ ثلاثة فحسب».

قاطعتهم دنيرس: «كفى! الأمير كوينتن قطع نصف العالم ليُقَدِّم لي هديته، ولا أسمح بمعاملته بامتهان»، والتفتت إلى الدورنيين قائلة: «ليتكم جئتم قبل عام. لقد نذرتُ نفسي للزواج بالنَّبيل هيزدار زو لوراك».

قال السير جيريس: «لم يفت أوان...».

قاطعته دنيرس: «أنا الحَكَم في هذا. رزناك، احرص على إعطاء الأمير ورفيقه مسكنًا يليق بمقامهم العالي وتلبيه حاجاتهم».

- «كما تأمرين يا صاحبة الرّونق».

نهضت الملكة قائلة: «انتهينا الآن إذن».

تبعها داريو والسير باريستان إلى مسكنها بالأعلى، حيث قال الفارس العجوز: «هذا يُغيّر كل شيء».

ردّت داني وإيري تخلع تاجها: «بل لا يُغيّر شيئاً. ما جدوى ثلاثة رجال؟». قال سلمى: «ثلاثة فرسان».

وعقب داريو بجهامة: «ثلاثة كذابين. لقد خدعوني».

قالت: «واشتروك أيضاً لا ريب»، فلم يُحاول الإنكار.

بسّطت داني الرقّ وفحصته ثانية. (برافوس)، هذا الاتفاق أجري في (برافوس)، حين كنا نقطن بالمنزل ذي الباب الأحمر. لماذا يُشعرها هذا بغرابة بالغة؟

وجدت نفسها تتذكّر كابوسها. في الأحلام حقائق أحياناً. أيّمكن أن هيزدار يعمل لحساب الدجالين؟ أهذا هو المغزى من الحلم؟ أيّمكن أن الحلم كان مرسلًا إليها؟ هل تُخبرها الآلهة بأن تنبذ هيزدار وتتزوج هذا الأمير الدورني بدلاً منه؟ داعب شيء ما ذاكرتها، فتساءلت: «سير باريستان، ما رمز عائلة مارتل؟».

- «شمس ساطعة تخترقها حربة».

ابن الشمس. سرت في جسدها رعدة، وغمّمت: «ظلال وهمسات». ماذا قالت كويث أيضاً؟ الفرس الشاحبة وابن الشمس. وذكرت أسداً أيضاً، وتنبأ. أم أنني أنا التنبئ؟ «احذري القهرمان العاطير». هذا تدكّره. «الأحلام والنبوءات. لماذا تتخذ دوماً صورة الأحاجي؟ كم أكره هذا. أوه، اتركني أيها الفارس. إن زفافي غداً».

ليلتها أتاها داريو بكلّ وضع يأتي به رجل امرأة، وسلّمت نفسها إليه طواعية. في المرّة الأخيرة، فيما بدأت الشمس تُشرق، استعملت فمها لتجعله ينتصب ثانية كما علّمها دوريا منذ زمن، ثم إنها اعتلته بضاوية جعلت جرحه ينزف من جديد، وللحظة واحدة حلوة لم تُعد تدري إن كان هو بداخلها أم هي التي بداخله.

لكن حين أشرقت الشمس صبيحة يوم زفافها نهض داريو يرتدي ثيابه ويتمنطق بحزامه بامرأته الذهبيتين اللعوبين.

خاطبته داني: «أين ستذهب؟ أمنعك من أن تشنّ غارة اليوم».

ردّ قائدها: «ملكيتي قاسية. إذا لم أقتل أعداءك فكيف أسلّي نفسي في أثناء زفافك؟».

- «بحلول المساء لن يكون لي أعداء».

- «الفجر طلع لتوه يا ملكيتي الجميلة. اليوم طويل، وقت يكفي لغارة أخيرة. سأتيك برأس بن بلوم البني كهدية زفاف».

بإصرار قالت داني: «لا رؤوس. فيما سبق كنت تأتيني بالزهور».

- «فليأتيك هيزدار بالزهور. صحيح أنه ليس من النوع الذي ينحني ليقطف نبتة، لكن عنده خدمة يسرهم أن يفعلوها بدلاً منه. هل تأذنين لي في الانصراف؟».

- «لا». تُريده أن يبقى ويحتضنها. يوماً ما سيذهب ولا يعود، يوماً ما سيرميهِ قوأس ما بسهم في صدره، أو ينقض عليه عشرة رجال بالسيوف والحراّب والفؤوس، عشرة ينشدون البطولة. خمسة منهم سيموتون، لكن ذلك لن يهون لوعتها. يوماً ما سأفقدّه كما فقدت شمسي ونجومي، لكن أرجوك أيتها الآلهة، ليس اليوم. قالت: «عدّ وقبّلي». لا أحد من قبل قبلها مثل داريو نهاريس. «أنا ملكتك، وأمرّك بأن تُصاحجيني».

قالتها مزحة، لكن قسوة لاحت في عيني داريو، وقال: «مضاجعة الملكات عمل الملوك. يستطيع نبيلك هيزدار أن يفعل هذا ما إن تزوّجا، وإذا أتضح أنه أرقى من أن يُؤدّي عملاً شاقاً كهذا فإن عنده خدمة يسرهم أن يُؤدّوه من أجله أيضاً. أو يُمكنك أن تدعي صبيك الدورني إلى فراشك، وصديقه الوسيم أيضاً، ولم لا؟». قالها وغادر غرفة نومها.

سيسنُّ غارة، وإذا قطع رأس بن بلوم فسيدخل مأدبة الزفاف ويلقيه عند قدمي. ليُنقذني (السبعة). لماذا لم يُؤد أعلى مقاماً؟

بعد رحيله جلبت ميسانداي للملكة وجبة بسيطة من جُبنة الماعز والزيتون والزبيب، وقالت: «صاحبة الجلالة محتاجة إلى ما هو أكثر من النبيذ على الإفطار. إنك صغيرة الحجم للغاية، ومؤكد أنك ستحتاجين إلى طاقتك كلّها اليوم».

ضحكت داني للقول الآتي من فتاة صغيرة الحجم للغاية عن نفسها. إنها تعتمد كثيراً على المترجمة الصغيرة لدرجة أنها غالباً ما تنسى أن ميسانداي

بلغت الحادية عشرة فقط لتوها. تقاسمتا الطعام في شرفتها، وبينما قضمت داني من زيتونة رمقتها الفتاة النائية بعينين كالذهب المصهور قائلة: «لم يفت أوان إخبارهم بأنك قررت ألا تتزوجي».

فكرت الملكة بأسى: لكنه فات بالفعل. «دماء هيزدار عريقة ونبيلة، وسيضم قراننا معتقي إلى قومه. حين نصبح واحدا كذا ستصبح مدينتنا».

- «صاحبة الجلالة لا تحب النبيل هيزدار. هذه الواحدة تظن أنك تفضلين أن تتزوجي أحدا آخر».

يجب ألا أفكر في داريو اليوم. قالت داني: «على الملكة أن تحب من يجب أن تحبه وليس من تريد أن تحبه»، ثم أتبعته وقد فقدت شهيتها: «ارفعي هذا الطعام. حان وقت حمّامي».

بعدها، فيما جففت جيكوني بدن دنيرس، جاءتها إيربي بتوكارها. غبطت داني الوصيفتين الدوثراكيّتين على سراويلهما الفضفاضة المفصلة من الحرير الرّملي وصدرتيهما الملونتين، إذ ستشعران بحرارة أفر كثيرًا منها في التوكار الثقيل المهدّب باللآلئ الصغيرة. قالت: «ساعداني على لف هذا الشيء حول نفسي. لا أستطيع التعامل مع كل هذا اللؤلؤ وحدي».

تعلم أن المفترض أن تترقب زفافها والليلة التي ستبته بهفة. تذكرت ليلة زفافها الأول، عندما فضّ الكال دروجو بكارتها تحت النجوم الغربية، وتذكرت كم كانت خائفة ومستثارة. هل سيحدث هذا مع هيزدار أيضًا؟ لا، فلم أعد الفتاة التي كنتها، وهو ليس شمسي ونجمي.

عادت ميسانداي من داخل الهرم قائلة: «رزنك وسكاهاز يلتمسان شرف مصاحبة جلالتك إلى (معبد ذوات النعم). رزنك أمر بتجهيز هودجك».

نادرًا ما يركب الميرينيزيون الخيل داخل مدينتهم، ويفضلون الهودج والمحفات والكراسي المحمولة على أكتاف عبيدهم. كان أحد رجال عائلة زاك قد أخبرها: «الخيّل تُلوّث الشوارع، أمّا العبيد فلا». حرّرت داني العبيد، لكن الهودج والمحفات والكراسي المحمولة لم تزل تخنق الشوارع، وليس منها ما يطفو في الهواء بفعل السّحر.

قالت داني: «النّهار أشدّ حرارة من أن أجلس حبيسة في هودج. قولي لهم أن يُجهّزوا فرسي الفضية. لن أذهب إلى السيّد زوجي على ظهور الحاملين».

رَدَّتْ ميسانداي: «جلالة الملكة، هذه الواحدة آسفة، لكنك لا تستطيعين الرُّكوب بالتوكُّار».

المُترجمة الصَّغيرة محقَّقة كديدها. التوكُّار ليس بالثَّوب الصَّالح للرُّكوب. أبدتْ داني امتعاضها على ملامحها قائلةً: «كما تقولين. لكني لن أركب الهودج وإلاَّ اختنقتُ وراء السَّائِر. اجعلهم يُجهِّزون كُرسيًّا محمولًا». إذا كان عليها أن تضع أُذنيها الرِّخوتين فلتَرها الأرانب جمعاء.

حين نزلتْ داني خرَّ رزناك مو رزناك على رُكبته قائلاً بتزُّلف: «صاحبة العبادة ساطعة لدرجة أنها ستُعمي أيَّ رجل يجروُّ على النِّظر إليها». يرتدي القهرمان توكُّارًا من السَّميت الأحمر المصفرَّ المهذب بالذَّهب. «هيزدار زو لوراك محظوظ للغاية بك... وأنتِ به، إذا سمحتِ لي. هذه الزَّيجة ستُعقِّد مدينتنا، سترين».

- «هذا ما أتمناه. أريدُ أن أزرع أشجار الزَّيتون وأراها تُثمر». هل يهيمُ أن قُبلات هيزدار لا تسرُّني؟ السَّلَام سيسرُّني. أنا ملكة أم مجردُ امرأة؟ قال الرُّأس الحليق: «سيكون الزَّحام شديدًا كأسراب الذُّباب اليوم». يرتدي سكاهاز تنورة سوداء ذات طيَّات وواقِي صدر مطرِّقًا بحيث يبدو كأنه مفتول العضلات، وقد وضع تحت إبطه خوذة نحاسية على شكل رأس أفعى. - «هل يُفترض أن أخشى الذُّباب؟ وحوشك النحاسية سيحمونني من أيِّ أذى».

الوقت غسق دومًا داخل قاعدة (الهرم الأكبر)، كما تكتم الجُدُران التي يبلُغ سُمكها الثلاثين قدمًا صخب الشَّوارع وتحجب الحرارة، فوجدتْ داني المكان فاترًا معتمًا. كانت مجموعتها المصاحبة تتخذ تشكيل الخروج عند البوابة. في الجُدُران الغربية اسطبلات الخيول والبغال والحمير، وفي الشرقية الأفيال، تلك الدَّواب الهائلة الغربية التي حصلتْ داني على ثلاثة منها مع الهرم. تُذكِّرها بماموثات رمادية بلا شعر، ولو أن أنياب هذه بُترتْ ودُهِّبتْ، وأعيُنُها حزينة.

وجدتْ بلواس القوي يأكل العنب، فيما شاهدَ باريستان سلمِي عامل اسطبل يوثق حزام سرج حصانه الرَّمادي الأرقط. رأتْ الدورنيين الثلاثة معه يتكلَّمون، لكنهم قطعوا كلامهم لَمَّا ظهرتْ الملكة، وجثا الأمير على رُكبته

أمامها قائلاً: «صاحبة الجلالة، لا مفرّ من أن أستحلفك. قوّة أبي تخور، إلاّ أن ولاءه لقضيتك ما زال في أوج قوّته. إذا أثارَ أسلوبِي أو شخصي استياءك فهذا ذنبي، ولكن...».

قاطعته دنيرس: «إذا أردت أن تسرّني أيها الفارس فاسعد من أجلي. إنه يوم زفافي. لا شكّ أنهم يرقّصون الآن في المدينة الصّفراء»، وتنهّدت مردفةً: «انهض يا أميري وابتسم. يوماً ما سأعودُ إلى (وستروس) لأستردّ عرش أبي، وحينها سأطلّعُ إلى عون (دورن). لكن في يومنا هذا يُحاصر اليونكيون مدينتي بالفولاذ. قد أموتُ قبل أن أرى ممالكي السّبع، وقد يموت هيزدار، وقد يتلج البحر (وستروس)»، ثم لثمته داني على خدّه مضيّفةً: «هلمّ. حانَ وقت زفافي». ساعدها السير بارستان على اعتلاء كرسيّها المحمول، وعادَ كويتن إلى صديقيه الدورنيين، وزعقَ بلواس أمرًا بفتح البوّابة، وحملت دنيرس تارجارين إلى ضوء الشّمس في الخارج، يتحرّك سلمي إلى جوارها على صهوة حصانه الرّمادي الأرقط.

قالت داني إذ انعطفَ الموكب في اتّجاه (معبد ذوات النّعم): «أخبرني، لو كانت لأبي وأمّي الحرّية في اتّباع قلوبهما فمنَ كانا ليختار اللّزواج؟».

- «كان ذلك منذ زمنٍ طويل. جلالتك لن تعرفي عمّن أتكلّم».

- «لكنك عرفتهم. أخبرني».

حنى الفارس المسنُّ رأسه إذعاناً، وقال: «أمّك الملكة كانت دائمة الاهتمام بواجبها». يبدو سلمي وسيماً في درعه بلونيهما الذهبِي والفضي ومعطفه الأبيض المنسدل من على كتفيه، وإن تكلم كرجل يتألّم، كأن كل كلمة حصوة عليه أن يتبولّها. «لكن حين كانت فتاةً صغيرة... في مرّة فُتنت بفارس شاب من أراضي العواصف وضعَ عطيتها على ذراعه في دورة مباريات وأعلنها ملكة الحُبّ والجَمال. كانت علاقةً عابرةً».

- «وماذا حدث لهذا الفارس؟».

- «تحلّى عن رُمحه يوم رُقت السيّدة والدتك إلى أبيك، وبعدها تنسّك وسمِع يقول إن (العذراء) وحدها تستطيع أن تحل محل الملكة ريبلا في قلبه. كان عشقه مستحيلاً بالطّبع. الفارس مالك الأراضي ليس زوجاً صالحاً لأميرة من الدّماء الملكيّة».

وداريو نهاريس ليس إلا مرتزقًا، لا يصلح حتى لوضع ركب ذهبي
لحصان فارس مالك أراضٍ. «وأبي؟ هل كانت هناك امرأة أحبها أكثر من
ملكته؟».

اعتدل السير باريستان فوق سرجه فائلاً: «لم... لم يحبها. قد يكون
«أرادها» التعبير الأصح، ولكن... كانت تلك مجرد نميمة مطايخ، همس
الغسالات وعاملي الاسطبلات...».

- «أريد أن أعلم. لم أعرف أبي قطُّ، وأريد أن أعرف كل شيء عنه، الخير
و... البقية».

قال الفارس الأبيض منتقياً كلماته بعناية: «كما تأمرين. الأمير إيرس... في
شبابه انجذب إلى ليدي معيئة من (كاسترلي روك)، ابنة عمّ تايوين لانستر.
يوم زفافها إلى تايوين أفرط أبوك في شرب النبيذ خلال المأدبة وسُمع يقول
إنه من المؤسف للغاية أن حق اللورد في الليلة الأولى لم يعد ساريًا. كانت
دُعابة من جرّاء السكر لا أكثر، لكن تايوين لانستر لم يكن بالرجل الذي ينسى
كلمات كهذه، أو... الكلفة التي رفعها أبوك خلال مراسم الإضجاع»،
وأضاف سلمي وقد احمرّ وجهه: «قلت أكثر من اللازم يا جلالة الملكة.
إنني...».

- «مرحبًا أيتها الملكة الكريمة!». كان موكب آخر قد لحق بموكبها، ورأت
هيزدار زو لوراك بيتسم لها من فوق كرسيه المحمول. ملكي. تساءلت داني
أين داريو الآن وماذا يفعل. لو كانت هذه قصةً لهروول إلى المعبد في اللحظة
المناسبة ليتحدّى هيزدار من أجل يدي.

جنبًا إلى جنب مضى موكب الملكة وهيزدار زو لوراك ببطءٍ عبر (ميرين)
إلى أن لاح (معبد ذوات النعم) أمامهما أخيرًا بقبابه البرّاقة في ضوء الشمس.
حاولت الملكة أن تقول لنفسها: يبدو رائع الجمال، لكن بتنا صغيرة حمقاء في
داخلها لم تستطع أن تمنع نفسها من التلفت بحثًا عن داريو، وبتصميم قالت
لها هذه البنت: لو أحبك لأنّي يختطفك بحدّ السيف كما اختطف ريجار تلك
الفتاة الشماليّة، غير أن الملكة تعرف أنها حماقة. حتى إذا كان قائدها بالجنون
الكافي للإقدام على شيء كهذا فسيقتله رجال الوحوش النحاس قبل أن يدنو
منها مئة ياردة.

انتظرت جالازا جالار العريس والعروس خارج أبواب المعبد
محاطةً بأخواتها مرتديات الأبيض والوردي والأحمر والأزرق والذهبي
والأرجواني. عددهن أقل مما كان. جاست داني بعينها بينهن بحثاً عن إزارا
ولم تجدها. هل أخذها الإسهال الدّموي بدورها؟ على الرغم من أن الملكة
تركت الأستاپوريين يموتون جوعاً خارج أسوارها للحيولة دون انتشار
الإسهال الدّموي في المدينة فإنه ما زال ينتشر. كثيرون أصابهم الداء؛ معتقون
ومرتزة ووحوش نحاسية، وحتى بعض الدوثرافي، ولو أنه لم يمسه أحدًا
من المُطهرين حتى الآن. تأمل داني أن الأسوأ انقضى.

جلبت ذوات النعم مقعدًا من العاج ووعاء من الذهب، وبأناقية أمسكت
دنيرس تارجارين توكرها لثلاثت عشر في أهدايه وجلست على وسادة المقعد
القطيفة، وأمامها ركع هيزدار زو لوراك وخلع صندلها وغسل قدميها فيما
غني خمسون من المخصيين وشاهدت عشرة آلاف عين. قالت لنفسها متأملة
والزيوت العطرة الدافئة تسيل بين أصابع قدميها: يداه رقيقتان. إذا كان قلبه
رقيقاً أيضًا فقد أغرم به مع الوقت.

عندما نظفت قدميها جففهما هيزدار بمنشفة ناعمة وعاد يعقد أربطة
صندلها وساعدها على القيام، ويدين متعانقتين تبعا ذات النعمة الخضراء
إلى داخل المعبد، حيث يُعَبَّق البخور الهواء وتقف آلهة (جيس) متشحة
بالظلال في تجاويها.

وبعد ساعاتٍ أربع خرجا ثانيةً زوجًا وزوجةً، مربوطين معًا من المعصم
والكاحل بسلاسل من الذهب الأصفر.



چون

حطَّت الملكة سيليس على (القلعة السوداء) مصطحبةً ابنتها ومهرج ابنتها وخادماها ورفيقاتها وحاشيةً من الفرسان والحُرَّاس الشخصيين وخمسين جنديًا. علمَ چون سنو من فوره أنهم من رجال الملكة جميعًا. يُرافقون سيليس، لكن مخدومتهم مليساندرا. كانت الرَّاهبة الحمراء قد نبَّهته إلى مجيئهم قبل يوم تقريبًا من وصول الغُداًف من (القلعة الشَّرقيَّة) بالرسالة نفسها.

قَابَلَ طُعْمَةُ الملكة عند الاسطبلات وفي صُحْبته ساتان وباون مارش ونِصف دستةٍ من الحرس في معاطف سوداء طويلة، فلم يكن ليصلح أبدًا أن يقف دون حاشيته الخاصَّة أمام هذه الملكة إذا صدق نصف ما يُقال عنها، فلربما كانت لتحسبه عامل اسطبل وتُناوله زمام حصانها.

كانت الثلوج قد تجاوزتْهم إلى الجنوب أخيرًا مانحةً إياهم مُهلَةً من الرَّاحة، بل وحملَ الهواء نزرًا يسيرًا من الدَّفء إذ جثا چون سنو أمام هذه الملكة الجنوبيَّة قائلاً: «(القلعة السوداء) تُرْحَب بكِ وبمن معكِ يا صاحبة الجلالة».

نظرتْ إليه الملكة سيليس من أعلى مجيبةً: «أشكرك. من فضلك اصحبني إلى قاتلك».

- «إخوتي اختاروني لهذا الشرف. أنا چون سنو».

- «أنت؟ قالوا إنك صغير، لكن...». للملكة سيليس وجه ممصوص شاحب، وتضع على رأسها تاجًا من الذهب الأحمر تتخذ أطرافه شكل السنة اللهب، توأم التاج الذي يعتمره ستانيس. «... يُمكنك أن تنهض أيها اللورد سنو. هذه ابنتي شيرين».

قال چون للفتاة حانياً رأسه: «سمو الأميرة». شيرين طفلة دميمة قَبَّحها أكثر الداء الأرمد الذي ترك عُقْها جزءاً من وجنتها متيسين رماديين مشققين. «أنا وإخوتي في خدمتك».

تورّد وجه شيرين، وقالت: «أشكرك يا سيدي».

واصلت الملكة: «أعتقد أنك تعرف قريبي السير أكسل فلورنت؟».

- «عن طريق الغدافان فقط». والتقارير. احتوت الرسائل التي تلقاها من (القلعة الشرقية) على أشياء كثيرة قيلت عن أكسل فلورنت، وقليل منها للغاية جيد. «سير أكسل».

- «لورد سنو». فلورنت رجل ممتلي قصير الساقين ثخين الصدر، يُغطي الشعر الخشن وجنتيه ولُغده ويبرز من أذنيه ومنخريه.

تابعت الملكة: «فُرساني الأوفياء. السير ناربرت، السير بنيثون، السير بروس، السير باتريك، السير دوردن، السير ميلجورن، السير لامبرت، السير پركين». انحنى كل من الفُرسان بدوره، أمّا المهرّج فلم تُجسّم الملكة نفسها عناء تقديمه، لكن أجراس الأبقار المعلقة من قُبعته ذات القرون، علاوة على الوشوم على وجنتيه المتفتختين، جعلت إغفاله صعباً. ذو الوجه المرقع. ذكرته رسائل كوتر بايك أيضاً، وقال بايك إنه أبله.

ثم إن الملكة أشارت إلى عضو آخر لافت للانتباه في حاشيتها، رجل طويل رفيع كالعصا، تزيده طولاً قُبعة غريبة ثلاثية الصُفوف من المخمل الأرجواني. «وهذا هو المحترم تايكو نستوريس، مفوض مصرف (برافوس) الحديدي الذي أتي يتعامل مع صاحب الجلالة الملك ستانيس».

خلع الصيرفي قُبعتَه وانحنى بحركة مسرحية قائلاً: «حضرة القائد، أشكرك وإخوانك على كرم ضيافتكم». يتكلم اللغة العامية بطلاقة تشوبها لُكنة خفيفة للغاية. يفوق البرافوسى چون طولاً بنصف قدم، وله لحية رفيعة كالحبل نابته من ذقنه وتسديل حتى خصره تقريباً، وثوبه أرجواني داكن موشى بفرو القاقوم، وتصنع ياقة طويلة جامدة إطاراً لوجهه الضيق. «أمل ألا نُثقل عليكم كثيراً».

- «إطلاقاً يا سيدي. أهلاً بك ومرحباً». أكثر من هذه الملكة في الواقع. كان كوتر بايك قد أرسل إليهم غداً يُنبههم إلى قدوم الصيرفي أيضاً، ومنذ ذلك الحين لم يُفكر چون سنو في شيء آخر تقريباً.

عادَ چون يلتفت إلى الملكة، وقال: «لقد جهَّزنا المسكن الملكي في (بُرج الملك) لإقامة جلالتك طيلة الفترة التي تشائينها. هذا هو قيمُّ وكلائنا باون مارش، سيجد مساكن لرجالِك».

- «لُطف منكم أن تُفسيحوا لنا مكانًا». تكلمت الملكة بكياسة لا بأس بها، لكن نبرتها قالت: ليس هذا أكثر من واجِبكم، وخيرٌ لكم أن يُرضيني هذا المسكن. «لن نبقى معكم طويلاً، بضعة أيام على الأكثر. نيتنا أن نواصل الطريق إلى مقرِّنا الجديد في (قلعة الليل) بمجرد أن نستريح. الرحلة من (القلعة الشَّرقيَّة) كانت متعبة».

- «كما تقولين يا جلالة الملكة. مؤكِّد أنكم بردانون وجائعون. ثمة وجبة ساخنة تنتظركم في قاعتنا العامَّة».

قالت الملكة: «عظيم»، وجاست بنظرها في السَّاحة مضيئةً: «لكن أولاً تُريد أن تتشاور مع الليدي مليساندرا».

- «بالتأكيد يا جلالة الملكة. مسكنها أيضًا في (بُرج الملك). تفضُّلي، من هنا».

أومأت الملكة سيليس برأسها وأخذت ابنتها من يدها وسمحت له بأن يقودهما من الاسطبلات، وتبعهم السير أكسل والصَّيرفي البرافوسي والبقية كأفراخ بطَّ صغيرة ترتدي الصُّوف والفرو.

قال چون سنو: «صاحبة الجلالة، لقد بذلَ بناؤونا كلَّ ما بوسعهم لتجهيز (قلعة الليل) لاستقبالِك... لكن معظمها ما زالَ أطلاقاً. إنها قلعة قديمة، الأكبر على (الجدار)، ولم نتمكنْ إلَّا من ترميم جزءٍ منها. قد تكونين أكثر راحةً في (القلعة الشَّرقيَّة)».

تنشَّفت الملكة سيليس، وقالت: «لن نرجع إلى (القلعة الشَّرقيَّة). لم نحبَّ المكان هناك. المفترض أن تكون الملكة الأمرة النَّاهية تحت سقفها. وجدنا أخاك كوتر بايك رجلًا سمجًا فظًّا، رجلًا مشاكسًا بخيلًا».

حريُّ بك أن تسمعي ما يقوله كوتر عنك. «أسفٌ لهذا، لكنني أخشى أن الأوضاع في (قلعة الليل) لن تُعجب صاحبة الجلالة أكثر. إننا نتكلَّم عن قلعةٍ لا قصر، مكان موحش بارد، في حين أن (القلعة الشَّرقيَّة)...».

قاطعته الملكة: «(القلعة الشَّرقيَّة) ليست آمنَّة!»، ووضعت يدها على

كتف ابنتها مضيئةً: «هذه هي وريثة الملك الشَّرعية. يوماً ما سترتقي شيرين العرش الحديدي وتَحكُم (الممالك السَّبع). لا بُدَّ من حمايتها من الأذى، و(القلعة الشَّرقية) هي النُّقطة التي سيقع عليها العُدوان. (قلعة اللَّيل) المكان الذي اختاره زوجي مقراً لنا، وهناك سنسكُن. إننا... أوه!».

قاطعها الظلُّ الهائل الذي خرجَ من وراء هيكل (بُرج القائد). صرخت الأميرة شيرين، وشهقَ ثلاثة من فرسان الملكة في آنٍ واحد، وصاحَ آخر: «لِيُنقذنا (السَّبعة)!»، ناسياً ربَّه الأحمر الجديد من الصَّدمة.

أخبرهم چون: «لا تخافوا. إنه لا يُؤذي أحداً يا جلالة الملكة. هذا وَن وَن».

قعقع صوت العملاق كجُلمودٍ ينهار على جانب جبل: «وَن وَج وَن دار وَن»، وجثا على رُكبته أمامهم، وإن ظلَّ مرتفعاً فوقهم حتى وهو راكع. «أرُكعُ ملكة. صغيرة ملكة». كلمات لَقنه ليدرز إياها لا ريب.

اتَّسعت عينا الأميرة شيرين عن آخرهما، وقالت: «إنه عملاق! عملاق حقيقي كما في القصص. لماذا يتكلم بغرابة؟».

أجابها چون: «لم يتعلَّم إلاّ كلماتٍ قليلة من العامية حتى الآن. في أراضيهم يتكلم العمالقة اللُّغة القديمة».

- «هل يُمكنني أن ألمسه؟».

قالت أمُّها: «يُسْتَحْسَنُ ألاّ تفعل. انظري إليه، إنه مخلوق قدر»، والتفتت الملكة بوجهها العابس إلى چون متسائلةً: «لورد سنو، ما الذي يفعله هذا المخلوق الوحشي على جانبنا من (الجدار)؟».

- «وَن وَن ضيف حرس اللَّيل، مثلك».

لم يُرُق الجواب الملكة ولا فرسانها. كَشَّر السير آكسل اشْمِزَّازًا، وأصدرَ السير بروس ضحكةً عصبيةً مكتومةً، وقال السير ناربرت: «قيل لي إن العمالقة انقرضوا جميعاً».

- «جميعهم تقريباً». وبكثهم إيجريت.

جرَّ ذو الوجه المرَّقع قدميه على الأرض في حركةٍ راقصةٍ عجيبةٍ قائلاً: «في الظُّلمات يَرُقُّص الموتى. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه». في (القلعة الشَّرقية) خاطَّ له أحدهم معطف مهرَّجين من فرو القنادس والأرانب

وصوف الخراف، ومن قرون قُبِعته تتدلَّى الأجراس وقطعتان طويلتان من فرو السَّنَاجب تُغَطِّيان أذنيه. كلُّ خُطوةٍ يأخذها تجعله يُجَلِّجِل.

حملق إليه وَنَ وَنَ بافتتان، لكن حين مدَّ العملاق يده إليه وثبَّ المهرج متراجعا، وصاح: «أوه، لا! أوه، لا! أوه، لا!»، وهو ما جعل وَنَ وَنَ يهيب واقفا. أمسكت الملكة شيرين وسحبتهما إلى الوراء، ومدَّ فرسانها أيديهم إلى سيوفهم، ودارَ ذو الوجه المرقع مذعوراَ وفقدَ توازنه وسقطَ على وجهه في كومة ثلج.

بدأ وَنَ وَنَ يضحك، وإن ضحك عملاق بدازئير التَّنين بالمقارنة كالهيمسة. غطَّى ذو الوجه المرقع أذنيه، ودفنت الأميرة شيرين وجهها في معطف أمها، فيما تقدَّم أجراء فرسان الملكة مجردًا فولاذه، لكن چون رفع ذراعه يسدُّ طريقه قائلاً: «لست تُريد إغضابه، صدَّقني. أغمِد سيفك أيها الفارس. ليذرز، خذ وَنَ وَنَ إلى (برج هاردين)».

سأل العملاق: «ياكل الآن وَنَ وَنَ؟».

أجابه چون: «ياكل الآن»، وقال لليذرز: «سأرسل إليه سلَّة من الخضراوات وإليك لحماً. أشعل ناراً».

قال ليذرز بابتسامةٍ واسعة: «سأفعل يا سيدي، لكن (برج هاردين) شديد البرودة. هلاً أرسل سيدي القليل من النبيذ لتندفأ؟».

- «لك أنت. هو لا». لم يذُق وَنَ وَنَ النبيذ قطُّ حتى وصلَ إلى (القلعة السوداء)، لكن ما إن ذاقه راقه لدرجةٍ مهولة. لدرجةٍ لا تُطاق. على كاهل چون الآن هموم تكفي دون أن يُضيف إليها عملاقاً سَكِّيراً. عادَ يلتفت إلى فرسان الملكة قائلاً: «اعتادَ السيّد والدي أن يقول إنه لا يجدرُ بالرجل أن يستلَّ سيفه إلا بنيةٍ استخدامه».

- «كان استخدامه نيّتي». للفارس وجه حليق لوَحته الرِّيح، وتحت معطفٍ من الفرو الأبيض يرتدي سُترَةً طويلةً من قُماش الفضة مزينةً بنجمةٍ خُماسيةٍ زرقاء. «تصوّرتُ أن حرس الليل يُدافعون عن البلاد ضد هذه الوحوش، لكن أحداً لم يذكُر أنكم تحتفظون بها كحيواناتٍ أليفة».

أحمق جنوبي لعين آخر. «أنت...؟».

- «السير باتريك ابن (جبل الملك)، بعد إذن سيدي».

- «لا أدري كيف تُراعون حقَّ الضَّيافة على جبلكم أيها الفارس، لكنه مقدَّس عندنا في الشَّمال. وَنَ وَنَ ضيف هنا».

ابتسم السير پاتريك متسائلًا: «أخبرني أيها القائد، إذا جاء (الآخرون) فهل تنوي إعطاءهم حقَّ الضَّيافة أيضًا؟»، والتفت إلى ملكته قائلاً: «جلالة الملكة، ها هو ذا (بُرج الملك) هناك إن لم أكن مخطئًا. هل تسمحين لي بشرف اصطحابك؟».

أجابَت الملكة: «كما ترغب»، وتابَّطت ذراعه وغادرت متجاوزةً رجال حرس اللَّيل دون نظرةٍ أخرى.

ألستة اللَّهب تلك في تاجها أذفاً ما فيها. نادى چون: «لورد تايكو، لحظة من فضلك».

توقَّف البراؤوسي قائلاً: «لستُ لورد، بل مجرد خادمٍ بسيطٍ لمصرف (براؤوس) الحديدية».

- «كوتر پايك أخبرني بأنك وصلت إلى (القلعة الشَّرقيَّة) بثلاث سُنن، قاليون وقادس وكوج».

- «بالضَّبط يا سيِّدي. من شأن عبور البحر أن يكون خطرًا في هذا الفصل. قد تغرق سفينة واحدة، لكن ثلاثًا معًا يستطعن إعانة بعضهم بعضًا. (المصرف الحديدية) يتوخَّى الاحتراس دومًا في تلك المسائل».

- «هل لنا أن نتكلَّم على انفراد قبل أن ترحل؟».

- «أنا في خدمتك أيها القائد. وفي (براؤوس) نقول إن لا وقت أصلح من الحاضر. هل يُناسِبك هذا؟».

- «يُناسبني تمامًا. هل نذهب إلى عُرفتي الشَّمسيَّة أم أنك ترغب في رؤية قَمَّة (الجدار)؟».

رفع الصَّيرفي ناظره إلى أعلى حيث يرتفع الجليد شاهقًا شاحبًا تحت السَّماء، وقال: «أخشى أن البرودة قارسة على القمَّة».

- «والريِّح شديدة أيضًا. المرء يتعلَّم أن يمشي بعيدًا عن الحافة. حدث أن أطاحت الرِّيح برجالٍ من أعلى. غير أن (الجدار) لا يُشبه شيئًا آخر على وجه البسيطة، وقد لا تنال فرصةً أخرى لرؤيته».

- «لا شك أنني سأندم على حذري وأنا في فراش الموت، لكن بعد يوم طويل من الركوب أجدني أفضل غرقة دافئة».

- «غرقتي الشمسية إذن. ساتان، نبذ متبل إذا سمحت».

مسكن چون وراء مستودع السلاح هادئ كفاية، وإن لم يكن دافئاً بشكل خاص. كانت النار قد همدت منذ فترة وقد أهملها ساتان الذي لا يواظب علي إذكائها مثل إد الكتيب. حيّهما غُداً مورمونت صارخاً: «ذرة!»، وعلق چون معطفه سائلاً الصّيرفي: «جئت للقاء ستانيس، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيّدي. الملكة سيليس اقترحت أن تُرسل غُداً إلى (ربوة الغابة) لإخبار جلالته بأنني أنتظرُ حضوره إلى (قلعة الليل). المسألة التي أنوي طرحها عليه أدق من أن نأتمن عليها الرّسائل».

- «دين». وماذا يُمكن أن يكون غير هذا؟ «دينه أم دين أخيه؟».

ضغَط الصّيرفي أصابعه معاً مجيباً: «لا يحقُّ لي أن أناقش مديونية اللورد ستانيس من عدمها. بالنسبة إلى الملك روبرت... كان من دواعي سرورنا حقاً أن نُعين جلالته في حاجته. وقت أن كان روبرت حيّاً مضى كل شيء على ما يُرام، لكن الآن كف العرش الحديدي عن سداد القروض».

أُيعقل أن آك لانستر بهذه الحماسة فعلاً؟ «إنكم لن تُحمّلوا ستانيس مسؤوليّة ديون أخيه، أليس كذلك؟».

أعلنَ تايكو: «الدُّيون ديون العرش الحديدي، وعلى الجالس على ذلك الكرسي أياً كان أن يُسدّها، وما دام الملك تو من ومُستشاروه يُعاملونا بهذا التّعنت فإننا ننوي طرح المسألة على الملك ستانيس، فإذا أثبت أنه أجدر بثقتنا فسيسرُّنا للغاية بالطبع أن نمده بما يحتاج إليه من عون».

صرخَ الغُداً: «عون، عون، عون، عون!».

جزء كبير من هذا استنتجّه چون بالفعل لحظة أن علمَ أن (المصرف الحديدي) أرسل مندوباً إلى (الجدار). «آخر ما سمعناه أن جلالته الملك يزحف على (وينترفل) لمواجهة اللورد بولتون وحلفائه. يُمكنك أن تسعى إليه هناك إذا أردت، ولو أن الرّحلة تنطوي على مخاطرة. قد تجد نفسك في قلب حربه».

حتى تايكو رأسه قائلاً: «مَنْ يخدمون (المصرف الحديدي) مثلنا اعتادوا مواجهة الموت كخدم العرش الحديدي مثلكم».

أهذا ما أخدمه؟ لم يُعدّ چون سنو متأكّداً. «يُمكنني أن أزودك بخيولٍ ومؤنٍ وأدلة، أيّا كان ما يلزمك لبلوغ (ربوة الغابة)، ومن هناك عليك أن تجد طريقك إلى ستانيس». ووارد أن تجد رأسه على خازوق. «لكن هناك ثمناً».

صرخ غُداً مورمونت: «ثمناً، ثمناً، ثمناً».

ابتسم البرافوسي قائلاً: «هناك ثمن دوّمًا، أليس كذلك؟ ما الذي يطلبه حرس الليل؟».

- «سُفُنك كبداية، بأطقمها».

- «الثلاث كلها؟ وكيف أعودُ إلى (برافوس)؟».

- «أريدها في رحلةٍ واحدة فقط».

- «أفترض أنها رحلة خطيرة. قلت كبداية؟».

- «نحتاج إلى قرضٍ أيضًا، ما يكفي لإطعامنا حتى الربيع، لشراء الطّعام واستئجار سُفنٍ تنقله إلينا».

ردّد تايكو: «الربيع؟»، ثم تنهّد وأضاف: «غير ممكن يا سيّدي».

ماذا قال له ستانيس ذات مرّة؟ تُساوم كحيزبون تبيع الأسماك يا لورد سنو. هل أنجبك اللورد إدارد من بائعة سمك؟ ربما كان محققاً.

استغرق ما يقرب من ساعةٍ حتى صارَ المُحال ممكناً، وساعةً أخرى حتى اتّفقا على الشُّروط. ساعدهما إبريق النّيذ المتبّل الذي أحضره ساتان على تسوية النُّقاط السّائكة، وحين وقّع چون سنو الوثيقة التي خطّها البرافوسي كان كلاهما شبه سكران ولا يشعُر بالرّضا على الإطلاق، وهو ما عدّه چون علامةً جيّدةً.

سُتُرف السُّفن البرافوسية قوام الأسطول الرّاسي عند (القلعة الشّرقية) إلى إحدى عشرة سفينة، بما فيها سفينة صيد الحيتان الإيبينزيّة التي صادرها كوتر بايك بأمر چون، وقادس تجاري من (پتوس) ساقته إليهم الأجواء، وثلاث سُفن حربيّة لايسينيّة في حالةٍ مزرية، من بقايا أسطول سالادور سان السّابق التي دفعته عواصف الخريف إلى الشّمال من جديد. كانت سُفن سان الثلاث في حاجةٍ ماسّة إلى تجديد، ولكن يُفترض أن العمل عليها انتهى بالفعل.

إحدى عشرة سفينةً عدد لا يكفي، لكن إذا انتظر أكثر فسيكون الأحرار في (هاردهوم) قد ماتوا بالفعل حين يصل أسطول النجدة. بُحر الآن أو لا بُحر على الإطلاق. هذا إن كان اليأس قد استبدَّ بالأُم خُلد وقومها لدرجة ائتمان حرس الليل على حياتهم...

كان النهار قد أظلم لدى خروجه مع تاكو نستوريس من الغرفة الشمسية، وبدأ الثلج يسقط. أحكمّ چون شدّ معطفه على جسده قائلاً: «يبدو أن مُهلة الرّاحة كانت وجيزة».

- «الشتاء يقترب. يوم غادرتُ (برافوس) كان هناك جليد على سطوح القنوات».

- «ثلاثة من رجالي مُروا من (برافوس) قبل مُدّة قصيرة، مايستر عجوز ومطرب ووكيل شاب. كانوا يصحبون فتاةً همجيّةً وطفلها إلى (البلدة القديمة). لا أظنُّ أنك قابلتهم؟».

- «أخشى أنني لم أفعل يا سيّدي. الوستروسيون يمرون من (برافوس) كلّ يوم، لكن أكثرهم يأتي ويذهب من (ميناء راجمان). سُفن (المصرف الحديدي) ترسو في (الميناء الأرجواني). أستطيع أن أتقصّى عنهم بعد عودتي إذا أردت».

- «لا داعي. المفترض أن يكونوا آمنين في (البلدة القديمة) الآن».

- «لنأمل هذا. (البحر الضيق) خطر في هذا الوقت من العام، وثمة تقارير مزعجة في الفترة الأخيرة عن سُفنٍ غريبة في المياه بين جُزر (الأعتاب)».

- «سالادور سان؟».

- «القرصان اللاليسيّني؟ بعضهم يقول إنه عادَ إلى وكره القديم، هذا صحيح. وأسطول اللورد رداوين مبحر عبر (الدّراع المكسورة) أيضًا. لا شكّ أنه في طريق العودة إلى الدّيار. لكن هؤلاء الرّجال وسُفنهم معروفون لنا، لا، تلك السُفن الأخرى... إنها من مكانٍ أبعد في الشّرق غالبًا... سمعنا كلامًا غريبًا عن التّنّانين».

- «ليت عندنا واحدًا هنا. كان تيّن ليدفّئنا بعض الشّيء».

- «سيّدي يمزح، لكن سامحني إذا لم أضحك. نحن معشر البرافوسيين

نحدر ممّن فرّوا من (فاليريا) وغضبة سادة التّنانين. التّنانين ليست مزحةً عندنا».

نعم، أظنُّ هذا. «تقبّل اعتذاري أيها اللورد تايكو».
- «لا داعي للاعتذار يا حضرة القائد. والآن أجد نفسي جوعاناً. إقراض هذا القدر الكبير من الذهب يفتح شهية المرء. هلاًّ دلتني على قاعة طعامكم؟».

أشارَ چون قائلاً: «سأخذك بنفسِي. من هنا».
ما إن وصلوا وجدّ چون أن من عدم اللياقة ألاّ يأكل مع الصّيرفي، فأرسل ساتان يجلب لهما بعض الطّعام. كلٌّ من كانوا نائمين أو ليس عليهم واجبات تقريباً خرجوا المرأى الوافدين الجدد، فزادحم القبو وشاع في أنحاء الدّفء. كانت الملكة غائبةً، وكذا ابنتها، ويفترض أنّهما مستقرّتان الآن في (برج الملك)، لكن السير بروس والسير ميلجورن حاضران، يُسليان الإخوة المجتمعين بآخر الأبناء من (القلعة الشّرقية) ومن وراء البحر، كما جلست ثلاث من رفيفات الملكة معاً في صُحبة خادماتهن ودسته من المعجبين من رجال حرس اللّيل.

قُرب الباب انقَضَ يد الملكة على زوجين من الدّيوك ممتصّاً اللّحم عن العظم ومزرداً كلّ قضمةٍ بالمزر. عندما لمحَ چون سنو ألقى أكسل فلورنت عظمةً جانباً ومسحَ فمه بظّهر كفه ومشى الهويني في اتّجاهه. للرّجل مظهر هزلي بساقيه المقوّستين وصدّره الثّخين وأذنيه البارزتين، لكن چون أعقل من أن يضحك منه، فلورنت عمُّ الملكة سيليس، ومن أوائل من تبعوها في اعتناق ديانة إله مليساندرا الأحمر. إن لم يكن قاتل أقربين فإنه قاب قوسين أو أدنى من هذا. كان المايستر إيمون قد أخبره بأن مليساندرا أحرقت أخا أكسل فلورنت، لكنه لم يُحرّك ساكناً ليمنعها. ما الرّجل الذي يقف ويتفرّج وأخوه يحترق حيّاً؟

قال السير أكسل: «نستوريس وحضرة القائد، هل تسمحان بانضمامي إليكما؟»، واتخذ مكاناً على الدّكّة قبل أن يردّاً، وتابع: «لورد سنو، إذا سمحت لي بالسؤال... الأميرة الهمجيّة التي كتب عنها جلاله الملك ستانيس... أين هي يا سيّدي؟».

تَبَعْدُ فِرَاسِخَ وَفِرَاسِخَ عَنِ هُنَا. إِنْ شَاءَتِ الْآلِهَةُ فَقَدْ عَثَرَتْ عَلَى تَورْمُونَدِ بَلِيَّةِ الْعَمَالِيْقِ بِالْفَعْلِ. «فَالِ هِيَ الْأَخْتُ الصَّغْرَى لِدَالَا الَّتِي كَانَتْ زَوْجَةَ مَانَسِ رَايْدِرِ وَأُمِّ ابْنِهِ. الْمَلِكِ سَتَانِيْسِ أَسْرَ فَا لَوَالصَّغِيرِ بَعْدَ مَوْتِ دَالَا فِي فِرَاشِ الْوَالِدَةِ، لَكِنهَا لَيْسَتْ أَمِيرَةً، لَيْسَ كَمَا تَفْهَمُ».

هَزَّ السَّيْرَ آكْسَلَ كَتْفِيهِ، وَقَالَ: «أَيَّا كَانَتْ، فِي (الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ) زَعَمَ الرَّجَالُ أَنَّهَا حَسَنَاءٌ. أُرِيدُ أَنْ أَرَى بِنَفْسِي. بَعْضُ تِلْكَ النِّسَاءِ الْهَمْجِيَّاتِ... عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَقْلِبَهُنَّ عَلَى بَطُونِهِنَّ لِيُؤَدِّيَ وَاجِبَ الزَّوْجِيَّةِ. بَعْدَ إِذْنِ حَضْرَةِ الْقَائِدِ، اجْلِبْهَا، دَعْنَا نُلْقِيَ نَظْرَةً».

- «إِنَّهَا لَيْسَتْ حَصَانًا مَعْرُوضًا لِلْفَحْصِ أَيُّهَا الْفَارِسُ».

ابْتَسَمَ السَّيْرُ آكْسَلَ مِلْءَ شَدْقِيهِ قَائِلًا: «أَعْدُكَ بِأَلَّا أَحْصِي أَسْنَانَهَا. أَوْه، لَا تَخَفْ، سَأَعْمَلُهَا بِالْكِيَاْسَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِهَا».

إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ هُنَا. فِي أَيِّ قَرْيَةٍ لَا تُوجَدُ أَسْرَارُ، وَفِي (الْقَلْعَةِ السَّوْدَاءِ) كَذَلِكَ. لَا أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ عَنِ غِيَابِ فَا لَجَهْرًا، لَكِنْ بَعْضُ الرَّجَالِ يَعْلَمُ، وَالْإِخْوَةُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَاعَةِ الْعَامَّةِ لَيْلًا. مَاذَا سَمِعَ؟ وَكَمْ مِنْهُ يُصَدِّقُ؟ «سَامِحْنِي أَيُّهَا الْفَارِسُ، لَكِنْ فَا لَنْ تَنْضَمَّ إِلَيْنَا».

- «سَأَذْهَبُ إِلَيْهَا. أَيْنَ تَحْتَفِظُ بِهَا؟».

بَعِيدًا عَنْكَ. «فِي مَكَانٍ آمِنٍ. كَفَى أَيُّهَا الْفَارِسُ».

احْتَقَنَ وَجْهَ فُلُورَنْتِ، وَقَالَ وَرَائِحَةُ الْمِزْرِ وَالْبَصَلِ تُصَاحِبُ أَنْفَاسَهُ: «سَيِّدِي، هَلْ نَسِيتِ مَنْ أَنَا؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَكَلِمَ الْمَلِكَةَ؟ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ جَلَالَتِهَا وَسَاتِي بِالْهَمْجِيَّةِ عَارِيَّةً إِلَى الْقَاعَةِ لِنَطَّلِعَ عَلَيْهَا».

سَتَكُونُ حَيْلَةً مُتَقَنَةً، حَتَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَلِكَةٍ. «الْمَلِكَةُ لَنْ تُثْقَلَ عَلَى كَرَمِ ضِيَافَتِنَا أَبَدًا». قَالَهَا چُونُ أَمَلًا أَنْ يَكُونَ هَذَا صَحِيحًا، ثُمَّ أَرْدَفَ: «وَالآنَ أَحْشَى أَنْ عَلَيَّ الْاسْتِثْنَاءَ قَبْلَ أَنْ أَنْسَى وَاجِبَاتِي كَمْضِيْفِ. لُورْدُ تَايَكُو، بَعْدَ إِذْنِكَ».

قَالَ الصَّيْرُ فِي: «نَعَمْ، بِالطَّبْعِ، سُرِرْتُ بِكَ».

كَانَ الثَّلْجُ يَنْهَمُرُ بِكَثَافَةٍ أَكْبَرَ فِي الْخَارِجِ، وَعَبْرَ السَّاحَةِ تَحَوَّلَ (بُرْجُ الْمَلِكِ) إِلَى ظِلِّ جَسِيمٍ، وَقَدْ حَجَبَتِ الثَّلُوجُ الْمَتَسَاقِطَةُ الْأَضْوَاءَ فِي نَوَافِذِهِ. فِي عُرْفَتِهِ وَجَدَ چُونُ غُدَافَ الدُّبِّ الْعَجُوزِ جَائِمًا عَلَى ظَهْرِ الْمَقْعَدِ

المصنوع من خشب السّنديان والجِلد وراء المنضدة. بمجرد أن دخل بدأ الطائر يصرخ طالباً الطّعام، فأخذَ چون حفنةً من الحبوب المجففة من الكيس عند الباب ونثرها على الأرض، ثم جلس على المقعد. ترك تاكو نستوريس نسخةً من اتّفاقيهما، وأعادَ چون قراءتها ثلاثاً مفكّراً: كان الأمر بسيطاً، أبسط مما أملتُ، أبسط مما ينبغي.

أشعره هذا بالقلق. سيُتيح المال البرافوسي لحرس اللّيل شراء الطّعام من الجنوب حينما تُنذر مؤنهم بالنّفاذ، طعام يكفيهم خلال الشّتاء مهما طال. قال لنفسه يدكّرهما: الشّتاء القاسي الطويل سيترك حرس اللّيل في حفرة من الدّيون لن نخرج منها أبداً، لكن إذا كان الخيار بين الدّين أو الموت فخير لك أن تستدين.

ليس ضرورياً أن يُعجبه الأمر على كلّ حال، ولن يُعجبه أكثر عندما يأتي الرّبيع ويحين وقت ردّ كلّ هذا الذهب. أعطاه تاكو نستوريس انطباع الرّجل المتحصّر الدّمث، لكن لمصرف (برافوس) الحديدي سُمعةٌ مخيفةٌ حين يتعلّق الأمر بتسديد الدّيون. لكلّ من المُدن الحرّة التسع مصرفها الخاص، وفي بعضها أكثر من واحد، وتتشاجر تلك المصارف جميعاً على كلّ قطعة نقدٍ شجار الكلاب على عظمة، لكن (المصرف الحديدي) أثرى وأقوى من الأخرى كلّها مجتمعةً. عندما يتخلف الأمراء عن الدّفع للمصارف الأدنى شأنًا يبيع الصّيرفيون المفلسون زوجاتهم وأبناءهم للنّخاسين ويقطعون سرايينهم، وعندما يُهمل الأمراء الدّفع لـ (المصرف الحديدي) يَنبُت أمراء آخرون من العدم ويأخذون عروشهم. وهو ما قد يتعلّمه تو من الممتلئ المسكين قريباً. لا شك أن عند آل لانستر سبباً وجيهاً لرفض سداد ديون الملك روبرت، لكنها حماقة رغم ذلك. إذا لم يتعنّت ستانيس في قبول شروطهم فسيعطيه البرافوسيون كل ما يحتاج إليه من ذهب وفضّة، مالا يكفي لاستئجار دستةٍ من جماعات المرتزقة، لرشوة مئة لورد، لدفع أجور رجاله وإطعامهم وإلباسهم وتسليحهم. ما لم يكن ستانيس ميتاً أسفل أسوار (ويتترفل) فلعله ظفر بالعرش الحديدي بالفعل. تساءل إن كانت مليساندرا قد رأت ذلك في نيرانها.

أسندَ چون ظهره وتساءبَ وتمطّى. غدًا سيحرّر الأوامر إلى كوتر بايك.

إحدى عشرة سفينةً إلى (هاردهوم). عدُّ بأكبر عددٍ ممكن. النساء والأطفال أولاً. حان وقت الإبحار. هل عليّ أن أذهب بنفسِي أم أترك الأمر لكوتر؟ اللدب العجوز قادَ حملةً بنفسه. ولم يرجع.

أسبلَ چون جفنيه لحظةً فقط...

... ثم استيقظَ متيسِّس الأوصال كلوح من الخشب. كان غُداً اللدب العجوز يُتمِّم: «سنو، سنو!»، ومولي يهزه قائلاً: «سيدي، حضورك مطلوب. معذرةً يا سيدي. لقد وجدوا فتاة».

اعتدلَ چون جالساً وفركَ عينيه من النوم متسائلاً: «فتاة؟ قال؟ هل عادت قال؟».

- «ليست قال يا سيدي. كانت على هذا الجانب من (الجدار)». شدَّ چون قامته مفكراً: آريا. مؤكِّد أنها هي. صرخَ الغُداً: «فتاة، فتاة، فتاة!».

- «صادفها تاي ودانل على بُعد فرسخين جنوب (بلدة المناجد). كانا يطاردان مجموعةً من الهمج هربت على (طريق الملوك). عادا بهم أيضاً، لكنهما وجدا الفتاة بعدها. إنها نبيلة يا سيدي، وتساءل عنك». سأل مولي: «كم معها؟»، وذهب إلى الحوض ورشَّ وجهه بالماء. كم هو متعب بحق الآلهة.

- «لا أحد يا سيدي. جاءت وحدها. كان حصانها يُحتصر تحتها، كان جلدًا على ضلوع، يعرج وغارقاً بالرغوة. تاي ودانل أطلقا سراحه وأخذا الفتاة للاستجواب».

فتاة رمادية على حصانٍ مائت. يبدو أن نار مليساندرا لم تكذب، لكن ماذا حدث لمانس رايدر والزوجات الحراب؟ «أين الفتاة الآن؟».

- «مسكن المايستر إيمون القديم يا سيدي». هكذا ما زال رجال (القلعة السوداء) يسمون المكان، وإن كان يُفترض أن المايستر الشيخ آمن دافى في (البلدة القديمة) الآن بالفعل. «كانت الفتاة مزرقة من البرد وترتجف بعنف، فأرادَ تاي أن يلقي كلايداس عليها نظرة».

- «عظيم». شعرَ چون كأنه في الخامسة عشرة من جديد. أختي الصغيرة. نهضَ وارتنى معطفه.

كان الثلج مستمراً في السقوط حين قطع السّاحة مع مولى، وقد بدأ فجر ذهبي يَبزُغ في الشّرق، لكن وراء نافذة الليدي مليساندرا في (برج الملك) ما زال وهج أحمر يتذبذب. ألا تنام أبداً؟ أيُّ لُعيّة تلعبين أيتها الرّاهبة؟ هل عندك مهمّة أخرى لمانس؟

يُريد أن يُصدّق أنها آريا، يُريد أن يرى وجهها ثانية، أن يبتسم لها وينفش شعرها ويقول لها إنها في أمان. لكنها لن تكون في أمان. (ويتترفل) احترقت وانكسرت ولم تعد هنالك أمكنة آمنة.

لا يستطيع إبقاؤها هنا معه، ف(الجدار) ليس مكاناً لامرأة، ناهيك بفتاة كريمة المحتد. كما أنه لن يُسلمها إلى ستانيس أو مليساندرا، إذ سيُريد الملك فقط أن يُزوِّجها أحد رجاله، هورب أو ماسي أو جودري قاتل العمالقة، والآلهة وحدها تعلم ما قد تُريد المرأة الحمراء أن تفعله بها.

أفضل حلّ يراه أن يُرسلها إلى (القلعة الشّرقية) ويسأل كوتر بايك أن يضعها على سفينةٍ متّجهة إلى مكانٍ ما عبر البحر بعيداً عن متناول أولئك الملوك المتصارعين، لكن على ذلك أن ينتظر عودة السفن من (هاردهوم) بالطبع. يُمكنها أن تعود إلى (برافوس) مع تاكو نستوريس، وقد يُمكن أن يُساعد (المصرف الحديدي) على إيجاد عائلةٍ نبيلة ترعاها. على أن (برافوس) أقرب المُدن الحُرّة... وهو ما يجعلها أحسن الخيارات وأسوأها. قد تكون (لوراث) أو (ميناء إيبين) أكثر أماناً. أينما أرسلها ستحتاج آريا إلى فضّة تُنفق منها وسقفٍ فوق رأسها وأحدٍ يحميها. إنها مجرد طفلةٍ صغيرة.

وجدا مسكن المايستر إيمون القديم دافئاً للغاية، حتى إن سحابة البخار المباغنة التي استقبلتهما لمّا فتح مولى الباب أعمّتهما. بالدّاخل نار مشتعلة في المستوفد وحطب يُطَقِّط. خطا چون فوق كومةٍ من الثّياب الرّطبة، وسمع الغدغان تُنادي من أعلى: «سنو، سنو، سنو!». كانت الفتاة متكورّة على نفسها قُرب النّار، ملتقّة بمعطفٍ أسود أكبر منها ثلاث مرّات وغائبة في سُباتٍ عميق. بينها وبين آريا شبه جعله يتردّد، ولكن لحظةً فقط. الفتاة فارعة ناحلة في ريعان الصّبا، طويلة السّاقين بارزة المرفقين، شعرها البني معقوص في ضفيرةٍ كثيفة ومربوط بشرائط من الجلد، ولها وجه طويل وذقن مدبّب وأذنان صغيرتان.

لكنها أكبر من آريا، أكبر كثيرًا. الفتاة في سنيّ تقريبًا. سألّ چون مولّي:
«هل أكلت؟».

نهضّ كلايداس قائلاً: «أكلت الخُبز والمرق فقط يا سيّدي. الأفضل
إطعامها ببطءٍ كما اعتادَ المايستر إيمون القول. لم تكن لتستطيع ابتلاع أكثر
من هذا».

أوماً مولّي برأسه، وقال: «دائل أكلٍ إصبغاً من سجع هوب وعرض عليها
قضمه، لكنها لم تمسه».

لا يلومها چون على هذا. سجع هوب مصنوع من الدّهن والملح وأشياء
أخرى لا يُطبق التّفكير فيها. «ربما علينا أن نتركها تستريح».
لحظتها اعتدلت الفتاة ضامّة المعطف إلى ثديها الصّغيرين الشّاحيين وقد
بدا عليها الارتباك، وغمغمت: «أين...».

- («القلعة السّوداء) يا سيّدي».

اغرورقت عيناها بالدموع، وقالت: «(الجدار)، أنا هنا».

دنا كلايداس منها متسائلاً: «كم عمرك أيتها الصّغيرة المسكينة؟».

أجابّت: «ستّة عشر عامًا يوم ميلادي المقبل. ولستُ صغيرةً، بل امرأة
بالغة مزهرة»، وتشاءبت وغطّت فمها بالمعطف الذي تبرّز رُكبة عارية من
طيّاته، ثم قالت: «لست تضع سلسلةً. أنت مايستر؟».

- «لا، لكنني خدمتُ واحدًا».

فكرّ چون: تُشبه آريا قليلاً حقًا. جائعة ومهزولة، لكن لها لون الشّعر نفسه،
ولون العينين. «قيل لي إنك تسألين عني. أنا...».

- «... چون سنو». ألقت الفتاة ضفيرتها وراء ظهرها، وقالت: «بين
عائلي وعائلتك أواصر دم وشرف. اسمعني يا قريبي. عمّي كريجان في
أعقابي. يجب ألاّ تسمح له بأن يُعيدني إلى (كارهولد)».

كان چون يُحدّق إليها. أعرفُ هذه الفتاة. في عينيها شيء ما، وفي طريقتها
المعتدة وأسلوب كلامها. للحظةٍ راوغته الذّكري، ثم اقتنصها. «أليس
كارستارك».

رسم هذا شبح ابتسامية على شفيتها، وقالت: «لم أكن واثقةً بأنك ستتذكّر.
أخر مرّة رأيتك كنتُ في السادسة».

- «أُتيتِ إلى (ويتترفل) مع أبيك». الأب الذي قطع رُوب رأسه. «لا أذكرُ السَّبب».

قالت وقد تورَّد وجهها: «لأقابل أخاك. أوه، كان هناك مبرِّر آخَر، لكن هذا هو السَّبب الحقيقي. كنتُ في مِثل سنِّ رُوب تقريبًا وفكَّر أبي أن يُزوِّجني به. أقيمتُ مأدبة ورقصتُ معك ومع أخيك. كان في غاية الكياسة وقال إن رقصي جميل، وكنت أنت متجهِّمًا. قال أبي إن هذا هو المتوقع من نغل».

- «أذكرُ هذا». نصف كذبة لا أكثر.

قالت الفتاة: «ما زلت متجهِّمًا قليلًا، لكنني سأغفرُ لك هذا إذا أنقذتني من عمِّي».

- «عمُّك... تعين اللورد آرنولف؟».

ردَّت أليس بازدرء: «ليس لورد. أخي هاري هو سيِّد (كارهولد) الشَّرعي، وأنا وريثته بالقانون. الابنة تسبق العم. العمُّ آرنولف أمين القلعة فقط. إنه عمِّي الكبير في الحقيقة، أي أنه عمُّ أبي، وكريجان ابنه. أظنُّ أن هذا يجعله ابن عمومة، لكننا دعونا دوماً بالعمِّ. والآن يُريدونني أن أدعوه بزوجي»، وكوَّرت قبضتها متابعَةً: «قبل الحرب كنتُ مخطوبةٌ لدارن هورنود. كنا ننتظر إز هاري حتى تنزوّج، لكن قاتل الملك فتكً بدارن في (الغابة الهامسة). كتبَ أبي قائلاً إنه سيجد أحداً من لوردات الجنوب يتزوِّجني، لكنه لم يفعل. أخوك رُوب قطع رأسه لأجل قتله أفرادًا من آل لانستر»، والتوى فمها إذ أضافت: «حسبُ أن السَّبب الوحيد لرحلتهم جنوبًا أن يَقتلوا بعضًا من آل لانستر».

- «الأمر... لم يكن بهذه البساطة. اللورد كارستارك قتل سجينين يا سيِّدتي. كانا صبيَّين أعزلين، مُرافقين في زنازة».

لم تبدُ على الفتاة دهشة، وقالت: «لم يعتدَّ أبي الجعجعة مثل جون الكبير قَطُّ، لكنه لم يكن أقلَّ خطورةً حين يغضب. هو أيضًا مات، وكذا أخوك، لكن أنا وأنت ما زلنا هنا على قيد الحياة. هل بيننا ثأر أيها اللورد سنو؟».

- «حين يرتدي الرَّجل أسود حرس الليل يتركُ عداواته وراءه. ليست بين حرس الليل و(كارهولد) خصومة، ولا بينهم وبينك».

- «عظيم. كنتُ خائفةً... توصلتُ إلى أبي أن يُعيِّن أحد إخوتي أمينًا للقلعة، لكن أحداً منهم لم يُرد أن يفوته الظَّفَر بالمجد والغنائم في الجنوب، وهكذا

مات تور وإد، وآخر ما سمعناه عن هاري أنه سجين في (بركة العذارى)، لكن ذلك كان منذ سنة تقريباً. ربما مات أيضاً. لم أعرف أين أذهب إلا لآخر أبناء إدارد ستارك».

- «ولم لم تذهبي إلى الملك؟ (كارهولد) أعلنت تأييدها ستانيس».
- «بل إن عمي هو من أعلن تأييده ستانيس على أمل أن يستفز هذا آل لانستر فيقتلوا هاري المسكين. إذا مات أخي فمن المفترض أن تنتقل (كارهولد) إلي، لكن عمي يريد أن يحقني لنفسيهما. ما إن أنجب طفلاً لكريجان فلن يعود محتاجاً إلي. لقد دفن زوجتي بالفعل»، وكما كانت آريا لتفعل مسحت آيس دموعها بغضب، وأضافت: «هل ستساعدني؟».
- «الزواج والإرث مسائل تخص الملك يا سيديتي. سأكتب لستانيس نيابة عنك، ولكن...».

ضحكت آيس كارستارك، لكنها ضحكة يأس، وقالت: «اكتب، لكن لا تتوقع ردًا. ستانيس سيموت قبل أن تبلغه رسالتك. سيحرص عمي على هذا».

- «ماذا تعنين؟».

قالت آيس: «آرنولف يهرع إلى (ويتترفل)، هذا صحيح، لكن فقط ليغرس خنجره في ظهر ملكك. لقد أرسى عطاءه على رويس بولتون منذ زمن... من أجل الذهب ووعده بالعفو ورأس هاري المسكين. اللورد ستانيس في طريقه إلى مذبحه، أي أنه لا يستطيع أن يساعدني، ولن يساعدني إذا استطاع»، وركعت أمام جون قابضة على المعطف الأسود، وأتبعته: «أنت أملي الوحيد أيها اللورد سنو. باسم أبيك أتوسل إليك أن تحميني».



الفتاة العمياء

تُضيء لياليها النجوم البعيدة وبريق نور القمر على الثلج، لكن كلما طلع الفجر استيقظت في ظلام.
فتحت عينها وحدقت بلا بصر إلى الأسود المحيط بها، وقد بدأ حلمها يتلاشى بالفعل. كم كان جميلاً. لعقت شفيتها متذكراً نغاء الخراف والرعب في عيني الراعي، والصوت الذي أصدرته الكلاب إذ قتلتها واحداً تلو الآخر، وزماجر قطيعها. أمسّت الفرائس أندر منذ بدأت الثلوج تسقط، لكنهم التهموا وليمة ليلة البارحة، لحم حملان وكلاب وخراف ولحماً بشرياً. بعض أولاد عمومتها الشهب الصغار يخشون البشر، حتى البشر الموتى، أما هي فلا تخشاهم. اللحم هو اللحم، والبشر فرائس، وإنها ذئبة الليل.
لكن حين تحلم فقط.

انقلبت الفتاة العمياء على جانبها، ثم اعتدلت جالسة وهبت واقفة وتمطت. سريرها حشوية من الخرق على رف من الحجر البارد، ودائماً تستيقظ متيئة العضلات مشدودتها. بصمت الظلال ذهبت إلى الحوض على قدمين صغيرتين حافيتين متكلستين، ورشت وجهها بالماء الفاتر ثم جففته مرددة في قرارة نفسها: السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إين، السير مرين، الملكة سرسي. صلاتها الصباحية. أم أنها ليست كذلك؟ نعم، ليست صلاتي. أنا لا أحد. تلك صلاة ذئبة الليل. يوماً ما ستجدهم وتطاردهم وتشم خوفهم وتذوق دماءهم، يوماً ما.

وجدت ثيابها الداخلية مكوّمة وتشممتها لتتأكد من أنها تصلح للارتداء، ثم ارتدتها في ظلمتها. وجدت ثوب الخدم حيث علقته، سترة طويلة من

الصُّوف الخشن غير المصبوغ، ونفصتها ثم أنزلتها على بدنهما من فوق رأسها بحركةٍ متمرسةٍ واحدة. أخيرًا وضعت جوربها، فردةً سوداءً وفردةً بيضاء. في الفردة السوداء خياطة من أعلى، ولا خياطة في البيضاء، وهكذا تستطيع التمييز بينهما باللمس والتأكد من وضع كل واحدة على الساق السليمة. على الرغم من نحولها تتمتع بساقين قويتين مرتين تزدادان طولًا كل يوم. وهو ما يسرّها، فراقص المياه يتطلب ساقين سليمتين. ليست بث العمياء راقصة مياه، لكنها لن تبقى بث إلى الأبد.

تعرف الطريق إلى المطبخ، غير أن أنفها كان ليقودها إلى هناك حتى لو لم تكن تعرفه. قطعت الرُّواق متشممةً، وفكرت: لفلل حار وسمك مقلي وخبز طازج من فُن أوما. قرقر بطنها من الرُّوائح. ذبّة الليل أكلت وليمةً، لكن طعامها لا يملأ بطن الفتاة العمياء التي تعلّمت مبكرًا أن لحم الأحلام لا يُغذيها.

أفطرت على السردين المقلي في زيت الفلفل، وكان ساخنًا لدرجة أنه لسع أصابعها، ثم غمست الزيت المتبقي بقطعة من الخبز قطعتها من طرف رغيف أوما الصّباحي، وشربت مع طعامها كوبًا من النّبذ المخفف بالماء. تشربت المذاقات والرُّوائح، وملمس قشرة الخبز الخشن تحت أصابعها، ونعومة سيلان الزيت، ولسعة الفلفل الحار لَمّا لمس الخدش الذي لم يندمل بالكامل بعد على ظهر كَفّها. قالت لنفسها تُذكّرُها: اسمعي، تشممي، تذوّقي، تلمّسي. الطرائق عديدة لمعرفة العالم عند من لا يرون.

دخل أحدهم المطبخ من ورائها، يتحرّك بهدوء الفئران منتعلاً خُفين طريين. اتسعت طاقتا أنفها. الرّجل الطيب. للرّجال روائح مختلفة عن النساء، وفي الهواء نفحة من البرتقال أيضًا. الكاهن مغرم بمضغ قشر البرتقال لتعطير أنفاسه، وهو ما يفعله متى استطاع الحصول عليه.

سمعته يسأل إذ اتخذ مقعده على رأس المائدة: «ومن أنت هذا الصّباح؟»، وسمعت طقّ طقّ، ثم صوت شيء يتشقق بخفوت. يكسر بيضته الأولى.

أجابت: «لا أحد».

- كاذبة. إنني أعرفك. أنت الشحّاذة العمياء.

- «بث». سبق لها أن عرفت فتاة اسمها بث في (ويترفل) حينما كانت

أرى ستارك، وربما لهذا السَّبب اختارت الاسم، أو ربما لأنه يصلح جدًا اسمًا لفتاة عمياء.

قال الرَّجل الطَّيِّب: «أيتها الصَّغيرة المسكينة، هل تُريدين استعادة عينيك؟ سَلِّي وسترين».

يُلقي عليها السُّؤال عينه كلَّ صباح. أجابته: «قد أريدهما غدًا، لكن ليس اليوم». ملامحها مياه ساكنة، تُخفي كل شيءٍ ولا تبوح بشيءٍ.

- «كما ترغيبين». سمعته يُقشِّر البيضة، ثم رينًا فضيًّا خافتًا إذ التقطَ ملعقة الملح، فهو يحبُّ البيض مملحًا جيّدًا. سألتها: «أين ذهبَت فتاتي العمياء المسكينة تتسوَّل ليلة أمس؟».

- «(خان نُعبان الماء الأخضر)».

- «وما الأشياء الثلاثة الجديدة التي تعلّمتها ولم تكوني تعلمينها لمَّا

تركتيننا؟».

- «ما زال أمير البحر مريضًا».

- «ليس شيئًا جديدًا. أمير البحر كان مريضًا أمس وسيكون مريضًا غدًا».

- «أو ميتًا».

- «حين يموت سيكون شيئًا جديدًا».

حين يموت سيُقيمون انتخابًا وتخرُج الخناجر من أغمدتها. إنه طبع الأمور في (برافوس). في (وستروس) يخلف الملك الميت أكبر أبنائه، لكن البرافوسيين لا يحكّمهم ملوك. «سيُصبح تورمو فريجار أمير البحر الجديد».

- «أهذا ما يقولونه في (نُعبان الماء الأخضر)؟».

- «نعم».

أخذ الرَّجل الطَّيِّب قضمَةً من بيضته، وسمعته الفتاة يَمْضُغ. لا يتكلّم بفم مليء أبدًا، وهكذا ابتلع أولًا قبل أن يقول: «يقول بعضهم إن في النِّبذ حكمةٌ. هؤلاء حمقى. لا شك أن الألسنة تُردّد أسماءً مختلفةً في الخانات الأخرى»، وأخذ قضمَةً أخرى من البيضة ومضغها وابتلعها، ثم سألتها: «ما الأشياء الثلاثة الجديدة التي تعلمينها ولم تكوني تعلمينها من قبل؟».

- «أعلم أن بعضهم يؤكّد أن تورمو فريجار سيُصبح أمير البحر الجديد،

بعض السَّكاري».

- «أفضل. وماذا تعلمين أيضًا؟».

هَمَّت بقول: الثلج يَسْقُطُ على أراضي النَّهْرِ في (وستروس)، لكنه كان ليسأل كيف علِمَتْ هذا، وليست تظنُّ أن إجابتها ستروقه. مضغت شفقتها مستعيدةً ليلة البارحة في ذاكرتها، ثم أجابت: «العاهرة سفرون حُبلى. ليست متأكدةً من الأب، لكنها تحسب أنه ربما المرتزق التايروشي الذي قتلته».

- «جيدٌ أن نعلم هذا. وماذا أيضًا؟».

- «ملكة البحار اختارت عروس بحرٍ جديدةً بدلاً من التي غرقت، ابنة خادمةٍ عند عائلةٍ پرستائين، في الثالثة عشرة ومفلسة لكنها جميلة».

قال الكاهن: «كلهن كذلك في البداية، لكن لا يُمكنك أن تعلمي أنها جميلة ما لم تكوني رأيتهَا بعينيك، وأنتِ بلا عينين. مَنْ أنتِ أيتها الصَّغيرة؟».

- «لا أحد».

- «أرى أمامي بث الشحاذة العمياء. إنها خائبة في الكذب. عليكِ بواجباتك. فالار مورجولس».

ردت: «فالار دوهايرس»، وجمعت طبقها وكوبها وسكّينها وملعقتها ونهضت. آخر شيءٍ تناولته عصاها. طولها خمسة أقدام، رفيعة ومرنة وسميكة كإبهامها، ويغلف قمتها الجلد بطول قدم كامل. كانت اللقطة قد أخبرتها: أفضل من عينك ما إن تتعلمي كيف تستخدمينها.

وهذه كذبة. كثيرًا ما يكذبون عليها لاختبارها. لا عصا أفضل من العينين إطلاقًا، لكن من المفيد أن تحتفظ بها، وهكذا تُبقيها على مقربةٍ دومًا. بدأت أو ما تدعو الفتاة بالعصا، لكن الأسماء لا تهمُّ. إنها هي. لا أحد، أنا لا أحد، مجرد فتاة عمياء، مجرد خادمةٍ لذي الوجوه العديدة.

كل ليلةٍ على العشاء تأتيها اللقطة بكوب من الحليب وتقول لها أن تشربه. للمشروب طعم مُر غريب سرعان ما كرهته الفتاة العمياء، وسرعان ما جعلتها الرائحة الخفيفة التي تُنذر بها بكنهه قبل أن يمَسَّ لسانها ترغب في القيء، لكنها تُفرغ الكوب كاملاً في جوفها رغم ذلك.

تسأل: «كم عليّ أن أبقى عمياء؟».

وتُجيب اللقطة: «إلى أن يُصبح الظلام عندك بحلاوة النور، أو إلى أن تطلبني منا عينيك. سلي وسترين».

ثم تصرفوني. العمى أفضل. لن يُجبروها على الاستسلام.
يوم استيقظت عمياء أخذتها اللقيطة من يدها وقادتها عبر أقبية وأنفاق
الصخرة المشيدة عليها (دار الأبيض والأسود)، وصعدت بها السلالم
الحجرية إلى المعبد نفسه، وأخبرتها: «عدّي الدرجات التي تصعدينها
وتحسسي الحائط بأصابعك. ثمة علامات عليه، خفية عن العين وواضحة
للمسة».

كان هذا درسها الأول، وقد تعلمت غيره الكثير.
الأصيل مخصّص للسموم والعقاقير. في هذا تُساعدها حواسّ الشمّ
واللمس والتذوّق، ولو أن من شأن اللمس والتذوّق أن يكونا خطرين عند
طحن المواد السامة، كما أن بعض خلطات اللقيطة الأشد سميّة تجعل الشمّ
غير مأمون كذلك. صارت الحروق في أنملتي خنصرها والقروح في شفيتها
مألوفة، وفي مرّة أصابت نفسها بغثيان جعلها لا تستطيع الاحتفاظ بطعام في
معدتها أياماً.

العشاء مخصّص لدروس اللغات. تفهم الفتاة العمياء البرافوسية وتتحدّثها
بشكل مقبول، بل وفقدت معظم لُكنتها البربرية كذلك، لكن الرّجل الطيب
لم يقنع بعد، وأصرّ على أن تُحسّن فاليريّتها الفصحى وتعلم لغتي (ليس)
و(بنتوس) أيضاً.

في المساء تلعب لعبة الأكاذيب مع اللقيطة، لكن اللعبة مختلفة بشدّة من
دون عينين ترى بهما. أحياناً لا يُرشدها إلا النبرة وانتقاء الكلمات، وفي أحيانٍ
أخرى تسمح لها اللقيطة بوضع يديها على وجهها. في البدء كانت اللعبة
أصعب كثيراً جداً، أقرب إلى المستحيل... لكن حين أصبحت الفتاة على
شفا الصّراخ سخطاً صارت اللعبة أسهل للغاية، وتعلمت أن تسمع الكذب
وتشعر به في لعب العضلات حول الفم والعينين.

لم يتغيّر كثير من واجباتها الأخرى، ولكن في أثناء أدائها إيها تتعثر في
الأثاث وترطم بالجدران وتضل طريقها داخل المعبد دون أمل في إيجاد
سبيل للخروج، وذات مرّة كادت تسقط على وجهها على السلالم، لكن
سيريو فورل علمها التواؤن في حياة أخرى وقت أن كانت الفتاة المسماة آريا،
وبوسيلة ما استعادت تواؤنها وضبطت نفسها في الوقت المناسب.

كانت لتبكي حتى النَّوم في بعض الليالي لو أنها لم تزل آري أو بنت عرس أو كات، أو حتى آريا سليفة عائلة ستارك... لكن لا أحد لا تبكي. دون بصيرٍ صارَ أبسط المهام خطراً. مراراً لسعت نفسها وهي تُساعدُ أو ما في المطابخ، وفي مرّةٍ قطعت إصبعها حتى العظم وهي تفرم البصل، ومرتين لم تستطع العثور على عُرفتها في القبو ونامت مضطّرةً على الأرض عند قاعدة السّلام. كلُّ أركان المعبد المنعزلة وتجاويفه جعلت الحركة فيه خداعةً، حتى بعد أن تعلّمت الفتاة العمياء استخدام أذنيها. بينما تمشي تتردّد خطوات قدميها على السّقف، ويرتفع صداها حول سيقان تماثيل الآلهة الحجرية الطويلة الثلاثين جاعلاً الجدران نفسها كأنها تتحرّك، علاوةً على أن بركة المياه السوداء الساكنة تفعل أشياء غريبة بالصّوت أيضاً.

أخبرها الرّجل الطيّب: «إن لديك خمس حواس. تعلّمي استخدام الأربع الأخرى وستقل جروحك وخدوشك وقروحك».

الآن تُشعرُ بتيّارات الهواء على جِلدها، وتستطيع العثور على المطابخ عن طريق رائحتها، وتُميّز الرّجال عن النّساء بالرائحة، وتُفرّق بين أو ما والخدم والمعاونين بوقع خطواتهم، وتستطيع التّفرقة بين كلِّ منهم قبل أن يدنو بما فيه الكفاية وتسمّه (باستثناء اللّقيطة والرّجل الطيّب اللذين لا يُصدران صوتاً تقريباً إلا إذا أرادا). للشّموع المشتعلة في المعبد روائح أيضاً، وحتى غير المعطر منها تبعث ذبائته خيوط دُخانٍ خفيفةً. كأن الشّموع تصبح معلنةً رائحتها، كما اكتشفت ما إن تعلّمت استخدام أنفها.

وللموتى أيضاً رائحتهم. أحد واجباتها أن تجدهم في المعبد كلّ صباحٍ أينما اختاروا أن يستلقوا ويُعلّقوا أعينهم بعد الشّرب من البركة. هذا الصّباح وجدت اثنين.

مات الرّجل عند قدمي (الغريب)، فوقه شمعة وحيدة مشعلة شعرت بحرارتها وداعبت رائحتها أنفها، فعلمت أنها تحترق بلهبٍ أحمر داكن، وأن الجثّة ستبدو غارقةً في وهج محمر للمبصرين. قبل استدعاء الخادمين لحمل الرّجل ركعت وتحسّست وجهه متبّعةً خطّ فكّه ومتلمّسةً وجنتيه وأنفه وشعره. شعر مجعدّ غزير. وجه وسيم خالٍ من التّجاعيد. كان شاباً. تساءلت عمّا ساقه إلى هنا سعيًا لهدية الموت. كثيرًا ما يذهب مُبارزو البرافو

المحتضرون إلى (دار الأبيض والأسود) للتعجيل بنهايتهم، لكنها لم تجد هذا الرَّجُل مصاباً بأيِّ جروح.

الجثة الثانية لامرأةٍ عجوز. كانت قد خلدت إلى النَّوم على واحدةٍ من أرائك الأحلام في أحد التَّجاويف الخفيَّة، حيث تُصوَّر شموع خاصَّة للمرء رَوَى عن أشياء المحبوبة المفقودة. ميتة حلوة رفيقة كما يُردِّد الرَّجُل الطَّيِّب باستمرار. أخبرتُها أصابعها بأن العجوز ماتت بابتسامةٍ على شفيتها، وبأن فترةً طويلةً لم تمرَّ على موتها، فما زال الجُثمان دافئًا. بشرتها في غاية النُّعومة، كالجلد القديم الرقيق الذي طُوِيَ وتجدَّد ألف مرَّة.

عندما جاء الخادمان لحمل الجثة تبعتهما الفتاة العمياء. تركتُ خطواتهم تُرشدها، لكنها بدأت تعدُّ الدَّرجات إذ بدأ ينزلان. الآن تحفظ أعداد درجات السَّلام المختلفة في المكان عن ظهر قلب. تحت المعبد متاهة من الأقبية والأنفاق حيث يضل المبصرون أنفسهم الطُّريق، إلا أن الفتاة العمياء حفظت كلَّ بوصيةٍ منها، ومعها عصاها تُعينها على إيجاد الطُّريق إذا خانتها الذَّاكرة.

تُوضَع الجُثث في القبو، وتذهب الفتاة العمياء إلى العمل في الظَّلام مجردة الموتى من أحذيتهم وملابسهم وغيرها من المتعلقات، ومفرغةٍ صُرر نقودهم لتُحصي ما معهم من عملة. التَّمييز بين عملةٍ وأخرى باللمس وحده أحد أول الأشياء التي تعلَّمتها من اللقيطة بعد أن أخذوا عينيها. العُمُلات البرافوسية بمثابة أصدقاء قدامى، وما عليها إلا أن تتحسَّس الوجوه عليها بأطراف أصابعها لتتعرَّفها، أمَّا عُمُلات الأقطار والمُدن الأخرى فأصعب، خاصَّةً البعيد منها. الأونرات الثولانتينية أشيعها، عُمُلات صغيرة لا تتجاوز البنس حجمًا، على أحد وجهيها تاج وعلى الآخر جمجمة، واللايسينية بيضاويةٌ وعليها نساء عاريات، وثمة عُمُلات أخرى عليها سُفن أو فيلة أو كباش، والعُمُلات الوستروسية على وجهها رأس ملكٍ وعلى ظهرها تينين.

لم تكن مع العجوز صُرة، لا ثروة على الإطلاق إلا خاتم يُحيط بإصبع رفيع، ومع الرَّجُل الوسيم وجدتُ الفتاة أربعة تنانين ذهبيَّة من (وستروس). كانت تُمرِّر عقلة إبهامها على أكثرها بلى محاولةً أن تُقرِّر شخصيَّة الملك الذي عليها حين سمعت الباب يُفْتَح بخفوتٍ من ورائها. سألت: «مَن هناك؟».

- «لا أحد». صوت عميق خشن بارد.

ويتحرك. خطت إلى الجانب والتقطت عصاها ورفعته بحدّة تحمي وجهها. ططق الخشب على الخشب، وكادت قوّة الضربة تُسقط العصا من يدها، لكنها تمسكت بها وضربت... ولم تجد إلا هواءً خاليًا حيث كان يجب أن يكون صاحب الصّوت، الذي قال: «لست هناك. أنتِ عمياء؟».

لم تُجب، فمن شأن الكلام أن يُشوّش أيّ صوتٍ يُصدّره لا أكثر، وهي تعلم أنه يتحرك. يمينًا أم يسارًا؟ قفزت إلى اليسار وضربت بالعصا يمينًا ولم تُصّب شيئًا، ثم أصابتها ضربة لاسعة على مؤخّرة ساقها. «أنتِ صمّاء؟». دارت على عقبيها والعصا في يدها اليسرى وأخطأت التّسديد، ومن اليسار سمعت ضحكةً فضربت يمينًا.

وهذه المرّة اصطدمت عصاها بعصاه ليسري وقع الصّدمة في ذراعها، وقال الصّوت: «ممتاز».

لا تدري الفتاة العمياء صوت من هذا. أحد المُعاونين على حدّ ظنّها. لا تذكر أنها سمعت صوته من قبل إطلاقًا، ولكن لم تفترض أن خدم الإله عديد الوجوه لا يستطيعون تبديل أصواتهم بسهولة بتبديل وجوههم؟ بخلافها تضمّ (دار الأبيض والأسود) خادمين وثلاثة مُعاونين وأوما الطبّاخة والكاهنين اللذين تُسمّيهما اللقيطة والرّجل الطيّب. هناك آخرون يأتون ويذهبون، أحيانًا من طرقٍ سرّيّة، لكن هؤلاء هم الوحيدون القاطنون هنا، وقد يكون غريمها أيّهم.

اندفعت الفتاة جانبًا وعصاها تدور، ثم سمعت صوتًا وراءها ودارت في هذا الاتّجاه وضربت الهواء... وعلى جين غرّة وجدت عصاه بين ساقها تُشابكهما إذ حاولت الدّوران ثانية، واحتكّت بقصبة ساقها لتتعرّ وتُسقط على رُكبتها بعنفٍ جعلها تعضّ لسانها.

وهنا توقّفت. بجمود الحجر. أين هو؟

ضحك من خلفها، ونقرها بخفّة على أذنها ثم ضربها على مفاصل أصابعها وهي تُحاول النهوض، فسقطت عصاها على الأرض. وهسهست الفتاة غيظًا.

- «هلمّي، التقطيهما. فرغت من ضربك اليوم».

- «لا أحد ضربني». زحفت الفتاة على أربع حتى وجدت عصاها، ثم هبتت تقف مرضوضةً متسخةً، إلا أنها وجدت القبو ساكنًا صامتًا والرَّجل غادر. أم أنه ما زال هنا؟ من الممكن أن يكون واقفًا إلى جوارها مباشرةً ولن تعرف أبدًا. أخبرت نفسها: أصغي إلى أنفاسه، لكنها لم تسمع شيئًا. منحت نفسها لحظةً أخرى، ثم وضعت عصاها جانبًا واستأنفت عملها. لو أتي أتمتعُ بعيني لضربته حتى يسيل دمه. يومًا ما سيعيدهما الرَّجل الطيبُ وتُريهم جميعًا.

كانت جثة العجوز قد بردت وجثة البرافو تتخشب. تعودت الفتاة هذا. في أكثر الأيام تقضي مع الموتى وقتًا أطول من الأحياء. كم تفتقد الأصدقاء الذين عرفتهم حين كانت كات قطة القنوات؛ بروسكو العجوز بظهره المعتل وابنتيه تاليا وبريا، وممثلي (السَّفينة)، وميري وعاهراتها في (الميناء السَّعيد)، وكل الأشقياء وحُثالة أرصفة الموانئ الآخرين. وفوقهم جميعًا تفتقد كات نفسها أكثر مما تفتقد بصرها. لقد أحببت كونها كات أكثر مما أحببت كونها ملححة أو الكتكوت أو بنت عرس أو آري. قتلتُ كات لما قتلتُ ذلك المغني. أخبرها الرَّجل الطيبُ بأنهم كانوا سيأخذون عينيها في جميع الأحوال، لمساعدتها على تعلم استخدام حواسها الأخرى، ولكن ليس قبل نصف عام. المُعاونون العميان يتردّدون بكثرة إلى (دار الأبيض والأسود)، إلا أن قلائل منهم صغار مثلها. رغم كل شيء ليست الفتاة نادمةً. داريون كان متهرَّبًا من حرس الليل واستحقَّ الموت.

وهذا مضمون ما قالته للرَّجل الطيب، الذي ردَّ عليها: «وهل أنتِ إله لتقرّري مَنْ يعيش ومَنْ يموت؟ إننا نُعطي الهدية لمن وضع عليهم ذو الوجوه العديدة علامته، وبعد الصَّلَاة وتقديم القرابين. هكذا جرّت العادة من البداية. لقد حكيتُ لك عن نشأة جماعتنا وكيف أجاب أولنا أدعية العيد الراغبين في الموت. في البداية أُعطيَت الهدية لمن يشتاقون إليها فحسب... لكن ذات يوم سمع أولنا عبدًا يُصلي طالبًا الموت، ليس لنفسه وإنما لسَيِّده، وكانت رغبته في هذا محمومة حتى إنه نذر كل ما يملك ليُجاب دعاؤه، فبدا لأخيْنَا الأول أن قريبًا كهذا سيسرُّ الإله عديد الوجوه، وأجاب الدعاء ليلتها، ثم إنه ذهب على العبد وقال له: لقد نذرت كل ما تملك لقاء موت هذا الرَّجل، لكن العيد لا يملكون شيئًا إلا حياتهم، وهذا هو ما يُريده منك الإله. ما حييت

على هذه الأرض ستخدمه. ومنذ تلك اللحظة صرنا اثنين»، وانغلقت قبضته على ذراعها برفق لا يعوزه الحزم، وأضاف: «كل البشر يُدركهم الموت. إننا أدوات الموت فقط لا الموت نفسه. عندما قتلت ذلك المغني اتخذت قدرات الإله لنفسك. نحن نقتل الناس، لكننا لا نحكم عليهم أبدًا. هل تفهمين؟». فكَرَّت: لا، وقالت: «نعم».

- «تكذبين، ولذا عليك أن تمشي في الظلمة إلى أن تري الطريق. ما لم تكوني راغبة في تركنا. ما عليك إلا أن تسألي وستستردين عينيك».

فكرت: لا، وقالت: «لا».

هذا المساء، بعد العشاء ومباراة قصيرة من لعبة الأكاذيب، لفت الفتاة العمياء خرقه حول رأسها لتخفي عينيها التالفتين، ثم وجدت وعاء الشحاذة وطلبت من اللقيطة أن تُساعدِها على وضع وجهه بث. كانت اللقيطة قد حلفت رأسها حين أخذوا عينيها، وقالت إن اسمها قصّة الممثلين، بما أن ممثلين كثرًا يفعلون هذا ليناسب شعرهم المستعار رؤوسهم أكثر، لكنها تصلح للمتسولين أيضًا وتحمي رأسها من القمل والبراغيث. على أنها احتاجت إلى ما هو أكثر من الشعر المستعار، فقالت لها اللقيطة: «يمكنني أن أعطيك بالقروح المفتوحة، لكن في تلك الحالة سيطرّدك أصحاب الخانات والحانات»، وبدلاً من ذلك أعطتها ندوب جُدري وشامة مستعارة على خدها تنبت منها شعيرات داكنة. سألتها الفتاة العمياء: «أهي قبيحة؟».

- «ليست جميلة».

- «عظيم». إنها لم تُبال قطُ بكونها جميلة أم لا، حتى عندما كانت الحمقاء آريا ستارك. وحده أبوها نعتها بالجمال. هو وچون سنو أحيانًا. واعتادت أمها أن تقول إنها بإمكانها أن تكون جميلة إذا اغتسلت ومشطت شعرها واعتنت أكثر بثيابها مثل أختها. بالنسبة إلى أختها وصديقات أختها والآخرين كلهم لم تكن إلا آريا وجه الحصان. لكنهم موتى جميعًا الآن، حتى آريا، جميعهم باستثناء أخيها غير الشقيق چون. في بعض الليالي تسمع كلامًا عنه في حانات ومواخير (ميناء راجمان)، نغل (الجدار) الأسود كما دعاه أحدهم. فكَرَّت: أراهن أن چون نفسه ما كان ليتعرّف بث العمياء، وأحزنتها الفكرة.

الثياب التي ترتديها أسماط باهتة مهترئة، لكنها أسماط ثقيلة نظيفة في الآن

نفسه. تحتها تُخفي ثلاثة سكاكين، أحدها في فردة حذائها والثاني في كُمِّها والثالث على أسفل ظهرها. البرافوسيون أناس طيبون على وجه العموم، الأرجح أن يُساعدوا الشحاذة العمياء المسكينة من أن يُحاولوا إيذاءها، لكن هناك دومًا بعض الطالحين الذين قد يرونها لُقمةً سائغةً تصلح للسرقة أو الاغتصاب. السكاكين من أجل هؤلاء، وإن لم تُرغم الفتاة العمياء على استخدامها حتى الآن. أكملت تنكرها بوعاء شحاذة خشبي مشقق وحزام من ليف القنب.

خرجت فيما هدر (المارد) معلناً مغيب الشمس، تعدد الدرجات من باب المعبد إلى أسفل، ثم تُطَاقُ بعضها متجهةً إلى الجسر الذي يقودها من فوق القناة إلى (جزيرة الآلهة). أدركت أن الضباب كثيف من التصاق ثيابها ببدنها بفعل الندى وشعورها بالرطوبة في الهواء على يديها المكشوفتين. كانت قد ألقت أن ضباب (برافوس) يفعل أشياء غريبة بالأصوات أيضًا. نصف المدينة سيكون شبه أعمى الليلة.

بينما سلكت طريقها مارةً بالمعابد سمعت معاوي طائفة الحكمة النجمية على قمة بُرج الاستطلاع في معبدهم يُغنون لنجوم المساء، وشمت نفحة من الدخان العطر في الهواء قادتها إلى الطريق المتعرج، حيث أشعل الرهبان الحُمر المستوقدات الحديد العظيمة خارج دار إله الضياء، وسرعان ما شعرت بالحرارة في الهواء إذ رفع عابدهو راهلور الأحمر عقائرهم بالصلاة مرددين: «فالليل مظلم ومفعم بالأهوال».

ليس ليلى. لياليها يغمرها نور القمر وتُفعمها أغاني قطيعها، ومذاق اللحم الأحمر الممزق عن العظم، ورائحة أولاد عمومتها الشهب المألوفة الدافئة. ليست عمياء وحيدةً إلا نهارًا.

الضفة مألوفة لها، فقد اعتادت كات أن تجوب أرصفة وأزقة (ميناء راجمان) وتبيع بلح البحر والمحار وأم الخلول لحساب بروسكو. بأسمالها ورأسها المحلوق وشامتها المستعارة لم تعد تبدو كما كانت، ومع ذلك -على سبيل الاحتياط- ظلت بعيدًا عن (السفينة) و(الميناء السعيد) وغيرهما من الأماكن التي عرفت فيها كات جيّدًا. تعرف كل خانٍ وحنانٍ من رائحتها. لـ(الثوتي الأسود) رائحة ملحية،

ولـ(خَمَّارة پینتو) مزيج كرية من روائح النَّبِيذ الحامض والجُبنة العفنة وپینتو نفسه، الذي لا يُبَدِّل ثيابه أو يغسل شعره أبدًا. في (رفاء القلوع) الهواء الدُّخاني متبَلِّ دومًا برائحة اللُّحْم المشوي، و(دار القناديل السَّبعة) معطِّرة دومًا بالبخور، و(قصر الساتان) بأريج الشَّابَّات الحسانوات الحالِمات بأن يصرن محظيَّات.

لكلِّ مكانٍ أصواته أيضًا. في (موروجو) و(ثُعبان الماء الأخضر) مطربون يُعُنون في أغلب اللَّيالي، وفي (خان المنبوذين) يُعَنِّي الزَّبائِن أنفُسهم بأصواتِ ثملة وعشرات اللُّغات، و(بيت الضُّباب) مزدحم دائِمًا بمَلَاحي القوارب الأُفَعوانِيَّة الذين يتجادلون حول الآلهة والمحظيَّات وإن كان أمير البحر أبله. (قصر الساتان) أهدأ كثيرًا، مكان للغزل الهامس وحفيف الفساتين الحرير النَّاعم وضحكات الفتيات.

تسوَّل بث في مكانٍ مختلف كلِّ ليلة، ذلك أنها تعلَّمت مبكرًا أن أصحاب الخانات والحانات يميلون أكثر إلى التَّغاضي عن وجودها إذا لم يتكرَّر باستمرار. ليلة البارحة قَضَّتْها خارج (ثُعبان الماء الأخضر)، وهكذا توجَّهت إلى اليمين بدلًا من الشُّمال بعد (الجسر الدَّامي) وشقَّت طريقها إلى (خَمَّارة پینتو) الواقعة في طرف (ميناء راجمان) الآخر على حافة (البلدة الغارقة) مباشرة. قد يكون صاحبًا منفرِّ الرائحة، لكن لپینتو قلبًا طيبًا تحت ثيابه الوسخة وفضاظته. في أغلب الأحيان يسمح لها بالدُّخول حيث الجو دافئ عندما لا يكون المكان شديد الازدحام، وبين الحين والآخر يسقيها كوزًا من المِزر ويُطعمها قطعةً من الخُبز فيما يُتَحَفِّها بحكاياته. في شبابه كان پینتو أسوأ القراصنة سُمعةً في (الأعتاب) - حسب كلامه - ولا يحبُّ شيئًا أكثر من الكلام بإسهاب عن مناقبه.

حالفها الحظ اللَّيلة. وجدت الخَمَّارة خاليةً تقريبًا، وتمكَّنت من الجلوس في رُكنٍ هادئ غير بعيد عن النَّار. لم تكد تستقرُّ هناك وتُرَبِّع ساقِها حتى احتكَّ شيء ناعم بفخذها. قالت الفتاة العمياء: «أنت ثانية؟»، وحكَّت رأسه وراء أذنه، فوثبَ القَطُّ يجلس في حجرها وشرعَ في الخرخرة. (برافوس) ملأى بالقَطط، لا سيَّما (خَمَّارة پینتو)، فالقُرْصان العجوز يعتقد أنها تجلب

حُسْن الطَّلَع وتحفظ مكانه من الهوام. همست: «أنت تعرفني، أليس كذلك؟». القَطَط لا تنخدع بالشَّامات المستعارة، وتذكر قِطَّة القنوت.

اللَّيْلَة طيِّبَة بالنَّسبة إلى الفتاة العمياء. كان بيتتو في مزاج حسن وأعطاهها كوبًا من التَّبِيد المخفَّف بالماء وقطعةً من الجُبنة العفنة ونصَّف فطيرة شِلَق. أعلن: «بيتتو رجل طيِّب جدًّا»، ثم جلس يحكي لها عن المرَّة التي استولى فيها على سفينة العطارَة، وهي القصَّة التي سمعَها مرارًا من قبل.

مرَّت السَّاعات وامتألاً المكان، وسرعان ما انشغلَّ عنها بيتتو، لكن عددًا كبيرًا من زبائنه المعتادين ألقى قطعًا من العُملة في وعائها. شغلَّ المواد الأخرى غُرباء؛ صيَّادو حيتان إيبينزيون تفوح منهم رائحة الدَّماء والشَّحم، وزوجان من مُبارزي البرافو شعرهما مصفَّف بزيتٍ معطرٍ، ورجل سمين من (لوراث) اشتكى من أن مقصورات بيتتو صغيرة للغاية على بطنه، ولاحقًا ثلاثة لايسينيَّين من بحَّارة (القلب الكريم)، قادم حطَّته عاصفة ودخل (برافوس) ليلاً البارحة وصادره صبيحة اليوم حرس أمير البحر.

أخذ اللايسينيون المائة الأقرب إلى النَّار وتكلَّموا بهدوءٍ وهُم يشربون الرَّم الأسود القطراني خافضين أصواتهم قدر الإمكان لئلا يسمعون أحد... لكنها لا أحد، وسمعت كلَّ كلمةٍ تقريبًا، ولفترةٍ بدا كأنها تراهم أيضًا من خلال عينين صفراوين مشقوقتين طويلًا، عيني القَطَط الذي يُخرِخر في حجرها. أحدهم عجوز وأحدهم شاب وأحدهم فقد أذنا، لكن لثلاثتهم شعر أشقر أبيض وبشرة ناعمة كأهل (ليس)، حيث لا تزال دماء المعقل الحُر القديم تتدفق بقوة.

في الصَّبَاح التَّالي، حين سألتها الرَّجل الطيِّب عن الأشياء الثلاثة التي تعلمها ولم تكن تعلمها من قبل، كانت مستعدَّة.

- «أعلمُ أن أمير البحر صادَرَ (القلب الكريم). كانت السَّفينة تحمل عبيدًا، مئات العبيد، نساءً وأطفالًا مربوطين معًا بالحبال في مخزنها». (برافوس) أسَّسها العبيد الهاربون، والنَّخاسة محرَّمة هنا. «أعلمُ من أين أتى العبيد. إنهم همج من (وستروس)، من مكانٍ اسمه (هاردهوم)، مكان قديم مقفر ملعون». في (وينترفل) حكَّت لها العجوز نان عن (هاردهوم) حين كانت آريا ستارك.

«بعد المعركة الكبرى التي قُتِلَ فيها ملك ما وراء الجِدار هربَ الهَمَج، وقالت عَرَافَة غابات إن سُفنًا ستأتي تحملهم إلى مكانٍ دافئ إذا ذهبوا إلى (هاردهوم)، لكن لا سُفن أتت إلا سفيتتا القراصنة (القلب الكريم) و(الفيل) اللتان جرفتهما عاصفة شمالاً. رسا القراصنة عند (هاردهوم) لإصلاح السفينتين ورأوا الهَمَج، لكنهم كانوا بالآلاف ولم تكن عندهم مساحة لهم جميعاً، فقالوا إنهم سيأخذون النساء والأطفال فقط. لم يكن لدى الهَمَج ما يأكلونه، فأرسل الرجال زوجاتهم وبناتهم، لكن ما إن خرجت السفينتان إلى البحر ساقهم القراصنة إلى أسفل وربطوهم بالحبال. كانوا ينون بيعهم في (ليس)، لكن عاصفة أخرى قابلتهم وفرقت السفينتين. كانت (القلب الكريم) تالفة حتى إن رُبَّانها لم يجد خياراً إلا الرِّسو هنا، أمّا (الفيل) فربما استطاعت العودة إلى (ليس). اللايسينيون في (خَمَّارة بيتو) يظنون أنها سترجع بالمزيد من السفن. يقولون إن أسعار العبيد ترتفع، وفي (هاردهوم) آلاف آخرون من النساء والأطفال».

- «جيد أن نعلم هذا. هذان شيئان. أهنك ثالث؟».

أجابت: «نعم. أعلم أنك أنت من تضربني»، وارتفعت عصاها تضربه على أصابعه مسقطه عصاه على الأرض.
 لاح الألم على وجه الكاهن وانتزع يده متسائلاً: «وكيف تعلم فتاة عمياء ذلك؟».

لقد رأيتك. «أعطيتك ثلاثة أشياء. لست مضطرة إلى إعطائك أربعة». قد تُخبره غداً عن القِط التي تبعها إلى المعبد ليلة البارحة من (خَمَّارة بيتو)، القِط الذي اختبأ بين عوارض السقف ينظر إليهما من أعلى. وقد لا أخبره. إذا كان يستطيع الاحتفاظ بالأسرار فهي أيضاً تستطيع.

ليلتها قدّمت أوما سرطان البحر المملح على العشاء، وحين قدّم إليها الكوب تقلص أنف الفتاة العمياء وشربته على ثلاث جرعاتٍ طويلة، ثم شهقت وأسقطت الكوب وقد اشتعل لسانها ناراً، ولما جرعت كوباً من النبيذ انتشر الحريق إلى حلقها وأنفها.

أخبرتها اللقيطة: «النبيذ لن يساعذك، والماء سيُلهب الحرارة. كُلّي هذا»،

ودسَّت. قطعَةً من الخُبز في يدها، فدسَّتْها الفتاة العمياء في فمها ومضغَت
وابتلعت. خفَّف الخُبز الحرقان بالفعل، وخفَّفته قطعة ثانية أكثر.
وعندما أتى الصَّباح، عندما تركَّتها ذبَّة اللَّيل وفتحت عينيها، رأَت
شمعةً من الشَّحم مشتعلةً حيث لم تكن هناك شمعة ليلة أمس، يتمايل لهبها
المتذبذب إلى الأمام والخلف كعاهرةٍ في (الميناء السَّعيد).
ولم يحدث من قبل أن رأَت شيئاً بهذا الجمال.



شبح في وينترفيل

عُثِرَ على الرَّجُلِ المِيتِ عندَ قاعدةِ السُّورِ الدَّاخِليِّ، مكسورِ العُنُقِ ولا يظهرُ منه إلا ساقه البَازِرةُ فوقِ الثَّلجِ الذي دَفَنَهُ خلالَ اللَّيْلِ.

لو لم تنبشِ كلباتِ رامزيِ الثَّلجِ فلربما ظلَّ مدفونًا حتى الرَّبِيعِ. حينَ أبعدَهُنَّ بن بونز أخيرًا كانتِ چاينِ الشَّهباءِ قد نهَشتْ معظمَ وجهِ المِيتِ، حتى إن نِصفَ النَّهارِ انقضى قبلَ أن يعلموا يَقيِنًا أَنه كانَ رجلًا مسلِّحًا في الرَّابِعةِ والأربِعينِ زحفَ شمالًا مع روجر ريزويل، الذي أعلنَ «سَكِّير». أراهنُ أَنه كانَ يتبوَّلُ من فوقِ السُّورِ وانزلقَ وسقطَ». لم يُعارضه أحدٌ، إلا أن ثيونَ جرابِچوي وجدَ نفسه يتساءلُ لِمَ قد يصعدُ أحدُ الدَّرجاتِ المغطَّاةِ بالثَّلجِ الرُّلُقَ إلى الشُّرفاتِ في جوفِ اللَّيْلِ لمجرَّدِ أن يُفرِّغَ مثانته.

صبيحةَ هذا اليومِ، فيما أفطَرَ رجالُ الحاميةِ عليَّ الخُبزِ البائتِ المحمَّرِ في دُهْنِ اللَّحْمِ المقدَّدِ -وأكلَ اللورداتِ والفُرسانُ اللَّحْمَ المقدَّدَ نفسه- انهمكَ أكثرُ الجالسِينِ عليَّ الدِّكِّ في الكلامِ عن الجِثَّةِ.

سمعَ ثيونَ أحدَ الرُّقباةِ يُغمِغِمُ: «ستانيس له أصدقاؤ داخل القلعة». الرَّجُلُ عجوزٌ من أتباعِ تولهارتِ، عليَّ سُترته الطَّويلةِ الرِثَّةِ شارةُ الأشجارِ الثَّلَاثِ. كانتِ المناوِبةُ قد تبدَّلتْ لتوَّها والرِّجالُ يلودونُ بالقاعةِ من البردِ، يدقُّونُ الأرضَ بأقدامهم لينفضوا الثَّلجَ عن أحذيتهم وسراويلهم وقد بدأ تقديمُ وجبةٍ منتصفِ النَّهارِ، سُجقِ دمويِّ وكُرَّاثِ وخُبزِ بِنِّي دافئِ.

ضحكُ أحدِ خيَّالةِ رُووسِ ريزويلِ، وقال: «ستانيس؟ ستانيس محاصرٌ بالثلوجِ وسيهلكُ فيها، أو أَنه فرَّ عائِدًا إلى (الجِدَارِ) وذيله متجمِّدٌ بين قدميه».

قال رام يرتدي ألوان سروين: «وقد يكون معسكراً على بُعد خمسة أقدام من أسوارنا ومعه مئة ألف رجل ولن نرى ولو واحداً منهم بسبب العاصفة». بلا نهاية وبلا انقطاع وبلا رحمة ينهمر الثلج مدراراً ليل نهار، والآن ترتفع أكوامه بطول الأسوار وتملاً ثلمات الشرفات، وتكسو دُثر بيضاء السُقف، وترتخي الخيام تحت الثلج الذي أثقلها. مُدَّت من قاعةٍ إلى قاعةٍ حبال للحيلولة دون ضلال الرّجال طريقهم وهم يقطعون الباحات والأفنية، وتزدحم أبراج الحراسة بالنواطير الذين يُدْفئون أيديهم شبه المتجمّدة فوق نيران المستوقدات، وقد تركوا مماشى الأسوار للحرس الثلجيين الذين صنعهم المُرافقون. يبدو هؤلاء أكبر حجماً وأغرب شكلاً كل ليلة إذ يُعمل فيهم الجو العاصف إرادته، ونبّت على الحراب التي يقبضون عليها بأيديهم الثلجية لحي شعناء من الجليد. وعلاوةً على ذلك فإن هوستين فراي، الرّجل الذي سُمِع يُدْمِمُ بأنه لا يخشى القليل من الثلج، فقد أذنا من جرّاء قضمة الصقيع. أشد المعاناة من بخت الخيل في السّاحات، إذ تبتل الأغطية التي وضعوها عليها لتدْفئتها عن آخرها وتتجلّد إذا لم تُبدّل بانتظام، وإذا أُشعلت نار لوقايتها من البرد كان ضررها أكثر من نفعها، فالجياذ الحربيّة تخشى اللهب وتتلوى في صفوفها مقاتلةً للابتعاد عنه فتجرح نفسها وغيرها من الخيول. وحدها الخيول في الاسطبلات آمنة متدْفئة، لكن الاسطبلات مكتظة تماماً. سُمِع اللورد لوك العجوز يقول في القاعة الكُبرى: «الآلهة انقلبت علينا. هذه غضبتها، ريح باردة كالجحيم ذاتها وثلوج لا تنقطع أبداً. إننا ملعونون». ردّ أحد رجال (معقل الخوف) بإصرار: «ستانيس هو الملعون، إنه هو المحاصر بالعاصفة بالخارج».

علّق مُحارب غير نظامي أحمر: «ربما كان ستانيس ينعم بالدّفء بالفعل ولا ندري. مشعوذته تلك تستطيع استدعاء النّار، وقد يُذيب إلهها الأحمر هذه الثلوج».

أدرك ثيون من فوره حماقة التّصرّف. تكلم الرّجل بصوت عالٍ وفي نطاق سمع القضيب الأصفر وآلن اللفظ وبين بونز، ولمّا بلغ الكلام اللورد رامزي أمر صبيان النّعل بالقبض على الرّجل وجرّه إلى الثلج بالخارج، حيث أخبره: «ما دُمت مغرماً بستانيس فسُنرسلك إليه». هوى ديمون ارقص -لي على

المُحارب غير النظامي يوضع جلداتٍ بسوطة المشحَم، وبعدها أمرَ رامزي بجَرِّ الرَّجلِ إلى (بِوَابَةِ الشُّرَفَاتِ) فيما تراهنَ السِّلَاحَ والقَضِيبَ الأصْفَرَ على المُدَّةِ التي سيستغرقها دمه حتى يتجمَّد.

بِوَابَةُ (ويتترفل) الرَّئِيسَةُ الكُبْرَى مغلقة وموصدة، وإضافةً إلى هذا مخنوقة بالجليد والثَّلج، حتى إن لا بُدَّ من تكسير ما حول الشَّبْكَة الحديديَّة من جليدٍ أوْلاً قبل رفعها. و(بِوَابَةُ الصِّيَّادِينَ) في حال لا تختلف كثيرًا، وإن كان الجليد لا يصنع مشكلةً هناك بما أن البِوَابَةَ استُخْدِمَت في الآونة الأخيرة، على عكس (بِوَابَةُ طَرِيقِ المَلُوكِ) حيث جمَّد جليد بصلادة الصَّخْر سلاسل الجسر المتحرِّك. تبنَّت إذن (بِوَابَةُ الشُّرَفَاتِ)، وهي بِوَابَةُ جانبيَّة مقنطرة صغيرة في السُّور الدَّاخِلي، نِصْف بِوَابَةٍ في الواقع، فجسرها المتحرِّك يمتدُّ فوق الخندق المتجلِّد، ولكن لا يُقابله مخرج في السُّور الخارجي، وهو ما يسمح بالوصول إلى الشُّرَفَاتِ الخارجيَّة فحسب وليس إلى العالم ورائها.

حُومِلَ المُحارب غير النظامي نازقًا محتجًا عبر الجسر المتحرِّك وأعلى السِّلَالم، ثم أطبق السِّلَاحَ وآلن اللفظ على ذراعيه وساقيه وألقياه من فوق السُّور إلى الأرض على مسافة ثمانين قدمًا بالأسفل. كانت أكوام الثَّلج قد تعاطمت لدرجة أنها ابتلعت الرَّجلَ بالكامل... لكن الرُّماة في الشُّرَفَاتِ زعموا أنهم رأوه بعد فترةٍ يجرُّ ساقه المكسورة في الثَّلج، وأصابه أحدهم بسهم في أليته فيما تلوى مبتعدًا.

أعلنَ اللورد رامزي: «خلال ساعةٍ سيموت».

ردَّ باقر العاهرة أومبر: «أو قبل أن تغرب الشمس سنجده عند ستانيس بمصُّ له قضيبه».

ضحك ريكارد ريزويل قائلاً: «خيرٌ له ألا يكسره. أيُّ رجلٍ بالخارج في هذا الطُّقس قضيبه متجمَّد عن آخره».

قالت الليدي داستن: «اللورد ستانيس ضائع في العاصفة. إنه يبُعد فراسخ عن هنا، إمَّا مات بالفعل وإمَّا يموت. فليفلع الشِّتاء أسوأ ما عنده. بضع أيامٍ أخرى وستدفنه الثلوج هو وجيشه».

فكَّر ثيون متعجبًا من سداحتها: وتدفننا أيضًا. الليدي باربري من الشِّمال والمفترَض أن تلمَّ أكثر بطبائع الأُمور، وقد تكون الآلهة القديمة مصغيَّة.

قُدِّمَ عَشَاءٌ مِنْ ثَرِيدِ الْبَازِلَاءِ وَخُبْزِ الْبَارِحَةِ، وَهُوَ مَا أَدَّى إِلَى هَمِّهِ بَيْنَ الرَّجَالِ الْعَوَامِ أَيْضًا، فَفَوْقَ الْمَلْحِ سُوهَدَ اللَّورِدَاتِ وَالْفُرْسَانَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْخَنْزِيرِ.

كَانَ ثِيُونَ مَائِلًا فَوْقَ وَعَاءٍ خَشْبِي يُنْهِي مَا تَبَقَّى مِنْ حَصَّتِهِ مِنَ الثَّرِيدِ عِنْدَمَا جَعَلَتْهُ لِمَسَةِ خَفِيفَةٍ عَلَى كَتْفِهِ يُسْقِطُ مَلْعَقَتَهُ. قَالَ: «إِيَّاكَ أَنْ تَلْمِسِينِي»، وَانْحَنَى يَلْتَقِطُ الْمَلْعَقَةَ السَّاقِطَةَ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَخْتَطِفَهَا إِحْدَى كَلْبَاتِ رَامِزِي، وَكَزَّرَ: «إِيَّاكَ أَنْ تَلْمِسِينِي أَبَدًا».

جَلَسْتُ إِلَى جَوَارِهِ عَلَى مَقْرِبَةٍ بِالْغَةِ، وَاحِدَةٌ أُخْرَى مِنْ غَسَّالَاتِ إِيْبِلِ، شَابَّةٌ فِي الْخَامِسَةِ أَوْ السَّادِسَةِ عَشْرَةَ، شَعْرُهَا الْأَشْفَرُ أَشْعَثُ وَفِي حَاجَةٍ إِلَى غَسَلَةٍ، وَشَفْتَاهَا الْمَمْتَلِئَتَانِ فِي حَاجَةٍ إِلَى قُبْلَةٍ. قَالَتْ بَابْتِسَامَةٍ صَغِيرَةٍ: «بَعْضُ الْفَتِيَّاتِ يَحْبَبْنَ اللَّمْسَ. بَعْدَ إِذْنِ سَيِّدِي، أَنَا هَوْلِي».

قَالَ لِنَفْسِهِ: هَوْلِي الْعَاهِرَةُ، لَكِنِّهَا حَسَنَاءٌ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ. فِيمَا سَبَقَ كَانَ لِيَضْحَكُ وَيَشْدُّهَا إِلَى حِجْرِهِ، لَكِن تِلْكَ الْأَيَّامُ وَلَّتْ. «مَاذَا تُرِيدِينَ؟». قَالَتْ هَوْلِي: «أَنْ أَرَى السَّرَادِيبَ. أَيْنَ هِيَ يَا سَيِّدِي؟ هَلَّا أَرَيْتَنِي؟»، وَدَاعَبَتْ خُصْلَةً مِنْ شَعْرُهَا وَلَفَّتْهَا حَوْلَ إِصْبَعِهَا مُضِيفَةً: «يَقُولُونَ إِنَّهَا عَمِيقَةٌ وَمُظْلِمَةٌ، مَكَانٌ جَيِّدٌ لِلَّمْسِ، وَالْمَلُوكُ الْمَوْتَى يُشَاهِدُونَ».

- «هَلْ أَرْسَلْتِ إِيْبِلَ؟».

- «رَبِّمَا، وَرَبِّمَا أَرْسَلْتُ نَفْسِي. لَكِن إِذَا كُنْتُ تُرِيدُ إِيْبِلَ فَيُمْكِنُنِي أَنْ أَحْضِرَهُ. سَيُعْنِي أَعْنِيَّةٌ جَمِيلَةٌ لِسَيِّدِي».

كُلُّ كَلِمَةٍ لَفْظَتَهَا أَقْنَعَتْ ثِيُونَ بِأَنَّ هَذِهِ حِيلَةٌ مَا. لَكِن حِيلَةٌ مَنْ؟ وَوَلَايٌ غَايَةٌ؟ فِيمَ يُرِيدُهُ إِيْبِلُ؟ الرَّجُلُ مَجْرَدٌ مَعْنٌ، قَوَادٍ يَحْمِلُ عَوْدًا وَابْتِسَامَةً كَذُوبًا. يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ أَخَذَتْ الْقَلْعَةَ، وَلَكِن لَيْسَ لَكِي يُولَفُ أَعْنِيَّةً. ثُمَّ إِنَّهُ أَدْرَكَ الْجَوَابَ. يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ دَخَلْنَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَخْرُجَ. لَقَدْ أَحْكَمَ اللَّورِدُ بُولْتُونَ إِغْلَاقَ (وَيَنْتَرِفُل) إِحْكَامَ الْقِمَاطِ عَلَى الرَّضِيعِ، وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ الدُّخُولَ أَوْ الْخُرُوجَ دُونَ إِذْنِهِ. يُرِيدُ أَنْ يَفْرَّ هُوَ وَغَسَّالَاتُهُ. لَا يُمَكِّنُ لَثِيُونَ أَنْ يَلُومَهُ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا قَالَ: «لَا أُرِيدُ أَيَّ صِلَةٍ بِإِيْبِلِ أَوْ بِكِ أَوْ بِأَخَوَاتِكِ. دَعُونِي وَشَأْنِي».

فِي الْخَارِجِ كَانَ الثَّلْجُ يَدُورُ فِي دَوَّامَاتٍ رَاقِصَةٍ. مُسْتَرَشِدًا بِالْحَبَالِ، ذَهَبَ ثِيُونَ إِلَى السُّورِ ثُمَّ اتَّبَعَهُ إِلَى (بَوَابَةِ الشَّرَفَاتِ). كَانَ لِيَحْسِبَ الْحَارِسِينَ هُنَاكَ

زوجين من رجال والدر الصَّغير الثَّلجيين لو لم يرَ أنفاسهما البيضاء، وقد أخبرهما وأنفاسه هو تتجمد في الهواء: «أريد المشي فوق الأسوار».

حذرهما أحدهما: «البرد قارس بالأعلى»، وقال الثاني: «البرد قارس هنا، لكن افعل ما تشاء أيها المارق»، وأشار لثيون بالمرور من البوابة.

صعد الدَّرجات المكدَّس عليها الثلج الزَّلَق، وما إن بلغ الممشي لم يستغرق طويلاً حتى وجد البُقعة التي ألقوا منها المُحارب. هدم جدار الثلج الطَّازج الذي بنى نفسه في الثُّلمة ومال إلى الخارج بين الشُّرافتين مفكِّراً: يُمكنني أن أقفز. هو عاش، فلمَ لا أعيشُ أيضًا؟ يُمكنه أن يقفز... وماذا؟ أكسر ساقِي وأموت تحت الثلج؟ أزحف حتى أموت متجمدًا؟

إنه جنون. سيُطارده رامزي ومعه فتياته، وستمرِّفه چاين الحمراء وچز وهليستن إربًا إربًا، وهذا إذا ترفقت به الآلهة، إلا أن الأسوأ أن يقبضوا عليه ويعودوا به حيًّا. همسَ: «يجب أن أتذكَّر اسمي».

في الصُّباح التَّالي عُثِرَ على مُرافق السير إينس فراي العجوز عاريًا وميتًا من البرد في ساحة الأُسنة القديمة، وقد أخفى الصَّقيع ملامحه فبدا كأنه يضع قناعًا. أدلى السير إينس بدلوه في الأمر قائلًا إن الرَّجل أسرف في الشُّرب وضلَّ طريقه في العاصفة، وإن لم يُفسَّر أحدٍ لِمَ خلعَ ملابسه قبل أن يخرُج. سكبَّ آخر. الخمر كفيِّلة بإغراق جيش عرمرم من الشُّكوك.

ثم قبل انقضاء النَّهار عُثِرَ على رامي نُشَّابِيَّة مقسم على الولاء لآل فلينت في الاسطبل بجمجمة مهشَّمة. أعلن اللورد رامزي أن حصانًا رفسه، غير أن ثيون قال لنفسه بحزم: بل هسَّمت رأسه هراوة على الأرجح.

كلُّ هذا يبدو مألوفًا كتمثيليةٍ شاهدها من قبل، مع فرق أن الممثلين تبدَّلوا. الآن يلعب رروس بولتون الدُّور الذي لعبه ثيون آنفًا، والموتى يلعبون أدوار آجار وجاينير ذي الأنف الأحمر وجلمار العابس. كان ريك أيضًا موجودًا، لكنه ريك مختلف، ريك آخر دامي اليدين تقطُر من شفثيه أكاذيب بحلاوة الشَّهد. ريك، ريك، على قافية لريك.

دفعَت الميتات الثُّلاث لوردات رروس بولتون إلى الشُّجار علانيةً في القاعة الكُبرى، وقد بدأ صبر بعضهم ينفد. قال السير هوستين فراي: «كم

علينا أن نبقى هنا في انتظار هذا الملك الذي لا يأتي أبدًا؟ يجب أن نُبادر ستانيس بالقتال ونُجهز عليه».

بصوتٍ مبحوح قال هاروود ستاوت ذو الدَّرَاعِ الواحدة: «تترك القلعة؟»، لتشي نبرته بأنه يُؤثر أن تُقطع ذراعه الأخرى. «تريدنا أن نخوض في الثلج كالعميان؟».

علّق رروس ريزويل: «لنُقَاتِلَ اللورد ستانيس علينا أن نجده أولاً. كشافتنا يخرجون من (بوابة الصيادين)، لكن أحدًا منهم لم يرجع في الفترة الأخيرة». قال اللورد وايمان ماندرلي مرتبًا على بطنه العظيم: «(الميناء الأبيض) لا تخشى الخروج معك أيها السير هوستين، وسيركب فرساني وراءك».

التفت السير هوستين إلى الرَّجُل البدين قائلاً: «على مقربة تكفي لغرس رُمح في ظهري، أجل. أين أقاربي يا ماندرلي؟ أخبرني، أين ضيوفك الذين أعادوا إليك ابنك؟».

غرس ماندرلي خنجره في قطعةٍ من اللحم، وقال: «تعني رُفاته. أذكرهم جيّدًا. ريجار بكتفيه المستديرتين ولسانه اللبّق، والسير چارد الجريء الذي لا يتردّد في استلال سيفه، وسایموند ولي الجواسيس ورنين عمّلاته المستديم. هؤلاء أعادوا رُفات وندل إلى دياره. تايوين لانستر هو من أعاد إليّ وايليس سليمًا سالمًا كما وعدّ. كان اللورد تايوين رجلًا بارًا بكلمته، ليرحمه (السبعة)»، وألقى اللورد وايمان اللحم في فمه ومضغه بصوتٍ مزعج، ثم تلمّظ وتابّع: «الطريق محضوف بالمخاطر أيها الفارس. لقد أعطيتُ إخوتك هدايا ضيافةٍ حين غادرنا (الميناء الأبيض)، واتّفقنا على اللقاء ثانيةً في الرُفاف. كثيرون شهدوا افتراقنا».

سأله إينس فراي ساخراً: «كثيرون؟ أنت وأتباعك؟». مسح سيّد (الميناء الأبيض) فمه بكُمّه، وقال: «الإلمّ تلمّح يا فراي؟ لهجتك لا تُعجبني أيها الفارس، لا تُعجبني على الإطلاق». قال السير هوستين: «أخرج إلى السّاحة يا جوال الشّحم وسأريك ما لا يُعجبك بحق».

ضحك وايمان ماندرلي، لكن نصف دستةٍ من فرسانه كانوا قد انتفضوا ناهضين بالفعل، ووقع على عاتق روچر ريزويل وباربري داستن تهدئتهم

بكلماتٍ ملطّفة، في حين لم ينبس روس بولتون ببنت شفة... غير أن ثيون جرايچوي أبصرَ في عينيه الشاحبتين نظرةً لم يرها فيهما من قبل، نظرة قلق، بل وشيء من الخوف.

ليلتها انهارَ الاسطبل الجديد تحت وطأة الثلج الذي تراكمَ فوقه، وقُتِل ستةٌ وعشرون حصانًا وسائسان، سحقَهم السَّقْفُ السَّاقطُ أو دفنَهم الثلج. استغرَقوا معظم الصُّباح في التَّنقيب عن الجُثث، وظهرَ اللورد بولتون مُدَّةً وجيزةً في السَّاحة الخارجيّة ليفحص المشهد، ثم أمرَ بأخذ الخيول الباقية إلى الدَّاخل، بما فيها تلك المربوطة في الخارج.

وما كادَ الرُّجال يَفْرغون من إخراج السَّائسين وذبح الخيول الميتة حتى اكتُشِفَت جثَّةٌ أخرى.

على أن العويص هذه المرَّة تفسيرها باستهانةٍ بأنها مجرد سقطَةٍ بسبب السُّكر أو رفسيةٍ من حصان. الرُّجل الميت أحد المفضَّلين عند رامزي، الرُّجل المسلَّح البغيض خنزير يري الطُّباع المسمَّى القضيب الأصفر، ولو أن التِّيَقن من كون قضيبه أصفر حقًا عسيرًا، إذ بتره أحدهم ودسَّه في فمه بعُنفٍ كسر ثلاثًا من أسنانه. حين وجدَه الطُّهاة خارج المطابخ مدفونًا حتى العُنق في كومة ثلج كان القضيب وصاحبه مزرقين من البرد. أمرهم روس بولتون قائلًا: «أحرقوا الجثَّة، واحرصوا على عدم ذكر الأمر. لن أسمح بانتشار هذه الحكاية».

لكن الحكاية انتشرت رغم ذلك، ومع انتصاف النُّهار كانت قد بلغت مسامع أكثر من في (ويتترفل)، منهم كُثر سمعوها من رامزي بولتون نفسه، الذي كان القضيب الأصفر «صبيَّة». توعدَّ اللورد رامزي قائلًا: «عندما نجد الرُّجل الذي فعلَ هذا سنسلُخ جِلده ونشويه ونجعله يأكله قضمَةً قضمَةً»، وبعدها ذاعَ الخبر بأن اسم القاتل يُساوي تينًا ذهبيًا.

بحلول المساء كانت رائحة كريهة طاغية مستشريةً في القاعة الكُبرى. مع انحسار مئآت الخيول والكلاب والرُّجال تحت سقْفٍ واحد تحوَّلت الأرض إلى بركةٍ زلقةٍ من الوحل والثلج الذائب وبراز الخيول والكلاب والبشر أيضًا، وفاضت في الهواء روائح الكلاب المبتلة والصُّوف المبتل وأغطية الخيول المشبَّعة بالماء، وهو ما سلبَ الدُّكك المزدحمة كلَّ راحة، لكن هناك طعامًا. أكلوا شرائح كبيرةً من لحم الخيول الطَّازج قدَّمها الطُّبَّاخون مسفوعةً

من الخارج وحمراء داميةً من الدّاخل، مع البصل واللّفّت المشويّين... وهذه المرّة أكلَ عموم الجُنْد كاللوردات والفُرسان.

لحم الخيل أفسى من أن تطحنه بقايا أسنان ثيون، وأصابته محاولة المضغ بألم بليغ، فهرس اللّفّت والبصل معًا بالجانب المسطّح من خنجره وصنَع منهما وجبةً، ثم قطع اللحم قطعًا صغيرةً للغاية وامتصّ كل واحدٍ ثم بصقها. هكذا على الأقل ينال المذاق والقليل من التّغذية من الدهن والدّم. أمّا العظمة فلا يستطيع أن يفعل بها شيئًا، فألقاها للكلاب وشاهدَ چاين الشّهباء تهرب بها وتطاردها سارا وويلو.

أمر اللورد بولتون إيبيل بالغناء لهم فيما يأكلون، فغنى الشّاعر (الرّمّاح الحديد) ثم (بنت الشّتاء)، ولمّا طلبت باربري داستن شيئًا أكثر مرحًا غنى لهم (خلعت الملكة صندلها، خلع الملك تاجه) و(الجميلة والدّب). اشترك رجال فراي في الغناء، وكذا بعض الشماليّين الذين دُفوا الموائد بقبضاتهم مع اللّازمة وهتفوا: «دُب! دُب!»، لكن الصّوضاء روعت الخيول، وسرعان ما صمت المغنّون وتوقفت الموسيقى.

اجتمع صبيان النّعل عند الحائط تحت مشعل متّقد، يلعب لوتون والسّلاخ الترد، ويُداعب جرونت امرأةً في حجره ممسكًا ثديها، ويُسحّم ديمون ارقص -لي سوطه. ناداه هذا الأخير: «ريك»، ونقر بالسّوط على ساقه كأنه يستدعي كلبًا، وتابِع: «رائحتك بدأت تسوء ثانية يا ريك». لم يُجرِ ثيون جوابًا إلا «نعم» خافتةً.

قال ديمون ماسحًا السّوط بخرقةٍ ملوّثة بالسّحم: «اللورد رامزي ينوي قطع شفّتك بعد انتهاء كلّ هذا».

شفتاي كانتا بين ساقَي زوجته. لا يُمكن أن تمرّ إساءة كهذه بلا عقاب. «كما تقول».

قهقهة لوتون، وقال: «أظنّه يُريد هذا».

قال السّلاخ: «ابتعد يا ريك. رائحتك تقلب معدّتي»، وضحك الآخرون. أسرع يهرب قبل أن يُغيّروا رأيهم. لن يتبعه معدّبوه إلى الخارج ما دام في الدّاخل طعام وشراب ونساء راغبات ونار حامية. بينما غادر القاعة كان إيبيل يُعني (اللّواتي يُزهرن في الرّبيع).

بالخارج ينهمر الثلج بكثافة جعلته لا يرى أبعد من ثلاثة أقدام. وجد نفسه وحيداً في بيداء بيضاء، ترتفع على جانبه جدران من الثلج حتى صدره، ولما رفع رأسه مسّت رقائِق الثلج وجنتيه كقُبَلاتٍ ناعمة باردة، وتناهت إلى مسامعه الموسيقى الآتية من القاعة ورائه، أنغام أغنية هادئة هذه المرّة، أغنية حزينة.

وللحظة أحسّ ثيون بشيء أقرب إلى السكينة. بعد مسافة صادف رجلاً يمضي في الاتجاه المعاكس بخطى واسعة فيرفرف معطفه المقلنس وراءه، وعندما تواجهها التقت أعينهما لقاءً سريعاً، ووضع الرجل يده على مقبض خنجره قائلاً: «ثيون المارق، ثيون قاتل الأقرين».

- «لا، لستُ كذلك. إنني لم... كنتُ حديديّ الميلاد».

- «لم تكن إلاّ خائناً. كيف ما زلت تتنفس؟».

- «الآلهة لم تفرغ مني»، أجاب ثيون متسائلاً إن كان هذا هو القاتل، جوال الليل الذي دسّ ذكر القضيب الأصفر في فمه ودفع سائس روجر ريزويل من الشرفة. الغريب أنه لم يشعر بالخوف. خلع قفاز يسراه مضيافاً: «اللورد رامزي لم يفرغ مني».

نظر الرجل إلى يده، وقال ضاحكاً: «سأتركك له إذن».

واصل ثيون مشيته المعجّدة في العاصفة إلى أن غلّف الثلج ذراعيه وساقيه وخدّرت البرودة يديه وقدميه، ثم إنه صعد إلى شرفة السور الداخلي مجدداً. هنا بالأعلي، على ارتفاع مئة قدم، تهبُّ ريح خفيفة محرّكة الثلج الذي ملأ الثلمات كلها، واضطرّ ثيون إلى هدم حائط الثلج لكمّاً بقبضتيه ليصنع ثقباً... فقط ليجد أنه لا يرى أبعد من الخندق. لم يتبق من السور الخارجي إلاّ ظل مبهم وبضعة أضواء باهتة طافية في الظلام.

العالم اختفى. (كينجز لاندنج) و(ريفررن) و(بايك) و(جزر الحديد)، (الممالك السبع) بأسرها، كل مكان عرفه، كل مكان قرأ عنه أو حلم به—كل هذا اختفى ووحدها (وينترفل) تبقت.

إنه حبيس هنا مع الأشباح، الأشباح القديمة في السرايب والأشباح الجديدة التي صنعها بنفسه، أشباح ميكن وفارلن وجاينير وآجار وجلمار

وزوجة الطحّان عند (نهر البلوط) وابنيها والآخريين جميعهم. ما صنعت يداي، أشباحي، إنها هنا، وإنها غاضبة. ذهبت أفكاره إلى السرايب والسيوف المفقودة.

عاد ثيون إلى غرفته، وكان يخلع ثيابه المبتلة حين أتاه والتون ذو الساقين الفولاذي يقول: «تعال معي أيها المارق. حضرة اللورد يريد أن يكلمك». لم يجد ثياباً نظيفةً جافةً، فعادَ يرتدي خرقه نفسها وتبعَ والتون، الذي قادَه إلى (الحصن الكبير) والغرفة الشمسية التي كانت لإدارد ستارك. لم يكن اللورد بولتون وحده، إذ جلست معه الليدي داستن بوجهٍ شاحبٍ قاسٍ، وروجر ريزويل بدبوسٍ حديدٍ على شكل رأس حصانٍ يُثبت معطفه، فيما وقفَ إينس فراي قُرب النار وقد احمرَّ خداه الممصوصان بردًا.

بادرَ اللورد بولتون بالكلام قائلاً: «قيل لي إنك تتجول في أنحاء القلعة. أبلغني الرجال برؤيتك في الاسطبلات والمطابخ والثكنات وفوق الأسوار، كما شوهدت قُرب أطلال المباني المتهدّمة وخارج سبت الليدي كاتلين القديم، علاوةً على تردّدك إلى أيكة الآلهة. هل تُنكر هذا؟».

- «لا يا سيدي». حرصَ ثيون على نطق الكلمة كالعوام عالمًا أن هذا يسرُّ اللورد بولتون. «لا أستطيع النوم يا سيدي، ولذا أتمشّي». أبقى رأسه مطأطأً وركّز بصره على الحصائر القديمة المفروشة على الأرض، فليس حكيماً أن ينظرَ إلى حضرة اللورد في وجهه مباشرةً. «كنتُ صبيّاً هنا قبل الحرب، ربيب إدارد ستارك».

قال بولتون: «كنت رهينةً».

-- «نعم يا سيدي، كنتُ رهينةً». لكنه كان بيتي. لم يكن بيتاً حقيقياً لكنه أفضل ما عرفتُ.

- «أحدهم يقتل رجالي».

- «نعم يا سيدي».

بنبرةٍ أنعم قال بولتون: «ليس أنت بالتأكيد، أليس كذلك؟ لا يُعقل أن تردَّ إحساني إليك بالخيانة».

- «نعم يا سيدي، ليس أنا، مستحيل. إنني... أتمشّي فقط».

خاطبته الليدي داستن قائلةً: «اخلع قفازيك».

رفعَ ثيون عينيه بحدّة، وقال: «أرجوكِ، لا. أنا... أنا...».
قال السير إينس: «افعل كما تقول. أرنا يديك».
خلعَ ثيون قفّازيه ورفعَ يديه ليروها مفكّرًا: لستُ أقفُ أمامهم عاريًا، ليس الأمرُ بذلك السوء. في يسراه ثلاثة أصابع، وفي يميناه أربعة. من الثانية أخذَ رامزي الخنصر فقط، ومن الأولى إصبع الخاتم والسبّابة.
قالت الليدي داستن: «النَّغل فعلٌ بك هذا».
- «بعد إذن سيّدتي، لقد... لقد سألته هذا». دائمًا يجعله رامزي يسأل.
دائمًا يجعلني رامزي أستجدي.
- «لماذا؟».

- «لم... لم أحتج إلى أصابع كثيرة».
قال السير إينس فراي: «أربعة أصابع تكفي»، وداعب اللّحية البنيّة الخفيفة النّابتة من ذقنه الضّعيف كذليل جرد، وأردف: «في يميناه أربعة أصابع. ما زال يستطيع أن يمسك سيفًا أو خنجرًا».
ضحكت الليدي داستن قائلة: «أكل آل فراي حمقى مثلك؟ انظر إليه. يمسك خنجرًا؟ إنه يقوى على الإمساك بملعقة بالكاد. هل تظنُّ حقًا أنه استطاع التّغلب على مخلوق النّغل المقرّز إياه ودسّ عضوه في حلّقه؟».
قال روجر ريزويل: «القتلى كلهم كانوا رجالًا أقوياء، ولا أحد منهم مات مطعونًا. المارق ليس قاتلنا المنشود».

سلطَ رووس بولتون عينيه الباهتتين على ثيون، ورشقّه بنظراتٍ حادّة كسكين السّلاخ قائلاً: «أميلُ إلى الموافقة. بغضّ النّظر عن القوّة فإنه لا يقدر على خيانة ابني».

زمجرَ روجر ريزويل: «إن لم يكن هو فمَن؟ واضح أن لستانيس رجلًا ما داخل القلعة».

ريك ليس رجلًا. ليس ريك، ليس أنا. تساءلَ إن كانت الليدي داستن قد أخبرتهم بشأن السّرايب والسّيوف المفقودة.

دمدمَ السير إينس فراي: «علينا أن نُنظر إلى ماندرلي. اللورد وايمان لا يحبُّنا».

ردّ ريزويل بغير اقتناع: «لكنه يحبُّ اللّحم المشوي والفطائر. التّجوال في

القلعة في الظلام يتطلب أن يبرح المائدة، وهو لا يبرحها إلا للذهاب إلى
المرحاض الذي يقضي فيه ساعة كل مرة». -
«لا أزعجُ أن اللورد وايمان يفعلها بنفسه. لقد جلبَ معه ثلاثمئة رجل،
مئة فارس. قد يكون أيُّهم...».

قاطعته الليدي داستن: «العمل في الخفاء ليس للفُرسان، واللورد وايمان
ليس الوحيد الذي فقدَ قريباً في زفافكم الأحمر يا فراي. هل تخال أن باقر
العاهرة يحبُّكم أكثر؟ لو لم يكن چون الكبير أسيراً عندكم لأخرجَ أمعاءك
من بطنك وجعلك تأكلها كما أكلت الليدي هورنوود أصابعها. آل فلينت
وسروين وتولهارت وسليت... كلُّهم كان لهم رجال مع الذئب الصَّغير».
قال روجر ريزويل: «وآل ريزويل أيضاً».

أضافت الليدي باربري: «وحتى رجال داستن من (بلدة الرّواي)»،
وافترقت شفتاها في ابتسامة شاحبة شرسة مضيئة: «الشَّمال يذكُر يا فراي».
ارتعش فم إينس فراي حنقاً، وقال: «ستارك لوّث شرفنا. هذا هو ما عليكم
أن تذكروه أيها الشَّماليون».

فرك رويس بولتون شفتيه المشققتين قائلاً: «لن ينفعنا هذا الشُّجار»،
وأشار بإصبعه إلى ثيون مستطرداً: «يُمكنك الذهاب. انتبه إلى أماكن تجوالك
وإلاّ عثرنا عليك أنت غداً مبتسماً ابتسامة حمراء».

قال ثيون: «كما تقول يا سيدي»، ووضع قفازيه على يديه المشوهتين من
جديدٍ وخرج يحجل على قدميه المشوهتين.

حلت عليه ساعة الذئب وهو مستيقظ، وقد لفَّ نفسه بطبقاتٍ من الصُّوف
الثَّقيل والفرو الملوّث بالشَّحم، ليدور دورةً أخرى فوق السُّور الداخليّ أملاً
أن يُتعب نفسه بما فيه الكفاية لينام. كسا ساقيه الثلج حتى الرُّكبتين وغلّف
رأسه وكفّيه الأبيض. فوق هذا القطع من السُّور كانت الرِّيح تهبُّ في وجهه
والثلج الذائب يثال على وجنتيه كدموعٍ جليديّة.
ثم إنه سمع النِّفير.

أنين واطئ طويل تردّد فبدا عالقاً فوق الشُّرفات وأفعمّ الهواء الأسود
متخللاً عظام كلِّ مَنْ سمعه. بطول أسوار القلعة التفت النّواطير صوب
الصّوت شادّين الأيدي على قنوات جرابهم، وفي قاعات وحصون (وينترفل)

المتهدّمة أسكت بعض اللوردات بعضًا وصهلت الخيول واعتدلّ النيام في أركانهم المظلمة. ولم يكد صوت نفير الحرب يغيب حتى بدأت الطبلّة تدقّ، بووم بووم بووم بووم بووم، وانتقل الاسم من شفّتي كلّ رجلٍ إلى التّالي مكتوبًا بسحاباتٍ بيضاء صغيرة من الأنفاس إذ همسوا: ستانيس، ستانيس هنا، ستانيس أتى، ستانيس، ستانيس.

ارتجف ثيون. لا فرق عنده بين باراثيون وبولتون. ستانيس تحالف مع چون سنو على (الجدار)، ولن يتردّد چون في ضرب عنقه هنيئًا. ينتزعونني من برائن نغلٍ لأموت بيدٍ آخر. يا لها من دُعاة. كان ليضحك لو أنه يذكّر كيف.

بدا له أن دقات الطبلّة آتية من (غابة الدّئاب) وراء (بوابة الصيادين). إنهم خارج الأسوار مباشرة. قطع ثيون الممشى، رجل واحد بين عشرين يفعلون المثل، لكن حتى عندما وصلوا إلى البرجين على جانبي البوابة نفسها لم يروا شيئًا وراء السّتار الأبيض.

دوى النّفير ثانية، فقال أحد رجال فلينت مازحًا: «هل يُحاولون إسقاط أسوارنا نفضًا؟ ربما يحسب ستانيس أنه وجد بوق چورامون».

سأل ناطور: «هل ستانيس بالحماقة الكافية لمحاولة اقتحام القلعة؟». أعلن رجل من (بلدة الرّوايي): «إنه ليس روبرت. سيجلس وينتظر، سترون. سيحاول تجويعنا حتى الاستسلام».

قال ناطور آخر: «سيتجمّد أولًا».

علّق أحد رجال فراي: «علينا أن نُبادره بالقتال».

افعلوا هذا، اخرجوا إلى الثلج وموتوا، أتركوا (وينترفل) لي وللأشباح. يستشعر ثيون أن رروس بولتون سيُرحّب بقتال كهذا. إنه محتاج إلى وضع نهايةٍ لكلّ هذا. القلعة أشد ازدحامًا من الصّمود أمام حصارٍ طويل، وكثيرون من اللوردات ها هنا ولاؤهم موضع شك. وإيمان ماندرلي السّمين، وباقر العاهرة أومبر، ورجال عائلتي هورنوود وتولهارت، وآل لوك وفلينت وريزويل، أجمعهم شماليّون أقسموا على الولاء لعائلة ستارك منذ قرونٍ لا تُحصى، وما أبقاهم هنا إلا الفتاة، ابنة اللورد إدارد ودمه، لكن الفتاة مجرد حيلة زائفة، حمل في فروة ذئبٍ رهيب، فلم لا يُرسل بولتون الشماليّين لقتال

ستانيس قبل انكشاف الحيلة؟ مذبحه في الثلج، وكلما سقطَ رجل قَلَّ خصوم (معقل الخوف) واحداً.

تساءَلَ ثيون إن كان سيُسمَح له بالقتال. عندئذٍ على الأقل سيموت ميتة رجلٍ بسيفٍ في يده. تلك هديّةٌ لن يهبها له رامزي أبداً، لكن اللورد رويس قد يفعل. إذا توَسَّلْتُ إليه. لقد فعلتُ كلَّ ما طلبه مني، لعبتُ دوري وسمَّمتُ الفتاة. الموت أحلى نجاةً يُمكنه أن يأملها.

في أيكة الآلهة لا يزال الثلج يذوب إذ يمسُّ التربة، والبُخار يتصاعد من البرك الساخنة معطراً بروائح الطَّحالب والطَّمي والعفن، وقد علقَ ضباب دافئ بالهواء محيلاً الأشجار إلى حُرَّاس وجنودٍ طوال متشحين بالعمته. في ساعات النَّهار تمتلئ الأيكة الدافئة بالشَّماليين الذين أتوا يتعبَّدون إلى الآلهة القديمة، بيد أن ثيون جرايچوي وجدَّها في هذه السَّاعة خاليةً له وحده.

وفي قلب الأيكة تنتظر شجرة الويروود بعينها الحمراوين العليمتين. توقَّف ثيون عند حافة البركة السوداء وخفَّص رأسه أمام الوجه الأحمر المنقوش. حتى هنا تتراعى دقات الطبلَّة إلى مسامعه، بووم بووم بووم دووم دووم دووم. كهزيم رعدٍ بعيد يبدو الصَّوت كأنما يأتي من كلِّ جهةٍ في آنٍ واحد.

الليلة بلا ريح، والثلج يسقط عمودياً من سماءٍ سوداء باردة، لكن أوراق شجرة الويروود تحفُّ رغم ذلك، كأنها تهمس له: ثيون، ثيون.

الآلهة القديمة، إنها تعرفني، تعرف اسمي. كنتُ ثيون سليل عائلة جرايچوي، كنتُ ريبب إدارد ستارك وصديقاً وأخاً لأولاده. خرَّ على رُكبتيه مبتهلاً: «أرجوك، لا أطلبُ إلا سيفاً. دعيني أموتُ وأنا ثيون لا ريك»، وسألتُ الدُّموع على وجهه بدفءٍ مستحيل إذ أردف: «كنتُ حديديَّ الميلاد، ابناً... ابناً لـ(بايك) والجُزر».

انفصلت ورقة عن عُصنٍ بالأعلى ومسَّت جبهته وحطَّت في البركة لتطفو على صفحة الماء حمراء حُماسية الأصابع كيدٍ دامية، وغمغمت الشجرة: ... بران.

إنها تعلم، الآلهة القديمة تعلم، لقد رأيت ما اقترفتُ. وللحظةٍ عجيبة خيَّل إليه أن وجه بران هو المنقوش على جذع الشجرة الشَّاحب، يرُمقه بعينين

حمر اوين حكيمتين حزيتين. فكَرَّ: شبح بران، لكن هذا جنون. لِمَ قد يُطارِدُه بران؟ لقد كان شغوفاً بالصَّبي ولم يمسه بسوءٍ قَطُّ. لم يكن بران مِن قتلنا، لم يكن ريكون. كانا ابني الطَّحان فقط، من الطَّاحونة على (نهر البلوط). «كان يجب أن أجد رأسين وإلَّا لسخروا مني... لضحكوا مني... كانوا...». قال صوت: «مَن تُكَلِّمُ؟».

دارَ ثيون على عقبه مرعوباً من أن رامزي وجدَه، لكنه لم يرَ إلا ثلاثاً من الغسَّالات، هولي وروان وثالثة يجهل اسمها. اندفع يقول: «الأشباح. إنها تُوشوشني، إنها... تعرف اسمي». أمسكتَ روان أذنه ولوتها قائلةً: «ثيون المارق. كان يجب أن تجد رأسين، أليس كذلك؟».

قالت هولي: «وإلَّا لضحكوا منه». لسن يفهمن. خلَّص ثيون نفسه بعُنْفٍ متسائلاً: «ماذا تُردن؟». أجابته الغسَّالة الثالثة: «أنت». امرأة أكبر سنًّا هذه، صوتها عميق وشعرها وخطه الشَّيب.

قالت هولي مبتسمةً: «قلْتُ لك إنني أريدُ أن ألمسك أيها المارق»، وظهر نصل في يدها.

فَكَرَّ ثيون: يُمكنني أن أصرخ. أحدهم سيسمعني. القلعة ملأى بالرجال المسلَّحين. لكنه سيموت قبل أن تَبْلُغه النجدة بالطَّع، وستشرب التُّربة دمائه لتسقي شجرة القلوب. وما العيب في هذا؟ قال بصوتٍ طغى فيه اليأس على التحدي: «المسيحي، اقتليني. هيا، افتكن بي كما فتكن بالآخرين، القضيبي الأصفر والبقية. أنتن مَن فعلنها».

ضحكتَ هولي قائلةً: «نحن؟ كيف؟ إننا نساء، أئداء وفروج، هنا لينكحونا وليس ليخافونا».

سألته روان: «هل آذاك النَّعل؟ قطعَ أصابع يديك وسلخَ أصابع قدميك الجميلة؟ يا لك من مسكين»، وربَّتت على خدِّه متباعدةً: «لن يحدث شيء كهذا ثانية، أعدك. لقد صليت فأرسلتنا إليك الآلهة. تُريد أن تموت وأنت ثيون؟ سنمنحك هذا، ميتةً سريعةً نظيفةً لن تُؤلمك على الإطلاق»، وابتسمت مضيئةً: «ولكن ليس قبل أن تغني لإيبيل. إنه في انتظارك».



تيريون

صاح الدلال مفرقاً بسوطه: «الدُّفْعَةُ 97، زوجان من الأقسام، مدرِّبان على تسليتكم».

نُصِبَتْ مَنْصَبَةُ المَزَادَاتِ حَيْثُ يَصْبُ (السكاهازاذان) البني العريض في (خليج النخاسين)، وكان باستطاعة تيريون لانستر أن يشمَّ الملوحة في الهواء ممتزجةً بالرَّائِحَةَ الكريهة المنبعثة من المراحيض المحفورة وراء حظائر الرِّقِيقِ. لا يُزَعِجُه الحُرُّ بقدر ما تُزَعِجُه الرُّطوبَةُ، وقد شعرَ كأن للهواء نفسه وطأةً تضغط عليه كدثارٍ مبتل ملقى فوق رأسه وكتفيه.

أعلن الدلال: «الدُّفْعَةُ تتضمَّنُ كلبًا وخنزيرًا يركبهما القزمان. أبهجوا ضيوفكم خلال مآذبتكم التَّالِيَةِ أو استخدموهما في عرضٍ هزلي».

جلس المزايدون على دِكْكِ خشبيَّةٍ يرشفون مشروبات الفواكه، يُهوِّي العبيد بعضهم بالمراوح، ويرتدي كثيرون منهم التوكار، ذلك الملبس العجيب الذي يحبه أصحاب الدماء القديمة في (خليج النخاسين)، أنيق لكنه غير عملي. يرتدي آخرون ثيابًا أكثر تقليديَّةً، رجال في سُتراتٍ طويلة ومعاطف مقلنسة، ونساء في حرائر ملوَّنة. عاهرات أوراهايات على الأرجح. هنا في الشَّرق البعيد تصعب التفرقة.

وراء الدكك تقف زُمرَةٌ من الغريبين الذين راحوا يتبادلون الدُّعَابَاتِ ويسخرون من المزاد. علم تيريون أنهم مرتزقة، ورأى معهم سيوفًا طويلةً وسكاكين وخناجر وزوجين من الفؤوس، ولمح حلقات معدنيَّةً تحت معاطفهم. لأكثرهم شعر ولحي ووجوه تميِّزهم كأبناء المُدن الحُرَّة، لكن هنا

وهناك قلائل قد يكونون وستروسيين. هل سيشترون أم أنهم أتوا يتفردون
على العرض فحسب؟

- «من يفتتح المزاد على هذين الاثنين؟».

أَلَقْتُ نَازِرَةً عِطَاءَهَا مِنْ هُودَجٍ أَثْرِي: «ثَلَاثُمِئَةٌ».

وصاح رجل يونكي بالغ البدانة مستلق على محفة كالحوت: «أربعمئة».
الرجل مغطى بالحرير الأصفر المهدب بالذهب، ويبدو كأربعة من إيريو
دفعة واحدة، حتى إن تيريون أشفق على العبيد الذين يحملونه. على الأقل
سنجذب ذلك الواجب. ما أمتع أن يكون المرء قزماً.

قالت شمطاء في توكار بنفسجي: «وواحد»، فحدجها الدلال بنظرة
عابسة، لكنه لم يرفض العطاء.

بيع بحارة (السلياسوري كوران) العبيد فرادى بأسعار تراوحت بين
خمس مئة وتسعمئة قطعة من الفضة، فالملاحون المحنكون سلعة قيمة.
لم يحاول أحدهم المقاومة البتة حينما هاجم النحاسون الكوج المشلول،
فبالنسبة إليهم لم يتعد الأمر انتقال ملكيتهم من سيّد إلى سيّد. على عكسهم،
كان وكلاء الربان رجالاً أحراراً، لكن أرملة الضفة كتبت لكل منهم وثيقة
تعهد بدفع فديتهم في حالة كهذه. لم يبع رجال اليد النارية الثلاثة الناجون
بعد، لكنهم من أتباع إله الضياء، ولهم أن يعتمدوا على أن يشتريهم أحد
المعابد الحمراء ثانية. وشوم الذهب على وجوههم هي وثائقهم.

أمّا تيريون وپني فمحرومان من مثل هذه الضمانات.

- «أربعمئة وخمسون».

- «أربعمئة وثمانون».

- «خمس مئة».

بعض العطاءات ألقبي بالفاليريّة الفصحى وبعضها بلغة (جيس) الهجينة،
في حين أشار عدد من المشتريين بإصبع أو بليّة رُسخ أو لوح بمروحته الملوّنة.
همست پني: «إنني مسرورة لأنهم سيبقوننا معاً».

رماهما تاجر الرقيق بنظرة نارية قائلاً: «لا كلام».

اعتصر تيريون كتف پني. كانت خصل الشعر الأشقر الباهت والأسود
ملتصقة بجبهته، وسُترته المهترئة بظُهره. جزء من هذا عرق وجزء آخر دماء

جافّة. على الرغم من أنه لم يتصرّف بطيشٍ ويُقاتِل النّخّاسين كما فعلَ چورا مورمونت فإنه لم ينجُ من العقاب، وفي حالته كان فمه هو ما جلبَ عليه جلدات الكراييج.

- «ثمانئة».

- «وخمسون».

- «وواحد».

متأملاً قال تيريون لنفسه: سعرنا كالبحّارة تقريباً، وإن كان وارداً أن بُغية المشترين الحقيقيّة هي الخنزيرة الجميلة. العثور على خنزيرٍ حسن التّدريب صعب. أكيد أنهم لا يُلقون عطاءاتهم بالرّطل.

عند تسعمئة قطعّة من الفضة تباطأت العطاءات، وعند تسعمئة وإحدى وخمسين قطعّة - من الشّمطاء - توقّف. على أن الدّلال كان عازماً على بيعهما بسعرٍ أعلى، وهكذا قرّر أن يُؤدّي القزمان عرضهما أمام المتفرّجين، وسيق كرنش والخنزيرة الجميلة إلى المنصّة. اتّضحت صعوبة ركوبهما دون سرج أو لجام، ولحظة أن بدأت الخنزيرة الحركة انزلت تيريون من فوق مؤخرتها وخطّ على مؤخرته مفجّراً عاصفة ضحكٍ بين المُزايدين.

زايد الرّجل مفرط البدانة: «ألف».

والشّمطاء مرّةً أخرى: «وواحد».

رأى تيريون ابتسامة متجمّدة على ثغر پني، ففكّر: مدرّبة على تسليتكم. أيّاً كانت الجحيم الصّغيرة المحفوظة للأفزام فعلى أبيها أن يُكفّر عن الكثير. قال الحوت مرتدي الأصفر: «ألف ومئتان»، وتناول شراباً من العبد الواقف إلى جواره. ليمون لاريب. يُسلط الرّجل هاتين العينين الصّفراوين على المنصّة بطريقةٍ تُزعج تيريون.

- «ألف وثلاثمئة».

زايدت الشّمطاء: «وواحد».

لطالما قال أبي إن ابن لانستر يسوى عشرةً من أيّ شخصٍ تقليدي. عند ألفٍ وستّمئة بدأت العطاءات تتباطأ ثانيةً، فدعا تاجر العبيد بعض المشترين إلى الصّعود فوق المنصّة ليفحصوا القزمين من كتب، وأكّد لهم: «الأثنى شابة. يُمكنكم تزويجهما وبيع أولادهما بأسعارٍ جيّدة».

ما إن أَلَقَتِ الشَّمْطَاءُ نَظْرَةً مِنْ قُرْبٍ تَقَلَّصَ وَجْهَهَا الْمَتَغَضِّينَ اسْتِيَاءً
وَتَذَمَّرَتْ قَائِلَةً: «نِصْفُ أَنْفِهِ مَقْطُوعٌ». بِشَرَّتْهَا بِيَضَاءِ كَالْيِرْقَاتِ، وَتَبَدُّو
بِتَوَكُّارِهَا الْبِنْفَسَجِيِّ كَحَبَّةِ بَرْقُوقٍ مَجْفُفَةٍ تَعْفَنَتْ. «وَعَيْنَاهُ غَيْرُ مَتَمَاثِلَتَيْنِ. نَذِيرٌ
شَوْمٌ هَذَا».

قَالَ تِيرِيون: «سَيِّدَتِي لَمْ تَرِ أَفْضَلَ جِزءٍ فِيَّ بَعْدُ»، وَأَمْسَكَ ذَكَرَهُ تَأَكِيدًا
لِمَقْصَدِهِ إِنْ فَاتَهَا.

هَسَهَسَتْ الْحِيزَبونَ غَضَبًا، وَنَالَ تِيرِيونَ ضَرْبَةً لِاسْعَةِ مِنَ السَّوْطِ عَلَى
ظَهْرِهِ أَسْقَطَتْهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمَلَأَ مَذَاقَ الدَّمِّ فَمَهُ، لَكِنَّهُ رَسَمَ عَلَى شَفْتَيْهِ ابْتِسَامَةً
عَرِيضَةً وَبَصَقَ.

نَادَى صَوْتٌ جَدِيدٌ مِنْ مَوْخِرَةِ الدِّكِّ: «أَلْفَان».

وَمَا الَّذِي يُرِيدُهُ مَرْتَزِقٌ مِنْ قِزْمٍ؟ دَفَعَ تِيرِيونَ نَفْسَهُ إِلَى النُّهُوضِ لِيُلْقِيَ
نَظْرَةً أَفْضَلَ. الْمُزَايِدُ الْجَدِيدُ رَجُلٌ أَكْبَرُ سِنًا، أَيْضُ الشَّعْرُ لَكِنَّهُ طَوِيلُ الْقَامَةِ
مَمشُوقُ الْقَوَامِ، لَهُ بَشْرَةٌ بَنِيَّةٌ مَتَغَضَّنَةٌ وَلَحْيَةٌ مَشْدُوبَةٌ سَوْدَاءٌ مَوْخُوطَةٌ بِالْأَبْيَضِ،
وَمِنْ تَحْتِ مَعْطَفِهِ الْأَرْجَوَانِيُّ الْبَاهِتُ يَلُوحُ سَيْفٌ طَوِيلٌ وَخَنْجَرَانٌ.

- «أَلْفَانُ وَخَمْسَمِئَةٌ». صَوْتٌ أَنْشَوِي هَذِهِ الْمَرَّةَ، فَتَاةٌ قَصِيرَةٌ غَلِيظَةٌ الْخَصْرِ
عَامِرَةٌ النَّهْدَيْنِ تَرْتَدِي دَرَعًا مَنَمَّقَةً النُّقُوشِ، وَأَقْيَ صَدْرُهَا الْمَنْحُوتُ مِنْ
الْفُولاذِ الْأَسْوَدِ مَزْخَرَفٌ بِالذَّهَبِ وَعَلَيْهِ هَارِبِي تَرْتَفِعُ بِسَلْسَلٍ مَتَدَلِّيَةٍ مِنْ
مَخَالِبِهَا، وَيُرْفَعُهَا جُنْدِيَّانُ عِبْدَانُ فَوْقَ تُرْسٍ إِلَى مَسْتَوَى الْكَتْفِ.

تَقَدَّمَ بَنِي الْبَشْرَةِ مَزَايِدًا: «ثَلَاثَةُ آلَافٍ»، وَدَفَعَ رِفَاقَهُ الْمَرْتَزِقَةَ الْمَشْتَرِينَ
جَانِبًا مَخْلِينَ لَهُ الطَّرِيقَ. نَعَمْ، اقْتَرَبَ. يَعْرِفُ تِيرِيونَ كَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَ الْمَرْتَزِقَةِ،
وَلَا يَحْسِبُ لِحِظَةً أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُرِيدُهُ لِيُقَدِّمَ الْعُرُوضَ الْفُكَاهِيَةَ فِي الْمَادَبِ.
إِنَّهُ يَعْرِفُنِي، وَيُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَنِي إِلَى (وَسْتَرُوسِ) لِيَبِيعَنِي لِأَخْتِي. فَرَكَ الْقِزْمَ فَمَهُ
لِيُخْفِي ابْتِسَامَتَهُ. سَرَسِي (وَالْمَمَالِكُ السَّبْعُ) عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْعَالَمِ،
وَمِنْ شَأْنِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ أَنْ تَقَعَ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَى هُنَاكَ. لَقَدْ قَلْبْتُ بَرُونَ. أَعْطَانِي
نِصْفَ فُرْصَةٍ وَقَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْلِبَ هَذَا أَيْضًا.

كَفَّتِ الشَّمْطَاءُ وَالْفَتَاةُ فَوْقَ التُّرْسِ عَنِ الْمُزَايِدَةِ عِنْدَ الْأَلْفِ الثَّلَاثَةِ، وَلَكِنْ
لَيْسَ الْبَدِينُ الْأَصْفَرُ، الَّذِي وَزَنَ الْمَرْتَزِقُ بَعَيْنَيْهِ الصَّفْرَاوِينَ وَتَحَسَّسَ أَسْنَانَهُ
الْمَصْفَرَّةَ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ: «خَمْسَةُ آلَافٍ قِطْعَةً فَضِيَّةً لِلدَّفْعَةِ».

وعيس المرتزق وهزّ كتفيه وانسحب.

بحقّ الجحائم السبع! يثق تيريون تمامًا بأنه لا يُريد أن يكون من أملاك هذا اللورد الأصفر. مجرد منظره يجعل جلد القزم يقشعُر، ببدنه المتهدّل على المحفّة كجبل لحم شاحب له عينان خنزيريتان صفراوان وثنديان بحجم الخنزيرة الجميلة يضغطان على حرير توكاره، كما أن رائحته النفاذة تبلغ المنصّة ذاتها.

- «إن لم تكن هناك عطاءات أخرى...».

قاطعهُ تيريون زاعقًا: «سبعة آلاف».

جرّفت موجة من الضحك الدكك، وعلقت الفتاة فوق الترس: «القزم يُريد أن يشتري نفسه».

منحها تيريون ابتسامة شهوانية واسعة، وقال: «العبد الذكي يستحق سيّدًا ذكيًا، وأنتم جميعًا تبدوون حمقى».

استدعى قوله مزيدًا من ضحك المُزايدين وتكشيرة من الدلال، الذي داعب سوطه بتردّد محاولاً أن يُقرّر إن كان الأمر سيمضي في صالحه.

صاح تيريون: «خمسة آلاف إهانة! إنني أنازل وأغني وأقول أشياء ظريفة. سأنكح زوجتك وأجعلها تصرّخ، أو زوجة عدوك إذا أردت، فهل من وسيلة أفضل لإذلاله؟ إنني فتاك بالنشابة، والرّجال الذين يفوقوني حجمًا ثلاث مرّات يتهيّبون ويرتجفون حين نلتقي على طاولة السايفاس، كما أنني أطبخ بين الحين والآخر. أزايدُ بعشرة آلاف قطعة فضة على نفسي! أستطيع أن أدفعها، حقًا، حقًا. أبي علّمني أن أسدّد ديوني دائمًا».

التفت إليه المرتزق ذو المعطف الأرجواني، وعبر صفوف المُزايدين التقت عيناه عيني تيريون وابتسم. ابتسامة دافئة هذه، ابتسامة ودود، لكن يا لبرودة هاتين العينين. ربما لا أريده أن يشتري نارغم كل شيء.

كان العملاق الأصفر يتملّم فوق محفّته وقد تصدّرت وجهه المستدير الضخم نظرة ضيق، ثم إنه همهمّ مستاءً بشيء ما بالجيسكارية لم يفهمه تيريون، وإن كانت نبرته واضحة بما فيه الكفاية. حنى القزم رأسه إلى الجانب قائلاً: «أهذا عطاء آخر؟ أنا أعرّض كلّ ذهب (كاسترلي روك)».

سمع السوط قبل أن يشعُر به. شقّ صغير رفيع حاد الهواء، وأطلق تيريون

آهةً من وقع الضربة، لكنه استطاع البقاء واقفاً على قدميه هذه المرة. استعاد في مخيلته بداية رحلته، حين كان أثقل مشكلاته أن يُقرّر نوع النبيذ الذي سيشره مع طبق الحلزونات في منتصف النهار. أترى ما تُفضي إليه مطاردة الثنائين؟ نفجرت من شفثيه ضحكة نثرت الدّم واللعباب على مُزايدى الصفّ الأول.

أعلن الدّلال: «بيعت الدّفعة»، وضربه ثانيةً لمجرّد أنه يستطيع، وهذه المرّة سقطَ تيريون.

سحبّه أحد الحرس يُوقفه، وحثّ آخرَ پني على النزول من فوق المنصّة بكعب حربته، في حين سيقت القطعة التّالية المعروضة للاقتناء لتحلّ محلّهما، فتاة في الخامسة أو السادسة عشرة، ليست من (السّلياسوري كوران) ولا يعرفها تيريون. في نفس سنّ ديرس تارجارين أو أقرب إليها. سرعان ما جرّدها النّحاس من ثيابها. على الأقلّ جنبنا هذه المذلّة.

تطلّع تيريون عبر المعسكر اليونكي إلى أسوار (ميرين). كم تبدو البوّابة قريبة... وإذا صدق الحديث في حظائر الرّقيق فلا تزال (ميرين) مدينةً حرّة حتى الآن. وراء هذه الأسوار العتيقة لا يزال تحريم النّخاسة وتجارة العبيد ساريًا، وما عليه إلّا أن يبلّغ هذه البوّابة ويدخل منها ليعود رجلاً حُرّاً من جديد.

لكن ذلك ليس ممكنًا ما لم يتخلّ عن پني. ستريد أن نأخذ الكلب والخزيرة معنا.

همست پني: «لن يكون الأمر في غاية السّوء، أليس كذلك؟ لقد دفع ثمنًا باهظًا مقابلنا. سيُعاملنا برأفة، أليس كذلك؟».

ما دُمنّا نُسلّيه. قال يُطمئنّها: «إننا أقيم من أن يُسيء معاملتنا». كان الدّم ما زال يقطر على ظهره من جلدتَي الكُرباج الأخيرتين. لكن عندما يقدّم عرضنا ويبدأ يضحّره... ولسوف يقدّم حتمًا ويضحّره...

كان مُشرف سيدهما في الانتظار لتولّي مسؤوليّتهما ومعه عربة تجرّها البغال وجنديّان. للرّجل وجه طويل ضيقّ ولحية نابته من ذقنه ومربوطة بسلكٍ ذهبي، ومن صدغيه يرتفع شعره الأسود المحمرّ الحشن مكوّنًا يدين تبرز منهما المخالب. خاطبهما قائلاً: «يا لكما من مخلوقين صغيرين عزيزين.

إنكما تُذكراني بأطفالي... أو كنتما لتُذكراني بهم لو لم يكن صغاري قد ماتوا. سأعتني بكما خير عناية. أخبراني باسميكما».

- «بني». خرج صوتها همسةً رفيعةً وجلةً.

تيريون سليل عائلة لانستر، سيّد (كاسترلي روك) الشرعي أيها الدودة المتباكية. «يولو».

- «يولو الجريء وبني الحساء، أنتما ملك للنَّييل الأشوس يزان زو كاجاز، النَّطاسي والمُحارب المَبجَل بين أسياد (يونكاي) الحُكماء. عليكما أن تعدّا نفسيكما محظوظين، فيزان سيّد رؤوف معطاء. فكّرًا فيه كأنه أباكما». فكر تيريون: على الرَّحْب والسَّعة، لكنه أمسك لسانه هذه المرّة. لا شكّ أنهما سيؤدّيان عرضهما أمام سيّدتهما الجديد قريبًا، ولن يتحمّل جلدّةً أخرى. كان المُشرف يقول: «أبوكما يحبُّ كنوزه الصَّغيرة أيّما محبّة، وسيعتزُّ بكما. وأنا، اعتبراني كالمربّية التي اعتنت بكما في صغركما. جميع أطفالي يدعونني بالمربّي».

أعلن الدّلال: «الدُّفعة 99، مُحارب».

بيعت الفتاة سريعًا، ويسوقونها الآن إلى مالکها الجديد وقد ضمّت ثوبها إلى ثديها الصَّغيرين بحلمتيهما الورديتين، فيما جرّ نخّاسان چورا مورمونت إلى المنصّة ليأخذ مكانها، وقد جرّد الفارس من ثيابه كلّها باستثناء ثوبٍ داخلي قصير، ظهره مسحوح من الجلد، ووجه متورّم لدرجة تكاد تُخفي ملامحه، ومعصماه وكاحلاه مقيّدان بالسّلاسل. قال تيريون لنفسه: عيئة صغيرة من الوجبة التي طبخها لي، وعلى الرغم من هذا لم يجد في نفسه القدرة على التّشفي في حال الفارس الكبير التّعسة.

حتى وهو مكبّل بالسّلاسل يبدو مورمونت خطرًا بجسده الجريم وذراعيه الكبيرتين الغليظتين وكتفيه العريضتين، ناهيك بالشّعر الدّاكن الخشن على صدره الذي يجعله يبدو أقرب إلى وحشٍ من إنسان. كلتا عينيه مسوّدّة، حُفرتان قاتماتان في وجهه المتورّم المكدوم، وعلى إحدى وجنتيه وسم لقناع شيطان.

حين انقّص النّخاسون على (السّلياسوري كوران) واجههم السير چورا شاهرًا سيفه الطّويل، وأجهز على ثلاثة منهم قبل أن يقهره الآخرون. كان

رفاقهم لِيَقْتُلُوهُ بِأَنْفُسِ رُضِيَّةَ، إِلَّا أَنْ رُبَّنَاهُمْ مِنْعَهُمْ، فَالْمُقَاتِلُونَ يَسُوونَ قَدْرًا لَا بِأَسْ بِهِ مِنَ الْفُضَّةِ دَوْمًا، وَهَكَذَا قَيَّدَ مَورْمُونَ بِسِلْسِلَةٍ إِلَى مَجْدَافٍ وَضُرِبَ حَتَّى كَادَتْ رُوحَهُ تُفَارِقُهُ وَجُوعٌ وَوَسْمٌ.

أَعْلَنَ الدَّلَالُ: «رَجُلٌ كَبِيرٌ قَوِيٌّ هَذَا، يَتَمَتَّعُ بِعَافِيَةٍ طَيِّبَةٍ. سَيُقَدِّمُ عَرْضًا جَيِّدًا فِي حِلْبَاتِ الْقِتَالِ. مَنْ يَبْدَأُ الْعَطَاءَ بِثَلَاثِمِئَةٍ؟».

لَكِنْ أَحَدًا لَمْ يَفْعَلْ.

لَمْ يُعِرْ مَورْمُونَ خَلِيطَ الْمُتَزَاحِمِينَ انْتِبَاهًا، إِذْ رَكَّزَ عَيْنِيهِ وَرَاءَ خَطُوطِ الْحِصَارِ عَلَى الْمَدِينَةِ الْبَعِيدَةِ وَأَسْوَارِهَا الْعَتِيقَةِ عَدِيدَةِ الْأَلْوَانِ، وَقَرَأَ تِيرِيونَ نَظْرَتَهُمَا بِسَهُولَةٍ كَأَنَّهَا كِتَابٌ. قَرِيبَةٌ لِلْغَايَةِ وَبَعِيدَةٌ لِلْغَايَةِ. تَأَخَّرَتْ عَوْدَةُ الْبَائِسِ الْمَسْكِينِ كَثِيرًا. أَخْبَرَهُمُ الْحَرَسُ الْوَاقِفُونَ عَلَى الْحِظَائِرِ ضَاحِكِينَ بِأَنَّ دَنِيرِسَ تَارْجَارِينَ تَزَوَّجَتْ، اتَّخَذَتْ أَحَدَ نَخَاسِي (مِيرِينَ) زَوْجًا، رَجُلًا نَبِيلًا ثَرِيًّا، وَعِنْدَمَا تَوَقَّعَ مَعَاهِدَةَ السَّلَامِ سَتُفْتَحَ حِلْبَاتُ الْقِتَالِ مِنْ جَدِيدٍ. قَالَ بَعْضُ الْعَبِيدِ بِإِصْرَارٍ إِنَّ الْحَرَسَ كَاذِبُونَ، إِنَّ دَنِيرِسَ تَارْجَارِينَ لَا يُمَكِّنُ أَنَّ تُهَادِنَ النَخَاسِينَ أَبَدًا. دَعَا بِ«مَيْسَا»، وَأَخْبَرَ أَحَدَهُمْ تِيرِيونَ أَنَّ الْكَلِمَةَ تَعْنِي «أَمَاءٌ». قَرِيبًا سَتُخْرَجُ الْمَلِكَةُ الْفُضِّيَّةُ مِنْ مَدِينَتِهَا وَتَدْحُرُ الْيُونُكِيِّينَ وَتُحَطِّمُ أَغْلالَ الْعَبِيدِ. هَكَذَا يَهْمَسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

ثُمَّ إِنَّهَا سَتُخْبِزُ لَنَا جَمِيعًا فَطِيرَةَ لَيْمُونٍ وَتُقَبَّلُ جُروحَنَا وَتُشْفِيهَا. لَا يُؤْمِنُ الْقَزْمُ بِذَلِكَ الْإِنْفَاقِ الْمَلِكِيِّ الْمَزْعُومِ، وَإِذَا دَعَتْ الْحَاجَةَ فَسِيَحْرُصُ عَلَى خِلَاصِهِ وَبَنِي بِنَفْسِهِ. مِنْ شَأْنِ الْفَطْرِ الْمَدْسُوسِ فِي إِصْبَعِ حِذَائِهِ أَنْ يَكْفِيَهُمَا مَعًا، لَكِنْ عَلَى الْكَلْبِ وَالْخَنْزِيرَةِ أَنْ يَجِدَا قُوَّتَهُمَا بِنَفْسِيهِمَا.

كَانَ الْمَرِيئِيُّ لَا يَزَالُ يُلْقِي تَعْلِيمَاتِهِ عَلَى غَنِيمَتِي سَيِّدِهِ الْجَدِيدَتَيْنِ: «أَفْعَلَا كَمَا تُؤْمَرَانِ وَلَيْسَ أَكْثَرَ وَتَسْتَعِيشَانِ كَأَنَّكُمْ سَيِّدَانِ صَغِيرَانِ، مَدَلِّينِ وَمُحِبَّوَيْنِ. اعْصِيَا أَمْرًا... لَكِنَّكُمْ لَنْ تَفْعَلَا ذَلِكَ أَبَدًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَيْسَ أَنْتُمَا يَا صَغِيرِي الْحُلُوبَيْنِ»، وَمَدَّ يَدَهُ وَقَرَصَ خَدَّ بَنِي.

أَعْلَنَ الدَّلَالُ: «مِثْلَانِ إِذْنِ. شَخْصٌ كَبِيرٌ قَوِيٌّ مِثْلَهُ يَسْتَحِقُّ ثَلَاثَةَ أَضْعَافِ هَذَا الثَّمَنِ. كَمْ سَيَكُونُ حَارِسًا شَخْصِيًّا مِمْتَازًا! لَنْ يَجْرُوَ عَدُوٌّ عَلَى إِزْعَاجِكُمْ أَبَدًا!».

قَالَ الْمَرِيئِيُّ: «هَلُمَّ يَا صَدِيقِي الصَّغِيرِينَ، سَأَخْذُكُمْ إِلَى بَيْتِكُمَا الْجَدِيدِ.

في (يونكاي) ستسكنان في هرم كأجاز الذهبي وتأكلان من أطباق فضية، لكننا نحيا هنا حياة بسيطة في خيام الجنود المتواضعة».

صاح الدال: «من يعطيني مئة؟».

أودى قوله إلى عطاء أخيراً، ولو أن الرجل النحيف ذا الإزار الجلي الذي ألقاه عرض خمسين قطعة فقط.

زايدت الشمطاء في التوكار البنفسجي: «وواحد».

بينما رفع أحد الجنديين يني إلى مؤخرة العربة سأله تيريون: «من العجوز؟».

أجاب الرجل: «زاهرينا. مقاتلوها رخيصة الثمن، لحم للأبطال. صديقك سيموت قريباً».

فكر تيريون لانستر: ليس صديقي، ورغم هذا وجد نفسه يلتفت إلى المرابي ويقول: «لا يمكنك أن تسمح لها بأخذه».

ضيق المشرف عينيه متسائلاً: «ما هذه الضجة التي تُصدرها؟».

أشار تيريون قائلاً: «هذا الرجل جزء من عرضنا، الجميلة والدب. چورا هو الدب ويني هي الجميلة وأنا الفارس الشجاع الذي يُنقذها. أرقص حوله وأضره في خصيته. عرض طريف للغاية».

ظل المشرف مضيقاً عينيه إذ رمق منصة المزادات، وقال: «هو؟». كانت المزايدة على چورا مورمونت قد ارتفعت إلى مئتي قطعة من الفضة.

قالت الحيزيون ذات التوكار البنفسجي: «وواحد».

غمغم المرابي: «دبكما، مفهوم»، وخاض في الزحام ومال على اليونكي الأصفر الجسيم فوق محفته وهمس في أذنه، فأوماً سيده برأسه ليهتر ذفنه، ثم رفع مروحته وصاح بصوت مبوح: «ثلاثمئة».

تشتقت الحيزيون وأشاحت بوجهها، وسألت يني تيريون باللغة العامية: «لماذا فعلت هذا؟».

سؤال عادل. لماذا فعلته؟ «عرضك بدأ يصبح مملاً. كل ممثل يحتاج إلى دُب راقص».

رمقته بتأنيب، ثم انسحبت إلى طرف العربة وجلست واضعة ذراعها حول كرنش، كأن الكلب آخر أصدقائها الحقيقيين في العالم. ولعلّه كذلك.

عادَ المرِّيُّ بچورا مورمونت، وألقاه اثنان من جنود سيدهم العبيد بين القزمين في مؤخرة العربية، ولم يُقاومِ الفارس. نضبت قُدرته على القتال تمامًا حين علمَ أن ملكته تزوجت. كلمة واحدة مهموسة حققت ما عجزت عنه القبضات والسِّباط والهراوات، كسرتة. كان عليٌّ أن أترك الحيزبون تأخذه. لن يكون أكثر فائدةً من حلمتين على واقِي الصدر.

ركبَ المرِّيُّ في مقدِّمة العربية وأمسك الزِّمام وتحرَّك بهم عبر معسكر الحصار نحو نطاق سيدهم الجديد، النَّبيل يزان زو كاجاز، وسار معهم أربعة من الجنود العبيد، اثنان على كلِّ جانب.

لم تبك بَني، لكنه رأى عينيها محمَّرتين بائستين، ولم ترفعهما عن الكلب على الإطلاق. هل تحسب أن كلَّ هذا سيختفي إذا لم تنظر؟ ولم ينظر السير چورا مورمونت إلى أحدٍ أو شيء، وجلس بسلاسه واجمًا عابسا.

أمَّا تيريون فنظرَ إلى كلِّ شخصٍ وكلِّ شيء.

ليس المعسكر اليونكي معسكرًا واحدًا بل عشرات المعسكرات المنصوبة جنبًا إلى جنب في شكل هلال حول أسوار (ميرين)، مدينة من الحرير وقماش القنب لها جاداتها وأزقتها وحاناتها وبغاياتها وقطاعاتها الجيدة والسيئة. بين خطوط الحصار والخليج نبتت الخيام كالفطر الأصفر، بعضها صغير وضيع، ليس أكثر من سديلة من القماش القديم المتسخ لحجب المطر والشمس، لكن إلى جوارها تقف ثكنات قماشية تسع مئة رجل وسرادقات حريرية ضخمة كالقصور فوق كلِّ منها سارية ترتفع عليها هاربي برافة. بعض المعسكرات منظم، خيامه منصوبة في دوائر متحدة المركز حول بؤرة نار، والأسلحة والدروع مرصوفة حول الحلقة الداخلية، وصفوف الخيول بالخارج.

وفي بقاع أخرى للفوضى السيادة المطلقة.

السُّهول العجافة المسفوعة حول (ميرين) منبسطة جذباء لا تنمو فيها أشجار على مساحة فراسخ طويلة، لكن السفن اليونكية جلبت أخشابًا وجلودًا من الجنوب، ما يكفي لبناء ستَّة مجانيق ضخمة مصفوفة الآن حول المدينة من ثلاث جهات - باستثناء جهة النَّهر - وتُحيط بها أكوام من الحجارة المكسرة

وبراميل القار والرّاتنج التي تنتظر الإشعال. رأى أحد الجنود الماشين إلى جوار عربة البغال ما يتطلع إليه تيريون، فأخبره بفخر بأنهم أطلقوا اسمًا على كل منجنيق: (كاسر التّنانين) و(السّليطة) و(ابنة الهاربي) و(الأخت الخبيثة) و(شبح أستاפור) و(قبضة مازدان). ترتفع المجانيق فوق الخيام أربعين قدمًا تجعلها أبرز معالم معسكر الحصار. قال الجُندي مزهواً: «مجرد منظرها أركع ملكة التّنانين، وستبقى على رُكبتها تمصّ قضيب هيزدار النّيبل وإلا حطّمتنا أسوارها».

لمحّ تيريون عبداً يُجلّد ضربةً تلو الضّربة إلى أن صارَ ظهره دمًا ولحمًا مسحوجًا، ثم مرّ بهم طابور من الرّجال المقيّدين بحديد يُصلصل مع كلّ خطوة، يحملون الحِراب وتندلّي من أحزمتهم السُّيوف الطّويلة، لكن بعضهم مربوط ببعض بسلاسل من المعصم إلى المعصم والكاحل إلى الكاحل. الهواء يعبق برائحة اللّحم المشوي، ورأى القزم رجلاً يسألُ كلبًا لطماعه. ورأى الموتى أيضًا، وسمع الأموات. تحت الدُّخان ورائحة الخيول وملوحة الخليج اللّاذعة شمّ الدّم والغائط، وبينما شاهد مرتّقين يحملان جثةً ثالثٍ من أحد الخيام أدرك أن السّبب إسهال دموي ما، وهو ما جعل أصابعه ترتعش وقد تذكّر أنه سمع أباه يقول في مرّة إن المرض قادر على إبادة الجيوش أسرع من أيّ معركة. سبب أدعى للهرب، وقريبًا.

بعد رُبع ميل وجد سببًا وجيهاً لإعادة النّظر. كان الرّحام يُحيط بثلاثة عبيدٍ قُبض عليهم وهم يُحاولون الهرب، وأشار إليهم المرّبي قائلاً: «أعرفُ أن كنزي الصّغيرين سيكونان طيبين مطيعين. انظروا ما يُصيب من يُحاولون الهرب».

رُبط المقبوض عليهم إلى صفّ من العوارض المتقاطعة ليستعملهم اثنان من النّبالة لاختبار مهارتهما. أخبرهم أحد الحرس: «التولوسيون أفضل نبالًا في العالم، يقذفون كراتٍ من الرّصاص بدلًا من الحجارة».

لم يرَ تيريون جدوى من النّبال قطّ في حين أن للأقواس مدى أطول كثيرًا... لكنه لم يرَ التولوسيين يستخدمونها من قبل كذلك. أحدثت الكرات الرّصاص أدّى أبلغ بكثيرٍ من الأحجار الملساء التي استخدمها النّبالة

الآخرون، وأبلغ من أيّ قوسٍ أيضًا. أصابت واحدة رُكبة أحد المقبوض عليهم ليتفجّر منها الدّم والعظم ويتدلّى الجزء السُّفلي من ساقه من وترٍ أحمر قانٍ، وإذ بدأ الرَّجل يصرُخ فكَرَّ تيريون: لن يهْرُب ثانيةً. امتزج صريخ العبد في هواء الصُّباح بضحك تابعات المعسكرات وسباب من راهنوا بمبالغ كبيرة على أن النبال سيُخطئ التّسديد. أشاحت بني بوجهها، لكن المرّي أمسكها من تحت ذقنها ولوى رأسها، وقال أمرًا: «شاهدي. وأنت أيضًا أيها الدُّب».

رفع چورا مورمونت رأسه وحدّق إلى المرّي، ورأى تيريون شدّة عضلات ذراعيه. سيخنّفه حتى الموت وتكون نهايتنا جميعًا. لكن الفارس اكتفى بتكشيرة ثم التفت يشاهد العرض الدّموي.

إلى الشّرق تتلأأ أسوار (ميرين) القرميد الشّامخة في الهواء السّاخن: هذا هو الملجأ الذي أمّل الحمقى المساكين أن يبلّغوه. لكن إلى متى ستظل المدينة ملجأً؟

قبل أن يُمسك المرّي الزّمام ثانيةً كان ثلاثة الهاريين المقبوض عليهم قد ماتوا، وواصلت عربة البغال طريقها.

يقع معسكر سيّدهم جنوب وشرق (السليطة)، قائمًا في الظلّ تقريبًا وممتدًا على مساحة فدادين عديدة. اتّضح أن خيمة يزان زو كاجاز المتواضعة قصر من الحرير الليموني ترتفع من سقوفه المدبّبة التّسعة سوار تُكلّل كلّ منها هاربي مذهّبة تلتمع في الشّمس، وتُحيط بها خيام أقل فخامة من كلّ جانب. أخبرهم المرّي: «هذه مساكن طُهاة سيّدنا النّيبيل ومحظّياتِه ومُحاربيه وبعض أقربائه الأقل تفضيلًا، لكنكما أيها العزيزان الصّغيران ستحظيان بامتيازٍ نادر وتنامان في سُرادق يزان نفسه. إنه يحبُّ الاحتفاظ بكنوزه على مقربة»، وأضاف عابسًا في وجه مورمونت: «ليس أنت أيها الدُّب. أنت كبير وقبيح. سترتبط بالسّلاسل في الخارج». لم يردّ الفارس، وتابع المُشرف: «علينا أن نجد أطواقًا لكم أولًا».

الأطواق من الحديد المطلي بطبقة رقيقة من الذهب تتألّق في الضّوء، وقد نُقش اسم يزان على المعدن بالأبجدية الغاليرية، وُثبت جرسان دقيقان تحت الأذنين كي تُصدر كلُّ خطوةٍ يخطوها المغلول بالطّوق رنينًا خفيفًا مرحًا.

قبلَ چورا مورمونت طوقه بجهامة صامته، لكن بني أجهشت بالبكاء لما بدأ الحداد يُبَّت طوقها في مكانه، وقالت شاكيةً: «ثقیل جدًّا».

اعتصرَ تیریون یدها، وقال كاذبًا: «إنه من الذهب الخالص. في (وستروس) تحلم بنات الحسب والنسب بقلائد كهذه». الطوق أرجم من الوسم، الطوق قابل للخلع. تذكّر شاي وكيف برقت السلسلة الذهب إذ أحكم شدّها أكثر فأكثر على رقبتها.

بعدها أمر المرَبِّي بتثبيت سلاسل السير چورا إلى قائم قُرب بؤرة النار، ثم قادَ القزمين إلى داخل سُرّادق السيّد وأراهما مكان نومهما، حُجيرة مفروشة بالبُسط تفصلها عن الخيمة الأساسيّة جدران من الحرير الأصفر. سيتقاسمان هذه المساحة مع كنوز يزان الأخرى؛ صبي له «ساقا كبش» ملوَّتان مشعرتان، وفتاة برأسين من (مانتاريس)، وامرأة ملتحية، ومخلوقة رشيقة غصّة يسمونها حلوى ترتدي الحرير المايري وتتحلّى بأحجار القمر. حين قدّمت حلوى إلى القزمين خاطبتهما قائلةً: «تُحاولان أن تُقرّرا إن كنتُ رجلاً أم امرأة»، ورفعت نُثورتها وأرتهما ما تحتها مردفةً: «أنا الاثنین، والسيّد يحبني أكثر من غيري». قال تیریون لنفسه: مسخ. في مكانٍ ما ثمة إله ما يضحك، وقال لحلوى ذات الشّعر الأرجواني والعينين البنفسجيتين: «رائع، لكننا أملنا أن نكون الأجل مرّة».

قهقهت حلوى، إلا أن المرَبِّي لم يجد تعليقه طريفًا، وقال: «ادّخر نكاتك لهذا المساء حين تُؤدّي عرضك أمام سيّدنا النبيل. إذا أرضيته فستنال مكافأة سخيةً، وإذا لم تفعل...»، ولطمَ تیریون على وجهه.

بعد رحيل المُشرف قالت الخُنتى: «عليكما توخّي الحذر مع المرَبِّي. إنه السيّد الحقيقي الوحيد هنا».

ترطُن المرأة الملتحية بتنوع غير مفهوم من الجيسكاريّة، ويتحدّث الصّبي الكبش لغةً حلقيّة هجينة ما تُسمّى لغة التّجارة، والفتاة ذات الرّأسين ضعيفة العقل، أحد رأسها لا يزيد حجمًا على بُرتقالة ولا يتكلّم على الإطلاق، والثاني له أسنان مدبّبة ويُرْمج في وجه أيّ أحدٍ يدنو أكثر من اللازم من قفصها، أمّا حلوى فتتكلّم أربع لغاتٍ بطلاقة، منها الغاليريّة الفصحى.

سألَت بني بقلق: «هلاّ حدّثتنا عن السيّد؟».

أجابَ حلوى: «عيناه صفراوان ورائحته كريهة. قبل عشر سنوات ذهبَ إلى (سوثيروس)، ومنذ ذلك الحين يتعفن من الدّاخل. اجعلاه ينسى أنه يُحتضَر ولو مُدَّةً قصيرةً وسُبعاً ملِكماً بمنتهى السّخاء. لا تأيأ عليه شيئاً». وِجداً أمامهما فترة الأصيل فقط ليتعلّما حياة المقتنيات. ملأ العبيد المكلفون بالعناية الشّخصيّة بيزان حوضاً بالمياه الساخنة وسُمِحَ للقزمين بالاستحمام، يني أولاً ثم تيريون، وبعدها دهنَ عبد آخر مرهماً لاذعاً على جروح ظهره ليمنعها من التعفن وغطّأها بضمادةٍ ملطّفة، ثم قُصَّ شعر يني وهُدِّبَت لحية تيريون، وأعطِيَ كل منهما خُفَّين لِيُتِين وثياباً تقليديّةً لكن نظيفةً. مع حلول المساء عادَ المرَبِّي وأمرهما بوضع درعيهما. اللّيلة سيستضيف بيزان القائد اليونكي الأعلى يوركاز زو يونزك، وعليهما أداء عرضهما. سألهما: «هل نحل وثاق الدُّب؟».

أجابَ تيريون: «ليس اللّيلة. دعنا نُؤدِّي النزال أمام سيّدنا أولاً ونُقدِّم الدُّب في مرّةٍ أخرى».

- «ليكن. بعد فقرتكما ستُقدِّمان الطّعام والشّراب. إياكما وسكب شيءٍ على ضيوفنا وإلا عوقبتما».

بدأت الأمسيّة بحاو، تلاه ثلاثة من البهلوانات المفعمين بالطّاقة، وبعدهم خرج الصّبي الكبش وأدّى رقصةً عجيبّةً فيما عزف أحد عبيد يوركاز على نايٍ عظيمي. خطرَ لتيريون أن يسأله إن كان يعرف لحن (أمطار كاستامير). بينما انتظرا دورهما شاهدَ القزم بيزان وضيوفه. بديهي أن البرقوقة البشريّة المجفّفة الجالسة في موضع الشرف هي القائد اليونكي الأعلى الذي يبدو بمهابة قطعة خراء طريّة، وقد أحاطت به دستة من القادة اليونكيّين الآخرين، وحضَرَ اثنان من قادة المرتزقة أيضاً، يصحب كل منهما رجال من جماعته. أحدهما بنتوشي أنيق يرتدي ثياباً كلّها من الحرير باستثناء معطفه المخيط من عشرات قطع الأقمشة الممزّقة الملوّثة بالدماء، والثاني الرّجل الذي حاول شراءهما هذا الصّباح، المُزايد بِنِّي البشرة ذو اللّحية الشّائبة. أخبرته حلوى: «بن پلوم البني، قائد الأبناء الثّانين».

وستروسي، ومن آل پلوم. أفضل وأفضل.

قال لهما المرَبِّي: «أنتما التَّالِيَانِ. كونا مُسَلِّينَ أَيها العزيران الصَّغِيرَانِ وإلَّا ندمتما».

لم يُجِد تيريون نِصْف حِيل جروت القديمة، لكنه يستطيع أن يركب الخنزيرة وَيَسْقُط من فوقها حين يجب أن يَسْقُط ويتدحرج ثم يهْبُ واقفًا. سُرَّ المتفرِّجون بما شاهدوه، إذ يبدو أن منظر شخصين صغيرين يهرعان كالسَّكاري ويتبادلان الضَّرْب بأسلحةٍ خشبيَّة لا يَقتلُ فُكاهةً في معسكر حصارٍ على (خليج النخاسين) عن مأدبة زفافٍ چوفري في (كينجز لاندنج). المهانة لغنة الأمم أجمع.

غلب سيِّدهما يزان سائر الآخرين في قوَّة الضَّحْك وطوله كلِّما سقط أحد القزمين أو نال ضربةً، يرتجُّ جسده الهائل كله كالشَّحم وقت زلزال، في حين انتظر ضيوفه ليروا استجابة يوركاز زو يونزاك أولاً قبل اشتراكهم في الضَّحْك. يبدو القائد الأعلى واهناً هُنا لدرجة أن تيريون خشي أن يقتله الضَّحْك، ولمَّا ضرب خوذة بني وطوحها في حجر يونكبي عابس يرتدي توكارًا مخطَّطًا بالأخضر والذهبي قوقاً يوركاز كالدجاج. عندما مدَّ هذا السيِّد يده داخل الخوذة وأخرج بطيخةً أرجوانيةً كبيرةً متفسخة اللبَّ خرج منه صوت رفيع خشن واصطبغ وجهه حتى حاكى لون حبة الفاكهة، ثم التفت إلى مضيفه وهمس له بشيءٍ جعله يُطلق ضحكةً مكتومةً ويلعق شفثيه... وإن رأى تيريون لمحةً من الغضب في عيني سيِّدهما الصَّفراوين المشقوقتين.

بعدها خلع القزمان درعيهما الخشب وثيابهما المبللة بالعرق وارتديا سترتين طويلتين صفراوين لتقديم الشَّراب. أعطى تيريون إبريقًا من النِّبذ الأرجواني وبنى إبريقًا من الماء، وتحركا في أنحاء الخيمة يملآن الأكواب وأخفافهما تحتك هامسةً بالبُسط السَّميكة. وجد تيريون العمل أصعب مما يبدو، ولم يمض وقت طويل قبل أن يحسَّ بتشنجاتٍ مؤلمة في ساقيه ويبدأ أحد الجروح على ظهره في التزيف ثانيةً ويتشبع كئان سترته الأصفر بالدم، لكنه عَضَّ لسانه وواصل الصَّبَّ.

لم يُعْرِهما أكثر الضُّيوف اهتمامًا أكثر مما أعاروا سواهم من العبيد... لكن يونكبيًا ثملاً أعلن أن على يزان أن يجعل القزمين يتناكحان، وسأل آخر

تيريون كيف فقدَ أنفه، فكادَ يُجيبه: دسته في فرج زوجته ففضمته... غير أن العاصفة كانت قد أفضت به بأنه لا يُريد الموت بعد، وهكذا قال: «قَطَعَ عقابًا لي على إساءتي الأدب أيها السيّد».

ثم إن واحدًا من الأسياد يرتدي توكارًا أزرق مهذبًا بأحجار عين النمر الكريمة تذكّر أن تيريون تباهى على منصّة المزادات ببراعته في السايكاس، وقال: «لنختبره»، فجيء في الحال بالطاولة والقطع، وبعد دقائق معدودة أطاح السيّد بالطاولة غاضبًا محتقن الوجه لتتناثر القطع على الأرض وسط ضحكات اليونكيين.

همست بني: «كان عليك أن تدعه يفوز».

رفع بن بلوم البني الطاولة مبتسمًا، وقال: «جرّ بني أنا أيها القزم. في شبابي قاتل الأبناء الثانون لحساب (فولانتيس) وتعلّمت اللعبة هناك».

قال تيريون: «أنا مجرد عبد. سيدي النبيل يُقرّر من ألعب ومتى»، والتفت إلى يزان متسائلًا: «سيدي؟».

بدا على اللورد الأصفر أن الفكرة راقته، وقال: «ما الذي تقترحه رهانًا أيها القائد؟».

أجاب بلوم: «إذا كسبت تُعطيني هذا العبد».

ردّ يزان زوكاجاز: «لا، لكن إذا هزمت قزمي فسأعطيك ثمنه ذهبًا».

قال المرتزق: «اتفقنا»، وجمعت القطع المبعثرة من على الأرض وجلسا ليبدأ اللعب.

فاز تيريون بالمباراة الأولى، وبلوم بالثانية بعد مضاعفة قيمة الرهان، وبينما رصا قطعهما توطئة للمباراة الثالثة تفرّس تيريون في خصمه. بشرته بيّنة، وتكسو لحيه شائبة مشدّبة وجنتيه وفكّه، وفي وجهه مئات التجاعيد وبضع ندوب قديمة. إجمالًا، يبدو بلوم دمئًا أنيسًا، خصوصًا عندما يتسمم التابع المخلص، العمّ المفضل عند أيّ أحد، مفعم بالضحك والأمثال القديمة والحكمة الخام. ما هي إلا خدعة. تلك الابتسامات لا تمسّ عيني بلوم أبدًا، عينيّ اللتين يتوارى فيهما الجشع خلف الاحتراس. جائع ولكن حذر.

يُنَاهِزُ المَرْتَزِقَ السَّيِّدَ اليُونُكَيَّ الَّذِي سَبَقَهُ خَيْبَةً فِي لَعِبِ السَّايِثَاسِ، لَكِنْ أَسْلُوبُهُ يَجْنَحُ إِلَى الحَيْطَةِ البَلِيدَةِ عَنِ الجِرَاءَةِ. كَلَّ مَبَارَاةٍ رَصَّ قَطْعَهُ بِتَرْتِيبٍ مُخْتَلَفٍ، لَكِنْ جَمِيعُهَا يَظَلُّ دِفَاعِيًّا سَلْبِيًّا مُتَحَفِّظًا. لَا يَلْعَبُ لِيرْبِحَ، بَلْ يَلْعَبُ كَيْ لَا يَخْسِرَ. نَفَعَهُ هَذَا فِي المَبَارَاةِ الثَّانِيَةِ حِينَ تَمَادَى الرَّجُلُ الصَّغِيرُ فِي هِجْمَةٍ غَيْرِ حَكِيمَةٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْفَعَهُ فِي الثَّلَاثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ، أَوِ الخَامِسَةِ وَالأَخِيرَةِ. قُرِبَ نِهَايَةِ المَبَارَاةِ الأَخِيرَةِ، وَقَدْ تَهَدَّمَتِ قَلْعَتُهُ وَمَاتَتْ تَنْيَّتُهُ وَحَاصِرَتَهُ الأَفْيَالُ مِنَ الأُمَامِ وَالخِيُولِ الثَّقِيلَةِ مِنَ الخَلْفِ، رَفَعَ پَلُومَ وَجْهِهِ مَبْتَسِمًا، وَقَالَ: «يُولُو يَفُوزُ ثَانِيَةً. المَوْتُ بَعْدَ أَرْبَعِ حَرَكَاتٍ».

نَفَرَ تِيرِيونَ عَلَى تَنْيَّتِهِ قَائِلًا: «ثَلَاثٌ. لَقَدْ حَالَفَنِي الحِطُّ. رُبَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْرُكَ رَأْسِي قَبْلَ المَبَارَاةِ القَادِمَةِ أَيُّهَا القَائِدُ لِيَلْتَصِقَ القَلِيلُ مِنَ هَذَا الحِطِّ بِأَصَابِعِكَ». سَتَخَسِرَ، لَكِنْ قَدْ تُسَلِّئُنِي بَلْعِبٍ أَفْضَلَ. بِابْتِسَامَةٍ وَاسِعَةٍ دَفَعَ تِيرِيونَ طَاوِلَةَ السَّايِثَاسِ وَنَهَضَ وَالتَقَطَ إِبْرِيْقَ النَّبِيذِ لِيُعَاوِدَ الصَّبَّ لِلضُّيُوفِ، وَقَدْ أَمْسَى يَزَانُ زَوْ كَاجَازٍ أَثْرَى بِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ وَبَنَ پَلُومَ البَنِيِّ أَفْقَرَ بِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ. كَانِ سَيِّدُهُ العَمَلَاقُ قَدْ غَابَ فِي سُبَاتِ الأُسْكَرِ فِي أَثْنَاءِ المَبَارَاةِ الثَّلَاثَةِ، وَأَنْزَلَتْ كَأسَهُ مِنَ أَصَابِعِهِ المَصْفَرَّةِ لِتَنْسَكِبَ مَحْتَوِيَاتِهَا عَلَى البَسَاطِ، لَكِنْ قَدْ يَسَّرُهُ مَا حَدَثَ عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ.

حِينَ غَادَرَ القَائِدُ الأَعْلَى يُونُكَازُ زَوْ يُونُزَاكُ مُسْتَنْدًا إِلَى عَبْدَيْنِ مَتِينِي البَنِيَانِ كَانِ هَذَا بِمَثَابَةِ إِشَارَةٍ عَامَّةٍ لِلضُّيُوفِ الأَخْرَيْنِ بِالرَّحِيلِ، وَبَعْدَ فِرُوعِ الخِيْمَةِ ظَهَرَ المَرْبِيُّ يُخْبِرُ الخَدْمَ بِأَنْ يَصْنَعُوا وَليْمَةً لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ بَقَايَا الطَّعَامِ، وَقَالَ لَهُمْ: «كُلُّوا سَرِيعًا. يَجِبُ تَنْظِيفُ كُلِّ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَنَامُوا».

كَانَ تِيرِيونَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، تُوجِعُهُ سَاقَاهُ وَيَصْرُخُ ظَهْرُهُ الدَّامِي فِيمَا يُحَاوِلُ تَنْظِيفَ بَسَاطِ النَّبِيلِ يَزَانُ مِنَ بُقْعَةِ النَّبِيذِ الَّذِي سَكَبَهُ النَّبِيلُ يَزَانُ، عِنْدَمَا نَفَرَ المُشْرِفُ عَلَى وَجْنَتِهِ بِرَفِيقٍ بِطَرَفِ سُوْطِهِ، وَقَالَ: «يُولُو، أَبْلَيْتَ بِلَاءً حَسَنًا أَنْتَ وَزَوْجَتُكَ».

- «ليست زوجتي».

- «عاهرتك إذن. انهضها».

نَهَضَ تِيرِيونَ بِغَيْرِ ثَبَاتٍ وَإِحْدَى سَاقِيهِ تَرْتَعَشُ، لَكِنَّهُ وَجَدَ فِخْذِيهِ مَتَيْبَسَّتَيْنِ

متشجّتين حتى إن بني مدّت إليه يدها تُعينه على النهوض، ثم إنه سأل: «ماذا فعلنا؟».

أجاب المُشرف: «الكثير. المرَبِّي قال إنكما ستُكافآن إذا أرضيتما أباكما، أليس كذلك؟ كما رأيتما، النَّبيل يزان يكره أن يفقد كنوزه الصَّغيرة، لكن يوركاز زويونزاك أقنعه بأن من الأنانية أن يقصر طرائفكما على نفسه. افرحاً! احتفالاً بتوقيع معاهدة السَّلام ستنالان شرف النَّزال في (حلبة دازناك الكُبرى). سيأتي آلاف يُشاهدونكما! عشرات الآلاف! أوه، ولكم سنضحك!».



چایمی

(شجرة الغدبان) قلعة قديمة، تنمو الطحالب بكثافة بين أحجارها العتيقة وتتسلق جدرانها كشباك العناكب، فتبدو كالعروق في ساقِي عجوزِ هرمة. يُحيط بُرجان ضخمان بالبوابة الرئيسية، وتُدافع أبراج أصغر عن كلِّ زاوية في الأسوار، وكلُّها أبراج مربعة. تتمتع الأبراج الدائرية ونصف الدائرية بقابلية أفضل للصمود أمام المجانيق، بما أن الحجارة الملقاة عرضة أكثر للانحراف عن الجدران المقوسة، إلا أن بناء (شجرة الغدبان) سبق ظهور هذه الطفرة في حكمة البنائين.

تُشرف القلعة على الوادي الواسع الخصيب الذي تُسميه الخرائط والناس (وادي بلاكوود). مما لا شك فيه أنه وادٍ، لكن لا أشجار تنمو فيه منذ عدة آلاف من السنين، سواء أكانت سوداء أم خضراء أم بيضاء. في الماضي نعم، لكن البلطات أسقطت الشجر منذ زمن، وقامت المنازل والطواحين والمعازل حيث كانت السندبانات الطويلة ترتفع، والآن الأرض عارية موحلة، ومبرقشة هنا وهناك بأكوام الثلج الذائب.

لكن جزءاً من الغابة يبقى وراء أسوار (شجرة الغدبان). تعبد عائلة بلاكوود الآلهة القديمة كما عبدها البشر الأوائل قبل وصول الأنداليين إلى (وستروس)، ويُقال إن بعض الأشجار في أيكة الآلهة عريق كأبراج القلعة، لا سيما شجرة القلوب، وهي شجرة ويروود هائلة الحجم تُرى فروعها العليا من بُعد فراسخ عديدة كأصابع عظيمة تخدش السماء.

إذ شقَّ چایمی لانستر ومجموعته المصاحبة طريقهم عبر التلال الممتوجة إلى الوادي رأى قليلاً باقياً من الحقول والمزارع والبساتين التي كانت تُحيط

بـ(شجرة الغدبان) فيما مضى، والآن ليس حول القلعة إلا الأوحال والرّماد، وهنا وهناك بعض هياكل البيوت والطّواحين المتفحّمة. في هذه الأرض القاحلة تنبت الحشائش والأشواك والقُرّاص، لكن لا شيء هناك من شأنه أن يُعدّ محصولًا. أينما نظرَ چايمي رأى يدي أبيه، حتى في العظام التي رأوها أحيانًا على جانب الطّريق. أكثرها عظام خراف، لكن هناك أيضًا عظام خيول وأبقار، وبين الحين والآخر جمجمة إنسان، أو هيكل عظمي بلا رأسٍ تبرز الحشائش من قفصه الصّدري.

على عكس (ريفررن)، لا تطوّق جيوش جرّارة (شجرة الغدبان)، فهذا الحصار مسألة أشد حميميّة، الخطوة الأخيرة في رقصة ضاربة في القِدَم قرونًا. على أفضل تقدير يُحاوط چونوس براكن القلعة بخمسمئة رجل، ولم يرَ چايمي أبراج حصارٍ أو مدكاتٍ أو مجانيق. لا ينوي براكن تحطيم بوابات (شجرة الغدبان) أو اقتحام أسوارها العالية السّميكة، وما دام لا يتوقع عونًا في وقتٍ قريب فقد قنعَ بتجويد خصمه حتى الاستسلام. لا ريب أن في بداية الحصار سُنت غارات ووقعت مناوشات وطارت سهام في الاتجاهين، لكن بعد مضي نصف عام سئم الجميع من هذه التُّرّهات، واستحوذ الملل والرّتابَة -عدوًا الانضباط- على الموقف.

فكّر چايمي لانستر: أنّ أوان انتهاء هذا. بعد أن أصبحت (ريفررن) آمنّة في أيدي لانستر لا يتبقّى من مملكة الذّئب الصّغير الزّائلة إلا (شجرة الغدبان)، وفور استسلامها سينتهي عمله على ضفاف (الثالوث) ويستطيع العودة إلى (كينجز لاندنج). إلى الملك. هكذا أخبر نفسه، لكن جزءًا آخر في داخله همس: إلى سرسي.

عليه أن يُواجهها على ما يظنّ، بفرض أن السّبتون الأعلى لن يكون قد أعدمها بالفعل قبل رجوعه إلى المدينة. في الرّسالة التي أمرَ بك بإحراقها في (ريفررن) كتبت له: «تعال في الحال. ساعدني. أيقظني. إنني محتاجة إليك الآن كما لم أحتج إليك من قبل قطّ. أحبّك، أحبّك، أحبّك. تعال في الحال». لا يشكّ چايمي في حقيقة حاجتها، لكن من ناحيةٍ أخرى... كانت تُضاجع لانسل وأوزموند كتليلاك وربما فتى القمر أيضًا... حتى إذا عاد فلا أمل له في إنقاذها. إنها مذنبه بكلّ خيانةٍ متّهمة بها، وهو يفتقر إلى يد سيفه.

حين ظهرَ الرتلَ مهرولاً من الحقول رمقَ النواطير الوافدين بفضولٍ أكثر من الخوف، ولم يُطلق أحدهم إنذارًا، وهو ما ناسبَ چايمي تمامًا. لم يجد صعوبةً في العثور على سُرادق اللورد براكن، فهو الأكبر في المعسكر، ويتخذ الموقعَ الأفضل فوق مرتفعٍ واطئٍ يُجاور جدول ماء، فيُشرف بلا حواجز على اثنتين من بوابات (شجرة الغدبان). الخيمةُ بنيةٌ كالرأية المرتفعة فوق ساريتها الوسطى، حيث يرفع فحل عائلة براكن الأحمر قائمته الأماميتين على خلفيّة ذهبية. أمرَ چايمي رجاله بالترجّل وقال لهم أن يختلطوا بالآخرين إذا أرادوا، وإن أخبرَ حاملَي رايته: «ليس أنتما. ابقيا قريبًا، فلن أستغرق طويلاً»، ثم إنه وثبَ من فوق حصانه أوثرَ وتقدّم من خيمة براكن بخُطى واسعة وسيفه يُصلصل في غمده.

تبادلَ الحارسان خارج باب الخيمة نظرةً متوترةً مع اقترابه، وسأله أحدهما: «هل نُعلن مجيئك يا سيّدي؟». قال چايمي: «سأعلنه بنفسِي»، وأزاحَ سديلة الباب بيده الذهبية وحنى رأسه داخلًا.

ألفاهما منهمكين تمامًا في تطارح الغرام حتى إن كليهما لم يلحظ دخوله على الإطلاق. كانت عينا المرأة مغلقتين، وقد تشبّثت يداها بالشعر البني الخشن على ظهر براكن وشهقت كلما دفعَ نفسه في داخلها، ودفنَ حضرة اللورد وجهه بين نهديها وقبضَ بيديه على وركيها. تنحنحَ چايمي، وقال: «لورد چونوس».

انفتحت عينا المرأة في الحال وأطلقت صرخةً مفزوعةً، وتدحرجَ چونوس براكن من فوقها ومدَّ يده إلى غمده وجردَ فولاذه مطلقًا سبأًا. صاحَ: «بحقّ الجحائم السبع! مَنْ يجرؤ...»، ثم إنه رأى معطف چايمي الأبيض وواقى صدره الذهبي، فخفضَ رأس سيفه مغمغمًا: «لانستر؟».

قال چايمي ببسمةٍ صغيرة: «أسفٌ لإزعاجك في ساعة انبساطك يا سيّدي، لكنني متعجّل نوعًا. هل لنا أن نتكلّم؟».

دسَ اللورد چونوس سيفه في غمده قائلاً: «نتكلّم، أجل». ليس براكن طويل القامة كچايمي، لكنه أثقل وله كتفان وذراعان تُثير حسد أيّ حدّادٍ من فرط غلظتها. يُغطّي الشعر البني القصير وجنتيه وذقنه، وفي عينيه البنيّتين

نظرة غاضبة لم يُفلح في إخفائها. «لقد باغتنني يا سيّدي. لم يُخبرني أحد بوصولك».

ردّ چایمی: «ويبدو أنني منعتُ وصولك أنت»، وابتسمَ للمرأة في الفراش، التي وضعت يداً على نهدها الأيسر والأخرى بين ساقبها، وهو ما تركَ نهدها الأيمن مكشوفاً. حلمتها أدكن من حلمتي سرسي وأكبر منهما ثلاث مرّات، ولما شعرتَ بنظرة چایمی غطتَ حلمتها اليمنى، لكن هذا كشفَ جبل زهرتها. تساءلَ چایمی: «أكلتَ تابعات المعسكرات بهذه الحشمة؟ إذا أرادَ أحد أن يبيع اللّفث فعليه أن يعرضه على الزبائن».

قالت المرأة: «إنك تنظرُ إلى لفتي منذ دخلتَ أيها الفارس»، ووجدتَ الغطاء وسحبته تُغطّي به نفسها حتى الخصر، ثم رفعتَ يدها تُزيح شعرها عن عينها مضيضةً: «كما أنه ليس للبيع».

هزّ چایمی كتفيه معلّقاً: «اعتذرُ إذا أسأتُ فيكِ الظنّ. لقد عرفَ أخي الصّغير مئة عاهرة، لكنني لم أضاجع إلا واحدةً فقط».

تناولَ براكن سراويله من على الأرض ونفضها قائلاً: «إنها غنيمة حرب. كانت تنتمي إلى أحد رجال بلاكوود إلى أن فلقَت رأسه نصفين. أنزلي يديك يا امرأة. سيّدي لانستر يُريد أن يُلقي نظرةً جيّدةً على ثدييك».

تجاهلَ چایمی القول، وأخبرَ براكن: «إنك ترتدي سراويلك بالعكس يا سيّدي»، وبينما سبّ چونوس ولعنَ نزلتَ المرأة من الفراش لتختطف ثيابها المبعثرة، تتنقل أصابعها بعصبيةً بين نهدبها وفرجها وهي تنحني وتلفّت وتمدُّ يدها هنا وهناك. الغريب أنه وجدَ سعيها لستر نفسها أشد استشارةً بكثير مما كان ليجدّه لو أنها تحرّكت عاريةً تمامًا. سألتها: «ألكِ اسم يا امرأة؟».

أجابته: «أمّي سمّنتي هيلدي أيها الفارس»، وأنزلتَ قميصاً ملوّثاً من فوق رأسها ونفضتَ شعرها. وجهها متسخ كقدميها تقريباً، وبين ساقبها شعر غزير كفيل بجعله يظنّها أخت براكن، لكن فيها شيئاً ما جدّاباً على الرغم من ذلك؛ هذا الأنف الأفطس أو الشعر الثائر... أو ربما انحناءتها الصّغيرة أمامه بعد أن ارتدّت تنورتها. تساءلت: «هل رأيتَ فردة حذائي الأخرى يا سيّدي؟».

بدا أن السؤال ضايق اللورد براكن، الذي قال: «أأنا وصيفتك اللّعينة لأجلب لكِ حذاءك؟ اذهبي حافيةً إذا لزم الأمر، فقط اذهبي».

قالت هيلدي: «أيعني هذا أن سيدي لن يأخذني معه إلى الديار لأصلي مع زوجته الصغيرة؟»، وضحكت راقمةً چايمي بنظرة صفيقة، وسألته: «ألك زوجة صغيرة أيها الفارس؟».

لا، لي أخت. «ما لون معظفي؟».

- «أبيض، لكن يدك من الذهب الخالص. أحب هذا في الرجل. وما الذي تحبه في المرأة يا سيدي؟».

- «البراءة».

- «قلت في المرأة لا في ابنتك».

فكر في مارسلا قائلاً لنفسه: عليّ أن أخبرها أيضًا. لن يروق هذا الدورنيين. لقد اختطبها دوران مارتل لابنه معتقدًا أنها من دم روبرت. عقد وشباك. يتمنى چايمي لو أنه يستطيع أن يقطعها جميعًا بضربة واحدة سريعة من سيفه. قال لهيلدي بضجر: «لقد حلفت يمينًا مقدسة».

ردت عابثة: «لا لفت لك إذن».

هدر فيها اللورد چونوس: «اخرجي!».

وقد فعلت، لكن إذ مرّت بچايمي ممسكةً فردة حذاءٍ واحدةً وكومةً من ملايسها مدّت يدها الأخرى واعتصرت ذكره من فوق سراويله، وأخبرته مذكرةً: «هيلدي»، قبل أن تندفع نصف عارية من الخيمة.

هيلدي. بعد خروجها سأل اللورد چونوس: «وكيف حال السيّدة حرمك؟».

- «وأتى لي أن أعرف؟ سل سبتونها. عندما أحرق أبوك قلعتنا قرّرت أن الآلهة تعاقبنا، والآن لا تفعل شيئًا إلا الصلاة». كان چونوس قد ارتدى سراويله على النحو الصحيح أخيرًا، وبينما يعقد أربطتها من الأمام سأل: «ما الذي أتى بك يا سيدي؟ السمكة السوداء؟ سمعنا أنه هرب».

استقرّ چايمي على كرسي معسكرات قائلاً: «حقًا؟ سمعتم هذا من الرجل نفسه؟».

- «السير برايندن أعقل من أن يهرع إليّ. لن أنكر أنني مولى بالرجل، لكن هذا لن يمنعني من تقييده بالسلاسل إذا أظهر وجهه قربي أو قرب رجالي. إنه

يعلم أنني ركعتُ. كان يجدرُ به أن يفعل المِثْل، لكن لظالما اتَّسم هذا الرَّجُل بالعناد. كان أخوه ليُخبرك بهذا».

علّق چايمي: «تايتوس بلاكوود لم يركع. هل يُمكن أن يبحث السَّمكة السّوداء عن مأوى في (شجرة الغدّان)؟».

- «قد يبحث عنه، لكن ليجده عليه أن يتجاوز خطوط حصاري. آخر ما سمعته أن الرَّجُل لم يَنْبُت له جناحان. سرعان ما سيحتاج تايتوس نفسه إلى مأوى. لم يتبقَّ لهم بالدّاخل من طعامٍ إلّا الجرذان والجدور. سيستسلم قبل اكتمال القمر».

- «سيستسلم قبل غروب الشّمس. إنني أنوي أن أعرض عليه شروطًا وأقبله في سلام الملك من جديد».

غمغم اللورد چونوس: «مفهوم»، وارتدى سُترَةً بَنِيَّةً من الصّوف على وجهها تطريز لفحل براكن الأحمر، وسأل: «هل يشرب سيّدي قرنا من المِزر؟».

- «لا، لكن لا تُعطِش نفسك بسببي».

ملاً براكن قرنا لنفسه وشرب نصفه، ثم مسح فمه قائلًا: «ذكرت شروطًا. أي نوع من الشّروط؟».

- «النوع المعتاد. على اللورد بلاكوود أن يقرّ بخيانتته ويتبرأ من ولائه لعائلتي ستارك وتلي، وأن يحلف يمينًا مقدّسةً أمام الآلهة والبشر بأن يبقى من الآن فصاعدًا تابعًا مخلصًا لـ(هارنهال) والعرش الحديدي، وسأمنحه عفوًا باسم الملك. سنأخذ جرّةً أو اثنتين من الذهب بالطّبع. إنه ثمن التّمرد. سأخذ رهينةً أيضًا لضمان ألاّ تتمرد (شجرة الغدّان) ثانية».

قال براكن: «ابنته. لبلاكوود ستّة أبناءٍ لكن ابنة واحدة مغرم بها، مخلوقة صغيرة سائلة الأنف لا تتجاوز السّابعة».

- «صغيرة، لكن عساها تصلّح».

أفرغ اللورد چونوس ما تبقى من المِزر في جوفه، ثم ألقى القرن جانبًا، وقال: «وماذا عن الأراضي والقلاع التي وُعدنا إيّاها؟».

- «وما تلك الأراضي؟».

- «الضّفة الشريّة لـ(غرين الأرملة)، من (أخدود النّشاب) إلى (المرج

المحفّر)، وجميع الجُزر في الجدول، وأيضًا طاحونة الذُّرة) و(طاحونة اللورد) وأطلال (بهو الوحل) و(المسلبة) و(وادي المعركة) و(الورشة القديمة)، وقرى (الحزام) و(الحزام الأسود) و(الرَّجمة) و(بركة الصِّصال)، وبلدة السُّوق في (مقبرة الطَّمي)، وكذا غابة الدَّبابير) و(غابة لورجن) و(التَّل الأخضر) و(ثديا باربا). آل بلاكوود يسمُّون التلِّين (ثديي ميسي)، لكنهما كانا لباربا قبل ذلك. وأيضًا (شجرة العسل) بما فيها المناحل. هاك، لقد علَّمتها ليُلقي سيدي نظرةً»، ونقَّب براكن بين الأشياء الموضوعه على منضدةٍ ثم أخرج خريطةً من الرِّقوق.

تناولها چايمي بيده السَّليمة، لكنه احتاج إلى الدَّهبيَّة لبيسطها ويثبتها، ثم إنه علَّق: «مساحة كبيرة للغاية من الأراضي. ستُضيف إلى نطاق سُلطتك ربَّعًا».

قال براكن زامًا فمه بعناد: «كلُّ هذه الأراضي كانت تنتمي إلى (السِّياج الحجري) من قبل، وسرقها آل بلاكوود منا».

نقرَ چايمي على الخريطة بمفصل إصبعٍ ذهبي متسائلًا: «وماذا عن هذه القرية بين (الثديين)؟».

- «(شجرة البنسات). كانت هذه ملكنا في الماضي أيضًا، لكنها إقطاعيَّة ملكيَّة منذ خمسمئة عام. اتركها، فلننا نطلبُ إلَّا الأراضي التي سرقها آل بلاكوود. السيِّد والدك وعدَّ بردُّها إلينا إذا أخضعنا له اللورد تايوس».

- «ومع ذلك في طريقي إلى هنا رأيتُ رايات تلي فوق أسوار القلعة، وذئب ستارك الرَّهيب أيضًا، وهو ما يُوحى بأن اللورد تايوس لم يخضع».

- «لقد طردناه وقومه من الميدان وحسناتهم داخل (شجرة الغدْفان). أعطني عددًا يكفي من الرِّجال لاقتحام أسواره يا سيِّدي وسأخضعهم جميعًا وأرسلهم إلى قبورهم».

قال چايمي: «إذا أعطيتك ما يكفي من الرِّجال فهم من سيخضعونهم لا أنت، وفي تلك الحالة عليَّ أن أكافئ نفسي»، وترك الخريطة تنطوي ثانيةً، وأضاف: «سأحتفظُ بهذه إذا سمحت».

- «الخريطة لك، لكن الأراضي لنا. يُقال إن اللانستر يُسدِّد ديونه دائمًا. لقد قاتلنا لحسابكم».

- «وقاتلتهم ضدنا مُدَّةً أطول مرَّتين».

- «الملك عفا عنا. لقد فقدتُ ابن أخي بسيوفكم، وابني الطَّبيعي، وسرق جبلكم محاصيلي وأحرق كلَّ ما لم يستطع حمله، وأضرمَ النَّارَ في قلعتي واغتصبَ إحدى بناتي. سأنالُ تعويضًا».

أخبره چايمي: «الجبل مات، وكذا أبي، وقد يقول بعضهم إن رأسك تعويض كافٍ. لقد أعلنتُ تأييدك ستارك، وظللتُ مخلصًا له حتى قتله اللورد والدر».

قال اللورد چونوس: «اغتاله ومعه دسته من الرِّجال الصَّالحين من دمي»، وأدارَ رأسه وبصقَ قبل أن يُردف: «أجل، ظللتُ مخلصًا للذئب الصَّغير كما سأظلُّ مخلصًا لكم ما دُمتم تُعاملونني بالعدل. لقد ركعتُ لأنني لم أر جدوى من الموت في سبيل الموتى أو إراقة دماء براكن من أجل قضيةٍ خاسرة».

- «رجل حصيف». ولو أن بعضهم قد يقول إن اللورد بلاكوود أشرف. «ستحصلُ على أراضيكم، بعضها على الأقل، بما أنك أخضعت آل بلاكوود جزئيًّا».

بدا أن هذا أَرْضَى اللورد چونوس، الذي قال: «سنقنع بالقسمة التي يراها سيدي عادلةً. إن كان لي أن أشير عليك فلن يصلح أن تُبالغ في الرَّأفة في التَّعامل مع آل بلاكوود هؤلاء. الخيانة تجري في دمائهم. قبل مجيء الأندالين إلى (وستروس) كانت عائلة براكن تحكِّم هذا النَّهر. كنا ملوكًا وآل بلاكوود أتباعنا، لكنهم خانونا واغتصبوا التَّاج. كلُّ بلاكوود يُوكِّد مارِقًا. خيرٌ لك أن تتذكَّر هذا فيما تعرض عليهم شروطك».

وعده چايمي: «أوه، سأذكِّره».

حين ركبَ من معسكر حصار براكن إلى بُوابة (شجرة الغدْفان) سبقه بك رافعًا راية سلام، وقبل بلوغهما البُوابة كان عشرون زوجًا من الأعيُن يُشاهدُهما من وراء متاريس مبنى البُوابة. أوقفَ چايمي أوثرَ عند حافة الخندق العميق المحدَّد بالحجارة الذي يَخُنُّ العُناء ماءه الأخضر، وكان على وشك أن يأمر السير كينوس بإطلاق بوق هيروك عندما بدأ الجسر المتحرِّك ينزل.

قابله اللورد تايِتوس بلاكوود في السَّاحة الخارجِيَّة ممتطيًّا جوادًا حربيًّا مهزولًا مثله. سيِّد (شجرة الغدْفان) مديد القامة شديد النَّحول، وله أنف

معقوف وشعر طويل ولحية مشعثة بياضها أكثر من سوادها، ويرتدي درعاً قرمزيّة على واقبي صدرها المزخرف بالفضّة صورة لشجرة بيضاء جرداء ميتة يُحيط بها سرب مشغول بالجزع من الغدبان المحلّقة، ومن على كتفيه ينسدل معطف من ريش الغدبان الأسود.

خاطبه چايمي قائلاً: «لورد تايوس».

- «أيها الفارس».

- «أشكرك على السّماح لي بالدّخول».

- «لن أقول مرحباً بك، لكنني لن أنكر أنني أملتُ أن تأتي. أنت هنا من أجل سيفي».

- «أنا هنا لأضع نهايةً للأمر. لقد قاتل رجالك ببسالة، لكنكم خسرت الحرب. أنت مستعدّ للاستسلام؟».

- «للملك لا لچونوس براكن».

- «مفهوم».

تردّد بلاكوود لحظّة، ثم قال: «هل تُريدني أن أترجّل وأررع أمامك هنا والآن؟».

كانت مئة عين تتطلّع إليهما. أجاب چايمي: «الرّيح باردة والسّاحة موحلة. يمكنك أن تررع على البساط في غُرفتك الشّمسيّة حالما ننتفّق على الشّروط». قال اللورد تايوس: «هذه شهامة منك. تفضّل أيها الفارس. قد تفتقر قاعتي إلى الطّعام، لكنها لا تفتقر إلى الكياسة أبداً».

تقع غُرفة بلاكوود الشّمسيّة في الطّابق الثّاني من حصنٍ خشبيّ فسيح. حين دخلا كانت في المستوفد نار مشتعلة، ووجد چايمي الغُرفة واسعةً حسنة التّهوية، تحمل سقفها عوارض ضخمة من خشب السّنديان القاتم. تُغطّي المعلقات الصّوف الجُدران، ويطلُّ بابان عريضان منقوشان بالأشكال الشّجريّة على أيكة الآلهة. عبر ألواح الرّجاج الصّفراء السّميكّة ذات الشّكل الماسي لمحّ چايمي الفروع الملتوية للشّجرة التي اتّخذت منها القلعة اسمها، شجرة ويروود عتيقة عملاقة تفوق تلك التي في (الحديقة الحجريّة) ب(كاسترلي روك) حجماً عشر مرّات، وإن كانت هذه الشّجرة جرداء ميتة.

قال مضيفه: «آل براكن سمّوها. لم تنبّت منها ورقة منذ ألف عام، ويقول

المبايسترات إن بعد ألفٍ أخرى ستكون قد تحجّرت. شجر الويروود لا يتعفن أبداً».

سأله چايمي: «والغدافان؟ أين هي؟».

أجاب بلاكوود: «تأتي عند الغسق وتجنم طوال الليل، مئات منها، تُغطي الشجرة كأوراقٍ سوداء، كلُّ فرع وكلُّ عُصن. منذ آلاف السنين تأتي، ولا أحد يدري كيف أو لماذا، لكن الشجرة تجتذبها كل ليلة»، واستقرَّ على مقعدٍ عالي الظهر مستطردًا: «دواعي الشرف تُلْزمني بالسؤال عن اللورد وليّ أمري».

- «السير إدميور في الطريق إلى (كاسترلي روك) باعتباره أسيري. ستبقى زوجته في (التوأمتين) حتى تضع طفلهما، ثم سينضمّان إليه. ما دام لن يُحاول الفرار أو يُخطّط للتمرد فسيعيش إدميور حياةً طويلةً».

- «طويلةٌ ومريرةٌ، حياةً بلا شرف. حتى مماته سيقول الناس إنه خشي القتال».

هذا ظلم. إدميور خشي على طفله. لقد عرف ابن من أنا، أفضل من عمّي نفسها. «كان الخيار خياره. كان عمّه ليسفك دماءنا».

قال بلاكوود بنبهة لا تُفصح عن شيء: «على هذا نتفق. إن كان لي أن أسأل، ماذا فعلتم بالسير برايندن؟».

أجاب چايمي: «عرضتُ عليه أن يلتحق بحرس الليل، وبدلاً من ذلك فرّاً، وابتسم سائلاً: «أهو هنا؟».

- «لا».

- «وهل كنت لتُخبرني لو أنه هنا؟».

هذه المرّة كانت الابتسامة من نصيب تايوس بلاكوود.

شبّك چايمي يديه واضعاً أصابعه الذهبية بين تلك اللحمية، وقال: «ربما يجدر بنا أن نتكلم عن الشروط».

- «هل يُفترض أن أركع الآن؟».

- «إذا سمحت، أو يمكننا أن نقول إنك فعلت».

ظَلَّ اللورد بلاكوود جالساً، وسرعان ما اتَّفقا على النُّقاط الأساسية الخاصة بالاعتراف والقسم على الولاء والعفو ومبلغ معين يُدفع ذهباً وفضةً، وبعدها سأل اللورد تايوس: «ما الأراضي التي تطلبها؟»، ولمّا ناوَله چايمي

الخارطة ألقى نظرةً واحدةً وقهقهةً قائلاً: «بالطَّبع، لا بُدَّ من أن ينال المارق مكافأته».

- «نعم، لكنها مكافأة أصغر مما يتخيَّل مقابل خدمةٍ أصغر. أيُّ تلك الأراضي تقبل الاستغناء عنه؟»
فكَّر اللورد تايوس لحظةً، ثم قال: «(السِّيَاح الخشبي) و(أخدود النَّشَاب) و(الحزام)».

- «أطلال وأخدود وبضعة أكواخ؟ بحقِّك يا سيِّدي. يجب أن تُعاني لقاء خيانتك. سيُريد واحدةً من الطَّواحين على الأقل». الطَّواحين مصدر فيِّم للضَّرائب، واللورد يتلقَّى عُشر ما تطحنه من حبوب.
- «(طاحونة اللورد) إذن. (طاحونة الدَّرة) لنا».
- «وإحدى القرى. (الرَّجْمة)؟».

ردَّ بلاكوود: «إن لي أسلَافاً مدفونين تحت صخور (الرَّجْمة)»، وعادَ ينظر إلى الخارطة، ثم قال: «أعطه (شجرة العسل) ومناحلها. كل هذه الحُلويات ستُسَمِّنه وتُسَوِّس أسنانه».

- «أتفقنا إذن، لكن هناك مسألةٌ أخيرةٌ».
- «رهينة».

- «نعم يا سيِّدي. أعتقدُ أن لك ابنةً».

لاحَ الذعر على اللورد تايوس إذ قال: «بِثاني. إن لي أخوين وأختاً أيضاً، وعمَّتَيْن مترمِّلَتَيْن، وأبناءً وبنات إخوة، وأولاد عمومة. خطرٌ لي أنك قد تقبل...».

- «يجب أن تكون الرَّهينة من صُلبك».

- «بِثاني في الثامنة فحسب، فتاة رقيقة ضحوك. إنها لم تتعد عن داري قَطُّ مسافةً أطول من يوم من الرُّكوب».

- «لِمَ لا تدعها ترى (كينجز لاندنج) إذن؟ جلاله الملك في سِنَّها تقريباً، وسيسرُّه أن يحظى بصديقةٍ أخرى».

سأله اللورد تايوس: «صديقة يُمكنه أن يَشْنُقها إذا أغضبه أبوها؟»، ثم إنه قال: «إن لي أربعة أبناء. هل تقبل أحدهم بدلاً منها؟ بن في الثانية عشرة ومتعطِّشٌ إلى المُغامرة. يُمكنه أن يكون مُرافق سيِّدي إذا سمح».

- «عندي مُرافِقون أكثر من اللازم بالفعل. متى تبوّلتُ يتشاجرون على شرف إمساك قضيبتي. وأنت لك ستّة أبناء يا سيّدي لا أربعة».

- «كان لي. روبرت كان أصغر أبنائي ولم يتمتّع بالقوّة يوماً. لقد مات بالإسهال قبل تسعة أيام. ولوكاس قُتل في الزّفاف الأحمر. زوجة والدر فراي الرّابعة كانت من آل بلاكوود، لكن صِلَة القُربى لا اعتبار لها في (التّوأمتين)، مثلها مثل حقّ الضّيافة. أتمنّى لو أُدفن لوكاس تحت الشّجرة، لكن آل فراي لم يتكرّموا بإعادة رُفاته إلّايّ بعد».

- «سأحرصُ على أن يفعلوا. هل كان لوكاس أكبر أبنائك؟».

- «ابني الثّاني. برايندن أكبرهم ووريثي، ويليه هوستر. أخشى أنه يهوى القراءة».

- «إن لديهم كُتبًا في (كينجز لاندنج). أذكرُ أن أخي الصّغير اعتادَ مطالعتها من حينٍ إلى آخر، وقد يحبُّ ابنك أن يقرأها. سأقبلُ هوستر رهينته».

تنفس بلاكوود الصّعداء، وقال: «أشكرك يا سيّدي»، ثم أَرَدَفَ بعد لحظة تردّد: «إن كان لي أن أتجرأ، خيرٌ لك أن تطلّب رهينةً من اللورد چونوس أيضًا، إحدى بناته. على الرغم من معاشرته المستمرة للنساء فإنه لم يُثبت رجولته بإنجاب ابن».

- «كان له ابن نغل قُتل في الحرب».

ردّ اللورد تايوس: «حقًا؟ كان هاري نغلًا، صحيح، لكن السُّؤال الشّائك إن كان چونوس قد أنجبهُ حقًا. كان فتى وسيماً فاتح الشّعر، وچونوس لا هذا ولا ذاك»، ونهض سائلًا چايمي: «هلّا شرّفتني بتناول العشاء معي؟».

- «مرّة أخرى يا سيّدي». القلعة تتضمّور جوعًا بالفعل، ولا خير يُرجى من سرقة چايمي الطّعام من أفواه أهلها. «لا أستطيع البقاء. (ريقررن) تنتظرنني».

- «(ريقررن) أم (كينجز لاندنج)؟».

- «كلتاها».

لم يُحاول اللورد تايوس إثناءه، وقال: «سيستعدّ هوستر للرّحيل خلال ساعة».

وقد كان. التقى الفتى چايمي عند الاسطبلات، وقد وضع لفافة نوم على كتفه ودسّ حزمةً من المخطوطات تحت إبطه. لا يتعدّى هوستر بلاكوود

السَّادسة عشرة، لكنه أطول قامَةً من أبيه، زُهاء سبعة أقدام، يبدو عليه الهزال والخرق، وله خُصلة طويلة من الشَّعر تتدلَّى على جبهته. خاطبَ الفتى چایمي بابتسامَةٍ واسعة: «حضرة القائد، أنا رهينتك هوستر. يدعونني بهوس».

هل يحسبها مزحة؟ «مَنْ هُمْ؟».

- «أصدقائي، إخوتي».

ردَّ چایمي: «لستُ صديقك ولستُ أخاك»، وهو ما نظَّف وجه الفتى من الابتسامة، ثم التفتَ چایمي إلى اللورد تايوس قائلاً: «سيدي، دعنا نتلافى سوء الفهم تمامًا. اللورد بريك دونداريون وثوروس المايري وساندور كليجاين وبرابندن تلي وتلك المرأة قلب الحجر... كل هؤلاء خارجون عن القانون وتمرِّدون، أعداء الملك وجميع رعاياه الأوفياء. إذا سمعتُ أنك أو ألك تُخفونهم أو تحمونهم أو تُعاونونهم بأيِّ شكل فلن أتردَّد في أن أرسل إليك رأس ابنك. أملُ أنك تستوعب هذا. واستوعب هذا أيضًا: أنا لستُ رايمان فراي».

زال كلُّ أثرٍ للدَّفء من فم اللورد بلاكوود، الذي قال: «نعم. إنني أعرفُ مع مَنْ أتعاملُ يا قاتل الملك».

قال چایمي: «عظيم»، وامتطى أوثر وداربه نحو البوابة مضيِّفًا: «أتمنَّى لك حصادًا وفيرًا ومسرة العيش في سلام الملك».

لم يبتعد كثيرًا. كان اللورد چونوس براكن في انتظاره خارج (شجرة الغدبان) خارج مدى الشُّشايَّات القديرة، يمتطي جوادًا حربيًّا مدرعًا، وقد ارتدى درعه أيضًا واعتمرَ خوذةً عظيمةً من الفولاذ الرَّمادي لها ريشة من شَّعر الخيل. عندما بلغه چایمي قال: «رأيتهم يُنزِلون راية الدُّب الرَّهيب. هل انتهى الأمر؟».

- «انتهى. عدُّ إلى ديارك وازرع حقولك».

رفعَ اللورد براكن مقدِّمة خوذته قائلاً: «مؤكَّد أن الحقول التي سأزرعها أكثر مما كانت حين دخلت هذه القلعة».

قال چایمي: «(الحزام) و(السِّياج الخشبي) و(شجرة العسل)»، وأضافَ بعد أن تذكَّر: «أوه، و(أحدود الشُّشاب)».

قال براكن: «والطَّاحونة؟ يجب أن آخذ طاحونة».

- «(طاحونة اللورد)».

أطلق اللورد چونوس نخير سخرية، وغمغم: «نعم، لا بأس بها... في الوقت الحالي»، وأشار إلى هوستر بلاكوود الرّاكب مع بك قائلاً: «أهذه هي الرّهينة التي أعطاك إياها؟ لقد خُدعت أيها الفارس. هذا الفتى رعديد، في عروقه ماء بدلاً من الدّم. لا عليك بقامته الفارعة، فأني من بناتي تستطيع أن تكسرة كخصين متعفن».

سأله چايمي: «كم بنتاً لديك يا سيدي؟».

- «خمس، اثنتان من زوجتي الأولى وثلاث من الثالثة». بعد فوات الأوان أدرك براكن أنه تكلم أكثر من اللازم.

- «أرسل واحدة منهن إلى البلاط. ستمتع بامتياز خدمة الملكة الوصيّة على العرش».

أربدّ وجهه براكن إذ استوعب مدلول الكلام، وقال: «أهكذا تردّ صداقة (السّياج الحجري)؟».

قال چايمي لحضرة اللورد: «خدمة الملكة شرف عظيم. ربما عليك أن تُرسخ هذا في ذهنها. سنتطّلع إلى قدوم الفتاة قبل نهاية العام»، ولم ينتظر ردّاً من اللورد براكن، بل مسّ أوتر بخفة بمهمازيه الذهبين وخبّ مبتعداً. اتّخذ رجاله تشكيلهم وتبعوه برايات خفاقة، وسرعان ما تركوا القلعة والمعسكر وراءهم وقد أخفاهما ما أثارته حوافر خيولهم من غبار.

لم يُزعجهم الخارجون عن القانون أو الذئاب في طريقهم إلى (شجرة الغدقان)، فقرّر چايمي أن يعودوا من طريق آخر. إذا شاءت الآلهة فقد يُصادف السّمكة السّوداء أو يستدرج بريك دونداريون إلى هجمة متهورّة.

كانوا يتبعون (غرين الأرملة) حين نفذ منهم النّهار، فنادى چايمي رهينته وسأل الفتى أين يجدون أقرب مخاضة، وقادهم الفتى إلى هناك. بينما خاضوا في المياه الضّحلة غابت الشّمس وراء تلين معشوشبين أشار إليهما هوستر بلاكوود قائلاً: «(الثديان)».

قال چايمي متذكّراً خريطة اللورد براكن: «ثمة قرية بين هذين التّلين».

أمّن الفتى على قوله: «(شجرة البنسات)».

- «سنُخيم هناك اللّيلة». إذا كان في القرية سُكّان فلعلّهم يعرفون شيئاً عن

السير برايندن أو الخارجين عن القانون. فيما ركبوا صوب التلّين اللذين بدأ يصطبغان بالظلمة في آخر خيوط الصّوء قال لابن بلاكوود: «اللورد چونوس ذكر شيئاً ما عن صاحبة هذين الثّديين. آل براكن يدعونهما باسم وآل بلاكوود بآخر».

- «أجل يا سيّدي، منذ مئة عام أو أكثر. قبل ذلك كان اسمهما (ثديا الأم)، أو (الثديان) وحسب. إنهما اثنان، ورأى الناس أنهما يُشبهان...».

- «أرى ما يُشبهانه». وجدّ چايمي نفسه يستعيد في ذاكرته المرأة في الخيمة وكيف حاولت ستر حلمتيها الدّاكتين الكبيرتين. «ما الذي تغيّر قبل مئة عام؟».

أجاب الفتى هاوي القراءة: «إجون غير الجدير اتّخذ باربا براكن عشيقَةً. يقولون إنها كانت عامرة الصّدر، وذات يوم في أثناء زيارة الملك (السّيّاج الحجري) خرج للصّيد ورأى (الثّديين) ف...».

- «... سمّاهما تيمناً بعشيقته». مات إجون الرّابع قبل مولد چايمي بزمنٍ طويل، لكنه يذكّر ما يكفي من تاريخ حكمه ليُخمن ما حدث بعد ذلك. «لكنه نبذ ابنة براكن لاحقاً واتّخذ ابنةً لبلاكوود عشيقَةً، أليس كذلك؟».

أجاب هوستر: «الليدي ميليسا، ميسي كما دعوها. إن لها تمثالاً في أيكة الآلهة عندنا. كانت أجمل من باربا براكن كثيراً لكن نحيفةً، وسمّعت باربا تقول إن ميسي مسطّحة الصّدر كالصّبية، ولمّا سمع الملك إجون هذا...».

قاطعهُ چايمي ضاحكاً: «... أعطاهَا ثديي باربا»، ثم إنه سأل: «كيف بدأ كلُّ هذا بين بلاكوود وبراكُن؟ أهو مدوّن؟».

- «نعم يا سيّدي، لكن بعض التّواريخ دوّنه مايستراتهم وبعضها دوّنه مايستراتنا بعد قرونٍ من الأحداث التي يُفترض أنهم أرّحوها. الخصومة تعود إلى عصر الأبطال. كان آل بلاكوود ملوكاً في ذلك الزّمان وآل براكن لوردات صغاراً مشهورين باستيلاء الخيول، وبدلاً من أن يدفعوا لملكهم حقهً بالتي هي أحسن استخدموا الذهب الذي جنوه من خيولهم في استئجار المرتزقة للإطاحة به».

- «متى حدث هذا؟».

- «قبل خمسمئة عامٍ من مجيء الأندليين، أو ألف إذا صدق (التاريخ

الحقيقي). المشكلة أن أحدًا لا يعرف متى عبر الأنداليون (البحر الضيق).
(التاريخ الحقيقي) يقول إن أربعة آلاف عام مرّت منذ ذلك الحين، لكن
بعض المايسترات يزعم أنها ألفان فقط. بعد مرحلة معينة تختلط التواريخ
كلّها ويُسوّشها الغموض، ويستحيل وضوح التاريخ إلى غيوم الأساطير».

كان تيريون ليحبّ هذا الفتى. يُمكنهما أن يتكلّما من الغسق إلى الفجر
ويتناقشا حول الكتب. للحظة نسي ما يشعّره من مرارة نحو أخيه، إلى أن تذكّر
ما فعله العفريت. قال چايمي: «إذن فأنتم تتصارعون على تاج أخذه أحدكم
من الآخر حين كان آل كاسترلي ما زالوا سادة (كاسترلي روك)، أليس كذلك؟
تاج مملكة لم يعد لها وجود منذ آلاف السنين؟»، وقهقهة متابعًا: «كثرة كثراء من
السنين والحروب والملوك... كان المرء ليتصوّر أن أحدهم أقام السّلام يومًا».

- «أحدهم فعل يا سيّدي، كثيرون. لقد أقمنا السّلام عشرات المرّات مع

آل براكن، كثير منها أبرمّ بالزّواج. في عروق كلّ براكن دماء بلاكوود وفي

عروق كلّ بلاكوود دماء براكن. سلام الملك العجوز دام نصف قرن، لكن

نزاعًا جديدًا نشب وانفتحت الجروح القديمة وبدأت تنزف ثانية. هكذا جرّت

الأمر دومًا كما يقول أبي. ما دامّ الناس يذكّرون ما تعرّض إليه أسلافهم من

إساءات فلا سلام سيدوم أبدًا، وهكذا نمضي قرنًا بعد قرنٍ نكره آل براكن

ويكرهوننا. أبي يقول إن ما من نهاية لهذا أبدًا».

- «لعلّ هناك نهاية».

- «كيف يا سيّدي؟ أبي يقول إن الجراح القديمة لا تندمل أبدًا».

- «كان لأبي قول أيضًا: لا تجرح عدوًا بإمكانك أن تقتله. الموتى لا

يسعون للانتقام».

بلهجة اعتذارية قال هوستر: «أبناؤهم يسعون له».

- «ما لم تقتل الأبناء أيضًا. سلّ آل كاسترلي عن هذا إن كنت تشكّ في

كلامي، سلّ اللورد والليدي تاربك، أو آل راين أولاد (كاستامير)، سلّ أمير

(دراجونستون)». لبرهة ذكرته السّحب الحمراء القانية التي تُكلّل التلال

الغربية بطفلي ريجار الملفوفين بمعطفين قرمزيين.

- «ألهذا قضيتم على آل ستارك جميعًا؟».

- «ليس جميعهم. ما زالت ابنتا اللورد إدارد حيّتين. إحداهما تزوّجت لتوها،

والأخرى...». بريان، أين أنت؟ هل عثرت عليها؟... إذا تكرّمت الآلهة فستنسى أنها كانت من آل ستارك وتزوّج حدّادًا قويًا ما أو صاحب خانٍ سمين الوجه وتملأ داره بالأطفال ولا تخشى أبدًا أن يأتي فارس ما يهشّم رؤوسهم على حائط». قال الفتى الرّهينة بتردّد: «الآلهة كريمة».

فكّر چاييمي: استمرّ في اعتقادك هذا، وهمز أو نر مبتعدًا. أتضح أن (شجرة البنسات) قرية أكبر كثيرًا من توقّعه. هذه أيضًا نالت منها الحرب، كما تشهد البساتين المحروقة وهياكل البيوت المتهدّمة المسوّدة، لكن مقابل كلّ منزلٍ خرب أعيدَ بناء ثلاثة، وعبر الغسق الأزرق المتوغّل أبصرَ چاييمي قسًا جديدًا فوق عشرين من السُّقوف وأبوابًا من الخشب الأخضر الخام. بين بركة بطّ وورشة حدادة وجدَ الشجرة التي أكسبت القرية اسمها، سنديانة عتيقة باسقة تلتوي جذورها كثيرة العُقد من داخل التربة إلى خارجها كجحرٍ للأفاعي البنيّة البطيئة، وقد تُبِتت مئات البنسات النحاسيّة القديمة بالمسامير إلى جذعها الضخم.

حدّق بك إلى الشجرة ثم إلى البيوت، وتساءل: «أين الناس؟».

أخبره چاييمي: «مختبئون».

داخل المنازل أُطفئت النيران كلّها، لكن بعضها لا يزال يُصدر دُخانًا، وكلّها لم يبرّد. المخلوق الحي الوحيد الذي رأوه هو المعزاة التي وجدها هاري مريل الساخن ترعى في حديقة خضراوات... لكن للقرية معقلًا لا يقلُّ قوّة عن أيّ من أقرانه في أراضي النهر، جدرانها حجرية سميكة ترتفع اثني عشر قدمًا، وعلم چاييمي أنه سيجد أهل القرية هناك. وراء هذه الجدران اختبأوا حين أتى المُغيرون، ولذا لا يزال للقرية وجود، وها هم أولاء يختبئون هناك ثانية، هذه المرّة مني.

تقدّم بأونر إلى بوّابة المعقل، ورفع عقيرته قائلاً: «أنتم بالدّاخِل، لسنا نُضمِر لكم أذى. إننا رجال الملك».

ظهِرت وجوه فوق البوّابة، وردّ أحدهم: «رجال الملك هم من أحرَقوا قرينتنا، وقبلها أخذَ رجال ملكٍ آخرون مواشينا. كانوا رجال ملكٍ مختلف، لكن ذلك لم يصنع فرقًا بينهم وبين غيرهم عند المواشي. رجال الملك قتلوا هارسلي والسير أوزموند، واغتصّبوا ليسي حتى ماتت».

قال چايمي: «ليس رجالي. هل ستفتحون بوابتكم؟».

- «سنفعل حين ترحلون».

دنا السير كينوس مخاطبًا چايمي: «يُمكننا أن نُحطِّم البوابة بسهولةٍ أو نُشعل فيها النار».

هزَّ رأسه نفيًا، وقال: «فيما يُمطرُونا بالحجارة والسَّهام. عمل دام، ولأجل ماذا؟ هؤلاء النَّاس لم يُؤذونا. سنقضي اللَّيل في المنازل، لكنني لَنْ أسمح بالسرقة. إن معنا مؤنًا».

بينما زحفَ الهلال في السَّماء ربطوا الخيول في قاعات القرية العامَّة وتناولوا عشاءً من الضَّان المملَّح والتُّفَّاح المجفَّف والجُبنة الجامدة. أكل چايمي باقتصادٍ وتقاسمَ قربة نبيذٍ مع بك والرَّهينة هوس، وحاولَ أن يُحصي البنسات المثبَّة إلى السَّنديانة القديمة، لكنه وجدها كثيرةً للغاية وظلَّ يُخطئ العدَّ. لماذا يفعلون هذا؟ سيُخبره ابن بلاكوود إذا سأله، لكن ذلك سيُفسد اللُّغز. عيَّن حراسةً لضمان ألا يُغادر أحد حدود القرية، وأرسلَ كشافةً أيضًا حرصًا على عدم مباغته عدوٍّ ما إياهم بالهجوم.

كانت السَّاعة قُرب منتصف اللَّيل عندما عادَ اثنان منهم راكبينَ بامرأةٍ أسراها، وأخبره أحدهما: «اقتربت منا بمنتهى الجراءة يا سيِّدي مطالبةً بالكلام معك».

أسرعَ چايمي ينهض قائلاً: «سيِّدي، لم أتوقَّع رؤيتك ثانيةً بهذه السَّعة». باللالهة، تبدو أكبر عشرة أعوام مما رأيتها آخر مرَّة. وماذا دها وجهها؟ هذه الضَّمادة... لقد جُرحتِ...».

قالت: «إنها عَصَّة»، ومسَّت مقبض سيفها، السِّيف الذي أعطاه لها. (حافظ العهد). «سيِّدي، لقد كلَّفني بمهمة».

- «الفتاة، هل عثرتِ عليها؟».

أجابَت بريان عذراء (تارث): «نعم».

- «أين هي؟».

- «على بُعد يومٍ من الرُّكوب. يُمكنني أن آخذك إليها أيها الفارس... لكن عليك أن تأتي وحدك وإلا قتلها كلب الصَّيد».



چون

ترنمت ملیساندرا رافعة ذراعیها فی الثلج المتساقط: «أیا راهلور، أنت الضوء فی أعیننا، النار فی قلوبنا، الحرارة فی أقطاننا، شمسك الشمس التي تُدْفئ نهاراتنا، نجومك النجوم التي تحمینا فی ظلمة اللیل».

فی جوقه خشنة ردّ ضیوف الرّاف: «التّحیة لراهلور إله الضیاء»، قبل أن تعصف هبة من الرّیح القارسة كالجلید بكلماتهم.

رفع چون سنو قلنسوة معطفه. یسقط الثلج خفیفاً یوم، ترقص فی الهواء تُدْفئ الرّیقة المبعثرة هنا وهناك، لكن الرّیح تهبّ علی (الجدار) من الشّرق باردة برودة أنفاس تبنّ الجلید فی حکایات العجوز نان القديمة. حتی نار ملیساندرا ترتجف، یطّطق لهبها الواهن فی الحفرة العمیقة بنعومة فیما تُنشد الرّاهبة الحمراء. وحده جوست یبدو أنه لا یشعر بالبرد.

مالت آلیس کارستارك علی چون قائلة: «الثلج خلال الرّاف یعنی زیجة باردة. لطالما قالت السیّدة والدتی هذا».

رمقّ الملكة سیلیس مفكراً: مؤكّد إذن أن عاصفة ثلجیة هاجت یوم زُفت إلی ستانیس. تحت معطفها المفصّل من فرو القاقوم، ومحاطة برفیقاتها وخادماتها وفُرساتها، تبدو الملكة الجنویبة مخلوقة هشة شاحبة منكمشة، وقد تجمّدت ابتسامة متكلّفة علی شفّتیها الرّفعتین، لكن عینیها تنضحان بالإكبار. تكره البرد لكنها تحبّ اللهب. ما علیه إلا أن یُنظر إلیها لیری هذا. كلمة واحدة من ملیساندرا وستلّقی نفسها فی النار بمحض إرادتها وتُعانقها كأنها محبوبها.

لكن لا یترای له أن كلّ رجال الملكة یشاركونها حمیة إیمانها. السیر

بروس يبدو شبه سكران، والسير ميلجورن يضع يده المقفزة على ردف الليدي المجاورة له، والسير ناربرت يتثاءب، والسير پاتريك ابن (جبل الملك) يلوح عليه الغضب. بدأ چون سنو يفهم لماذا تركهم ستانيس مع ملكته.

ترنمت مليساندرا وحريرها القرمزي يدور ويتموج مع كل هبة ريح: «اللَّيْلُ مظلمٌ وزاخِرٌ بالأهوال. وحدنا نُؤكِّدُ وحدنا نموت، ولكن فيما نجتاز هذا الوادي الأسود يستمدُّ بعضنا القوَّةَ من بعضٍ ومنك يا إلهنا. اليوم يتقدَّم اثنان مقرنين حياتيهما معاً ليواجهها ظلمات هذا العالم سويَّةً، فاملأ قلبيهما بالنَّارِ يا إلهي ليسيرا في سبيلك المنير يداً بيدٍ إلى الأبد».

صاحت الملكة سيليس: «احمنا أي إله الضياء»، ورددت أصوات أخرى صيحتها، أتباع مليساندرا المؤمنون من سيِّداتٍ شاحباتٍ وخادماتٍ راجفاتٍ إلى السير آكسل والسير ناربرت والسير لامبرت، إلى الرِّجال المسلَّحين المدرَّعين بحلقات الحديد والثَّنين المدرَّعين بالفولاذ، وحتى بعض إخوان چون السُّود. «بارك أطفالك أي إله الضياء».

كان ظهر مليساندرا إلى (الجدار)، تقف على أحد جانبي الحفرة العميقة التي تشتعل فيها النَّارُ، ويقف الزَّوجان المرتقبان على الجانب الآخر قبالتها، ووراءهما الملكة مع ابنتها والمهرج الموشوم. تلتحف الأميرة شيرين بفراءٍ كثيرة للغاية حتى إنها تبدو مستديرة التَّكوين، وتخرُج أنفاسها سحاباتٍ بيضاء من خلال الوشاح الذي يُغطِّي معظم وجهها. بالطغمة الملكيةَّة يُحيط السير آكسل فلورنت ورجال الملكة.

على الرغم من أن رجالاً قلائل من حرس اللَّيْل اجتمعوا حول حُفرة النَّار فقد شاهد عدد أكبر المراسم من السُّطوح والنوافذ والسُّلالم المتعرِّجة الضَّخمة، ولحظَّ چون بعناية الحاضرين والغائبين. بعض الرِّجال عليهم واجبات، وكثيرون في فترة الرَّائحة وغائبون في نوم عميق، لكن آخرين اختاروا التَّعْيِبَ إبداءً لاستنكارهم. من الغائبين أوثيل يارويك وباون مارش، أمَّا السِّبتون سلا دور فقد خرج فترةً وجيزةً من السِّبت مداعباً البلورة السُّباعيَّة المتدلِّيَّة من شريطٍ حول عنقه، قبل أن ينسحب إلى الدَّاخل ثانيةً ما إن بدأت الصَّلوات.

رفعت مليساندرا يديها، ووثبت نار الحفرة إلى أعلى صوب أصابعها

ككلب أحمر هائل يثب لالتقاط مكافأةٍ من صاحبه، وارتفعت دوامة من الشرارات تُقابل رقائق الثلج النازلة من السماء. أنشدت الراهبة الحمراء للهب الجائع: «نشكرك أيا إله الضياء، نشكرك على ستانيس الشجاع الذي هو بنعمتك مليكنا. اهده ودافع عنه أيا راهلور، احبه من دسائس الأشرار وامنحه القوة لدحر خدم الظلام».

ردت الملكة سيليس وفرسانها ورفيقاتها: «امنحه القوة، امنحه الشجاعة، امنحه الحكمة».

تأبطت آيس كارستارك ذراع چون قائلة: «كم تبقى أيها اللورد سنو؟ إذا كنت سادفن تحت هذا الثلج فأود أن أموت امرأة متزوجة».

أجابها مطمئناً: «قريباً يا سيديتي، قريباً».

أنشدت الملكة: «نشكرك على الشمس التي تدفئنا، نشكرك على النجوم التي تحرسنا في الليل البهيم، نشكرك على المواقد والمشاعل التي تطرد الظلام الأبدي، نشكرك على أنفسنا المتقدة والنيران في أقطاننا وأفئدتنا».

وقالت مليساندرا: «فليتقدم الصبايان إلى القران». على (الجدار) من خلفها يلقي الهب ظلها، وعلى عنقها الشاحب تبرق ياقوتتها الحمراء. التفت چون إلى آيس كارستارك سائلاً: «مستعدة يا سيديتي؟».

- «نعم، أوه، نعم».

- «ألسيت خائفة؟».

ابتسمت الفتاة ابتسامةً ذكرت چون بأخته الصغيرة على نحوٍ كاد يفطر قلبه، وقالت: «فليخفني هو». كانت عيناها تتألقان، ورفائق الثلج تذوب على وجنتيها المتوردتين، وإن التف شعرها بدوامةٍ من الحرير عثر عليها ساتان في مكانٍ ما، وبدأ الثلج يتجمع هناك مكللاً رأسها بتاج أبيض. اعتصر چون يدها قائلاً: «سيّدة الشتاء».

وقف ماجنر (ثن) منتظراً عند النار، يرتدي الفرو والجلد والأقراص البرونز كأنه في طريقه إلى المعركة، وعلى وركه سيف برونزي. يجعله شعره المنحسر عن جبهته يبدو أكبر من سنه الفعلية، لكن إذ التفت يُشاهد عروسه تدنو رأى چون الصبي في نظرة عينيه الكبيرتين كحبتين من الجوز، وإن لم يدرك إن كان منبع خوفه النار أم الراهبة أم المرأة. كانت آيس محقةً أكثر مما تحسب.

سألت مليساندرا: «مَنْ يُسَلِّمُ هذه المرأة للزَّواجِ؟». أجابَ چون: «أنا. الآن تأتي آليس سليلة عائلة كارستارك، امرأة بالغة مزهرة وابنة شرعية نبيلة»، واعتصرَ يدها مرَّةً أخيرةً ثم تراجعَ ينضمُّ إلى الآخرين.

سألت مليساندرا: «مَنْ يَأْتِي يَطْلُبُ هذه المرأة؟». دقَّ سيجورن على صدره مجيبًا: «أنا، ماجنر (ثن)». سألت مليساندرا: «سيجورن، هل ستتقاسم نارك مع آليس وتُدْفئُها في اللَّيْلِ المظلم المفعم بالأهوال؟».

- «أقسمُ أنا». خرجَ نذر الماجنر سحابةً بيضاء في الهواء، وقد برقش الثلج كتفيه واحمرَّت أذناه. «بلهب الإله الأحمر أدفئها طول الأيام». - «آليس، هل تُقسِمين أن تتقاسمي نارك مع سيجورن وتُدْفئيه في اللَّيْلِ المظلم المفعم بالأهوال؟».

أجابَت: «حتى يغلي دمه». معطف عُذرية العروس من صوف حرس اللَّيْلِ الأسود الذي خيَّطت شمس كارستارك المتفجِّرة على ظهره بالفرو الأبيض نفسه الذي يُبطنه.

توهَّجت عينا مليساندرا كالياقوتة على حلقها، وقالت: «تعاليا إليَّ إذن وكونا واحدًا»، وأشارت ليشب حائط من اللهب إلى أعلى لاعتقا نُدْف الثلج بألسنة بُرتقاليَّة ساخنة، وأمسكت آليس كارستارك الماجنر من يده. وجنبا إلى جنب قفزا من فوق الحفرة.

قالت المرأة الحمراء: «اثنان دخلا اللهب...»، ورفعت هبة من الرِّيح تُنورتها القرمزية إلى أن ضغطتها منزلة إياها ثانيةً، وتراقص شعرها النحاسي حول رأسها إذ تابعت: «... وواحد خرج. ما وصلته النار ما فصم عُراه أحد». ردَّ رجال الملكة والثنيون وبعض الإخوة السود: «ما وصلته النار ما فصم عُراه أحد».

فكَّر چون سنو: باستثناء الملوك والأعمام. ظهرَ كريجان كارستارك بعد يوم من ابنة ابن أخيه، ومعه جاء أربعة رجال مسلَّحون وقناص وقطيع من الكلاب يتشمَّم أثر الليدي آليس كأنها غزاة، وقابلهم چون سنو على (طريق الملوك) على بُعد نصف فرسخ جنوب (بلدة

المناجذ) قبل أن يصلوا إلى (القلعة السوداء) وينالوا حقَّ الصَّيَافَة أو يَطْلُبُوا التَّقَاوُضَ. أطلق أحد رجال كارستارك سهم نُشَابِيَّةٍ على تاي وماتَ لهذا، وهو ما ترك أربعةً بالإضافة إلى كريجان نفسه.

لحُسن الحظِّ أن عندهم دسْتةٌ من زنازين الجليد. مساحة للجميع.
كأشياء أخرى كثيرة تنتهي رموز النَّبَالَة عند (الجدار). ليس للثنيين رمز عائلةٍ على غرار نُبلاء (الممالك السَّبع)، فقال چون للوكلاء أن يرتجلوا، وفكَّر بعدها أنهم أحسنوا صُنْعًا. على معطف العروس الذي ثَبَّتَه سيجورن حول كَتْفِي الليدي آيس قُرص برونزي على خلفيَّةٍ من الصُّوف الأبيض، تُحيط به ألسنة لهبٍ مصنوعة من خيوط الحرير القرمزي، في محاكاةٍ واضحة لمن يرى لشمس كارستارك المتفجِّرة، مع اختلافٍ لائقٍ يُميِّز رمز عائلةٍ ثن.
انتزعَ الماجنر معطف العذريَّة عن كَتْفِي آيس بقوَّةٍ كانت لثُمَّرَقه، لكن حين ألبسها معطف العروس كان أقرب إلى الرِّقَّة، وإذ مالَ عليها يلثم خدَّها تمازجتَ أنفاسهما. تأجَّج اللهب مجدِّدًا، وبدأ رجال الملكة يُغنُّون أغنيةً ثناء. سمعَ چون ساتان يهمس: «هل انتهت المراسم؟».

تمتمَ مولِي: «انتهت والشُّكر للآلهة. هما تزوجا وأنا شبه متجمِّد». يرتدي اللبلة أفضل ثيابه السوداء، أصوافًا جديدةً للغاية حتى إنها لم تبدأ تبهت بعد، لكن الرِّيح جعلت وجنتيه بحُمرَة شعره. «هوب تبَّل القليل من التَّبِيد بالقرفة والقرنفل. سيُدقُّنا هذا بعض الشيء».

سأل أوين الجحش: «أي قرنفل؟».

بدأ الثلج ينهمر بكثافةٍ أشد والنَّار في الحُفرة تتذبذب توطئةً للانطفاء، وبدأ الحشد يتفرَّق ويتحرَّك من السَّاحة، رجال الملكة ورجال الملك والأحرار على حدِّ سواء، كلهم تائق إلى ملاذٍ من الرِّيح والبرد. سأل مولِي چون سنو: «هل سيحتفل سيدي معنا؟».

- «بعد قليل». قد يعدها سيجورن إهانةً إذا لم يظهر. وهذه الزَّيْجة من ترتيب في النِّهاية. «عندي مسائل أخرى أعنى بها أولًا».

قطعَ چون السَّاحة نحو الملكة سيليس وإلى جواره جوست، يسحق حذاؤه أكوام الثلج القديم. أصبحَ جرف الثلج عن الطُّرق من مبنى إلى آخر

يستهلك وقتاً أطول، وفي الفترة الأخيرة بدأ الرجال يلجأون أكثر فأكثر إلى الممرات الواقعة تحت الأرض التي يُسمونها المسالك الدودية.

كانت الملكة تقول: «... طقوس في غاية الجمال. كان بإمكانني الشعور بنظرة ربنا النارية إلينا. أوه، لستم تعلمون كم مرةً توَّسَّلتُ إلى ستانيس أن نتزوَّج ثانيةً في قرانٍ حقيقي للجسد والروح يُبارِكُه إله الضياء. أعرفُ أنني سأُنجبُ لجلالته مزيداً من الأطفال إذا جمعت بيننا النار».

لنتَّجبي له مزيداً من الأطفال عليك أن تُدخِليه فراشك أولاً. حتى هنا على (الجدار) يُعدُّ نبذ ستانيس باراثيون زوجته معرفةً عامَّةً، وليس باستطاعة المرء إلا أن يتخيَّل ردَّ جلالته على فكرة زفافٍ ثانٍ في غمار حربه.

انحنى چون قائلاً: «بعد إذن صاحبة الجلالة، المأدبة تنتظرنا».

رمقت الملكة جوست بارتياح، ثم رفعت رأسها إلى چون، وقالت: «بالتأكيد. الليدي مليساندرا تعرف الطريق».

قالت الراهبة الحمراء: «عليّ أن أعنى بناري يا جلالة الملكة، فقد يُنعم راهلور عليّ بلمحةٍ عن صاحب الجلالة، لمحةٍ من نصرٍ عظيم ربما».

لاح الاضطراب على الملكة سيليس، وقالت: «أوه، بالتأكيد... لنصل طلباً لرؤيا من إلها...».

قال چون: «ساتان، اصحب جلالتها إلى مكانها».

تقدّم السير ميلجورن قائلاً: «سأصحبُ جلالة الملكة إلى المأدبة. لن نحتاج إلى هذا... الوكيل». أنبأ الأسلوب الذي نطق به الكلمة الأخيرة چون بأنه كان يُفكِّر في قول شيءٍ آخر. الغلام؟ الحيوان الأليف؟ بائع الهوى؟

عاد چون ينحني، وقال: «كما ترغب. سألحقُ بكم بعد قليل».

مدَّ السير ميلجورن ذراعه وأخذتها الملكة سيليس بجمود، واستقرت يدها الأخرى على كتف ابنتها، وإذ شقوا طريقهم عبر الساحة انتظمت البطات الملكية وراءهم سائرةً على أنغام أجراس قُبعة المهرِّج، وبينما ذهبوا أعلن ذو الوجه المرقع: «تحت البحر يشرب عرسان البحر حساء نجوم البحر، وكل الخدم سراطين. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

اربدَّ وجه مليساندرا، وقالت: «هذا المخلوق خطر. مرَّاتٍ عديدةً رأيتُه في لهبي. أحياناً تُحيط به الجماجم وتسيل الدماء من شفثيه».

إنها لأعجوبة أنك لم تُحرقي المسكين. لن يتطلب الأمر أكثر من كلمة في أذن الملكة ليطعم ذو الوجه المرقع النار. «ترين المهرجين في نارك ولكن ليس ستانيس؟».

- «عندما أبحثُ عنه لا أرى إلا الثلوج».

نفس الإجابة عديمة الفائدة. كان كلايداس قد أرسلَ غداً إلى (ربوة الغابة) لتحذير الملك من خيانة آرنولف كارستارك، إلا أن چون لا يدري إن كان الطائر قد بلغَ جلالته في الوقت المناسب. والصيرفي البرافوسي غادرَ بحثاً عن ستانيس أيضاً، يصحبه الأدلة الذين زوّده بهم چون، لكن بين الحرب والطقس ستكون أعجوبة إذا وجدّه. سألَ الرَّاهبة الحمراء: «إذا ماتَ الملك فهل ستعلمين؟».

- «الملك لم يمُت. ستانيس مُختار الإله، قدره أن يقود القتال ضد الظلمة. لقد رأيتُ هذا في اللهب وقرأتُ عنه في نبوءة قديمة. عندما ينزف النجم الأحمر ويزداد الظلام حلكتُ سيؤكدُ أزور آهاي من جديدٍ وسط الدخان والملح ليوقظَ التنانين من الحجر. (دراجونستون) موطن الدخان والملح».

قال چون الذي سمعَ كلَّ هذا من قبل: «ستانيس باراثيون كان سيّد (دراجونستون)، لكنه لم يولد هناك، بل في (ستورمز إند) كأخويه»، وعقدَ حاجبيه متابعاً: «وماذا عن مانس؟ أهو مفقود أيضاً؟ ماذا تُريك نيرانك؟».

- «أخشى أنها تُريني الشّيء نفسه، الثلوج».

الثلوج. يعرف چون أنها تسقط بكثافة بالغة في الجنوب، ويُقال إن (طريق الملوك) مسدود تماماً على بُعد يومين فحسب من الرُّكوب. مليساندرا تعرف هذا أيضاً. وإلى الشرق تضرب عاصفة عاتية (خليج الفقما)، وحسب التقرير الأخير ما زالَ الأسطول المرقع الذي جمعه لإنقاذ الأحرار من (هاردهوم) راسياً عند (القلعة الشرقيّة)، يُجبره البحر الثائر على البقاء في المرفأ. «ما تربنه رماد يرقص في التيّار».

- «بل أرى جماجم، وأراك. كلّمنا نظرتُ في اللهب رأيتُ وجهك. الخطر الذي حذرتك منه يدنو بشدّة الآن».

- «خناجر في الظلام، أعرفُ. اغفري لي شكوكي يا سيّدي. فتاة رماديّة على حصانٍ مائت تفرُّ من زيجة. هذا ما قلته».

- «لم أكن مخطئةً».
- «ولم تكوني مصيبةً. أليس ليست آريا».
- «الرُّؤيا كانت سليمةً. الخطأ كان في قراءتي. إنني فانيةٌ مثلك يا چون سنو، وكل الفانين يهفون».
- «بمن فيهم القادة». لم يرجع مانس رايدر وزوجاته الحراب، وما بيد چون حيلةٌ إلا أن يتساءل إن كانت المرأة الحمراء قد كذبت لغرضٍ في نفسها. هل تلعب لُعبتها الخاصّة؟
- «خيرٌ لك أن تُبقي هذا الذئب قريباً منك يا سيّدي».
- «نادرًا ما يبتعد جوست». رفع الذئب الرّهيب رأسه لدى ذكر اسمه، فحكّه چون وراء الأذنين مستطرّدًا: «لكن عليك أن تُعدّريني الآن. جوست، معي».

تتراوح زنازين الجليد المحفورة في قاعدة (الجدار) والمغلقة بأبواب خشبيّة ثقيلة من صغيرة إلى أصغر. بعضها كبير بما فيه الكفاية ليُتيح لشاغلها أن يتحرّك جيئةً وذهابًا، وبعضها صغير لدرجة إجبار السّجين على الجلوس، وأصغرها لا يسمح بهذا حتى.

كان چون قد وضع سجينه الأهمّ في أكبر الزنازين، وأعطاه دلوًا يتبرّز فيه وأعطيةً من الفرو تحول دون تجمّده بردًا وقربةً من النيذ. استغرق الحُرّاس بعض الوقت في فتح باب زنانه إذ تكوّن الجليد داخل القفل، وصرخت المفصلات الصّدئة كالأرواح الملعونة عندما شدّ ويك المهزول الباب باتّساعٍ يكفي لدخول چون، لتستقبله رائحة غائطٍ خفيفة، أخف مما توقّع في الحقيقة. حتى البراز يتجمّد في هذه البرودة القارسة.

رأى چون سنو انعكاسه المبهم على الجدران الجليديّة، ونظر إلى رُكن الزّنازة حيث تتكوّم الأغطية بارتفاع قامته رجلٍ تقريبًا، وقال: «كارستارك، استيقظ».

تحرّكت الأغطية. كان بعضها قد تجمّد والتصقّ ببعض، والتمع الصّقيع الذي يُغطّيها مع حركتها. ظهرت ذراع، ثم وجه... شعر بنيّ متشابك متلبّد وخطه الشّيب، وعينان قاسيتان وأنف وفم ولحية. يكسو الجليد وكُتل من المُخاط المتجمّد شارب السّجين الذي قال: «سنو»، لتُخرج أنفاسه حارّةً

في الهواء وتُغشيّ الجليد وراء رأسه. «ليس لك الحق في حبسي. قوانين الضيافة...».

- «لست ضيفي. لقد جئت إلى (الجدار) مسلّحًا دون إذني لتأخذ ابنة ابن أخيك ضد إرادتها. الليدي آليس أكلت عيشنا وملحنا. إنها ضيفة، وأنت سجين»، وترك چون كلامه معلقًا لحظةً، ثم أردف: «ابنة ابن أخيك تزوّجت». انزاحت شفتا كريجان كارستارك عن أسنانه، وقال: «آليس كانت موعودةً لي». على الرغم من أنه تجاوزَ الخمسين فقد كان رجلًا قويًا حين دخل الزّزانة، لكن البرد سلّبه تلك القوّة وتركه ضعيفًا متيبّسًا. «السيد والدي...».

- «والدك أمين القلعة لا سيّدها، وليس من حقّ أمين القلعة ترتيب الزّيجات».

- «أبي آرنولف سيّد (كارهولد)».

- «الابن يسبق العمّ حسب كلّ القوانين التي أعرفها».

دفع كريجان نفسه إلى النهوض وركل الأغطية المعقودة حول كاحليه جانبًا، وقال: «هاريون مات».

أو سيموت قريبًا. «الابنة أيضًا تسبق العمّ. إذا مات أخوها ف(كارهولد) من حقّ الليدي آليس، ولقد سلّمت يدها في الزّواج إلى سيجورن ماجنر (ثن)».

- «همجي، همجي قاتل قدر». كوّر كريجان قبضتيه. القفّازان اللذان يُغلّفانهما من الجلد المبطن بالفرو كالمعطف الذي ينسدل متلبّدًا متيبّسًا من على كتفيه، وسُترته الصّوف السّوداء مزينة بشمس عائلته المتفجّرة. «أراك على حقيقتك يا سنو. نصف ذئب ونصف همجي، ابن زني أنجبه خائن وعاهرة، تُسلّم فتاةً كريمة المحتد إلى فراش بربريٍّ وسخ. هل جرّبتها بنفسك أو لا؟»، وضحك متابعًا: «إذا كنت تنوي قتلي فافعلها ولتحلّ بك اللعنة كقاتل أقربين. ستارك وكارستارك دم واحد».

- «اسمي سنو».

- «نغل!».

- «مذنب، في هذا على الأقل».

- «فلياتِ هذا الماجِرَ إلى (كارهولد). سنقطع رأسه وندسّه في مرحاضٍ كي نتبول في فمه».

- «سيجورن يقود متّبي رجل، والليدي آيس تعتقد أن (كارهولد) سفتح لها بوابتها. اثنان من رجالك تعهدا إليها بالخدمة بالفعل وأكّدا ما قالته عن الخُطط التي وضعها أبوك مع رامزي سنو. إن لك أقرباءً في (كارهولد) كما قيل لي. من شأن كلمةٍ منك أن تُنقذ حياتهم. سلّم القلعة وستعفو الليدي آيس عن النساء اللواتي خُنّهن وتسمح للرجال بالانخراط في حرس اللّيل». هزّ كريجان رأسه رفضاً، وقال: «أبدًا. أبدًا، أبدًا، أبدًا». كانت كُتل من الجليد قد تكوّنت في شعره المتشابك وترنُّ معاً بخفوتٍ لمّا يتحرّك.

فكرّ چون: خليق بي أن أقدمّ رأسه هديّةً إلى الليدي آيس والماجر، لكنه لا يجرؤ على هذه المجازفة، فحرس اللّيل لا يتدخّلون في صراعات البلاد، وقد يقول بعضهم إنه أعانَ ستانيس أكثر من اللازم بالفعل. أقطع رأس هذا الأحمق وسيقولون إنني أقتل الشماليين لأعطي أراضيهم للهَمَج. أطلق سراحه وسيبذل أقصى ما بوسعه لإفساد ما فعلته مع الليدي آيس والماجر. تساءلّ چون عمّا كان أبوه ليفعله، وكيف كان عمّه ليتعامل مع المسألة، لكن إدارد ستارك مات، وبنچن ستارك مفقود في مفازة الجليد وراء (الجدار). لستَ تعلم شيئاً يا چون سنو.

قال چون: «الأبد زمن طويل. قد يتبدّل رأيك غداً، أو بعد عام، لكن عاجلاً أو آجلاً سيعود الملك ستانيس إلى (الجدار)، وحين يفعل سيأمر بموتك... ما لم تكن ترّدي معطفاً أسود عندئذ. حين يرتدي الرّجال أسود حرس اللّيل تُمحي جرائمهم». حتى أمثالك. «والآن بعد إذنك، فنندي مأدبة أحضرها».

بعد برودة زنازين الجليد الطّاغية وجدّ چون القبو المزدحم شديد السُّخونة حتى إنه شعّر بالاختناق لحظة أن نزل السّلام، وقد عبّقت الهواء روائح الدُّخان واللّحم المشوي والنّيذ المتبّل. بينما اتّخذ چون مكانه على المنصّة كان أكسل فلورنت يقدّم نخباً، وبصوتٍ جهوري هتف: «نخب الملك ستانيس وزوجته الملكة سيليس، نور الشّمال! نخب راهلور إله الضّياء، عسى أن يُدافع عنا جميعاً! أرض واحدة، إله واحد، ملك واحد!». ردّد رجال الملكة: «أرض واحدة، إله واحد، ملك واحد!».

شربَ چون مع البقيَّة. لا يدري إن كانت آليس كارستارك ستجد في زواجها هناءً، لكن ينبغي أن تكون الليلة على الأقل ليلة احتفال.

بدأ الوُكلاء يُقدِّمون الطَّبَقَ الأوَّل، مرق البصل المنكَّه بقطع لحم الماعز والجزر. ليس صنفًا ملكيًا بالضبط لكنه مغدٌّ يُدْفَعُ المعدة ولا بأس بمذاقه. عزفَ أوين الجحش على الكمنجة، وانضمَّ إليه الأحرار بالطبول والمزامير. الطبول والمزامير نفسها التي عزفوا عليها لإعلان اعتداء مانس رايدر على (الجدار). خطرَ لچون أن صوتها أحلى الآن. مع المرق قُدِّمَت أرغفة من الخُبز النَّبيَّ الخشن الدَّفَاف، ووُضِعَ الملح والزُّبدة على الموائد، وهو المنظر الذي نغص على چون وجبته. كان باون مارش قد أخبره بأن لديهم مخزونًا وافيرًا من الملح، لكن الزُّبدة ستنفد قبل دورة القمر الجديدة.

أعطِي فلينت العجوز والنوري موضع شرفٍ عاليًا أسفل المنصَّة مباشرةً. كلا الرَّجلين طاعن في السنِّ ولا يقوى على الرَّحف مع ستانيس، فأرسلأ أبناءهما وأحفادهما بدلًا منهما، وإن سارعا بالمجيء إلى (القلعة السوداء) لحضور الرَّفاف. جلبَ كلاهما معه مُرضعةً إلى (الجدار) أيضًا. امرأة نوري في الأربعين، ولها أكبرُ تديين رأهما چون سنو على الإطلاق، وفناة فلينت في الرَّبابعة عشرة ومسطحة الصدر كالصَّبية، لكنها لا تفتقر إلى اللَّبن، وبين الاثنتين يبدو أن صحَّة الرُّضيع الذي تدعوه قال بالوحش تتحسن.

وهو ما يُشعر چون بالامتنان... ولو أنه لا يُصدِّق لحظةً أن هذين المُحاربين الشَّيخين نزلا من تلالهما لهذا السَّبب وحده. مع كلِّ منهما أتت حاشية من المُقاتلين، خمسة مع فلينت العجوز واثنا عشر مع النوري، يرتدون جميعًا الفراء الرثة والجلود المطعَّمة بالحديد، وجميعهم مهيب كوجه الشتاء. لبعضهم لحي طويلة وبعضهم ندوب وبعضهم هذه وتلك، وكلهم يَعْبُدون آلهة الشَّمال القديمة، الآلهة ذاتها التي يَعْبُدها شعب الأحرار وراء (الجدار)، ومع ذلك ها هم أولاء جالسون يشربون نخب قرانٍ عقده إله أجنبي أحمر من وراء البحار.

أفضل من ألا يشربوا. لا فلينت ولا نوري قلبٌ كوبه ليسكب نيده على الأرض، وهو ما قد يدل على نوع معيَّن من القبول. أو ربما يكرهان فقط أن يُبددا النَّبيذ الجنوبي الممتاز. مؤكَّد أنَّهما لم يذوقاه كثيرًا في تلالهما الحجريَّة تلك.

بين صنفين قاد السير أكسل فلورنت الملكة سيليس في رقصة، وتبعهما

آخرون... فرسان الملكة أولاً ومعهم رفيقاتها. رقص السير بروس مع الأميرة شيرين رقصتها الأولى، ثم أخذ دوراً مع أمها، ورقص السير ناربرت مع كل من رفيقات سيليس بدورها.

يفوق رجال الملكة رفيقاتها عددًا ثلاثة إلى واحد، وهكذا وجدت أكثر الخادמות تواضعًا أنفسهن مطلوبات للرقص. بعد بعض الأغاني تذكر عدد من الإخوة السود مهارات تعلموها في بلاطات وقلاع شبابهم قبل أن تُرسلهم خطاياهم إلى (الجدار)، فنزلوا إلى حلبة الرقص أيضًا. أثبت الشقي العجوز أولمر ابن (غابة الملوك) أن براعته في الرقص لا تقل عن براعته في الرماية، ولا شك أنه سلى شريكاته بحكاياته عن أخوة غابة الملوك، وقت أن ركب مع سايمون توين وبن ذي البطن الكبير وساعد الطيبة البيضاء وندا على وسم أرداف أسراها النبلاء. رقص ساتان بأناقة مع ثلاث من الخادמות ولكن دون أن يتجرأ على الذنو من أي ليدي رفيعة المقام، وقد عدّ چون هذا حكمة، إذ لم تُعجبه الطريقة التي ينظر بها بعض فرسان الملكة إلى الوكيل، تحديدًا السير باتريك ابن (جبل الملك). يريد أن يريق القليل من الدم، ويتطلع إلى أن يستفرزه أحد.

عندما بدأ أوين الجحش يرقص مع المهرج ذي الوجه المرقع ترددت أصداء الضحك على السقف المقنطر، ودفع المنظر الليدي أليس إلى الابتسام متسائلة: «هل ترقصون كثيرًا هنا في (القلعة السوداء)؟».

- «متى أقمنا زفافًا يا سيديتي».

- «يُمكنك أن ترقص معي على سبيل الكياسة. سبق أن رقصت معي في سالف الزمان».

ردّد چون مداعبًا: «في سالف الزمان؟».

قالت: «في طفولتنا»، ومزقت قطعة من الحُبز وألقته بها مضيفةً: «كما تعلم جيدًا».

- «المفترض أن ترقص سيديتي مع زوجها».

- «أخشى أن الماجنر ليس مخلوقًا للرقص. ما دُمت لن ترقص معي فصُب لي القليل من النبيذ المتبل على الأقل».

قال: «كما تأمرين»، وأشار طالبًا إبريقًا.

بينما صبَّ چون قالت آليس: «إذن فأنا امرأة متزوَّجة الآن، زوجي همجي له جيشه الصَّغير الخاص من الهمج».

- «يُسْمُون أنفسهم شعب الأحرار، أكثرهم على الأقل، أمَّا الثنيون فشعب مختلف، شعب عريق». إيجريت هي مَنْ أخبرته بهذا. لستَ تعلم شيئاً يا چون سنو. «يأتون من وادٍ خفي في طرف (أنياب الصَّقيع) الشَّمالي تُحيط به الذرى الشَّاهقة، وطوال آلاف السنين تعاملوا مع العمالقة أكثر من البشر الآخرين، وجعلهم هذا مختلفين».

علَّقت: «مختلفين، لكن أقرب إلينا».

- «أجل يا سيّدي. للثنيين لوردات وقوانين». ويعرفون كيف يركعون. «ويُنقَّبون عن الصَّفيح والنحاس لعمل البرونز، ويصنعون أسلحتهم ودروعهم بدلاً من سرقتها. إنهم قوم معتدّون بأنفسهم وشُجعان. مانس رايدر اضطرَّ إلى غلبة الماجتر القديم ثلاث مرّات قبل أن يقبله ستير ملكاً وراء الجدار».

قالت آليس: «والآن أصبحوا هنا على جانبنا من (الجدار)، سيقوا من معاقلهم الجبلية إلى غُرّة نومي»، وأضافت بابتسامة ساخرة متجهّمة: «إنها غلظتي. أبي أكّد عليّ أن أفتن أحاك روب، لكنني كنتُ في السّادسة فحسب ولم أعرف كيف».

أجل، لكنك في السّادسة عشرة تقريباً الآن، ولنا أمل أن تعرفي كيف تفتنين زوجك الجديد. «سيّدي، ما وضع مخزونكم من الطّعام في (كارهولد)؟».

زفرت مجيبةً: «ليس جيّداً. أبي أخذ معه رجالاً كثيرين للغاية إلى الجنوب، ولم يبقَ إلّا النِّساء والصَّبية الصَّغار لحصاد الزَّرع، هُم والمسنون والمُعاقون الذين لم يقدرُوا على الذَّهاب إلى الحرب، فماتت المحاصيل في الحقول أو أعرقتها أمطار الخريف. والآن ينزل الثلج. سيكون شتاءً شاقاً. شيوخ قليلون سينجون منه، وأطفال عدّة سيموتون أيضاً».

الحكاية التي يعرفها كلُّ شماليٍّ تمام المعرفة.

أخبرها چون: «جدّة أبي لأُمَّه كانت من آل فلينت أولاد الجبال. يُسْمُون أنفسهم آل فلينت الأوائل. يقولون إن أولاد فلينت الآخرين ينحدرون من أبناء أصغر تركوا الجبال ليجدوا الطّعام والأرض والزَّوجات. لطالما كانت الحياة قاسيةً هناك في أعالي الجبال. حين تسقط الثلوج ويندُر الطّعام يُسافر

شُبَّانِهِمْ إِلَى (الْبِلْدَةِ الشَّتَوِيَّةِ) أَوْ يَلْتَحِقُوا بِالْخِدْمَةِ فِي قَلْعَةٍ أَوْ أُخْرَى، وَيَسْتَجْمَعُ الْمَسْنُونُ مَا بَقِيَ لَهُمْ مِنْ عَافِيَةٍ وَيُعْلِنُونَ أَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ لِلصَّيْدِ. بَعْضُهُمْ يَجِدُونَهُ عِنْدَ حُلُولِ الرَّبِيعِ وَبَعْضُهُمْ لَا يَرَى ثَانِيَةً أَبَدًا».

- «إِنهَا الْحَالُ نَفْسَهَا فِي (كَارْهَوْلْد)».

لَمْ يُدْهِشْهُ هَذَا، وَقَالَ لَهَا: «حِينَمَا تَبْدَأُ مَوْئِكُمْ تَتَنَاقَصُ تَذَكَّرِينَا يَا سَيِّدَتِي. أَرْسَلِي مَسْنِيَكُمْ إِلَى (الْجِدَارِ) لِيَحْلِفُوا يَمِينَنَا. هُنَا عَلَى الْأَقْلَ لَنْ يَمُوتُوا وَحَيْدِينَ فِي الثَّلْجِ، لَا يُدْفِنُهُمْ إِلَّا اجْتِرَارَ الذِّكْرِيَّاتِ. أَرْسَلِي إِلَيْنَا الصَّبِيَّةَ أَيْضًا إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ صَبِيَّةٌ تَسْتَعْنُونَ عَنْهُمْ».

مَسَّتْ يَدَهُ قَائِلَةً: «كَمَا تَقُولُ. (كَارْهَوْلْد) تَذَكَّرْ».

عِنْدَ تَقْطِيعِ الْإِلْكَةِ الْمَشْوِيَّةِ بَلَغَتْ رَائِحَتُهَا أَنْفَ چُونِ لِيَجِدَهَا أَشْهَى كَثِيرًا مِمَّا تَوَقَّعَ. أَرْسَلَ قِطْعَةً إِلَى لِيدِرْزِ فِي (بُرْجِ هَارْدِينِ) مَعَ ثَلَاثَةِ أَطْبَاقِ كَبِيرَةٍ مِنَ الْخَضِرَاوَاتِ الْمَشْوِيَّةِ إِلَى وَنْ وَنْ، ثُمَّ أَكَلَ شَرِيحَةً مَشْبَعَةً مَفْكَرًا: أَحْسَنَ هُوبِ ذُو الثَّلَاثَةِ أَصَابِعِ صُنْعًا. كَانَ هَذَا سَبَبًا لِلْقَلْقِ، إِذْ أَنَاهُ هُوبٌ قَبْلَ لَيْلَتَيْنِ يَقُولُ شَاكِيًا إِنَّهُ انْضَمَّ إِلَى حَرَسِ اللَّيْلِ لِيَقْتُلَ الْهَمَجَ لَا لِيَطْبُخَ لَهُمْ، وَأَضَافَ: «كَمَا أَنَّنِي لَمْ أَعُدَّ وَليمةَ زَفَافٍ مِنْ قَبْلِ قَطِّ يَا سَيِّدِي. الْإِخْوَةُ السُّودُ لَا يَتَزَوَّجُونَ. هَكَذَا يَقُولُ الْقَسَمُ اللَّعِينِ، أَوْ كَذَلِكَ».

كَانَ چُونُ يَبْلَعُ الشُّوَاءَ بِرَشْفَةٍ مِنَ النَّبِيذِ الْمَتَبَّلِ عِنْدَمَا ظَهَرَ كَلَايْدَاسُ عِنْدَ مِرْفَقِهِ قَائِلًا: «طَائِرٌ»، وَدَسَّ رِقًّا فِي يَدِهِ. الرَّسَالَةُ مَخْتومةٌ بِقِطْرَةٍ مِنَ الشَّمْعِ الْأَسْوَدِ الْجَامِدِ، وَقَبْلَ أَنْ يَكْسِرَ الْخَتْمَ عَرَفَ چُونُ أَنَّهَا مِنَ (الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ). كَتَبَهَا الْمَايَسْتِرُ هَارْمِيونَ، فَكُوْتِرُ پَايِكُ لَا يَقْرَأُ أَوْ يَكْتُبُ، لَكِنْ الْكَلَامُ كَلَامُ پَايِكِ، مَكْتُوبٌ كَمَا نَطَقَهُ بِاقْتِضَابٍ وَإِيْجَازٍ.

الْبَحْرُ هَادئٌ الْيَوْمَ. إِحْدَى عَشْرَةَ سَفِينَةً أَبْحَرَتْ إِلَى (هَارْدِهَوْمِ) فِي تِيَّارِ الصَّبَاحِ، ثَلَاثُ مِنْ (بِرَافُوسِ) وَأَرْبَعُ مِنْ (لَيْسِ) وَأَرْبَعُ مِنْ سُفْنِنَا. اثْنَتَانِ مِنَ السُّفُنِ اللَّيْسِينِيَّةِ تَصَلُّحَانِ لِلإِبْحَارِ بِالْكَادِ. قَدْ نُعِرِقَ هَمَجًا أَكْثَرَ مِمَّا نُنْقِذُ الْأَمْرَ أَمْرًا. مَعْنَا عَشْرُونَ غُدَا فَا وَالْمَايَسْتِرُ هَارْمِيونَ. سَنُرْسِلُ تَقَارِيرَ الْقِيَادَةِ لِي عَلَى مَتْنِ (الْبَرْتَنِ). ذُو الْأَسْمَالِ الْمَالِحَةِ وَكَيْلِي عَلَى (الطَّائِرِ الْأَسْوَدِ). الْقِيَادَةُ فِي (الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ) لِلسَّيْرِ جَلْدُونَ.

سَأَلْتَهُ أَلَيْسَ كَارِسْتَارِكُ: «أَجْنَحَةُ سَوْدَاءِ، أَخْبَارُ سَوْدَاءِ؟».

- «لا يا سيديتي. كنت أنتظرُ هذا الخبر منذ وقتٍ طويل». ولو أن الجزء الأخير يُقلقني. جلندون هيويت رجل مخضرم قوي، اختيار موفّق للقيادة في غياب كوتر پايك، لكنه كذلك صديق أليس ثورن الصّدوق، وكان من أصحاب چانوس سلينت ولو لفترةٍ وجيزة. ما زالَ چون يذكّر كيف جرّه هيويت من سريره، وشعوره بحذائه إذ ركّله في ضلوعه. ليس الرّجل الذي كنتُ لأختاره. طوى الرّسالة ودسّها في حزامه.

بعدها قدّم طبق السّمك، ولكن بينما أزيل من سمكة الكراكي شوكتها سحبت الليدي أليس الماجر من يده إلى حلبة الرّقص. من الطّريقة التي تحرّك بها كان جلياً أن سيجورن لم يرقص في حياته قطّ، لكنه شرب نبياً متبلاً يكفي لجعله يتجاهل هذه الحقيقة.

احتلّ السير أكسل فلورنت مكان الليدي أليس الشّاغر، وقال: «فتاة شماليّة ومُحارب همجي جمع بينهما إله الضّياء. جلالتها تستحسن هذا. إنني مقرب إليها يا سيدي، ولذا أعرف ما تُفكّر فيه. الملك ستانيس سيستحسن الرّيجة أيضاً».

ما لم يكن رروس بولتون قد علّق رأسه على حربة.

- «لكن ليس الجميع موافقين للأسف». لحية السير أكسل دغل مشعث تحت ذقنه المترهل، ونبئت الشّعر الخشن من أذنيه ومنخريه. «السير پاتريك يرى أنه كان ليصبح زوجاً أفضل لليدي أليس. لقد فقد أراضيه حين أتى شمالاً».

قال چون: «كثيرون في هذه القاعة فقدوا ما هو أكثر، وأضعافهم بذلوا أنفسهم في خدمة البلاد. حريّ بالسير پاتريك أن يعدّ نفسه محظوظاً».

ابتسم السير أكسل قائلاً: «لو كان الملك هنا فلربما قال المثل، لكن لا بدّ بالتأكيد من أن يكون لفرسان جلالته الأوفياء نصيب، أليس كذلك؟ لقد قطعوا وراءه شوطاً طويلاً وكلفهم هذا الكثير، كما أن علينا أن نربط هؤلاء الهمج بالملك والبلاد. الزّواج خطوة أولى جيّدة، لكنني أعلم أن الملكة ستسرّ لرؤية الأميرة الهمجية أيضاً تتزوّج».

تنهّد چون. لقد سمّم من محاولته الشّرح أن قال ليست أميرة حقاً. لا يهمُّ

كم مرّة أخبرهم، فلا يبدو أنهم يسمعونه أبدًا. «أنت لحوح أيها السير أكسل، أعترفُ بهذا».

- «وهل تلومني يا سيّدي؟ الظفر بغنيمّةٍ مثلها ليس سهلاً. سمعتُ أن الفتاة في سنِّ الزواج، وجميلة الطلعة، وركاها قويّان وثدياها كبيران، مخلوقة لوضع الأطفال».

- «ومن يُنجب هؤلاء الأطفال؟ السير باتريك؟ أنت؟».

- «ومن أفضل؟ نحن آل فلورنت في عروقتنا دماء ملوك آل جاردنر القدّامى. تستطيع الليدي مليساندرا أداء المراسم كما فعلت مع الليدي آليس والماجني».

- «كل ما ينقصك العروس».

بابتسامةٍ بدت مؤلمةً من فرط التّصنُّع قال فلورنت: «وهو ما يسهّل علاجه. أين هي يا لورد سنو؟ هل نقلتها إلى إحدى قلاعكم الأخرى؟ (الحارس الرّمادي) أو (برج الظلال)؟ (رابية العاهرات) مع النّسوة الأخريات؟»، ومال دانيًا، وواصل: «بعضهم يقول إنك تُخبّئها لمتعتك الخاصّة. لا يهمني هذا ما دامت لم تحبل. سأجعلها تحبل بأبنائي أنا. إذا كنت قد فتحتها ف... كلانا رجل عركته الحياة، أليس كذلك؟».

ردّ جون الذي سمع ما فيه الكفاية: «سير أكسل، إذا كنت يد الملكة حقًا فإني أشفقُ على جلالتها».

احتقنَ وجه فلورنت غيظًا، وقال: «ما يُقال صحيح إذن! تنوي الاحتفاظ بها لنفسك، أرى هذا الآن. النّغل يُريد مقرّ أبيه».

النّغل رفض مقرّ أبيه. لو أراد النّغل قال فما كان عليه إلا أن يطلبها. قال جون: «أرجو أن تعذّرني أيها الفارس. احتاجُ إلى هواءٍ طلق». الرّائحة خانقة هنا. ثم إنه التفت برأسه مغمغمًا: «صوت بوق».

سمعه الآخرون أيضًا، وصمّت الموسيقى والضّحك في الحال، وتجمّد الرّاقصون في أماكنهم مصغيين، وحتى جوست أرهف أذنيه.

سألّت الملكة سيليس فرسانها: «هل سمعتم هذا؟».

قال السير ناربرت: «بوق حربي يا صاحبة الجلالة».

ارتفعت يد الملكة مرتعشةً إلى حلقها، وقالت: «أنتعرّض لعدوان؟».

أجابها أولمر ابن (غابة الملوك): «لا يا جلالة الملكة. إنهم الحرس فوق
(الجدار) لا أكثر».

فكّر چون سنو: نفخة واحدة، جوالة عائدون.

ثم دوى البوق ثانية، وأفعمّ صوته القبو.

قال مولّي: «نفختان».

الإخوة السود والشماليون والأحرار والثنيون ورجال الملكة، جميعهم
لاذ بالصمت يُصغي. نبضات قلب خمس مرّات، عشر، عشرون، ثم أطلق
أوين الجحش ضحكة مكتومة، والتقطّ چون سنو أنفاسه، وأعلن: «نفختان.
إنهم الهمج». قال.

قد أتى تورموند بليّة العماليق أخيراً.



دنيرس

لعلت في القاعة ضحكات اليونكيين وأغاني اليونكيين وصلوات اليونكيين. رقص الراقصون، وعزف الموسيقيون ألحاناً عجيبةً على الأجراس والكمنجات والقرب، وغنى المطربون أغاني الهوى العريقة بلغة (جيس القديمة) المعقدة، وتدقت أنهار الخمر... ليس شراب (خليج النحاسين) الباهت الخفيف، وإنما أصناف حلوة معتقة من (الكرمة) ونبذ الأحلام الكارثيني المنكّه بتوابل غريبة. أتى اليونكيون تلبيةً لدعوة الملك هيزدار لتوقيع معاهدة السلام وشهادة الميلاد الجديد لحلبات قتال (ميرين) ذائعة الصيت، وفتح زوجها النبيل (الهرم الأكبر) للاحتفال.

وساءلت دنيرس تارجارين نفسها: كم أمقتُ هذا. كيف حدث هذا؟ كيف أشرب وأتبادل الابتسامات مع رجال أوثر أن أسلخهم؟
قدّمت أنواع عدّة من اللّحوم والأسماك؛ جمال وتمامسيح وحبابير صادحة ويرقان شوكي⁽¹⁾ ويط بالعسل، بالإضافة إلى لحم ماعز وخنازير وخبول لأصحاب الأذواق الأقل غرابةً، والكلاب بالطبع، فلا وليمة جيسكاريّة تكتمل دون طبق الكلاب الذي يعدّه طُهاة هيزدار بأربع وصفاتٍ مختلفة. كان داريو قد نبّها: «الجيسكاريون يأكلون أيّ كائن يسبح أو يطير أو يزحف ما عدا الإنسان والتنين، وأراهن أنهم سيأكلون لحم التنين أيضًا إذا نالوا ولو نصف فرصة». على أن اللّحم وحده لا يصنع وجبةً، فقدّمت الفواكه والحبوب

(1) الحَبَّار الصَّادِح واليرقان الشُّوكي مخلوقان بحريَّان من خيال المؤلّف. (المُترجم).

والخضراوات أيضاً، وأرجّ الهواء بروائح الزعفران والقرفة والقرنفل والفلفل وغيرها من التوابل النفيسة.

فكّرت داني التي لم تمسّ شيئاً من الطّعام تقريباً: هذا هو السّلام. إنه ما أردتُ، ما عملتُ لأجله، ما تزوّجتُ لهيزدار لأحقّقه، فلم أحسُّ بأن له مذاق الهزيمة؟

كان هيزدار قد أكّد لها: «مُدّة قصيرة فقط يا حبيبتي وسرعان ما سيرحل اليونكيون ومعهم حُلفاؤهم وأجيروهم. سننال كل ما صيونا إليه، السّلام والطّعام والتّجارة. ميناؤنا فُتِح من جديد، ومسموح للسّفن بالذهاب والمعجىء».

ردّت: «مسموح لها، نعم، لكن سُنْفهم الحربيّة باقية، وباستطاعتهم إغلاق أصابعهم على رقابنا ثانية متى عنّ لهم. لقد فتحوا سوق رقيق أمام أسواري!». - «خارج أسوارنا يا مليكتي الجميلة. كان هذا أحد شروط السّلام، أن تكون لليونكيين حرّيّة التّجارة في العبيد كالسّابق دون تدخّل».

- «في مدّيتهم وليس حيث أراهم رغم أنفي». كان الأسياد الحُكماء قد أقاموا حظائر العبيد ومنصّة المزايدات جنوب (السكاهازاذان) مباشرة، حيث يصبُّ النّهر البنيّ الواسع في (خليج النّحاسين). «إنهم يهزّأون بي في وجهي، يستعرضون عجزتي عن ردّهم».

قال زوجها النّيبيل: «ادّعاء وتمثيل، استعراض كما قلت. دعيهم لمهزلتهم. حين يرحلون سُنْفيم سوق فواكه بما يتّركونه خلفهم».

- «حين يرحلون. ومتى سيرحلون؟ لقد شوهد خيالة على الجانب الآخر من (السكاهازاذان)، قال راغارو إنهم كشافة دوثراكي ووراءهم كالاसार كامل. سيكون معهم أسرى، رجال ونساء وأطفال، هدايا للنّحاسين». لا يبيع الدوثرافي أو يشترون، بل يمنحون الهدايا ويتلقونها. «لهذا أقام اليونكيون هذه السُّوق. سيرحلون من هنا بألوف العبيد الجُدد».

هزّ هيزدار زو لوراك كتنفيه قائلاً: «لكنهم سيرحلون. هذا هو الجزء المهم يا حبيبتي. (يونكاي) ستُتاجر في العبيد و(ميرين) لن تفعل. هكذا اتّفقنا. احتملي مُدّة أطول قليلاً وسينتهي كل هذا».

وهكذا جلست دنيرس صامتة خلال الوجبة، متشحةً بتوكار أحمر فاقع

وأفكار سوداء، لا تُخاطب أحداً إلا إذا خاطبها، تُفكر ملياً في مَنْ يُباعون خارج أسوارها من رجالٍ ونساء في هذه اللحظة تحديداً فيما تُقام المأدبة داخل المدينة. فليُلقي زوجها النبيل الخُطب ويضحك على دُعابات اليونكيين الركيكة. إنه حقُّ الملك وواجبه.

جُلُّ الكلام حول المائدة عن المباريات المزمعة غداً. ستواجه بارسينا ذات الشعر الأسود خنزيراً برياً، أنيابه ضد خنجرها، وسيقاتل كراز والقِطُّ الأرقط أيضاً، وفي مباراة اليوم الأخيرة سيواجه جوجهور الجبَّار بيلاكو كاسر العظام، وقبل مغيب الشمس سيموت أحدهما. أخبرت داني نفسها: ما من ملكة نظيفة اليدين. ذهبت أفكارها إلى دوريا وكوارو وإيرو... وإلى فتاة صغيرة لم تلقها قط كان اسمها هازيا. خيراً أن تموت قلة في الحلبة من أن يموت آلاف على البوابة. هذا هو ثمن السَّلام، عن طيب خاطرٍ أدفعه. إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة.

القائد اليونكي الأعلى يوركاز زو يونزاك في أزدل العمر، يُعطي ظهره المحنّي وتجاعيده وفمه الخالي من الأسنان إيحاءً بأنه عاصر غزوة إجون، وقد حمّله إلى المائدة عبدان قوياً البنية. وليس السيّدان اليونكيان الآخران أشد هيبّة أو إثارة للإعجاب. أحدهما قصير ناقص النمو، وإن كان الجنود العبيد الذين يُرافقونه بالغي الطول والنحول، والثاني شاب رشيق أنيق، لكنه ثمل لدرجة أن داني لم تفهم كلمةً نطقها تقريباً. كيف انسقتُ إلى التورط مع مخلوقات كهذه؟

على أن المرتزقة مسألة أخرى. أرسلتُ كلُّ من الجماعات الحرّة الأربع في خدمة (يونكاي) قائدها. مثل المذروين النبيل الپتوشي المعروف بأمرير الأسمال، والرّماح الطويلة جايلو ريجان الذي يبدو أقرب إلى صانع أحذية من جندي ويتكلّم وشوشة. أمّا ذو اللحية الدّمويّة من جماعة القِطُّ فقد أصدر ضجيجاً كدستية من الرّجال في آن واحد. الرّجل ضخّم، لحيته عظيمة ونهمه للنبيد والنساء فادح، وقد جمع وتجنّس وأطلق ضراطاً كهزيم الرّعد، وقرص كلّ خادمة طالتها يده، وبين الحين والآخر يسحب واحدة إلى حجره ويعجن ثديها ويدسُّ يده بين ساقها.

وللأبناء الثانين ممثلهم أيضاً. لو كان داريو هنا لانتَهت هذه الوجبة بالدم.

لا وعد بالسَّلام كان يُفْنِعُ قائدها أبداً بالسَّماح لبـنـِـ بـلـوم البـنـي بدخول المدينة ثانيةً ومغادرتها حيًّا. أقسَمَت داني أن أذى لن يمَسَّ سبعة المبعوثين والقادة، لكن اليونكيين لم يقنعوا بذلك وطلبوا منها رهائن أيضًا. موازنةً للنُّبلاء اليونكيين الثلاثة وقادة المرتزقة الأربعة أرسلت (ميرين) سبعةً من قومها إلى معسكر الحصار، أخت هيزدار واثنين من أولاد عمومتها، وچوجو خيال دم داني، وأميرها جروليو، وهيرو أحد قادة المُطَهَّرين، وداريو نهاريس. ناولها قائدها حزام سيفه بامرأته الخليعتين الذهبيتين قائلاً: «سأتركُ فتاتي معك. حافظي على سلامتهما من أجلي يا محبوبتي. لسنا نريدهما أن تعيشا فسادًا داميًا بين اليونكيين».

الرَّأس الحليق غائب أيضًا. أول شيء فعله هيزدار لدى تتويجه ملكًا أنه سرَّحه من قيادة الوحوش النُّحاس، وعيَّن مكانه ابن عمِّه الممتملى الشَّاحب مارجاز زولوراك. هكذا أفضل. ذات النِّعمة الخضراء تقول إن هناك دمًا بين لوراك وكانداك، والرَّأس الحليق لم يُورَ قطُّ ازدراء السيِّد زوجي. وداريو... ازدادَ داريو جموحًا منذ زفافها. لم يسرَّه سلامها، ولم يسرَّه زواجها بطبيعة الحال، كما أثارَ خداع الدورنيين إياه حفيظته بشدَّة. عندما أخبرهم الأمير كويتن بأن الـوستروسيين الآخرين انقلبوا إلى غربان العاصفة بأمر أمير الأسمال لم ينجح إلا تدخل الدودة الرَّمادي ومُطَهَّريه في منع داريو من قتلهم جميعًا. سُجِنَ المتهرِّبون الرَّاظفون في أمان أعماق الهرم... لكن غضبة داريو ما برحت تتعاطم.

سيكون أكثر أمنًا كرهينة. قائدي لم يُخلَقَ للسَّلام. لا تستطيع داني المخاطرة بأن يقتل داريو بن بلوم البني أو يسخر من هيزدار أمام البلاط أو يستفزَّ اليونكيين أو يفعل شيئًا آخر من شأنه إفساد الاتفاق الذي دفعت ثمنًا باهظًا لكي تظفر به. داريو هو الحرب والويل، ومن الآن فصاعدًا عليها أن تُبقيه خارج فراشها وخارج قلبها وخارج جسدها. إذا لم يَخُنْها فلسوف يُهيِّم عليها، وليست تدري أيُّ هذين الاحتمالين تخشى أكثر.

حين انتهت البطنة ورفعت بقايا الطَّعام -لُتْعِي للفقراء المجتمعين بالأسفل كما أصرت الملكة- مُلِئت كؤوس زجاجية طويلة بخمر كارثينية متبلة داكنة كالكهرمان، ثم بدأت فقرات التَّسلية.

غنت لهم فرقة من المطربين اليونكيين المخصيين يملكها يوركاز زو يونزك بلغة الإمبراطورية القديمة الغابرة، أصواتهم عالية عذبة ليس لنقائها مثل. سألكها هيزدار: «هل سمعت غناء كهذا من قبل يا حبيبي؟ إن لهم أصوات آلهة، أليس كذلك؟».

أجابت: «بلى، ولو أنني أتساءل إن كانوا يُفضلون أن يحضوا بشمار البشر». جميع المؤدئين عبيد. كان هذا جزءاً من اتفاق السلام، أن يُسمح لمالكي العبيد بالإتيان بمقتنياتهم البشرية إلى (ميرين) دون أن يخشوا عتقها، وفي المقابل وعد اليونكيون باحترام حقوق وحرّيات العبيد السابقين الذين أعتقتهم داني. قال هيزدار إنها صفقة عادلة، إلا أن المذاق الذي خلّفته في فم الملكة كرية، وهكذا شربت كأساً أخرى من النبيذ لتغسله.

قال زوجها النبيل: «إذا شئت فلا أشك في أن يوركاز سيسرّه أن يُعطينا المغنين هدية لإبرام السلام وزينة لبلاطنا».

سيُعطينا هؤلاء المخصيين ثم يعود إلى دياره ويصنع المزيد. العالم مليء بالصبيّة.

لم يُفلح البهلوانات في الفقرة التالية في التأثير فيها أيضاً، حتى عندما كوّنوا هرمًا بشرياً من تسعة مستويات على قمته فتاة صغيرة عارية. تساءلت الملكة: هل يقصدون محاكاة هرمي؟ أيُفترض أن هذه الفتاة على القمة أنا؟ بعدها قاد السيد زوجها ضيوفه إلى الشرفة السفلية ليرى الزوّار من المدينة الصّفراء (ميرين) ليلاً، وفي مجموعاتٍ صغيرة جالّ اليونكيون ممسكين كؤوس النبيذ في الحديقة تحت أشجار الليمون وبين الزهور المتفتحة مساءً، ووجدت داني نفسها في مواجهة بن بلوم النبيّ.

انحنى بشدة قائلاً: «صاحبة العبادة، تبدين في غاية الجمال. هكذا بدوت دومًا. ولا واحدة من اليونكيّات تتمتع بنصف جمالِك. أردت أن أتيك بهديّة زفاف لكن العطاءات فاقت قدرة بن بلوم العجوز».

- «لا أريدُ منك هدايا».

- «كنت لثريدين هذه. إنها رأس عدو قديم».

سألته بعدوبة: «أي رأسك؟ لقد خنتني».

قال بن: «طريقة قاسية للتعبير عن الأمر، إذا سمحت لي»، وحكّ لحيته

الشَّائِبَةُ مَتَابَعًا: «لقد ذهبنا إلى الطَّرَفِ الرَّابِحِ لا أكثر، تمامًا كما فعلنا من قبل. ولم يكن القرار قرارِي وحدي، بل طرحته على رجالي».

- «إذن فهم الذين خانوني، أهذا ما تقوله؟ لماذا؟ هل أسأتُ معاملة الأبناء الثَّانِينَ؟ هل غششتكم في أجوركم؟».

قال بن البني: «على الإطلاق، لكنها ليست مسألة مالٍ فقط يا صاحبة السُّمو والعظمة. تعلَّمتُ هذا منذ زمنٍ طويلٍ في معرفتي الأولى. في الصُّباح التَّالِي للقتال كنتُ أنقبُ بين الموتى، أبحث عن غنيمةٍ صغيرة أو أخرى إن جازَ التعبير. ثم إنني رأيتُ تلك الجثة. كانت فأس ما قد بترت ذراعها من الكتف، والرَّجل مغطى بالذُّباب ومضرج بالدماء الجافَّة. ربما لهذا السَّبب لم يلمسه أحد، لكنه كان يرتدي سِترةً جلديةً مطعَّمةً بالحديد، وبدا أنه جلد ممتاز. خطر لي أنها قد تُناسب مقاسي، فطردتُ الذُّباب ونزعتهَا عنه، لكن وزن السُّترة اللعينة كان أثقل كثيرًا مما يجب. تحت البطانة وجدتُ ثروةً مخبَّأة، ذهبًا يا صاحبة العبادة، ذهبًا أصفر جميلًا، ما يكفي لأن يحيا المرء كاللوردات ما تبقى له من عُمر، لكن بِمَ نفعه هذا؟ ها هو ذا بماله المدَّخر، منطرح على الأرض في الدَّم والوحل وذراعه مبتورة. وهذا هو الدُّرس، أليس كذلك؟ الفضة جميلة والذهب أثنأ، لكن ما إن يأتي الموت تصير قيمتهما أقل من آخر قطعة خراء تَخْرُج من المرء وهو يُحتَضِر. لقد أخبرتك من قبل، ثمة مرتزقة مسنون ومرتزقة شجاعان، لكن لا يُوجد مرتزقة شجاعان مسنون. كل ما في الأمر أن فتَياني لم يُريدوا أن يموتوا، ولَمَّا قلتُ لهم إنك لن تُطلقِي الثَّانِينَ على اليونكييين...».

رأيتني مهزومةً، ومن أنا لأقول إنك مخطئ؟ قالت: «مفهوم»، وكانت لتُنهِي الكلام عند هذا الحدِّ، لكنها سألته مدفوعةً بالفصول: «قلت ما يكفي لأن يحيا المرء كاللوردات. ماذا فعلت بتلك الثروة؟».

ضحك بن البني قائلاً: «كنتُ صبيًّا أحمق وأخبرتُ رجلاً حسبته صديقي، وأخبر هو رقيبنا، وجاء إخوتي في السُّلاح وأراحوني من ذلك العبء. قال الرقيب إنني صغير جدًا وسأبددُ المبلغ كله على العاهرات وما إلى ذلك، لكنه تركني أحتفظُ بالسُّترة»، وبصق ثم أردف: «إياك والثوق بمرتزقٍ أبدًا يا سيديتي».

- «تعلّمتُ هذا. يوماً ما عليّ أن أشكرك على الدّرس». -
ضيقُ بن البني عينيه، وقال: «لا داعي. إنني أعرفُ نوع الشُّكر الذي في
بالك»، وانحنى ثانيةً وابتعد.

التفتت داني تتطلع إلى مدينتها. وراء أسوارها تقف خيام اليونكيين في
صفوفٍ منتظمة على شاطئ البحر، تحميها الخنادق التي حفرها عبيدهم،
وعبر النهر إلى الشمال يُعسكر فيلقان من (جيس الجديدة) مدرّبان ومسلّحان
على غرار المُطهرين، ويُعسكر فيلقان جيسكاريان آخران شرقاً قاطعين الطريق
إلي (ممر كايزاي)، وإلى الجنوب صفوف خيول الجماعات الحرّة وبؤر نار.
بالنهار تعلق أعمدة رفيعة من الدخان في الهواء تحت السماء كشرائط بنية
مهترئة، وبالليل تُرى النيران البعيدة. وعلى الخليج مباشرة السوءة الكبرى،
سوق العبيد المقامة على عتبة بابها. لا تراها الآن وقد غربت الشمس، لكنها
تعلم أنها هناك، وزادها هذا حنقاً.

قالت بخفوت: «سير بارستان؟».

ظهر الفارس الأبيض من فوره قائلاً: «جلالة الملكة».

- «كم سمعت؟».

- «ما يكفي. ليس مخطئاً. إياك والوثوق بمرتزق».

أو بملكة. «أهناك رجل ما من الأبناء الثّانين قابل للإقناع بأن... يُزيح...

بن البني؟».

لاح الانزعاج على الفارس العجوز، وقال: «كما أزاح داريو نهريس
قائدي غربان العاصفة الآخرین قبلاً؟ ربما. لا أدري يا جلالة الملكة».

نعم، إنك أصدق وأشرف من أن تعرف شيئاً كهذا. «إن لم يكن فاليونكيون
استأجروا ثلاث جماعاتٍ أخرى».

قال السير بارستان منذراً: «إنهم مجرمون وسفّاحون، حُثالة عشرات
المعارك، قادتهم خوّانون تماماً كپلوم».

- «إنني مجرد فتاة صغيرة وأعرف القليل عن تلك الأشياء، لكن يبدو
لي أننا نريدهم أن يكونوا خوّانين. تذكر أنني أقنعت الأبناء الثّانين وغربان
العاصفة بالانضمام إلينا من قبل».

- «إذا كانت صاحبة الجلالة ترغب في كلمة على انفراد مع جايلو ريجان أو أمير الأسمال فيمكنني أن آتي بهما إلى مسكنك».

- «ليس هذا الوقت المناسب. الأعين والأذان كثيرة للغاية. سيلاحظ تغيبهم حتى إذا فصلتهم خلسة عن اليونكيين. يجب أن نجد وسيلة أهدأ للتواصل معهم... ليس الليلة، لكن قريباً».

قال سلمى: «كما تأمرين، لكني أخشى أنني لست مؤهلاً لهذه المهمة. في (كينجز لاندنج) كان هذا النوع من العمل من اختصاص الإصبع الصغير أو العنكبوت. نحن الفرسان المسنون رجال بُسطاء، لا نصلح إلا للقتال»، وربت على مقبض سيفه.

قالت داني: «سُجناؤنا، الوستروسيون الذين انقلبوا من المذروين مع الدورنيين الثلاثة. ما زالوا في الزنازين، أليس كذلك؟ استخدمهم».

- «تعنين أطلق سراحهم؟ أهذا تصرف حكيم؟ لقد أرسلوا إلى هنا ليُدهنوك ويكسبوا ثقتك ثم يخونوا جلالتك عند أول فرصة».

- «إذن فقد فشلوا. لست أثق بهم ولن أثق بهم أبداً». الحقيقة أن داني بدأت تنسى كيف تثق. «ما زال بإمكاننا استغلالهم. كانت إحداهم امرأة، ميريس. أرسلها ك... ك... علامة على احترامي. إذا كان قائدهم ذكياً فسيفهم».

- «تلك المرأة أسوأهم».

ردت داني: «أحسن وأحسن»، وفكرت لحظة قبل أن تُضيف: «علينا أن نجس نبض الرماح الطويلة أيضاً، وجماعة القط».

ازدادت ملامح السير بارستان عبوساً، وقال: «ذو اللحية الدموية. بعد إذنك يا جلالة الملكة، لسنا نريد التعامل معه. صاحبة الجلالة أصغر من أن تدكر ملوك التسعة بنسات، لكن ذا اللحية الدموية هذا من الطينة القذرة نفسها. إنه لا يتمتع بأي شرف، بل بالجوع فقط... للذهب، للمجد، للدم».

- «أنت أعلم مني بأمثاله أيها الفارس». إذا كان ذو اللحية الدموية أخطأ المرتزقة وأجشعهم حقاً فقد يكون أسهلهم استمالةً، لكنها تكره مخالفة نصائح السير بارستان في تلك المسائل. «افعل ما تراه الأفضل، لكن افعله قريباً. إذا انفطر سلام هيزدار فأريد أن أكون على أهبة الاستعداد. لست أثق بالنخاسين». لست أثق بزوجي. «سينقلبون علينا مع أول بادرة ضعف».

- «اليونكيون أيضًا يزدادون ضعفًا. يُقال إن الإسهال الدموي استشرى بين التولوسيين وانتشرَ عبر النهر إلى الفيلق الجيسكاري الثالث».

الفرس الشاحبة. تنهّدت دنيرس. كويث حدّرتني من مجيء الفرس الشاحبة، وأخبرتني عن الأمير الدورني أيضًا، ابن الشمس. أخبرتني بالكثير، لكنها غلّفت كلامها كلّهُ بالأحاجي. «لا أستطيعُ الاعتماد على الوباء في إنقاذي من أعدائي. أطلق سراح ميريس الحسناء فورًا».

- «كما تأمرين. ولو أن... جلالة الملكة، إذا سمحت لي، ثمّة سبيل آخر...».

- «السبيل الدورني؟». تنهّدت داني ثانية. حضرَ الدورنيون الثلاثة المأدبة كما يليق بمكانة الأمير كويتن، لكن رزناك حرصَ على إجلاسهم بعيدًا قدر الإمكان عن زوجها. لا يبدو أن لهيزدار طبيعةً غيورًا، لكن لا رجل يطيب له أن يجلس خاطبٌ وُدّ منافس قُرب عروسه الجديدة. «الفتى يبدو لطيفًا فصيحًا، ولكن...».

- «عائلة مارتل نبيلة عريقة، وظلّت صديقةً صدوقًا لعائلة تارجارين لأكثر من قرنٍ من الزّمان يا صاحبة الجلالة. لقد تشرّفتُ بالخدمة مع عمّ الأمير كويتن الكبير في حرس أيبك السبعة. كان الأمير ليوين أخًا جسورًا في السّلاح يتمناه أيُّ مُقاتل، وكويتن مارتل من الدّماء نفسها، بعد إذن جلالة الملكة».

- «ليته جاءَ ومعه الخمسون ألف سيف التي ذكرها. بدلًا من ذلك جلبَ فارسين وورقةً. هل ستقي ورقة شعبي من اليونكيين؟ لو أنه جاءَ بأسطول...».

- «صنسبير) لم تكن قوّة بحريّةً قطّ يا جلالة الملكة».

- «نعم». تعلّمت داني ما يكفي من التّاريخ الوستروسي لأن تعرف هذا. رسّت نايميريا بعشرة آلاف سفينة على سواحل (دورن) الرّمليّة، لكن حين تزوّجت أميرها الدورني أحرقتها جميعًا وأعطت البحر ظهرها إلى الأبد. «(دورن) بعيدة جدًّا. لأرضي هذا الأمير عليّ أن أهجر قومي جميعًا. عليك أن تُرسله إلى دياره».

- «الدورنيون مشهورون بعنادهم الشّديد يا صاحبة الجلالة. لقد قاتلَ أسلاف الأمير كويتن أسلافك قُرابة المئتي عام. لن يرحل من دونك».

فكّرت دنيرس: سيموت هنا إذن، ما لم يكن يتمتع بمزِيَّة لا أراها. «أما زال بالداخل؟».

- «يشرب مع فارسينه».

- «أنتِ بهِ إليّ. حانَ الوقت لأن يلتقي طفلي».

ومضَّ الشُّكُّ لحظةً على وجه باريستان سلمي الطَّويل الرّصين، لكنه قال: «أمرك».

كان ملكها يضحك مع يوركاز زو يونزك واليونكيين الآخرين. لم تحسب داني أنه سيفتقدها، لكنها - على سبيل الاحتياط - أمرت وصيفاتها بإبلاغه بأنها ذهبت تُلبّي نداء الطَّبيعة في حال سؤاله عنها.

وجدت السير باريستان ينتظرها عند السَّلام مع الأمير الدورني. كان وجه مارتل المربَّع متورِّدًا، فاستتجت أنه شربَ نبيذاً كثيراً، ولو أنه بذلَّ قُصاري جهده لإخفاء هذا. بعيداً عن صفِّ الشُّموس النُّحاس الذي يُزيِّن حزامه يرتدي الدورني ثياباً تقليديَّةً. يدعونه بالصفِّدع. وترى داني السَّبب، فهو ليس رجلاً وسيماً.

ابتسمت قائلةً: «أميري، الطَّريق طويل إلى أسفل. أوافق بأنك تُريد أن تفعل هذا؟».

- «بعد إذن صاحبة الجلالة».

- «هلمَّ إذن».

نزل اثنان من المُطهَّرين السَّلام قبلهما حاملين مشعلين، ووراءهما تحرك اثنان من الوحوش النُّحاس، أحدهما بقناع سمكة والآخر بقناع صقر. حتى هنا في هرمها، وفي ليلة السَّلام والاحتفال هذه، أصرَّ السير باريستان على أن تُلازمها حراسة أينما ذهبت. نزلت المجموعة الصَّغيرة السَّلام الطَّويلة في صمت، وتوقَّفوا ثلاث مرَّاتٍ لإنعاش أنفسهم بالشُّراب. عند مجموعة الدَّرجات الأخيرة قالت داني: «للتنين ثلاثة رؤوس. ليس زوجي نهاية آمالك كلُّها بالضرورة. إنني أعلمُ لِمَ جئت هنا».

بشهامةٍ خرقاء قال كويتن: «من أجلك».

ردَّت داني: «لا، بل من أجل النَّار والدَّم».

أطلقَ أحدَ الأفيالِ نهيماً من مربطه لدى مرورهم، ثم ردَّ عليه زئير من أسفل حَقْنِهَا بحرارةٍ مبالغتة.

رفعَ الأميرُ كويتنَ عينيه جافلاً، فأخبره السيرُ باريستان: «التنانين تعلم حين تكون قريبةً».

كلُّ طفلٍ يعرفُ أمه. عندما تجفُّ البحورُ وتعصفُ الرِّيحُ بالجبالِ كأنها أوراقُ الشَّجَر... قالت: «إنهما يُناديانِي. تعال»، وأخذتَ الأميرُ كويتنَ من يده وقادته إلى الجُبِّ حيثُ حبستَ اثنين من تنانينها، وبينما فتحَ المُطَهَّرُونَ البابَ الحديديَّ الضَّخْمَ أخبرتَ السيرُ باريستان: «ابقُ بالخارج. الأميرُ كويتن سيحميني»، وسحبَتَ الأميرُ الدورني معها إلى الدَّاخِلِ ليقفا على شفيرِ الجُبِّ.

أدارَ التَّينانَ عُنُقَيْهِمَا يَنْظُرانِ إليهما بأعينٍ ملتَهبة. كان فُسيريون قد حطَّمَ إحدى سلاسله وأذابَ الأخرى، ويتمسَّكُ الآن بسقفِ الجُبِّ كخُفَّاشٍ أبيضٍ عملاق، وقد أنشَبَ مخالبه في القرميد المتفتَّتِ المحروق. أمَّا ريجال فلم يزل مقيِّداً بالسَّلاسلِ، ويلتهم جثة ثور. العظام على أرضِ الجُبِّ أغزر مما كانت حين أتت داني آخر مرَّة، والجُدران والأرضياتُ سوداء ورمادية، رماد أكثر من قرميد. لن تحتمل طويلاً... لكن وراءها تربةٌ وحجارةٌ فحسب. هل تستطيع التَّنانين الحفر في الصَّخر كديدان النَّارِ في (فاليريا) قديماً؟ لا تأمل ذلك. قال الأميرُ الدورني الذي غاصَّت الدِّماءُ من وجهه تماماً: «سمعتُ... سمعتُ أن هناك ثلاثة تنانين».

- «دروجون يصطاد». لا داعي لأن يسمع البقية. «الأبيض فُسيريون والأخضر ريجال. سميتُهما تيمُّناً بأخوي». ردَّدتَ الجُدران الحجرية المحروقة صدى صوتها، فبدأ لها كصوت فتاةٍ صغيرة لا صوت ملكةٍ وغازيةٍ أو صوت عروسٍ جديدة تُفعمه السَّعادة.

زأر ريجال ردًّا وملأت ناره الجُبِّ، حربة من الأحمر والأصفر، وردَّ عليه فُسيريون بلهيبٍ ذهبي وبرتقالي، وخفقَ بجناحيه لثملاً سحابة من الرَّمادِ الهوَّاء وتناثر السَّلاسلُ المحطَّمة وترن عند قدميه.

ونظَّ كويتن مارتال قدماً إلى الخلف.

لو كانت امرأةٌ أقسى لضحكَّت منه، لكن داني اعتصرتَ يده قائلةً: «إنهما

يُخيفانني أيضًا. لا عار في هذا. لقد أصبح طفلاي ضارئين غاضبين في الظلام».

- «هل... هل تنوين ركوبهم؟».

- «أحدهم. لا أعلم عن التنانين إلا ما أخبرني به أخي في صغري وبعض ما قرأته في الكتب، لكن يُقال إن إجون الفاتح نفسه لم يجروا إطلاقاً على ركوب فاجهار أو ميراكسس، ولا ركبت أخته الرُعب الأسود بالريون. التنانين تعيش أطول من البشر، بعضها مئات السنين، وهكذا عرف بالريون راكبين آخرين بعد وفاة إجون... لكن لا راكب طار بتنين من قبل قط».

- «إنها... إنها كائنات مخيفة».

قالت داني: «إنها تنانين يا كويتن!»، ووقفت على أطراف أصابعها وطبعت قبلة خفيفة على كل من خديه، وأضافت: «وكذا أنا».

ازدرد الأمير الشاب ريقه، وقال: «أنا... أنا أيضًا في عروقي دماء التنين يا جلالة الملكة. نسبي يعود إلى دنيرس الأولى، الأميرة ابنة عائلة تارجارين التي كانت أخت الملك دايرون الصالح وزوجة أمير (دورن). لقد بنى (الحدائق المائئة) من أجلها».

- «(الحدائق المائئة)؟». الواقع أنها تعرف أقل القليل عن (دورن) وتاريخها.

- «قصر أبي الأثير. من دواعي سروري أن أريك إياه يومًا. الحدائق كلها من المرمر الوردية، وفيها مسابح ونوافير تطل على البحر».

قالت: «تبدو مكانًا جميلًا»، وسحبته خارجة من الجب. ليس هذا مكانه. ما كان يجب أن يأتي. «يجدرُ بك أن ترجع إلى هناك. أخشى أن بلاطي ليس مكانًا آمنًا لك. إن لك أعداء أكثر مما تحسب. لقد جعلت داريو يبدو أحمق، وهو ليس بالرجل الذي ينسى إهانة كهذه».

- «إن معي فارسي، حارسي الشخصيين».

- «فارسان. داريو معه خمسمئة من غربان العاصفة. وخير لك أن تحذر السيد زوجي أيضًا. أعرف أنه يبدو رجلًا وديعًا دميًا، لكن لا يخذعك هذا. هيزدار يستمد تاجه من تاجي، ويحظى بولاء بعض خيرة المحاربين في العالم. إذا خطر لأحدهم أن يكسب محاباته بالتخلص من منافس...».

- «أنا أمير دورني يا صاحبة الجلالة. لن أهرب من العبيد والمرترقة». إذن فأنت أحمق حقاً أيها الأمير الضفدع. ألقِ داني نظرةً مطوّلةً أخيرةً على طفليها الضارئين، وبينما قادت الفتى إلى الباب سمعت التينيين يصرخان ورأت انعكاس نيرانهما يتلاعب على القرميد. إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة. «سيكون السير باريستان قد طلبَ كُرسيينَ لحملنا إلى الحفل بالأعلى، لكن الصُّعود بهما متعبٌ أيضاً». من خلفهما انغلقَ مصراعَا الباب الحديديَّان الضَّخمان برنينٍ صاخب. «احكِ لي عن دنيرس الأخرى هذه. إنني أعرفُ أقل مما ينبغي عن مملكة أبي. لم أحظُ بمايستر في أثناء نشأتي». قال كوينتن: «بكلِّ سرور يا جلالة الملكة».

كان الليل قد انتصف منذ ساعاتٍ عندما انصرفَ ضيوفهما وخلدت داني إلى مسكنها لتتضمَّ إلى سيدها وملكها. هيزدار على الأقل سعيد، غير أنه ثمل بعض الشيء، وبينما ألبسته إيري وچيكيوي ثياب النوم قال لها: «إنني أفي بوعودي. نشدتِ السلام وبات لك».

فكرت داني: ونشدتِ الدماء وقريباً يجب أن أتولِّك إياها، لكنها اكتفت بقول: «أنا ممتنة».

ألهمت إثارة اليوم عاطفة زوجها، وما كادت وصيفاتها يذهبن للخلود إلى النوم حتى انتزع معطفها ودفعها إلى الفراش على ظهرها، وطوّفته داني بذراعيها وتركته يقضي وطره. تعلم أنه لن يبقى بداخلها طويلاً بسكره هذا. ولم يفعل. بعدها مرَّغ أنفه في أذنها، وهمس: «بمشيئة الآلهة صنعنا ابناً الليلة».

دقت كلمات ميري ماز دور في وجدانها. عندما تُشرق الشمس من الغرب وتغرب في الشرق، عندما تجف البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق الشجر، عندما يتنفخ بطنك من جديد وتحملين طفلاً حياً في رحمك... عندها فقط سيعود وليس قبل ذلك. المعنى واضح كفاية: احتمال حملها طفلاً حياً يساوي احتمال عودة الكال دروجو من الموت. لكن هناك أسراراً لا تستطيع دفع نفسها إلى البوح بها، حتى لزوجها، وهكذا تركت هيزدار زو لوراك يستأثر بأماله.

سرعان ما غاب زوجها النبيل في النوم، وراحت دنيرس تتلوَّى وتتقلب

إلى جواره. أرادت أن تهزّه وتوقّظه، تجعله يحتضنها، يُقبلها، يُضاجعها ثانيةً، لكن حتى إذا فعل فلن يمضي وقت طويل قبل أن يغيب في النوم ثانيةً ويتركها وحيدةً في الظلام. تساءلت عمّا يفعله داريو الآن. أهو قلق أرق أيضًا؟ هل يُفكر فيها؟ هل يُحبّها بحق؟ هل يكرهها لزوجها بهيزدار؟ لم يكن يجب أن آخذه إلى فراشي أبدًا. إنه مجرد مرتزق، ليس صاحبًا يليق بملكة، ومع ذلك... كنتُ أعلمُ هذا طوال الوقت، لكنني فعلتها على كل حال.

قال صوت خافت في الظلام: «مليكتي؟».

جفّلت داني متسائلةً: «من هناك؟».

- «ميسانداي فقط»، ودنت الفتاة النائبة من الفراش مردفةً: «هذه الواحدة

سمعتك تبكين».

- «أبكي؟ لم أكن أبكي. لماذا أبكي؟ لقد حظيتُ بالسّلام وحظيتُ بملكي، حظيتُ بكلّ ما تتمناه ملكة. أنتِ رأيتِ حُلماً سيئاً لا أكثر».

قالت الفتاة: «كما تقولين يا صاحبة الجلالة»، وانحنت والتفتت تُغادر.

قالت داني: «انتظري. لا أريدُ أن أكون وحدي».

أشارت ميسانداي معلقةً: «جلالته معك».

ردّت داني: «جلالته يحلم، لكنني لا أستطيعُ النوم. غدًا سأتحمّمُ بالدماء، ثمّن السّلام»، وابتسمت بشحوبٍ وربّبت على الفراش قائلةً: «تعالى، اجلسي، تكلمي معي».

جلست ميسانداي إلى جوارها، وقالت: «كما تأمرين. عمّ نتكلّم؟».

- «الوطن، (ناث)، الفراشات والإخوة. أخبريني عن الأشياء التي تُسعدك، الأشياء التي تُضحكك، احكي لي أحلى ذكرياتك، ذكريني بأن في هذا العالم خيرًا باقياً».

بذلت ميسانداي أفضل ما بوسعها، وكانت لا تزال تتكلّم حين غابت داني في النوم أخيراً لتحلّم أحلامًا غريبةً مبهمّةً ملأى بالدخان والنّار. وسريعًا جدًّا أتى الصّباح.



ثيون

تمامًا مثل ستانيس، زحفَ عليهم النَّهار دون أن يُرى.
استيقظت (ويتترفل) منذ ساعات، وتعجُّ شرفاتها وبروجها برجالٍ يرتدون
الصُّوف وحلقات المعدن والجِلد وينتظرون هجومًا لا يأتي أبدًا. لَمَّا بدأت
السَّماء تُتير كانت دَقَّات الطُّبول قد همدت، وإن سُمِعت الأبواق الحربية
تُدوي ثلاث مرَّاتٍ أخرى، كلَّ مرةٍ أدنى قليلًا إلى القلعة.
ولم تزل الثلوج تنهمر.

أعلنَ أحد عاملي الاسطبلات النَّاجين بإصرار: «ستنتهي العاصفة اليوم.
الشِّتاء لم يحلَّ بعدُ». كان ثيون ليضحك لو جرَّو. تذكَّر حكايات العجوز
نان لهم عن عواصف تزار أربعين يومًا وأربعين ليلةً، أو عامًا، أو عشرة...
عواصف تدفن قلاعًا ومدائن وممالك بأكملها تحت مئة قدم من الثلج.
جلسَ في مؤخِّرة القاعة الكبرى، ليس بعيدًا عن الخيول، يُراقب إيبيل
وروان وغَسَّالَةَ بَنِيَّة الشَّعر تُذكِّره بالفئران تُسمَّى السَّنْجَابَة يفتكون بقطع من
الخُبْز النَّبِيِّ البائت المحمَّر في دُهْن اللَّحْم المَقْدَّد. أفضَّر ثيون على دورقٍ من
المِزر الدَّاكن معكَّر بالخميرة وثخين لدرجة أنه قابل للمضغ. بضعة دوارق
أخرى وقد تبدو خطَّة إيبيل أقل جنونًا.

دخلَ رروس بولتون باهت العينين يتشاءب، تصحبه زوجته اللَّحيمَة
الحُبلى والدا السَّمينة. كان عدد كبير من اللوردات والقادة قد سبقه، منهم باقر
العاهرة أومبر وإينس فراي وروجر ريزويل، وعلى مسافةٍ أبعد يجلس وايمان
ماندرلي إلى المائدة يلتهم الشُّجق والبيض المسلوق، فيما يغرف اللورد لوك
العجوز الجالس إلى جواره العصيدة في فمه الخالي من الأسنان.

بعد قليل ظهرَ اللورد رامزي بدوره رابطًا حزام سيفه وهو يشقُّ طريقه إلى مقدّمة القاعة. تبينَ ثيون أنه في مزاج فاسد هذا الصّباح، وقال لنفسه مخمّنًا: الطُّبولُ حرمتَه الرُقود طوال الليل، أو أن أحدهم أغضبَه. كلمة واحدة خطأ، نظرة واحدة متهورّة، ضحكة واحدة في غير محلّها... من شأن أيّ من هذا أن يُثير حفيظة حضرة اللورد ويكلّف المرء شريحةً من جلده. أرجوك يا سيدي، لا تنظرُ في هذا الاتجاه. نظرة واحدة قميئة بأن يعرف رامزي كلّ شيء. سيرى ما ندبرّه مكتوبًا على وجهي، وسيعرف. دائمًا يعرف.

التفتَ ثيون إلى إيبيل قائلاً: «لن ينجح الأمر». تكلم بصوتٍ بالغ الخفوت حتى إن الخيول أنفَسها ما كانت لتسمعه. «سيقبضون علينا قبل أن نخرج من القلعة. وحتى إذا هربنا فسيطارِدنا اللورد رامزي، هو وبن بونز والفتيات».

ردَّ إيبيل وأصابه تترافص على أوتار عوده: «اللورد ستانيس خارج الأسوار، وليس بعيدًا حسب الأصوات. ما علينا إلّا أن نبلّغه». لحيّة المغنيّ بنية، وإن شاب معظم شعره. «إذا طاردنا النّعل بالفعل فقد يعيش ليندم على هذا».

اعتقد هذا، صدّقه، أخبر نفسك بأنه صحيح. قال للمغنيّ: «سيجعل رامزي من نسوتك فرائس، سيطارِدهن ويغتصبهن ويطعم جثثهن لكلابه. إذا سلّين بما فيه الكفاية فقد يُطلق أسماءهن على مجموعة الجروات الوليدة التّالية. أمّا أنت فسيسلّخك، هو والسّلاخ وديمون ارقص-لي سيجعلونها لعبةً. ستتوسّل إليهم أن يقتلوك»، وقبض على ذراع المغنيّ بيدٍ مشوّهة متابعًا: «لقد أقسمت أنك لن تدعني أسقطُ في يده ثانية، أعطيتني كلمتك». يحتاج إلى سماعها مرّةً أخرى.

قالت السّنجابة: «كلمة إيبيل قويّة كالسّنديان».

وهزَّ إيبيل نفسه كتفيه قائلاً: «مهما حدث يا أميري».

على المنصّة كان رامزي يتجادل مع أبيه. يجلسان أبعد من أن يُميّز ثيون شيئًا مما يُقال، لكن الخوف على وجه والدا السّميئة المتورّد المستدير باحّ بالكثير. سمعَ وايمان ماندرلي يطلّب مزيدًا من السُّجق وضحك روجر ريزويل على مزحةٍ ما من هاروود ستاوت ذي الذّراع الواحدة.

تساءلَ ثيون إن كان سيرى أبهاء الإله الغريق المائيّة أم أن شبّحه سيملكث

هنا في (وينترفل). الموت واحد مهما تعددت السبل، الموت أفضل من ريك. إذا فشلت خطة إيبيل فسيجعل رامزي ميتهم شاقّة طويلة. سيسلخني من قمة رأسي حتى أحمص قديمي هذه المرة، ومهما توصلت لن يضع نهاية للعذاب. لا ألم خبره ثيون يداني الكرب الذي يستدرّه السلاح بسكينه الصغير. قريباً سيتعلم إيبيل هذا الدرس، ومن أجل ماذا؟ جين، اسمها جين، ولون عينيها خطأ. الفتاة مجرد ممثلة تلعب دوراً. اللورد بولتون ورامزي يعلمان، لكن الآخرين عميان، حتى هذا الشاعر الملعون بابتساماته الخبيثة. لست الخادع هنا يا إيبيل وإنما المخدوع، أنت وبغاياك القاتلات. ستموتون في سبيل الفتاة الخطأ.

كان على شفا إخبارهم بالحقيقة عندما أوصلته روان إلى إيبيل في أطلال (البرج المحروق)، لكنه أمسك لسانه في اللحظة الأخيرة، إذ بدا المغني عاقداً العزم على الرّحيل بابتسامة إدارد ستارك، ولو عرف أن عروس اللورد رامزي مجرد ابنة وكيل...

انفتح باب القاعة الكبرى على مصراعيه بصوت مدوّ. هبّت ريح باردة دوّارة من الخارج، وتلاّأت سحابة من بلّورات الجليد بالأبيض المزرق في الهواء، وعبرها جاء السير هوستين فراي مكسّواً بالثلج حتى الخصر وبين ذراعيه جثمان. بطول القاعة وضع الرجال أكوابهم وملاعقهم وفتقوا يحدّقون إلى المشهد المريع، وخيم الصمت على الجميع. قتل آخر.

انزلق الثلج من على معطف السير هوستين إذ تقدّم من المائدة العالية وخطاه ترنّ على الأرض، ودخلت وراءه دسّته من فُرسان وجنود عائلة فراي. أحدهم يعرفه ثيون، والدر الكبير - الصغير - بملامحه الثعلبية ونحوه الشديد، يلطّخ الدّم صدره وذراعيه ومعطفه.

ساقّت الرّائحة الخيول إلى الصّراخ، وخرجت الكلاب من تحت الموائد تتشمّم، ونهض الرجال عن الدّكك. بين ذراعي السير هوستين التمتع جثة الصّبي المغلّفة بالصّقيع الوردية في ضوء المشاعل، وقد جمّد البرد بالخارج دماء. وضع هوستين فراي الجثة على الأرض أمام المنصّة قائلاً: «ابن أخي ميريت، ذبح كالخنزير ودُفن تحت كومة ثلج. صبي!».

والدر الصغير، الكبير. رمق ثيون روان متذكّراً: إنهن ست. كان بإمكان

أَيَّهن أن تفعل هذا. غير أن الغَسَّالة شعرت بنظرته، وقالت: «ليس هذا عملنا». خاطبها إيبيل قائلاً: «صَه!».

نزل اللورد رامزي من فوق المنصّة ليقف عند الصَّبي الميت، وقام أبوه بتؤدّة باهت العينين جامد الملامح وقورًا، وقال: «عمل قدر». هذه المرّة رفع رُووس بولتون صوته ليسمعه كل مَنْ في القاعة. «أين عُثِرَ على الجثّة؟». أجابَ والدر الكبير الذي يُلوّثُ قفازيه دم ابن عمه: «تحت الحصن المتهدّم يا سيّدي، حيث الكراجل القديمة. قلتُ له ألا يخرج وحده، لكنه قال إن عليه أن يجد رجلًا يدين له بالفصّة».

قال رامزي: «مَنْ هذا الرَّجل؟ أعطني اسمه، أشير إليه أيها الصَّبي وسأصنُع لك معطفاً من جلده».

- «لم يقل مَنْ يا سيّدي. قال فقط إنه ربِحَ النُّقود من لعب النرد»، وتردّد ولد فراي لحظةً، ثم تابع: «بعض رجال (الميناء الأبيض) كان يُعلّم النرد. لا أدري مَنْ، لكنهم هم».

بصوتٍ جهير قال هوستين فراي: «سيّدي، إننا نعرف الرَّجل الذي فعلها، الذي قتل هذا الصَّبي والآخرين. ليس بيده، لا، فهو أبدن وأجبن من أن يُقتل بيده، ولكن بأمره»، والنفت إلى وايمان ماندرلي سائلاً: «أتُنكر؟».

قضم سيّد (الميناء الأبيض) إصبعًا من السُّجق نصفين، وقال: «أعترف...»، ومسحَ الدُهْن عن شفّتيه بكُمّه مواصلاً: «أعترفُ بأنّي أعرِفُ القليل عن هذا الصَّبي المسكين. كان مُرافق اللورد رامزي، أليس كذلك؟ كم كان عُمره؟».

- «بلغَ التّاسعة في يوم ميلاده الأخير».

قال وايمان ماندرلي: «صغير للغاية. لكن لعلّها رحمة، فلو عاشَ لكبرٍ وصارَ من آل فراي».

رفع السير هوستين قدمه يركل سطح المائدة ويُسقطه من فوق حوامله على بطن اللورد وايمان المنتفخ. تطايرت الأكواب والأطباق، وتبعثر السُّجق في كلِّ مكان، وهبَّ رجال ماندرلي يقفون لاعين، والتقطَ بعضهم سكاكين أو أطباقًا أو أباريق، أيّ شيءٍ يصلح سلاحًا.

انتزع السير هوستين فراي سيفه من غمده ووثبَ نحو وايمان ماندرلي. حاولَ سيّد (الميناء الأبيض) أن يلتوي مبتعدًا، لكن سطح المائدة ثبّته إلى

مقعده، وبضع النَّصل ثلاثةً من ذقونه الأربعة نائراً دمه القاني اللّامع. صرخت الليدي والدا وقبضت على ذراع السيّد زوجها، وزعقَ روس بولتون: «كفى، كفى جنوناً!»، واندفعَ رجاله نحو الفوضى إذ قفزَ رجال ماندرلي من فوق الدّكّ ينقضُّون على رجال فراي. هاجمَ أحدهم السير هوستين بخنجر، لكن الفارس الكبير دارَ على عقبه وبتَرَ ذراع الرّجل من الكتف.

دفعَ اللورد وايمان نفسه إلى النهوض، فقط ليتهاوى أرضاً، وزعقَ اللورد لوك العجوز يطلّب مايستر فيما تشحّط ماندرلي على الأرض في بركةٍ تتسع من الدّم، وحوله تشاجرت الكلاب على السُّجق.

تطلب الفصل بين المتقاتلين ووضع نهايةٍ للاشتباك نحو أربعين من حاملي حِراب (معقل الخوف)، وقد انطرح ستّة من رجال (الميناء الأبيض) واثان من رجال فراي موتى على الأرض. أسفَرَ القتال عن دسّيةٍ من الجرحى أيضاً، وخلفَ صبي النّعل المسمّى لوتون يُحتضِر بجلبيةٍ منادياً أمّه وهو يُحاول أن يُعيد أحشائه اللّزجة إلى داخل بطنه المبقور، إلى أن أحرسه اللورد رامزي منتزعاً حربته من أحد رجال ذي السّاقين الفولاذ وعرسها في صدر لوتون. وعلى الرغم من ذلك ظلّ مزيج من الصّياح والدّعاء والسّباب يتردّد على عوارض السّقف، وارتفعَ صريخ الخيول المدعورة وزمجرة كلبات رامزي، فاضطرّ والتون ذو السّاقين الفولاذ إلى دقّ الأرض بكعب حربته عدّة مرّاتٍ قبل أن تهدأ القاعة بما فيه الكفاية لسماع روس بولتون.

قال سيّد (معقل الخوف): «أرى أنكم جميعاً تُريدون الدّم». إلى جواره وقفَ المايستر رودري بغدافٍ على ذراعه، يلتمع ريشه الأسود في ضوء المشاعل كالنّقط. أدرك ثيون أن الطائر مبتل. وفي يد حضرة اللورد ورقة. ستكون مبتلةً أيضاً. أجنحة سوداء، أخبار سوداء. تابع اللورد بولتون: «بدلاً من استخدام سيوف بعضنا ضد بعضٍ يُمكنكم تجربتها ضد اللورد ستانيس»، وبسطَ الرّقّ متبعاً: «جيشه يبعُد أقل من ثلاثة أيام من الرّكوب، محاصراً بالثلج ويتضوّر جوعاً، وعن نفسي سئمْتُ من انتظار وصوله. سير هوستين، احشد فرسانك وجنودك عند البوّابة الرّئيسة. ما دُمت متشوّقاً إلى المعركة فالضّربة الأولى لك. لورد وايمان، اجمع رجال (الميناء الأبيض) عند البوّابة الشّرقيّة. ستخرجون للقتال أيضاً».

كان سيف هوستين فراي أحمر حتى المقبض تقريباً، وقطرات الدّم تُبرِقش وجنتيه كالنّمش. خفّص سلاحه قائلاً: «كما يأمر سيّدِي، لكن بعد أن أتيك برأس ستانيس باراثيون فإنني أنوي أن أكمل قطع رأس اللورد خنزير». كان أربعة من فرسان (الميناء الأبيض) قد كوّنوا حلقةً حول اللورد وايمان فيما انحنى المايستر مدريك عليه مكافحاً لإيقاف النّزيف. تكلم أكبرهم سنّاً قائلاً: «عليك أولاً أن تشقّ طريقك بيننا أيها الفارس». الرّجل مسنّ أشيب اللّحية قاسي الملامح، على سُترته الطّويلة الملوّثة بالدّم ثلاث عرائس بحرٍ فضيّات على خلفيّة بنفسجيّة.

- «بكلّ سرور. فرادى أو جميعكم في آنٍ واحد، لا فرق».

هدرَ رامزي بولتون ملوّحاً بحربته الدّامية: «كفى! تهديد آخر وسأبقرُ بطونكم جميعاً بنفسِي. السيّد والدي قال كلمته! ادّخروا غضبكم للمدّعي ستانيس».

أوماً روروس بولتون برأسه مؤيِّداً، وقال: «كما يقول. سنجد وقتاً يكفي ليُقَاتِل بعضنا بعضاً حين نفرُغ من ستانيس»، وأدارَ رأسه وجاسَ بعينه الباهتتين الباردتين في القاعة حتى وجدنا الشّاعر إيبيل إلى جوار ثيون، فناداه: «أيها المغنيّ، تعالٍ وغنّ لنا شيئاً مهدّئاً».

انحنى إيبيل قائلاً: «أمر حضرة اللورد»، وماسكاً عوده توجّه متّنداً إلى المنصّة، وقفز برشاقةٍ من فوق جثّةٍ أو اثنتين، ثم جلسَ مربّعاً ساقيه فوق المائدة العالِيّة، وإذ شرعَ في غناءٍ أغنيّةٍ حزينة ناعمة (لم يتعرّفها ثيون جرايچوي) بدأ السير هوستين والسير إينس وأتباعهما من رجال فراي يقودون خيولهم من القاعة.

أطبقتَ روان على ذراع ثيون قائلةً: «الحمّام، حالاً».

قال منتزِعاً ذراعه من لمستها: «بالنّهار؟ سيروننا».

- «الثّلوج ستُخفيننا. أنت أصم؟ بولتون سيُرسل رجاله إلى القتال. يجب أن نبلُغ الملك ستانيس قبلهم».

- «لكن... إيبيل...».

غمغمت السّنجاية: «إيبيل يستطيع العناية بنفسه».

هذا جنون. خطّكن يائسة، حمقاء، مصيرها الفشل. أفرغَ ثيون ثُمالة

شرا به في جوفه ونهض على مضضٍ قائلاً لها: «جدي أخواتك. نحتاج إلى ماءٍ كثيرٍ لملء حوض سيديتي».

انسلت السنجابه مبتعدةً بخطواتٍ خافتة خفيفة كعادتها، وخرجت روان ثيون من القاعة. منذ وجدته في أيكة الآلهة تلازمه إحداهن في كل خطوةٍ ولا تتركه يُبارح ناظرها أبداً. واضح أنهم لا يثقن به. ولم يفعلن؟ كنت ريك من قبل وقد أعود ريك ثانيةً. ريك، ريك، على قافية شريك.

ما زال الثلج يسقط بالخارج، حيث تحوّل الرجال الثلجيون الذين بناهم المرافقون إلى عمالقة مشوهين يُناهزون الأقدام العشرة طولاً. ارتفعت حوائط بيضاء على جانبي ثيون وروان وهما يشقان طريقهما إلى أيكة الآلهة، وقد استحات الطرقات بين الحصون والبروج والقاعات إلى متاهةٍ من الخنادق الجليدية تُجرّف منها الثلوج كل ساعة. من السهل أن يضيع المرء في هذا التيه، إلا أن ثيون جرايچوي يعرف كل زاويةٍ ومنعطف.

حتى أيكة الآلهة بدأت تستحيل إلى الأبيض. تكوّنت طبقة من الصقيع على سطح البركة تحت شجرة القلوب، ونبت للوجه المنقوش على جذعها الشاحب شارب من كتل الجليد الصغيرة. في هذه الساعة لا أمل في أن يختليا بنفسيهما في الأيكة. سحبت روان ثيون بعيداً عن الشماليين المصلين للشجرة نحو بقعةٍ منزوية عند حائط الثكنات، إلى جوار بركةٍ من الطمي الدافئ رائحتها كالبيض المتعفن. رأى ثيون أن الجليد بدأ يتكوّن حول حواف الطمي نفسه، فغمغم: «الشتاء قادم...».

رمقته روان بقسوةٍ قائلةً: «لا يحقّ لك أن تُردّد كلمات اللورد إدارد، ليس أنت، إياك. بعد ما فعلت...».

- «أنتن أيضاً قتلتن صبيّاً».

- «لم يكن هذا عملنا، لقد أخبرتك».

- «الكلام هواء». لسن أفضل مني. إننا سواسية. «أنتن قتلتن الآخرين، فلمِ ليس هو أيضاً؟ القضيبي الأصفر...».

- «... كان كريبه الرائحة مثلك، رجلاً خنزيراً».

- «والدر الصغير كان خنزيراً صغيراً. قتله أدّى إلى إشهار رجال فراي وماندرلي خناجرهم في وجه بعضهم بعضاً. دهاء منكن. لقد...».

كررت بتصميم: «لم يكن عملنا»، وأطبقت على حلقه ودفعته ليرتطم ظهره بحائط الثكنات، وقالت وبين وجهها ووجهه بوصة: «قلها ثانيةً وسأقتلُ لسانك الكذاب من جذوره يا قاتل الأقرين».

ابتسم لتلوح أسنانه المكسورة، وقال: «لن تفعلي. إنكن محتاجات إلى لساني للمرور من الحُرَّاس، محتاجات إلى أكاذيبي».

بصقت روان في وجهه، ثم أفلتته ومسحت يديها المقفرتين على ساقها كأن مجرد لمسها دنسها.

يعلم ثيون أن عليه ألا يستفزها، فعلى طريقته الخاصة لا تقل هذه المرأة خطورةً عن السِّلَاح أو ديمون ارفُص-لي. لكنه بردان تعجب، ورأسه يدقُّ، ولم يغمض له جفن منذ أيام. «لقد فعلتُ أشياءً فظيعةً... خنتُ قومي وارتددتُ عنهم وأمرتُ بقتل رجالٍ وثقوا بي... لكنني لستُ قاتلِ أقرين».

- «لم يكن ابنا ستارك أخويك قَطُّ، نعم، نعرف».

هذا صحيح، لكنه ليس ما عناه ثيون. لم يكونا من دمي، لكنني لم أمسهما بأذى. اللذان قتلناهما كانا مجرد ابني طحَّان. لا يريد ثيون أن تذهب أفكاره إلى أمهما. لقد عرفَ زوجة الطحَّان لسنين، وضاجعها أيضًا. نهدان عامران ثقيلان بحلمتين داكنتين كبيرتين، ثغر عذب، ضحكة مرحة. مسرَّات لن أذوقها ثانيةً أبدًا.

لكن لا جدوى من إخبار روان بشيءٍ من هذا، فلن تُصدِّق إنكاره مثلما لا يُصدِّق إنكارها. قال بإعياء: «على يدي دماء حقًا، لكنها ليست دماء إخوة، ولقد عُوقبتُ».

ردَّت روان: «ليس كفايةً»، وأعطته ظهرها.

حمقاء. قد يكون مخلوقًا مكسورًا، لكن ثيون ما زال مسلحًا بخنجر، ولكان سهلًا أن يستلِّه ويُغمده بين لوحَي كتفيها. لم يزل قادرًا على هذا الرغم من أسنانه المكسورة والمفقودة. ولربما كانت رحمةً أيضًا، نهايةً أسرع وأنظف من التي ستنالها وأخواتها حين يقبض عليهن رامزي.

ربما كان ريك ليفعلها، ولفعلها حقًا على أمل إرضاء اللورد رامزي. هؤلاء العاهرات يسعين لاختطاف عروس رامزي، ولا يُمكن أن يسمح ريك بذلك... غير أن الآلهة القديمة عرفته ودعته بثيون. حديدي الميلاد،

كنتُ حديدي الميلاذ، ابن بالون جرايچوي ووريت (بايك) شرعاً. استحكته جَدعات أصابعه وارتعشت، لكنه أبقى خنجره في غمده. عادت السَّنْجَابَة ومعها الأربع الأخريات؛ ميرتل الشَّابَّة الهزيلة، وويلو عين السَّاحرة بصفيرتها السوداء الطَّويلة، وفرينيا ذات الخصر الغليظ والثديين العظيمين، وهولي بسكينها. ترتدي كلُّ منهن طبقاتٍ من الخيش الرَّمادي كالخدمات تحت معطف بنيةٍ من الصُّوف مبطنَةٌ بفرو الأرانب الأبيض. لا سيوف، لا فؤوس، لا مطارق، لا أسلحةٍ إلَّا السَّكاكين. يُثبَّت معطف هولي مشبك فضي، وتمنطق فرينيا بلفَّةٍ من جبال القنب حول وسطها من وركيها إلى ثدييها، وهو ما يجعلها تبدو أضخم مما هي بالفعل. ناولت ميرتل روان ثوب خدمات، ونبَّهتهم قائلةً: «السَّاحات تعجُّ بالحمقى. إنهم ينوون الخروج». علقت وويلو بنخير احتقار: «يا للرُّكع. قال سيدهم ومولاهم كلمته ويجب أن يُطيعوا».

قالت هولي بسعادة: «إنهم ذاهبون إلى حتفهم». ردَّ ثيون: «هم ونحن. حتى إذا تجاوزنا الحُرَّاس فكيف ستُخرِجن الليدي أرياً؟».

انفجرت شفتا هولي في ابتسامة، وقالت: «ستُ نساءٍ سيَدْخلن وستُ سيَخْرُجن. مَنْ يَنْظُرُ إلى الخدمات؟ سنُلبس ابنة ستارك ثياب السَّنْجَابَة». رمقُ ثيون السَّنْجَابَة مفكِّراً: لا فرق بينهما في الحجم تقريباً. قد يصلح هذا. «وكيف ستُخرِج السَّنْجَابَة؟».

أجابَت السَّنْجَابَة عن نفسها: «من النَّافذة وإلى أيكة الآلهة مباشرة. كنتُ في الثانية عشرة حين أخذني أخي للإغارة جنوب جداركم. هكذا حصلتُ على اسمي هذا. قال أخي إنني أبدو كسَّنْجَابَة تتسلق شجرةً. لقد تسلَّقت ذلك (الجدار) ستَّ مرَّاتٍ ذهاباً وإياباً، وأظنُّ أنني أستطيعُ نزول بُرجِ حجري». قالت روان: «سعيد أيها المارق؟ هيا بنا».

يحتل مطبخ (وينترفل) الفسيح مبنيً مستقلاً، على مسافةٍ لا بأس بها من قاعات وحصون القلعة الأساسيّة تحسُّباً للحرائق. بالدَّاخل تتبدلُ الرَّوائح على مدار السَّاعة، عطور دائمة التَّغيُّر من اللُّحوم المشويَّة والكُرَّاث والبصل

والخبز الطَّازج. كان روس بولتون قد وضع حراسةً علي باب المطبخ، ففي وجود كلِّ هذه الأفواه التي يجب إطعامها أصبحت كل حبة فُتات ثمينّة، وحتى الطَّهاة وعمّال المطبخ خاضعون لمراقبة لصيقة. على أن الحُرّاس يعرفون ريك، ومع أنهم يحبون الاستهزاء به عندما يأتي لأخذ الماء لحمام الليدي آريا فلا أحد منهم يجرؤ على التّمادي عن هذا، فمعروف أن ريك حيوان اللورد رامزي الأليف.

حين ظهرَ ثيون والخادِمات أعلنَ أحدهم: «أمير التّانة أتى يأخذ الماء السّاخن»، وفتحَ لهم الباب مضيقاً: «أسرعوا قبل أن يتسرّب الهواء الدّافئ الجميل».

بالدّاخل أمسكَ ثيون عامل مطبخ مارًا من ذراعه، وأخبره أمرًا: «ماء ساخن لسيدتي يا ولد. ستّة دلاء مليئة، واحرص على كونه ساخنًا. اللورد رامزي يُريدها متورّدة نظيفة».

قال الصّبي: «نعم يا سيّدي، فورًا يا سيّدي».

استغرقت «فورًا» وقتًا أطول مما يُفضّل ثيون. كانت الغلّيات الكبيرة كلّها متسخة، واضطرّ العامل إلى تنظيف إحداها أولاً قبل ملئها بالماء، وبعدها بدا أن الماء استغرقَ أبديةً حتى الغليان وأبديتين لملء ستّة دلاء خشبية. طوال كلّ هذا انتظرت نساء إيبيل وقد ظلّت قلنسواتهن وجوههن. يُسنّ التّصرّف تمامًا. الخادِمات الحقيقيّات يُداعين عاملي المطبخ ويتدلّكن على الطَّهاة ويتملّقنهم لأجل عيّنة من هذا أو قضمة من ذلك. لم تُردِ روان وأخواتها المتأمرات جذب الانتباه، لكن سرعان ما أفضى صمتهن الواجم إلى تلقيهن نظرات الاستعجاب من الحُرّاس، الذين سأل أحدهم ثيون: «أين مايزي وجز والأخريات؟ الفتيات المعتادات؟».

أجاب كاذبًا: «الليدي آريا غير راضية عنهن. المرّة السّابقة بردَ ماؤها قبل أن يصل إلى الحوض».

ملاً الماء السّاخن الهواء بسحاباتٍ من البخار مذيّبًا رقائق الثلج المتساقطة إذ مضت المجموعة عبر متاهة الخنادق المحوّطة بالجليد، مع كلّ خطوة يتناثر الماء من الدّلاء ويبرد قليلاً. وجدوا الممرّات مكتظةً بالعسكر، من فرسانٍ مدرّعين يرتدون الشّترات الصّوف والمعاطف الفرو، إلى جنودٍ على

أكتافهم الحِراب ورُماة يحملون أقواسًا مرخية الأوتار وحزمًا من السَّهام، إلى مُحاربين غير نظاميين وسائسين يقودون الجياد الحربية. يضع رجال فراي شارة البُرجين، ورجال (الميناء الأبيض) شارة عريس البحر والرُّمَح ثلاثي الشُّعب، وقد خاض هؤلاء وأولئك في العاصفة في اتِّجاهين متعارضين متبادلين النظرات الحذرة، لكن لا سيوف استُلت، ليس هنا. قد يختلف الأمر في الغابة بالخارج.

على باب (الحصن الكبير) يقف نصف دستة من رجال (معقل الخوف) حراسةً، ولَمَّا رأى رقيبهم دلاء الماء الساخن قال: «حمَّام لعين آخر؟». كانت يده مَدسوستين تحت إبطيه وقايةً من البرد. «كم يُمكن أن تَسْخ امرأة واحدة في سريرها؟».

تذكَّر ثيون ليلة الزَّفاف والأشياء التي أُجبرَ وحين على فعلها، وأجاب الرَّجل في قرارة نفسه: تَسْخ أكثر مما تحسب حين تُشَارِك رامزي ذلك السَّرير. «إنه أمر اللورد رامزي».

قال الرَّقيب: «ادخلوا إذن قبل أن يتجمد الماء»، ودفع اثنان من الحرس مصراعِي الباب.

وجدوا المدخل أقرب برودةً إلى الهواء بالخارج. نفصت هولي القليل من الثلج عن حذائها ركلاً، وأنزلت قلنسوتها قائلةً: «حسبتُ الأمر سيكون أصعب»، لتتحول أنفاسها إلى صقيع في الهواء.

- «هناك المزيد من الحرس بالأعلى عند غُرْفة نوم سيدي، رجال رامزي». لا يجرؤ على دعوتهم بصبيان النُّغل هنا. لا أحد يدري من عساه يتنصت. «اخفضن رؤوسكن وارفعن قلنسواتكن».

قالت روان: «افعلي كما يقول يا هولي. قد يتعرَّف بعضهم وجهك، ولسنا نُريد متاعب».

قاد ثيون الطَّرِيق إلى أعلي. صعدتُ هذه السَّلالم ألف مرَّة من قبل. في صباه تعود الصُّعود جرياً والنزول وثوباً ثلاث درجات في المرَّة. في إحدى تلك المرَّات ارتطم بالعجوز نان مباشرةً وطرحها أرضاً، لينال بعدها أسوأ ضرب تلقاه في (ويينترفل) على الإطلاق، وإن كان أقرب إلى الرِّقَّة مقارنةً بالضرب المبرِّح الذي اعتاده من أخويه في (بايك). على هذه السَّلالم خاصَّ

ضد روب عديد المعارك البطوليَّة بسيفيهما الخشبيَّين، وهو ما يعدُّ تدريبًا جيّدًا، إذ علّمهما بنجاح صعوبة أن يُقاتِل المرء صاعدًا سلاّم حلزونيَّةً ضد مقاومةٍ راسخة. أحبَّ ألسير رودريك أن يقول إن رجلًا واحدًا قويًّا يستطيع أن يصدَّ مئةً يُهاجمونه من أسفل.

لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل. كلُّهم موتى الآن. چوري، والسير رودريك العجوز، واللورد إدارد، وهاروين وهالن، وكاين ودزموند وتوم السّمين، وآلن بأحلامه عن الفُروسيَّة، وميكن الذي أعطاه سيفه الحقيقي الأول، وحتى العجوز نان على الأرجح.

وروب، روب الذي كان لثيون أخًا أكثر من أيِّ ولدٍ أنجبَه بالون جرايچوي من صُلبه. اغتيل في الزَّفاف الأحمر، ذبحه آل فراي. كان يجب أن أكون معه. أين كنتُ؟ كان يجب أن أموت معه.

توقّف ثيون بعتةً حتى إن ويلو كادت تصطدم بظَّهره. أمامه بابُ عُرفة نوم رامزي، يحرّسه اثنان من صبيان النُّغل، آلن الفظ وجرونت.

أخبرَهما ثيون: «معي ماء ساخن لليدي آريا».

قال آلن الفظ: «حاول أن تستحمَّ يا ريك. رائحتك كبول الخيول».

زمجر جرونت مؤيِّدًا، أو ربما كان الصَّوت الذي أصدره ضحكةً. على أن آلن فتح رتاج الباب، وأشار ثيون للنِّساء بالدُّخول.

لم يطلع نهار داخل هذه العُرفة. كلُّ شيءٍ مسربل بالظلال. بين الجذوات المحتضرة في المستوقد تُطقطق قطعة أخيرة من الحطب، وإلى جوار الفِراش الخالي تتذبذب شمعة وحيدة على المنضدة. فكَّر ثيون: رحلت الفتاة، أَلقت نفسها من النَّافذة يأسًا. لكن النَّوافذ مغلقة في وجه العاصفة وموصدة بقشور الثلج المذروُّ والصَّقيع. سألت هولبي: «أين هي؟». أفرغت أخواتها الدِّلاء في الحوض الخشبي المستدير الكبير، وأغلقت فرنيبا باب العُرفة وأسندت ظَهرها إليه، وعادت هولبي تسأل بإصرار: «أين هي؟».

بالخارج دوى بوق. بوق نُحاسي. جنود فراي يحتشدون استعدادًا للمعركة. أحسَّ ثيون بحكَّة في أصابعه المفقودة.

ثم إنه رآها رابضةً في أحلك أركان العُرفة ظلامًا، متكورَّة علي الأرض تحت كومةٍ من فراء الدُّناب. ربما لم يكن ثيون ليلمحها لولا الطريقة التي

ترتجف بها. كانت چين قد سحبت الأغطية على نفسها لتختبئ. منا؟ أم أنها كانت تتوقع السيد زوجها؟ مجرد فكرة أن رامزي قد يأتي جعله يُريد الانفجار صارخاً. قال ثيون: «سيدتي». لم يستطع أن يجعل نفسه يُناديها بأريا ولم يجرؤ على دعوتها بچين. «لا داعي للاختباء. إنهن صديقات».

تحركت الأغطية، وظهرت عين تبرق فيها الدُموع. داكنة، داكنة جداً، عين بنية. «ثيون؟».

دنت روان قائلة: «ليدي آريا، يجب أن تأتي معنا وبسرعة. لقد أتينا نأخذك إلى أحيك».

برز وجه الفتاة من تحت الفراء، وقالت: «أخي؟ إنني... ليس لي إخوة». نسيّت من هي، نسيّت اسمها. قال ثيون: «صحيح، لكن كان لك من قبل، ثلاثة، روب وبران وريكون».

- «لقد ماتوا. ليس لي إخوة الآن».

قالت روان: «لك أخ غير شقيق، اللورد غراب».

- «چون سنو؟».

- «سنأخذك إليه، لكن يجب أن تأتي في الحال».

سحبت چين الأغطية إلى ذقنها قائلة: «لا. هذه خدعة. إنه هو، إنه... سيدي، سيدي الجميل، هو أرسلكم، هذا مجرد اختبار ليتأكد من أنني أحبه. إنني أحبه، أحبه حقاً، بكل جوارحي»، وسالت عبرة على وجنتها إذ واصلت: «أخبروه، أخبروه. سأفعل ما يُريد... أياً كان... معه أو... أو مع الكلاب أو... أرجوكم... لا داعي لأن يقطع قدمي. لن أحاول الهرب أبداً. سأمنحه أبناءً، أقسم، أقسم...».

أصدرت روان صفيراً خافتاً، وقالت: «عليه لعنة الآلهة».

منتحبة قالت چين: «أنا فتاة سالحة. لقد درّبوني».

قالت ويلو عابسة: «فليوقف أحد بُكاءها. ذلك الحارس كان أحرص لا

أصم. سيسمعان».

ظهر سكين هولبي في يدها، وقالت: «أنهضها أيها المارق، أنهضها وإلا فعلتها أنا. يجب أن نذهب! أنهض المومس الصّغيرة وشجعها بأي شكل». سألت روان: «وإذا صرخت؟».

كلُّنا أموات إذن. قلتُ لهم إنها حماقة ولم يسمعني أحد. حكَمَ عليهم إيبيل بالهلاك. كل المغنِّين أنصاف مجانين. في الأغاني يُنقذ البطل العذراء من قلعة الوحش دومًا، لكن الحياة ليست أغنيَّةً، وحين ليست آريا ستارك. لو ن عينها خطأ، ولا أبطال هنا، بل عاهرات فقط. وعلى الرغم من هذا ركع إلى جوارها وأنزل الأغطية ومسَّ خدَّها قائلاً: «أنتِ تعرفيني. أنا ثيون. تذكُريني. وأنا أيضًا أعرفك، أعرف اسمك».

هزَّت رأسها، وقالت: «اسمي؟ اسمي... إنه...».

وضع إصبعه على شفرتها مقاطعًا: «لتكلم عن هذا لاحقًا. يجب أن تلوذي بالصمت الآن. تعالي معي، معنا. سنأخذك بعيدًا عن هنا، بعيدًا عنه».

أُتسعت عيناها، وهمست: «أرجوك، أوه، أرجوك».

عانق ثيون يدها بيده، ودغدغته جدعات أصابعه المفقودة إذ سحب الفتاة لتنهض. سقطت عنها فراء الدُّثاب، وتحتها كانت عارية، ورأى ثديها الصَّغيرين الشَّاحبين مغطَّيين بأثار الأسنان. سمع إحدى النساء تشهق، وألقت رومان كومةً من الثياب بين يديه قائلةً: «ألبسها. البرد قارس بالخارج». كانت السَّنجابة قد تجرَّدت من ثيابها كلَّها إلا الدَّاخليَّة، وتُنقَّب في صندوق منقوش من خشب الأرز عن شيءٍ أثقل ترتديه، وفي النهاية استقرَّت على إحدى سُترات اللورد رامزي المبطنَّة وسراويل بالية خفقت حول ساقها كشراع سفينةٍ في عاصفة.

بمساعدة رومان ألبس ثيون چين پوول ثياب السَّنجابة مفكرًا: إذا تكرَّمت الآلهة وأعمت الحُرَّاس فقد تمرُّ دون أن يتعرَّفها أحد. أخبر الفتاة: «والآن سنخرُج وننزل السَّلالم. اخفضي رأسك وارفعي قلنسوتك. اتبعي هولي. لا تجري ولا تبكي ولا تتكلمي ولا تنظري إلى أحدٍ في عينه».

قالت چين: «ابقَ قريبًا مني، لا تترُكني».

وعدها ثيون فيما دخلت السَّنجابة فراش الليدي آريا وسحبت الأغطية على نفسها: «سأكونُ إلى جوارك مباشرةً».

فتحت فرينيا باب غرفة النُّوم، وإذ خرجوا سأل آلن الفظ: «هل حممتها جيِّدًا يا ريك؟»، واعتصر جرونت ثدي ويلو لدى مرورها. كانوا محظوظين

باختياره، فلو فعلَ هذا مع چين لصرخت، ثم كانت هولي لتشقَّ حلقه بالسكِّين
المخبأً في كُمِّها. أمّا ويلو فتملصت ببساطةٍ وتجاوزته.
وللحظةٍ أفعمَّ ثيون إحساس أقرب إلى الحبور. لم يُلقيا ولو نظرةً، لم يريا.
الفتاة مرّت بهما مباشرةً!

على أن الخوف عادَ على السَّلام. ماذا لو قابلوا السَّلاخ أو ديمون ارقص -
لي أو والتون ذا السَّاقين الفولاذي؟ أو رامزي نفسه؟ لتنفذني الآلهة، ليس
رامزي، أي أحد غيره. ما الفائدة من تهريب الفتاة إلى خارج غُرْفَة نومها؟ ما
زالوا داخل قلعةٍ جميع بواباتها مغلقة ومزلجة وشرفاتها تعج بالنواطير. على
الأرجح سيوقفهم الحرس خارج الحصن، ولن يُجدي سكِّين هولي الصَّغير
نفعاً في مواجهة ستّة رجالٍ يرتدون الحلقات المعدنيّة ويحملون السيوف
والحراب.

لكن الحرس بالخارج كانوا جاثمين عند الباب وقد أداروا ظهورهم للريح
الجليديّة والثَّلج المذرو، وحتى الرقيب لم يُعطيهم أكثر من نظرةٍ عابرة. شعر
ثيون بطعنةٍ من الشَّفقة عليه هو ورجاله. سيسلخهم رامزي جميعاً حينما يعلم
أن عروسه هربت، ولا يحتمل ثيون مجرد التّفكير في ما سيفعله بجرونت
وألن الفظ.

قبل أقل من عشر ياردات من الباب أفلتت روان دلوها الفارغ وحذت
أخواتها حذوها. كان (الحصن الكبير) قد غابَ عن الأنظار وراءهم بالفعل،
والسَّاحة صحراء بيضاء ملأى بأصواتٍ شبه مسموعة تتردّد أصدائها الغريبة
في خضمّ العاصفة. من حولهم ارتفعت الخنادق الجليديّة حتى الرُّكبة ثم حتى
الخصر ثم أعلى من رؤوسهم، كأنهم ضائعون في (أرض الشتاء السَّرمدي)
على بُعد ألف فرسخ وراء (الجدار).

قالت چين پوول متأوّهةً وهي تمضي متعثّرةً إلى جوار ثيون: «البرد
شديد».

وقريباً سيغدو أشد. وراء أسوار القلعة ينتظر الشتاء بأسنانه الجليديّة. هذا
إذا تجاوزناها. حين بلغوا بقعةً تتقاطع عندها ثلاثة خنادق قال: «من هنا».
قالت روان: «فرينيا، هولي، اذهبا معهما. سنلحق بكم مع إيبيل. لا

تنتظرونا»، ثم دارت وخاصت في الثلوج صوب القاعة الكبرى، وأسرعت ويلو وميرتل في أعقابها ومعافهن تُرفرف بقوة في الريح.

فكر ثيون جرايچوي: جنون مطبق. بدا الهروب مستبعداً في وجود نسوة إيبيل الست دُفعةً واحدةً، والآن في وجود اثنتين فقط يبدو مستحيلًا. لكنهم تمادوا كثيرًا بالفعل ولا يستطيعون إعادة الفتاة إلى عُرفة نومها متظاهرين بأن شيئاً لم يكن، وهكذا بدلاً من ذلك أمسك چين من ذراعها وجذبها عبر الممر المفضي إلى (بوابة الشرفات). نصف بوابة فقط. حتى إذا تركنا الحرس نمرًا فلا سبيل لاجتياز السور الخارجي. في ليالٍ أخرى سمح الحرس لثيون بالمرور، لكنه كان بمفرده كل مرة، أمّا في صُحبة ثلاث خادماٍ فلن يمرّ بالسّهولة نفسها، وإذا نظر الحرس تحت قلنسوة چين وتعرّفوا عروس اللورد رامزي...

انعطف الممر يسارًا، وهناك أمامهم، خلف ستار من الثلج الساقط، تَفْعُر (بوابة الشرفات) فaha بين زوجين من الحُرّاس يُسبّهان الدببة بما يرتديان من صوفٍ وفروٍ وجلد، ويُمسك كل منهما حربّة طولها ثمانية أقدام. نادى أحدهما: «من هناك؟»، فلم يتعرّف ثيون الصّوت. معظم ملامح الرّجل يُخفيها الوشاح المحيط بوجهه، ولا يظهر منه إلّا العينان. «ريك، أهذا أنت؟». كانت نيّته أن يقول: نعم، لكنه سمع نفسه يردّ: «ثيون جرايچوي. لقد...

لقد جلبت لكما بعض النّساء».

قالت هولبي: «مؤكّد أنكما متجمّدان أيها المسكينان. دَعني أدفّئك»، وتجاوزت رأس حربّة الرّجل ومدّت يدها إلى وجهه خالعةً الوشاح شبه المتجمّد لتطبع قُبلةً على فمه، وإذ تماست شفاههما انغرس نصل سكينها في لحم عنقه تحت أذنه مباشرةً. رأى ثيون عيني الرّجل تتسعان، ودما على شفّتي هولبي عندما تراجعت، ودمه يقطر من فمه وهو يسقط.

كان الحارس الثّاني لا يزال يُحمَلق بارتباكٍ حين أطبقت فرينيا على قناة حربته. تصارعاً لحظةً إلى أن انتزعت المرأة السّلاح من قبضته وضربته بالكعب على صُدغه، وبينما تراجع إلى الوراء متعثراً دوّرت الحربة وأغمدت رأسها في بطنه مطلقةً صوتًا كقباع الخنازير.

وأطلقتَ چين پوول صرخةً حادةً مدويةً.

قالت هولبي: «أوه، تبا. مؤكّد أن الرُّكع سيأتون حالاً. اركضوا!».

وضَعَ ثيون يداً على فم چين والأخرى على خصرها وسحبها متجاوزاً الحارس الميت والحارس المحتضر واجتازَ بها البوابة ثم العندق المتجلد. وربما كانت الآلهة القديمة ما زالت تحرسهم، إذ وجدوا الجسر المتحرك منزلاً للسماح للمدافعين عن (وينترفل) بعبورٍ أسرع إلى الشرفات الخارجية ومنها. من ورائهم سمعوا إنذاراً وخطوات أقدامٍ تعدو، ثم نفخةً في بوقٍ من متاريس الشور الداخلي.

وعلى الجسر المتحرك توقفت فرينيا ودارت قائلةً: «اذهبوا. سأصدُّ الرُّكع

هنا».

كان ثيون يترنح لدى بلوغهم قدم السّلام. ألقى الفتاة على كتفه وبدأ يتسلق، وكانت چين قد كفت عن المقاومة، بالإضافة إلى حجمها الصغير... لكن السّلام زلقة من الجليد تحت الثلج الناعم كالمسحوق، وفي منتصف الطريق إلى أعلى زلت قدمه وهوى بقوة على ركبته. اجتاحه ألمٌ بليغ كاد يجعله يسقط الفتاة، ولنصف لحظةٍ خشي أنه بلغ آخر المشوار، إلا أن هولبي ساعدته على النهوض، وتعاون الاثنان على الصعود بچين إلى الشرفة أخيراً. بينما استند ثيون إلى شُرَافةٍ لاهثاً ترمى إلى مسامعه الصياح من أسفل، حيث تُقاتل فرينيا نصف دستةٍ من الحرس في الثلج. زعق في هولبي: «من أين؟ أين نذهب الآن؟ كيف نخرج؟!».

تحولت الثورة على وجه هولبي إلى رُعب، وقالت: «أوه، فلتحل بي اللعنة. الحبل»، وأطلقت ضحكةً كالمخابيل مضيئةً: «الحبل مع فرينيا!». ثم إنها أتت وأمسكت بطنها حيث نبت سهم من معدتها، وحين أطبقت عليه بيديها تسرب الدم من بين أصابعها. «رُكع على الشور الداخلي...». قالتها وشهقت قبل أن يظهر سهم آخر بين ثدييها. مدّت هولبي يدها إلى أقرب شُرَافةٍ وسقطت، ودفنها الثلج الذي أسقطته بصوتٍ مكتوم.

ارتفع الصياح من يسارهما، وحدقت چين پوول إلى هولبي بالأسفل إذ اصطبغ الدثار الثلجي الذي يغطيها بالحمرة. علم ثيون أن رامي الشُّبابية يُعيد

التَّلقِيمَ بالفعل، ونظرَ إلى يمينه لكنه رأى رجالاً قادمين من هذا الاتجاه أيضاً،
يهرعون نحوهما شاهرين السُّيوف.
بعيداً إلى الشَّمال سمعَ بوقاً حربياً، ففكَّر بضراوة: ستانيس، ستانيس أملنا
الوحيد إن استطعنا بلوغه. كانت الرِّيح تعوي، وهو الفتاة بين شِقِّي الرِّحى.
رنَّ وتر النُّشَابِيَّة، ومرَّ السَّهم على بُعد قدمٍ واحدٍ منه محطَّماً قشرة الثلج
التي تسدُّ أقرب ثُلمة.
لا أثر لإيبيل أو روان أو السَّنْجَابَة أو الأخریات. هو والفتاة وحدهما. إذا
قبضوا علينا حينئذٍ فسيأخذوننا إلى رامزي.
وأمسكْ ثيون حين من خصرها وقفزَ.



دنيرس

زُرقة السَّماء معدومة الرَّحمة، بلا سحابةٍ واحدةٍ على مدى البصر. سرعان ما ستلْفح الشَّمس القرميد بلهيبها، وعلى الرَّمال سيَشعُر المُقاتلون بالحرارة تنفذ من نعال صنادلهم.

خلعتَ چيڭكوي معطف النَّوم الحرير عن كتفي داني، وساعدتها إيري على النزول إلى بركة الاستحمام، حيث يتلأل ضوء الشَّمس المشرقة على صفحة المياه، يتخلله ظلُّ شجرة التَّين الكاكي. بينما تغسل شعرها سألت ميسانداي الملكة: «إذا كان فتح الحلبات حتمياً فهل يجب أن تذهب صاحبة الجلالة بنفسها؟».

- «نصف أهل (ميرين) سيكونون هناك لرؤيتي يا ذات القلب الرقيق».
قالت ميسانداي: «جلالة الملكة، هذه الواحدة تلتمس الإذن في أن تقول إن نصف أهل (ميرين) سيكونون هناك لمشاهدة المُقاتلين ينزفون ويموتون».
ليست مخطئةً، لكن لا يهمُّ.

عندما نظفت داني تماماً بعد قليل نهضت نائرة الماء بنعومة ليسيل على ساقها ويلتصق كحبات الخرز على ثدييها. الشَّمس ترتفع في السَّماء بالفعل، ولن يطول الوقت قبل أن يحتشد قومها. تُؤثر حقاً لو بقيت تسبح في البركة العطرة طوال النَّهار، تأكل الفواكه المثلجة من أطباق فضة وتحلم بمنزلٍ بابه أحمر، لكن الملكة تنتمي إلى شعبها لا إلى نفسها.

جلبتَ چيڭكوي منشفةً ناعمةً تُجففها بها، وسألتها إيري: «گاليسي، أيُّ توڭار تُريدين اليوم؟».

- «الحريري الأصفر». لا يُمكن أن تُرى ملكة الأرانب دون أذنيها

الرَّخوتين. التوكار الحرير الأصفر خفيف فاتر، والحرارة ستكون صاليةً في الحلبة. ستحرق الرمال الحمراء نعال من يُشارفون حتفهم. «وفوقه البرقع الأحمر الطويل». سيحول البرقع دون أن تذرو الرياح الرمل في فمها. والأحمر سيخفي الدماء المنثورة.

فيما مشطت چيكوي شعر الملكة وطلت إيري أظفارها انهمكتنا في ثرثرة سعيدة عن مباريات اليوم، وعادت ميسانداي قائلة: «صاحبة الجلالة، الملك يطلب منك الانضمام إليه بعدما ترتدين ثيابك. والأمير كويتن أتى مع رجليه الدوريتين. يستأذنون في الكلام معك بعد رضاك». قليل اليوم سيرضيني. «يومًا آخر».

انتظرهم السير باريستان في قاعدة (الهرم الأكبر) إلى جوار هودج مفتوح منمق الزخارف يُحيط به رجال الوحوش النحاس. جدِّي الفارس. على الرغم من سنه المتقدمة يبدو وسيماً مشدود القامة في الدرع التي أهدتها إليه. بينما ذهب هيزدار يُحيي ابن عمه قال الفارس العجوز: «كان ليُريحني أكثر أن يُحيط بك حرس من المُطهرين اليوم يا جلالة الملكة. نصف هؤلاء الوحوش النحاس معتقون لم يُختبروا»، وأحجم عن إضافة: والنصف الآخر ميرينزيون مشكوك في ولائهم. يرتاب سلمى في الميرينزيين أجمع، بمن فيهم الرؤوس الحليقة.

- «وسيقون بلا اختبار إلى أن نختبرهم».

- «الأقنعة تُخفي أشياء كثيرة يا صاحبة الجلالة. هذا الرجل وراء قناع البومة، أهو البومة نفسها التي حرسك أمس وأول من أمس؟ كيف نعلم؟». قالت داني: «كيف تثق (ميرين) بالوحوش النحاس إذا لم أثق بهم؟ هناك رجال صالحون شجعان تحت هذه الأقنعة. إنني أضع حياتي في أيديهم»، وابتسمت له مردفة: «تقلق كثيرًا أيها الفارس. أنت ستكون إلى جوارى، فما حاجتي إلى حماية أخرى؟».

- «أنا رجل عجوز واحد يا جلالة الملكة».

- «بلواس القوي سيكون معي أيضًا».

قال السير باريستان: «كما تقولين»، وخفض نبرته مستطردًا: «جلالة الملكة، لقد أفرجنا عن تلك المرأة ميريس كما أمرت. قبل ذهابها طلبت أن تتكلم

معك، لكنني قابلتها بنفسي. ادّعت أن المسمّى أمير الأسمال كان ينوي أن ينشقّ بالمذروين ويؤازر قضيتك من البداية، إنه أرسلها إلي هنا لتتعامل معك سرّاً، لكن الدورنيين خانوهم وفضحوهم قبل أن تُحاول التّواصل معك بنفسها». فكرت الملكة يارهاق: خيانة على خيانة. أما لها من آخر؟ «كم من هذا تُصدّق أيها الفارس؟».

- «أقل القليل يا صاحبة الجلالة، لكن هذا كلامها».

- «هل سينقلبون إلينا إذا دعت الحاجة؟».

- «تقول إنهم سيفعلون، لكن مقابل ثمن».

- «ادفعه». (ميرين) محتاجة إلى الحديد وليس الذهب.

- «أمير الأسمال سيُريد ما هو أكثر من المال يا جلالة الملكة. ميريس تقول إنه يُريد (پنتوس)».

زرّت عينيها قائلةً: «(پنتوس)؟ وكيف أعطيه (پنتوس)؟ إن بيننا وبينها نصف العالم».

- «تلك المرأة ميريس لمّحت إلى أنه مستعدٌّ للانتظار حتى نبدأ الرّحلة إلى (وستروس)».

وإذا لم أرحل إلى (وستروس) أبداً؟ «(پنتوس) تنتمي إلى البهتوشيين، والماچستر إيريوي في (پنتوس)، الرّجل الذي ربّت زوجي بالگال دروجو وأهدى إليّ بيضات التّنانين، الذي أرسلك إليّ أنت وبلواس وجروليو. إنني مدينة له بالكثير، وقطعاً لن أردّ ذلك الدّين بإعطاء مدينته لمرتزق. لا».

حتى السير بارستان رأسه، وقال: «صاحبة الجلالة حكيمة».

حين عادت تنضمُّ إليه سألتها هيزدار: «أشهدت مثيلاً لهذا النّهار الميمون من قبل يا حبيبتى؟»، وساعد داني على ركوب الهودج، حيث يستقرُّ عرشان طويلان جنباً إلى جنب.

- «ميمون بالنّسبة إليك ربما، وليس بالنّسبة إلى من سيُدركهم الموت قبل أن تغرب الشّمس».

قال هيزدار: «كلّ البشر يُدركهم الموت، لكن ليس مصيرهم جميعاً أن يموتوا ميتةً مجيدةً وهتافات المدينة ترن في آذانهم»، ورفع يده للجنود على الباب قائلاً: «افتحوا».

السَّاحَة المقابلة لهرمها معبَّدة بالقرميد متعدّد الألوان، وقد ارتفعت منه الحرارة في موجاتٍ برّاقة. أعداد النَّاسِ غفيرة، بعضهم يركب النِّقالات أو الكراسي المحمولة وبعضهم يركب الحمير، وأكثرهم يمشي، يمضي تسعة من كلِّ عشرةٍ منهم غرباً في الطَّرِيق القرميدي العريض نحو (حلبة دازناك). عندما لمحوا الهودج يَخْرُج من الهرم رفعَ أقربهم عقائرهم بهتافٍ سرعان ما استشرى في أرجاء السَّاحَة. عجباً! يَهْلُلون لي في السَّاحَة نفسها التي خوزقتُ فيها مئةً وثلاثة وستين من الأسياد العظام.

قادت طبلة عظيمة الموكب الملكي لإخلاء الطَّرِيق عبر الشَّوارع، وبين كلِّ دفتين زعق حاجب من الرُّؤوس الحليقة يرتدي قميصاً من الأقراص النحاس المصقولة أمراً المتزاحمين بإفساح الطَّرِيق. بووم. «إنهما قادمان!». «أفسحوا الطَّرِيق!». بووم. «الملكة!». بووم. «الملك!». بووم. وراء الطبلة مضي رجال الوحوش النحاس أربعةً أربعةً، يحمل بعضهم الهراوات وبعضهم النبايت، ويتعلون جميعاً الصَّنادل الجلد ويرتدون التناير ذات الثنيات والمعاطف المفصَّلة من مربَّعات القماش مختلفة الألوان لمحاكاة قرميد (ميرين)، وتتألق أفنعتهم في الشَّمس؛ خنازير برّية وثيران، وصقور وبلشونات، وأسود ونمور ودبية، وبازيليسقات⁽¹⁾ بشعة الخلقه وحيات مشقوقة الألسنة.

لا يحبُّ بلواس القوي الخيول، ولذا سارَ أمامهما بصدْرته المطعَّمة بالحديد وبطنه البني النَّديب يترجرج مع كلِّ خطوة، وتبعتهما چيكنوي وإيري مع آجو وراكارو، ثم رزناك على كرسيٍّ محمول مزخرف مزوّد بمظلةٍ تقيه من أشعة الشَّمس. إلى جانب داني ركب السير بارستان سلمي بدرع تبرق في الشَّمس، ينسدل من على كتفيه معطف طويل مبيّض حتى صارَ بياض العظم، وعلى ساعده الأيسر تُرس أبيض كبير، وعلى مسافةٍ أبعد وراءهم ركب الأمير الدورني كويتنن مارتل ورفيقاه.

مضى الموكب ببطءٍ في الشَّارع القرميدي الكبير. بووم. «إنهما قادمان!». بووم. «ملكتنا وملكنا!». بووم. «أفسحوا الطَّرِيق!». بووم.

(1) البازيليسق مخلوق زاحف أسطوري، يتميز بالقدرة على القتل بسُمِّه الرُّعاف، ويُقال إنه ملك الأفاعي. (المترجم).

تناهى إلى أذني داني نقاش وصيفتها من ورائها وجدلها حول الفائز في المباراة الأخيرة. تتحيزُ چيخوي إلى العملاق المسَمَّى جو جهور الجبَّار الذي يبدو أقرب إلى ثورٍ من رجل، بما في ذلك الحلقة البرونز في أنفه، وتجزم إيري بأن مدراس⁽¹⁾ يبلاكو كاسير العظام سيفتك فتكًا بالجبَّار. وصيفتاي من الدوثراكي. الموت يركب مع كلِّ كَلاسار. يوم زواجها بالكال دروجو ومضت الأراخات في احتفال زفافها ومات بعضهم فيما شرب آخرون وتجمَعوا. يمشي الموت والحياة جنبًا إلى جنب بين سادة الخيول، الذين يعتقدون أن رشةً من الدَّم تُبارك الزَّواج. قريبًا ستغمر الدَّماء زيجتها الجديدة، ولكم ستكون مباركةً.

بووم بووم بووم بووم بووم بووم. تسارعت دقات الطُّبلة وقد انتابها فجأة الغضب والتَّبْرُم، وامتشق السير باريستان سيفه إذ توقَّف الموكب دون سابق إنذار بين هرم پال الوردِي والأبيض وهرم ناكان الأخضر والأسود. التفتت داني متسائلة: «لماذا توقفنا؟». نهض هيزدار قائلاً: «الطريق مسدود».

في الشَّارع بالعرض أمامهم هودج مقلوب، سقط أحد حامليه على القرميد مغشياً عليه من شدة الحرِّ. قالت داني امرأة: «ساعده. أبعدوه عن قارعة الطريق قبل أن يُداس وأعطوه طعامًا وماءً. الرَّجل يبدو كأنه لم يأكل منذ أسبوعين».

في الشرفات كانت وجوه الجيسكارين ظاهرةً تتفرَّج بأعين باردة لا لمحة فيها للتعاطف. تلفت السير باريستان بتوتُّرٍ يميناً وشمالاً، وقال: «جلالة الملكة، هذه الوقفة لا تُعجبني. قد يكون هذا فخاً ما. أبناء الهاربي...».

قاطعَه هيزدار زو لوراكا: «... رُوِّضوا. لِمَ قد يبتغون أذيةً مليكتي بعد أن اتَّخذتني ملكًا وزوجًا؟ والآن ساعد هذا الرَّجل كما أمرت مليكتي الجميلة»، وأمسك يد داني وابتسم.

(1) المدراس أداة يدويَّة قديمة كانت تُستخدم في درس الحبوب الغلال الصَّغيرة، له مقبض خشبي طويل يربطه شريط من الجلد بالمدق، واستُخدِم كسلاحٍ أيضًا، مقبضه من المعدن تربطه سلسلة بكرة شائكة من الحديد. (المُترجم).

لَبَّى الوحوش النُّحاس الأمر، وفيما شاهدتهم داني يُؤدُّون التَّكليف قالت: «هؤلاء الحاملون كانوا عبيدًا قبل مجيئي. لقد حرَّرتهم، لكن وزن هذا الهودج لم يخفَّ».

قال هيزدار: «حقيقي، لكن هؤلاء الرِّجال يتلقُّون أجرًا نظير حملة الآن. قبل مجيئك كان هذا الرِّجل الذي سقط ليجد مُشرَّفًا واقفًا فوقه يُجرِّد ظهره من الجِلد بالكُرباج، وبدلًا من ذلك يتلقَّى الإسعاف».

ما يقوله صحيح. رأت الملكة وحشًا نُحاسيًا بقناع خنزيرٍ برِّي يُقدِّم لحامل الهودج قربة ماء، وقالت: «أظنُّ أن عليَّ أن أكون ممتنَّةً للانتصارات الصَّغيرة». - «خُطوة واحدة ثم التَّالية وقريبًا سنركُض ركضًا. معًا سنُسيِّد (ميرين) جديدةً». كان الشَّارع قد خلا أخيرًا فقال هيزدار: «هل نواصل طريقنا؟».

وهل بإمكانها إلا الإيماء إيجابًا؟ خُطوة واحدة ثم التَّالية، ولكن إلى أين أنا ذاهبة؟

عند بَوَّابة (حلبة دازناك) يرتفع مُحاربان برونزيَّان شاهقان مشتبكَيْن في قتالٍ مميت، يحمل أحدهما سيفًا والثَّاني فأسًا، وقد صوَّرها المِثال في وضعٍ يقتل فيه كلاهما الآخر، فيكوِّن سلاهما وجسداهما قطرةً بالأعلى. الفنُّ المميت.

سبقت لها رؤية حلبات القتال مرَّاتٍ عدَّةً من سُرفتها. تُرَقِّط صغيرتها وجه (ميرين) كبثور الجُدري، وكبيرتها بمثابة قروح نازفة، حمراء متقيحة، غير أن ولا واحدة منها تُقارَن بهذه. اصطفَّ بلواس القوي والسير باريستان حول الملكة والسَيِّد زوجها من الجانبين إذ مرَّا من تحت التَّمثالين البرونزيَّيْن ليخْرُجا على قِمَّة صحنٍ عظيم من القرميد تُحيط به مدرِّجات هابطة لكلِّ منها لون مختلف.

قادها هيزدار زو لوراك إلى أسفل عبر الأسود والأرجواني والأزرق والأخضر والأبيض والأصفر والبُرْتقالي إلى الأحمر، حيث يتخذ القرميد القرمزي لون رمال الحلبة. حولهما كان الباعة الجائلون يبيعون سحج الكلاب والبصل المشوي والجِراء الأجنَّة على أسياخ، لكن داني لا تحتاج إلى شيءٍ من هذا، فقد ملأ هيزدار مقصورتها بأباريق النَبِيذ والماء العذب المبرِّدين، وبالتيْن والتَّمر والشَّمَام والرُّمَّان وجوز البقان والفلفل، بالإضافة

إلى وعاءٍ كبير من الجراد المحلّى بالعسل. جأر بلواس: «جراد!»، واختطفَ الوعاء وبدأ يملأ قبضته بالجرادات ويلقيها في فمه ماضغاً بنهم. نصحها هيزدار قائلاً: «الجراد لذيذ للغاية. عليك أن تُجربني بعضه يا حبيبتي. إنه مدحرج في البهارات قبل تحلّيته بالعسل، حلو وحار في آنٍ واحد».

قالت داني: «وهو ما يُفسّر تعرّق بلواس. اعتقدُ أنني سأكتفي بالتين والتّمر».

في النَّاحية الأخرى من الحلقة تجلس ذوات النّعم في أردية فضفاضة متعدّدة الألوان، محتشداتٍ حول جالازا جالازا بوقارها المعهود وثوبها الأخضر الذي تنفرد به عن الأخريات. يحتلّ أسياذ (ميرين) العظام المدرّجات الحمراء والبرتقاليّة، وجوه النّساء مختبئة وراء البراقع وشعور الرّجال ممشّطة ومصقولة متخذة أشكال قرونٍ وأيادٍ وأشواك. بدا لها أن أهل هيزدار المنحدرين من سلالة لوراك العريقة يُفضّلون التوكارات ذات اللّون الأرجواني والنّيلجي والبنفسجي الفاتح، في حين يرتدي بنو پال توكارات منخطة بالوردي والأبيض. أمّا مبعوثو (يونكاي) فيرتدون الأصفر فقط، وقد ملأوا المقصورة المجاورة لمقصورة الملك، كلّ منهم معه عبّيده وخدمه. يزدحم الميرينزيون الأدنى أصلاً في الصّفوف العُليا على مسافةٍ أبعد من المذابح المزمعة، والمدرّجات السّوداء الأرجوانيّة -الأعلى والأبعد عن الرّمال- يحتلّها المعتقون وغيرهم من العوام. رأت دنيرس المرتزقة جالسين هناك أيضاً، القادة بين الجنود، ولمحت وجه بن البني الدّابل وذا اللّحية الدّمويّة بشعر وجهه النّاري وجدائله الطّويلة.

نهض السيّد زوجها رافعاً يديه، وأعلن: «أيها الأسياذ العظام! اليوم أتت مليكتي تُريكم حبّها لكم، لشعبها. ببركتها وإذنها أقدم لكم الآن فنكم المميت. (ميرين)! أسوعي الملكة دنيرس مقدار حبّك لها!».

دوى الشكر من عشرة آلاف حنجرة، ثم عشرين ألفاً، ثم الجميع. لم يهتفوا باسمها الذي يستطيع قلائل منهم نطقه، وبدلاً من ذلك هتفوا: «أمّاه!» بلغة (جيس) القديمة الميته. دقوا الأرض بأقدامهم وصفعوا بطونهم مهلّلين: «ميسا! ميسا! ميسا!»، إلى أن بدا كأن هديرهم يُزلزل الحلقة بأكملها. تركت

داني الصّوت يغمرها راغبةً في أن تردّ عليهم: لستُ أمّكم بل أنا أمّ عبيدكم، أمّ كل صبيٍّ مات على هذه الرّمال فيما تحشون أشداقكم بالجراد المعسول. من ورائها مالٌ رزناك يهمس في أذنها: «أتسمعين كم يُحبُّونك يا صاحبة السُّمو؟». لا، بل يُحبُّون فنهم المميت. حين بدأ الهتاف ينحسر سمحت لنفسها بالجلوس. مقصورتهم في الظلّ، لكن رأسها يدقُّ رغم ذلك. نادّت: «چيكوي، ماء عذب إذا سمحت. حلقي جافٌ للغاية».

أخبرها هيزدار: «سيحظى كراز بشرف أول قتلٍ اليوم. لم يعرف العالم مُقاتلاً أفضل منه قطُّ».

عقبِ بلواس بعناد: «بلواس القوي كان أفضل».

كراز ميرينيزي متواضع النسب، رجل فارغ القامة يُكلّل شعره الأسود المحمر اليابس منتصف رأسه كمقشّة خشنة، وخصمه حامل حربٍ أبنوسي البشرة من (جزر الصّيف)، وقد نجحت الطّعنات التي سدّدها إلى كراز في دفعه إلى الفرّ فترّةً، لكن ما إن استطاع تجاوز الحربة والكرّ على خصمه بسيفه القصير لم يتبقّ إلا المذبحة. بعدها قطع كراز قلب الرّجل الأسود ورفعَه فوق رأسه أحمر يقطر دمًا ثم أخذ منه قضيعةً.

شرح هيزدار: «كراز يؤمن بأن قلوب الرّجال الشُّجعان تُقويّه»، فغمغت چيكوي مؤمنةً على قوله. ذات مرّةٍ أكلت داني قلب فحلّ لتبثّ القوّة في ابنها الجنين... إلّا أن هذا لم يُنقذ ربيجو حين قتلتها المايجي في رحمها. ثلاث خياناتٍ ستعرفين. كانت هي الأولى، وچورا الثانية، وبن بلوم البني الثالثة. هل اعتزلتها الخيانة إذن؟

قال هيزدار مسرورًا: «آه، الدّور على القِطّ الأرقط. انظري كيف يتحرّك يا مليكتي. قصيدة على قدمين».

الخصم الذي وجده هيزدار للقصيدة السّائرة يُماثل جوجهور طولًا وبلواس عرضًا، لكنه بطيء الحركة. كانا يتقاتلان على بُعد ستّة أقدام من مقصورة داني عندما قطع القِطّ الأرقط عرقوبه، وإذ تداعى الرّجل على رُكبتيه وضع القِطّ قدمًا على ظهره ويدًا حول رأسه ونحره من الأذن إلى الأذن. تشرّبت الرّمال الحمراء دمه والريح كلماته الأخيرة، وصرخت الجماهير استحسانًا.

قال بلواس: «قتال سيئ، ميتة حسنة. بلواس القوي يكره أن يصرخوا». كان قد أتى على الجراد المعسول عن آخره، وتجشأ وأخذ جرعة كبيرة من النبيذ.

كارثين شاحيون، رجال سود من (جزر الصيف)، دوثراكي نحاسيو البشرية، تايروشيون زرق اللحي، رجال من شعب الحملان، چوجوس نهاي، براهوسيون متجهمون، أنصاف بشرٍ مخططو البشرة من أحرش (سوثيريوس)... من أطراف الأرض أقبلوا ليموتوا في (حلبة دازناك). قال هيزدار مومئاً برأسه نحو شاب لايسيني يخفق شعره الأشقر الطويل في الريح: «واعد للغاية هذا يا جميلتي»... لكن خصمه قبض على خصلة من هذا الشعر وشد الفتى مخلاً توازنه وبقر بطنه. في الموت بدا القتل أصغر مما كان وهو حي بسيفٍ في يده.

قالت داني: «صبي، مجرد صبي صغير».

رد هيزدار بإصرار: «كان في السادسة عشرة، رجلاً بالغاً اختار بكامل إرادته الحرّة أن يخاطر بحياته في سبيل الذهب والمجد. لا أطفال يموتون اليوم في (حلبة دازناك) كما قضت مليكتي الرقيقة بحكمتها».

انتصار صغير آخر. قد لا أستطيع أن أجعل قومي صالحين، لكن عليّ على الأقل أن أحاول أن أجعلهم أقل سوءاً. كانت دنيرس لتحظر المباريات بين النساء أيضاً، لكن بارسينا ذات الشعر الأسود احتجت قائلة إن لها الحق في المخاطرة بحياتها كأبي رجل. أرادت الملكة كذلك أن تمنع الفقرات الهزلية التي يتقاتل فيها المعاقون والأقزام والمسنتات بالسواطير والمشاعل والمطارق، وكلما افتقر المتقاتلون إلى البراعة صار العرض أطرف، لكن هيزدار قال إن قومه سيحبونها أكثر إذا ضحك معهم، وأضاف إلى حجتة أن من دون تلك الفقرات الهزلية سيجوع المعاقون والأقزام والمسنتات، وهكذا أذعنت داني.

جرت العادة في (ميرين) على الحكم على المجرمين بالقتال في الحلبات، وهو العرف الذي أجازت استمراره، ولكن فقط مع جرائم معينة. «فليجبر القتلة والمغتصبون على القتال، ومن يصرون على العمل في النخاسة، أمّا اللصوص والمديونون فلا».

على أن الحيوانات مسموح لها بالقتال. شاهدت داني فيلاً يفتك بسهولة بقطيع من ستة ذئاب حمراء، وبعدها واجه ثور دُبًّا في معركة دامية انتهت بكلا الحيوانين مشخناً بالجراح يُحتصر. قال هيزدار: «اللحم لا يُبدد. الجزارون يستخدمون الجُث في عمل يخبنة مغذية للجائعين. كل من يُقدم نفسه عند (بوابة القدر) ينال وعاء».

قالت داني: «قانون جيد». وتلك قليلة للغاية عندكم. «يجب أن نحرس على استمرارية هذا التقليد».

بعد قتالات الحيوانات دارت معركة مصغرة بين ستة رجال على أقدامهم ضد ستة خيالة، الأولون مسلحون بالسُيوف الطويلة والتروس، والآخرون بأراخات الدوثرافي. ارتدى الفرسان الزائفون سُترات طويلة من الحلقات المعدنية، في حين لم يرتد الدوثرافي الزائفون دروعاً. في البداية بدا أن التفوق للخيالة إذ دعسوا اثنين من خصومهم وبتروا أذن ثالث، لكن الفرسان النَّاجين أقدموا على مهاجمة الخيول، وواحدًا تلو الآخر أسقط الخيالة عن متونها وقُتلوا، وهو ما أثار قرف جيكوي البالغ، وقالت: «لم يكن هذا كالمسارًا حقيقياً».

قالت داني فيما حُمِل القتلى من الحلبة: «أتمنى ألا يكون مصير هذه الجُث يخبنتك المغذية».

ردَّ هيزدار: «الخيول نعم، الرجال لا».

قال بلواس: «لحم الخيل والبصل يقويان المرء».

تبعَت المعركة الفقرة الهزلية الأولى، نزال بين قزمين قدَّهما أحد الأسياد اليونكيين الذين دعاهم هيزدار لحضور المباريات. يمتطي أحدهما كلب صيد والثاني خنزيرة، وقد طليت درعاهما الخشبيتان حديثاً بحيث تحمل إحداهما وعل الغاصب روبرت باراثيون والأخرى أسد عائلة لانستر الذهبي. واضح أن الفقرة معدة خصيصاً من أجلها. سرعان ما دفعت طرائفهما بلواس إلى الضحك المدوي، ولو أن الابتسامة على شفتي داني كانت خافتة مصطنعة. سقط القزم الأحمر من فوق سرجه وبدأ يُطارِد خنزيرته على الرمل، وهرولاً القزم راكب الكلب وراءه ضارباً مؤخرته بسيف خشبي، وحينها قالت: «هذا لطيف وسخيف، ولكن...».

قال هيزدار: «صبراً يا جميلتي. إنهم على وشك إطلاق الأسود».
رمقته دنيرس باستغراب مرددةً: «الأسود؟».

- «ثلاثة. لن يتوقعها القزمان».

قالت مقطبةً وجهها: «القزمان سيفاهما ودرعاهما خشب. كيف تتوقع أن يُقاتلا أسوداً؟».

- «برداءة، ولكن قد يُفاجئنا. على الأرجح سيصرخان ويعدوان هنا وهناك ويحاولان الخروج من الحلبة. هذا ما يجعل الأمر فكاهياً».
مستهجنةً قالت داني: «لا، إنني أمنع هذا».

- «أيتها الملكة الحليمة، لست تُريدين أن تُخَيبي أمل شعبك».

- «لقد أقسمت لي أن المُقاتلين رجال بالغون وافقوا بإرادتهم على المخاطرة بحياتهم في سبيل الذهب والشرف. هذان القزمان لم يُوافقا على قتال أسودٍ بسيفين خشب. ستُوقف الأمر، وحالاً».

زَمَّ الملك فمه، وللحظةٍ خُيِّلَ إلى داني أنها رأت ومضةً من الغضب في هاتين العينين الرائقتين، لكن هيزدار قال: «كما تأمرين»، وأشار إلى متعهد الحلبة الذي هرعَ إليه حاملاً سوطه، وأخبره: «لا أسود».

- «ولا واحداً يا صاحب السمو؟ أين اللهو في هذا؟».

- «مليكتي قالت كلمتها. لن يؤذى القزمان».

- «لن يُعجب هذا الجمهور».

- «أنزلوا بارسينا إذن. المفترض أن يرضيهم هذا».

قال متعهد الحلبة: «صاحب العبادة خير العارفين»، وفرقَ بسوطه وزعقَ بالأوامر، وسبقَ القزمان إلى الخارج بالكلب والخزيرة فيما هسهس المتفرجون معلنين سُخطهم ورشقوهما بالحجارة والفواكه التالفة.

ضجَّت الحلبة بالهتاف إذ خرجت بارسينا ذات الشعر الأسود إلى الرمال بخطواتٍ واسعة، ليس على بدنِها ملابسٌ إلا مئزر قصير وصندل. امرأةٌ سمراء بسيطة القامة هي، تَبْلُغُ من العُمُر الثلاثين أو نحوها، وتتحرك برشاقة الفهود. قال هيزدار إذ استفحل الصَّوت مالتاً الحلبة: «بارسينا محبوبة جداً. أشجع امرأةٍ رأيتها في حياتي».

علق بلواس القوي: «قتال الفتيات ليس شجاعةً. الشجاعة قتال بلواس القوي».

قال هيزدار: «اليوم ستقاتل خنزيرًا بريًا».

فكرت داني: أجل، لأنك عجزت عن العثور على امرأة تُواجهها مهما كانت المكافأة سخيةً. «وليس بسيفٍ خشبي على ما يبدو».

الخنزير البري حيوان هائل، أنيابه تُعادل سواعد الرجال طولاً وعينه صغيران يطقُّ منهما شرر الغضب. تساءلت إن كان الخنزير البري الذي قتل روبرت باراثيون قد بدا بهذه الشراسة. مخلوق رهيب وميتة رهيبية. للحظة أو دونها كادت تشعر بالشفقة على الغاصب.

قال رزناك: «بارسينا حثيثة الحركة جدًا. سترقص مع الخنزير يا صاحبة السمو وتشرحه حين يدنو منها. سيغرق في دمه قبل أن يسقط، ستين».

بدأ القتال كما قال بالضبط. انقض الخنزير ودارت بارسينا إلى الجانب متفادية الانقضاضة والتمع نصلها فضيًا في الشمس، وبينما وثبت بارسينا فوق الحيوان تنفادى انقضاضته الثانية قال السير بارستان: «تلزما حربة. ليست هذه وسيلة لقتال خنزير بري». تكلم كجد عجوز متذمر، تمامًا كما قال داريو دومًا.

لطخ الأحمر نصل بارسينا، لكن سرعان ما توقف الخنزير. إنه أذكي من الثيران. لن ينقض ثانية. أدركت داني هذا وأدركته بارسينا أيضًا، فصاحت دانية من الخنزير بتؤدةٍ ومتقاذفةٍ سكينها بين يديها، ولما تفهقر الحيوان شتمته وهوت على خطمه بضربةٍ تُحاول استفزازه... ونجحت... وهذه المرة تأخرت ووثبتا لحظةً واحدةً، ومزق ناب ساقها اليسرى من الركبة إلى ملتقى الفخذين. ارتفع أنين من ثلاثين ألف حنجرة، وأمسكت بارسينا ساقها الممزقة مسقطه سكينها وحاولت أن تحجل مبتعدةً، لكن قبل أن تتعد قدمين انقض عليها الخنزير البري من جديد. أشاحت داني بوجهها، وإذ دوت الصرخة على الرمال سألت بلواس: «أكانت هذه شجاعةً كافيةً؟».

أجاب الخصي: «قتال الخنازير شجاعة، لكن الصراخ الصاخب ليس شجاعةً. إنه يؤلم أذني بلواس القوي»، وفرك بطنه المتنفخ الذي تتقاطع عليه الندوب البيضاء القديمة، وأضاف: «ويصيب بلواس القوي بالغثيان أيضًا».

دفنَ الخنزيرَ خطمه في بطنِ بارسينا وبدأ يقتلعُ أحشاءها، وكانت الرَّائحة أقوى وأشنع من أن تحتملها الملكة. الحرارة، والذباب، وهتاف الجماهير... لا أستطيعُ التقاطُ أنفاسي. رفعتُ بُرقيعتها وتركته يطير، وخلعتُ توكارها أيضًا لتُخشخش اللآلي بخفوتٍ وهي تحل الحرير عن جسدها. سألتها إيربي: «كاليسي، ماذا تفعلين؟».

- «أخلعُ أذني الرّخوتين». هروكتُ دستة من حامللي الحِراب إلى الرّمال لإبعاد الخنزير البرّي عن الجثّة وإعادته إلى زريته، ومعهم متعهّد الحلبة بسوطٍ شائك في يده، وإذ فرقع به في وجه الخنزير نهضت الملكة قائلة: «سير باريستان، هلأ أعدتني إلى حديقتي؟».

لاحت الحيرة على هيزدار، وقال: «ما زال هناك المزيد، عرض فُكاهي لست نساءً عجائز وثلاث مباريات أخرى. بيلاكو وجوجهور!».

أعلنتُ إيربي: «بيلاكو سيربح. هذا معلوم».

ردّت چيكوي: «ليس معلومًا. بيلاكو سيموت».

قالت داني: «هذا أو ذاك سيموت، ومن يعيش سيموت يومًا آخر. كان هذا خطأ».

على وجه بلواس البنيّ العريض ظهرت نظرة غثيان، وقال: «بلواس القوي أكَل جرادًا أكثر من اللازم. بلواس القوي يحتاج إلى حليب».

تجاهل هيزدار الخصيّ، وقال: «صاحبة السُّمو، أهل (ميرين) أتوا للاحتفال بقراننا. لقد سمعتهم يُهلّلون لك. لا تنبذي حُبهم».

- «كان تهليلهم لأذني الرّخوتين لا لي. خُذني بعيدًا عن هذه المجزرة يا زوجي». تردّد في أذنيها قباع الخنزير البرّي وزعيق حامللي الحِراب وفرقة سوط متعهّد الحلبة.

- «سيّدتي الجميلة، لا. ابقِي فترةً قصيرةً فقط، شاهدي العرض الهزلي ومباراةً أخيرةً. أغلِقِي عينيك، لا أحد سيرى. ستكون أنظارهم على بيلاكو وجوجهور. ليس هذا وقتًا...».

ثم تموّج ذلك الظلُّ على وجهه.

همد الهياج والهتاف، انكمت عشرات آلاف الأصوات في الحلق، وارتفعت كل عينٍ إلى السّماء.

مَسَّتْ رِيَّاحٌ دَافِئَةٌ وَجَنَّتِي دَانِي، وَفَوْقَ صَوْتِ خَفْقَانِ قَلْبِهَا سَمَعْتُ خَفْقَانِ جَنَاحِينَ. انْدَفَعَ اثْنَانِ مِنْ حَامِلِي الْجِرَابِ سَعِيًّا إِلَى مَهْرَبٍ، وَتَجَمَّدَ مَتَعَهَّدُ الْحَلْبَةِ فِي مَكَانِهِ، وَعَادَ الْخَنْزِيرُ الْبَرِّيُّ نَاحِرًا إِلَى جُثْمَانِ بَارَسِينَا، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ تَأَوَّهَ بِلَوَاسِ الْقَوِيِّ وَتَهَاوَى مِنْ مَقْعَدِهِ سَاقِطًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

فَوْقَهُمْ جَمِيعًا دَارَ التَّنِينِ الْأَدْهَمُ تَحْتَ الشَّمْسِ. حَرَّاشْفُهُ سَوْدَاءٌ، وَعَيْنَاهُ وَقِرْنَاهُ وَعُرْفُهُ الْفَقْرِيُّ⁽¹⁾ أَحْمَرٌ دَمَوِيٌّ. لَطَالَمَا كَانَ دَرُوجُونَ أَكْبَرَ الثَّلَاثَةِ حَجْمًا، وَفِي الْبَرَارِيِّ أَضْحَى أَكْبَرَ وَأَكْبَرَ. يَمْتَدُّ جَنَاحَاهُ الْأَسْوَدَانِ كَالسَّبْجِ عَشْرِينَ قَدَمًا مِنْ أَقْصَاهُمَا إِلَى أَقْصَاهُمَا، وَقَدْ خَفَقَ بِهِمَا مَرَّةً إِذْ طَارَ فَوْقَ الرَّمَالِ فَكَانَ صَوْتُهُمَا كَقِصْفِ الرَّعْدِ. رَفَعَ الْخَنْزِيرُ الْبَرِّيُّ رَأْسَهُ قَابِعًا... وَابْتَلَعَهُ اللَّهْبُ، نَارَ سَوْدَاءٍ مَجْزَعَةٌ بِالْحُمْرَةِ لَفَحَتْ حَرَارَتُهَا دَانِي مِنْ بَعْدِ ثَلَاثِينَ قَدَمًا كَامِلَةً. أَطْلَقَ الْحَيَوَانَ صَرْخَةَ احْتِضَارٍ وَقَعَهَا شِبْهَ بَشْرِي، وَحَطَّ دَرُوجُونَ عَلَى الْجِثَّةِ وَأَنْشَبَ مَخَالِبَهُ فِي اللَّحْمِ الَّذِي يَتَصَاعَدُ مِنْهُ الدِّخَانُ، وَإِذْ شَرَعَ يَأْكُلُ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْخَنْزِيرِ وَبَارَسِينَا.

وَلَوْ لَرَزْنَاكَ: «يَا لِلْآلِهَةِ! إِنَّهُ يَأْكُلُهَا!»، وَغَطَّى الْقَهْرْمَانُ فَمَهُ. كَانَ بِلَوَاسِ الْقَوِيِّ يَتَقَيَّبًا بِصَوْتِ صَاحِبِ، وَتَرَقَّرَقَتْ نَظْرَةُ غَرِيبَةٍ عَلَى وَجْهِ هِيْزْدَارِ زَوْ لُورَاكَ الشَّاحِبِ الطَّوِيلِ، جِزءٌ مِنْهَا خَوْفٌ، وَجِزءٌ مِنْهَا شَهْوَةٌ، وَجِزءٌ مِنْهَا انْتِشَاءٌ. لَعَقَ زَوْجَهَا شَفْتَيْهِ، وَرَأَتْ دَانِي بَنِي پَالِ يَتَدَفَّقُونَ صَاعِدِينَ السَّلَالِمِ، مَمْسُكِينَ تَوَكَارَاتِهِمْ وَمَتَعَثِّرِينَ فِي أَطْرَافِهَا فِي عَمْرَةٍ تَعَجُّلُهُمُ الْإِبْتِعَادَ. تَبَعَهُمْ آخَرُونَ تَدَافَعَ بَعْضُهُمْ، لَكِنِ الْأَكْثَرِيَّةُ ظَلَّتْ جَالِسَةً فِي مَقَاعِهَا.

رَجُلٌ وَاحِدٌ أَخَذَ عَلَى عَاتِقِهِ أَنْ يَكُونَ بَطْلًا.

كَانَ أَحَدُ حَامِلِي الْجِرَابِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا لِإِعَادَةِ الْخَنْزِيرِ إِلَى زَرِيْبَتِهِ. رُبَمَا كَانَ ثَمَلًا أَوْ مَجْنُونًا، أَوْ رُبَمَا أَحَبَّ بَارَسِينَا ذَاتَ الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ مِنْ بَعِيدٍ وَسَمِعَ هَمْسَةً مَا عَنِ الصَّغِيرَةِ هَازِيَا، أَوْ رُبَمَا كَانَ مَجْرَدَ رَجُلٍ تَقْلِيدِيٍّ يَرُومُ أَنْ يُعْنِي

(1) قِيَّاسًا عَلَى تَكْوِينِ تَشْرِيحِي مَشَابِهَةٍ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِ الدِّيْنَاصُورَاتِ، فَيُمْكِنُ مَقَارَبَةُ هَذَا الْمِصْطَلَحِ إِلَى الْعُرْفِ الْفَقْرِيِّ أَوْ الشُّوكِيِّ، نَسْبَةً إِذَا إِلَى الْعَمُودِ الْفَقْرِيِّ وَإِنَّمَا إِلَى الْحَبْلِ الشُّوكِيِّ، وَبِمَا أَنَّهُ فِي الْغَالِبِ تَكْوِينِ عَظْمِيٍّ، فَالْأَرْجَحُ أَنْ تَكُونَ تَرْجَمَتُهُ الْعُرْفِ الْفَقْرِيِّ. (المُتْرَجِمُ).

عنه الشعراء. أيا كان فقد انطلق كالسهم مسدداً حربته، يُبعثر الرَّمْل الأحمر بنعليه وقد جلجل الصياح من المقاعد. رفع دروجون رأسه والدم يَقَطُر من أسنانه، ووثب البطل على ظهره وأغمد رأس الحربة الحديدي في قاعدة عنق التَّيْن الحرشفي الطويل.

وصرخت داني ودروجون في آنٍ واحد.

ضغطَ البطل على حربته معتمداً على ثقله في غرس رأسها أكثر، وقوّس دروجون جسمه مطلقاً فحيح ألم، وراح ذيله يضرب يميناً ويساراً. شاهدت داني رأسه يدور في طرف عنقه الأفعواني الطويل، ورأت جناحيه الأسودين ينسطان، ليختل توازن قاتل التَّيْن ويهوي على الرَّمال، وكان يُحاول النهوض مجدداً عندما أطبقت أسنان التَّيْن على ساعده. لم يجد الرجل وقتاً إلا ليصرخ: «لا!»، قبل أن ينتزع دروجون الذراع من الكتف ويلقيها جانباً كما تفعل الكلاب بالقوارض في حلبات الجرذان⁽¹⁾.

صاح هيزدار زو لوراك في حاملي الحراب الآخرين: «اقتلوه! اقتلوا الوحش!».

قبض السير باريستان عليها بإحكام قائلاً: «أشيحي ببصرِك يا جلالة الملكة».

صرخت داني: «دعني!»، وتملصت من قبضته. بدا لها كأن الزمن يتباطأ إذ قفزت من فوق السور، ولما حطت في الحلبة فقدت فردة صندلها، وإذ اندفعت تعدو شعرت بالرَّمال ساخنة خشنة بين أصابع قدمها. كان السير باريستان يُناديها، وبلواس القوي ما زال يتقيأ. وجدّت داني خطاها.

كان حاملو الحراب يعدون أيضاً، بعضهم صوب التَّيْن رافعاً سلاحه وبعضهم بعيداً عنه ملقياً سلاحه. على الرَّمل انتفض البطل ودماؤه القانية تتدفق من جدعة ذراعه المهلهلة، وقد ظلت حربته مغروسة في ظهر دروجون تتأرجح مع خفقان التَّيْن بجناحيه، وتساعد الدخان من الجرح. وإذ حاصرته

(1) حلبة الجرذان منطقة مغلقة توضع فيها الجرذان لتقتلها الكلاب، وكان هذا النشاط يُمارس في أوروبا حتى منعه البرلمان البريطاني في منتصف القرن التاسع عشر. (المترجم).

الجِراب الأخرى نفثَ الثَّنين ناره غامراً رجلين باللَّهب الأسود، وضربَ بذيله جانباً لِيُصيب متعهِّد الحلبة المتسلَّل من ورائه وَيَشطِّره نِصفين، وحاول مهاجم آخر أن يطعنه في عينه إلى أن أمسكه الثَّنين بين فكَّيه ومزَّق بطنه. كان الميرينزيون يَصْرُخون ويلعنون ويندبون.

سمعت داني أحداً يركُض وراءها، وصرخت: «دروجون! دروجون!». دار رأسه. من بين أسنانه يتصاعد الدُّخان، ومن دمه أيضاً حيث يَقْطُر على الأرض. ضربَ الهواء بجناحيه مرَّةً أخرى مهيجاً عاصفةً خانقةً من الرَّمال القرمزيَّة، وتعثرت داني ساعلةً في السَّحابة الحمراء الساخنة. وفتحَ الثَّنين فاه.

وجدت الوقت لتقول فقط: «لا». لا، ليس أنا. ألا تعرفني؟ وانطبقت الأسنان السوداء على بُعد بوصاتٍ معدودة من وجهها. أراد أن يجتث رأسي. كان الرَّمل في عينها، وتعثرت في جثَّة متعهِّد الحلبة وسقطت على رديها. زأر دروجون لِيُفعم الصَّوت الحلبة، وابتلعتها ريح حامية كالأتون. امتدَّت رقبة الثَّنين الحرشفيَّة الطويلة نحوها، ولَمَّا فتح فمه رأَت قطعاً من العظم المكسور واللَّحم المتفحَّم بين أسنانه السُّود.

عيناه صهير. إنني أنظرُ في الجحيم ولا أجسرُ على إبعاد بصري. لم يحدث قطُّ من قبل أن تملكها مثل هذا اليقين. إذا فررتُ منه فسيحرقني ويلتهمني. في (وستروس) يتكلَّم السِّبتونات عن سبع جحائم وسبع جنان، لكن (الممالك السَّبع) وآلهتها بعيدة بعيدة. ترى إذا ماتت داني هنا فهل سيسقُّ إله الدوثراكي الجواد العُشب ويأخذها ويضمُّها إلى غالاساره النَّجمي لتجوب أراضي الليل راكبةً إلى جوار شمسها ونجومها؟ أم سيرسل أرباب (جيس) الغاضبون هاربيَّاتهم للاستيلاء على روحها وجرَّها إلى عذاب الجحيم؟ هدرَ دروجون في وجهها مباشرةً، أنفاسه لظى يُقرِّح الجلد، ومن مكانٍ ما إلى يسارها سمعت داني السير باريستان سلمى يصيح: «أنا! جرِّبني أنا! هنا! أنا!».

في هُوَّتي عيني دروجون الحمراءوين رأَت داني انعكاسها، ولكم بدت ضئيلةً، ولكم بدت ضعيفةً هشةً خائفةً. يجب ألا أدعه يرى خوفي. تحسَّست الرَّمال دافعةً جثَّة متعهِّد الحلبة، ولمست أصابعها مقبض سوطه، وأشعرها

مجرّد لمسّه بشيءٍ من الشّجاعة. كان الجلد دافئًا حيًّا. عادَ دروجون يزار بصوتٍ مدوّ كادَ يجعلها تُسقط السّوط، وعضّت أسنانه الهواء في وجهها. وضرّبت داني. بكلِّ ما فيها من قوّة هوت بالسّوط صارخة: «كلا!»، فأرجع التّنين رأسه إلى الوراء بحدّة، وصرخت هي ثانية: «كلا! كلا!»، وخمشت أطراف السّوط الشّائكة خطمه. ارتفع دروجون مغطّيًا إياها بظلّ جناحيه، وهوت داني بالضّربات جيئةً وذهابًا على بطنه إلى أن بدأت ذراعها تُوجعها. انثنت رقبة الأفعوانيّة الطّويلة كقوس الرّامي، وبهسسيييسسسسس نفثَ عليها ناره السّوداء، واندفعت داني تنحني تحت لسان اللّهب ملوِّحةً بالسّوط وزاعقة: «كلا، كلا، كلا! انزل!». جاوبها بزئيرٍ مفعم بالخوف والثّورة، مفعم بالألم، وخفق جناحاها مرّةً، مرّتين...

... وانطويا. أطلق التّنين هسيسًا أخيرًا وتمدّد على بطنه. كان الدّم الأسود يسيل من جرح الحربة ويقطرُ داخنا على الرّمال المحروقة. إنه النّار وقد صارت لحمًا، وكذلك أنا.

وثبتَ دنيرس تارجارين على ظهر التّنين وقبضت على الحربة وانترعتها، فرأت رأسها شبه ذائب والحديد متوهّجًا ملتهبًا كالسّعير، ثم إنها ألقتها جانبًا، والتوى دروجون من تحتها وتموجت عضلاته إذ استجمع قواها. كان الرّمل يملأ الهواء بكثافة، وداني عاجزة عن الرّؤية، عن التّنفس، عن التّفكير. قرّع الجناحان الأسودان كأن الرّعد يهزم، وفجأةً ألقت الرّمال القرميّة تبتعد أسفلها.

بدّوار مباغت أغلقت داني عينيها، ولمّا عادت تفتحهما أبصرت الميرينيزيين بالأسفل من خلال غشاوةٍ من الدّمع والغبار، يتدّفقون على السّلام إلى الشّوارع.

وجدت الكُرباج في يدها ما زال، فضرّبت به عُنق دروجون صائحةً: «أعلى!»، وسعت أصابع يدها الأخرى تتشبّث بحراشفه. ضربَ جناحا دروجون الأسودان العريضان الهواء، وشعرت داني بحرارته بين فخذيهما، وأحسّت كأن قلبها على وشك الانفجار، وفكرت: نعم، نعم، الآن، الآن، افعلها، افعلها، خذني، خذني، طر!



چون

ليس تورموند بليّة العماليق رجلاً طويلاً، لكن الآلهة وهبت له صدرًا عريضًا وبطنًا عظيمًا. سمّاه مانس رايدر نافخ البوق لقوّة رثيته، ودأب على القول بأن ضحكات تورموند قادرة على إسقاط الثلوج من فوق قمم الجبال، وفي ثورته يُذكر جُواره چون بنهيم الماموث.

في ذلك اليوم جأر طويلاً وكثيرًا، هدرَ وزعقَ ودقّ المائدة بقبضته بعنفٍ كفاً إبريقًا وسكبَ ما فيه من ماء. في متناول يده طوال الوقت قرن من البتع، فيتطاير البُصاق من فمه حين يُلقي تهديداته محلّى بالعسل. نعتَ تورموند چون سنو بالرّعديد الكذاب المارق، وصبّ عليه لعناته قائلاً إنه راحع ذميم أسود القلب وسارق وغراب جيف، واتّهمه بالرّغبة في نيك الأحرار في أدبارهم. مرّتين رمى چون بقرن شرايه في رأسه، ولكن بعد أن أفرغَه أولاً، فليس تورموند بالرّجل الذي يُهدر بتعًا ممتازًا. لم يُلقِ چون بالألّ لكلّ هذا، ولم يرفع صوته مرّةً أو أجاب التّهديد بالتّهديد، إلّا أنه لم يتنازل كذلك عمّا هو أكثر مما جاء مستعدًّا لمنحه.

وأخيرًا، بينما استطلّات ظلال الأصيل خارج الخيمة، مدّ تورموند بليّة العماليق -المهذار، نافخ البوق، كاسر الجليد، قبضة الرّعد، زوج الدّببة، ملك البتع في (البهو القاني)، كليم الآلهة، وأبو الجيوش - يده قائلاً: «أتفقنا إذن، ولتمنحني الآلهة المغفرة التي أعلمُ أنّي لن أنالها من مئة أم».

صافح چون اليد الممدودة وكلمات قسّمه ترنُّ في خاطره. أنا السّيف في الظلّمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النّار التي تشتعل لتطرّد البرد، الضّوء الذي يأتي بالفجر، النّفير الذي يُوقظ النّيام، الدّرّع التي تقي بلدان البشّر.

ولنفسه أضافَ مقطعاً جديداً: أنا الحارس الذي فتحَ البوابات وتركَ العدوَّ يعبرُ منها. كان ليدفع ثمناً باهظاً لقاء أن يعلم يقيناً أن ما فعله صواب، لكنه قطع شوطاً أطول من أن يعود أدراجه، وهكذا قال: «اتفقنا».

قبضة تورموند تسحق العظم. لم يتغيَّر هذا فيه. واللحية لم تتغيَّر أيضاً، ولو أن الوجه تحت أجمة الشعر الأبيض نحلَّ إلى حدِّ كبير، وفي هاتين الوجنتين المتورَّدتين تجاعيد غائرة. قال متفانياً في محاولة هرس يد جون: «كان يجب أن يَقتلك مانس حين نالَ الفرصة. مقابل العصيدة ندفع ذهباً وصيبة... ثمن فادح. ماذا دعا الصَّبي اللطيف الذي عرفته؟».

جعلوه قانداً. «سمعتُ أن الصَّفقة التي لا تُرضي كلا الطرفين عادلة. ثلاثة أيام؟».

أجاب تورموند: «إذا عشتُ تلك المُدَّة. سيَبْصُق بعض رجالي عليَّ حين يسمعون هذه الشُّروط»، وأفلت يد جون مواصلاً: «غربانك سيشتكون ويتأفنون أيضاً إن كنتُ أعرفهم، وأنا أعرفهم. لقد قتلتُ أكثر مما أستطيع أن أحصي منكم أيها الملاعين السُّود».

- «الأفضل ألاَّ تذكر هذا بصوتٍ مسموعٍ عندما تأتي جنوب (الجدار)».

ضحك تورموند صائحاً: «هار!». لم يتغيَّر هذا أيضاً. ما زال يضحك كثيراً وبصخب. «كلام حكيم. لا أريدُ أن يَنقُرني غربانك حتى الموت»، وربَّت على ظهر جون قائلاً: «عندما يُصبح قومي آمنين وراء جداركم سنتقاسم القليل من الطَّعام والشُّراب، وحتى ذلك الحين...». خلع الهمجي الحلقة المحيطة بذراع اليسرى وألقاها لـجون، ثم فعلَ المِثل بتوأمتها حول ذراع اليمنى، وقال: «الدُّفعة الأولى. ورثتُ هاتين عن أبي وهو عن أبيه، والآن صارتا لك أيها النُّغل الأسود اللص».

حلقنا الذُّراع من الذهب القديم الخالص الثَّقيل، منقوشتان بأبجدية البشر الأوائل العتيقة، يضعهما تورموند بليَّة العماليق منذ عرفه جون، وقد بدوتا جزءاً منه كلحيته، ولذا أخبره: «سيصهرهما البرافوسيون من أجل الذهب. يبدو لي هذا عيباً. ربما عليك الاحتفاظ بهما».

قال تورموند: «لا. لن أترك النَّاس يقولون إن تورموند قبضة الرِّعد جعلَ الأحرار يتخلون عن كنوزهم واحتفظ هو بكنزه»، وأضافَ بابتسامةٍ عريضة:

«لكنني سأحتفظُ بالحلقة التي أضعتها حول عُضوي. إنها أكبر كثيرًا من هاتين الصَّغيرتين. بالنسبة إليك تصلح طوقًا للعنق».

رغمًا عنه ضحكُ جون قائلاً: «أنت لا تتغير أبدًا».

ذابت الابتسامة على وجه تورموند الكئيل في الصَّيف، وقال: «أوه، لكنني أتغير. إنني لستُ الرَّجل الذي كنته في (البهو القاني). لقد شهدتُ موتًا كثيرًا للغاية، وما هو أسوأ. ابناي...»، وقلبت الحسرة سحتته إذ أردف: «دورموند قُتِل في المعركة عند (الجدار). كان صبيًّا صغيرًا. فعلها أحدُ فرسان ملكك، وغد ما يرتدي الفولاذ الرَّمادي وعلى ثُرسه عُث. رأيتُ الضَّربة، لكن ولدي ماتَ قبل أن أبلغه. وتورويند... البرد نالَ منه. لطالما كان سقيمًا. في ليلةٍ ماتَ فجأةً. الأسوأ أنه نهَضَ بالعينين الزرقاوين إياهما قبل أن نعرف أنه مات. اضطررتُ إلى تولِّي أمره بنفسه. كان هذا صعبًا يا جون»، والتمعت الدَّموع في عينيه وهو يُردف: «الحقيقة أنه لم يكن يتمتّع برجولةٍ حقَّة، لكنه كان ولدي الصَّغير ذات يوم، ولقد أحببته».

قال جون واضعًا يده على كتفه: «أنا في غاية الأسف».

- «لماذا؟ لم يكن هذا من صنّعك. على يدك دماء، نعم، مثلي، لكنها ليست دماء»، وهزَّ تورموند رأسه مضيفًا: «ما زال لي ابنان قويّان».

- «وابنتك...؟».

- «موند». أعادَ ذِكْرها الابتسامة إلى وجه تورموند. «تزوَّجت رايك ذا الحربة الطويلة إن كنت تُصدِّق هذا. الفتى عُضوه أكبر من عقله إن طلبت رأيي، لكنه يُحسِن معاملتها. قلتُ له إنني سأقتلعُ عُضوه هذا وأضربه به حتى أدميه إذا آذاها»، ومرةً أخرى ربَّت على ظهر جون بقوة، وقال: «حان الوقت لتعود. إذا أبقيناك وقتًا أطول فسيحسبون أننا أكلناك».

- «عند الفجر إذن بعد ثلاثة أيام من الآن. الصَّبية أولًا».

ردَّ تورموند: «سمعتك أول عشر مرَّات أيها الغراب. كان المرء ليحسب أن لا ثقة بيننا»، وبصقَ ثم أردف: «الصَّبية أولًا، أجل. الماموثات ستقطع الطريق الطويل. تأكَّد من أن ينتظروها في (القلعة الشَّرقيَّة)، وسأتأكَّد من ألا يقع شجار أو تدافع إلى بوابتكم اللعينة. سنكون لطافًا منظمين، بطَّات صغيرة في طابور، وأنا البطَّة الأم، هار!».

قادَ تورموند چون إلى خارج خيمته. بالخارج النهار صافٍ منقشع الغيوم، وقد عادت الشمس إلى السماء بعد أسبوعين من الغياب، وإلى الجنوب يرتفع (الجدار) أبيض مزرقاً وضاءً. ثمّة مقولة سمعها چون من رجال (القلعة السوداء) الأكبر سنًا. أحياناً يقولون: لـ(الجدار) أمزجة تتبدّل أكثر من الملك المجنون إيرس، وأحياناً يقولون: لـ(الجدار) أمزجة تتبدّل أكثر من امرأة. في الأنهر الغائمة يبدو الصّرح من الصّخر الأبيض، وفي الليالي غير المقمرة يبدو بسواد الفحم، أمّا في هذا النهار وأشباهه يبرُق (الجدار) كبلورة سبتون ويبرز ضوء الشمس كلّ شتّى وصدع فيما تتراقص أقواس قزح المتجلدة وتلاشى وراء تموجاتٍ شبيهة شفافة. فيّ أشباه هذا النهار يبدو (الجدار) جميلًا.

وقفَ ابن تورموند الأكبر عند الخيول يتكلّم مع ليدرز. اسمه بين الأحرار توريج الطويل، ومع أنه يفوق ليدرز طولاً ببوصةٍ على الأكثر فإنه أطول من أبيه بقدّم كامل. جلسَ هارث -فتى (بلدة المناجذ) قوي البنية المدعو بالجواد- قُربَ النار معطيًا الاثنيَ الآخرين ظهره. هو وليدرو الرّجلان الوحيدان اللذان جلبهم چون معه إلى المفاوضة. كان عدد أكبر من هذا ليُرى كعلامة خوف، ولم يكن عشرون رجلًا آخر ليصنعوا فرقًا لو كانت نيّة تورموند سفك الدماء. جوست هو الحماية الوحيدة التي يحتاج إليها چون، فالذئب الرّهب يستطيع اشتمام الأعداء، حتى من يُدارون عداوتهم بالتّسّم. على أنه وجدَ جوست غائبًا. خلعَ چون قفازًا أسود ووضعَ إصبعين في فمه وصرَفَ ونادى: «جوست، إليّ!».

من أعلى جاء صوت جناحين مفاجئ، وطارَ عُذاف مورمونت من فرع سنديانةٍ قديمة ليحطّ على سرج چون صائحًا: «ذرة، ذرة، ذرة!».

قال چون: «أنت أيضًا تبعتني؟»، ومدّ يده بنيةً أن يطرد الطائر، إلّا أنه مسّد ريشه بدلًا من ذلك، ورمقه الطائر بنظرةٍ عليمّة وحرّك رأسه من أعلى إلى أسفل متممًا: «سنو!».

ثم خرجَ جوست من بين شجرتين ومعه قال. يبدوان كأن مكانهما معًا. ترتدي قال أبيض على أبيض، سراويلها من الصّوف الأبيض مدسوسة في حذاءٍ عالي الرّقبة من الجلد المبيّض، ومعطفها فروة دُبّ بيضاء مثبّتة عند الكتف بمشبكٍ على شكل وجه ويروود منحوت، وقميصها أبيض أبازيمه من العظم. أنفاسها بيضاء أيضًا... لكن عينيها

زرقاوان، وضميرتها الطويلة بلون عسل النحل الدّاكن، ووجنتها متورّدتان من البرد. زمن طويل مرّ منذ رأى چون سنو منظرًا بهذا الحُسن.

سألها: «هل تُحاولين سرقة ذئبي؟».

- «ولمّ لا؟ لو حظيت كل امرأةٍ بذئبٍ رهيب لأحسن الرجال الأدب، بمنّ فيهم الغربان».

ضحك تورموند بليّة العماليق، وقال: «هار! لا تتراشق معها بالألفاظ أيها اللورد سنو. إنها أذكى من أمثالك وأمثالي. خيرٌ لك أن تخطفها بسرعةٍ قبل أن يُفنيق توريج ويأخذها أولًا».

ماذا قال ذلك الأبله أكسل فلورنت عن قال؟ «الفتاة في سنّ الزواج، وجميلة الطلعة، وركاها قويّان وندياها كبيران، مخلوقة لوضع الأطفال». كل هذا صحيح، لكن المرأة الهمجيّة أكثر من هذا بكثير، وقد برهنت على هذا بعثورها على تورموند في حين أخفق جواله مخضرمون من حرس الليل. قد لا تكون أميرةً لكنها تصلح زوجةً وجيهةً لأيّ لورد.

لكن ذلك الجسر احترق منذ زمن، وألقى چون المشعل بنفسه. هكذا أعلن: «هنيئًا لتوريج بها. لقد حلفتُ يمينًا».

- «لن تُمانع. أليس كذلك يا فتاة؟».

رَبّتْ فإل على السكّين العظمي الطويل على وركها قائلةً: «مرحبًا باللورد غراب إذا أراد أن يتسلّل إلى فراشي في أيّ ليلة. ما إن أخصيه سيسهلّ عليه كثيرًا الحفاظ على تلك اليمين».

عاد تورموند يدوّي: «هار! هل سمعت هذا يا توريج؟ ابق بعيدًا عنها. إن لي ابنةً ولا أحتاج إلى أخرى»، وهزّ الرّعيم الهمجي رأسه عائداً إلى داخل خيمته.

بينما حكّ چون جوست وراء أذنه جلبّ توريج حصان قال. ما زالت تركب الحصان الرّمادي الذي أعطاه لها مولى يوم غادرت (الجدار)، الحصان الأشعث النّحيل الضّعيف ذا العين الكفيفة، وإذ دارت به شطر (الجدار) تساءلت: «كيف حال الوحش الصّغير؟».

أجابها چون ممطياً حصانه: «منذ تركتينا تضاعف حجمه مرّتين وصخبه ثلاثًا. حين يُريد الرّضاعة يُمكنك سماعه من (القلعة الشّرقية)».

تحركت إلى جواره قائلة: «حسن... ها قد جلبت لك تورموند كما قلت
 إنني سأفعل. والآن ماذا؟ هل أرجع إلى زناتي القديمة؟».

- «زنانتك القديمة مشغولة. الملكة سيليس اتخذت (برج الملك)
 لنفسها. هل تذكرين (برج هاردين)؟».

- «الذي يبدو على وشك الانهيار؟».

- «هكذا يبدو منذ مئة عام. لقد جهزت لك الطابق العلوي يا سيديتي.
 ستمتعين بمساحة أكبر من (برج الملك)، ولكن قد لا تجدين الراحة نفسها
 هناك. لا أحد سمّاه (قصر هاردين) من قبل.».

- «أختارُ الحرّية فوق الرّاحة كلّ مرّة.».

- «لكِ حرّية الحركة في القلعة، لكن يُوسّفني أن أقول إن عليك أن تبقي
 أسيرة. يُمكنني أن أعدك بأنك لن تجدي إزعاجًا من زوّارٍ غير مرغوبين.
 رجالي لا رجال الملكة يحرسون (برج هاردين)، كما أن وَن وَن ينام في
 الرّدهة.».

- «عملاق يحميني؟ حتى دالا لم تعرف مفخرة كهذه.».

شاهدتهم همج تورموند يمرّون ناظرين من داخل خيامهم المنصوبة
 تحت الأشجار الجرداء. مقابل كلّ رجل في سنّ القتال رأى جون ثلاث
 نساء ومثلهن من الأطفال، مخلوقات ضاوية الوجوه جوفاء الخدود محمقة
 الأعين. حين قاد مانس رايدر شعب الأحرار في عدوانه علي (الجدار) ساق
 تابعوه أمامهم قطعانًا كبيرة من الخراف والماعز والخنازير، إلا أن الحيوانات
 الوحيدة التي يراها جون الآن هي الماموثات، ولا شكّ لديه في أنها كانت
 لتذبح أيضًا لولا جبروت العمالقة، ذلك أن اللحم وافر على عظامها.

رأى جون علامات مرضي أيضًا، وقد أفلقه هذا أكثر مما يستطيع التعبير.
 إذا كانت جماعة تورموند جائعة مريضة فماذا عن الألوف الذين تبعوا الأم
 خلد إلى (هاردهوم)؟ المفترض أن يبلغهم كوتر بايك قريبًا. إذا ترفقت الرّيح
 فقد يكون أسطوله في طريق العودة إلى (القلعة الشرّقية) بالفعل، ومعها أكبر
 عددٍ استطاع حشره من الأحرار على متون السّفن.

سألته قال: «كيف أبليت مع تورموند؟».

- «سليني بعد عامٍ من الآن. ما زال الجزء الصّعب ينتظرنِي، الجزء الذي

أَقْنَعُ فِيهِ قَوْمِي بِأَنْ يَأْكُلُوا الْوَجْبَةَ الَّتِي طَبَخْتُهَا لَهُمْ. أَخْشَى أَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ لَنْ يُعْجِبَهُ الطَّعْمُ».

- «دَعْنِي أَسَاعِدُكَ».

- «لَقَدْ سَاعَدْتِ بِالْفِعْلِ، جَلِبْتِ إِلَيَّ تَورْمُونَدًا».

- «يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ الْمَزِيدَ».

فَكَرَّ جُونُ: وَلَمْ لَا؟ إِنَّهُمْ مُقْتَنِعُونَ جَمِيعًا بِأَنَّهَا أَمِيرَةٌ. قَالَ تَبْدُو كَأَلْمِيرَاتٍ حَقًّا وَتَرْكَبُ كَأَنَّهَا مَوْلُودَةٌ عَلَى صَهْوَةِ حِصَانٍ. أَمِيرَةٌ مُحَارِبَةٌ وَلَيْسَتْ مَجْرَدٌ مَخْلُوقَةٌ رَقِيقَةٌ تَجْلِسُ فِي بُرْجٍ تُصَفِّفُ شَعْرَهَا وَتَنْتَظِرُ وَصُولَ فَارِسٍ مَا يُقْذِئُهَا. قَالَ: «عَلَيَّ إِبْلَاغُ الْمَلِكَةِ بِهَذَا الْإِتِّفَاقِ. مَرْحَبًا بِكَ إِذَا أَرَدْتَ الْمَجِيءَ مَعِي لِلْقَائِمَاتِ، هَذَا إِذَا اسْتَطَعْتَ إِرْغَامَ نَفْسِكَ عَلَى الرَّكُوعِ». لَنْ يَصْلُحَ أَبَدًا أَنْ تُهَيِّنَ قَالَ جَلَالَتِهَا قَبْلَ أَنْ يَنْبَسَ هُوَ بِنْتِ شَفَةِ.

- «هَلْ لِي أَنْ أَضْحَكَ حِينَ أُرْكَعُ؟».

- «لَا. لَيْسَتْ هَذِهِ لُعْبَةٌ. بَيْنَ شَعْبِنَا يَجْرِي نَهْرٌ مِنَ الدَّمِ، نَهْرٌ قَدِيمٌ عَمِيقٌ أَحْمَرٌ. سَتَانِيسُ بَارَاثِيُونَ مِنَ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ يُحَبِّدُونَ ضَمَّ الْهَمْجِ إِلَى الْبِلَادِ، وَأَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَدْعِمَ مَلِكْتَهُ مَا فَعَلْتَهُ».

مَاتَتْ ابْتِسَامَةٌ قَالَ الْعَابِثَةُ، وَقَالَتْ: «لَكَ كَلِمَتِي أَيُّهَا اللَّورْدُ سَنُو. سَأَتَصَرَّفُ كَمَا يَلِيقُ بِأَمِيرَةٍ هَمْجِيَّةٍ أَمَامَ مَلِكْتِكَ».

كَانَ لِيرْدًا: لَيْسَتْ مَلِكْتِي. الْحَقِيقَةُ أَنَّ خَيْرَ رَحِيلِهَا عَاجِلُهُ، وَإِذَا شَاءَتْ الْأَلْهَةُ فَسَتَأْخُذُ مَلِيسَانْدَرًا مَعَهَا.

رَكَبُوا بَقِيَّةَ الطَّرِيقِ تَحْتَ مِظَلَّةِ الصَّمْتِ وَجُوسْتِ يَتَوَاتَبُ فِي أَعْقَابِهِمْ، وَتَبْعُهُمْ غُدَافُ مَورْمُونَتِ حَتَّى الْبَوَابَةِ، ثُمَّ حَلَقَ إِلَى أَعْلَى فِيمَا تَرَجَّلُوا، وَتَقَدَّمَهِمُ الْجَوَادُ حَامِلًا مَشْعَلًا يُضِيءُ الطَّرِيقَ عِبْرَ النَّقِّ الْجَلِيدِي.

كَانَتْ مَجْمُوعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الْإِخْوَةِ السُّودِ فِي الْإِنْتِظَارِ عِنْدَ الْبَوَابَةِ حِينَ خَرَجَ جُونُ وَرِفَاقُهُ جَنُوبَ (الْجِدَارِ)، مِنْهُمْ أَوْلَمْرُ ابْنِ (غَابَةِ الْمَلُوكِ)، وَقَدْ تَقَدَّمَ الرَّامِي الْعَجُوزُ يَتَكَلَّمُ نِيَابَةً عَنِ الْبَقِيَّةِ: «بَعْدَ إِذْنِ سَيِّدِي، الْفِتْيَةُ يَتَسَاءَلُونَ. أَهْوِ السَّلَامُ يَا سَيِّدِي أَمْ الدَّمُ وَالْحَدِيدُ؟».

أَجَابَ جُونُ سَنُو: «السَّلَامُ. بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْآنِ سَيَقُودُ تَورْمُونَدُ بَلِيَّةَ الْعَمَالِيقِ قَوْمَهُ عِبْرَ (الْجِدَارِ)، كَأَصْدِقَاءٍ لَا أَعْدَاءٍ، وَقَدْ يَرْفَعُ بَعْضُهُمْ

أعدادنا كإخوةٍ أيضًا. سيكون علينا أن نُشعرهم بالترحيب. والآن عودوا إلى واجباتكم»، وناول ساتان زمام حصانه قائلاً: «يجب أن أرى الملكة سيليس». ستعدّها جلالتها إهانةً إذا لم يذهب إليها في الحال. «وبعدها عندي رسائل سأكتبها. أحضر ورقاً وريش كتابةٍ ودواةً من حبر المايسترات الأسود إلى مسكني، ثم استدع مارش ويارويك والسّبتون سلا دور وكلايداس». سيكون سلا دور شبه سكران كالمعتاد، وكلايداس بديل رديء لمايستر حقيقي، لكنهما ما لديه. إلى أن يرجع سام. «واستدع الشماليين أيضًا، فلينت ونوري. ليذرز، يُستحسن أن تحضر أيضًا».

قال ساتان: «هوب يخبز فطائر البصل. هل أطلبُ أن ينضمُّوا إليك على العشاء؟».

فكّر چون لحظةً، ثم قال: «لا. اطلب منهم الانضمام إليّ على قمة (الجدار) عند الغروب»، والتفت إلى فال قائلاً: «سيّدتي، تفضّلي معي إذا سمحت».

قالت بنبرة عابثة: «الغراب يأمر والأسيرة تُطيع. مؤكّد أن ملكتك هذه عتيده إذا كانت سيقان الرّجال النّاضجين تتداعي من تحتهم في حضرتها. أكان عليّ ارتداء الحلقات المعدنية بدلاً من الصّوف والفرو؟ لقد أعطتني دالا هذه الثياب، ولا أحبُّ أن ألوثها بالدم». - «لو كان الكلام يُريق الدّم لكان عندك سبب للخوف. أظنُّ أن ثيابك بخير يا سيّدتي».

قالت فال فيما شقّا طريقهما إلى (برج الملك) في الممرّات المجروفة حديثاً بين أكوام الثلج المتّسخ: «سمعتُ أن لملكتك لحيّة قاتمةً كثيفةً». ابتسم چون رغم معرفته أنه لا يجب أن يبتسم، وقال: «لها شارب فقط، خفيف للغاية. يُمكنك أن تُحصي شعيراته». - «يا لحيبة الأمل».

على الرغم من كلّ كلامها عن الرّغبة في أن تكون سيّدة مقرّها الخاص لا يبدو أن سيليس باراثيون تستعجل هجران سُبُل الرّاحة في (القلعة السوداء) إلى ظلال (قلعة الليل). تحتفظ الملكة بحراسةٍ حولها بالطّبع؛ أربعة رجال على الباب واثنين بالخارج على السّلام واثنين بالداخل عند المستوقد،

يقودهم السير باتريك ابن (جبل الملك) مرتدياً ثيابه الفُرسانيَّة بألوانها البيضاء والزَّرْقَاءَ وَالْفَضِيَّةَ، وتُزَيَّنُ معطفه النُّجوم الخُماسيَّة. عندما قدَّمه چون إلى فإل جثا الفارس على رُكبته ولثَمَ قُفَّازها معلناً: «إنك أروع حُسنًا مما قيل لي أيتها الأميرة. جلالة الملكة أخبرتني بالكثير عن جَمالِكِ».

ردَّتْ فإل: «غريب، مع أنها لم ترني قط»، وربَّتت على رأس السير باتريك مردفةً كأنها تُكَلِّمُ كلبًا: «انهض أيها الفارس الرَّاعع، انهض، انهض».

بغاية جهده منع چون نفسه من الضَّحْك، وبقسماتٍ حجريَّة أخبرَ الفارس بأنهما يطُلبان المثل أمام الملكة، فأرسل السير باتريك جُنْدِيًّا يصعد السَّلام ليستعلم إن كانت جلالتهما تقبل استقبالهما، لكنه أضاف بإصرار: «لكن الذئب سيبقى هنا».

وهو ما توقَّعه چون، فالذئب الرَّهيب يُوتِّر الملكة كما يُوتِّرها وَن وَج وَن دار وَن تقريبًا، وهكذا قال: «جوست، ابق».

وجدَ جلالتهما جالسةً تحيك عند النَّار فيما يرقص مهرجها على موسيقى لا يسمعها إله وترنُ أجراس الأبقار المعلقة من قرون قُبَعته. لَمَّا رأى ذو الوجه المرقَّع چون صاح: «الغراب، الغراب. تحت البحر الغربان بيضاء كالثلج. أعرف، أعرف، أوه، أوه، أوه». كانت الأميرة شيرين متكورَّة على نفسها على المقعد المجاور للنَّافذة، وقد رفعت قلنسوتها تُخفي أغلب آثار الدَّاء الأرمَد الذي مسَّخَ وجهها.

لم يرَ أثرًا لليدي مليساندرا، وهو ما أشعره بالامتنان. عاجلاً أو آجلاً سيواجه الرَّاهبة الحمراء، لكنه يُفضِّل ألاَّ يحدث ذلك في حضرة الملكة. ركَع قائلاً: «صاحبة الجلالة»، وحذت فإل حذوه.

وضعت الملكة سيليس حياكتها جانبًا، وقالت: «يُمكِنكما النهوض».

- «بعد إذن صاحبة الجلالة، هل لي أن أقدم الليدي فإل؟ كانت أختها دالا...».

- «... أمَّ ذلك الرضيع المزعج الذي يحرمنا النوم ليلاً. أعرف من هي أيها اللورد سنو»، وتَشَقَّت الملكة، وأضافت: «من حُسن حظك أنها عادت إلينا قبل زوجي الملك وإلاَّ لدفعت الثمن غاليًا، غاليًا جدًّا».

سألَت شيرين فإل: «أأنتِ الأميرة الهمجيَّة؟».

- «بعضهم يدعوني بهذا. كانت أختي زوجة مانس رايدر ملك ما وراء الجدار، لكنها ماتت وهي تضع ابنه».

أعلنت شيرين: «أنا أيضًا أميرة، لكنني لم أحظُ بأختٍ قطُّ. كان لي ابن عم قبل أن يُسافر. كان نغلاً، لكنني أحببته».

قالت أمُّها: «حقًا يا شيرين، إنني واثقة بأن حضرة القائد لم يأت هنا لسمع عن أولاد روبرت غير الشرعيين. ذو الوجه المرقع، كُن مهرجًا مطيعًا وخذ الأميرة إلى غرفتها».

رنت أجراس فُبعته، وندندن المهرج: «لنرحل، لنرحل. تعالي معي تحت البحر. لنرحل، لنرحل، لنرحل»، وأخذ الأميرة الصَّغيرة من يدها وخرج بها متوئبًا.

قال چون: «جلالة الملكة، قائد شعب الأحرار وافق على شروطي».

أومأت الملكة سيليس برأسها إيماءً متناهية الصغر، وقالت: «لطالما كانت رغبة السيّد زوجي أن يمنح هؤلاء البرابرة مأوى. ما داموا يُحافظون على سلام الملك ويُطيعون قوانينه فأهلًا وسهلاً بهم في بلادنا»، وزمّت شفيتها مضيئة: «بلغني أن معهم المزيد من العمالقة».

أجابتها قال: «نحو مئتين يا جلالة الملكة، وأكثر من ثمانين ماموثًا».

ارتعدت الملكة قائلة: «مخلوقات رهيبة»، وإن لم يُميّز چون إن كانت تتكلّم عن الماموثات أم العمالقة. «ولو أن تلك الحيوانات قد تنفع زوجي في معاركه».

قال چون: «ربما يا جلالة الملكة، لكن الماموثات أكبر من أن تمرّ من بوابتنا».

- «ألا يُمكن توسيع البوابة؟».

- «ليس... ليس حكيماً أن نفعل هذا في رأيي».

تنشّقت سيليس، وقالت: «كما تقول. لا شك أنك تعرف تلك الأشياء. أين تنوي توطين هؤلاء الهمج؟ مؤكّد أن (بلدة المناجد) لن تسع... كم عددهم؟».

- «أربعة آلاف يا صاحبة الجلالة. سيُساعدوننا على إقامة حاميات في قلاعنا المهجورة، وهو ما يُعيننا أكثر على الدّفاع عن (الجدار)».

- «ما فهمته أن تلك القلاع أطلال، أماكن موحشة مقفرة باردة، بالكاد أكثر من أكوامٍ من الرُّكام. في (القلعة الشَّرقيَّة) سمعنا كلامًا عن الجرذان والعنكب.»

سيكون البرد قد قتل العنكب بالفعل، وقد تصلح الجرذان مصدرًا مفيدًا للحم في الشتاء. «كلُّ هذا صحيح يا صاحبة الجلالة... لكن حتى الأطلال تصلح للإيواء نوعًا، وسيقف (الجدار) بينها وبين (الآخرين)».

- «أرى أنك فكَّرت مليًّا في الأمر كلُّه أيها اللورد سنو. إنني واثقة بأن الملك ستانيس سيُسَرُّ حين يعود مظفَّرًا من معركته.»

بفرض أن يعود من الأصل.

ووصلت الملكة: «طبعًا على الهمج أو لا الإقرار بستانيس ملكًا وبراهلور إلهاً.»

وها نحن أولاء، وجهًا لوجه في الدرب الضيق. «سامحيني يا جلالة الملكة، لكن ذلك ليس من الشروط التي اتَّفقتنا عليها.»

قسَّت ملامح الملكة إذ قالت: «إهمال جسيم»، واختفى ما كان في نبرتها من لمحة خافتة من الدَّفء في الحال.

أخبرتها قال: «الأحرار لا يركعون.»

ردَّت الملكة: «لا مفرَّ من إركاعهم إذن.»

- «افعلي ذلك يا صاحبة الجلالة وسينهضون ثانيةً مع أول فرصة، ينهضون شاهرين السَّلاح.»

كيسَّت الملكة فكَّها وارتجفت ذقنها ارتجافًا صغيرةً، وقالت: «أنتِ صفيقة. أظنُّ أن هذا هو المتوقَّع من همجيَّة. علينا أن نجد لك زوجًا يُعلمك الأدب»، ونقلت نظرتها النَّاريَّة إلى چون مردفةً: «لستُ أوافقُ أيها القائد، وكذا لن يُوافق السيِّد زوجي. لا أستطيعُ أن أمنعك من فتح بوابتك كما يعلم كلانا تمام العلم، لكنني أعدك بأنك ستدفع ثمن قرارك حين يعود الملك من المعركة. قد ترغب في إعادة النَّظر.»

ركعَ چون ثانيةً قائلًا: «جلالة الملكة»، وهذه المرَّة لم تحدُّ قال حذوه. «يُؤسفني أن أفعالي كدَّرتك. لقد فعلتُ ما رأيته الأفضل. هل تأذنين لي في الانصراف؟».

- «نعم، على الفور».

بالخارج، وبعد أن ابتعدا عن رجال الملكة، نَفَسَتْ قَالِ عَنْ غَضْبَتِهَا قَائِلَةً: «كَذَبْتَ بِشَأْنِ لِحْيَتِهَا. عَلَى ذَقْنِهَا شَعْرٌ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ سَاقَيْ. وَالابْنَةُ... وَجْهَهَا...».

- «الدَّاءُ الأَرْمَدُ».

- «نُسِمِيَهُ المَوْتَ الأَرْمَدُ».

- «لَيْسَ مَمِيَّتًا دَوْمًا فِي الأَطْفَالِ».

- «هُوَ كَذَلِكَ شِمَالِ (الجِدَارِ). الشُّوكرَانُ⁽¹⁾ عِلاجٌ نَاجِعٌ، لَكِنْ وَسَادَةٌ أَوْ نَصْلًا يَصْلُحَانِ أَيضًا. لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الطُّفْلَةُ المَسْكِينَةُ ابْنَتِي لَمُنَحْتَهَا هَدِيَّةَ الرَّحْمَةِ مِنْدُزْمِنَ».

قَالَ چُونِ الذِّي لَمْ يَرِ هَذَا الجَانِبَ مِنْ قَالِ مِنْ قَبْلِ قَطُّ: «الأَمِيرَةُ شِيرِينَ ابْنَةُ المَلِكَةِ الوَحِيدَةِ».

- «وَأَسْفَاهُ عَلَى الاثْنَيْنِ. الطُّفْلَةُ لَيْسَتْ نَظِيفَةً».

- «إِذَا انْتَصَرَ سَتَانِيسُ فِي حَرْبِهِ فَسَتُصْبِحُ شِيرِينَ وَرِثَةُ العَرْشِ الحَدِيدِي».

- «وَأَسْفَاهُ عَلَى (المَمَالِكِ السَّعِجِ) إِذْنِ».

- «المَايَسْتِرَاتُ يَقُولُونَ إِنْ الدَّاءُ الأَرْمَدُ لَيْسَ...».

- «فَلْيُصَدِّقِ المَايَسْتِرَاتُ مَا يُرِيدُونَ تَصَدِيقَهُ. سَلِ سَاحِرَةَ غَابَاتٍ إِذَا كُنْتَ رَاجِبًا فِي مَعْرِفَةِ الحَقِيقَةِ. المَوْتَ الأَرْمَدُ يَحْمَلُ فِتْرَةً، فَفَقَطْ لِيَنْشِطْ مِنْ جَدِيدِ. الطُّفْلَةُ لَيْسَتْ نَظِيفَةً!».

- «إِنهَا تَبْدُو فَتَاةً حُلْوَةً. لَسْنَا نَعْلَمُ...».

قَاطَعَتْهُ: «أَنَا أَعْلَمُ، وَأَنْتِ لَسْتِ تَعْلَمُ شَيْئًا يَا چُونِ سَنُو»، وَقَبَضَتْ عَلَى ذِرَاعِهِ مِتَابَعَةً: «لَا أُرِيدُ الوَحْشَ هُنَاكَ، هُوَ وَمُرْضَعَاتِهِ. لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتْرُكَهُمْ فِي البُرْجِ نَفْسَهُ مَعَ الفَتَاةِ المِيتَةِ».

أَزَاحَ يَدَهَا قَائِلًا: «لَيْسَتْ مِيتَةً!».

قَالَتْ قَالِ: «بَلِ مِيتَةٌ. أُمُّهَا لَا تَرَى هَذَا، وَلَا تَرَاهُ أَنْتِ أَيضًا عَلَى مَا يَبْدُو،

(1) الشُّوكرَانُ عُشْبَةٌ سَامَّةٌ تَنْبِتُ بِالقَرَبِ مِنَ الأَمَاكِنِ المَأْهُولَةِ لَهَا أَزْهَارٌ بِيضَاءُ وَسُوقٌ خَضْرَاءُ، وَيُسْتَخْرَجُ مِنْهَا سُمٌّ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ لِأَنَّ سَقْرَاطَ مَاتَ بِهَا. (المُتْرَجَمُ).

لكن الموت هنا»، وابتعدت عنه، ثم توقفت والتفتت مضيفةً: «لقد جلبت لك تورموند بليّة العماليق، فاجلب لي وحشي».

- «سأفعل إذا استطعت».

- «افعل. إنك مدين لي يا چون سنو».

راقبها چون تبعد بخطوات واسعة مفكراً: إنها مخطئة، مؤكّد أنها مخطئة. الداء الأرمد ليس مميتاً كما تدّعي، ليس في الأطفال.

كان جوست قد غاب ثانيةً وانخفضت الشمس في الغرب. كم سينفعي كوب من النيّذ المتبلّ الساخن الآن، وكم سينفعي كوبان أكثر. لكن على الشراب أن ينتظر. إن أمامه أعداءً يواجههم، أعداءً من أسوأ نوع: إخوته.

وجد ليذرز في انتظاره عند القفص، وركبا معاً إلى أعلى. كلما ارتفعا اشتدتّ الرّيح، وعلى ارتفاع خمسين قدماً بدأ القفص الثقيل يتأرجح مع كلّ هبة، ومن وقتٍ إلى آخر احتكّ بـ(الجدار) بادئاً وابلأً بلورياً صغيراً من الجليد يسقط متلاًثلاً في الشمس. ارتقياً فوق أعلى أبراج القلعة، وعلى ارتفاع أربعمئة قدم صارت للرّيح أسنان غرستها في معطفه الأسود وضربت به القضبان الحديد بضجيج، وعلى ارتفاع سبعمئة قدم انغرست الأسنان في جسده هو، وقال چون لنفسه يذكرها فيما سحب عمالّ الرّافعة القفص: (الجدار) تحت قيادتي... لمُدّة يومين آخرين على الأقلّ.

وثب چون إلى الجليد وشكر عمالّ الرّافعة وأوماً برأسه لحاملي الحراب الواقفين حراسةً. يضع كلاهما قلنسوة من الصّوف مرفوعةً على رأسه، فلم ير شيئاً من وجهيهما إلّا الأعين، لكنه تعرّف تاي عن طريق حبل الشعر الأسود الدهني المتشابك المنسدل على ظهره، وأوين عن طريق إصبع السُّجق المدسوس في الغمد على وركه، وربما كان ليتعرّفهما على كلّ حالٍ من طريقة وقوفهما. على اللورد الصّالح أن يعرف رجاله. هكذا أخبره أبوه وروب ذات مرّة في (وينترفل).

سار إلى حافة (الجدار) وتطلّع إلى أرض المقتلة حيث مات جيش مانس رايدر متسائلاً أين مانس الآن. هل عثر عليك يا أختي الصّغيرة أم أنك كنت مجرد حيلة استخدمها لأطلق سراحه؟

زمن طويل جداً منذ رأى آريا. كيف تبدو الآن؟ هل سيتعرّفها؟ آريا

المُداسة. كان وجهها متسخًا دومًا. أما زالَ معها السَّيف الصَّغير الذي جعلَ
يمكن يصنعه لها؟ اطعنهم بالطَّرْف المدبَّب. نصيحة سديدة ليلية زفافها إن
صحَّ ولو نصف ما سمعه عن رامزي بولتون. أعدّها يا مانس. لقد أُنقذتُ ابنك
من ملبساندرا، والآن أهمُّ يانقاذ أربعة آلافٍ من شعبك الحُر. إنك مدين لي
بهذه الفتاة الصَّغيرة الواحدة.

في (الغابة المسكونة) إلى الشَّمال تزحف ظلال الأصيل بين الأشجار،
وسماء الغرب وهيج أحمر، لكن إلى الشَّرْق بدأت باكورة النُّجوم تلوح. ثنى
چون أصابع يد سيفه وبسطها متذكِّرًا كلَّ ما فقدَه. سام أيها الأحمق البدين
الجميل، دُعابة قاسية منك أن تجعلني القائد. القادة لا أصدقاء لهم.
قال ليندريز: «لورد سنو، الففص يصعد».

ابتعدَ عن الحافة قائلاً: «أسمعه».

أول الصَّاعدين زعيما العشائر فلينت ونوري مرتديَّين الفرو والحديد.
يُشبهه النوري الثَّعلب العجوز، متغضَّن هزيل البنيان لكن ثاقب العينين خفيف
الحركة. أمَّا تورجن فلينت فأقصر منه بنصف رأسٍ لكنه يفوقه وزنًا مرَّتين،
رجل غليظ مكننز يده كبيرتان حمراوتا المفاصل، ويتكئ بشدَّة على عكَّازٍ
من خشب البرقوق إذ تقدَّم يعرج على الجليد. تبعهما باون مارش ملتحفًا
بفروة دُب وبعده أوثيل يارويك ثم السَّبتون سلا دور شبه السَّكران.

قال چون: «سيروا معي»، وساروا غربًا فوق قمَّة (الجدار) على الطُّرقات
المفروشة بالحصى صوب الشَّمس الرَّاحلة، ولَمَّا أصبَحوا على بُعد خمسين
ياردةً من سقيفة التَّدفئة قال لهم: «تعرفون لِمَ استدعيتكم. بعد ثلاثة أيام من
الآن ستُفتَح البوابة عند مطلع الفجر للسَّماح لتورموند وقومه بالمرور من
(الجدار). ثَمَّة أشياء كثيرة علينا أن نفعلها استعدادًا».

استُقبلَ إعلانه بالصَّمت، ثم إن أوثيل يارويك قال: «حضرة القائد، هناك
الآلاف من...».

- «... الهمج العجاف المرهقين الجياع البعيدين عن موطنهم»، وأشار
چون إلى أضواء نيرانهم متبعًا: «ها هم أولاء، أربعة آلاف طبَّقا لتورموند».
عقب باون مارش الذي يهوى الحساب والقياس: «أقدِّرهم بثلاثة آلاف
حسب نيرانهم، أكثر من ضعفي العدد في (هاردهوم) مع ساحرة الغابات

كما قيل لنا. والسير دينس كتبَ عن مخيّماتٍ ضخمةٍ في الجبال بعد (بُرج الظلال)...».

لم يُحاولِ چون الإنكار، وقال: «تورموند يقول إن البكاء ينوي الهجوم على (جسر الجماجم) ثانية».

تحسّس الرُّمانة العجوز نديته التي أصيبتَ بها في أثناء الدِّفاع عن (جسر الجماجم) حين حاولَ الرَّجل الباكي أن يشقَّ طريقه قتالاً إلى (الغور). «مؤكّد أن حضرة القائد لا ينوي السّماح لهذا... هذا الشَّيطان بالمرور أيضًا، أليس كذلك؟».

- «ليس بنفسٍ رضية». لم ينسَ چون الرُّؤوس التي تركها له الرَّجل الباكي بمحاجر دامية حيث كانت أعينها. چاك بولوار الأسود وهال المُشعر وچارث جرايفيدر. ليس بإمكانني أن أقتصَّ لهم، لكنني لن أنسى أسماءهم. «لكن نعم يا سيّدي، هو أيضًا. لا يمكننا أن نتقي ونصطفي من الأحرار قائلين من يمرُّ ومن يبقى. السّلام يعني السّلام للجميع».

تنزع النوري وبصق، ثم قال: «كأنني بك تُقيم السّلام مع الذّئاب وغربان الجيف».

ودمدَمَ فلينت العجوز: «زنازيني محفوفة بالسّلام. أعطني الرَّجل الباكي». سأل أوثيل يارويك: «كم جرّأً قتلهم البكاء؟ كم امرأة اغتصبها أو قتلها أو اختطفها؟».

قال فلينت العجوز: «فعلَ هذا بثلاثٍ من عائلتي، ومن لا يأخذهن يُعيهن».

ذكّرهم چون قائلاً: «عندما يرتدي الرَّجل أسود الحرس تُغفر جرائمه. إذا أردنا أن يُقاتل الأحرار إلى جانبنا فعلينا التّجاوُز عن جرائمهم السّابقة مثلهم مثل رجالنا».

ردّ يارويك بإصرار: «لن يحلف البكاء اليمين ولن يرتدي المعطف الأسود. الهجّانة الآخرون أنفسهم لا يثقون به».

- «ليس ضروريًا أن تثق بامريّ لتستغله». وإلّا فأتى لي أن أستغلّكم جميعًا؟ «إننا محتاجون إلى البكاء وأمثاله. من يعرف البراري أفضل من الهمج؟ من يعرف عدونا أفضل ممّن قاتلوه؟».

علّق يارويك: «البكّاء لا يعرف إلاّ الاغتصاب والقتل».
قال باون مارش: «حالما يمرّون من (الجدار) سيفوقنا الهمج عددًا
ثلاثة إلى واحد، وهذه جماعة تورموند فقط. أصف رجال البكّاء ومن في
(هاردهوم) وسيتمتعون بالقوة الكافية للقضاء على حرس الليل في ليلةٍ
واحدة».

- «الأعداد وحدها لا تريح الحروب. أنتم لم تروهم. نصفهم أقرب إلى
الموت».

قال يارويك: «أوثر أن يكونوا موتى بالفعل، بعد إذن سيّدي».
بصوت بارد كالريّح التي تمضغ معاطفهم قال جون: «ليس هذا شيئًا أدن
فيه. هناك أطفال في المخيم، مئآت منهم، آلاف، ونساء أيضًا».
- «زوجات حراب».

- «بعضهن، علاوة على الأمّهات والجذّات والأرامل والصّبايا... أترغب
في الحُكم عليهن جميعًا بالموت يا سيّدي؟».
تدخّل السّبتون سلا دور قائلاً: «يجب ألاّ يتشاجر الإخوة. فلنركع ونُصلي
لـ(العجوز) أن تُنير سبيلنا إلى الحكمة».

قال النوري: «لورد سنو، أين تنوي أن تضع همجك هؤلاء؟ ليس في
أرضي على ما أمل».

وأعلن فلينت العجوز: «أجل. إذا كنت تُريدهم في (الهدية) فهذه حماقتك،
لكن اعمل على ألاّ يشردوا هنا أو هناك وإلاّ أرسلت إليك رؤوسهم. الشّاء
قريب، ولست أريد مزيدًا من الأفواه المحتاجة إلى طعام».

طمأنهما جون قائلاً: «سيبقى الهمج على (الجدار)، معظمهم في قلاعنا
المهجورة». لحرس الليل الآن حمايات في (باب الجليد) و(الرّابية الطويلة)
و(بهو السّمور) و(الحارس الرّمادي) و(البُحيرة العميقة)، كلّها يفتقر بشدّة
إلى الأيدي العاملة، لكن قلاعًا عشرًا لا تزال خاليةً مهجورة. «الرّجال ذوو
الرّوجات والأطفال، وجميع الأيتام صبيةً وصبايا دون العاشرة، والنّساء
العجائز والأمّهات المترمّلات وكل امرأةٍ لا تُريد أن تُقاتل. الرّوجات
الحراب سنُرسلهن إلى (الرّابية الطويلة) للانضمام إلى أخواتهن، والرّجال
العُزب إلى القلاع الأخرى التي أعدنا فتحها. من يرتدون الأسود سيقون هنا

أو يُكَلَّفُون بِالخِدْمَةِ فِي (الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ) أَوْ (بُرْجِ الظَّلَالِ). سَيَتَّخِذُ تَورْمُونْدُ (دَرَعَ الْبَلُوطِ) مَقْرَأً لَهُ لِيَبْقَى عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْهَا». زَفَرَبَاوَنُ مَارِشٌ، وَقَالَ: «إِذَا لَمْ يَقْتُلُونَا بِسِوْفِهِمْ فَسَيَفْعَلُونَهَا بِأَفْوَاهِهِمْ. تُرَى كَيْفَ يَنْتَوِي حَضْرَةُ الْقَائِدِ إِطْعَامَ تَورْمُونْدِ وَآلِفِهِ؟». أَجَابَ چُونُ الَّذِي تَوَقَّعَ السُّؤَالَ: «عَنْ طَرِيقِ (الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ). سَنَجْلِبُ الطَّعَامَ بِالسُّفْنِ، كُلُّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ، مِنْ أَرَاضِي النَّهْرِ وَأَرَاضِي الْعَوَاصِفِ وَ(وَادِي آرَنَ)، وَمِنْ (دُورِنَ) وَ(الْمَرْعَى) وَعَبْرَ (الْبَحْرِ الضِّيْقِ) مِنَ الْمُدُنِ الْحُرَّةِ».

- «وَسَيُدْفَعُ ثَمَنُ هَذَا الطَّعَامِ... بِمَاذَا إِذَا سَمَحْتَ لِي بِالسُّؤَالِ؟». كَانِ چُونُ لِيُجِيبَهُ: بِذَهَبٍ مِنَ (الْمَصْرَفِ الْحَدِيدِيِّ) فِي (بِرَاؤُسَ)، لَكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «لَقَدْ وَأَفَقْتُ عَلَى أَنْ يَحْتَفِظَ الْأَحْرَارُ بِفَرَاثِهِمْ وَجَلُودِهِمْ، فَسَيَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا لِلدَّفْعِ حِينَ يَأْتِي الشُّتَاءُ، أَمَّا جَمِيعُ ثُرَوَاتِهِمُ الْأُخْرَى فَعَلَيْهِمْ التَّنَازُلُ عَنْهَا؛ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالكَهْرْمَانُ وَالْأَحْجَارُ الْكَرِيمَةُ وَالْمَنْحَوَاتُ، كُلُّ مَا لَهُ قِيَمَةٌ. سَنَشْحَنُ كُلَّ هَذَا عَبْرَ (الْبَحْرِ الضِّيْقِ) لِيُبَاعَ فِي الْمُدُنِ الْحُرَّةِ». قَالَ النُّورِيُّ: «جَمِيعُ ثُرَوَاتِ الْهَمَجِ، مَا يَكْفِي لَأَنْ تَشْتَرِيَ سَلَّةً مِنَ الشَّعِيرِ، سَلَّتَيْنِ عَلَى الْأَكْثَرِ».

سَأَلَ كَلَايِدَاسُ: «حَضْرَةُ الْقَائِدِ، لِمَ لَا نَطَالِبُ الْهَمَجَ بِتَسْلِيمِ أَسْلِحَتِهِمْ أَيْضًا؟».

ضَحِكَ لِيذَرِزُ مِنْ قَوْلِهِ، وَرَدَّ: «تُرِيدُونَ أَنْ يُقَاتِلَ الْأَحْرَارُ إِلَى جِوَارِكُمْ ضِدَّ الْعَدُوِّ الْمَشْتَرِكِ. كَيْفَ نَفْعَلُ هَذَا دُونَ أَسْلِحَةٍ؟ هَلْ نَرْمِي الْجُبْثَ الْحَيَّةَ بِكُرَاتِ الثَّلْجِ أَمْ أَنْكُمُ سَتُعْطُونَا عَصِيًّا نَضْرِبُهَا بِهَا؟».

أَسْلِحَةُ الْهَمَجِ لَا تَفْرُقُ كَثِيرًا عَنِ الْعَصِيِّ. أَسْلِحَتُهُمْ هِرَاوَاتُ خَشَبِيَّةٌ وَفُؤُوسٌ حَجْرِيَّةٌ وَمَطَارِقُ، وَجِرَابٌ رَوْوَسُهُا مَقْوَاةٌ بِالنَّارِ، وَسَكَكِينٌ مِنَ الْعِظْمِ وَالْحَجَرِ وَزُجَاجِ التَّنِينِ، وَتُرُوسٌ مِنَ الْخِيْزِرَانِ وَدُرُوعٌ مِنَ الْعِظَامِ، وَجِلْدٌ مَقْوَى بِالزَّيْتِ الْمَغْلِيِّ. يُطْرَقُ الثَّنِيونُ الْبِرُونِزُ، وَيَحْمَلُ الْهَجَانَةَ أَمْثَالَ الْبَكَّاءِ سِيوْفًا مِنَ الْفُولَادِ وَالْحَدِيدِ مَسْرُوقَةً مِنْ جِثَّةٍ أَوْ أُخْرَى... لَكِنْ حَتَّى هَذِهِ الْأَسْلِحَةُ أَكْثَرُهَا عَتِيقٌ، مَنبَعَجَةٌ مِنْ سَنِينِ الْإِسْتِحْدَامِ الْقَاسِيِ وَمَبْقَعَةٌ بِالصَّدَأِ. قَالَ چُونُ: «تَورْمُونْدُ بَلِيَّةٌ الْعَمَالِيْقُ لَنْ يُجَرِّدَ قَوْمَهُ مِنَ السَّلَاحِ طَوْعًا أَبَدًا».

إنه ليس الرَّجُل الباكي، لكنه ليس جبانًا كذلك. لو طلبتُ ذلك منه لأريقَت
الدِّماء»

داعبَ النوري لحيته قائلاً: «يُمكنك أن تضع هَمَجك في تلك القلاع
المهجورة أيها اللورد سنو، لكن كيف ستُبقِيهم هناك؟ ما الذي يمنعهم من
الرَّحيل جنوبًا إلى أراضٍ أفضل وأدْفأ؟». أضافَ فلينت العجوز: «أراضينا!».

- «تورموند أقسم لي أنه سيخدم معنا حتى الرِّبيع، وهو ما سيُقسِم عليه
البُكَّاء والزُّعماء الآخرون وإلَّا فلن نسمح لهم بالمرور». قال فلينت العجوز هازئاً رأسه: «سيخونونا». وقال أوثيل يارويك: «كلمة البُكَّاء بلا قيمة». وقال السِّبتون سلا دور: «إنهم كفرَة وحشيُّون. حتى في الجنوب يشتهر
الهَمَج بخيانتهم».

عقدَ ليدرز ذراعيه على صدره قائلاً: «المعركة التي درات بالأسفل، كنتُ
على الجانب الآخر خلالها، أتذكرون هذا؟ والآن أرتدي أسودكم وأدربُ
صبيتكم على القتل. قد يدعوني البعض بالمارق، وقد يكون هذا صحيحًا...
لكنني لستُ أكثر وحشيَّةً منكم أيها الغُربان. إن لنا آلهتنا أيضًا، الآلهة نفسها
التي يعبُدونها في (وينترفل)».

قال چون: «آلهة الشَّمال المعبودة من قبل أن يُشَيِّد هذا (الجدار)، هذه هي
الآلهة التي أقسمَ بها تورموند. سيصون كلمته. إنني أعرفه كما عرفتُ مانس
رايدر. لقد زحفتُ معهم فترةً إن كنتم تذكرون». أجابَ قيِّم الوُكلاء: «لم أنس».

نعم، لم أظنَّك نسيت.
واصلَ مارش: «مانس رايدر أقسمَ أيضًا، أقسمَ إلَّا يعتمر تاجًا أو يتَّخذ
زوجةً أو يُنجب أولادًا، ثم إنه انقلبَ وفعلَ كلَّ هذه الأشياء وقادَ جيشًا عرمرم
ضد البلاد. فلول هذا الجيش هي المنتظرة وراء (الجدار)».

- «فلول مكسورة».

- «السِّيف المكسور قابل للإصلاح، السِّيف المكسور يَقتُل».

- «ليس عند الأحرار لوردات أو قوانين، لكنهم يُحبُّون أطفالهم. هل تقرُّ بهذا القدر على الأقل؟».

- «ليس أطفالهم مَنْ يُقلِقونني. إننا نخشى الآباء لا الأبناء».

- «وأنا أيضًا، ولذا أصررتُ على رهائن». لستُ أحمق نزعاً إلى الثقة كما تحسبونني... ولا نصف همجي بغضِّ النَّظر عمَّا تعتقدونه. «مئة صبيِّ بين سنيِّ الثامنة والسادسة عشرة، ابن من كلِّ من زُعمائهم وقادتهم، والبقية سيُختارون بالاقتراع. سيخدم الصَّبية كوصفاء ومُرافقين، وهو ما يُخوِّل لرجالنا حرِّيَّة القيام بواجباتٍ أُخري. قد يختار بعضهم الانضمام إلينا يومًا ما. أشياء أُغرب حدثت. الباقون سيظلُّون رهائن لضمان ولاء آبائهم».

تبادل الشَّماليان نظرةً، ثم قال النوري متأملاً: «رهائن؟ تورموند وافق على هذا؟».

كان إمَّا هذا وإمَّا يُشاهد قومه يهلكون. قال چون سنو: «سمَّاهُ ثَمني الدَّموي، لكنه سيدفعه».

قال فلينت: «أجل، ولمَ لا؟»، ودقَّ الجليد بعُكَّازه متابعاً: «لطالما دعوناهم بالأرباء حين كانت (ويتترف) تُطالبنا بصبيبة، لكنهم كانوا رهائن، ولم يُصيَّبهم سوء».

قال النوري: «باستثناء من أغضبَ أسلافهم ملوك الشَّتاء. هؤلاء عادوا ناقصين رأساً. أخبرني إذن يا ولد... إذا أثبتَ أصدقاؤك الهَمج غدرهم فهل تتحلَّى بالشَّجاعة لِفعل ما يجب فعله؟».

سَل چانوس سلينت. «تورموند بليَّة العماليق أعقل من أن يختبرني. قد أبدو صبيّاً أخضر في نظرك أيها اللورد نوري، لكنني ما زلتُ ابن إدارد ستارك».

لكن حتى هذا لم يُرض قيِّم الوكلاء، الذي قال: «تقول إن هؤلاء الصَّبيبة سيخدمون كمُرافقين. مؤكَّد أن حضرة القائد لا يعني أنهم سيُدربون على القتال».

ردَّ چون وقد اتَّقدت غضبته: «لا يا سيِّدي، بل أنوي أن أكلفهم بخياطة الثَّياب الدَّاخليَّة الحرير. بالطبع سيُدربون على السِّلاح، وسيمخضون الزُّبدة أيضًا ويقطعون الحطب ويُنظفون الاسطبلات ويُفرغون أوعية الفضلات».

وينقلون الرسائل... وبين هذه الواجبات سيُدربون على الحربة والسيِّف والقوس الطويل».

احتقنَ وجه مارش بدرجةٍ أفى من الأحمر، وقال: «أرجو أن يغفر القائد فظاظتي، لكني لا أملك أسلوباً أرفق أقولُ به هذا. ما تقترحه ليس أقل من خيانة. طوال ثمانية آلاف عام وقف رجال حرس الليل على (الجدار) وحاربوا هؤلاء الهمج، والآن تتوي السَّماح لهم بالمرور، بأيوائهم في قلاعنا، ياطعامهم وكسوتهم وتعليمهم القتال. لورد سنو، أعليّ أن أذكرك؟ لقد أقسمتَ قسماً!».

قال چون: «أعرفُ ما أقسمتُ عليه. أنا السيِّف في الظلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النَّار التي تشتعل لتطرُد البرد، الضوء الذي يأتي بالفجر، النَّفير الذي يُوقظ النَّيام، الدرع التي تقي بلدان البشر. أهذه هي الكلمات نفسها التي ردّتها حين أقسمت قسماً؟».

- «هي كذلك كما يعلم حضرة القائد».

- «وأنت أنت بأنني لم أنسَ جزءاً؟ الجزء الخاص بالملك وقوانينه وكيف علينا الدفاع عن كلِّ شبرٍ من أرضه والاستماتة على كلِّ قلعةٍ متهدمة؟ ماذا يقول هذا الجزء؟». انتظر چون جواباً، فلمَّا لم يأتِ تابع: «أنا الدرع التي تقي بلدان البشر. هذه هي الكلمات. أخبرني إذن يا سيدي... ماذا يكون هؤلاء الهمج إن لم يكونوا بشرًا؟».

فتح باون مارش فمه، ولم تخرُج منه كلمة، وزحف الاحتقان على عنقه. التفت چون سنو عنهم. كان ضوء الشمس الأخير قد بدأ يخبو، وشاهد الشقوق في وجه (الجدار) تستحيل من الأحمر إلى الرمادي إلى الأسود، من خطوطٍ من النَّار إلى أنهارٍ من الجليد الأسود. بالأسفل ستشعل الليدي مليساندرا نارها الليلية وترتم: أيا إله الضياء، دافع عنا، فالليل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال.

أخيراً قال چون كاسراً الصَّمت المريب: «الشتاء قادم، ومعه المُشاة البيض. عند (الجدار) سنصدُّهم. (الجدار) مبنيٌّ لصدِّهم... لكن (الجدار) يلزمه مَنْ يدافعون عنه. هذا النَّقاش انتهى. أمامنا كثير نفعله قبل فتح البوابة. تورموند

وقومه سيحتاجون إلى طعام وملبس ومأوى. بعضهم مرضى ومحتاجون إلى رعاية. عليك بهؤلاء يا كلايداس. أنقذ العدد الذي تقدر عليه». رَمَقَهُ كَلايداس بعينيه الوردِيَّتان ضعيفتا النَّظر قائلاً: «سأبذلُ قِصاري جهدي يا چون، أعني يا سيِّدي».

- «سنحتاج إلى تجهيز كل عربةٍ تُدْفَع أو تُجَرَّ لنقل الأحرار إلى مواطنهم الجديدة. أوثيل، ستتولَّى هذا».

قال يارويك عابساً: «نعم يا حضرة القائد».

- «لورد باون، ستجمع رسوم المرور؛ الذهب والفضة والكهرمان والأطواق وحلقات الأذرع والقلائد. افرز كلَّ شيءٍ واحصِه واحرص على بلوغه (القلعة الشرقيَّة) بأمان».

قال باون مارش: «نعم أيها اللورد سنو».

وفكَّر چون: جليداً أرى، قالت، وخناجر في الظلام، دماءٌ قانيةٌ متجمِّدةٌ عن آخرها وفولاداً مجرداً. انثنت أصابع يد سيفه وانبسطت. وكانت الرِّيحُ تشتدُّ.



سرسي

كُلُّ لَيْلَةٍ تَبْدُو أَبْرَدَ مِنْ سَابِقَتِهَا.
لَا مَدْفَأَةَ فِي الزَّرْزَانَةِ وَلَا مُسْتَوَقَدَ، وَالنَّافِذَةَ الْوَحِيدَةَ أَعْلَى مِنْ أَنْ تَنْظُرَ مِنْهَا
وَأَضِيقَ مِنْ أَنْ تَعْتَصِرَ جَسَدَهَا عِبْرَهَا، لَكِنْ حَجْمَهَا يَكْفِي لِدُخُولِ الْبَرْدِ وَيَزِيدُ.
كَانَتْ سَرَسِي قَدْ مَزَّقَتْ أَوَّلَ ثَوْبٍ أُعْطِيَتْهَا إِيَّاهُ مَطَالِبَةً بِإِعَادَةِ ثِيَابِهَا، لَكِنْ هُنَّ
تَرَكْنَهَا عَارِيَةً تَرْتَجِفُ، وَلَمَّا جَلَبْنَ لَهَا ثَوْبًا آخَرَ ارْتَدَّتْهُ وَشَكَرْتَهُنَّ وَالْكَلِمَاتِ
تَخْتَنِقُ فِي حَلْقِهَا.

تُدْخِلُ النَّافِذَةَ الْأَصْوَاتَ أَيْضًا، وَهِيَ الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ الْمَتَّاحَةُ لِلْمَلِكَةِ
لِمَعْرِفَةِ مَا يَدُورُ فِي الْمَدِينَةِ، فَالسُّبُتَاتُ اللَّاتِي يُحْضِرْنَ لَهَا الطَّعَامَ لَا يُخْبِرْنَهَا
بِشَيْءٍ.

تَبْغِضُ هَذَا حَقًّا. سِيَّاتِي چَايْمِي لِإِنْقَاذِهَا، لَكِنْ كَيْفَ تَعْرِفُ حِينَ يَصِلُ؟
تَأْمَلُ سَرَسِي فَقَطْ أَلَّا يَتَصَرَّفَ بِحِمَاقَةٍ وَيَجِيءَ سَابِقًا جَيْشَهُ، فَسَيَحْتَاجُ إِلَى كُلِّ
سَيْفٍ لِلتَّعَامُلِ مَعَ جَمَهْرَةِ الصَّعَالِيكِ الْحَقِيرَةِ الْمَحِيطَةِ بِ(السُّبُتِ الْكَبِيرِ).
مَرَارًا سَأَلْتُ عَنْ تَوَامِهَا، إِلَّا أَنْ سَجَّانَاتِهَا لَمْ يَمْنَحْنَهَا جَوَابًا. وَسَأَلْتُ عَنِ السَّيْرِ
لُورَاسَ أَيْضًا. قَالَ التَّقْرِيرُ الْأَخِيرُ إِنَّ فَارِسَ الزُّهُورِ يُحْتَضِرُ فِي (دِرَاجُونَسْتُونِ)
مَتَأَثِّرًا بِالْجِرَاحِ الَّتِي حَاقَتْ بِهِ فِي أَثْنَاءِ الْاسْتِيْلَاءِ عَلَى الْفَلْعَةِ. فَلِيَمْتُتْ، وَلِيَمْتُتْ
سَرِيعًا. سَيَعْنِي مَوْتَ الْفَتَى شُغُورَ مَكَانٍ فِي الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ، وَقَدْ يَكُونُ فِي
هَذَا خِلَاصِهَا، لَكِنْ السُّبُتَاتُ يَلْذُنُ بِالصَّمْتِ عَنِ لُورَاسِ تَايِرْلِ مِثْلَمَا يَفْعَلُنَّ
عَنِ چَايْمِي.

كَانَ الْلُورْدُ كَايِرِنُ زَائِرُهَا الْأَخِيرَ وَالْوَحِيدَ، وَيُعِدُّهَا تَلَخُّصَ عَالَمِهَا فِي أَرْبَعِ
نَسَمَاتٍ، هِيَ وَسَجَّانَاتُهَا الْوَرَعَاتُ الْمَتَعَتَّاتُ الثَّلَاثُ. السُّبُتَةُ أُونَلَا مُسْتَرَجَلَةٌ

كبيرة العظام، لها يدان متكلفتان وملامح قبيحة عابسة، والسَّيِّئة مويل لها شعر أبيض يابس وعينان صغيرتان قاسيتان في حالة دائمة من الشكِّ، تنظران من وجهٍ متغضَّن بحدَّة نصل الفأس، والسَّيِّئة سكوليرا قصيرة غليظة الخصر، ثدياها ثقيلان وبشرتها زيتونيَّة ورائحة حامضة كالحليب الذي يُوشك على التَّلَف. يجلبن لها الطَّعام والماء، ويُفرغن وعاء فضلاتها، ويأخذن ثوبها ليُغسَل كلُّ بضعة أيام تاركاتٍ إياها رابضةً تحت غطاها إلى أن يُعدنه. أحياناً تقرأ لها سكوليرا من (النَّجْمَة السُّباعيَّة) أو (كتاب الصَّلوات المقدَّسة)، لكن فيما عدا هذا لا تُخاطبها أيُّهن أو تُجيب عن أسئلتها.

الثلاث تكرهن وتحتقرهن كما تكره الرِّجال الذين خانوها وتحتقرهم. أصدقاء زائفون، خدم مخادعون، رجال تصنَّعوا حُبَّها إلى أبد الأبدین، وحتى لحمها ودمها... كلُّهم جفوها في ساعة الاحتياج. ذلك الضَّعيف أوزني كتلبلاك خارت قواه تحت جلدات الكُرباج وملاً أُذني العُصفور الأعلى بأسرارٍ كان عليه أن يأخذها معه إلى القبر، ولم يُحرِّك أخواه ساكناً. ثلاثهم حُثالة شوارع رفعتهم من الحضيض ورفقتهم. وأميرالها أوران ووترز فرَّ إلى البحر بالدرمونات⁽¹⁾ التي بنتها له. وأورتون ميريوذر هرغ عائداً إلى (الطَّاولَة الطَّويلة) وأخذَ معه زوجته تائنا التي كانت صديقة الملكة الحقيقيَّة الوحيدة في هذه الأوقات العصيبة. وهاريس سويفت والمياستر الأكبر بايسل تخلياً عنها في مصيدتها وقدَّما البلاد لنفس الرِّجل الذي دسَّ لها الدَّسائس. ومرين ترانت وبوروس بلاونت حاميا الملك المحلَّفان لا أثر لهما. حتى لانسل ابن عمِّها الذي ادَّعي حُبَّه لها من قبل واحد من متهميها. وعمُّها رفض معاونتها على الحُكم وقد أرادت أن تجعله يد الملك.

وچایمی...

لا، هذا ما لا تُصدِّقه ولن تُصدِّقه. بمجرد أن يعلم چایمی بمحتنتها سيأتي. كتبت له سرسي: «تعال في الحال. ساعدني. أفيذني. إنني محتاجة إليك الآن كما لم أحتج إليك من قبل قط. أحبُّك، أحبُّك، أحبُّك. تعال في الحال».

(1) الدرُمونة من السُّفن الحربيَّة ذات الأشعة والمجازيف، تميِّز بسرعتها وحجمها الكبير وقُدرتها على حمل عددٍ كبير من الرِّجال. (المُترجم).

وأقسم كايبرن أنه سيحرص على وصول الرسالة إلى توأمها الغائب في أراضي النهر مع جيشه. على أن كايبرن لم يرجع، وعلى حد علمها فقد يكون ميتاً ورأسه على خازوق فوق إحدى بوابات المدينة، أو ربما يُدبّل الآن في إحدى الزنازين السوداء تحت (القلعة الحمراء) دون أن ينال فرصة إرسال رسالتها. مئة مرة استعلّمت الملكة عنه، لكن آسراتها لم يلفظن كلمة عنه. كل ما تعلمه يقيناً أن چايمي لم يأت.

ليس بعد، لكن قريباً، وحين يأتي سيُعردّ العصفور الأعلى وزبائنه بأغنية مختلفة.

كم تمقت الشعور بالعجز.

هددت سرسي، وقوبلت تهديداتها بوجوه حجرية وآذان صماء. أمرت، وأغفلت أوامرها. استنجدت برحمة (الأم) مستجديّة العطف الطبيعي لامرأة على أخرى، لكن مؤكّد أن السّبتوات الذّاويات الثّلاث نحيّن أنوثتهن جانباً حين ردّدن نذورهن. جرّبت الكياسة وخاطبتهن برفقٍ وتقبّلت كل إهانةٍ منهن باستكانة، غير أنهن لم يتزحزحن. عرضت عليهن المكافآت ووعدهن بالمحابة والتّكريم والذهب ووظائف في البلاط الملكي، فعاملن وعودها كوعدها.

وصلت. أوه، لكم صلّت. الصّلاة ما أردن، وإليهن قدّمتها، قدّمتها على رُكبتها كأنها بغبي من عوام الشّوارع لا بنت (الصّخرة). صلّت في سبيل الغوث، في سبيل الخلاص، في سبيل چايمي. جهراً ترجّت الآلهة أن تُدافع عنها في براءتها، وسراً دعت أن يلقى متهموها ميتةً مفاجئة مؤلمة. صلّت حتى دमित رُكبتها وانسحجتا، حتى تورّم لسانها ونُقِلَ وكادت تختنق به. كلّ الصّلوات التي تعلّمتها في صغرها استعادتها سرسي في سجنها، وتفتّق ذهنها عن أخرى جديدة حسب الحاجة، تبتهل إلى (الأم) و(العذراء)، إلى (الأب) و(المُحارب)، إلى (العجوز) و(الحداد)، وحتى إلى (الغريب). أيّ إله في عاصفة يصلح. وصمّ (السّبعة) آذانهم عنها كما صمّتها خادماهم على الأرض. أعطتهن سرسي كل ما تعرف من كلمات، أعطتهن كل شيء إلاّ الدّموع. تلك لن ينلنها أبداً.

كم تمقت الشعور بالضعف.

لو منحَها الآلهة القوَّة كجايمي وذلك المأفون المختال روبرت لفرَّت وحدها دون حاجةٍ إلى عون. ألا ليتني أملكُ سيفاً والمهارة لحمله. إن لها قلباً مُحارب، إلا أن الآلهة في نقيمتها العمياء منحَها جسد امرأةٍ ضعيفاً. حاولت الملكة أن تُفَاتِلهن في البداية، لكن السِّبْتوات تغلبن عليها. إنهن كثيرات، وأقوى مما يُوحى منظرهن. نساء عجائز قبيحات جميعهن، لكن انكبابهن الدائم على الصَّلَاة والتنَّظيف وضرب المترهبينات الجديداً بالعصي أكسبهن خشونة الجذور وصلابتها.

ولا يسمح لها بالراحة. ليلاً أو نهاراً، متى أسلَّت الملكة جفنيها لتنام تظهر إحدى أسراتها لتوقظها وتطالبها بالاعتراف بخطاياها. إنها متهممة بالزنى والفسق والخيانة العظمى، وحتى القتل، ذلك أن أوزني كتبلالك اعترف بخنق السِّبْتون الأعلى السَّابق بأمرها. حين تهزُّ الملكة لتوقظها تُزْمَجِر السِّبْتة أونلا: «جئتُ أسمعك تعترفين بالقتل والفجور»، وتقول لها السِّبْتة مويل إن ذنوبها السَّبب في حرمانها النوم. «وحدهم الأبرياء يعرفون سلام النوم الهنيء. اعترفني بخطاياك وستنامين كطفلةٍ حديثة الولادة».

من يقظةٍ إلي نوم إلى يقظةٍ تُكسِّر أيدي معدباتها الخشنة كلَّ ليلةٍ من لياليها قطعاً، وكل ليلةٍ أبرد وأقسى من السَّابقة. ساعة البومة، وساعة الذئب، وساعة العندليب، وطلوع القمر وأفوله، والغسق والفجر، جميعها يمرُّ بها مترنحاً كأشخاصٍ سكارى. أيُّ ساعةٍ هذه؟ أيُّ يوم؟ أين هي؟ أهذا حلم أم أنها صاحبة؟ استحالت شظايا النوم الصَّغيرة التي سمَّحن لها بها إلى أمواس تُقطع عقلها تقطيعاً، ويطلع عليها كلُّ نهارٍ فيجدها أبلد من سابقه، مكدودةٌ محمومةٌ، حتى فقدت كلَّ إحساس بزمن وجودها في هذه الزَّنْزَانة المعزولة أعلى أحد أبراج (سِبت بيلور الكبير) السَّبعة، وقالت لنفسها بيأس: سأشيخُ وأموتُ هنا.

ولا يُمكن أن تسمح سرسي بذلك، فابنها في حاجةٍ إليها، البلاد في حاجةٍ إليها. يجب أن تُحرِّر نفسها مهما كانت المخاطرة. لقد تقلَّص عالمها إلى زَنْزَانةٍ مساحتها سنَّة أقدام مربعةٍ ووعاء فضلات وسريرٍ متكئ القش ودثارٍ من الصُّوف البني ضئيل كالأمل يستحكُّ جلدتها، لكنها لا تزال وريثة اللورد تاويين وابنة (الصَّخرة).

محمومةً ساغبةً، مستنزفةً من الاحتياج إلى النّوم، ومرتجفةً من البرد الذي يتسلّل إلى الزّنازة كلّ ليلة، أدركت سرسي أخيراً أن عليها الاعتراف.

عندما جاءت السّبيّة أونلا ليلتها تنتزعها من النّوم وجدت الملكة على رُكبتيها، وقالت سرسي: «لقد أذنبتُ». لسانها ثقيل في فمها، وشفتاها مشققتان موجوعتان. «ارتكبتُ ذنوباً وآثاماً عظيمةً. أرى هذا الآن. كيف ظللتُ عمياء طوال هذا الوقت؟ (العجوز) أتتني رافعةً مصباحها عاليًا، وفي نوره المقدّس رأيتُ السّيبيل الذي عليّ أن أسلكه. أريدُ أن أعود نظيفةً، أريدُ العُفْران فحسب. أرجوكِ أيتها السّبيّة الكريمة، أتوسّلُ إليك، حُذيني إلى السّبتون الأعلى لأعترف له بجرائمِي وفسقِي».

قالت السّبيّة: «سأخبره يا جلالة الملكة. سيُسّرُ صاحبُ القداسة الأعلى أيما سرور. فقط من خلال الاعتراف والتّوبة النّصوح نستطيع إنقاذ أرواحنا الخالدة».

وطيلة ما تبقى من تلك اللّيلة الطّويلة تركّتها تنام، ساعات وساعات من نعمة النّوم، وهذه المرّة تجاوزتها البومة والذّئب والعندليب دون أن ترى مرورها أو تشعُر به، فيما حلّمت سرسي حُلماً طويلاً جميلاً كان چايمي فيه زوجها وما زال ابنيهما على قيد الحياة.

ومع مجيء الصّباح أحسّت الملكة بأن شطراً كبيراً من نفسها رُدّ إليها، ولمّا جاءتْها أسراتها عادت تُردّد عليهن بعض اللّغظ الخاشع وأخبرتهن بعزمها على الاعتراف بمعاصيها ونيل الصّفح عمّا اقترفته.

قالت السّبيّة مويل: «يُبهجننا أن نسمع هذا».

وقالت السّبيّة سكوليرا: «سيُرفَع عبءٌ عظيم عن روحك، وستشعُرين بتحسُّن كبير بعدها يا جلالة الملكة».

جلالة الملكة. هزّتها هاتان الكلمتان البسيطتان حماساً. خلال سجنها الطّويل لم تُكلّف سجناناتها أنفسهن مجرد مخاطبتها بهذه اللّياقة البسيطة.

قالت السّبيّة أونلا: «صاحبُ القداسة الأعلى ينتظركِ».

خفّضت سرسي رأسها بخنوع وإذعانٍ قائلّة: «هل تسمح لي بالاستحمام أولاً؟ لستُ في هيئةٍ تليق بالمثول أمامه».

أجابّت السّبيّة أونلا: «لك أن تستحمّي لاحقاً إذا سمحَ صاحبُ القداسة

الأعلى. ما يجب أن يهَمَّك الآن طهارة روحك الخالدة لا أباطيل اللحم الفاني».

قادت السِّبْتوات الثلاث على سلاّم البُرج، السِّبْتة أونلا أمامها والسِّبْتتان مويل وسكوليرا في أعقابها مباشرة، كأنهن يخشين أن تُحاول الفرار. بينما ينزلن غمغمت سرسي بنبرة هادئة: «مضى وقت طويل جداً منذ جاءني زائر. هل الملك بخير؟ أسأل فقط بصفتي أمّاً خائفةً على طفلها».

أجابتها السِّبْتة سكوليرا: «جلالته في صحّة طيِّبة وتحت حماية لصيقة ليل نهار. الملكة معه دوماً».

أنا الملكة! ازدردت لعابها وابتسمت وقالت: «يسرُّني أن أعلم هذا. تومن يُحبُّها كثيراً. لم أصدّق لحظةً الأشياء المشينة التي قيلت عنها». هل استطاعت مارچري تايرل بوسيلة ما التَّنصُّل من اتِّهامها بالفسوق والزُّنى والخيانة العظمى؟ «هل أقيمت محاكمة؟».

قالت السِّبْتة سكوليرا: «قريباً، لكن شقيقها...».

قاطعتها أونلا: «صه!»، والتفتت تحدج سكوليرا بعبوس من فوق كتفها، وأضافت: «تُثرثرين كثيراً أيتها العجوز الحمقاء. ليس لنا أن نتكلّم عن تلك الأشياء».

خفّضت سكوليرا رأسها قائلةً: «سامحيني».

وأكملت النزول في صمت.

استقبلها العُصفور الأعلى في معتكفه، عُرفة متواضعة سباعية الجوانب، على جدرانها الحجرية نقوش بدائية لوجوه الآلهة السَّعة تُحدِّق بتعبيرات تُداني التعبير على وجه صاحب القداسة الأعلى في الجهامة والاستنكار. حين دخلت وجدته يكتب جالساً إلى طاولة بسيطة غير مستوية السطح. لم يتغيّر السِّبْتون الأعلى منذ آخر مرّة كانت في حضوره، يوم أمر بالقبض عليها وسجنها. ما زال رجلاً مهزولاً أشيب الشعر، يبدو عليه التَّقشف والصَّلابة والحاجة إلى الغذاء، وجهه حادُّ القسما متغصّن وعينه شكاكتان، وبدلاً من الثياب الفاخرة التي رفل فيها أسلافه يرتدي سُترَةً طويلة بلا شكل من الصُّوف غير المصبوغ تصل إلى كاحليه. خاطبها قائلاً على سبيل التَّحيّة: «صاحبة الجلالة، بلغني أنك راغبة في الاعتراف».

خَرَّتْ سرسي على رُكبتيها قائلةً: «نعم يا صاحب القداسة الأعلى. لقد جاءتني (العجوز) في المنام رافعةً مصباحها عاليًا...».

قاطعها: «بالتأكيد. أونلا، ستمكثين وتُدَوِّنين أقوال جلالتها. سكوليرا، مويل، يُمكنكما الانصراف»، وشبَّكَ أصابع يديه معًا، اللَّفْتَةَ ذاتها التي رأتها من أبيها آلاف المرات.

جلست السَّيِّئَةُ أونلا وراءها وبسطت رِقًا وغمست ريشةً في دواةٍ من جبر المايسترات، وأحسَّتْ سرسي بطعنةٍ مباغتهٍ من الذعر، فتساءلت: «بعد أن أعترف هل سيُسمح لي...».

- «التَّعاملُ مع جلالتك سيكون وفقًا لذنوبك».

للمرَّةِ الثَّانِيَةِ تُدْرِكُ أن الرَّجُلَ شديد العناد. استجمعت هدوءها لحظةً، ثم قالت: «فلتشملي (الأم) برحمتها إذن. لقد نمتُ مع رجالٍ خارجِ رباط الزَّواج، أعترفُ بهذا».

سألها السَّيِّئَةُ الأعلى مُثَبِّتًا عينيه على عينيه: «مَنْ؟».

سمعت سرسي السَّيِّئَةَ أونلا تكتب وراءها فتصنع ريشتها خربشةً ناعمةً خافتةً. أجابت: «لانسِلْ لانستر ابن عمِّي، وأوزني كِتْلِبلاك». كلا الرَّجُلَيْنِ اعترفَ بجماعها، ولن ينفعها إنكار هذا. «وأخواه أيضًا، كلاهما». لا سبيل لديها إلى معرفة ما قد يقوله أوزفريد وأوزموند، وعليه فاعترافها بما هو أكثر من اللازم أسهل من الاعتراف بما هو أقل من اللازم. «ليس هذا عُدْرًا لخطيئتي يا صاحب القداسة الأعلى، لكنني كنتُ وحيدةً وخائفةً. الآلهة أخذت مني الملك روبرت حبيبي وحاميي. كنتُ وحدي محاطةً بمتأمريين وأصدقاء زائفين وخونة تواطأوا على موت أطفالي. لم أدرِ بَمَنْ أثق، ف... فاستخدمتُ الأداة الوحيدة المتاحة لي لأضمن إخلاص الإخوة كِتْلِبلاك».

- «تعين أعضاءكِ الأنثويَّة؟».

قالت: «لحمي»، وضغطت يدها على وجهها مرتعدةً، ولمَّا خفصتها ثانيةً كانت الدُّموعُ تُبَلِّلُ عينيهَا. «نعم. عسى (العدراء) أن تغفر لي. لكنني فعلتها من أجل أطفالي، من أجل البلاد. لم أجد في الأمر أيَّ مُتعة. الإخوة كِتْلِبلاك... إنهم رجالُ فُساءةٍ غِلاظ، وقد استعملوني بخشونة، لكن ماذا كان بإمكانني أن أفعل؟ تو من كان محتاجًا إلى رجالٍ حوله أستطيعُ الثقة بهم».

- «رجال الحرس الملكي يحمون جلالته».

- «رجال الحرس الملكي وقفوا معدومي الحيلة عندما مات أخوه چوفري، عندما اغتيل في مأدبة زفافه. لقد شاهدتُ ابناً يموت، ولم أكن لأحتمل أن أفقد آخر. نعم، أذنبتُ وارثكُتُ الفاحشة، لكنني فعلتها من أجل تومن. سامحني يا صاحب القداسة الأعلى، لكنني مستعدة لفتح ساقِي لكل رجل في (كينجز لاندنج) إن كان ذلك ما يتوجب عليّ فعله لحماية أطفالي».

- «السّماح للآلهة وحدها. وماذا عن السير لانسل الذي كان ابن عمك ومُرافق السيّد زوجك؟ هل أخذته إلى فراشك لتظفري بولائه أيضًا؟».

- «لانسل». تردّدت سرسي، وقالت لنفسها: حذار، مؤكّد أن لانسل أخبره بكلّ شيء. «لانسل أحبني. كان صبيّاً، لكنني لم أشك في وفائه لي ولابني لحظة».

- «ومع ذلك أفسدته».

كتمت نسيجًا قائلة: «كنتُ وحيدة. لقد فقدتُ زوجي وابني والسيّد والدي. كنتُ الوصيّة على العرش، لكن الملكة تظلُّ امرأة، والنساء ضعيفات سهلات الانسياق إلى الغواية... صاحب القداسة الأعلى يعرف حقيقة هذا. حتى السّپتوات الموقّرات يُدبّنن. لقد وجدتُ في لانسل راحة. كان رقيقًا حنونًا وكنتُ في حاجة إلى أحد. أعرفُ أنني أخطأتُ، ولكن لم يكن لي غيره... المرأة تحتاج إلى الحبّ، إلى رجلٍ إلى جوارها. إنها... إنها...»، وأجهشتُ ببكاءٍ خارج سيطرتها.

لم يُحاول السّپتون الأعلى مواساتها، بل ظلَّ في مكانه مسلطًا عينيه القاسيتين عليها، يُشاهدها تتحب متحجّرًا كتماثيل (السّبعة) في السّپت بالأعلى. مرّت لحظات طويلة، لكن في النّهاية جفت دموعها تمامًا تاركةً عينها محمّرتين، وأحسّت سرسي كأنها على وشك فقدان الوعي.

على أن العصفور الأعلى لم يفرغ منها بعد، وهكذا قال: «هذه خطايا تقليديّة. طلاح الأرامل معلوم للجميع، وكلّ النساء خليعات في قلوبهن، يجنحن إلى استغلال حيلهن وجمالهن لفرض إرادتهن على الرّجال. لا خيانة في الأمر ما دُمت لم تشردي عن فراش الرّوجيّة وقت أن كان جلاله الملك روبرت حيًا».

همست مرتجفةً: «إطلاقاً، إطلاقاً، أقسم لك».

لم يُعِرِ رَدِّها اهتماماً، وقال: «ثُمَّ اتَّهَمَاتِ أُخْرَى ضِدَّ جَلالَتِكَ، جرائم أفذح من مجرد فسوقٍ بسيط. لقد أقررتِ بأن السير أوزني كِتْلَبلاك كان عشيقك، والسير أوزني يُؤكِّد أنه خنق سلفي بأمرِك، ويؤكِّد كذلك أنه شهد زوراً ضد الملكة مارچري وبنات عمومتهما وحكى عن فجورهن وزناهن وخيانتهن العُظمى بأمرِك أيضاً».

- «لا، غير صحيح. إنني أحبُّ مارچري كأنها ابنتي. والاتِّهام الآخر... لقد أعربتُ عن استيائي من السِّبْتون الأعلى، أعترفُ بهذا. الرَّجُل كان مخلوق تيريون، كان ضعيفاً فاسداً، وصمةً على عقيدتنا المقدسة. صاحب القداسة الأعلى يعلم هذا مثلي تماماً. ربما خطر لأوزني أن موته سيسرُّني، وإن صحَّ هذا فجزء من اللوم عليّ... لكن الاغتيال؟ لا، إنني بريئة من هذا. خُذني إلى السِّبْت وسأفُفُ أمام كُرسي حُكم (الأب) وأقسمُ على هذا».

قال السِّبْتون الأعلى: «في الوقت المناسب. إنك متَّهمة أيضاً بالتأمُر على قتل السيِّد زوجك، ملكنا المحبوب الرَّاحل روبرت الأول».

لانسل. «روبرت قتله خنزير برِّي. هل يقولون إنني مبدلة جِلْدَة الآن؟ وارج؟ أنا متَّهمة بقتل چوفري أيضاً؟ ابني البكري الجميل؟».

- «لا، زوجك فقط. هل تُنكرين هذا؟».

- «أنكره، نعم، أمام الآلهة والبشر أنكره جُملةً وتفصيلاً».

أوماً برأسه، وقال: «آخر الاتِّهَامات وأسوأها، هناك مَنْ يقولون إن أطفالك ليسوا من صُلب الملك روبرت، وإنما نغول مولودون من زنى المحارم».

رَدَّت سرسي من فورها: «ستانيس يقول هذا. إنها كذبة، كذبة، كذبة بيّنة. ستانيس يُريد العرش الحديدي لنفسه، لكن أولاد أخيه يقفون في طريقه، ولذا عليه أن يدعي أنهم ليسوا أولاد أخيه. تلك الرِّسالة القذرة... لا ذرَّة حقيقة فيها. أنكرُ التَّهمة».

بسَط السِّبْتون الأعلى يديه على سطح الطَّاولَة، ونهَض قائلاً: «عظيم. لقد أعرَض اللورد ستانيس عن حقيقة (السَّبعة) ليعبُد شيطاناً أحمر، وليس لمِلته الزَّائفة مكان في (الممالك السَّبع)».

طمأنها قوله نوعاً، وأومات سرسي برأسها مؤيِّدةً.

تابعَ صاحبُ القداسة الأعلى: «وعلى الرغم من هذا تظلُّ الاتِّهَامات مقدَّعة، ولا مناص من معرفة البلاد الحقيقة. إذا قالت صاحبةُ الجلالة الحقيقة فلا شكَّ أن مثلكَ للمُحاكمة سيُثبت براءتكِ». مُحَاكمة رَغم كلِّ هذا. «لقد اعترفتُ...».

- «... بخطايا بعينها، نعم، لكنك تُنكرين غيرها. ستفصل مُحَاماتك بين الحقيقة والادِّعاء. سأسألُ (السَّبعة) أن يغفروا لكِ الخطايا التي اعترفتِ بها وأدعوهم أن تُثبت براءتكِ من الاتِّهَامات الأخرى».

نهضت سرسي من على رُكبتها بتؤدَّة قائلة: «أحني هامتي لحكمة صاحب القداسة الأعلى، لكن إن كان لي أن أتوسَّل قطرةً واحدةً من رحمة (الأم)... لقد مرَّ وقت طويل جدًّا منذ رأيت ابني. أرجوك...».

بعينين من صوَّان قال العجوز: «لن يليق السَّماح لكِ بالاقتراب من الملك إلى أن تُطهَّري من ذنوبكِ كلِّها، لكنك أخذتِ الخطوة الأولى على طريق العودة إلى الصِّلاح، وفي ضوء هذا سأسمحُ لكِ بزائرين آخرين، واحد في اليوم».

أجهشت الملكة بالبكاء مرَّةً أخرى، وهذه المرَّة كانت دموعها حقيقةً. «أنت بالغ اللُّطف. أشكرُك».

- «(الأم) رحيمة. حريُّ بكِ أن تشكُريها هي». كانت مويل وسكوليرا في انتظارها لأخذها إلى زنزانتها في البُرج، وتبعتهن أونلا. بينما يصعدن قالت مويل: «كلُّنا نُصلي لأجل جلالتكِ»، وأمَّنت سكوليرا على قولها: «نعم، ولا شكَّ أنكِ تحسِّين بخفَّةٍ شديدة الآن، بطهارة وبراعة عذراءٍ صبيحة زفافها».

صبيحة زفافي ضاجعتُ چايبي. «نعم. أحسُّ كأنني وُلدت من جديد، كأن دُمًّا متفجِّحًا فُقيَ ويُمكنني أخيرًا أن أبدأ أتعافي. أكاد أُطير!». تخيلت كم سيكون رائعًا لو هوت بمرفقها على وجه السَّيِّئة سكوليرا فأسقطتها على أمِّ رأسها على السَّلال الملتفة، ولو شاءت الآلهة لارتطمت الرَّذيلة العجوز المتغصَّنة بالسَّيِّئة أونلا وأسقطتها معها.

قالت سكوليرا: «جميل أن نراكِ تبسمين ثانيةً». - «صاحب القداسة الأعلى سمح لي بزيارات، أليس كذلك؟».

أجابتها السَّيِّمَةُ أونلا: «بلى. إذا أخبرتنا صاحبة الجلالة بمن ترغب في رؤيتهم فسنرسل في طلبهم».

چاييمي، أحتاجُ إلى چاييمي. لكن إذا كان توأمها في المدينة فلم لم يأتِ؟ قد يكون الأكثر حكمةً أن تنتظر چاييمي ريثما تلم بما يجري وراء جدران (سِيت بيلور الكبير)، وهكذا قالت: «عمِّي، السير كيغان لانستر، أخو أبي. أهو في المدينة؟».

قالت السَّيِّمَةُ أونلا: «نعم. جناب الوصي مقيم في (القلعة الحمراء). سنرسل إليه في الحال».

- «أشكرك». قالتها سرسي مفكِّرةً: جناب الوصي، هه؟ لا يمكنها التظاهر بالدهشة.

اتضح أن للقلب الصَّاعِر التَّائب فوائد كثيرة تتخطى تطهير الرُّوح من الذُّنوب. ليلتها نُقِلَت الملكة إلى غُرْفَةٍ أكبر تحت السَّابِقة بدورين، بها نافذة تستطيع النَّظْر منها وأغطية ثقيلة ناعمة لسريرها، ولما حان وقت العشاء، وبدلاً من الخبز البائت وثرید الشُّوفان، قدَّمن لها ديكًا مشويًا ووعاءً من الخضراوات النَّضرة والجوز المسحوق، مع كومةٍ من اللَّفتوف المهروس السَّابح في الرُّبدة. ليلتها خلدت إلى النَّوم ببطنٍ شبَّعان للمرَّة الأولى منذ اعتقالها، ونامت ساعات اللَّيل السَّوداء بطولها دون إزعاج. وفي اليوم التَّالي، مع الفجر، أتى عمُّها.

كانت سرسي لا تزال تتناول إفطارها حين انفتح الباب ودخل السير كيغان لانستر، الذي أخبر سجاناتها: «اتركننا»، فأشارت أونلا إلى مويل وسكوليرا بالخروج ثم أغلقت الباب وراءهن، ونهضت الملكة.

بدا لها السير كيغان أكبر سنًا مما رأته آخر مرَّة. عمُّها رجل كبير الحجم، عريض المنكبين غليظ الخصر، له لحية شقراء مشدَّبة بعناية تتبع خطَّ فكِّه وسَّعر أشقر قصير منحسر عن جبهته، ويرتدي معطفًا ثقيلًا من الفرو المطلي بالقرمزي يُثبِّته إلى كتفه دُبوس ذهبي على شكل رأس أسد.

قالت الملكة: «أشكرك لمجيئك».

قطَّب عمُّها جبينه قائلاً: «ينبغي أن تجلسي. ثمة أشياء عليَّ أن أخبرك بها...».

ردّت غير راغبة في الجلوس: «ما زلت غاضبًا مني. أسمع هذا في نبرتك. سامحني يا عمّاه. كان خطأ مني أن ألقى النبيذ في وجهك، لكن...».

- «أتظنّيني بأبالي بكوب نبيذ؟ لانسل ابني يا سرسي! ابن عمّك. إذا كنت غاضبًا منك فهذا هو السبب. كان عليك أن تشمليه برعايتك، أن تُرشديه وتجدي له فتاة مناسبة من عائلة طيّبة، وبدلاً من ذلك...».

- «أعرف، أعرف». لانسل أرادتني أكثر مما أردته يوماً، وأراهن أنه لم يزل يُريديني. «كنت وحيدة وضعيفة. أرجوك يا عمّي. أه يا عمّي. يُسعدني للغاية أن أرى وجهك، وجهك الجميل. لقد ارتكبت أفعالاً شريرة، أعلم هذا، لكنني لا أحتمل ألا تُسامحني»، وألقت ذارعها حوله ولثمته على وجنته مردفة: «سامحني، سامحني».

تحمل السير كيثان العناق بضع لحظات قبل أن يرفع ذراعيه أخيراً ليرده، وكان حوضه قصيراً أخرق، ثم إنه قال بصوت ما زال جامداً بارداً: «كفى. سامحتك. والآن اجلسي. إن عندي لك أخباراً صعبة يا سرسي».

أرعبتها كلماته، وقالت: «هل جرى شيء لتومن؟ أرجوك لا. إنني عائشة في خوفٍ دائم على ابني ولا أحد يُخبرني بشيء. أرجوك أخبرني بأن تومن بخير».

قال السير كيثان: «جلالته بخير»، ووضع يديه على كتفيها مبعداً إياها عنه بطول ذراعيه.

- «چايمي إذن؟ أهو چايمي؟».

- «لا، چايمي ما زال في مكان ما في أراضي النهر».

- «في مكان ما؟». لم يُعجبها وقع الكلمة.

أخبرها عمّها: «لقد أخذ (شجرة الغدبان) وقبل استسلام اللورد بلاكوود، لكن في طريق عودته إلى (ريقررن) ترك حاشيته وذهب مع امرأة».

حدقت سرسي إليه بلا فهم متسائلة: «امرأة؟ من؟ لماذا؟ أين ذهب؟».

- «لا أحد يدري. لم تَبْلُغنا أخبار أخرى عنه. ربما كانت المرأة ابنة نجم المساء، الليدي بريان».

هي. تذكّر الملكة عذراء (تارث)، تلك المخلوقة الصّخمة القبيحة الثّقيلة التي ترتدي ملابس الرّجال. لا يُمكن أن يهجرني چايمي إلى مخلوقةٍ مثلها أبداً. غُدافي لم يصل إليه، وإلا لآتى.

كان السير كيغان يقول: «بلغتنا تقارير عن مرتزقة يرسون في جميع أنحاء الجنوب؛ (تارت)، (الأعتاب)، (رأس الغضب)... أودُّ حقًا أن أعرف أين وجد ستانيس المال لاستئجار جماعة حُرَّة. لستُ أملكُ القوَّة للتعامل معهم، ليس هنا. مايس تايرل يملك القوَّة، لكنه يأبى أن يتحرَّك إلى أن تُسوَّى مسألة ابنته».

سيف الجلاد كفيل بتسوية مسألة مارچري تمامًا. لا تُبالي سرسي مقدار ذرَّة بستانيس ومرترفته. فليأخذه (الآخرون) هو وآل تايرل في آن واحد. فليذبح بعضهم بعضًا وينفخوا البلاد. «أرجوك يا عمَّاه، أخرجني من هنا». سألها السير كيغان: «كيف؟ بقوَّة السِّلاح؟»، وذهب إلى النَّافذة وتطلَّع إلى الخارج عابسًا، وتابع: «سيكون عليَّ تحويل هذا المكان المقدَّس إلى مجزر، وليست معي أعداد تكفي من الرِّجال. السَّواد الأعظم من قوَّاتنا كان مع أخيك في (ريقررن)، ولم أجد وقتًا لحشد جيش جديد»، وعادَ يلتفت إليها مضيئًا: «لقد تحدَّثت مع صاحب القداسة الأعلى. لن يُطلق سراحك حتى تتوبي عن خطاياك».

- «لقد اعترفت».

- «قلتُ تتوبي، أمام المدينة. مسيرة...».

- «لا». أدركتُ ما أوشكَ عمُّها على قوله، ولم تُرد أن تسمعه. «مستحيل.

أخبره بهذا إذا تكلمتُ ثانية. إنني ملكة لا عاهرة على أرصفة ميناء».

- «لا أذى سيُصيبك، لن يمست...».

قاطعته بحدَّةٍ أشد: «لا. أفضلُ الموت».

قال السير كيغان دون تأثر: «إذا كانت هذه رغبتك فقد تنالينها قريبًا.

صاحب القداسة الأعلى عازم على مُحاکمتك بتهم قتل الملك وقتل الإله

وسفاح القُربى والخيانة العُظمى».

كادت تضحك، وقالت: «قتل الإله؟ ومتى قتلتُ إلهًا؟».

أجابَ عمُّها: «السِّبتون الأعلى صوت (السَّبعة) على الأرض. مسيِّه بأذى

تمسِّين الآلهة أنفسها»، ورفع يده قبل أن تحتجَّ مواصلاً: «لا فائدة من الكلام

عن تلك الأشياء، ليس هنا. كلُّ هذا حينه المُحاكمة»، وجاسَ ببصره في

زنانتها وقد باحت النَّظرة على مُحيَّاه بالكثير.

أحدهم يتنصت. حتى هنا وحتى الآن لا تجرؤ على الكلام بحرّية. أخذت نفساً، وسألته: «من سيحاكمني؟».

- «العقيدة، ما لم تُصرّي على مُحَاكِمَةٍ بالنّزال، وفي تلك الحالة يجب أن يكون نصيرك فارساً في الحرس الملكي. أيّاً كانت النتيجة فقد انتهى حُكمك. سأخدمُ باعتباري الوصيّ على تومن حتى يبلغ. مايس تايرل عيّن يداً للملك، والمَيسِتر الأكبر پايسل والسير هاريس سويفت سيواصلان مهام وظيفتهما، لكن باكستر ردواين هو الأميرال الآن، ورائدل تارلي تولّى واجبات كبير القضاة».

كلاهما من حملة راية تايرل. حُكم البلاد بأسرها يُسلم تسليمًا إلى أعدائها، أهل الملكة مارچري وخُلائها. «مارچري أيضًا متهمّة، هي وبنات عمومتهّا. كيف أطلق العصفير سراحها وتركوني حبيسة؟».

- «رائدل تارلي أصرّ. كان هو أول من وصل إلى (كينجز لاندنج) عندما ثارت هذه العاصفة، وجلب معه جيشه. بنات تايرل سيحاكمن، لكن القضية ضدهن ضعيفة كما أكد صاحب القداسة الأعلى بنفسه. كل من وردت أسماءهم كعشاق الملكة أنكروا الاتّهام أو رجعوا عن اعترافهم، باستثناء مطربك المشوّه الذي يبدو أن الخبال أصابه، وهكذا سلّم السّپتون الأعلى الفتيات إلى عهدة تارلي، وأقسم اللورد رائدل قسماً مقدّساً بتسليمهن إلى المُحاكمة حين يأتي وقتها».

- «ومتهموها؟ في عهدة من هم؟».

- «أوزني كيتلبلاك والشاعر الأزرق هنا تحت السّپت، والتوّامن ردواين أُعلّنت براءتهما، وهاميش ذو القيثارة مات. الآخرون في الزنازين تحت القلعة الحمراء) في عهدة رجلك كايرن».

كايرن. جيّد هذا، قسّة واحدة تستطيع التعلّق بها على الأقل. إنهم عند اللورد كايرن، واللورد كايرن قادر على فعل المُعجزات. والأهوال، يستطيع ارتكاب الأهوال أيضًا.

- «هناك المزيد، أسوأ. هلاًّ جلست؟».

- «أجلّس؟». هزّت سرسي رأسها. ماذا يُمكن أن يكون أسوأ؟ سوف

تُحاكَمُ بتهمة الخيانة العظمى في حين فرّت الملكة الصّغيرة وبنات عمومتهما كالطّير الحُرّة. «أخبرني، ما الخطب؟».

- «مارسلا. بلغتنا أخبار وخيمة من (دورن)».

- «تيريون». قالتها في التّوّ واللّحظة. تيريون أرسلَ بنتها الصّغيرة إلى (دورن)، وأرسلت هي السير بالون سوان لإعادتها. كل الدورنيّين ثعابين، وآل مارتل أسوأهم، حتى إن الأفعوان الأحمر حاول الدّفاع عن العفريت وكان على قيد شعرة من نصرٍ كان يسمح للقرم بالتّنصّل من اغتيال چوفري. «إنه هو. كان في (دورن) طوال الوقت، وقبض على ابنتي».

رماها السير كيئان بنظرة عابسة أخرى، وقال: «مارسلا هاجمها فارس دورني اسمه چيرولد داين. إنها حيّة لكن مصابة. لقد جرحها في وجهها و... أنا أسف... لقد فقدت أذناً».

حملت سرسي إليه مصعوقةً، وردّدت: «أذناً». كانت مجرد طفلة، أميرتي الغالية. كانت رائحة الجمال أيضًا. «قطع أذنها. والأمير دوران وفُرسانه الدورنيون، أين كانوا؟ ألم يستطيعوا الدّفاع عن فتاة صغيرة واحدة؟ أين كان أريس أو كهارت؟».

- «قتل دفاعًا عنها. قيل إن داين فتك به».

تذكّر الملكة أن سيف الصّباح كان من آل داين، لكنه مات منذ زمن. من السير چيرولد هذا ولم يرغب في إيذاء ابنتها؟ لا تستطيع أن تعقل شيئًا من هذا، إلا إذا... «تيريون فقد نصف أنفه في معركة (النّهر الأسود). جرحها في وجهها، قطع أذنها... آثار أصابع العفريت الصّغيرة القذرة على الأمر كلّ».

- «الأمير دوران لم يذكّر شيئًا عن أخيك، وبالون سوان كتب أن مارسلا ألقت اللّوم كلّ على چيرولد داين. يدعوونه بالنجم المظلم».

أطلقت ضحكة مرارة، وقالت: «أيّا كان ما يدعوونه به فهو أجير أخي. تيريون له أصدقاء بين الدورنيّين. كانت هذه خطّة العفريت من البداية. تيريون هو من خطب مارسلا للأمير تريستان، والآن أرى السّبب».

- «إنك ترين تيريون في كلّ ظل».

- «إنه مخلوق الظلال. لقد قتل چوفري وقتل أبي. هل تحسبه سيتوقّف عند هذا الحد؟ كنت أخشى أن العفريت لا يزال في (كينجز لاندنج) يُخطّط

لأذية تومن، لكن مؤكّد أنه ذهبَ إلى (دورن) بدلاً من ذلك ليقتل مارسلا أولاً، وذرعت سرسي عرض الرّزانة جيئةً وذهاباً متابعَةً: «يجب أن أكون مع تومن. فرسان الحرس الملكي هؤلاء عديمو الفائدة كحلمتين على واقى الصدر»، ثم التفتت إلى عمّها بحدّة سائلةً: «تقول إن السير آريس قُتل؟».

- «بيدي ذلك النجم المظلم، نعم».

- «أي أنه مات، مات، أأنت واثق؟».

- «هذا ما قيل لنا».

- «إذن فهناك مكان شاغر في الحرس الملكي. يجب أن يُشغَل في الحال.

لا بُدَّ من حماية تومن».

- «اللورد تارلي يعدُّ قائمةً بالفرسان الجديرين ليدرسها أخوك، لكن إلى

أن يرجع چايمي...».

- «الملك يستطيع أن يخلع معطفًا أبيض على أيّ رجل. تومن صبيٌّ

مطيع. قُل له من يُسمّي ويسمّيه».

- «ومن تُريدينه أن يُسمّي؟».

لم تجده له إجابةً جاهزةً. سيحتاج نصيري إلى اسم جديد كما احتاج إلى

وجه جديد. «كايرن سيرف. ثِق به في هذه المسألة. إن بيني وبينك خلافاتٍ

يا عمّاه، لكن لأجل الدّم الواحد الذي يسري في عروقنا والحُبّ الذي حملته

لأبي، لأجل تومن وأخته المشوّهة المسكينة، افعل ما أطلبه منك. اذهب إلى

اللورد كايرن نيابةً عني وأعطه معطفًا أبيض وأخبره بأن الوقت حان».



حارس الملكة

قال رزناك مو رزناك: «كنت رجل الملكة. الملك يرغب في رجاله هو حوله حين يعقد البلاط».

مازلتُ رجل الملكة، اليوم وغداً ودوماً، حتى النَّفس الأخير في صدري، أو في صدرها. يرفضُ باريستان سلمي رفضاً باتاً أن يُصدّق أن دنيرس تارجارين ماتت.

ربما لهذا السَّبب يُقصونه. واحداً تلو الآخر يُريحنا هيزدار جميعاً. لم يزل بِلواس القوي على عتبة الموت في المعبد تحت رعاية ذوات النعم الرِّقاء... ولو أن سلمي مرتاب نوعاً في أنهم يُنهين العمل الذي بدأه الجراد المعسول. والرَّأس الحليق سكاهاز عَزَل عن قيادته، والمُطَهَّرون انسحبوا إلى ثكناتهم، وچوجو وداريو نهاريس والأميرال جروليو والمُطَهَّر هيرو ما زالوا رهائن عند اليونكيين، وأرسل آجو وراكارو وبقية كالاसार الملكة عبر النَّهر بحثاً عن ملكتهم المفقودة. حتى ميسانداي استبدلت، إذ رأى الملك أن من غير اللائق أن يستخدم طفلةً كحاجبته، ناهيك بكونها أمةً نائيةً سابقةً كذلك. والآن أنا.

في وقتٍ سابق كان ليعتبر إقصاءه لطخةً على شرفه، لكن ذلك كان في (وستروس)، أما هنا في جُحر الأفاعي المسمّى (ميرين) فالشرف يبدو سخيفاً كثياب المهرجين. ثم إن غياب الثقة هذا متبادل، فقد يكون هيزدار زو لوراكي زوج مليكته، لكنه لن يُصبح مليكه أبداً. «إذا كانت رغبة صاحب الجلالة أن أنحّي نفسي من البلاط...».

قاطعه القهرمان مصححاً: «صاحب الرّونق»، ثم إنه أضاف: «لا، لا، لا. أسأت فهمي. صاحب العبادة سيستقبل بعثة من اليونكيين لمناقشة انسحاب

جيشهم، وقد يَطْلُبون... آه... تعويضًا عمّن فقدوا حياتهم في خضمّ غصبة التّنين. إنه موقف حسّاس، ورأي الملك أن الأفضل أن يروا ملكًا ميرينزيًا على العرش يحميه مُحاربون ميرينزيون. لا شكّ أنك تفهم هذا أيها الفارس». أفهم أكثر مما تحسب. «هل لي أن أعرف من الرّجال الذين اختارهم صاحب الجلالة لحمايته؟».

انفجرت شفتا رزناك مورزناك عن ابتسامته اللّزجة، وأجاب: «مُحاربون مهيبون يُحبّون صاحب العبادة حبًّا جمًّا. جوهور الجبّار، كراز، القِطُّ الأزق، بيلاكُو كاسر العظام. جميعهم أبطال».

جميعهم مقاتلو حلبات. لم يندهش السير بارستان، فثمّة أشياء تقصّ على هيزدار زو لوراك عرشه. لقد مضى ألف عام منذ كان لـ (ميرين) ملك، وهناك بعض أصحاب الدّماء القديمة الذين يرون في أنفسهم خيارًا أفضل منه، وخارج المدينة يقبع اليونكيون ومرترقتهم وحلفاؤهم، وداخلها أبناء الهاربي.

كما أن حُماة الملك يتناقصون كلّ يوم. هفوة هيزدار مع الدّودة الرّمادي كلفته المُطهّرين، فحين حاول جلالته أن يضعهم تحت قيادة أحد أبناء عمومته - كما فعلٍ مع الوحوش النّحاس - أخبر الدّودة الرّمادي الملك بأنهم رجال أحرار يتلقون الأوامر من أمّهم وحدها لا غير. أمّا الوحوش النّحاس فينصفهم من المعتمقين والنّصف الآخر من الرّؤوس الحليقة، وقد يكون ولاؤهم الحقيقي ما زال لسكاهاز مو كانداك. وهكذا يتبقي مُقاتلو الحلبات فقط سند الملك هيزدار الوحيد الذي يستطيع الاعتماد عليه ضد بحر من الأعداء.

- «عسى أن يحموا صاحب الجلالة من كلّ تهديد». لم تُفصح نبرة السير بارستان عن لمحةٍ من مشاعره الحقيقيّة، فقد تعلّم قبل سنواتٍ في (كينجز لاندنج) أن يُخفيها.

قال رزناك مورزناك بتوكيد: «صاحب السّموم»، وأتبع: «لن تبدّل واجباتك الأخرى أيها الفارس. إذا فشل هذا السّلام فما زال صاحب الرّونق يرغب في أن تقود قوّاته ضد أعداء مدينتنا».

يتمتعّ بهذا القدر من العقل على الأقل. قد يصلح بيلاكُو كاسر العظام وجوهور الجبّار حارسين لهيزدار، إلّا أن فكرة أن يقود أيّهما جيشًا في

معركة طريفة لدرجة أن الفارس العجوز كادَ يبتسم. قال سلمي: «أنا تحت أمر صاحب الجلالة».

ردَّ القهرمان متذمّرًا: «ليس «الجلالة». هذا اللقب وستروسي. صاحب السُّمو، صاحب الرُّونق، صاحب العبادة».

صاحب الكبر لقب يُناسبه أكثر. «كما تقول».

لعقَ رزناك شفّتيه، وقال: «فرغنا إذن»، وهذه المرّة دلّت ابتسامته المتملّقة على رغبته في انصراف سلمي، فغادرَ السير باريستان ممتنًا لابتعاده عن رائحة عطر القهرمان الفاغمة. المفروض أن تفوح من الرّجل رائحة العرق لا الأزهار.

يرتفع هرم (ميرين) الأكبر ثمانمئة قدم من السّفح إلى القمّة، وفي مستواه الثّاني يقع مقرُّ القهرمان، أمّا مسكن الملكة -الملحق به مسكن سلمي- فيحتل الدرجة الأعلى. فكّر السير باريستان بادئًا طريقه إلى أعلى: مسافة طويلة يصعدها رجل في سنيّ. كان معروفًا عنه أن شؤون الملكة تدفعه إلى القيام بهذه الرحلة خمس أو ستّ مرّات يوميًا، كما تشهد آلام رُكبتيه وأسفل ظهره. يومًا ما لن أعود قادرًا على مواجهة هذه الدّرجات، وذلك اليوم أقرب مما أحبُّ. وقبل أن يأتي عليه أن يستوثق من أن بعضًا من فتّيته على الأقلّ مستعدّون لأخذ مكانه إلى جوار الملكة. سأُنصّبهم فرسانًا بنفسي حين يُبتنون جدارتهم، وأعطي كلّ منهم حصانًا وركابين ذهبيّين.

وجدَ المسكن الملكي هادئًا ساكنًا. لم ينزل هيزدار هنا، إذ فضّل إقامة جناحه الخاص من العُرف في مكانٍ عميق في قلب (الهرم الأكبر)، حيث تُحيط به الجدران القرميد الهائلة من كلّ جهة، ومع الملك ذهبت ميزارا وميكلاز وكيزا، سُقاة الملكة الصُّغار. إنهم رهائن في الحقيقة، لكن سلمي والملكة كليهما صارا شديدي الشّغف بهم لدرجة تُصعب التّفكير فيهم على هذا المحمل. إيرري وچيكيوي رحلتا مع الدوثرافي الآخرين، ووحدها ميسانداي بقيت كشبح صغير بائس يسكن جناح الملكة على قمّة الهرم.

خرجَ السير باريستان إلى الشّرفة. السّماء فوق (ميرين) بلون بشرة الجُثث، بيضاء مطفاة ثقيلة، كتلة من السّحاب من الأفق إلى الأفق، والشمس كامنّة وراء حائطٍ من الغيوم، ستغرّب محجوبة كما أشرقت محجوبة هذا الصّباح.

ستكون الليلة حارة رطبة خانقة، واحدة من تلك الليالي اللزجة دون نفحة هواء. منذ ثلاثة أيام والمطر يُنذر بالسقوط، لكن قطرة لم تنزل. سيأتي المطر بمثابة انفراجة، وقد يغسل المدينة ويُنظفها.

من هنا يرى أربعة أهرام أقل فخامةً، وسور المدينة الغربي، ومعسكر اليونكيين على ساحل (خليج النحاسين)، حيث يرتفع عمود سميك من الدخان المشبع بالشحوم ملتويًا كحيّة عملاقة. اليونكيون يُحرقون موتاهم. الفرس الشاحبة ترمح في أرجاء معسكرات الحصار. على الرغم من كل ما فعلته الملكة انتشر المرض داخل المدينة وخارجها. أُغلقت أسواق (ميرين) وختت شوارعها، ومع أن الملك هيزدار سمح ببقاء حلبات القتال مفتوحة فالجماهير شحيحة، كما ذكرت التقارير أن الميرينيزيين بدأوا يمتنعون عن الذهاب إلى (معبد ذوات النعم) نفسه.

فكر السير باريستان بمرارة: سيجد النحاسون وسيلة ما للوم ديرس على هذا أيضًا. يكاد يسمعهم يتهامسون، الأسياد العظام وأبناء الهاربي واليونكيين، يقول بعضهم لبعض إن مليكته ماتت. هذا ما يعتقده نصف أهل المدينة، ولو أنهم لم يجدوا بعد الشجاعة ليقولوها على الملأ. لكن قريبًا في ظني.

كم هو متعب، كم هو شائخ. أين ذهبت السنين؟ في الفترة الأخيرة، متى انحنى ليشرب من بركة مياهها ساكنة رأى وجه غريب ينظر إليه من الأعماق. متى ظهرت هذه التجاعيد حول عينيه الزرقاوين الباهتتين؟ منذ متى حل الثلج محل ضوء الشمس في شعره؟ منذ أعوام أيها العجوز، منذ عقود.

ورغم ذلك يبدو له كأنما رُقِّي البارحة فقط إلى الفروسية بعد دورة المباريات في (كينجز لاندنج). ما زال يذكر ملمس سيف الملك إجون على كتفه خفيفًا كقبلة البتول، وكيف تعثرت الكلمات في حلقه عندما ردّ الندور. في المأدبة ليلتها أكل ضلوع الخنزير البري المطبوخة على الطريقة الدورية بفلفل التين، وكانت حريفة لدرجة أنها حرقت فمه. سبعة وأربعون عامًا وما زال الطعم في ذاكرته، ومع ذلك لا يمكنه أن يقول ماذا أكل منذ عشرة أيام ولو كان مصير سبعة الممالك يعتمد على إجابته. كان بيضًا مسلوقة غالبًا، أو صنفًا كريها آخر ليس أحسن مذاقًا.

ليس للمرة الأولى يتعجب سلمي من الأقدار الغريبة التي ساقته إلى هنا.

إنه فارس وستروسي، رجل ينتمي إلى أراضي العواصف والتخوم الدورنيّة، ومكانه في (الممالك السّبع) لا هنا على سواحل (خليج النّخاسين) القائطة. جئتُ لأخذ دنيرس إلى الوطن. لكنه فقدّها، تمامًا كما فقد أباه وأخاه. حتى روبرت. هو أيضًا خذلته.

لعلّ هيزدار أكثر حكمةً مما يحسب. قبل عشرة أعوام كنتُ لأستشعر ما انتوت دنيرس فعله، قبل عشرة أعوام كنتُ بالسّرعة الكافية لمنعها. وبدلاً من ذلك وقفَ مرتبكاً فيما وثبتَ إلى الحلبة، يصيح باسمها ثم يركض وراءها عبثاً على الرّمال القرمزية. أصبحتُ عجوزاً بطيئاً. لا عجب أن نهاريس يدعوه ساخرًا بجده الفارس. هل كان داريو ليتحرك بسرعة أكبر لو كان إلى جوار الملكة يومها؟ يظنّ سلمى أنه يعرف الجواب، وإن لم يكن جواباً يُعجبه.

ليلة أمس حلمَ بالواقعة ثانية. بلواس على رُكبيته يتقياً المرّة والدّم، وهيزدار يستحثُّ قتلة التّنانين، ورجال ونساء يفرّون مرعوبين، يتقاتلون على السّلام ويتسلّق بعضهم فوق بعض، يصيحون ويصرّخون... ودنيرس...

كان شعرها مشتعلًا. كانت تزقق والسّوط في يدها، ثم إذا بها على ظهر التّنين طائرة. لسعت الرّمال التي أثارها دروجون إذ ارتفع إلى السّماء عيني السير باريستان، لكنه عبر حجاب الدّموع رأى الوحش يطير من الحلبة ويضرب جناحه الأسودان العظيمان أكتاف المُحاربين البرونزيين على البوابة.

البقية علمها لاحقًا. وراء البوابة كانت كتلة مصمّمة من النّاس، وبالأسفل تازت الخيول رُعباً وقد جُنّ جنونها من رائحة التّنين، ورفعت قوائهما ضاربةً هنا وهناك بحوافر تتعل حدواتٍ من الحديد، وعلى حدّ سواء قُلبت أكشاك الطّعام والهوادج، وسقط النّاس ودُعسوا تحت الأقدام. أُلقيت حراب وأُطلقت سهام نُشائيات، وأصاب بعضها هدفه ليتلوى التّنين بعنق في الهواء والدّخان ينبعث من جروحه والفتاة متشبّثة بظهره.

ثم إنه نفث نيرانه.

استغرق الوحوش النّحاس بقية النّهار وأغلب اللّيل في جمع الجُثث، وحسب الإحصاء الأخير فالقتلى مئتان وأربعة عشر، وثلاثة أضعافهم محروقون أو جرحى. عندها كان دروجون قد غادر المدينة، وآخر مرّة شوهد

فيها كان محلّقًا فوق (السكاهاز اذان) نحو الشّمال. أمّا دنيرس تارجارين فلم يُعتر لها على أثر. أقسم بعضهم أنهم رأوها تسقط، وأكّد آخرون أن التّنين اختطفها ليلتهمها. مخطئون.

لا يعرف السير باريستان عن التّنانين أكثر من الحكايات التي يسمعاها كلُّ طفل، لكنه يعرف آل تارجارين. دنيرس كانت ممطيّة ذلك التّنين كما امتطى إجون بالريون قديمًا.

قال لنفسه بصوتٍ مسموع: «قد تكون طائرة إلى الوطن». غمغم صوت هادئ من ورائه: «لا، لن تفعل ذلك أيها الفارس، لن تعود إلى الوطن من دوننا».

التفت السير باريستان متسائلًا: «ميسانداي يا صغيرتي، منذ متى وأنت واقفة هنا؟».

أجابت: «منذ قليل. هذه الواحدة آسفة إذا أزعجتك»، وتردّدت لحظة، ثم قالت: «سكاهاز مو كانداك يرغب في كلمة معك».

- «الرّأس الحليق؟ تكلمت معه؟». تهوّر هذا، تهوّر. العداوة بين سكاهاز والملك عميقة، والفتاة بالذكاء الكافي لمعرفة هذا. لم يكتف سكاهاز معارضته زواج الملكة، وهي الحقيقة التي لم ينسها هيزدار. «أهو هنا؟ في الهرم؟».

- «حين يُريد. إنه يأتي ويذهب أيها الفارس».

نعم، بإمكانه هذا. «من أخبرك بأنه راغب في الكلام معي؟».

- «وحش نحاس. كان يضع قناع بومة».

كان يضع قناع بومة حين كلمك، أمّا الآن فقد يكون ابن آوى أو نمرا أو كسلان. من البداية يكره السير باريستان تلك الأقنعة، والآن بلغ هذه الكره ذروته. لا يُفترض أن يحتاج الصّادقون إلى إخفاء وجوههم أبدًا، والرّأس الحليق...

فيم تراه يفكر؟ بعد أن ولّى هيزدار ابن عمّه مارجاز زو لوراك قيادة الوحوش النحاس عيّن سكاهاز مأمور النّهر المسؤول عن العبّارات وقوارب الكراة وقتوات الرّيّ على مسافة خمسين فرسخًا من (السكاهاز اذان)، لكن الرّأس الحليق رفض ذلك المنصب العريق المبجل - كما وصفه هيزدار - مفضّلًا الاعتزال في هرم كانداك المتواضع. يُخاطر مخاطرة عظيمة بمجيئه

هنا دون وجود الملكة لِحمايته. وإذا شُوهَدَ السير باريستان يتكلَّم معه فقد يُصبح الفارس محلَّ شكٍّ أيضًا.

لا يروقه مذاق الأمر برُمَّته. رائحة الغشِّ والتدليس تفوح منه، والهمسات والأكاذيب والمكاييد، جميع الأشياء التي أمل أن يتركها وراءه للعنكبوت والإصبع الصَّغير وشاكلتهما. ليس باريستان سلمي محبًّا للقراءة، غير أنه كثيرًا ما تصفَّح (الكتاب الأبيض) المدوَّنة فيه سير أسلافه. كان بعضهم أبطالًا وبعضهم ضعافًا أو أوغادًا أو جُبْناء، لكن أكثرهم كانوا مجرد بشر... أسرع وأقوى من سائر الرِّجال، نعم، وأمهر في القتال بالسيف والترس، لكنهم ظلوا ضحايا للغرور والطموح والشهوة والحُبِّ والغضب والغيرة والطَّمع في الذهب والتعطُّش إلى السُّلطة وجميع المثالب الأخرى التي تحيق بالفانين الأدنى شأنًا. أفلح أفضلهم في قهر عيوبهم وقاموا بواجبهم وماتوا بسيوفهم في أيديهم، وأسوأهم...

أسوأهم لعبوا لعبة العروش. سأل ميسانداي: «هل يُمكنك العثور على تلك البومة ثانية؟».

- «تستطيع هذه الواحدة أن تُحاول أيها الفارس».

- «أخبريه بأني سأتكلم مع... مع صديقنا... بعد حلول الظلام عند الاسطبلات». عند الغروب تُغلق أبواب الهرم الرئيسة وتُزَلج، وستكون الاسطبلات هادئة في تلك السَّاعة. «تأكدي من كونها البومة نفسها». لن يصلح أن يسمع وحش نحاس خطأ هذا الكلام.

قالت ميسانداي: «هذه الواحدة تفهم»، ودارت تُغادر، ثم إنها توقفت لحظةً وقالت: «يقال إن اليونكيين طوّقوا المدينة بالعرادات لإطلاق القذائف الحديد في السَّماء في حال عودة دروجون».

قال السير باريستان الذي سمع هذا أيضًا: «قتل تنين في السَّماء ليس عملاً بسيطًا. في (وستروس) حاول كثيرون إسقاط إجون وأختيه ولم ينجح أحد منهم».

أومأت ميسانداي برأسها، وإن استعصى عليه أن يتبين إن كانت قد اطمأنت. سألته: «هل تظنُّ أنهم سيجدونها أيها الفارس؟ أراضي العُشب شاسعة للغاية، والتنانين لا تترك آثارًا في السَّماء».

قال: «أجو وراكارو دم دهما... ومن يعرف (بحر الدوثراكي) أفضل من الدوثراكي؟»، واعتصر كنفها مردفًا: «سيجدونها إذا كان إيجادها ممكنًا». إذا كانت حيةً. ثمّة غالات آخرون يجوبون العُشب، سادة خيولٍ وراءهم. غالاسارات قوامها عشرات الألوف، لكن لا داعي لأن تسمع الفتاة هذا. «أعرفُ أنك تُحِبُّنها كثيرًا. أقسمُ أنني سأحميها».

بدا أن كلامه بثّ شيئًا من الطمأنينة في الفتاة، وإن فكَر السير باريستان: لكن الكلام هواء. كيف أحمي الملكة وأنا لستُ معها؟

عرفَ باريستان سلمى ملوكًا كثيرين. كان قد وُلِدَ في العهد المضطرب لإجون المستبعد الذي أحبه عموم الناس، وقلده الملك بنفسه الفُروسية، ثم خلَعَ عليه چهيرس بن إجون المعطف الأبيض في سنِّ الثالثة والعشرين بعد أن قتل ميليز الوحش في حرب ملوك التسعة بنسات، وبذلك المعطف الأبيض نفسه وقفَ إلى جوار العرش الحديدي فيما استحوذ الجنون على إيرس بن چهيرس. وفتتُ ورأيتُ وسمعتُ ولم أفعل شيئًا.

لكن لا، ليس هذا عدلًا. لقد أدّى واجبه على أكمل وجه، حتى إنه في بعض الليالي يُسائل نفسه إن كان قد تمادى في أدائه. على مرأى ومسمع من الآلهة والبشر حلفَ السير باريستان اليمين، وما كان بإمكانه أن يُخالف أصول الشرف وينكثها... لكن الحفاظ على تلك اليمين باتَ أصعب في الأيام الأخيرة من عهد الملك إيرس. رأى سلمى أشياء يُؤلمه تذكُّرها، وأكثر من مرّة تساءلَ كم من الدماء على يديه. لو لم يدخل (وادي الغسق) ليُنقذ إيرس من زنازين اللورد داركلين فلربما ماتَ الملك هناك حين اقتحمَ تايوين لانستر البلدة ونهبها، وعندها كان الأمير ريجار ليرتقي العرش الحديدي ويُداوي جراح البلاد. كانت (وادي الغسق) ساعته الأعظم، ولكن ما زالَ للذكرى في فمه طعم مرير.

على أن إخفاقاته هي ما يقضُّ عليه مضجعه ليلاً. چهيرس، إيرس، روبرت. ثلاثة ملوكٍ موتى. وريجار الذي كان ليصبح ملكًا أصلح منهم جميعًا. والأميرة إلبا وطفلاها، إجون الرضيع ونيرس بهُريها الصغير. كلهم ماتوا ولم يزل هو حيًّا، هو الذي أقسمَ على حمايتهم. والآن دنيرس، ملكته الطفلة النيرة الوضّاءة. لم تَمُت. لن أصدّق هذا.

أتى الأصيل السير باريستان براحةً وجيزة من هواجسه، إذ قضاه في قاعة التّدريب في مستوى الهرم الثالث، يعمل مع الفِتيّة ويُعلّمهم فنَّ السِّيف والرُّس والحصان والرُّمح... والفُروسيّة، النّاموس الذي يجعل الفارس أكثر من مجرد مُقاتل حلبات. سوف تحتاج دنيرس إلى حُماةٍ في سِنّها حولها بعد رحيله، والسير باريستان عازم على إعطائها إياهم.

تتراوح أعمار الفِتيان الذين يُدرّبهم بين الثامنة والعشرين. كان قد بدأ بأكثر من ستين، إلا أن التّدريب شقَّ على كثيرين منهم، والمتبقون الآن أقل من نصف هذا العدد، لكن بعضهم يعد بمستقبل باهر. الآن دون ملكٍ أحرسه سأجد وقتاً أطول لأدرّبهم. جال هذا بباله وهو يمشي من زوجين إلى زوجين يُشاهد سجالهم بالسُّيوف المثلومة والحِراب مدوّرة الرُّوس. فِتيّة شُجعان. وضيعو الميلاد، نعم، لكن منهم من سيغدون فرساناً عظاماً، كما أنهم يُحبّون الملكة، فلولاها لانتهى المطاف بهم جميعاً في الحلبات. للملك هيزدار مُقاتلو الحلبات، لكن دنيرس سيكون لها فرسان.

- «ارفع رُسك. أرني ضرباتك. معاً الآن. تحت، فوق، تحت، تحت، فوق، تحت...».

ليلتها أخذَ سلمى عشاءه البسيط إلى شُرفة الملكة وتناولَه فيما مالت الشَّمس إلى المغيب، وفي الشَّفق الأرجواني شاهدَ النيران تستيقظ واحدةً تلو الأخرى في الأهرامات المدرّجة العظيمة، وقد استحالَ قرميد (ميرين) بألوانه العديدة إلى الرّمادي ثم الأسود، واحتشدت الظلال في الشّوارع والأزقة بالأسفل صانعةً بركاً وأنهاراً. في الغسق تبدو المدينة مكاناً هادئاً رائعاً وجميلاً أيضاً، لكن الفارس العجوز قال لنفسه مع آخر رشفةٍ من النّبذ: هذا طاعون وليس سلاماً.

لم يرغب في لفت الأنظار، ولذا حين فرغَ من عشاءه خلَعَ ثياب البلاط مبدلاً معطف الحرس الملكي الأبيض بمعطف مُسافرين بني مزودّ بقلنسوة من الممكن أن يرتديه أيُّ رجلٍ عادي، لكنه احتفظَ بسيفه وخنجره. قد يكون هذا فخاً ما. إنه لا يثق كثيراً بهيزدار، وثقته برزناك موزناك أقل. وارد جداً أن يكون القهرمان العاطر جزءاً من هذا، يُحاول أن يستدرجه إلى لقاءٍ سرّي يُمكنه من الإطاحة به وبسكاهاز في آنٍ واحدٍ واتّهامهما بالتآمر على الملك.

إذا كان غرض الرّأس الحليق الخيانة فلن يترك لي خياراً إلا القبض عليه.
هيزدار زوج مليكتي أيّاً كانت مشاعري نحوه، وواجبي له لا لسكاهاز.
أليس كذلك؟

أول واجبات الحارس الملكي أن يحمي الملك من الأذى أو التّهديد،
والفرسان البيض مقسمون أيضاً على طاعة أوامر الملك والحفاظ على
أسراره، وإسداء النصيحة إليه إذا طُلبت والصّمت إن لم تُطلب، وتلبية
حاجاته والدّفاع عن اسمه وشرفه. من النّاحية العمليّة البحتة يعدّ شمول
آخرين بحماية الحرس الملكي - حتى أصحاب الدّم الملكي - خيار الملك
وحده. بعض الملوك ارتأوا أن لا بأس بتكليف الفرسان البيض بخدمة
وحماية زوجاتهم وأطفالهم وإخوتهم وأعمامهم وعمّاتهم وأولاد عمومتهم
المقربين وغير المقربين، وأحياناً حبيباتهم وعشيقاتهم ونغولهم أيضاً، وهناك
ملوك آخرون فضّلوا الاستعانة بفرسان وجنود أهل البيت في تلك الشّؤون،
واحفظوا بحرسهم السّبعة حولهم قريبين طوال الوقت.

لو أمرتني الملكة بحماية هيزدار لما ملكتُ خياراً إلا الطّاعة. لكن دنيرس
تارجارين لم تُؤسّس حرساً ملكياً فعلياً لنفسها أو تُصدر أيّ أوامر بخصوص
زوجها. كان العالم أبسط حين كان لي قائد يُقرّر تلك الأمور، والآن أنا القائد
وصعب عليّ أن أعرف سبيل الصّواب.

عندما بلغ قاعدة المجموعة الأخيرة من السّلام وجدّ نفسه بمفرده تقريباً
في الأروقة المضاءة بالمشاعل وراء جدران الهرم القرميد الهائلة، والبوابة
العظيمة مغلقةً ومزليجةً كما توقّع. خارج هذه البوابة يقف أربعة من الوحوش
النّحاس، وبالداخل أربعة آخرون، وهؤلاء هم من قابلهم الفارس العجوز،
رجال كبار الحجم مقنّعون بوجوه خنزير بريّ ودبّ وفأر حقلٍ ومانتيكور.
أخبره الدّب: «كلّ شيء هادئٌ أيها الفارس».

- «حافظوا على هذا». ليس غريباً أن يتجول السير بارستان ليلاً ليستوثق
من تأمين الهرم.

في مكانٍ أعمق داخل الهرم يقف أربعة وحوش نحاس آخرون حراسةً
على الباب الحديد العظيم خارج الجبّ المحبوس فيه فسيريون وريجال،
يتوهج ضوء المشاعل على أفئنتهم؛ قرد وتيس وذئب وتمساح.

سأل سلمى: «هل أُطعمًا؟».

أجابته القرد: «نعم أيها الفارس، خروف لكل منهما».

وتُرى كم سيكفي هذا؟ مع نمو التنانين تنمو شهيتها.

حان وقت العثور على الرأس الحليق، وهكذا شق السير باريستان طريقه مارًا بالأفيال وفرس الملكة الفضية إلى مؤخرة الاسطبلات. نهق حمار لدى مروره، وتحرك بعض الأحصنة على ضوء قنديلته، لكن فيما عدا هذا كل شيء ساكن مظلم.

ثم إن ظلًا فصل نفسه من داخل مربط فارغ وتحول إلى وحش نحاس آخر يرتدي تنورة سوداء ذات ثنيات وواقبي ساقين وواقبي صدر. حين رأى باريستان سلمى القناع تحت القلنسوة قال: «قط؟». وقت أن قاد الرأس الحليق الوحوش النحاس كان يُفضل قناعًا مهيبًا مخيفًا على شكل رأس أفعى. رد صوت سكاهاز مو كانداك المألوف: «القط تذهب في كل مكان ولا أحد ينظر إليها أبدًا».

- «إذا علم هيزدار أنك هنا...».

- «ومن سيخبره؟ مارجاز؟ مارجاز يعلم ما أريده أن يعلمه. الوحوش ما زالوا رجالي، لا تنس هذا». يكتّم القناع صوت الرأس الحليق، ومع ذلك بإمكان سلمى أن يسمع الغضب في نبرته. «لقد قبضت على المسمم».

- «من؟».

- «حلواني هيزدار. لن يعني اسمه لك شيئًا. كان الرجل مجرد أداة. أبناء الهاربي أخذوا ابنته وأقسموا أن يُعيدوها سليمة فور موت الملكة. بلواس والتنين أنقذوا دنيرس، لكن أحدًا لم يُنقذ الفتاة. لقد أعادوها إلى أبيها في جوف الليل مقطعة تسع قطع، واحدة لكل سنة عاشتها».

قال والشكوك تنهشه: «لماذا؟ الأبناء كفوا عن القتل. سلام هيزدار...».

- «... سراب. ليس في البداية، لا، لأن اليونكيين خائفين من الملكة، من مُطهرها وتنانينها. هذه الأرض عرفت التنانين من قبل. يوركاز زو يونزك قرأ التاريخ وعلم هذا، وهيزدار أيضًا. لم ليس السلام؟ دنيرس أرادته، وقد رأوا هذا، أرادته بشدة. كان عليها أن تزحف على (أستاپور)»، ودنا سكاهاز متابعًا: «لكن ذلك كان في السابق. الحلبة غيرت كل شيء. دنيرس رحلت

ويوركا مات، وبدلاً من أسدٍ عجوز واحد أصبح هناك قطع من بنات أوى. ذو اللحية الدموية... هذا الرجل لا يستعذب مذاق السلام. وهناك المزيد، أسوأ. (قولانتيس) أطلقت أسطولها ضدنا».

- (قولانتيس) «أحسّ سلمى بوخز في يد سيفه. السلام الذي أقمناه مع (يونكاي) لا مع (قولانتيس). «أنت واثق؟».

- «واثق. الأسياد الحكماء يعرفون، وكذا أصدقاؤهم، الهاربي ورزناك وهيزدار. حين يصل الثولانتينيون سيفتح لهم الملك بوابات المدينة، وكل من حرّرتهم دنيرس سيستعبدون من جديد، وحتى بعض من لم يكونوا عبيداً قَطٍ سيُعلّون بالسلاسل. قد تنتهي حياتك في حلبات القتال أيها العجوز. سيأكل كراز قلبك».

قال سلمى وقلبه هذا يدقُّ بعنف: «لا بُدَّ من إبلاغ دنيرس».
ردَّ سكاهاز: «اعثر عليها أولاً، وأطبق على ساعده بأصابع كالحديد مواصلاً: «لا يمكننا انتظارها. لقد تحدّثت مع الإخوة الأحرار ورجال الأم والثروس المقدامة. إنهم لا يثقون بلوراك على الإطلاق. يجب أن نكسر اليونكيين، ولذا نحتاج إلى المُطهرين. الدودة الرمادي سيُصغي إليك. تحدّث معه».

- «لأيّ غرض؟». يتكلّم عن خيانه، عن مؤامرة.
كانت عينا الرأس الحليق بركتين سوداوين وراء قناع القِطّ النحاسي. الحياة. يجب أن نضرب ضربتنا قبل وصول الثولانتينيين، نكسر الحصار ونقتل الأسياد النحاسين ونقلب مرتزقتهم. اليونكيون لا يتوقعون هجوماً. إن لي جواسيسي في معسكراتهم، ويقولون إن هناك مرضاً يتفاقم كل يوم. الانضباط دبّ فيه العفن، والأسياد سكارى أغلب الوقت، يُتخمون أنفسهم في المآدب ويحكي بعضهم لبعض عن الثروات التي سيقتسمونها عندما تَسْقُط (ميرين) ويتشاجرون على الأُسبقيّة. ذو اللحية الدموية وأمير الأسمال يتبادلان الاحتقار. لا أحد يتوقع قتالاً، ليس الآن. يعتقدون أن سلام هيزدار نؤمننا».

قال السير باريستان: «دنيرس وقّعت معاهدة السلام، وليس لنا أن نخرقها دون إذنها».

- «وإذا ماتت؟ ماذا إذن أيها الفارس؟ أقول إنها كانت لتُريدنا أن نحمي مدينتها، نحمي أطفالها».

المعتقون أطفالها. دعوها بميسا، هؤلاء الذين حطمت سلاسلهم، أمّاه. ليس الرأس الحليق مخطئًا. كانت دويرس لتُريد أن يبقى أطفالها محميّين. «وماذا عن هيزدار؟ إنه ما زال رفيقها، ملكها، زوجها».

- «مسّمها».

حقًا؟ «أين دليلك؟».

- «التاج الذي يعتمده دليل كافٍ، العرش الذي يجلس عليه. افتح عينيك أيها العجوز. هذا هو كل ما احتاج إليه من دويرس، كل ما أراده، وما إن حازه فلم يتفاسم الحكم؟».

لمَ حقًا؟ كان الحرُّ شديدًا في الحلبة، وما زال بإمكانه أن يرى وميض الهواء فوق الرمال القرمزية ويشمّ الدماء التي سألت من الرجال الذين ماتوا تسليّةً للميرينزيين... وما زال بإمكانه أن يسمع هيزدار يحضّ الملكة على تذوق الجراد المعسول. لذيذ جدًا... حلو وحرار... لكنه لم يمسّ واحدةً عن نفسه... فرك سلمي صُدغته. لم أقسم على شيءٍ لهيزدار زو لوراك، ولو فعلتُ فقد نحّاني مثله مثل چو فري. «هذا... هذا الحلواني، أريدُ أن أستجوبه بنفسي، وحدي».

قال الرأس الحليق: «هكذا إذن؟»، وعقد ذراعيه على صدره متبعًا: «لك هذا، استجوبه كما تشاء».

- «إذا... إذا أفنعتني أقواله... إذا انضمتُ إليك في هذه، هذه... أريدُ كلمتك بالألمس هيزدار زو لوراك أذى حتى... ما لم... يثبت أنه لعب دورًا في هذا».

- «لماذا تُبالي بهيزدار أيها العجوز؟ إن لم يكن هو الهاربي فإنه ابنه البكري».

- «كلُّ ما أعلمه يقينًا أنه زوج الملكة. أريدُ كلمتك وإلا أقسمُ أنني سأعارضك».

قال سكاهاز بابتسامية وحشيّة: «لك كلمتي إذن. لا أذى سيمسُّ هيزدار

حتى يثبت ذنبه، لكن حين نحصل على الدليل سأقتله بيدي. أريد أن أقتلع أحشائه من بطنه وأريها له قبل أن أتركه يموت».

فكر الفارس العجوز: لا. إذا تأمر هيزدار ضد مليكتي وخطط لموتها فسأقتله بنفسي، لكن موته سيكون سريعاً نظيفاً. آلهة (وستروس) بعيدة للغاية، لكن سلمي صمت لحظة يُردّد دعاءً صامتاً لـ(العجوز) سائلاً إياها الهدى إلى سبيل الحكمة، وأخبر نفسه: من أجل الأطفال، من أجل المدينة، من أجل مليكتي، ثم إنه قال: «سأتكلّم مع الدودة الرمادي».



الخاطب الحديدي

ظهرت (الثبور) وحدها عند مطلع الفجر، قلوبها السوداء قاتمة تحت
سماوات الصبح الوردية الشاحبة.

حين أيقظوه فكّر فيكتاريون بجهامة: الرابعة والخمسون، ومبحرة وحدها.
صامتاً لعن الإله الغريق على نقمته بحنق كحجر أسود في بطنه. أين سُفني؟
كان قد أبحر من (الثروس) بثلاث وتسعين من السفن المئة التي يتكوّن
منها الأسطول الحديدي، الأسطول الذي لا ينتمي إلى لورد واحد بل إلى
كُرسى حجر اليم نفسه، ربابته وأطقمه رجال من الجُزر كلها بلا استثناء.
السفن أصغر من دُرمونات الأراضي الخضراء الحربية العظيمة، نعم، لكنها
تفوق السفن الطويلة التقليدية ثلاث مرّات حجماً، أبدانها عميقة وكباشها⁽¹⁾
مدمّرة، مؤهّلة لمواجهة أساطيل الملك شخصياً في المعركة.

في (الأعتاب) حملوا حبوباً وفرائس وماءً عذباً بعد الرّحلة الطويلة
بمحاذاة ساحل (دورن) القاحل الكثيب بمياهه الضّحلة ودواماته، وهناك
استولت (النصر الحديدي) على سفينة تجارية ضخمة، الكوج العظيم
(السيدة النبيلة) الذي كان في طريقه إلى (البلدة القديمة) عن طريق (بلدة
النوارس) و(وادي الغسق) و(كينجز لاندنج)، وعلى متنه حمولة من سمك
القد المملح وزيت الحيتان والرّنجة المحفوظة، فكان الطّعام إضافةً مرحّباً
بها إلى مخزونهم. ثم إنهم استولوا على خمس غنائم أخرى في (بوغاز

(1) الكبش أو الكباش آلة حربية تُستخدم في البرّ لذلك بوابات القلاع والحصون، وفي البحر
لمهاجمة السفن. (المترجم).

ردواين) وعلى الساحل الدورني، ثلاثة أكواج وقاليون وقادس، وهو ما رفع عدد سفنهم إلى تسع وتسعين.

تسع وتسعون سفينةً أبحرت من (الأعتاب) في مفخرة من ثلاثة أساطيل، حاملةً أوامر باللقاء ثانيةً عند الطرف الجنوبي لـ(جزيرة الأرز). والآن بلغت أربع وخمسون سفينةً الجانب القصي من العالم، منها اثنتان وعشرون من أسطول فيكتاريون نفسه، وصلت بعضهن ثلاثاً وأربعاً في آن واحد وبعضهن وحدها، وأربع عشرة من أسطول رالف الأعرج، وتسع من التي أبحرت مع رالف ستونهاوس الأحمر (ورالف الأحمر نفسه بين المفقودين). أضاف الأسطول إلى عدده تسع غنائم جديدةً أسرت في البحر، وهكذا أصبح العدد الإجمالي أربعاً وخمسين سفينةً... لكن المأسورة ليست سفناً حربيةً وإنما أكواج وقوارب صيد وسفن تجارية وسفن نخاسة، وفي المعركة ستكون بديلاً رديئاً لسفن الأسطول الحديدي المفقودة.

آخر سفينةٍ ظهرت كانت (لعنة العذراء) قبل أيام ثلاثة، وقبلها بيوم جاءت ثلاث سفن من الجنوب معاً، أسيرته (السيدة النبيلة) المبحرة بثقل بين (معلف الغدبان) و(قُبلة الحديد). على أن شيئاً لم يظهر في اليوم السابق لهذا ولا اليوم السابق له، وقبلها أتت (چين عديمة الرأس) و(الخوف) فقط، ثم مرّ يومان آخران من البحر الخالي والسماء الصّحوة بعد ظهور رالف الأعرج ببقايا أسطوله؛ (اللورد كويلون) و(الأرملة البيضاء) و(المراثاة) و(الويل) و(اللويثان) و(السيدة الحديدية) و(ريح الحصاد) و(مطرقة الحرب)، ووراءها ست سفن أخرى منها اثنتان مجرورتان بعد أن حطمتهما العواصف. عندما ذهب رالف الأعرج إلى فيكتاريون زاحفاً أخبره متمتماً: «عواصف ثلاث عواصف كبيرة، وريح خبيثة بينها، ريح حمراء من (فاليريا) محملة بروائح الرماد والكبريت، وريح سوداء دفعتنا صوب ذلك الساحل الموحش. هذه الرحلة ملعونة من بدايتها. عين الغراب يخشاك يا سيدي، وإلا فلِم يُرسلك إلى أقصى الأرض؟ إنه لا يُريدنا أن نرجع».

هذا ما خطر لفِيكتاريون أيضاً حين لاقى العاصفة الأولى بعد يوم من إبحاره من (فولانتيس القديمة)، وقال لنفسه وقد استغرق في التفكير: لولا أن الآلهة تكره قتلة الأقربين لكان يورون عين الغراب قد مات بيدي عشرات

المَرَّات. بينما تلاطمت أمواج البحر حوله وارتفع السطح وانخفضت تحت قدميه رأى (وليمة داجون) ترتطم بـ(المد الأحمر) بعنفٍ عاتٍ حطم الاثنتين عن آخرهما، ففكّر: عمل أخي. هاتان أول سفينتين فقدهما من ثلثه من الأسطول، لكنهما لم تكونا الأخيرتين.

وهكذا صفح الأعرج على وجهه مرّتين، وقال له: «الأولى للسفن التي فقدتها، والثانية لكلامك عن اللعنات. اذكرها ثانيةً وسأمسمر لسانك إلى الصّاري. إذا كان عين الغراب يستطيع أن يجعل رجاله بكماً فأنا أيضاً أستطيع». من جرّاء نبض الألم في يده اليسرى خرجت كلماته أقسى مما كانت لتخرج في ظرفٍ آخر، لكنه عنى ما قاله. «سيأتي مزيد من السفن. العواصف سكنت في الوقت الحالي. سيكتمل أسطولي».

فوق الصّاري بالأعلى زقح قرد بتشفّ كأن بإمكانه أن يذوق إحباطه. حيوان قذر مزعج. يُمكنه أن يرسل رجلاً إلى أعلى يطرده، لكن القردة تحبّ هذه اللعبة علي ما يبدو، ثم إنها أثبتت أنها أرشقت من رجال طاقمه. ظلّ زقح القرد يرن في أذنيه وجعله يحسّ كأنما يزداد النّبض في يده سوءاً.

دمدم: «أربع وخمسون». كان الأمل في قوّة الأسطول الحديدي الكاملة ضرباً من العيب بعد رحلة بهذا الطول... لكن سبعين سفينة، أو حتى ثمانين، كان الإله الغريق ليُجدي عليه هذا. ليت ذا الشّعر الرّطب كان معنا، هو أو راهب آخر. قبل الإبحار قدّم فيكتاريون القرابين، ومرّة أخرى في (الأعتاب) حين قسّم الأسطول على ثلاثة، لكن ربما ردّد الصّلوات الخطأ. إمّا ذلك وإمّا أن الإله الغريق لا سلطان له هنا. أكثر فأكثر صار يخشى أنهم أبحروا أبعد من اللازم إلى بحار غريبة ألقتها أنفُسها غريبة... إلّا أنه لا يُفصح عن تلك الهواجس إلّا للمرأة السّمراء التي لا تملك لساناً تُردّها به.

عندما ظهرت (الثبور) استدعى فيكتاريون وولف ذا الأذن الواحدة، وأخبره: «أريدُ كلمة مع فأر الحقل، وأرسل خبراً لـالرف الأعرج وتوم عديم الدّم والرّاعي الأسود. أريدُ عودة جميع فرق الصّيد وتفكيك المخيمات على الشّاطئ بحلول الفجر. حمّلوا كلّ الفواكه التي تقدرّون على قطفها وسوقوا الخنازير إلى السفن. يُمكننا أن نذبّحها عند الحاجة. ستبقى (القرش) هنا لإخبار أيّ متلكتين بمكاننا». سيستغرق إصلاح السفينة تلك المدة بعد أن

خَرَّبَتْهَا العواصف، وهو ما سيخفف العدد إلى ثلاث وخمسين سفينة، لكن ما باليد حيلة. «سيرحل الأسطول غدًا في تيار المساء».

قال وولف: «كما تأمر، لكن يومًا آخر قد يعني سفينةً أخرى يا حضرة الرُّبَّان القائد».

- «أجل، وعشرة أيام قد تعني عشر سُفن أو لا سُفن على الإطلاق. لقد أهدرنا أيامًا أكثر من اللازم في انتظار ظهور الأشرعة. سيكون نصرنا أحلى وأحلى إذا حقَّقناه بأسطولٍ أصغر». ويجب أن أصل إلى ملكة التَّنانين قبل الفولانتينيِّين.

في (فولانتيس) رأى القوادس تُحمِّل المؤمن. بدت له المدينة بأكملها سكرانة، وشوهد الملاحون والجنود والسَّمكريَّة يَرُقُّصون في الشوارع مع النُّبلاء والتُّجَّار السَّمان، وفي كلِّ خانٍ وخمَّارةٍ رُفِعَت الكؤوس في صحَّة القناصل الجُدد، ودار الكلام كله حول ما سيتدق من ذهب وجواهر وعبيد إلى (فولانتيس) ما إن تموت ملكة التَّنانين. يوم واحد من هذا الحديث هو كل ما استطاع فيكتاريون جرايچوي أن يهضمه، وهكذا دفع ثمن الطَّعام والماء ذهبًا - على الرغم مما في هذا من خزي - وعاد بسفنه إلى البحر.

لا ريب أن العواصف شتَّت الفولانتينيِّين وعطلَّتهم مثلما فعلت بسفنه، وإذا تبسَّمت له الأقدار فقد غرق كثير من سفنهم الحربيَّة أو انجرف إلى اليابسة، ولكن ليس جميعها، فلا إله بهذا الكرم، وربما تكون تلك القوادس الخضراء التي نجت قد أبحرت حول (فاليريا) بالفعل. وتمخَّر الآن عباب البحر إلى الشمال صوب (ميرين) و(يونكاي)، دُرمونات حربيَّة عظيمة تعجُّ بالجنود العبيد. إذا جنبها الإله الغريق ويلات العواصف فمن الممكن أن تكون في (خليج الثبور) الآن، ثلاثمئة سفينة، وربما يبلغ عددها الخمسمئة. حلفاء الفولانتينيِّين عند (ميرين) بالفعل، يونكثيون وأستاپوريون، ورجال من (جيس الجديدة) و(كارث) و(تولوس) والإله الغريق يعلم من أين أيضًا، وحتى سُفن (ميرين) الحربيَّة التي فرَّت من المدينة قبل سقوطها. ضد كلِّ هذا مع فيكتاريون أربع وخمسون سفينة... بالأحرى ثلاث وخمسون بعد خصم (القرش).

قطع عين الغراب نصف العالم إبحارًا، يُغير وينهب من (كارث) إلى (بلدة

الأشجار الطويلة)، و يرسو في موانٍ كريهة لا يرتحل بعدها إلا المجانين، بل وأقدم يورون أيضًا على خوض (بحر الدخان) وعاش ليحكي عن مُغامرته. وهذا بسفينة واحدة فقط. إذا كان يستطيع السُّخرية من الآلهة فأنا أيضًا أستطيعُ.

قال وولف ذو الأذن الواحدة: «أمر حضرة الرُّبَّان». لا يُداني وولف الرَّجل الذي كانه نيوت الحلاق ولو قليلاً، لكن عين الغراب سرق نيوت، ويرفعه إلى سيادة (تُرس السَّنديان) جعل أفضل رجال فيكتاريون رجله. «أما زالت وجهتنا (ميرين)؟».

- «وأين غيرها؟ ملكة التَّنَّانين منتظرة في (ميرين)». أجمل امرأة في العالم إذا صدق أخي. شعرها ذهبي فضِّي، وعيناها جَمَّشت.

هل يكثر عليه أن يأمل أن يكون يورون قد قال الحقيقة مرَّة؟ ربما. على الأرجح سيَتضح أن الفتاة مجرد ساقطة مجدورة الوجه يتهدَّل ثدياها إلى رُكبتها، وأن «تنانينها» ليست أكثر من سحالي موشومة من مستنقعات (سوثيريوس). أمَّا إذا كانت كما يدعي يورون... لقد سمعوا كلامًا عن حُسن دنيرس تارجارين من أفواه القراصنة في (الأعتاب) والتُّجَّار السَّمان في (فولانتيس القديمة)، وقد تكون أقاويلهم صحيحة، كما أن يورون لم يُقدِّمها إلى فيكتاريون هديَّة، بل ينوي عين الغراب أن يأخذها لنفسه. يُرسلني لأحضرها كأني خادمه. كم سيؤلُّول ويندب حين آخذها لنفسه. فليهمهم الرُّجال ويتبرَّموا. لقد قطعوا شوطًا أطول ومُنوا بخسائر أكثر من أن يرتدُّ فيكتاريون على عقبه إلى الغرب دون غنيمته.

كور الرُّبَّان الحديدي قبضته السَّليمة قائلاً: «اذهب واعمل على تنفيذ أوامري، وجد المايستر أينما كان مختبئًا وأرسله إلى قمرتي».

قال وولف: «حاضر»، وهرع مبتعدًا.

عاد فيكتاريون جرايچوي يلتفت إلى مقدِّمة السَّفينة جائسًا ببصره في الأسطول. تملأ السُّفن الطويلة البحر، قلوها مطوية ومجاذيفها مرفوعة، طافية في المياه الصَّحلة أو راسية على رمال السَّاحل الباهتة. (جزيرة الأرز). وأين شجر الأرز هذا؟ غرق قبل أربعمئة عام على ما يبدو. نزل فيكتاريون إلى اليابسة دستة من المرَّات يصطاد اللحم الطَّازج ولم يرَ شجرة أرز واحدة.

زعمَ المايستر المحنَّث الذي ابتلاه به يورون في (وستروس) أن هذا المكان كان يُسمَّى أنفًا (جزيرة المئة معركة)، لكن الرجال الذين قاتلوا في تلك المعارك وُوروا الثرى قبل قرون. (جزيرة القروء)، هكذا ينبغي أن يُسمَّوها. وثمة خنازير هنا أيضًا، أكبر خنازير برية رآها الحديدون وأشدها سوادًا على الإطلاق، وأعداد وفيرة من الخنازير الصغيرة في الأحرش، مخلوقات جريئة لا تخاف الإنسان. لكنها بدأت تتعلَّم الخوف. تمتلئ مخازن الأسطول الحديدي بلحم الخنازير المدخن والمملح والمقدد.

أمَّا القروء... القروء وبال. حَرَج فيكتاريون على رجاله أن يجلبوا أيًا من تلك الكائنات الشيطانية إلى الأسطول، وعلى الرغم من هذا غزت نصف السفن، بما فيها سفينته (النصر الحديدي)، والآن تحديداً يرى بعضها يتأرجح من صارٍ إلى صارٍ وسفينته إلى سفينة. لبت معي نُشائية.

لا يحبُّ فيكتاريون هذا البحر، ولا هذه السماوات الصافية اللانهائية، ولا الشمس المستعرة التي تدقُّ رؤوسهم دقًّا بأشعتها وتُلهب أسطح السفن بسخونة كفيلة بسفع الأقدام الحافية، ولا يحبُّ هذه العواصف التي يبدو كأنما تأتي من العدم. غالبًا ما يكون البحر عاصفًا حول (بايك)، لكن على الأقل بإمكان المرء هناك أن يشمَّها قبل هبوبها، أمَّا هذه العواصف الجنوبية فخداعة كالنساء. حتى المياه لونها خطأ، فيروزي متألئ قُرب الساحل وبعيدًا عنه أزرق قاتم يكاد يكون أسود. كم يفقد فيكتاريون مياه الوطن الخضراء الرمادية بأمواجها المزبدة وجيشانها.

ولا يحبُّ (جزيرة الأرز) هذه أيضًا. قد يكون الصيِّد وافرًا، لكن الغابات بالغة الخضرة والسكون، ملأى بأشجار ملتوية وأزهار زاهية عجيبة لم ير أحد من رجاله لها مثيلًا من قبل، علاوة على أن هناك أهوالًا كامنة بين القصور المتهدمة والتماثيل المحطمة الباقية من (فيلوس) الغارقة على بُعد نصف فرسخ شمال البقعة التي يرسو فيها الأسطول الحديدي. آخر مرة أمضى فيها فيكتاريون الليل على البر كانت أحلامه مظلمة مزعجة، ولمَّا استيقظ وجد فمه مليئًا بالدم. قال المايستر إنه عصَّ لسانه في نومته، لكنه اعتبرها آية من الإله الغريق، إنذارًا من أن بقاءه هنا أطول من اللازم سيُميته مخنوقًا بدمه.

يُقال إن يوم أتى الهلاك على (فاليريا) ارتفع حائط من المياه ثلاثمئة

قدم وحطَّ على الجزيرة مغرقاً مئات الألوف من الرِّجال والنِّساء والأطفال، ولم يتركْ أحدًا حيًّا يحكي الحكاية إلاَّ بعض الصيَّادين الذين كانوا في البحر ساعتها، ومجموعة صغيرة من حاملي الحِراب الفيْلوسيين المكلفين بحراسة بُرج حجري متين فوق أعلى تلال الجزيرة، وقد شهد هؤلاء التلال والوديان أسفلهم تستحيل إلى بحرٍ نائر. في غمضة عينٍ اختفت (فيلوس) الجميلة بقصورها وأرزها ومرمرها الوردى، وفي طرف الجزيرة الشمالي مُنيت الأسوار القرميد العتيقة والأهرام المدرَّجة في ميناء النخاسة (جوزاي) بالمصير عينه.

حين اختارَ فيكتاريون الجزيرة مكانًا للقاء أقسام أسطوله الثلاثة قال لنفسه: غرقى كثيرون جدًّا. سيكون للإله الغريق نفوذ قوي هناك. على أنه ليس رجل دين، فماذا لو أنه أساء التَّأويل؟ ربما دمَّر الإله الغريق الجزيرة غضبًا. كان أخوه آرون ليعرف، غير أن ذا الشَّعر الرُّطب بعيد في (جزر الحديد)، يُندد بعين الغراب وحُكمه. ليس لكافرٍ أن يجلس على كرسي حجر اليم. لكن الرِّبابة والملوك هتفوا ليورون في انتخاب الملك وفضَّلوه على فيكتاريون وغيره من المؤمنين.

كانت شمس الصِّباح تتألَّق على صفحة الماء في تموجاتٍ من الضَّوء أسطع من أن ينظر إليها، وبدأ رأس فيكتاريون يدق، ولو أنه لا يدري إن كان السَّبب الشَّمس أم يده أم الهواجس المستبَدَّة به. عادَ إلى قمرته المعتمة بالأسفل حيث الهواء فاتر الحرارة، وعلمت المرأة السَّمراء ما يُريده دون أن يطلُب، وإذ أراح نفسه على مقعده أخذت قطعة ناعمة رطبة من القماش من الحوض ووضعتها على جبهته، فقال: «جيد، جيّد. والآن اليد».

لم تردِّ السَّمراء. قطع يورون لسانها قبل أن يُعطيها له، ولا يشكُّ فيكتاريون في أن عين الغراب ضاجعها أيضًا. إنه ديدن أخيه. يوم صعَدت المرأة إلى متن سفينته قال الرُّبان لنفسه مذكرًا: هدايا يورون مسمومة. لا أريدُ شيئًا من فضالته، وقرَّر يومها أن يشقَّ حلقة ويلقيها في البحر كقربان دمٍ للإله الغريق، لكنه لسبب ما لم يفعل قط.

منذ ذلك الحين تطوَّرت الأمور بينهما كثيرًا. يستطيع فيكتاريون أن يكلم السَّمراء، ومن ناحيتها لا تُحاول هي مبادلته الكلام أبدًا. أخبرها وهي تخلع

قَفَّازَه برفق: «(الثُّبُور) الأخيرة. البقية مفقودة أو متأخِّرة أو غرقت». جفلَ المَاء إذ دَسَّت المرأة رأس سَكِينِهَا تحت الصَّمَادَةِ الكَثَّانِ المَلوَّثَةِ حول يد تُرْسِه، ثم إنه أَرْدَفَ: «سيقول بعضهم إنه ما كان عليَّ أن أقسم الأَسْطُول. بُلُه. كانت سُفُنُنَا تَسْعًا وتسعين... عددًا أضخم من أن نَعْبُرَ به البحار إلى طرف العالم الآخر. لو أَبْقَيْتَهَا معًا لظَلَّتِ السُّفُنُ الأَسْرَعُ مرهونَةً بحركة الأَبْطَأ، وأين نجد مؤنًا لكلِّ تلك الأَفْوَاهِ؟ لا ميناء يُريد كلُّ هذه السُّفُنِ الحربيَّةِ في مياهه. كانت العواصف لَتَشْتِنُنَا في جميع الأحوال وتُبَعَثِرُنَا كورق الشَّجَرِ في أنحاء (بحر الصَّيْف)».

بدلاً من ذلك قسمَ الأَسْطُولَ وأرسلَ كلَّ سَرِبٍ إلى (خليج النخاسين) من طريقٍ مختلف. أعطى أَسْرَعُ السُّفُنِ لِرالف ستونهاوس الأحمر لِيُجِرَّ في مسار القراصنة بمحاذاة ساحل (سوثيريوس) الشمالي. يعلم كلُّ بحَّارٍ أن من الخير تحاشي المُدن الميِّتة المتعفِّنة على ذلك السَّاحلِ القاطئ، لكن في بلدات (جُزر البازيليسق) المبنية بالوحل والدِّماء ثمة مؤن متاحة لمن لا يخشون دفع الثَّمَنِ الحديدي، على الرغم من امتلائها بالرَّقِيقِ الهارين والنخاسين والسَّلاخين والعاشرات والصيَّادين وأنصاف البَشَرِ المخطَّطين وما هو أسوأ.

اتَّجَهَتِ السُّفُنُ الأَكْبَرُ والأثقل والأبطأ إلى (ليس) لبيع الأَسْرَى والسَّبَايَا المَأخُوذِينَ من (الثُّروس)، نساء وأطفال (بلدة اللورد هيويت) والجُزُر الأخرى، بالإضافة إلى الرِّجَالِ الذين آثروا الاستسلام على الموت، وهؤلاء الضُّعْفَاء لا يَشْعُرُ فِكْتَارِيون نحوهم إلا بالاحتقار. وعلى الرغم من هذا خَلَفَ البيع مذاقًا كريهاً في فمه. أن يَتَّخِذَ من رجلٍ قِنًا أو من امرأةٍ زوجةً ملحِيَّةً فهذا سليمٌ قويم، لكن البَشَرِ ليسوا مواشيَّ أو دواجنَ تُباع وتُشْتَرَى بالذَّهَبِ. أراحه أن يَتَرَكَّ عمليةَ البيع لِرالف الأعرج الذي كُفِّفَ باستخدام المال في مَلءِ السُّفُنِ الكبيرة بالمؤن من أجل الرِّحْلَةِ الوُسْطَى الطَّوِيلَةِ البَطِيئَةِ إلى الشَّرْقِ.

أبحرت سُفُنُه هو بمحاذاة سواحل (أراضي النَّزاع) لتحميل الطَّعامِ والنَّيِّدِ والماء العذب من (فولانتيس) قبل الدَّورانِ جنوبًا حول (فاليريا)، وهو أكثر الطُّرُقِ المطروقة إلى الشَّرْقِ وأشدُّها ازدحامًا، مليء بغنائم جاهزة للنَّهْبِ وجُزُرٍ صغيرة يأوون إليها خلال العواصف ويُجرون الإصلاحات ويُعيدون مَلءَ مخازنهم عند الصَّرورة.

قال للسَّمراء: «أربع وخمسون سفينةً عدد قليل للغاية، لكنني لا أستطيع الانتظار أكثر. السَّبيل الوحيد...»، وأن إذ أزالَت الضَّمادة ممزَّقة قشرةً من جُلبة جرحه معها لبدو اللَّحم من تحتها أخضر وأسود حيث أصابه السَّيف. «السَّبيل الوحيد للنَّجاح أن نُبَاغِت النَّخاسين بالهجوم كما فعلتُ من قبل في (لانسپورت)، أن ننقُصَ عليهم من البحر ونسحقهم، ثم نأخذ الفتاة ونُسرع عائدين إلى الوطن قبل أن يُهاجِمنا القولا نتيِنُون». ليس فيكتاريون جبانًا، لكنه ليس أحمق كذلك، ويُدرِك أنه لا يقوى على هزيمة ثلاثمئة سفينة بأربع وخمسين. «ستكون زوجتي وتكونين وصيفتها». لا يُمكن أن يزل لسانٌ وصيفةً بالأسرار إن لم يكن لها لسان.

كان ليقول المزيد، لكن المايستر وصلَ لحظتها ودقَّ باب القمرة بجُبن الفئران، فنادى فيكتاريون: «ادخُل وأوصِد الباب. تعرف سبب وجودك هنا». - «حضرة الرُّبان القائد». يُشبه المايستر الفئران أيضًا بردائه الرَّمادي وشاربه البني الصَّغير. أیظنُّ أن هذا يجعله يبدو أكثر رجولةً؟ اسمه كروين، وسنَّه صغيرة للغاية، اثنان وعشرون عامًا تقريبًا. سأله: «هل لي أن ألقى نظرةً على يدك؟».

سؤال أحمق. للمايسترات فوائدهم، لكن فيكتاريون لا يكنُّ لكروين هذا إلا الأزدراء. بوجنتيه المتورَّدتين الملساوين ويديه النَّاعمتين وخصلاته البنية المجدَّعة يبدو بناتيًّا أكثر من أكثر البنات. في بداية وجوده على متن (النَّصر الحديدي) تعود رسم ابتسامته متكلَّفة صغيرة على شفثيه، لكن ذات ليلةً بعد رحيلهم من (الأعتاب) منحَ ابتسامته هذه للرَّجل الخطأ، وكسرَ برتون همبل أربعًا من أسنانه، وبعدها بفترةٍ لم تَطُل زحفَ كروين إلى الرُّبان شاكياً من أن أربعَةً من رجال الطَّاقم جرَّوه إلى أسفل واستعملوه كأنه امرأة، فأخبره فيكتاريون هاويًا على الطاولة بينهما بخنجر: «هاك، هكذا تضع نهايةً لذلك». أخذَ كروين الخنجر - خائفًا من رفضه كما خَمَّن الرُّبان - لكنه لم يستخدمه قطُّ. قال فيكتاريون: «ها هي ذي يدي. انظر كما تُريد».

جثا المايستر كروين على رُكبته ليفحص الجرح من كثبٍ وتسمَّمه كالكلاب، ثم إنه قال: «عليَّ تصريف القيح ثانيةً. اللون... حضرة الرُّبان القائد، الجرح لا يندمل. قد أضطرُّ إلى بتر يدك».

كانا قد تكلمنا عن هذا من قبل. «إذا بترت يدي فسأقتلك، لكنني سأقيدك إلى الحاجز أولاً وأجعل من ذُبرك هديةً للطاقم. قم بعملك.»
- «سيكون هناك ألم».

- «دومًا». الحياة ألم أيها الأبله. لا رخاء إلا في أبهاء الإله الغريق المائتة.
«افعلها».

وضع الغلام - غلام لأن اعتبار أحدٍ ناعم متورّد مثله رجلاً صعب - حافة الخنجر على راحة يد الربّان وشقّ، لينبجس من الجرح قيح أصفر ثخين كالحليب الفاسد. تقلصّ أنف السّمراء من الرائحة، وبدا المايستر علي وشك القيء، وحتى فيكتاريون نفسه أحسّ بمعدته تنقلب. «أعمق، صرّفه كله، أرني الدّم».

غرس المايستر كروين الخنجر عميقًا، وهذه المرّة تألم فيكتاريون، لكن الدّم انبثق مع القيح، دم شديد القنوان حتى إنه بدا أسود في ضوء المصباح. الدّم علامة جيّدة. زمجر فيكتاريون استحسانًا، وجلس بلا جفول فيما مسح المايستر واعتصر ونظف القيح بمناديل من القماش الناعم المغلي في الخل، ولدى فروغه كان الماء النّظيف في الحوض قد تحوّل إلى مستنقع، منظره وحده كفيل بإثارة غثيان أيّ إنسان.

قال فيكتاريون: «خذ هذه القذارة واذهب»، وأشار برأسه إلى السّمراء مضيفًا: «ستضمّدي هي».

حتى بعد خروج الغلام بقيت الرائحة الكريهة. في الفترة الأخيرة لا مفرّ منها. كان المايستر قد اقترح تنظيف الجرح على السطح في الهواء الطلق وضوء الشمس، إلا أن فيكتاريون رفض ذلك تمامًا، فليس هذا شيئًا يراه رجال طاقمه. إن بينهم وبين الوطن نصف العالم، أبعد من أن يدعهم يرون أن قائدهم الحديدي بدأ يصدأ.

ظلت يسراه تبض، ألمها خفيف لكن لحوح، ولما ضمّ قبضته احتدّ الألم كأن سكينًا يطعن ذراعه بطولها. ليس سكينًا وإنما سيف طويل، سيف طويل في يد شبح. سيرري، كان هذا اسمه، وكان فارسًا ووريث (تُرس الجنوب). قتلتها، لكنه ما زال يطعني من القبر. أيّا كانت الجحيم التي أرسلته إليها فما زال من قلبها الوقاد يغرس فولاذه في يدي ويلويه.

ما زالَ يَذْكُرُ القتالَ كأنه كان البارحة. كان تُرْسُه قد تحوَّلَ إلى شظايا تتدَلَّى بلا جدوى من ذراعِهِ، وعندما هوى عليه سيف سيري الطَّويلَ مَدَّ يده وأمسكهُ. كان الفتى المراهق أقوى مما بدا، ونفذَ نصله من فولاذ قُفَّاز الرُّبَّانِ والبطانة تحته لينغرس في لحم كَفِّهِ. بعدها قال فيكتاريون لنفسه: خدش من هِرِّ صَغيرٍ، وغسل الجرح وصبَّ عليه الخَلَّ المغلي وضَمِّده ثم تناساه وأثَقَا بأن الألم سيخبو وتُشفى اليد من تلقاء نفسها مع الوقت.

لكن بدلاً من ذلك تعفَّن الجرح إلى أن بدأ فيكتاريون يتساءل إن كان نصل سيري مسموماً، وإلَّا فَلِمَ يأبى الجرح أن يندمل؟ جعلته الفكرة يستشيط غضباً. لا رجل حقيقياً يَقْتُلُ بالسُّمِّ. في (خندق كايِلن) أطلقَ شياطين المستنقعات السَّهام المسمومة على رجاله، لكن هذا هو المتوقع من تلك المخلوقات الزَّنيمة، أمَّا سيري فكان فارساً كريم المحتد، والسُّمُّ سلاح الجُبَّناء والنِّساء والدورنِيِّين فقط.

خاطبَ السَّمرَاءُ قائلاً: «إن لم يكن سيري فمن؟ أيمكن أن هذا المايستر الفأر هو السَّبب؟ المايسترات يعرفون التَّعاونيد وغيرها من الحيل، وربما يستخدم إحداها لتسميمي آملاً أن أتركه يَبْتُرُ يدي». كلِّمًا ففكر في الأمر بدا له أكثر رجوحاً. «عين الغراب هو من أعطاني هذا المخلوق القميء». أخذَ يورون كروين من (التُّرس الأخضر) حيث كان يخدم اللورد تشستر، يُعنى بغدفانه ويُعلِّم أولاده، أو ربما العكس. ولكم صرَّ الفأر حين أوصله أحد خُرس يورون إلى متن (النَّصر الحديدي) جازاً إياه من السَّلسلة المحيطة بعُنقه. «إذا كان هذا انتقامه فقد أخطأ في حقي. يورون هو مَنْ أصرَّ على أخذه لمنعه من إثارة المتاعب بطيوره». أعطاه أخوه ثلاثة أفضاص من الغدبان أيضاً ليُرْسِلَ كروين أخبار رحلتهم، غير أن فيكتاريون نهاه عن ذلك. دَعَّ الهواجس والتساؤلات تنهش يورون.

كانت السَّمرَاءُ تُضَمِّدُ يده بكتَّانٍ نظيف وتلفَّهُ حول راحته سِتَّ مرَّاتٍ عندما أتى لونجووتر بايك يدق باب القمرة ويُخبره بأن رُبَّان (الثُّبور) أتى ومعه سجين. «يقول إنه جلب لنا ساحراً أيها الرُّبَّان، يقول إنه انتشلهُ من البحر».

- «ساحر؟». أيمكن أن الإله الغريق أرسلَ إليه هديَّةً هنا في طرف العالم القصي؟ كان آرون ليعرف، لكن آرون رأى عظمة أبهاء الإله الغريق المائيَّة

تحت البحر قبل عودته إلى الحياة، أمّا فيكتاريون فيخاف إلهه كما ينبغي لكلّ البَشَر، وإن كان يضع إيمانه في الفولاذ. ثنى يده الجريحة وبسطها وقد تقلّصت قسماته ألماً، ثم وضع قُفَّازَه وقامَ قائلاً: «أرني هذا السّاحر».

انتظره رُبَّان (الثُّبور) على السّطح، رجل صغير الحجم مُشعر قبيح مولود في عائلة سِپار، ويدعوه رجاله بفأر الحقل. حين ظهرَ فيكتاريون خاطبَه قائلاً: «حضرة الرُّبَّان القائد، هذا هو موكُورو، هديّة لنا من الإله الغريق».

السّاحر عملاق، يُساوي فيكتاريون نفسه طولاً ويفوقه عرضاً مرّتين، بطنه كالجلمود وسُعره الأبيض كالعظم نابت حول وجهه كلبدة الأسود، وله بشرة سوداء، ليس اللّون البنيّ الجوزي المميّز لأولاد (جُزر الصّيف) على سفنهم البجعِيّة، ولا البنيّ المحمرّ المميّز للدوثرافي سادة الخيول، ولا لون بشرة السّمراء الفحميّ والتُّرابي، بل أسود، أحلك سواداً من الفحم، من السّبع، من ريش الغُدفان. محروق كامريّ شويّ في اللّهب إلى أن تفحّم لحمه وتغصّن وسقط داخناً عن عظمه. ما زالت النّار التي حرّقتَه تتراقص على وجنتيه وجبهته، فتنظرُ عيناه من قناع من اللّهب المتجمّد. وشوم عبوديّة، علامة شر. قال فأر الحقل: «وجدناه متعلّقاً بصارٍ مكسور. قضى عشرة أيام في الماء بعد غرق سفينته».

- «لو قضى عشرة أيام في الماء ل مات أو جُنّ من شُرب الماء المالح». الماء المالح مقدّس، يُبارك به آرون ذو الشّعر الرّطب وغيره من الرُّهبان النّاس ويأخذون منه رشفةً بين الحين والآخر، لكن لا إنسان فانيّاً يستطيع الشُّرب من البحر العميق عشرة أيامٍ متتالية ويأمل أن يبقى حيّاً. سأل السّجين: «تدعي أنك مشعوذ؟».

أجاب الرّجل الأسود باللّغة العاميّة بصوتٍ عميق كأنه آتٍ من أعماق البحر: «لا أيها الرُّبَّان، إنني مجرد عبدٍ متواضع لراهلور إله الصّياء».

راهلور. راهب أحمرّ إذن. رأى فيكتاريون أمثاله في المُدن الأجنبيّة يُذكون نيرانهم المقدّسة، لكن هؤلاء ارتدوا ثياباً حمراء فاخرةً من الحرير والمخمل وصوف الحملان، أمّا هذا فيرتدي أسماًلاً باهتةً مبقّعةً بالملح تلتصق ممزّقةً بساقيه الغليظتين وجذعه... لكن حين أمعن الرُّبَّان النّظر إلى الأسما بداهه أنها ربما كانت كانت حمراء من قبل. أعلنَ فيكتاريون: «راهب وردي».

قال وولف ذو الأذن الواحدة: «راهب شيطاني»، وبقو.
وقال لونجووتر بايك: «ربما شبت النار في ثيابه فقفر في الماء ليطفئها»،
وهو ما أثار ضحك الحاضرين، وحتى القردة وجدت هذا طريفاً وزقت
بالأعلى، وألقى أحدها قطعة من برازه سقطت وتناثرت على ألواح السطح.
لا يثق فيكتاريون جرايچوي بالضحك، ودائماً يث فيه صوته شعوراً مزعجاً
بأنه محط دعاية ما لا يدركها. في صباحها كثيراً ما تهكم عليه يورون عين
الغراب، وكذا آرون قبل أن يصبح ذا الشعر الرطب. في أغلب الأحيان تنكر
تهكهما في صورة ثناء، وفي بعض تلك الأحيان لم يتين فيكتاريون أنهما
يسخران منه حتى سمع الضحك، وعندها كان الغضب يغلي في مؤخرة حلقه
حتى يوشك مذاقه على خنقه. هكذا يشعر نحو القروذ التي لم ترسم طرائفها
ولو ابتساماً على وجه الربان، في حين يصيح رجاله ويضحكون ويصفرون.
قال برتون همبل يستحته: «أرسله إلى الإله الغريق قبل أن يستنزل علينا
لعنة».

وقال وولف ذو الأذن الواحدة: «سفينة غرقت ولم يبق إله متعلقاً
بالحطام. أين أفراد الطاقم؟ هل استدعى الشياطين لتلتهمهم؟ ماذا حدث
للسفينة؟».

عقد موذورو ذراعيه على صدره مجيباً: «عاصفة». لا يبدو الرجل خائفاً
رغم أن جميع المحيطين به ينادون بموته، وحتى القردة نفسها لا يبدو أنها
تحب هذا الساحر، إذ أخذت تثب صارخة من جبل إلى جبل بالأعلى.
أما فيكتاريون فتردد. لقد خرج من البحر. لماذا يقذفه الإله الغريق من
الماء ما لم يكن يريدنا أن نعثر عليه؟ لأخيه يورون سحرته الذين يعدهم
كالحيوانات الأليفة، وربما شاء الإله الغريق أن يكون لفيكتاريون ساحره
أيضاً. وجه كلامه إلى فأر الحقل قائلاً: «لماذا تقول إن هذا الرجل ساحر؟
لست أرى إلا راهباً أحمر يرتدي الأسمال».

أجاب الرجل الصغير: «هذا ما خطر لي أيضاً أيها الربان القائد... لكنه يعلم
أشياء. علم أننا متجهون إلى (خليج النحاسين) قبل أن يخبره أحد بوجهتنا،
وعلم أنك ستكون هنا عند هذه الجزيرة»، وتردد لحظة قبل أن يتابع: «حضرة
الربان القائد، لقد أخبرني... أخبرني بأنك ستموت حتماً ما لم نأتك به».

ساخرًا ردّد فيكتاريون: «بأنني سأموثُ؟»، وكان على وشك أن يقول: اذبحوه وارموه في البحر، إلى أن أحسّ بنبضة ألم تطعنه في ذراعه حتى المرفق تقريبًا، ألم مبرّح ممض أحال كلماته إلى مِرّة في حلقة، وترنّح فيكتاريون وتشبّث بالحاجز كي لا يسقط.

قال صوت: «المشعوذ لعن الرُّبّان!»، وانضمَّ إليه رجال آخرون صائحين: «اذبحوه! اقتلوه قبل أن يستجلب علينا شياطينه!»، وسبق لونجوتر بايك الجميع إلى سحب خنجره.

هدرَ فيكتاريون: «لا! ابتعدوا جميعًا! بايك، أعمد فولاذك. فأر الحقل، عدّ إلى سفيتك. همبل، خذ السّاحر إلى قمرتي. وبقيتكم، عودوا إلى واجباتكم». لأقل من لحظة لم يكن واثقًا بأنهم سيطيعونه إذ وقفوا في أماكنهم مهمهمين وقد شهرَ نصفهم السّلاح ورمق كل منهم الآخر ناشدًا المؤازرة. أمطرتهم القروذ بخراتها، ولم يتحرّك أحد حتى أطبق فيكتاريون على ذراع المشعوذ وسحبته إلى الكوّة.

حين فتح باب قمرة الرُّبّان التفتت إليه المرأة السّمراء صامتة مبتسمة... لكن لَمّا رأت الرّاهب الأحمر إلى جانبه انسحبت شفتاها عن أسنانها وبغضب مفاجئ أطلقت هسيسسسسسا كالثعبان. لطمها فيكتاريون بظهر يده السّليمة ودفعها نحو السّطح قائلاً: «صمتًا يا امرأة. نبذ لكلينا»، والتفت إلى الرّجل الأسود سائلًا: «أما قاله فأر الحقل صحيح؟ أنت رأيت موتي؟».

- «وأكثر».

قال ويده السّليمة تفتح وتغلق: «أين؟ متى؟ هل سأموثُ في المعركة؟ إذا كذبت عليّ فسأشجّ رأسك كحبة البطيخ وأترك القروذ تأكل مُخك».

- «موتك معنا الآن يا سيّدي. أعطني يدك».

- «يدي، ماذا تعرف عن يدي؟».

- «لقد رأيتك في النّار اللّيلية يا فيكتاريون جرايچوي، تأتي مخترقًا اللّهب بخُطى واسعة واثقة، وجهك صارم عتيد والدّم يقطر من فأسك العظيمة، لكنك معميّ عن المجسّات الملتفة حول معصميك وعُنقك وكاحليك، الخيوط السّوداء التي تُرقّصك».

ردّ فيكتاريون مغضبًا: «تُرَقِّصني؟ نارك اللّيلية كاذبة. لستُ مخلوقًا

للرَّقص، ولستُ دُمية أحد»، وانتزعَ قُفَّازَه ودسَّ يده المصابة في وجه الرَّاهب مردفًا: «هاك. أهذا ما أردت؟». كان الدَّم والصدِّيد قد لوثا الكتَّان الجديد بالفعل. «الرَّجل الذي أصابني بهذا كانت على تُرسه وردة، وخذشت شوكة يدي».

- «من شأن أصغر الخدوش أن يكون مميتًا أيها الرُّبَّان القائد، لكن إذا أذنت لي فسأشفي هذا الجرح. سأحتاجُ إلى نصل. الفضة أفضل لكن لا بأس بالحديد. وأريدُ مستوفدًا أيضًا. عليَّ أن أشعل نارًا. سيكون هناك ألم، ألم رهيب لم تعرف له شبيهاً من قبل، لكن حين نَفْرُغ ستعود إليك يدك».

كلهم واحد رجال السَّحر هؤلاء. الفأر أيضًا حدَّرنِي من الألم. «أنا حديديُّ الميلاد أيها الرَّاهب، وأضحكُ من الألم. سنتال ما تطلبه... لكن إذا فشلت ولم تُشفَ يدي فسأذبحك بنفسِي وأعطيك للبحر».

انحنى موذورو وعيناه الدَّاكتتان تلمعان، وقال: «ليكن».

لم يرَ الرُّبَّان الحديدي ثانيةً هذا النَّهار، لكن مع مرور السَّاعات سمعَ رجال طاقم (النَّصر الحديدي) صوت ضحكٍ ضارٍ يأتي من قمرة الرُّبَّان، ضحك عميق مشؤوم مجنون، ولمَّا حاولَ لونجوتر بايك وولف ذو الأذن الواحدة فتح الباب وجداه موصدًا. بعدها سُمِعَ غناء، أغنية غريبة عالية نائحة بلُغةٍ قال المايستر إنها الثاليرية الفُصحى، وتلك هي الأثناء التي غادرت فيها القروود السَّفينة صارخةً واثبةً في الماء.

وبحلول الغروب، فيما استحالَ البحر إلى سواد الحِبر ولطَّخت السَّمس السَّماوات بالأحمر الدَّموي القاني، عادَ فيكتاريون إلى السَّطح. كان عاري الجذع، وذراعه اليُسرى دامية حتى المرفق، وبينما التَمَّ رجاله حوله متهامسين متبادلين النَّظرات رفعَ يداً مسودةً متفحمةً، ومن أصابعه تصاعدت خيوط الدُّخان الدَّاكن إذ أشارَ إلى المايستر قائلاً: «هذا، اذبحوه وارموه في البحر وستأتي الرِّياح بما نشتهيه طوال الطَّرِيق إلى (ميرين)».

رأى موذورو هذا في ناره، ورأى أن الفتاة تزوجت أيضًا، ولكن ماذا في هذا؟ لن تكون أول امرأة تترمَّل على يد فيكتاريون جرايچوي.



تيريون

دخلَ المُعالج الخيمة متممًا بالمجاملات، لكن نشقةً واحدةً من الهواء الفاسد ونظرةً واحدةً إلى يزان زو كأجاز وضعتنا نهايةً لهذا، وقال العجوز لحلوى: «الفرس الشاحبة».

فكّر تيريون: يا لها من مفاجأة. من كان ليُخمن هذا؟ باستثناء أيّ أحد له أنف، وأنا لي نصف أنفٍ فقط. كان يزان يكتوي بالحُمى ويتلوى بتشنج في بركةٍ من غائطه الذي تحوّل إلى رُسابةٍ بنيةٍ مجزعةٍ بالدم... وواجب يولو ويني أن يُنظفًا مؤخرته الصّفراء. حتى بمساعدة غيره لا يستطيع سيدهما أن يرفع وزنه، وتطلب قلبه على جانبه قوّته الخائرة كلّها.

أعلنَ المُعالج: «لن تُجدي فنوني نفعًا هنا. حياة النّيل يزان في أيدي الآلهة. حافظوا على ترطيب بشرته إن استطعتم. بعضهم يقول إن هذا يُساعد. اجلبوا له ماءً». يُعاني المصابون بالفرس الشاحبة عطشًا دائمًا، ويشربون جالونات من الماء بين نوبات الإسهال. «ماءٌ عذبًا نظيفًا، كلّ ما يقدر على شُربه».

قالت حلوى: «لا ماء من النّهر».

- «على الإطلاق». قالها المُعالج ولاذّ بالفرار.

قال تيريون لنفسه: يجب أن نفرّ أيضًا. إنه عبد بطوقٍ ذهبي، له جرسان صغيران يرتان بمرح كلّما خطا خطوةً. أحد كنوز يزان المميزة، شرف لا فرق بينه وبين قرار بالإعدام. أحبّ يزان زو كأجاز الإبقاء على أعزّائه قُربه، فوقعَت على عاتق يولو ويني وحلوى وكنوزه الأخرى العناية به حين مرض.

يزان العجوز المسكين. ليس سيّد الشحوم سيّئًا كسائر الأسياد. كانت

حلوى محققة في هذا. في أثناء الخدمة في مادبه الليلية أدرك تيريون سريعاً أن يزان أبرز الأسياد اليونكيين الذين يُفضّلون التزام معاهدة السلام مع (ميرين)، أمّا أكثر الآخرين فيتحيّون الفرصة وينتظرون وصول جيوش (فولانتيس)، في حين يُريد قليلون الهجوم على المدينة في الحال خشية أن يسلبهم الثولانتينيون المجد والغالبية العظمى من الغنائم. رفض يزان أن يلعب دوراً في ذلك، ولا وافق على إعادة رهائن (ميرين) إلى المدينة بالمجانق كما اقترح المرتزق ذو اللحية الدموية.

على أن أشياء كثيرة من شأنها أن تتبدّل في غضون يومين. قبل يومين كان المرّي سليماً معافى، قبل يومين لم يكن يزان قد سمع صوت حوافر الفرس الشاحبة الشبحية، قبل يومين كانت أساطيل (فولانتيس القديمة) أبعد بيومين. والآن...

- «هل سيموت يزان؟»، سألت بني بصوتها إياه الذي يقول لسان حاله: أرجوك قُلْ لا.
- «كلنا سنموت».
- «أقصدُ بالإسهال».

رمتهم حلوى بنظرة يائسة قائلة: «يجب ألا يموت يزان»، وملست الخنثى على جبهة سيدهم العملاق مزيحةً شعره المبلل بالعرق. تأوّه اليونكي وتدقق سيل آخر من الماء البني على ساقيه. فراشه متسخ شنيع الرائحة، لكنهم لا يملكون وسيلةً لتحريكه.

قالت بني: «بعض الأسياد يعتقدون عبيدهم قبل أن يموتوا».
أطلقت حلوى ضحكةً فاترةً صوتها فظيع، وقالت: «يعتقون المفضّلين فقط، يعتقدونهم من آلام الدنيا ليصبحوا سيدهم المحبوب إلى القبر ويخدموه في العالم الآخر».

حلوى يعلم، فسيكون أول من يشقُّ حلقة.
تكلّم الصبي الكبش قائلاً: «الملكة الفضية...».
قاطعت حلوى: «... ماتت. انس أمرها! التين أخذها عبر النهر وغرقت في (بحر الدوثراكي)».

- «لا أحد يغرق في العُشب!».

قالت بني: «لو كنا أحرارًا لوجدنا الملكة، أو ذهبنا نبحث عنها على الأقل».

أنتِ على كلبك وأنا على خنزيرتي نُطارد تينًا عبر (بحر الدوثرافي). حكَّ تيروين عاهته ليمنع نفسه من الضحك، وقال: «هذا التين تحديداً أثبت ولعه بلحم الخنازير المشوي. الأقرام المشويون ألد مرتين».

ردت بني بأسى: «كانت مجرد أمنية. يُمكننا أن نُبحر من هنا. السفن عادت الآن وقد انتهت الحرب».

هل انتهت حقاً؟ يميل تيريون إلى الشك في ذلك. نعم، دُيِّلت أوراق بتوقعات، لكن رحى الحروب لا تدور على الورق.

واصلت بني: «يُمكننا الإبحار إلى (كارت). لطالما قال أخي إن الشوارع هناك مرصوفة باليشب، وأسوار المدينة من عجائب الدنيا. حين نُؤدِّي عرضنا في (كارت) سيمطروننا بالذهب والفضة، ستري».

قال تيريون يُدكِّرها: «بعض تلك السفن في الخليج كارتيني. لوماس الرحالة رأى أسوار (كارت) وكتبه تكفيني. لقد بلغت أقصى ما أنتوي بلوغه من الشرق».

مسحت حلوى وجه يزان المحموم بقماشة رطبة قائلة: «يجب أن يعيش يزان وإلا متنا جميعاً معه. الفرس الشاحبة لا تقتل كل من يركبها. سيتعافى سيدنا».

كذبة بيئة هذه. ستكون أعجوبة لو عاش يزان يوماً آخر. في رأي تيريون كان سيد الشحوم يموت بالفعل بالداء العضال الذي عاد به من (سوثيروس)، وما مرضه الحالي إلا تعجيل بنهايته. إنها رحمة حقاً. لكنها ليست الرحمة التي يبتغيها القزم لنفسه. «المعالج قال إنه محتاج إلى ماء عذب. سنتولى هذا».

قالت حلوى بنبرة خدرة: «هذا لطف منكم». المسألة أكبر من مجرد تخوفها من الذبح، فوحدها بين كنوز يزان تبدو الوحيدة المغرمة حقاً بسيدهم الضخم.

قال تيريون: «بني، تعالي معي»، وفتح سديلة الخيمة وأشار لها بالخروج إلى حر الصباح الميرينيزي. وجد الهواء ثقيلًا شديد الحرارة والرطوبة، ومع ذلك رحب به كراحة من روائح العرق والغائط والمرض الكريهة التي تملأ سرداق يزان المنيف.

قالت پني: «الماء سِيَسَاعِدِ سَيِّدَنَا. هكذا قال المُعَالِج، ولا بُدَّ أنه صحيح. ماء عذب زُلَال».

- «الماء العذب الزُّلال لم يُسَاعِدِ المُرَبِّي». المُرَبِّي العجوز المسكين. ليلة البارحة عند الغسق رماه جنود يزان على عربة الجُثث لينضمَّ إلى مَنْ جَنَّت عليهم الفرس الشَّاحِبَة. حين يموت الرِّجال على مدار السَّاعة لا أحد يُمَعِن النَّظْرَ إلى رجل ميت آخر، خصوصًا إن كان مكروهاً كالمرمَّض. رفض عبيد يزان الآخرون الدُّنو من المُشرف بمجرد أن بدأت التَّشُنُّجات، فترك لتيريون أن يَدُقُّه ويحضِر له المشروبات. نبذ مخفَّف بالماء وعصير ليمون محلى وحساء ذيول كلاب لذيد ساخن يقطع الفطر. اشربه يا مربيِّنا العزيز، فلا بُدَّ من تعويضك عن الخراء السَّائل من شرجك. آخر كلمة قالها المربيِّ كانت: «لا»، وآخر كلمات سمعها على الإطلاق كانت: «اللانستر يُسَدِّد ديونه دائماً».

كتم تيريون حقيقة ما جرى عن پني، لكن عليها أن تفهم الحال مع سيِّدهما. سيُّدهلني أن يعيش يزان حتى الشروق». تمسَّكت بذراعه متسائلة: «ماذا سيحدث لنا؟».

- «إن له ورثة، أبناء إخوة». أتى أربعة من هؤلاء مع يزان من (يونكاي) لقيادة جنوده العبيد. أحدهم ميت، قتله واحد من مرتزقة تارجارين في غارة، والثلاثة الآخرون سيُقسَّمون عبيد الجسيم الأصفر بينهم على الأرجح، أمَّا إن كان أبناء الإخوة هؤلاء يُشاركون يزان حُبَّه للمعاقين والمسوخ والكائنات العجيبة فذلك غير مؤكَّد على الإطلاق. «قد يرثنا أحدهم، أو قد نعود إلى منصَّة المزادات».

أُتسعت عيناها، وقالت: «لا، ليس هذا، أرجوك».

- «ليس احتمالاً أستحليه عن نفسي».

على بُعد بضع ياردات كان ستَّة من جنود يزان العبيد جالسين القرفصاء في التراب يلعبون الترد بالعظم ويُمَرِّرون قربة نبذ من يد إلى يد. أحدهم الرقيب المسمَّى سكار، حيوان أسود المزاج له رأس أملس كالحجر وكتفا ثور. وذكاء ثور أيضاً.

ذهب إليهم تيريون متميلاً، وزعق: «سكار، التَّيْبِل يزان يحتاج إلى ماء عذب نظيف. خذ رجلين وعودوا بما تستطيعون حمله من دلاء، وأسرعوا».

توقَّف الجنود عن اللَّعب، ونهَضَ سكار بجبهته النَّاتئة قائلاً: «ماذا قلت أيها القزم؟ مَنْ تحسب نفسك؟».

- «تعرف من أنا. يولو، أحد كنوز سيِّدنا. والآن افعل كما أخبرتك».
ضحك الجنود، وقال أحدهم ساخراً: «هلمَّ يا سكار، وأسرع. فرد يزان أملى عليك أمراً».

قال سكار: «إياك أن تُخبر الجنود بما يفعلونه».
ردَّ تيريون متصنعاً الحيرة: «جنود؟ لا أرى إلا عبيداً. حول أعناقكم أطواقٍ مثلكم مثلي».

طرحته الصُّربة العنيفة بظاهر اليد التي نالها من سكار أرضاً وشقَّت شفته، وقال الرَّقيب: «أطواق يزان لا أطواقك».

مسح تيريون الدَّم عن شفته المشقوقة بظهر كفه، ولمَّا حاول النهوض تداعَت إحدى ساقيه من تحته وعادَ يسقط على رُكبتيه. احتاج إلى عون بني لينهض، وعندما فعل قال بأفضل نبراته الشَّاكية: «حَلوى قال إن الماء ضروري لسيِّدنا».

- «فليذهب حَلوى وينكح نفسه. إنه مخلوق لهذا. لسنا نتلقَّى الأوامر من ذلك المسخ أيضاً».

فكَّر تيريون: نعم. حتى بين العبيد هناك لوردات وهناك فلاحون، وهو ما أدركه سريعاً. الخُنثى مخلوق سيِّدهم الأليف المميِّز منذ زمنٍ طويل، مدلل ومفضَّل، ولذا يكرهه عبيد النَّبيل يزان الآخرون.

اعتادَ الجنود تلقِّي الأوامر من سادتهم ومُشرفيهم، لكن المريِّي مات ويزان أشد مرضاً من أن يُسمِّي خليفته، وبالنسبة إلى أبناء الإخوة الثلاثة فقد تذكَّر هؤلاء الرِّجال الأحرار الشُّجعان فجأةً شأنًا عاجلاً في مكانٍ آخر ما إن سمعوا حوافر الفرس الشَّاحبة.

قال تيريون متألِّماً: «المماء، المُعالج قال لا ماء من النَّهر. يجب أن يكون ماءً عذباً نظيفاً من البئر».

زمجرَ سكار: «اذهبوا واجلبوا إذن، وأسرعاً».
- «نحن؟». تبادلَ تيريون نظرةً يائسةً مع بني. «الماء ثقيل. لسنا أقوياء مثلكم. هل... هل يُمكن أن نأخذ عربة البغال؟».

- «خُذَا سِقَانِكَمَا» .
- «سَنْضَطُرُّ إِلَى الذَّهَابِ وَالْعُودَةَ مَرَارًا» .
- «اذْهَبَا وَعُودَا مِئَةَ مَرَّةٍ لَسْتُ أَبَالِي بِخِرَائِكَمَا» .
- «نَحْنُ الْإِثْنَانُ فَقَطْ... لَنْ نَتِمَكَّنَ مِنْ حَمْلِ الْكَمِيَّةِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا سَيِّدُنَا» .

- «خُذَا دَبَّكَمَا. إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لَجَلْبِ الْمَاءِ» .
تراجَعَ تِيرِيونَ قَائِلًا: «كَمَا تَقُولُ يَا سَيِّدِي» .
وَابْتَسَمَ سَكَارًا بِأَسَاعٍ. سَيِّدِي. أَوْه، كَمْ رَاقَهُ هَذَا. قَالَ الرَّقِيبُ: «مُورِجُو، أَحْضِرِ الْمَفَاتِيحَ. امْلَأُوا الدَّلَاءَ وَعُودُوا فِي الْحَالِ أَيُّهَا الْقَزْمُ. تَعْرِفُونَ مَا يَحْدُثُ لِلْعَبِيدِ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ الْهَرُوبَ» .
قَالَ تِيرِيونَ لِنِي: «أَحْضِرِي الدَّلَاءَ»، وَذَهَبَ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ مُورِجُو لِإِحْضَارِ السَّيْرِ چُورَا مُورْمُونَتِ مِنْ قَفْصِهِ .

لَمْ يَتَأَقَلَمِ الْفَارِسُ مَعَ حَيَاةِ الرَّقِّ. حِينَ يَسْتَدْعُونَهُ لِيَلْعَبَ دُورَ الدُّبِّ وَيَخْطِفُ الْجَمِيلَةَ يَتَصَرَّفُ بِجَهَامَةٍ وَتَزْمُتٍ وَيَجْرُ قَدَمِيهِ بِجَمُودٍ، وَهَذَا عِنْدَمَا يَتَعَطَّفُ عَلَيْهِمْ وَيُشَارِكُ فِي التَّمثِيلِيَّةِ مِنَ الْأَصْلِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُحَاوِلِ الْهَرَبَ أَوْ الْإِعْتِدَاءَ عَلَى سَجَانِيهِ فَإِنَّهُ يَتَجَاهَلُ أَوْ أَمْرَهُمْ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ أَوْ يَرُدُّ مَهْمَهُمَا بِالشَّتَائِمِ، وَبَطْبِيعَةِ الْحَالِ لَمْ يُرْضِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْمَرْبِيِّ، الَّذِي أَعْرَبَ عَنْ اسْتِيَائِهِ بِحَبْسِ مُورْمُونَتِ فِي قَفْصِ حَدِيدٍ وَالْأَمْرَ بِضَرْبِهِ كُلِّ مَسَاءٍ فِيمَا تَغُوصُ الشَّمْسُ فِي (خَلِيجِ النَّخَاسِينِ). يَحْتَمِلُ الْفَارِسُ الضَّرْبَ بِصَمْتٍ، وَلَا يَصْدُرُ مِنَ الْقَفْصِ صَوْتٌ إِلَّا لَعْنَاتِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ يَضْرِبُونَهُ وَضَرْبَاتِ هَرَاوَاتِهِمُ الْمَكْتُومَةِ إِذْ تَهْوِي عَلَى جَسَدِ السَّيْرِ چُورَا الْمَكْدُومِ .

أَوَّلَ مَرَّةٍ رَأَى تِيرِيونَ الْفَارِسَ الْكَبِيرَ مُضْرُوبًا فَكَّرَ: أَصْبَحَ هَيْكَلًا فَارِعًا. كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَمْسِكَ لِسَانِي وَأَتْرِكَ زَاهِرِينَا تَشْتَرِيهِ. لَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُصِيرًا أَرْحَمَ مِنْ هَذَا.

خَرَجَ مُورْمُونَتِ مِنْ قَفْصِهِ الضَّيِّقِ حَانِيًا ظَهْرَهُ مُضَيِّقًا عَيْنِيهِ، كَلَّتَا هَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ مَسْوَدَّةً وَهَذَا الظَّهْرُ مَكْتَسٍ بِالْدَّمِ الْجَافِ، وَوَجْهَهُ مَرْضُوضٌ مَتَوَرِّمٌ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ يَكَادُ لَا يَبْدُو بَشَرِيًّا، وَقَدْ جُرِّدَ مِنَ الثِّيَابِ تَمَامًا بِاسْتِثْنَاءِ سِرَاوِيلِ

قصيرة فذرة من القماش الأصفر الرّث. أخبره مورجو: «ستُساعدُهما على حمل الماء».

لم يردّ السير چورا إلا بتحديقه واجمة. بعضهم يؤثّر الموت خراً على الحياة عبداً على ما أظنّ. من حُسن الحظّ أن تيريون ليس مصاباً بهذه الآفة عن نفسه، لكن إذا فتك مورمونت بمورجو فقد لا يُدرك العبيد الآخرون هذا الفرق، ولذا قال قبل أن يرتكب الفارس فعلاً شجاعاً غيبياً: «تعال»، وتحركّ آملاً أن يتبعه مورمونت.

وجادت عليه الآلهة هذه المرّة، وتبعه مورمونت.

دلوان لپني ودلوان لتيريون وأربعة للسير چورا، اثنان في كلّ يد. تقع أقرب بئر جنوب وغرب المنجنيتي المسمّى (السليطة)، فتحركوا في هذا الاتجاه والأجراس في أطواقهم ترن بمرح مع كلّ خطوة. لم يُعِهم أحد اهتماماً. إنهم مجرد عبيد يُحضرون الماء لسيدهم. يمنح الطوق واضعه مميّزات معينة، خاصّة إذا كان طوقاً مذهباً محفوراً عليه اسم يزان زو كاجاز، وقد أعلن رنين هذه الأطواق الصّغيرة قيمتهم لكلّ من له أذنان. يستمدّ العبد أهميته من أهمية سيده، ويزان أغنى رجل في المدينة الصّفراء، وقد جلب معه ستمئة من الجنود العبيد للحرب، حتّى إذا كان يُشبه بزاقه صفراء عملاقة وتفوح منه رائحة البول. هكذا أعطتهم أطواقهم الإذن في الدّهاب أينما أرادوا داخل المعسكر.

إلى أن يموت يزان.

رأوا جنود لوردات الصّليل العبيد يتدربون في أقرب الحقول إليهم، يصنع صوت السّلاسل التي تربطهم معاً موسيقى معدنيّة خشنة وهم يتحرّكون على الرّمال بإيقاع موحد ويتخذون تشكيلهم بحرابهم الطويلة. وفي بقاع أخرى كانت فرق من العبيد تبني منصّات مائلة من الحجر والرّمل تحت مجانيقهم وعرّاداتهم موجّهين إياها نحو السّماء، في سبيل دفاع أفضل عن المعسكر في حال عاد الثّنين الأسود. ابتسم القزم لمرآهم يتصبّبون عرقاً ويسبّون ويلعنون فيما يكدحون في رفع الآلات الثّقيلة على المنحدرات. والنشّابات منتشرة أيضاً، ويبدو أن كل رجل من اثنين يحمل واحدة ويعلّق جعبة مليئة بالسّهام على وركه.

لو طلبَ أحدهم رأيه لقال لهم تيريون ألا يُجسّموا أنفسهم العناء، فما لم يتصادف أن تُصيب واحدة من قذائف العرّادات الحديد الطويلة عيناً فلن تنجح هذه اللعب في إسقاط وحش الملكة المدلّل من السّماء. ليس قتل التّنانين بتلك السّهولة. دغدغوه بواحدة من هذه وستُغضّبونه لا أكثر. أكثر نُقطة عُرضة للإصابة في التّنين عيناه، العينان والمُخ وراءهما. ليس أسفل البطن كما تزعم حكايات قديمة معيّنة، ذلك أن الحراشف هناك بالصّلابه نفسها كتلك التي على ظهر التّنين وجناحيه. وليس البلعوم كذلك، فهذا جنون، كأن هؤلاء الذين يرومون أن يكونوا قتلة تنانين يُحاولون إطفاء حريق برمية حربة. في (التّاريخ غير الطّبيعي) كتب السّبتون بارث: «الموت يخرُج من فم التّنين ولا يدخل منه».

بعد مسافةٍ قابلوا فيلقين من (جيس الجديدة) يتواجهان حائط تروس ضد حائط تروس، فيما يتحرّك بينهم الرّقباء ذوو الخوذات الحديد القصيرة المريّشة بشعر الخيل ويجأرون بالأوامر بلكنتهم المبهمة. للعين المجرّدة يبدو الجيسكاريون أشد مهابةً من جنود اليونكيين العبيد، إلا أن الشكوك تُساور تيريون في ذلك. قد يكون جنود الفيالق مسلّحين ومنظّمين على غرار المُطهّرين... لكن المخصّيين لا يعرفون حياةً أخرى، في حين أن الجيسكاريين مواطنون أحرار مُدّة خدمة الواحد منهم ثلاثة أعوام. يمتدُّ الطّابور عند البئرُبع ميل.

الآبار الموجودة على بُعد مسيرة يوم من (ميرين) قليلة، أي أن الانتظار يطول دوماً. يحصّل معظم الجيش اليونكي على الماء من (السكاهازاذان)، وهو ما علم تيريون أنه فكرة في غاية السّوء من قبل تحذير المُعالج. الأذكيا منهم حرصوا على أن يبقوا ضد التّيّار من جهة المراحيض، لكنهم ما زالوا في اتّجاه التّيّار من جهة المدينة.

أثبتت له حقيقة أن هناك آباراً مياهها صالحة للشرب على بُعد مسيرة يوم من (ميرين) من الأصل أن دنيرس تارجارين لا تزال ساذجةً في ما تعلّق بفتون الحصار. كان عليها أن تُسمّمها جميعاً، وعندها لا يضطرّ اليونكيون كلهم إلى الشرب من النّهر. لنرّك سيدوم حصارهم عندها. لا يشك تيريون في أن هذا ما كان السيّد والده ليفعله.

كَلَّمَا تَقَدَّمُوا دَوْرًا رَنَّتِ الْأَجْرَاسُ فِي أَطْوَأَقِهِمْ طَرْبًا. يَالَهُ مِنْ صَوْتِ سَعِيدٍ،
يَجْعَلُنِي أَرْغَبُ فِي اقْتِلَاعِ عَيْنِي أَحَدَهُمْ بِمَلْعَقَةٍ. الْمَفْتَرِضُ أَنْ يَكُونَ جَرِيفَ
وَالْبَطَّةِ وَهَالِدُونَ النِّصْفِ مَا يَسْتَرُ قَدْ بَلَّغُوا (وَسْتَرُوسَ) بِالْفِعْلِ مَعَ أَمِيرِهِمُ الصَّغِيرِ.
حَرِيٌّ بِي أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ... لَكِنْ لَا، كَانَ لَازِمًا أَنْ أَحْطِيَ بِعَاهِرَةٍ. لَمْ أَكْتَفِ بِقَتْلِ
الْأَقْرَبِينَ وَاحْتَجْتُ إِلَى فَرْجٍ وَنَبِيذٍ لِأَتَمِّمَ دِمَارَ نَفْسِي، وَهَآنَذَا الْآنَ عَلَى الْجَانِبِ
الْخَطَأَ مِنَ الْعَالَمِ، أَضْعُ طُوقَ عِيدِ بَجْرَسِينَ صَغِيرِينَ يُعَلِّنَانِ مَجِيئِي. لَوْ رَقَصْتُ
عَلَى الْإِبْقَاعِ السَّلِيمِ فَقَدْ يُمَكِّنِي أَنْ أَرُنَّ لِحْنَ (أَمْطَارِ كَاسْتَامِيرِ).

لَا مَكَانَ أَفْضَلَ لِسَمَاعِ آخِرِ الْأَخْبَارِ وَالشَّائِعَاتِ مِنَ الْبَثْرِ. بَيْنَمَا تَقَدَّمُ تِيرِيُونَ
وَبَنِي فِي الطَّابُورِ كَانَ عَبْدُ مَسْنٍ يَضَعُ طَوْقًا حَدِيدِيًّا صَدْدًا يَقُولُ: «أَعْرِفُ مَا
رَأَيْتُ، وَرَأَيْتُ ذَلِكَ التَّنِينِ يَنْتَزِعُ الْأَذْرُعَ وَالسِّيْقَانَ وَيَشْطُرُ أَنْاسًا أَنْصَافًا
وَيَحْرِقُهُمْ فَلَا يَتَبَقَّى مِنْهُمْ غَيْرَ الرَّمَادِ وَالْعَظْمِ. بَدَأَ النَّاسُ يَجْرُونَ مُحَاوِلِينَ
الْخُرُوجَ مِنَ الْحَلْبَةِ، لَكِنِّي ذَهَبْتُ لِأَشَاهِدَ عَرَضًا، وَبِحَقِّ آلِهَةِ (جَيْسِ)
شَاهَدْتُ عَرَضًا. كُنْتُ جَالِسًا فِي الْمَدْرَجَاتِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ، فَفَكَّرْتُ أَنْ التَّنِينِ
لَنْ يُزْعِجَنِي هُنَاكَ».

قَالَتْ امْرَأَةٌ سَمْرَاءٌ طَوِيلَةٌ: «الْمَلِكَةُ رَكَبَتْ التَّنِينِ وَطَارَتْ».
رَدَّ الْمَسْنُ: «حَاوَلْتُ لَكِنِّهَا لَمْ تَسْتَطِعِ التَّشَبُّثُ. النُّشَائِبَاتُ جَرَحَتْ التَّنِينِ
وَأَصَابَتْ الْمَلِكَةَ بِسَهْمٍ بَيْنَ ثَدْيَيْهَا الْمُتَوَرِّدِينَ الْجَمِيلِينَ حَسْبَمَا سَمِعْتُ،
وَعِنْدَهَا سَقَطَتْ. لَقَدْ مَاتَتْ فِي زُقَاقٍ مَا مَسْحُوقَةٌ تَحْتَ عَجَلَاتِ عَرَبَةٍ. أَعْرِفُ
فَتَاةً تَعْرِفُ رَجُلًا رَأَاهَا تَمُوتُ».

فِي صُحْبَةِ كَهْذِهِ الصَّمْتِ حِكْمَةٌ لَا يُسْتَهَانَ بِهَا، لَكِنْ تِيرِيُونَ لَمْ يَقْوِ عَلَى
مَنْعِ نَفْسِهِ مِنْ قَوْلٍ: «لَا أَحَدٌ عَثَرَ عَلَى جَثَّةٍ».
كَشَّرَ الْمَسْنُ قَائِلًا: «وَمَاذَا تَعْرِفُ أَنْتَ عَنْ هَذَا؟».

قَالَتْ السَّمْرَاءُ: «كَانَا هُنَاكَ. إِنَّهُمَا هُمَا، الْقَرْزَمَانُ صَاحِبَا عَرَضِ النَّزَالِ
اللَّذَانَ أَدْيَاهُ أَمَامَ الْمَلِكَةِ».

زَرَّ الْمَسْنُ عَيْنَيْهِ رَامِقًا إِيَاهُمَا كَأَنَّهُ يَرَى تِيرِيُونَ وَبَنِي لِلْمَرَّةِ الْأُولَى، وَقَالَ:
«أَنْتُمَا مِنْ رَكْبَتِمَا الْخَنْزِيرِينَ».

سُمِعْتَنَا تَسْبِقْنَا. انْحَنِ تِيرِيُونَ بِكِيَاَسَةٍ سَاخِرَةٍ وَامْتَنَعَ عَنْ ذِكْرِ أَنْ أَحَدَ
الْخَنْزِيرِينَ فِي الْحَقِيقَةِ كَلْبٍ. «الْخَنْزِيرَةُ الَّتِي أَرْكَبُهَا أَحْتِي فِي الْحَقِيقَةِ. إِنْ لَنَا

الأنف نفسه، هل ترى؟ ثمة ساحر ألقى عليها تعويذة، لكن إذا قبّلتها قبلةً كبيرةً مبتلةً فستتحول إلى امرأة جميلة. المؤسف أنك ما إن تعرفها ستريد أن تُقبّلها ثانية لتعود خنزيرةً».

تفجّر الضحك من حولهم، وحتى المسنُّ اشترك فيه، وقال الصّبي أحمر الشّعْر الواقف وراءهم: «رأيتها إذن، رأيت الملكة. أهي جميلة كما يقولون؟». كان ليُخبرهم: رأيت فتاةً نحيلةً بشعر فضيٍّ ملفوفةً بتوكار. كان وجهها مستتراً برقع ولم أدن منها بما فيه الكفاية لألقي نظرةً من كتب. كانت دنيرس تارجارين جالسةً في مقصورة المالك إلى جوار زوجها الجيسكاري، لكن عيني تيريون انجذبتا إلى الفارس المدرّع بالأبيض والذهبي وراءها. مع أن ملاحة كانت متواريةً فالقزم قادر على تعرّف بارستان سلمي في أيّ مكان، ويذكر أنه فكّر: كان إيريو مصيباً في هذا على الأقل. لكن هل سيتعرّفني سلمي؟ وماذا سيفعل إذا تعرّفني؟

كاد تيريون يكشف هويته لحظتها، إلا أن شيئاً ما منعه... سمّه الحذر أو الجبن أو الغريزة، لكنه لم يتخيّل أن يستقبله بارستان الباسل بأيّ شيء غير العداوة. لم يستسغ سلمي قط وجود چايمي في حرسه الملكي الغالي، وقبل الثورة كان يراه صغيراً جداً ولم يُختبر، وبعدها عرّف عنه أنه يقول إنه يجدر بقاتل الملك أن يستبدل معطفه الأبيض بأخر أسود. ثم إن جرائم القزم نفسه أسوأ. چايمي قتل رجلاً مجنوناً، أمّا تيريون فأغمد سهماً في خاصرة أبيه، الرجل الذي عرفه السير بارستان وخدمه أعواماً. كان ليُجازف بكلّ شيء على الرغم من هذا، لكن پني أصابت ثرسه بضربةٍ ومرّت اللحظة بلا عودة. كانت پني تقول للعبيد الآخرين في الطابور: «شاهدتنا الملكة تتنازل، لكننا لم نرها إلا تلك المرّة الواحدة».

قال المسنُّ: «مؤكّد أنكما رأيتما التنين».

ياليت. لم تمنّ عليه الآلهة بهذا القدر حتى. بينما حلّقت دنيرس تارجارين كان المرئيّ يفيد كواحلها بالسلاسل ليضمن ألا يُحاول الهرب في طريق العودة إلى سيدهم. لو أن المُشرف انصرف بعد أن أوصلهما إلى المجزر أو فرّ مع بقية النحاسين حين نزل التنين من السماء فلربما استطاع القزمان الانسلاخ حُرّين. أو الهرب بالأحرى وأجرا سناً تجلجل.

قال تيريون بهزّة من كفيه: «أكان هناك تنين؟ كلُّ ما أعرفه أن لا ملكات ميتات عُثِرَ عليهن».

ردّ المسنُّ الذي لم يقتنع: «آه، لقد عشروا على جُثثٍ بالمئات. جرّوها إلى داخل الحلبة وأحرقوها، ولو أن نصفها كان متفحّمًا بالفعل. ربما لم يتعرّفوها وهي محروقة دامية مسحوقة، أو ربما تعرّفوها وقرّروا ألا يقولوا لبيقى العبيد أمثالكم مستكينين».

قالت السّمراء: «العبيد أمثالنا؟ أنت أيضًا تضع طوقًا».

بزهو قال المسنُّ: «طوق جازدور. إنني أعرفه منذ مولدنا وأقرب إليّ أخ له. أمثالكم من العبيد النَّازحين من (أستاپور) و(يونكاي) لا يكفون عن النواح من أجل الحرّيّة، أمّا أنا فأرفض أن أعطي ملكة التّنانين طوقي ولو عرضت أن تمصّ قضيبِي مقابله. إن كان للمرء السيّد المناسب فهذا أفضل».

لم يُجادله تيريون. أحبّث ما في العبوديّة سهولة اعتيادها. يبدو له أن حياة أكثر العبيد لا تختلف البتّة عن حياة الخدم في (كاسترلي روك). صحيح أن بعض مالكي العبيد ومُشرفيهم قُساة غلاظ القلوب، لكن هذا ينطبق أيضًا على بعض لوردات (وستروس) ووكلائهم ونظّارهم، في حين أن معظم اليونكيين يُعاملون عبيدهم معاملةً حسنةً ما داموا يؤدّون أعمالهم ولا يُسبّبون متاعب... وهذا المسنُّ بطوقه الصّدئي وإخلاصه العاتي لمالكة اللورد الرّجراج ليس شاذًّا في تفكيره على الإطلاق.

قال تيريون ببشاشة: «جازدور واسع الصّدر؟ كثيرًا ما تكلم سيّدنا يزان عن فطنته». ما قاله يزان في الحقيقة كان على شاكلة: أملك من الفطنة في فلقة مؤخرتي اليسرى أكثر مما يملكه جازدور وإخوته معًا، لكن القزم ارتأى أن من الحكمة أن يُعفل ما قيل حقًا.

حلّ منتصف النّهار ومرّ قبل أن يبلغ ويني البئر، حيث يقف عبد مهزول بساقٍ واحدة يسحب الماء. حدّق الرّجل إليهما بريّة قائلاً: «المرّي يأتي دومًا لأخذ ماء يزان ومعه أربعة رجال وعربة بغال»، وعاد يُلقي الدلو في الماء ليصير سقوطه صوتًا ناعمًا. ترك ذو السّاق الواحدة الدلو يمتلئ ثم سحبه بذراعين متفشّرتين مسفوعتين بأشعة الشّمس، نحيلتين لكن بارزتي العضلات.

قال تيريون: «البغال ماتت، وكذا المرَبِّي المسكين، والآن يركب يزان نفسه الفرس الشَّاحبة، وستة من جنوده مصابون بالإسهال. هلاً ملأت لي دلوين؟».

- «كما تُريد». كانت هذه نهاية الهذر. أسمع صوت حواضر؟ جعلت أكدوبته عن الجنود الستة الرَّجل ذا السَّاق الواحدة يتحرَّك أسرع كثيرًا. بدأوا طريق العودة، يحمل كل من القزمين دلوين ممتلئين حتى الحافة بالماء العذب والسير چورا دلوين في كل يد. حرارة النَّهار تشتدُّ، والهواء ثقيل رطب كالصُّوف المبلل، وازدادت الدَّلاء ثقلاً مع كلِّ خطوة. مشوار طويل على ساقين قصيرتين. انسكب الماء من دلويه كلما وضع قدمًا أمام الأخرى وتناثر على ساقيه فيما عزف جرساه لحنًا عسكريًا. لو علمت أن الأمور ستبلغ هذا الحدَّ يا أبت فلربما تركتك حيًّا. من بعد نصف ميل شرقًا يرتفع عمود قاتم من الدُّخان حيث أُضرمَت النَّار في خيمة. يحرقون موتى ليلة أمس. قال تيريون مشيرًا برأسه إلى اليمين: «من هنا».

رمقته پني بحيرة، وقالت: «لم نأت من ذلك الطريق».
- «لسنا تُريد استنشاق هذا الدُّخان. إنه مليء بالسُّموم الخبيثة». ليست هذه كذبة. ليس بالكامل.
سرعان ما بدأت پني تَنفُخ وتلهث مغالبةً وزن دلويها، فقالت: «أحتاج إلى راحة».

قال تيريون: «كما تشائين»، ووضع دلوي الماء على الأرض شاعرًا بالامتنان لتوقفهم. كانت ساقاه متشنجتين جدًّا، فوجد صخرة ملاممة وجلس عليها يدلك فخذيته.

قالت پني: «يُمكِنني أن أدلكهما لك».
- «أنا أعرف أين العُقد». بقدر ما صار شغوفًا بالفتاة فما زال ينزعج من لمستها. التفت إلى السير چورا قائلاً: «بضع ضرباتٍ أخرى وستصبح أقبح مني يا مورمونت. أخبرني، هل تبقت فيك قدرة على القتال؟».
رفع الفارس الكبير عينين مسودتين ورمقه كأنما يرمق حشرةً مجيَّبًا: «ما يكفي لكسر عنقك أيها العفريت».
قال تيريون: «عظيم»، والتقط دلويه مردفًا: «من هنا إذن».

قطبت بني وجهها قائلة: «لا، من اليسار»، وأشارت مضيفة: «(السليطة) هناك».

أوماً تيريون برأسه في الاتجاه الآخر، وقال: «و(الأخت الخبيثة) من هنا. ثقي بي، طريقي أسرع»، وتحرك مصحوباً برنين جرسه عالماً أن بني ستبعه. أحياناً يحسد الفتاة على أحلامها الوردية. إنها تُذكّره بسانزا ستارك، العروس الطفلة التي تزوّجها وفقدّها. على الرغم من كلّ ما كابدته بني من أهوال فإنها لا تزال بوسيلةٍ ما قادرة على الثقة. المفترض أن تكون أعقل من هذا. إنها أكبر من سانزا، وقزّمة. تتصرف كأنها نسّت هذا، كأنها كريمة الميلاد جميلة المحيّا بدلاً من كونها أمةً في معرض وحوش. كثيراً ما يسمعها تيريون تُصلي ليلاً. مضيفة للكلام. إذا كانت هناك آلهة تسمع فإنها آلهة وحشية تتسلى بتعدينا. من غيرها يصنع مثل هذا العالم المليء بالاستعباد والدماء والألم؟ من غيرها يُشكّلنا كما شكّلنا؟ أحياناً يُريد أن يصفعها، يهزّها، يصرخ فيها، أي شيء يُوقظها من أحلامها. يُريد أن يهدر فيها: لا أحد سيُقذنا. أسوأ من هذا سيجيء، لكن الكلمات لا تُخرج من شفثيه أبداً، وبدلاً من أن يلطمها بقوة على وجهها الدميم لِيَسْقِطَ الغشاوة عن عينيها يجد نفسه يعتصر كتفها أو يحتضنها. كل لمسة كذبة. نقدتها مبلغاً باهظاً بعملية زائفة حتى إنها تكاد تحسب نفسها ثريةً.

حتى حقيقة (حلبة دازناك) خبأها عنها.

أسود، كانوا سيُطلقون علينا أسوداً. لكانت تلك المادة الخام لسخرية القدر، ولربما وجد وقتاً لِيُطلق ضحكة قصيرة مريرة قبل أن يُمزق إرباً إرباً. لم يُخبره أحد عن النهاية التي أُعدت لهما، ليس بالكلام، لكن تخمينها لم يكن صعباً وهما هناك تحت قرميد (حلبة دازناك)، في العالم الخفي تحت المقاعد والنطاق المظلم لمُقاتلي الحلبات ومن يخدمونهم أحياء وموتى... طهارة يُطعمونهم، وتُجار حديد يُسلحونهم، وحلاقون جراحون يفضدونهم ويحلقون لهم ويضمّدون جراحهم، وبغايا يُمتعنهم قبل القتال وبعده، وتمعّدو جُثث يجزّون الخاسرين من الحلبة بالسلاسل والخطاطيف الحديد.

أعطى وجه المرئي تيريون التلميح الأول. بعد عرضهما عاد مع بني إلى

القبو المضاء بالمشاعل حيث يجتمع المُقاتلون قبل وبعد مبارياتهم، بعضهم جالس يشحذ سلاحه، وبعضهم يُقدّم القرابين لآلهة غريبة أو يُخدّر أعصابه بحليب الخشخاش قبل أن يخرج ليموت. مَنْ قاتلوا وفازوا جلسوا يلعبون النرد في أحد الأركان، يضحكون كما يضحك مَنْ جابهوا الموت وعاشوا.

كان المرّي يُقدّم أحد عمّال الحلبة فضّة قيمة رهانٍ خسره حين لمحَ بني تقود كرنش. اختفى الارتباك في عينيه خلال أقل من لحظة، ولكن ليس قبل أن يستوعب تيريون معناه. لم يتوقّع عودتنا. عندها تطلّع تيريون إلى الوجوه الأخرى. لا أحد منهم توقّع عودتنا. كان المفترض أن نموت. ووضع القمر القطعة الأخيرة من اللغز في مكانها حين سمع مدرّب حيواناتٍ يقول شاكيًا بصوتٍ عالٍ لمتعهّد الحلبة: «الأسود جائعة. يومان منذ أكلت. قيل لي ألا أطعمها فلم أفعل. على الملكة أن تدفع ثمن اللحم».

ردّ عليه متعهّد الحلبة بحدّة: «اعرض هذا عليها حين تعقد البلاط المرّة القادمة».

حتى الآن لا تشكُّ بني في شيء، وعندما تتكلّم عن الحلبة فأقصى همومها أن عددًا أكبر من النَّاس لم يضحك. كادَ تيريون يُخبرها: كانوا ليبولوا على أنفسهم من الضحك لو أُطلّقت الأسود، لكن بدلًا من ذلك اعتصر كنفها. توقفت بني فجأة، وقالت: «إننا ذاهبون في الاتجاه الخطأ».

ردّ تيريون: «لا»، ووضع دلوّيه على الأرض. كان المقبضان قد حفرا أخاديد عميقة في أصابعه. «هذه هي الخيام التي نريدها، هناك». شقّت ابتسامة غريبة وجه السير چورا، وقال: «الأبناء الثانون؟ إذا كنت تحسب أنك ستجد نجدة هناك فلست تعرف بن بلوم البني».

- «أوه، لكنني أعرفه. أنا وبلوم لعبنا خمس مبارياتٍ من السايڤاس. بن البني أريب عنيد لا يفتقر إلى الذكاء... لكنه حذر، يحبُّ أن يترك خصمه يُخاطر فيما يأخذ هو راحته ويترك خياراته مفتوحة، يتفاعل مع المعركة إذ تتبلور».

ردّدت بني: «المعركة؟ أي معركة؟»، وتراجعت عنه قائلة: «يجب أن نعود! سيّدنا محتاج إلى ماءٍ نظيف. سنجلد إذا تأخرنا، والخزيرة الجميلة وكرنش هناك».

قال تيريون كاذبًا: «سيحرص حَلوى على العناية بهما». قريبًا على الأرجح سيأكل سكار وأصدقاؤه وليمةً من لحم الخنازير المدخن والمقدد ويخنة كلاب شهية، لكن لا داعي لأن تسمع الفتاة ذلك. «المرئي مات ويزان يموت. سيحل الظلام قبل أن يدرك أحد تغيينا. لن نجد فرصة أفضل من الآن أبدًا».

- «لا! أنت تعرف ما يفعلونه حين يقبضون على عبيد يحاولون الهرب، أنت تعرف! أرجوك. لن يسمحوا لنا أبدًا بالخروج من المعسكر».

قال تيريون: «لم نخرج من المعسكر»، وحمل دلويه وتحرك بسرعة متمايلاً دون أن يلقي نظرة واحدة خلفه. لحق به مورمونت، وبعد برهة سمع بني تسرع وراءهما إذ نزلا منحدرًا رمليًا صوب دائرة من الخيام الرثة.

ظهر الحارس الأول مع دنوهم من صفوف الخيول، حامل حرية نحيل أخبرتهم لحيته الأرجوانية المحمرة بأنه تايروشي. سألهم: «من أنتم؟ وما الذي في هذه الدلاء؟».

أجاب تيريون: «ماء، بعد إذنك».

- «أفضل البيرة».

وخزه رأس حربة في ظهره إذ جاء حارس آخر من ورائهم، وسمع تيريون (كينجز لاندنج) في صوته. حُثالة من (جحر البراغيث). سأله الحارس: «هل ضللت الطريق أيها القزم؟».

- «نحن هنا للالتحاق بجماعتكم».

انزلت دلو من قبضة بني وانقلب، وانسكب نصف ما فيه من ماء قبل أن تعدله ثانية.

قال التايروشي: «عندنا ما يكفي من مهرجين في هذه الجماعة. لم نريد ثلاثة إضافيين؟»، ونقر طوق تيريون برأس حربته ليرن الجرسان الصغيران، وتابع: «لا أرى إلا عبدًا هاربًا، ثلاثة عبيد هاربين. طوق من هذا؟».

- «الحوث الأصفر». جاء الجواب من رجل ثالث جذبته أصواتهم، رجل كرية ناحل يغطي فكّه الزغب ويُلوث التَّبغ المر أسنانه بالأحمر. أدرك تيريون من الطريقة التي انصاع بها الآخران له أنه رقيب، وتنتهي ذراعه اليمنى بخطاف حيث كانت يده. إن لم يكن هذا ظلّ برون الأردل فأنا بيلور المحبوب. أخبر

الرَّقِيب الحارسين مضيِّقًا عينيه: «إنهما القزمان اللذان حاولَ بن شراءهما، أمَّا الكبير... الأفضل أن نُحضِره أيضًا، الثلاثة».

أشارَ التايروشي بحرْبته فتحركَ تيريون. المرتزق الآخر فتى مراهق، بالكاد أكبر من صبي، على وجنتيه زغب وشعره بلون القشِّ المتسخ، وقد حملَ بيني تحت ذراع واحدة وقال ضاحكًا: «أوو، قزمتي لها ثديان»، ودسَّ يده تحت قميص الفتاة ليتأكد.

قال الرَّقِيب محتدًا: «أحضِرها فقط».

وضَع المراهق بيني فوق كتفه، وسبقَه تيريون بأقصى سرعةٍ تسمح بها ساقاه ناقصتا النمو عالمًا وجهتهما، الخيمة الكبيرة على الجانب الآخر من بؤرة النَّار بجدرانها القنيبة الملوَّنة التي تشققت وبهتت من سنين الشَّمس والمطر. التفتَ بعض المرتزقة يُشاهدونهم يمرُّون وقهقهت تابعة معسكراتٍ باستهانة، لكن أحدًا لم يتدخل.

داخل الخيمة وجدوا مقاعد معسكرات ومنضدةً ورقًا من الجراب والمطارد⁽¹⁾ وأرضيةً مفروشةً بالبُسط البالية المصبوغة بنصف دستةٍ من الألوان المتنافرة، بالإضافة إلى ثلاثة ضباط. أحدهم أنيق ممشوق القوام مدبَّب اللحية، يحمل سيف مبارز براثو ويرتدي سترَةً ورديةً مشرَّطةً، والثاني ممتلئ يزحف الصَّلع على رأسه وتُلطَّخُ بقع الحبر أصابعه ويُمسك ريشةً. والثالث هو الرَّجل الذي سعى إليه. انحنى تيريون قائلاً: «حضرة القائد». أسقطَ المراهق بيني على بساط، وقال: «قبضنا عليهم يتسللون إلى المعسكر».

وأعلنَ التايروشي: «هاربون يحملون دلاءً».

ردَّد بن پلوم البني: «دلاء؟»، ولمَّا لم يُحاول أحدهم أن يشرح قال: «عودوا إلى مواقعكم يا أولاد، ولا كلمة واحدة عن هذا لأحد»، وبعد ذهابهم ابتسم لتيريون سائلًا: «جئتُ تلعب مباراة سايقاس أخرى يا يولوف؟».

- «إذا أردت. إنني أستمتعُ بهزيمتك. سمعتُ أنك انقلبت مرَّتين يا پلوم. رجل يُوافق ذوقي».

(1) المطرد سلاح قديم يتألَّف من رأس حربة ورأس فأسٍ مثبتين في القناة نفسها. (المُترجم).

لم تَبْلُغِ ابْتِسَامَةَ بِنِ الْبَنِيِّ عَيْنِهِ قَطُّ إِذْ تَفَحَّصَ تِيرِيُونَ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَتَفَحَّصُ تُعْبَانًا مُتَكَلِّمًا، وَسَأَلَهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا؟».

- «أَحَقُّ أَحْلَامِكَ. لَقَدْ حَاوَلْتُ شِرَاءَنَا فِي الْمَزَادِ، ثُمَّ حَاوَلْتُ الْفَوْزَ بِنَا بِالسَّيْفِ. حَتَّى عِنْدَمَا كَانَ لِي أَنْفٌ لَمْ أَكُنْ بِالْوَسَامَةِ الَّتِي تُثِيرُ هَذِهِ الْعَاطِفَةَ الْمَشْبُوبَةَ فِي أَحَدٍ... بِاسْتِثْنَاءِ شَخْصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ تَصَادَفَ أَنَّهَا عَرَفَتْ قِيَمَتِي الْحَقِيقِيَّةَ. حَسَنٌ، هَآنَذَا، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَنَالَنِي مَجَانًا. وَالآنُ كُنْ صَدِيقًا وَاسْتَدِعْ حَدَادَكَ لِيَخْلَعُ أَطْوَقَانَا هَذِهِ. سَمَّمْتُ الْجُلْجُلَةَ حِينَ أُتَبَوُّ».

- «لَا أُرِيدُ مَشْكَالَاتٍ مَعَ سَيِّدِكَ النَّبِيلِ».

- «يَزَانُ لَدَيْهِ هُمُومٌ أَكْثَرَ الْإِحَاخَا مِنْ ثَلَاثَةِ عِبِيدٍ مَفْقُودِينَ. إِنَّهُ عَلَى مَتْنِ الْفَرَسِ الشَّاحِبَةِ. وَلِمَ يَخْطُرُ لَهُمْ أَنْ يَبْحَثُوا عَنَا هُنَا؟ إِنْ عِنْدَكَ سِيُوفًا تَكْفِي لِتَشْبِيهِ هَمَّةٍ أَيْ أَحَدٍ يَأْتِي بَاحِثًا. مَخَاطِرَةٌ صَغِيرَةٌ لِقَاءِ مَكْسَبٍ عَظِيمٍ».

هَسَّسَ الطَّاءُوسُ ذُو السُّتْرَةِ الْوَرْدِيَّةِ الْمَشْرُطَةَ: «لَقَدْ جَلَبُوا الْمَرْضَى بَيْنَنَا، جَلَبُوهُ إِلَى خِيَامِنَا ذَاتَهَا»، وَالتَفَتَتْ إِلَى بِنِ الْبَنِيِّ قَائِلَةً: «هَلْ أَقْطَعُ رَأْسَهُ أَيُّهَا الْقَائِدُ؟ يُمَكِّنُنَا أَنْ نُتَلَّقِي بَقِيَّتَهُ فِي أَحَدِ الْمَرَايِضِ»، وَاسْتَلَّ سَيْفٌ مُبَارِزٌ بَرَاثُوهُ رَفِيعًا مَقْبُضُهُ مَرْصَعٌ بِالْجَوَاهِرِ.

قَالَ تِيرِيُونَ: «تَوَخَّ الْحَذَرَ مَعَ رَأْسِي. لَسْتُ تُرِيدُ أَنْ يُلَوِّثَكَ دَمِي. الدَّمُ يَحْمِلُ الْمَرْضَى. وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَغْلُوا ثِيَابَنَا أَوْ تُحْرِقُوهَا».

- «أَفَكَّرُ فِي إِحْرَاقِهَا وَأَنْتَ تَرْتَدِيهَا يَا يُولُو».

- «لَيْسَ ذَلِكَ اسْمِي، لَكِنَّكَ تَعْرِفُ هَذَا، عَرَفْتَهُ مِنْذُ وَقَعَتْ نَظْرُكَ عَلَيَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ».

- «رَبِّمَا».

- «أَنَا أَيْضًا أَعْرِفُكَ يَا سَيِّدِي. إِنَّكَ أَبْعَدُ عَنِ الْأَرْجَوَانِيِّ وَأَقْرَبُ إِلَى الْبَنِيِّ مِنْ آلِ پَلُومٍ فِي الْوَطْنِ، لَكِنْ مَا لَمْ يَكُنْ اسْمُكَ مَكْذُوبًا فَأَنْتَ مِنْ أَرْضِي الْغَرْبِ، بِالذَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالْمِيلَادِ. عَائِلَةٌ پَلُومٍ مَقْسَمَةٌ عَلَيَّ الْوَلَاءِ لـ(كَاسْتَرَلِي رُوكِ)، وَيَتَصَادَفُ أَنْنِي أَعْرِفُ الْقَلِيلَ مِنْ تَارِيخِهَا. لَا شَكَّ أَنَّ فِرْعَانَ نَبَتْ مِنْ بَذْرَةِ أَلْقَيْتَ عَبْرَ (الْبَحْرِ الضَّيِّقِ). أَرَاهُنُ أَنَّكَ ابْنُ أَصْغَرَ الْقُسَيْرِسِ پَلُومِ. كَانَتْ تَنَانِينَ الْمَلِكَةِ مَوْلَعَةً بِكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

بَدَأَ أَنَّ الْمَرْتَزِقَ اسْتَطْرَفَ قَوْلَهُ، وَسَأَلَهُ: «مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟».

- «لا أحد. أغلب القصص التي نسمعها عن التنانين مُضغعة للحمقى. تنانين متكلمة، تنانين تكتنز الذهب والجواهر، تنانين بأربع سيقان وبطون كبيرة كالأفيال، تنانين تُحاجي آباء الهول... كل هذا هُراء. لكن في الكتب القديمة حقائق أيضًا. لست أعلم أن تنانين الملكة أحبّتك فحسب، بل أعلم السبب أيضًا».

- «أمي قالت إن أبي كانت في عروقه قطرة من دم التنين».

- «قطرتان. إمّا هذا وإمّا قضيب طوله ستّة أقدام. هل تعرف تلك الحكاية؟ أنا أعرفها. والآن، أنت ذكي يا بلوم، وتعلم أن رأسي هذا قيمته لوردية... في (وستروس)، على الجانب الآخر من العالم. حين تصل أخيرًا لن يتبقى إلا العظم واليرقات، وستنكر أختي الجميلة أنه رأسي وتحتال عليك في مكافأتك الموعودة. أنت تعرف الملكات، كلهن حقيرات مخادعات، وسرسي أسوأهن».

حكّ بن النبيّ لحيته قائلاً: «يُمكّني أن أسلمك إليها حيًّا تتلوّى إذن، أو أضع رأسك في برطمانٍ وأحفظه».

قال تيريون: «أو تحالفني. إنه أكثر التصرفات حكمة»، وأضاف بابتسامة واسعة: «لقد وُلدتُ ابنًا ثانيًا. هذه الجماعة مصيري».

قال البرافو في السّترّة الوردية باستهتار: «ليس عند الأبناء الثّانين مكان للممثّلين. من نحتاج إليهم مُقاتلون».

أشار تيريون بإبهامه إلى مورمونت قائلاً: «جلبتُ لكم واحدًا».

ردّ البرافو ضاحكًا: «هذا المخلوق؟ غاشم قبيح، لكن النّدوب وحدها لا تصنع ابنًا ثانيًا».

دور تيريون عينيه غير المتمائلتين في محجريهما ضيقًا، وقال: «لورد بلوم، من صديقك هذان؟ الوردى مزعج».

مطّ البرافو شففته بازدراء، في حين قهقهة رفيقه حامل الرّيشة لسلطة القزم، لكن چورا مورمونت هو من زوّده باسميهما: «المحبرة أمين النّقد في الجماعة، والطّاووس يُسمّي نفسه كاسپوريو المكّار، ولو أن كاسپوريو الخسيس يليق به أكثر. شخص بغيض».

قد يستعصي تعرّف وجه مورمونت في حالته المزرية هذه، لكن صوته لم

يتبدّل. رمقه كاسپوريو جافلاً، فيما ازدادت التّجاعيد حول عينيّ بلوم تجعّداً من الاستمتاع، وقال: «چورا مورمونت؟! أهدا أنت؟ تبدو أقل عجرفةً مما كنت حين رحلت. أما زال علينا دعوتك بالسير؟».

التوت شفتا السير چورا المتورّمتان في ابتسامه مشوّهه، وأجاب: «أعطني شيئاً ويُمكنك دعوتي بما تشاء يا بن».

تراجع كاسپوريو قائلاً: «أنت... لقد طردتك...».

- «ورجعتُ. يُمكنك أن تصفني بالأحمق».

أحمق واقع في الحُبّ. تنحنح تيريون، وقال: «يُمكنكم الكلام عن الأيام الخوالي لاحقاً... بعد أن أشرح أن رأسي أنفع لكم وهو عليّ كتفيّ. ستجدني أيها اللورد بلوم شديد السخاء مع أصدقائي. إذا كنت تشك فيّ فسّل برون، سلّ شاجا بن دولف، سلّ تيميت بن تيميت».

سأله الرّجل المسمّى المحبرة: «ومن هؤلاء؟».

أجاب تيريون: «رجال صالحون تعهدوا لي بسيفهم وازدهرت أحوالهم أيما ازدهار في خدمتي»، وهزّ كتفيه مضيئاً: «أوه، ليكن، كذبتُ بشأن كونهم صالحين. إنهم أوغاد متعطّشون للدّماء مثلكم».

قال بن البني: «ربما، أو ربما اختلقت هذه الأسماء لتوك. قلت شاجا؟ أهدا اسم امرأة؟».

- «إن له ثديين كبيرين بالفعل. عندما ألتقيه المرّة التّالية سألقي نظرة تحت سراويله لأتأكد. أهذه طاولة سايفاس هناك؟ أحضرها وسنلعب تلك المباراة. لكن أولاً أريدُ كوباً من النّبيذ. حلقي جافٌ كالعظام القديمة، وأرى أن الكلام سيطول».



چون

في تلك اللَّيلة حلمَ بالهَمَجِ يعوون من الغابة ويتقدّمون على أنين الأبوّاق الحربيّة وقرع الطُّبول. بووم دووم بووم دووم، ألف قلبٍ على إيقاع واحد. حملَ بعضهم الحِراب وبعضهم الأقواس وبعضهم الفؤوس، وركبَ آخرون عرباتٍ من العظام تجرّها فرّق من الكلاب الكبيرة كالخيول القزّمة، يتحرّك بينها العمالقة بخطواتهم الثّقيلة مناهزين الأقدام الأربعين طولاً وحاملين مدقّاتٍ بحجم أشجار السّنديان.

هتفَ چون سنو: «اصمّدوا. اردعوهم»، وكان واقفاً وحده على قمّة (الجدار). صاح: «اللّه، أمطرّوهم باللّه»، لكنه لم يجد أحداً حوله يُلقِي إليه بالأل.

كلّهم رحلوا، هجروني.

هسهست السّهام المشتعلة المنطلقة إلى أعلى مخلّفةً السنّة من النّار في الهواء، وتهاوى الإخوة الفزّاعات بمعاطف سوداء متّقدة، وبينما تسلّق الأعداء الجليد بسرعة العناكب صاح نسر: «سنو!». كان چون مدرّعا بجليد أسود، لكن في قبضته يضطرم سيفه بالأحمر، وإذ بلغ الموتى قمّة (الجدار) أسقطهم ليموتوا ثانية. قتل رجلاً أشيب وصبيّاً حليفاً وعملاقاً ورجلاً هزيلاً مدبّب الأسنان وفتاةً شعرها أحمر غزير. بعد فوات الأوان أدرك أنها إيجريت، وسرعان ما اختفت كما ظهرت.

ذاب العالم مستحيلاً إلى ضبابٍ أحمر، وطعن چون وشقّ وجرح. هوى بضربة تلو الضّربة على دونال نوي، وبقر بطن ديك فولارد الأصم، وسقط كورين ذو النّصف يد على رُكبتيه محاولاً إيقاف نريف عنقه عبثاً. صرخ چون:

«أنا سيّد (وينترفل)!»، ووجدَ روب أمامه الآن، يُبلِّ الثلج الذائب شعره. أطاحَ (المخلب الطويل) برأسه، ثم أطبقت يد متغصّنة بخشونةٍ على كتف چون، فدارَ على عقبه...

... واستيقظَ ليرى غُداً يَنقُر صدره. صاحَ الطائر: «سنو!»، وذَبَّ چون لينعق الغُداً معبراً عن استيائه وطارَ إلى أحد أعمدة الفراش ليُحدّق إليه بحقدٍ من أعلى في عتمة ما قبل الفجر.

جاءَ اليوم المرتقب. الآن ساعة الذئب، وقریباً تُشرق الشمس ويتدفق أربعة آلاف همجي عبر (الجدار). جنون. مرّر چون سنو يده المحروقة في شعره وتساءلَ من جديدٍ عمّا يفعلُه. ما إن تُفتح البوابة فلا سبيل للعودة. كان ينبغي أن يكون الذئب العجوز هو من يتعامل مع تورموند، كان ينبغي أن يتعامل معه چارمي ريكور أو كورين ذو النصف يد أو دينس ماليستر أو رجل آخر مخضرم، كان ينبغي أن يتعامل معه عمّي. على أن أوان هذه الوسوس فأت. لكل خيارٍ مخاطره ولكل خيارٍ عواقبه، وسيلعب چون اللعبة إلى النهاية.

نهضَ وارتندي ثيابه في الظلام فيما تحركَ غُداً مورمونت في الغرفة متمتماً. قال الطائر: «ذرة!»، و«ملك!»، و«سنو، چون سنو، چون سنو!». غريب هذا، فعلى ما يذكُر لم يقل الطائر اسمه كاملاً من قبل.

أفطرَ في القبو مع ضبّاطه، وتكوّنت الوجبة من الخبز المحمّر والبيض المقلبي والسُّجق الدّموي وثرید الشعير، بالإضافة إلى بيرة صفراء خفيفة. في أثناء الأكل راجعوا التجهيزات مرّةً أخرى، وأكّد له باون مارش قائلاً: «كل شيءٍ على أهبة الاستعداد. إذا حافظَ الهمج على شروط الصّفقة فسيميضي كل شيءٍ كما أمرت».

وإذا لم يفعلوا فقد ينقلب الموقف إلى دم ومعمعة. قال چون: «تذكروا أن قوم تورموند جائعون وبردانون وخائفون، وبعضهم يكرهنا كما يكرههم بعضكم. إننا نرُقص على جليدٍ متعفن، هم ونحن. شرخ واحد ونغرق جميعاً. إذا أريقت دماء اليوم فالأفضل ألا يكون أحدنا من يضرب أول ضربة، وإلا فأقسّم بالآلهة القديمة والجديدة أني سأقطعُ رأس الرّجل الذي يضربها».

أجابوه بالإيماء والهمهمة وكلمة أجل، وب«كما تأمر»، و«ستنفذ

التعليمات»، و«نعم يا سيدي»، وواحدًا تلو الآخر نهضوا وتمنطقوا بأحزمة السيوف وارتدوا معافهم السوداء الثقيلة، ثم خرجوا إلى البرد.

آخر من ترك المائدة كان إد توليت الكتيب الذي وصل ليلاً بست عربات من (الرابية الطويلة)، أو (رابية العاهرات) كما يُسمي الإخوة السود القلعة الآن. أرسل إد لجمع أكبر عددٍ يمكن أن تحتويه عرباته من الزوجات الحراب والعودة بهن للانضمام إلى أخواتهن.

شاهدته چون يُغمس صفار البيض السائل بقطعة خُبز، وكانت رؤية وجه إد العابس مجددًا مريحةً على نحوٍ غريب. سأل وكيله السابق: «ما أخبار أعمال الإصلاح؟».

أجاب توليت بنبرته الكئيبة المعتادة: «المفترض أن تنتهي خلال عشرة أعوام. حين وصلنا كان المكان موبوءًا بالجرذان، لكن الزوجات الحراب قتلن المخلوقات الكريهة اللعينة، والآن المكان موبوء بالزوجات الحراب. في بعض الأيام أتمنى عودة الجرذان».

سأله چون: «كيف تجد الخدمة تحت إميت الحديدي؟».

- «ماريس السوداء هي من تخدم تحته غالبًا يا سيدي، أمّا أنا فعندي البغال. نتلذذُ أدنا قريبان. صحيح أن لنا الوجه الطويل نفسه، لكنني لا أدانيها في العناد بتاتًا. على كلِّ حال أنا لم أعرف أمهاتها قط، أقسمُ بشرفي»، وأنهى إد ما تبقى من بيضه، واستطرذ: «كم أحبُّ البيض المقلي السائل. أرجوك يا سيدي لا تدع الهَمج يأكلون دجاجنا كلّه».

في السّاحة بالخارج كانت سماء الشّرق قد بدأت تُنير، ولا سحابة واحدة على مدى البصر. قال چون: «يبدو أنه سيكون نهارًا جيّدًا لفعل ما سنفعله، نهارًا صحوًا، مشمسًا ودافئًا».

- «سيقَطُر (الجدار)، والشتاء يكاد يحلُّ. غير طبيعي هذا يا سيدي. نذير سوءٍ إذا طلبت رأيي».

ابتسم چون متسائلًا: «وإذا كان الثلج يسقط؟».

- «نذير أسوأ».

- «ما نوع الطّقس الذي تُفضّله إذن؟».

قال إد الكتيب: «التّوع الذي تجده في الأماكن المغلقة. بعد إذن سيدي،

يعني عودة الجوّالة، أمّا اليوم فيعني شيئاً آخر، اليوم يُنادي شعب الأحرار إلى موطنه الجديد.

وعلى طرفي النَّفق الطَّويل ارتفعت المزاليح الحديد وانفتحت البوابتان. كان ضوء الفجر يترقرق على الجليد بالأعلى وردياً وذهيباً وأرجوائياً. لم يكن إد الكئيّب مخطئاً، وقريباً سيبدأ (الجدار) يقطر كأنما يذرف الدَّمع. عسى أن يذرفه وحده.

قَدَّهم ساتان تحت الجليد منيراً الطَّرِيق في عتمة النَّفق بقنديل حديد، وتبعه چون قائداً حصانه، ثم حُرَّاسه، وبعدهم باون مارش وعشرون من وُكلائه المكلف كلُّ منهم بمهمّة. بالأعلى يتولّى أولمر ابن (غابة الملوك) حراسة (الجدار)، ويقف معه أربعون من أفضل رُماة (القلعة السّوداء) مستعدّين للرَّدِّ على أيِّ متاعب تقع بالأسفل بوابل من سهامهم.

شمال (الجدار) ينتظر تورموند بليّة العماليقٍ ممطيّاً فرساً صغيرةً بائسةً تبدو أنحل من أن تحتمل وزنه، ومعه ابناه المتبقيان، توريج بقامته الطَّويلة ودرين الصَّغير، ونحو ستين من المُحاربين. صاح تورموند: «هار! حُرَّاس؟ أين الثَّقة أيها الغراب؟».

- «أنت جلبت رجالاً أكثر مني».

- «صحيح. تعال وقف إلى جانبي يا فتى. أريد أن يراك قومي. إن معي آلافاً لم يروا قائداً من قبل، رجالاً بالغين قبيل لهم في صغرهم إن جوَّالتكم سيأكلونهم إذا لم يُحسِنوا السُّلوك. يجب أن يروك بوضوح، الفتى طويل الوجه بمعطفه الأسود القديم. يجب أن يتعلّموا أن لا شيء يُخيف في حرس اللّيل».

درسُ كنتُ أوثرُ ألا يتعلّموه أبداً. خلع چون فُقَّاز يده المحروقة ووضع إصبعين في فمه وصفر، فخرج جوست مهرولاً من البوابة، ونكصت فرس تورموند بشدّة كادت تُسقط الهمجي من فوق سرجه. قال چون: «لا شيء يُخيف؟ جوست، ابق».

- «يا لك من نغل أسود القلب أيها اللورد غراب». قالها تورموند نافخ البوق ورفع بوقه الحربى إلى شفّيته، وتردّد صوته على الجليد كهزيم الرّعد، وبدأت طلّاع الأحرار تنساب صوب البوابة.

ومن الفجر إلى الغسق شاهدَ چون الهمج يمرون.
 جاء الرهائن أولاً، مئة صبي بين سني الثامنة والسادسة عشرة، وأعلن
 تورموند: «ثمنك الدموي. أمل ألا يسكن عويل أمهاتهم المسكينات أحلامك
 ليلاً». بعض الصبية قادتهم إلى البوابة أمهاتهم أو آبائهم، وبعضهم إخوتهم
 الأكبر، لكن أكثرهم جاء بمفرده، فالصبية البالغين من العمر أربعة أو خمسة
 عشر عاماً يُوشكون على بلوغ مبلغ الرجال، ولا يُريدون أن يُروا متشبّثين
 بتنورة امرأة.

عدّ وكيلان الصبية لدى مرورهم مسجّلين كل اسم على قائمة طويلة
 من جلد الخراف، وجمع ثالث مقتنياتهم الثمينة -ضريبة المرور- ودونها
 أيضاً. هؤلاء الصبية ذاهبون إلى مكانٍ لم يزُرهُ أحد منهم من قبل، ليخدموا
 جماعة كانت عدو أهلهم وأصدقائهم لآلاف السنين، إلا أن چون لم ير دموعاً
 أو يسمع أمهاتٍ يندبن. إنهم قوم الشتاء. في موطنهم تتجمّد الدموع على
 وجوههم. لم تتراجع رهينة واحدة أو تُحاول الانسلاخ خلسةً وقت أن حان
 دورها لدخول النفق المعتم.

جميع الصبية تقريباً نحفاء، بعضهم أدنى إلى الضمور من الهزال، أذرعهم
 وسيقانهم الطويلة رقيقة هشّة كالغصينات. تماماً كما توقع چون. باستثناء هذا
 أتوا بكل شكل وحجم ولون. رأى صبياً طويلاً وقصاراً، وصبيةً بنيت الشعر
 وسوده، وصبيةً بشقرة العسل وشقرة الفراولة وآخرون حمر الشعر قبلتهم النار
 مثل إيجريت، ورأى صبياً بندوب وصبيةً يعرجون وصبيةً مجدوري الوجه.
 كثيرون من الصبية الأكبر سنّاً لهم خدود زغبة أو شوارب صغيرة خفيفة،
 لكن لأحدهم لحية كثيفة كثافة لحية تورموند. بعضهم يرتدي الفرو الناعم
 الممتاز، وبعضهم الجلد المقوى والدروع المجمّعة من هنا وهناك، وأكثرهم
 الصوف وجلود الفقمات، وقلائل يرتدون أسماًلاً، وأحدهم عارٍ. وكثيرون
 منهم يحملون أسلحةً؛ جراباً مشحوزةً، مطارق برؤوس حجرية، سكاكين من
 العظم أو الحجر أو زجاج التين، هراوات شائكة، شباكاً، وهنا وهناك ثمة
 سيف قديم يأكله الصدأ. مشى صببية ذوي الحوافر بنشاطٍ حفاة الأقدام في
 أكوام الثلج، في حين ركّب آخرون كفوف دبية على أحذيتهم وساروا فوق
 أكوام الثلج دون أن يغوصوا فيها على الإطلاق، ووصلت ستة صببية على خيولٍ

واثنان على بغلين، وجاء أخوان بمعزاة. يبلغ أكبر الرهائن ستة أقدام ونصفًا طولاً لكن له وجه طفل صغير، وأصغرهم صبيّ ضئيل يدعي أنه في التاسعة لكنه لا يبدو أكبر من السادسة.

من لهم أهمية خاصة أبناء أصحاب الصّيت، وقد حرص تورموند على لفت النظر إليهم وهم يمرون. عن واحدٍ طويل قال: «هذا الصّبي هناك ابن سورين كايسر التروس»، وبعدها أشار إلى آخر قائلاً: «ذو الشعر الأحمر هذا ولد جيريك دم الملوك، يأتي من نسل رايمون ذي اللّحية الحمراء حسب كلامه، ومن نسل شقيق ذي اللّحية الحمراء الصّغير إذا أردت الحقيقة». مرّ صبيّان الشّبه بينهما بالغ كأنهما توأمان، لكن تورموند أكّد أنهما ابنا عمومة، يفصل بين مولديهما عام. «أحدهما أنجبّه هارل القنّاص والثّاني هارل الوسيم، كلاهما من المرأة نفسها. كلا الأبوين يكره الآخر. لو كنت في مكانك لأرسلت واحداً إلى (القلعة الشّرقية) وواحداً إلى (برج الظلال)».

عرّفه تورموند إلى رهائن آخرين، أبناء هاود الرّحّال وبروج ودثين سلّاخ الفقمات وكايلج صاحِب الأذن الخشب ومورنا ذات القناع الأبيض والفظ العظيم...

- «الفظ العظيم؟ فعلاً؟».

- «لهم أسماء عجيبة على (السّاحل المتجمّد)».

ثلاثة من الرّهائن أبناء ألفين قاتل الغربان، الهجّام سيّئ السّمعة الذي قتله كورين ذو النّصف يد، أو أن هذا ما أكّده تورموند، إلّا أن چون علّق: «لا يبدوون إخوة».

- «إخوة غير أشقاء، ولدتهم أمّهات مختلفات. كان عُضو ألفين منمنماً، أصغر من عضوك، لكنه لم يتحرّج قطّ من زرعه أينما شاء. كان له ابن في كلّ قرية ذلك الرّجل».

وعن صبيّ ضئيل الحجم يُدكّرك وجهه بالجرذان قال تورموند: «هذا ولد فارامير ست جلود. هل تذكّر فارامير أيها اللورد غراب؟».

يُدكّره. «مبدّل الجلد».

- «أجل، كان كذلك، وكان دنيئاً أثيمًا أيضًا. لقد مات على الأرجح. منذ المعركة لم يره أحد».

أَتَضَحُّ أَنْ اثْنَيْنِ مِنَ الصَّبِيَّةِ فَتَاتَانِ مَتَنَكَّرَتَانِ، وَلَمَّا رَأَاهُمَا چون أُرْسِلَ رُورِي
وَلِيَدِلَ الْكَبِيرِ يُحْضِرَانَهُمَا إِلَيْهِ، فَجَاءَتْ إِحْدَاهُمَا بِخَنُوعٍ وَالثَّانِيَةُ تَرَكُّلٌ وَتَعْصُ.
قَدْ لَا يَنْتَهِي هَذَا عَلَى خَيْرٍ. «هَلْ أَبُوَاهُمَا شَهِيرَانِ؟».
- «هَار! هَذَا نَحْيِلَانِ؟ لَا أَظُنُّ. لَقَدْ اخْتِيرَا بِالِاقْتِرَاعِ».
- «إِنَهُمَا فَتَاتَانِ».

قَالَ تَورْمُونْدُ: «حَقًّا؟»، وَتَطَّلَعَ إِلَيْهِمَا مَضِيئًا عَيْنِيهِ مِنْ فَوْقِ سَرَجِهِ،
وَخَاطَبَهُمَا قَائِلًا: «أَنَا وَاللُّورْدُ غُرَابٌ تَرَاهُنَّ عَلَى صَاحِبِ الْعَضْوِ الْأَكْبَرِ
بَيْنَكُمَا. أَنْزِلَا هَذِهِ السَّرَاوِيلَ وَدَعَانَا نُلقِي نَظْرَةً».
تَضَرَّجَ وَجْهَ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ خَجَلًا، وَحَدَّقَتْ إِلَيْهِ الثَّانِيَةُ بِتَحَدُّ قَائِلَةً: «دَعْنَا
وَشَأْنُنَا يَا تَورْمُونْدَ عَفْنِ الْعَمَالِيقِ، اتْرُكْنَا نَذْهَبْ».

- «هَار! أَنْتِ الْفَائِزُ أَيُّهَا الْغُرَابُ. لَا قَضِيبَ، لَكِنِ الصَّغِيرَةُ تَمْلِكُ جِرَاءَةَ
الرِّجَالِ حَقًّا. زَوْجَةُ حَرْبَةٍ تَبْرَعَمَ»، وَنَادَى تَورْمُونْدُ رَجَالَهُ يُخْبِرُهُمْ: «اذْهَبُوا
وَاعْتَرُوا لَهُمَا عَلَى مَلَابِسِ فِتْيَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُبْلَلَ اللُّورْدُ سِنُوثِيَاهُ الدَّاخِلِيَّةَ».
- «سَأَحْتَاجُ إِلَى صَبِيَّيْنِ بَدَلًا مِنْهُمَا».

حَكَ تَورْمُونْدُ لِحَيْتِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا؟ الرَّهِينَةُ رَهِينَةٌ فِي رَأْيِي. سَيْفُكَ الْحَادِ
الْكَبِيرِ هَذَا لَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ رَأْسِ فَتَاةٍ وَرَأْسِ صَبِيٍّ. الْأَبُ يَحِبُّ بَنَاتَهُ أَيْضًا... أَوْ
أَكْثَرَ الْأَبَاءِ».

لَيْسَ أَبُوَاهُمَا مَصْدَرُ قَلْقِي. «هَلْ سَمِعْتَ مَانَسَ يُعْنِي عَنِ شَجَاعَةِ دَانِي
فَلَيْتَ مِنْ قَبْلِ؟».

- «لَيْسَ عَلَى مَا أَذْكَرُ. مَنَ هَذَا؟».

- «كَانَتْ فَتَاةٌ تَنَكَّرَتْ فِي هَيْئَةٍ صَبِيٍّ لِتَلْتَحِقَ بِحَرَسِ اللَّيْلِ. أَغْنَيْتَهَا حَزِينَةً
وَجَمِيلَةً، لَكِنِ مَا جَرَى لَهَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ». فِي بَعْضِ تَنْوِيعَاتِ الْأَعْنِيَةِ مَا
زَالَ شَبَحَهَا يَسْكُنُ (قَلْعَةُ اللَّيْلِ). «سَأُرْسِلُ الْفَتَاتَيْنِ إِلَى (الرَّايَةِ الطَّوِيلَةِ)». لَا
رَجَالَ هُنَاكَ إِلَّا إِمِيَتِ الْحَدِيدِيِّ وَإِدَ الْكَنْثِيبِ. كِلَاهُمَا مَوْضِعُ ثِقْتِهِ، وَهُوَ مَا لَا
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَهُ عَنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ.

فَهَمَّ الْهَمْجِيُّ، وَقَالَ: «طَيُورٌ بَغِيضَةٌ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْغُرَبَانِ»، وَبَصَقَ ثَمَّ
أَرْدَفَ: «صَبِيَّانِ آخِرَانِ إِذْنِ، سَتْنَالَهُمَا».

بَعْدَ أَنْ مَرَّتْ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ رَهِينَةً بِهِمَا لِلْعُبُورِ مِنَ (الْجِدَارِ) جَلَبَ تَورْمُونْدُ

بليّة العماليق الرّهينة الأخيرة. «ابني درين. ستحرص على العناية به أيها الغراب وإلا طبختُ كبك السّوداء وأكلتها».

تفحصّ چون الصّبيّ بإمعانٍ مفكّرًا: في سنّ بران لو عاش ولم يفتله ثيون. على أن درين لا يتمتّع بشيءٍ من عذوبة بران. الصّبيّ مكتنز قصير السّاقين غليظ الذّراعين وله وجه أحمر عريض، نُسخة مصغّرة من أبيه لها شعر بنيّ داكن. وعدّ چون تورموند قائلاً: «سيخدم كوصيفي الخاص».

قال تورموند لابنه: «هل سمعت يا درين؟ إياك وأن تتجاوز حدودك»، وقال لچون: «سيحتاج إلى ضربٍ مبرّح بين الحين والآخر، لكن احذر أسنانه. إنه يعضّ»، ثم التقتّب بوجه ثانية ورفعَه إلى فمه وعادَ ينفُخ فيه.

هذه المرّة أقبلَ المُحاربون، وليس مئة منهم فقط، بل خمسمئة كما قدرّ چون سنو إذ خرجوا من تحت الأشجار. وربما يبلغ عددهم الألف. أتى واحد من كلّ عشرة على ظهر حصان، لكن جميعهم أتوا مسلّحين، وعلى ظهورهم يحملون تروسًا مستديرةً من الخيزران مغطّاةً بالجلود الخام والجلود المقوّاة بالزّيّ المغلي، عليها صور مرسومة لثعابين وعناكب ورؤوس مبتورة ومطارق دامية وجماجم مكسورة وشياطين. يرتدي بعضهم الفولاذ المسروق، قطعًا متنافرةً من الدروع المأخوذة من جثث الجوّالة القتلي، ويُدْرَع آخرون أنفسهم بالعظم على نسق ذي القميص المُخشخش، ويتدفّأ الكِل بالفرو والجلد.

مع المُحاربين أتت زوجات حِراب شعورهن طويلة مسترسلة، ولم يستطع چون النّظر إليهن دون أن تستدعي ذاكرته إيجريت بوهج النّار في شعرها ونبرة صوتها والنّظرة في عينيها حين تجرّدت من ثيابها له في المغارة. مئة مرّة قالت له: «لست تعلم شيئًا يا چون سنو».

كان هذا صحيحًا آنذاك مثلما هو صحيح الآن. قال لتورموند: «كان بإمكانك إرسال النّساء أولاً، الأمّهات والبنات».

حدّجه الهمجي بنظرة ثابتة قائلاً: «أجل، كان بإمكانني، وكان بإمكانكم عندها أن تُغلِقوا البوّابة أيها الغربان. وجود بعض المُحاربين على الجانب الآخر يضمن أن تبقى البوّابة مفتوحةً، أليس كذلك؟»، وتابع بابتسامة واسعة: «لقد اشتريتُ حصانك اللّعين يا چون سنو، لكن ذلك لا يعني ألا نعدّ أسنانه».

إياك أن تحسبني وقومي لا نثق بكم. إننا نثق بكم بقدر ما تثقون بنا تمامًا»، وأطلق نخيلاً، وأردف: «كنت تُريد مُحاربين، أليس كذلك؟ حسن، ها هم أولاء. الواحد منهم يُساوي ستَّة من غربانك السُّود». ابتسمَ چون مضطراً، وقال: «ما داموا يدَّخرون أسلحتهم لعدوِّنا المشترك فأنا راضٍ».

قال الهمجي: «لقد أعطيتك كلمتي، أليس كذلك؟ كلمة تورموند بليَّة العماليق من حديد»، وأدارَ رأسه وبصقَ.

ضمَّ طابور المُحاربين آباءَ عديد من رهائن چون. لدى مرورهم رمقَه بعضهم بنظراتٍ ميتة باردة مداعبين مقابض سيوفهم بأصابعهم، وابتسمَ له آخرون كأهل وقت اللُّقيا بعد أن فرَّقتهم الأقدار، ولو أن بعض تلك الابتسامات أقلقَ چون سنو أكثر من أيِّ تحديقةٍ عابسة. لم يركع له أحد، لكن كثيرين حلفوا له أيمانهم، منهم بورج ذو الشَّعر الأسود والكلمات القليلة الذي أعلن: «ما أقسمَ عليه تورموند أقسمُ عليه»، وحنى سورين كاسر التُّروس رأسه بوصفٍ لا أكثر، وزمجرَ: «فأس سورين لك يا چون سنو إن احتجت إليها أبداً»، وجلبَ جيريك دم الملوك ذو اللِّحية الحمراء ثلاث بنات، وقال بزهو: «سيكن زوجاتٍ صالحاتٍ ويمنحن أزواجهن أبناء أقوياء في عروقهم دماء ملكيَّة. كأبيهم ينحدرن من نسل رايمون ذي اللِّحية الحمراء الذي كان ملكاً وراء الجدار».

يعلم چون أن الدَّم والنَّسب لا يعنيان شيئاً يُذكر عند شعب الأحرار. علَّمته إيجريت هذا. تشترك بنات جيريك معها في الشَّعر الأحمر النَّاري، وإن كان شعرها متلبِّداً مجعَّداً وشعورهن طويلة منسدلة. قبلتَّهن النَّار. قال لأبيهن: «ثلاث أميرات كلُّ منهن أجمل من الأخرى. سأحرصُ على تقديمهن للملكة». يظنُّ أن هؤلاء الثلاث سيرقن سيليس باراثيون أكثر مما رافتها قال، خصوصاً أنهن أصغر سنّاً وأكثر إذعانا إلى حدِّ كبير. تبدو عليهن العذوبة، وإن كان أبوهن يُوحى بالبلاهة.

حلفَ هاود الرِّحال يمينه على سيفه، ولو أنه مجرد قطعٍ من الحديد المنخرب المفلول، وقدمَ له دفين سلاح الفقمات قُبعةً من جلد كلاب البحر، وهارل القنَّاص قلادةً من مخالب الدِّببة، وخلعت السَّاحرة المُحاربة مورنا

قناعها المصنوع من خشب اليرود لتطبع قبلة على يده المقفزة وتُقسم أن تكون رجله أو امرأته، كما يشاء. وغيرهم وغيرهم وغيرهم.

مع مرورهم خلع كل مُحارب كنوزه وألقاها على إحدى العربات التي وضعها الوُكلاء عند البوابة. عقود من الكهرمان، أطواق من الذهب، خناجر مرصعة بالجواهر، دبائيس من الفضة مطعمة بالأحجار الكريمة، أساور، خواتم، أكواب من المينا الأسود وكؤوس ذهبية، أبواق حربية وقرون شراب، مشط أخضر من اليسب، قلادة من لآلىء المياه العذبة... كل هذا سلّم وسجله باون مارش. سلّم رجل قميصًا من الأقراص الفضية مؤكّد أنه صنّع للورد عظيم ما، وقدّم آخر سيفًا مكسورًا في مقبضه ثلاث حبات من الصّفير.

وثمة أشياء أغرب: ماموث لُعبة مصنوع من شعر الماموثات الحقيقي، وعُضو ذكري من العاج، وخوذة من رأس يونيكورن لا ينقصها القرن. كم من الطّعام ستشتري هذه الأشياء في المُدن الحرّة؟ لا يملك چون سنو أدنى فكرة. بعد المُحاربين جاء قوم (السّاحل المتجمّد)، وشاهد چون دنسة من عرباتهم العظيمة الكبيرة تمرُّ به واحدةً واحدةً مصدرّة الأصوات نفسها كذي القميص المُخشخش. بعضها ما زال يمضي على عجلات كما من قبل، وبعضها استبدلت عجلاته بزلاجات تجعله ينزلق على الثلج بمزيد من السّلاسة، في حين تتعثّر العربات ذات العجلات وتغوص في الثلج.

الكلاب التي تجرُّ العربات حيوانات مخيفة تُعادل الذئاب الرّهية في الحجم، والنساء ملتحات بجلود الفقمت ومع بعضهن أطفال رُضع، ويتحرّك الأطفال الآخرون وراء أمّهاتهم رامقين چون بنظرات قاسية كالأحجار التي يقبضون عليها، أمّا الرّجال فيضع بعضهم قرونًا على قُبعاتهم وبعضهم أنياب أفظاظ، وسرعان ما استنتج چون أن لا وُدّ بين النوعين. في المؤخرة بعض أياثل الرنة النّحيلة، وكلاب كبيرة تحث المتلكتين على الإسراع.

أخبره تورموند منذرًا: «حذارٍ من هؤلاء يا چون سنو. إنهم قوم ضارون. رجالهم سيئون ونسوتهم أسوأ»، والتقط قربةً من جراب سرجه أعطاها لچون قائلاً: «هاك. قد يجعلهم هذا يدون أقل رهبةً ويُدفئك ليلاً. لا، اشرب، القربة لك. اشربه عبًا».

تحوي القربة بتعًا بالغ القوة لدرجة أدمعت عينيه وأشعلت في صدره النار. شربه چون عبًا، وقال: «أنت رجل صالح يا تورموند بليّة العماليق، بالنسبة إلى همجي».

- «أصلح من الأكثرية ربما، لكن ليس بصالح البعض».

تدفق الهمج وتدققوا فيما زحفت الشمس في السماء الزرقاء الصافية. قبيل انتصاف النهار توقفت الحركة عندما انحسرت عربة يجرها ثور في منعطفٍ داخل النفق، وذهب چون سنو يلقي نظرة بنفسه. وجد العربة محشورة تمامًا لا تترجح، والرجال وراءها يهددون بتحطيمها وذبح الثور حيث يقف، في حين يُقسم السائق وذووه بقتلهم إذا فعلوا. بمساعدة تورموند وابنه توريج تمكّن چون من الحيلولة دون إراقة الدماء، لكن فحح الطريق ثانية استغرق ما يقرب من ساعة.

ألقي تورموند نظرة عابسة على السماء حيث أزجت الرياح سحبًا قليلة، وقال لچون متذمّرًا: «تحتاجون إلى بوابة أكبر. الطريق بطيء جدًا هكذا، كأنك تمتصّ (النهر اللبني) بقصبة. هار! ليت بوق چورامون كان معي. كنتُ لأنفخ فيه نفخة صغيرة ثم نمّر من فوق الأنقاض».

- «مليساندرا أحرقت بوق چورامون».

قال تورموند: «حقًا؟»، وصفح فخذَه وأطلق ضحكة قصيرة ساخرة، ثم أردف: «أحرقت ذلك البوق الأنيق الكبير، أجل. خطيئة كبرى في رأيي. كان عمره ألف عام. وجدناه في قبر عملاق، ولا أحد منا رأى بوقًا بهذا الحجم من قبل. مؤكّد أن لهذا السبب خطرٌ لمانس أن يقول لك إنه بوق چورامون. لقد أرادكم أن تحسبوا أنه يملك القدرة على هدم جداركم من حولكم أيها الغريبان، لكننا لم نعرّض قطُّ على البوق الحقيقي على الرغم من تنقينا في كل مكان. لو عثرنا عليه لوجد كل راعٍ في ممالككم السبع قطعًا من الجليد يُتبلج بها نبيذه طوال الصيف».

التفت إليه چون عاقدًا حاجبيه. ونفخ چورامون في بوق الشتاء وأيقظ العماليق من قلب الأرض. ذلك البوق الصنخم بحلقات الذهب القديم المنقوشة بالأبجدية العتيقة... هل كذب مانس رايدر عليه أم أن تورموند هو من يكذب الآن؟ إذا كان بوق مانس مجرد تمويه فأين البوق الحقيقي؟

بحلول الأصيل احتجبت الشمس وغامت السماء واشتدت الرياح، وأعلن تورموند متجهماً: «سماء تلج».

رأى آخرون التذير نفسه في الشحب البيضاء، وبدا أنه يحضهم على الإسراع. بدأت الأعصاب تلتهب، وطعن رجل حاول أن يتقدم على آخرين سبقوه إلى الوقوف في الطابور بساعات. انتزع توربيج الخنجر من مهاجمه وجرّ الرجلين من الزحام وأرسلهما إلى مخيم الهمج لبيداً من جديد. بينما يُشاهدان أربع نساء مسنّات يسحبن عربةً مملأى بالأطفال نحو البوابة قال چون: «تورموند، حدثني عن عدونا. أريد أن أعرف كل ما تُمكن معرفته عن الآخرين».

فرك الهمجي فمه مهممماً: «ليس هنا، ليس على هذا الجانب من جداركم»، وألقى العجوز نظرة صوب الأشجار بمعاطفها البيضاء متابعاً: «إنهم لا يبتعدون أبداً. لا يأتون بالنهار والشمس العجوز ساطعة، لكن إياك وتصوّر أن ذلك يعني أنهم رحلوا. الظلال لا ترحل أبداً. قد لا تراها، لكنها في أعقابك دوماً».

- «هل أزعجوكم في طريقكم جنوباً؟».

- «لم يأتوا بقوتهم الكاملة إذا كان هذا قصدك، لكنهم كانوا معنا طوال الطريق، يكرّون علينا من الأطراف. لقد فقدنا كشافة أكثر مما أحب أن أفكر، ومن تخلفوا أو شردوا كلّفهم هذا حياتهم. كل مساءً جاؤنا مخيماتنا بالنار. إنهم لا يُحبّون النار دون أدنى شك، لكن حين تسقط الثلوج... الثلج والجليد والمطر المتجمّد، كل هذا يجعل العثور على حطب جاف أو إشعال النار في ما لديك صعباً للغاية. والبرد... في بعض الليالي كانت نيراننا تنكمش وتهمد. بعد ليالٍ كتلك كنا نجد بعض الموتى في الصباح التالي دائماً، ما لم نجدونا هم أولاً. ليلة تورويند... ولدي، إنه...»، وبتّر تورموند عبارته وأشاح بوجهه.

قال چون سنو: «أعرف».

عاد تورموند يلتفت إليه قائلاً: «لست تعرف شيئاً. سمعتُ أنك قتلت رجلاً ميتاً، نعم. مانس قتل مئة. يستطيع المرء أن يُقاتل الموتى، لكن حين يأتي سادتهم، حين يسود الصّباب الأبيض... كيف تُقاتل ضباباً أيها الغراب؟!»

ظلال لها أسنان... هواء برودته تجعل مجرد التقاط أنفاسك يؤلم كسكين داخل صدرك... لست تعرف وليس بإمكانك أن تعرف... هل يمكن لسيفك أن يقطع البرد؟!».

سنرى. تذكر چون الأشياء التي أخبره بها سام، الأشياء التي وجدها في الكتب القديمة. لقد طُرقَ (المخلب الطويل) في نيران (فاليريا) القديمة، طُرقَ بلهب التنانين والتماثم. فولاذ الثنين طبقاً لسام، أقوى من أي فولاذٍ تقليدي وأخف وأصلب وأمضى... لكن المذكور في كتاب كلام محض، والاختبار الحقيقي في المعركة.

قال چون: «أنت محق. لست أعرف، وإذا شاءت الآلهة خيرًا فلن أعرف أبدًا».

رد تورموند: «نادراً ما تشاء الآلهة خيرًا يا چون سنو»، وأشار برأسه إلى السماء مردفًا: «السحاب بدأ يُلبّد السماء، النهار يُظلم والبرد يشتدُّ بالفعل. جداركم لم يعد يقطر. انظر»، ودار ينادي ابنه توريج، وقال له: «عد إلى المعسكر واجعلهم يتحركون، المرضى والضعفاء والكسالى والجبناء، اجعلهم يتحركون على أقدامهم اللعينة، أشعل النار في خيامهم إذا لزم الأمر. ستغلق البوابة مع حلول المساء، وخير لكل من لم يمر من (الجدار) عندئذ أن يدعوا أن يجده (الآخرون) قبلي. هل تسمعي؟».

أجاب توريج: «أسمعك»، وهمز حصانه وهو واصل عائدًا إلى آخر الطابور. تدفق الهمج وتدفقوا. أظلم النهار كما قال تورموند، وغطى السحاب السماء من الأفق إلى الأفق، وولّى الدفء الأدبار. ازداد التدافع عند البوابة إذ تسابق البشر والماعز والعجول إلى المرور، وأدرك چون أن الأمر يتجاوز مجرد نفاذ الصبر. إنهم خائفون. المحاربون والزوجات الحراب والهجانة مرعوبون من هذه الغابة، من الظلال المتحركة بين الأشجار. يريدون أن يضعوا (الجدار) بينهم وبينها قبل هبوط الليل.

تراقصت رفاقة ثلج في الهواء، ثم أخرى. ارفص معي يا چون سنو. سترقص معي عمًا قريب.

تدفق الهمج وتدفقوا وتدفقوا، بعضهم يتحرك أسرع الآن ويهرع عبر أرض المعركة، في حين لا يقوى آخرون من شيوخ وصغار وواهنين على

الحركة تقريبًا. صبيحة اليوم كانت الأرض مغطاةً ببساطٍ سميكٍ من الثلوج القديمة التي تلتصق قشرتها البيضاء في الشمس، والآن أصبحت بنيةً وسوداءً وموحلةً. أحال مرور الأحرار الأرض إلى مستنقع. العجلات الخشبية وحوافر الخيول، والزلاجات المصنوعة من العظم أو القرون أو الحديد، وأقدام الخنازير والأحذية الثقيلة، وأقدام الأبقار والعجول المشقوقة، وأقدام ذوي الحوافر السوداء الحافية—كل هذا ترك علامته، وزادت مواطئ الأقدام الطرية الطابور بطنًا. مرةً أخرى قال تورموند بتبرُّم: «تحتاجون إلى بوابةٍ أكبر». في أواخر الأصيل كان الثلج ينهمر بثبات، لكن نهر الهمج تناقص إلى نُهير. رأى چون أعمدةً من الدخان ترتفع من الأشجار حيث كان المخيم، وفسّر تورموند: «توريح يحرق الموتى. هناك دائمًا من يخلدون إلى النوم ولا يستيقظون ثانيةً. نجدهم في خيامهم، من لهم خيام، متكورين على أنفسهم ومتجمدين. توريح يعرف ماذا يفعل».

لم يعد النُهير أكثر من قطرات لدى عودة توريح من الغابة. جاءت معه دسته من الخيالة المُحاربين المسلّحين بالحِراب والسُّيوف، وقال تورموند بابتسامةٍ أبرزت الفراغات بين أسنانه: «حرس المؤخرة. لكم جوائزكم أيها الغُربان ولنا جوائزنا. هؤلاء تركتهم في المخيم في حال هوجمنا قبل خروجنا جميعًا».

- «أفضل رجالك».

- «أو أسوأهم. كلُّ منهم قتل غُربانًا».

وسط الخيالة جاء رجل واحد سيرًا على قدميه، وفي أعقابه حيوان ضخم. خنزير برّي، خنزير برّي هائل الحجم. يبلغ الحيوان ضِعْفِي حجم جوست، ويُغطّي جسمه شعر أسود خشن، وله أنياب بطول ذراع رجل. لم يرَ چون خنزيرًا برّيًا بهذه الضخامة أو القُبْح من قبل، والرَّجل إلى جواره لا يتمتّع بشيءٍ من الوسامة كذلك، بجثته الضخمة وحاجبيه الكثرين وأنفه المسطح ولُغده الثقيل المغطّي بالرَّغب الدّاكن وعينيهِ الصَّغيرتين السُّوداوين المتقاربتين.

أدارَ تورموند رأسه وبصق، ثم قال: «بوروك».

- «مبدل جِلدة». لم يكن سؤالًا. بشكلٍ ما عرفَ چون ماهية الرَّجل.

التفتَ جوست. كان الثلج المتساقط قد حجب رائحة الخنزير البرّي، لكن

الذئب الأبيض التقطها الآن، فتقدّم أمام چون مكشّراً عن أنيابه في زمجرة صامتة.

صاح چون بحدة: «لا! جوست، اثبت. ابق، ابق!». قال تورموند: «الخنازير البرية والذئاب. الأفضل أن تحبس وحشك هذا الليلة، وسأحرص على أن يفعل بوروك المثل بخنزيره»، ورفع عينيه إلى السماء التي يزحف عليها الظلام أكثر فأكثر، وأردف: «إنهم الآخرون، وفي الوقت المناسب. سيَسْقُط الثلج طوال الليل، أشعر بهذا. حان الوقت لأن ألقى نظرة على ما وراء كل هذا الجليد». أخبره چون: «اذهب أنت. أنوي أن أكون آخر من يمر من الجليد. سأنضم إليك في المأدبة».

قال الهمجي: «مأدبة؟ هار! كلمة أحب سماعها»، ووجه فرسه صوب (الجدار) ولطمها على كفلها، وتبعه توريج والخيالة وترجلوا عند البوابة ليقودوا أحصنتهم إلى الجانب الآخر. ظل باون مارش يُشرف على وكلائه إذ سحبوا العربات الأخيرة إلى النفق، ولم يبق إلا چون سنو وحرّاسه.

توقّف مبدّل الجلدة على بُعد عشر ياردات، وراح وحشه يخنّ ويُنقّب في الوحل وقد غطى ثلج خفيف ظهره الأسود المحدّب. أطلق الخنزير البري نخيراً وخفض رأسه، ولأقل من لحظة حسب چون أنه يوشك على الانقضاض، وعلى جانبه سدّ رجاله حرايبهم. لكن بوروك خاطبه قائلاً: «أخي».

- «الأفضل أن تذهب. إننا على وشك إغلاق البوابة». قال بوروك: «افعلوا هذا، أحكموا إغلاقها. إنهم قادمون أيها الغراب»، وابتسم أقبح ابتسامية رآها چون وواصل طريقه إلى البوابة. تبعه الخنزير، وغطى الثلج آثارهما.

بعد ذهابهما قال روري: «قُضِيَ الأمر إذن».

لا، إنها البداية فقط.

وجد باون مارش في انتظاره جنوب (الجدار) حاملاً لوحاً مليئاً بالأرقام، وأخبره قيّم الوكلاء: «ثلاثة آلاف ومئة وتسعة عشر همجياً مروا من البوابة

اليوم. ستون من رهائكك أرسلوا إلى (القلعة الشرقيّة) و(برج الظلال) بعد إطعامهم. إذ توليت أخذ ستّ عرباتٍ محمّلة بالنساء إلى (الرابية الطويلة). الآخرون باقون معنا».

- «ليس لوقتٍ طويل. تورموند ينوي أن يقود رجاله إلى (درع البلوط) خلال يوم أو اثنين، وسيتبعهم البقية ما إن نُقرّر أين نضعهم».

- «كمّا تقول أيها اللورد سنو». قيلت الجملة بجمود، وأوحّت النبرة بأن باون مارش يعلم أين يُريد هو أن يضعهم.

القلعة التي عادَ إليها چون تختلف كثيرًا عن تلك التي تركها في الصّباح. طيلة معرفته بها كانت (القلعة السوداء) مكانًا للصّمت والظلال، حيث تتحرّك جماعة محدودة من الرّجال ذوي المعاطف السوداء كالأشباح بين أطلال حصنٍ أوى عشرة أضعاف أعدادهم في الماضي. كل هذا تغيّر. الآن تأتي الأنوار من نوافذ لم يرَ چون سنو أنوارًا فيها من قبل قطّ، وتتردّد أصوات غريبة في السّاحات، والأحرار يمضون جيئةً وذهابًا في طُرقاتٍ جليديّة لم تعرف إلاّ أحمذية الغربان السوداء لسنواتٍ وسنوات. خارج (ثكنات فلينت) القديمة صادفَ دستةً من الرّجال يرجم بعضهم بعضًا بكرات الثلج، ففكّر بدّهشة: يلعبون، رجال بالغون يلعبون كالأطفال، يتقاذفون كرات الثلج كبران وآريا في الماضي، وأنا وروب قبلهما.

لكن ورشة دونال نوي القديمة لا تزال مظلمة صامتة، ومسكن چون في مؤخرتها غارق في ظلام دامس. على أنه لم يكده يخلع معطفه حتى أدخل دانل رأسه من الباب معلنًا أن كلايداس بالخارج ومعه رسالة.

قال چون: «أدخله»، وأشعل فتيلًا من جذوةٍ في مستوقده وثلاث شموعٍ من الفتييل.

دخلَ كلايداس متورّد الوجه يرمش وقد قبضَ على الرّق بيدي ناعمة، وقال: «أرجو المعذرة يا حضرة القائد. أعرفُ أنك متعبٌ بالتأكيد، لكنني فكّرتُ أنك ستريد رؤية الرّسالة في الحال».

قال چون: «أحسنّت»، وبدأ يقرأ.

في (هاردهوم) بستّ سفن. البحر نائر. فقدنا (الطائر الأسود) بطاقمها كاملاً، سفينتان لايسينيتان جرفهما التيار إلى اليابسة في (سكاين)، الماء

يتسرّب إلى (البرثن). الوضع سيّئ جداً هنا. الهمج يأكلون موتاهم. أشياء ميته في الغابة. القباطنة البرافوسيون يسمحون بأخذ النساء والأطفال فقط على سفنهم. المشعوذات يدعوننا بالنخاسين. قهرنا محاولة الاستيلاء على (غراب العواصف)، ستة من الطاقم ماتوا وهمج كثر. ثمانية غدغان تبقت. أشياء ميته في المياه. أرسل الإغاثة برّاً، العواصف تجتاح البحر. من (البرثن) بيد المايستر هارميون.

وفي ذيل الرسالة علامة كوتر پايك الغاضبة.

سأله كلايداس: «أبناء خطيرة يا سيدي؟».

- «خطيرة بما فيه الكفاية». أشياء ميته في الغابة، أشياء ميته في المياه. ست سفن باقية من الإحدى عشرة التي أبحرت. طوى چون سنو الرسالة مقطّباً جبينه، وقال لنفسه: الليل يهبط، والآن تبدأ حربي.



الفارس المنبوذ

جأر الحاجب: «ليركع الجميع لصاحب السُّمو الملكي هيزدار زو لوراك، حامل هذا الاسم النَّبِيل الرَّابِع عشر، ملك (ميرين)، نجل (جيس)، والي الإمبراطوريَّة القديمة، سيِّد (السكاهازاذان)، قرين التَّنَّانين ودم الهاريبي». تردَّد صدى صوته على الأرضيَّة الرُّخام ورنَّ بين الأعمدة.

دسَّ السير باريستان سلمى يده تحت طيَّات معطفه وخلخل سيفه في غِمدته. ليس مسموحًا بأسلحةٍ في حضور الملك إلَّا تلك التي يحملها حُماته، ويبدو أن الفارس ما زال يُعدُّ من هؤلاء على الرغم من إقصائه. على الأقل لم يُحاول أحد أن يأخذ سيفه.

فضَّلت دنيرس تارجارين أن تعقد البلاط جالسةً على دكَّةٍ ملساء بسيطة من الأبنوس المصقول، تفترشها الوسائد التي جلبها السير باريستان لجعلها أكثر راحةً، لكن الملك هيزدار استبدل الدكَّة بعرشين فاخرين من الخشب المذهَّب، لكلٍّ منهما ظهر طويل منحوت على شكل تينين. جلس الملك على العرش الأيمن معتمراً تاجاً ذهبياً وممسكاً صولجاناً محلّى بالجواهر، في حين يظلُّ العرش الآخر شاغراً.

العرش المهم. لا كرسيٍّ على شكل تينين من شأنه أن يقوم مقام تينين حقيقي مهما كان بديع النقوش.

إلى يمين العرشين التوأمن يقف جو جهور الجبَّار، العملاق الضَّخم ذو الوجه الشرس النَّديب، وإلى اليسار القِطُّ الأرقط الذي يضع فروة فهدٍ على كتفه، ووراءهما بيلاكو كاسر العظام وكراز بعينيه الباردتين. فتكة متمرِّسون

جميعاً، لكن مواجهة خصم في الحلبة تُذيع مجيئه الأبواق والطبول شيء،
والعثور على قاتل متخفٍّ قبل أن يضرب ضربه شيء آخر.

ما زال النهار بكرةً، إلا أنه يحسُّ بالتعب حتى النخاع كأنه أمضى الليل
بطوله في القتال. كلما تقدّم في السنّ تقلّ حاجة السير باريستان إلى النوم. حين
كان مُرافقاً كان بإمكانه النوم عشر ساعاتٍ في الليلة ومع ذلك يخرج مترنحاً
يتثأب إلى ساحة التدريب في الصباح، وفي الثالثة والستين يجد أن خمس
ساعاتٍ في الليلة تكفي وتزيد. ليلة البارحة نام بالكاد. غرفة نومه حُجيرة
صغيرة ملحقة بمسكن الملكة، وكانت في الأصل سكناً للعبيد، ويتكوّن أثاثه
من سريرٍ ووعاء فضلات وخزانة ثياب، بالإضافة إلى مقعدٍ إذا أراد الجلوس،
وعلى منضدةٍ تُجاور السرير يضع شمعةً من شمع النحل وتمثالاً صغيراً
لـ(المُحارب). على الرغم من أنه ليس رجلاً متديناً فالتّمثال يُخفّف عليه
الوحدة نوعاً في هذه المدينة الأجنبية الغريبة، وإليه يلجأ في ساعات الليل
السّوداء. ليلة البارحة صلّى: قني الشكوك التي تنهشني وامنحني القوة لفعل
الصّواب، لكن لا الدُّعاء ولا الفجر أتاه باليقين.

اليوم من المرّات التي يرى فيها الفارس العجوز القاعة مزدحمةً هكذا،
لكن أكثر ما لاحظَه باريستان سلمى الوجوه الغائبة: ميسانداي وبلواس
والدودة الرّمادي، وآجو وچوجو وراكارو، وإيري وچيكوي وداريو نهريس.
في مكان الرّأس الحليق يقف رجل بدين يرتدي واقٍ صدرٍ مطرّقاً كالعضلات
المفتولة ويضع قناع أسد، وتبرز ساقاه الثقيلتان من تحت تنورةٍ من الشرائط
الجلد، مارجاز زو لوراك ابن عمّ الملك وقائد الوحوش النحاس الجديد.
تكوّن عند سلمى قدر لا بأس به من الاحتقار للرّجل بالفعل. لقد عرفَ هذا
النوع من قبل في (كينجز لاندنج)؛ مداهنٍ مُراءٍ مع رؤسائه وجليظٍ فيج مع
مرؤوسيه، يجمع بين العمى والتّبجُّح ومعتد بنفسه إلى حدٍّ بعيد.

وارد أن سكاهاز في القاعة أيضاً، وجهه القبيح مخبئ وراء قناع. يقف
أربعون من رجال الوحوش النحاس بين الأعمدة ويتوهج ضوء المشاعل
على نحاس أفنتهم المصقول، وقد يكون الرّأس الحليق أياً منهم.

يسود القاعة طنين مئة صوتٍ خفيض تتردّد أصداؤها على الأعمدة
والأرضية الرّخام، وتصنع معاً صوتاً واحداً له وقع غاضب مشؤوم ذكّر سلمى

بالصوت الذي يصدر من عُنش دباير قبل لحظة من انبثاق الدباير منه، وعلى وجوه الحاضرين رأى الغضب والحزن والشك والخوف.

لم يكد حاجب الملك يدعو إلى النظام حتى بدأ القبح. شرعت امرأة تُولول عن أخ مات في (حلبة دازناك)، وأخرى عن التلّف في هودجها، ومزق رجل سمين ضماداته ليُري البلاط ذراعه المحروقة حيث لا يزال اللحم مسحوباً ينز الصديد، ولما بدأ رجل في توكّار أزرق وذهبي يتكلّم عن هارجاز البطل طرحه رجل معتق واقف وراء أرضاً، وتطلب فض اشتباكهما وجرهما إلى الخارج ستّة وحوش نحاس. ثعلب، صقر، فقمة، جرادة، أسد، ضفدع. تساءل سلمي إن كان للأقنعة معنى عند الرجال الذين يضعونها. هل يضع الرجل نفسه القناع نفسه كل يوم أم أنهم يختارون وجوهاً جديدة كل صباح؟

كان رزناك مو رزناك يُناشدهم: «الهدوء! أرجوكم! سأجيبكم لو أنكم فقط...».

صاحت امرأة معتقة: «أما يُقال صحيح؟ هل ماتت أمنا؟».

ردّ رزناك بصوت كالصّيرير: «لا، لا، لا. الملكة دنيرس سترجع إلى (ميرين) في الوقت الذي تُقرّره بكامل قوتها وعظمتها، وحتى ذلك الحين صاحب العبادة الملك هيزدار هو من...».

زعت رجل معتق يُقاطعها: «ليس ملكاً عليّ».

بدأ الحاضرون يتدافعون، فأعلن القهرمان: «الملكة لم تمّت! لقد أرسل خيالة دمها عبر (السكاهازاذان) ليعثروا على جلالتها ويُعيدوها إلى زوجها المحب ورعاياها المخلصين. مع كل منهم عشرة خيالة منتقون بعناية ومع كل منهم ثلاثة خيول سريعة كي يستطيعوا قطع المسافات الطويلة سريعاً. سيعثرون عليّ الملكة دنيرس».

بعدها تكلم جيسكاري فارغ القامة في معطفٍ مقصّب بنبرةٍ جهوريّة ولكن باردة، وعدّل الملك هيزدار جلسته على عرش التين بوجهٍ حجري وهو يُحاول أن يبدو مهتماً وفي الآن نفسه رابط الجأش، ومرةً أخرى أعطى قهرمانه الجواب.

ترك السير باريستان كلمات رزناك المتملّقة تدخّل من أذني وتخرج من

الأخرى. علّمته سنينه في الحرس الملكي حيلة الإصغاء دون سمع، وهي الحيلة المفيدة خصيصًا حين يكون المتكلم عازمًا على إثبات أن الكلام هواء حقًا. في مؤخّرة القاعة لمح الأمير الدورني الشاب ورفيقه. لم يكن يتحدّر بهم أن يأتوا. مارتل لا يُدرِك الخطر المحدق به. دنيرس كانت صديقتة الوحيدة في هذا البلاط، ولقد رحلت. تساءل كم يفهمون مما يُقال. حتى هو لا يستطيع دائمًا استيعاب اللّغة الجيسكارّيّة الهجينة التي يتكلّمها النخاسون، بالذات عندما يتكلّمون بسرعة.

على الأقل يسمع الأمير كوينتن بأذنين صاغيتين. إنه ابن أبيه. الفتى قصير مكتنز تقليدي الملامح، ويبدو لطيف المعشر عاقلًا متزنًا مستقيمًا... لكنه ليس من النوع الذي يجعل خفقات قلب فتاة صغيرة تتسارع. وأيًا كانت خلاف ذلك فدنيرس تارجارين لا تزال فتاة صغيرة كما تدّعي هي نفسها عندما يعنُّ لها أن تلعب دور البريئة. ككلّ الملكات الصّالحات وضعت شعبها أولًا، وإلا لما تزوّجت هيزدارزو توكار، لكن الفتاة في داخلها لم تزل تحنُّ إلى الشّعر والعواطف المشبوبة والصّحك. تُريد النّار، وأرسلت إليها (دورن) طمياً.

وراء الأمير كان السير جيريس درينكووتر يهمس بشيء ما ليرونود. يتمتّع السير جيريس بكلّ ما يفتقر إليه أميره، الطول والنحول والوسامة، ورشاقة سيّافٍ وخفة ظلّ خاطبٍ ود. لا يشك سلمي في أن فتيات دورنيّات عديدات داعبن هذا الشّعر الموهوظ بالشمس بأصابعهن وقبّلن هذه الابتسامة العابثة على شفّتيه. رغمًا عنه فكّر: لو كان هو الأمير فلربما اتخذت الأمور مسارًا آخر... لكن في درينكووتر شيئًا ما لا يستسيغه كثيرًا. عملة زائفة. سبق له أن عرف رجالًا مشابهين.

مؤكّد أن ما قاله أيًا كان طريف، إذ أطلق صديقه الأصلع الكبير نخيرًا ضاحكًا مفاجئًا بلغ مسامع الملك نفسه، فالتفت ينظر إلى الدورنيّين، ولمّا رأى هيزدارزو لوراك الأمير اكفهرت ملامحه.

لم يُعجب عبوسه السير بارستان، ولم يُعجبه أن أشار الملك إلى مارجاز ابن عمّه بالاقتراب ومال عليه وهمس بشيء ما في أذنه.

قال السير بارستان لنفسه: لم أقسم على شيء لـ(دورن). لكن ليوين

مارتل كان أخاه المحلّف في زمن كانت فيه أواصر الأخوة بين رجال الحرس الملكي وطيدة. لم أستطع أن أساعد الأمير ليوين في معركة (الثالث)، لكنني أستطيع مساعدة ابن ابن أخيه الآن. مارتل يرقص في جحر ثعابين ولا يراها، ومن شأن وجوده المستمر، حتى بعد أن سلمت دنيرس نفسها لآخر أمام أعين الآلهة والبشر، أن يستفز أيّ زوج، والملكة لم تعد موجودة لتقي كويتن شر هيزدار. ومع ذلك...

حلت عليه الفكرة كلطمة على وجهه. لقد نشأ كويتن في مجالس (دورن)، والمكايد والسُموم ليست غريبة عليه، ولم يكن الأمير ليوين قريبه الوحيد. إنه ابن شقيق الأفعوان الأحمر. دنيرس اتخذت رجلاً آخر زوجاً، لكن إذا مات هيزدار فلها الحرّية في الزواج ثانية. أيُمكن أن الرأس الحليق مخطئ؟ من يعلم يقيناً أن الجراد كان لدنيرس؟ كنا في مقصورة الملك، فماذا لو كان هو الضحية المستهدفة؟ كان موت هيزدار ليحطم السلام الهش، ولا ستأنف أبناء الهاريي القتل واليونكيون حربهم، وربما ما كانت دنيرس لتجد خياراً أفضل من كويتن واتفاق زواجه.

كان السير بارستان لا يزال يُناطح هذا الشكّ حين سمع صوت أحذية ثقيلة تصعد السلالم الحجريّة العالية في مؤخرة القاعة.

وصل اليونكيون، ثلاثة من الأسياد الحكماء يقودون بعثة المدينة الصّفراء، ومع كلّ منهم حاشيته المسلّحة الخاصّة. يرتدي أحد النخاسين توكاراً من الحرير الأرجواني المحمر المهدّب بالذهب، والثاني توكاراً مخطّطاً بالأزرق المخضر والبرّتقالي، والثالث وافي صدرٍ منمّقا مزخرفاً بمشاهد شهوانيّة مشغولة بالكهرمان الأسود واليشب وعرق اللؤلؤ. اصطحبهم المرتزق ذو اللّحية الدّمويّة حاملاً جوالاً جلدياً على كتفه العريضة وعلى وجهه نظرة جذل وشراسة.

أمير الأسمال غائب، وابن پلوم البنيّ. رمق السير بارستان ذا اللّحية الدّمويّة ببرود. أعطني ولو نصف سبب للرقص معك وسرى من يضحك أخيراً.

تقدّم رزناك مو رزناك بحركة ذكّرت سلمي بالدّود، وقال: «شرّفتونا

بزيارتكم أيها الأسياد الحكماء. صاحب الرّونق الملك هيزدار يُرحّب بأصدقائه من (يونكاي). نُدرِك أن...». قاطعه ذو اللّحية الدّمويّة: «أدرِكوا هذا»، وأخرج رأسًا مقطوعًا من جواله وألقاه للقهرمان.

أطلق رزناك صرخة هلع ووثب جانبًا، وطارَ الرّأس في الهواء مخلّفًا بُقع دم على رُخام الأرضيّة الأرجواني إذ مرّ به قبل أن يستقرّ عند قدم عرش الملك هيزدار. بطول القاعة سدّد الوحوش النحاسي حراهم، وتقدّم جو جهور الجبّار يضع نفسه أمام عرش الملك، وتحرك القِطّ الأرقط وكراز يقفان على جانبيه ليُكوّن ثلاثتهم حائطًا.

ضحك ذو اللّحية الدّمويّة قائلاً: «إنه ميت. لن يعصّ أحدًا».

بحذر، بمنتهى الحذر، دنا القهرمان من الرّأس ورفعَه برفقٍ من شعره، ثم قال: «الأميرال جروليو».

ألقي السير باريستان نظرةً نحو العرش. لقد خدمَ ملوكًا كثيرين، وليس بوسعه إلا أن يتخيّل كيف كانوا ليردّوا على هذا الاستفزاز. كان إيرس ليَجفّل رُعبًا وعلى الأرجح يجرح نفسه على نصال العرش الحديدي ثم يصرّخ في سبّاه أن يُقطّعوا اليونكيين أشلاءً، وكان روبرت ليزعق طالبًا مطرقة ليردّ لذي اللّحية الدّمويّة الصّاع بمثله، وحتى جهيرس الذي عدّه كثيرين ضعيفًا كان ليأمر بالقبض على المرتزق والنحاسين. أمّا هيزدار فجلس متجمّدًا مذهولًا.

وضع رزناك الرّأس على وسادةٍ من الساتان عند قدمي الملك ثم ابتعد ماطًا شفتيه بامتعاض، وكان بإمكان السير باريستان أن يشمّ عطر القهرمان الزّهري الثّقيل من بُعد عدّة ياردات.

حدّقت عينا الرّجل الميت بتأنيب. لحيته مصبوغة بالبني من الدّم المتخثر، لكن خيطًا من الأحمر ما زال ينساب من عنقه، وقد بدا من منظره أن فصل رأسه عن بدنه تطلّب أكثر من ضربةٍ واحدة. في مؤخّرة القاعة بدأ الملمّسون ينسلّون خارجين، وانتزع أحد الوحوش النحاس قناع صقرٍ عن وجهه وتقيًا إفطاره.

ليست الرّؤوس المقطوعة غريبةً على باريستان سلميّ، لكن هذا الرّأس

تحديدًا... لقد قطع نصف العالم مع البحار العجوز، من (پنتوس) إلى (كارت) ثم (أستاپور). كان جروليو رجلًا صالحًا. لم يستحق هذه النهاية. كل ما أراده أن يعود إلى دياره. توترت الفارس منتظرًا.

أخيرًا قال الملك هيزدار: «هذا... ليس هذا... لسنا مسرورين. هذا... ما معنى هذا... هذا...».

أخرج النخاس ذو التوکار الأرجواني المحمر رقًا مطويًا قائلاً: «يُشرفني أن أحمل هذه الرسالة من مجلس الأسياد»، وبسط الرق متابعًا: «مكتوب هنا: سبعة دخلوا (ميرين) لتوقيع معاهدة السلام وحضور المباريات الاحتفالية في (حلبة دازناك)، وضمنًا لسلامتهم تسلّمنا سبع رهائن. المدينة الصّفاء تندب ابنها النبيل يوركاز زو يونزك الذي مات ميتة وحشية في ضيافة (ميرين). ثمن الدّم».

كانت لجرويلو في (پنتوس) زوجة وأولاد وأحفاد. لماذا هو من بين جميع الرّهائن؟ چوجو وهيرو وداريو نهاريس يقودون مُقاتلين، أمّا جروليو فكان أميرًا بلا أسطول. هل اختاروه بالفرعة أم أنهم فكروا أن جروليو صاحب القيمة الأذنى عندنا وأقل من يحفز على القصاص؟ سأل الفارس نفسه هذا مرارًا... لكن إلقاء السؤال أسهل من الإجابة عنه. لست موهوبًا في حلّ مثل هذه العقّد.

تحدّث السير بارستان قائلاً: «جلالة الملك، أرجو أن تتذكّر أن موت النبيل يوركاز كان حادثه عرّضية. لقد تعرّث على السّلام وهو يُحاول الفرار من التّنين ووطأته أقدام عبيده ورفاقه. إمّا هذا وإمّا أن قلبه انفجر خوفًا. كان طاعنًا في السّن».

سأل السيّد ذو التوکار المخطّط: «مَن هذا الذي يتكلّم دون إذن الملك؟». رجل صغير الحجم له ذقن مسحوب وأسنان كبيرة على فمه ذكر منظره سلمى بالأرانب. هزّ اليونكي اللّالئ التي تُهدّب توكاره مضيّفًا: «أوجب أن يسمع سادة (يونكاي) ثرثرة الحُرّاس؟».

بدا أن هيزدار زو لوراكي لا يقوى على إبعاد عينيه عن الرّأس، وأخيرًا بعد أن همس رزناك بشيء ما في أذنه تحرك وقال: «يوركاز زو يونزك كان قائدكم الأعلى.. مَن منكم يتحدّث باسم (يونكاي) الآن؟».

أجاب الأرنب: «جميعنا، مجلس الأسياد».

قال الملك هيزدار وقد وجد شيئاً من الصلابة: «جميعكم تحملون مسؤولية انتهاك السلام القائم بيننا إذن».

ردّ اليونكي في واقى الصدر: «سلامنا لم يُنتهك. ثمن الدّم دم، نفس مقابل نفس. لنري طيبة نيّاتنا نعيد ثلاثة من رهائكم». انشقت الصفوف الحديد من ورائه وتقدّم ثلاثة ميرينزيين قابضين على توّاراتهم، امرأتان ورجل.

بجمودٍ قال هيزدار زو لوراكي: «أختاه، ولدا العم»، وأشار إلى الرّأس النَّازف قائلاً: «أبعدوا هذا عن نظرنا».

قال السير باريستان: «الأميرال كان رجل البحر. هلاً فنفضّل صاحب السّموم بأن يسأل اليونكيين إعادة جثته إلينا لندفنه تحت الأمواج؟».

لوّح ذو أسنان الأرانب بيده قائلاً: «سنفعل هذا بعد إذن صاحب الرّونق، علامة على احترامنا».

تحنّح رزناك مو رزناك بصوتٍ عالٍ، وقال: «لا أقصدُ إساءةً، لكن يبدو لي أن صاحبة العبادة الملكة دنيرس أعطتكم... آه... سبع رهائن. الثلاثة الآخرون...».

أعلنَ اليونكي ذو واقى الصدر: «سيبقى الآخرون ضيوفنا حتى يُدمّر التّينان».

رآن الصّمت على القاعة، ثم بدأت المهمة والتّممة والشّئام والصلوات المهموسة وعادت الدّبابير تطنُّ في عُشّها، وقال الملك هيزدار: «التّينان...».

- «... وحشان كما رأى الجميع ثالثهما في (حلبة دازناك). ليس السّلام الحقيقي ممكناً وهما حيّان».

ردّ رزناك: «صاحبة السّموم الملكة دنيرس أم التّنانين. وحدها تستطيع...».

قاطعهُ ذو اللّحية الدّمويّة باستخفاف: «لقد ماتت، احترقت والتّهمت، الحشائش تنمو في جمجمتها المهشّمة».

استقبلت كلماته بهدير، وبدأ بعضهم يزقق ويشتم، في حين دقّ آخرون الأرض بأقدامهم أو صفروا مؤيدين، ولم تهدأ القاعة ثانية حتى دقّ رجال الوحوش النّحاس الأرض بكعوب جرابهم.

لم يرفع السير باريستان عينيه قطّ عن ذي اللّحية الدّمويّة. جاء ينهب مدينةً

وسلبه سلام هيزدار غنائمه. سيفعل كل ما يمكنه أن يفعله لبدء حمام الدم.
نهض هيزدار زو لوراك ببطء من على عرش التين، وأعلن: «يجب أن
أشاور مع مستشاري. رفعت الجلسة».

صاح الحاجب: «ليركع الجميع لصاحب السمو الملكي هيزدار زو
لوراك، حامل هذا الاسم النبيل الرابع عشر، ملك (ميرين)، نجل (جيس)،
والي الإمبراطورية القديمة، سيد (السكاهازاذان)، قرين التناين ودم
الهاربي»، وخرج الوحوش النحاس من بين الأعمدة مكوّنين صفًا ثم بدأوا
يتقدّمون بإيقاع موحد بطيء سائقين الملتمسين من القاعة.

لن يضطرّ الدورثيون للابتعاد كثيرًا كمعظم الآخرين، فكما يليق بمنزلته
ومقامه أُعطي كويتن مارتل مسكنًا داخل (الهرم الأكبر) تحت القاعة
بمستويين، جناحًا فاخرًا من الغرف مزودًا بمراحضه الخاص وشرفته
المسورة. ربما لهذا السبب مكث ورفيقاه منتظرين أن يخفّ الزحام قبل أن
يتحركوا نحو السّلام.

شاهدهم السير بارستان مستغرقًا في التفكير، وسأل نفسه: ماذا كانت
دينس لتزيد؟ وخطر له أنه يعرف الجواب. قطع الفارس العجوز القاعة
ومعطفه الأبيض الطويل يتموّج وراءه، ولحقّ بالدورثيين عند قمة السّلام،
حيث سمع درينكوتر يقول مازحًا: «لم يكن بلاط أبيك مسليًا هكذا قط».

نادى سلمى: «أيها الأمير كويتن، هل تسمح بكلمة؟»
التفت كويتن مارتل قائلاً: «سير بارستان، بالطبع. مسكني تحتنا بمستوى
واحد».

لا. «ليس لي أن أنضحك أيها الأمير كويتن... لكن لو كنت في مكانك
لما عدت إلى مسكني. أنت وصديقك عليكم أن تنزلوا السّلام وترحلوا».
حدّق إليه الأمير كويتن بدهشة متسائلًا: «نرحل من الهرم؟»
- «ترحلون من المدينة وتعودون إلى (دورن)».

تبادل الدورثيون نظرة، وقال جيريس درينكووتر: «أسلحتنا ودروعنا في
المسكن، ناهيك بأغلب النقود المتبقية معنا».
قال السير بارستان: «السيف قابلة للاستبدال، ويمكنني أن أزوّدكم بمال

يكفي لرحلة العودة إلى (دورن). أيها الأمير كويتن، لقد لاحظت الملك اليوم وعبس وجهه».

ضحك درينكووتر قائلاً: «يُفترض أن نخشى هيزدار زو لوراكا؟ لقد رأيت للتو حين جبنَ من اليونكيين. أرسلوا إليه رأساً ولم يفعل شيئاً!».
أوماً كويتن مارتل برأسه مؤيداً، وقال: «الحكمة تقتضي أن يفكر الأمير قبل أن يتصرف. الملك... لست أدري رأيي فيه. الملكة حذرتني منه أيضاً، هذا صحيح، لكن...».

عقد سلمى حاجبيه، وسأله: «حذرتك؟ لماذا لا تزال هنا إذن؟».

قال الأمير كويتن وقد احتقنَ وجهه: «اتفاق الزواج...».

- «... أجراه رجلان ميتان ولم يحتوِ على كلمة واحدة عن الملكة أو عنك، بل وعد يد أختك لأخي الملكة، رجل ميت آخر. الاتفاق ليس ملزماً. إلى أن ظهرت أنت هنا كانت الملكة تجهل وجوده. أبوك يُحسِن الحفاظ على الأسرار أيها الأمير كويتن، وأخشى أنه يُحافظ عليها أكثر من اللازم. لو علمت الملكة بالاتفاق في (كارث) فلربما ما كانت لتتجه إلى (خليج النحاسين) على الإطلاق، لكنك جئت بعد فوات الأوان. لست أرغب في سكب الملح على جرحك، لكن لجلالته زوجاً جديداً وخليلاً قديماً، ويبدو أنها تُفضّل كليهما عليك».

ومضَّ الغضب في عيني الأمير الداكتين، وقال: «هذا اللورد الجيسكاري ليس زوجاً يليق بملكة (الممالك السبع)».

قال السير باريستان: «ليس الحكم لك في هذا»، وتوقف متسائلاً إن كان قد تكلم أكثر من اللازم بالفعل. لا، أخبره بالبقية. «في ذلك اليوم في (حلبة دازناك)، بعض الطعام في المقصورة الملكية كان مسموماً. بالصدفة فقط أكله بلواس القوي كله. ذوات النعم الزرقاء يقلن إن حجمه وقوته البالغة فقط أنقذه، لكنه كان على عتبة الموت بالفعل، وما زال وارداً أن يموت».

كانت الصدمة جليّة على وجه الأمير كويتن إذ قال: «سُم... لدنيرس؟».

- «لها أو لهيزدار، أو ربما للاثنين. لكن المقصورة مقصورة، وجلالته أجرى الترتيبات كلها. إذا كان هو وراء السُم... فسيحتاج إلى كبش فداء،

وَمَنْ أَفْضَلُ مِنْ مَنْفَسٍ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ بَلَا أَصْدِقَاءَ فِي هَذَا الْبَلَاطِ؟ مَنْ أَفْضَلُ مِنْ خَاطِبِ رَفَضْتَهُ الْمَلِكَةَ؟» .

قال كويتن مارتل بوجه امتع: «أنا؟! مستحيل أن... لا يُعقل أن تحسب أنه كان لي دور في أي...» .

يقول الحقيقة، أو أنه أستاذ في التمثيل. «قد يحسب آخرون ذلك. الأفعوان الأحمر كان عمك، ولديك سبب وجيه يجعلك ترغب في موت الملك هيزدار» .

قال جيريس درينكووتر: «ولدى آخرين أيضًا. نهريس على سبيل المثال، من تقول إنه...» .

- «... خليل الملكة». أنهى السير بارستان العبارة قبل أن يقول الفارس الدورني شيئًا يصم شرف الملكة. «هكذا تُسمونهم في (دورن)، أليس كذلك؟»، ولم ينتظر سلمي جوابًا، وتابع: «الأمير ليوين كان أخي المحلّف. في تلك الأيام كانت الأسرار بين رجال الحرس الملكي قليلة، وأعرف أنه كانت له خلية. لم يجد في هذا ما يشين» .

قال كويتن بوجه محمر: «نعم، ولكن...» .

واصل السير بارستان: «لو جرؤ داريو لقتل هيزدار في غمضة عين، لكن ليس بالشّم، مُحال. وداريو لم يكن هناك على كل حال. سيسر هيزدار أن يلومه على الجراد رغم ذلك... لكن الملك قد يحتاج إلى غربان العاصفة، وسيخسرهم إذا بدا متواطئًا على موت قائدهم. لا يا أميري. إذا احتاج جلالته إلى مسّم فسيقع اختياره عليك». قال سلمي كل ما يستطيع أن يقوله بأمان. خلال بضعة أيام، إذا ابتسمت لهم الآلهة، لن يعود هيزدار زو لوراكي حاكم (ميرين)... لكن لا خير يرجى من أن يُلطّخ الأمير كويتن حمّام الدّم المقبل. أنهى السير بارستان كلامه قائلًا: «إذا كان يجب أن تبقى في (ميرين) فالأفضل أن تبقى بعيدًا عن البلاط وتأمل أن ينساک هيزدار، لكن سفينة إلى (فولانتيس) التصرّف الأكثر حكمةً يا أميري. أيًا كان السبيل الذي تختاره أتمنى لك التوفيق» .

قبل أن يتعد ثلاث خطوات ناداه كويتن مارتل: «يدعونك ببارستان الباسل» .

- «بعضهم». ظفر سلمى باللَّقْب عندما كان في العاشرة من العمر، مُرافِقًا جديدًا لكن شديد الغرور والكبرياء والحُمق حتى إنه أقنع نفسه بأنه يستطيع نزال فرسانٍ مخضرمين متمرسين. وهكذا استعارَ جوادًا حربيًا ودرعًا من مستودع سلاح اللورد دونداريون ودخل المضمار في (المرفأ الأسود) كفارس مجهول. حتى الحاجب ضحك. كانت ذراعي ريفيتين لدرجة أنني حين خففتُ رُمحي استطعتُ بالكاد أن أمنع رأسه من الاحتكاك بالأرض. كان من حقِّ اللورد دونداريون أن يسحبه من فوق حصانه ويصفعه على مؤخرته، غير أن أمير (قلعة اليعاسيب) أشفقَ علي الصَّبي السَّاذج في الدَّرع التي لا تُناسبه وأبدى له الاحترام لتحديده. لم يتطلب الأمر أكثر من مواجهة واحدة، وبعدها ساعده الأمير دنكان على النهوض وخلع خوذته، ثم أعلن للجمهور: «صبي، صبي باسل». ثلاث وخمسون سنة مضت. كم ممَّن كانوا في (المرفأ الأسود) مازالوا أحياء؟

سأله الأمير كويتن: «بم تحسبهم سيُلقَّبوني إذا عدتُ إلى (دورن) من دون دنيرس؟ كويتن الحذر؟ كويتن الجبان؟ كويتن الرعدي؟». فكَرَّ الفارس العجوز: الأمير الذي أتى بعد فوات الأوان... لكن إن لم يتعلَّم فارس في الحرس الملكي شيئًا آخر فإنه يتعلم أن يحفظ لسانه، وهكذا قال: «كويتن الحكيم»، وأمل أن يكون ذلك صحيحًا.



الخاطب المرفوض

كانت ساعة الأشباح على وشك الحلول عندما عادَ السير جيريس درينكووتر إلى الهرم ليُبلغهما بأنه عثرَ على بقول وكُتب وبيل بون العجوز في أحد دهاليز (ميرين) الحقيبة، يشربون النبيذ الأصفر ويُشاهدون العبيد العُراة يقتل بعضهم بعضًا بالأيدي المجرّدة والأسنان المدبّبة.

أخبرهما السير جيريس: «استل بقول خنجرًا واقترح رهانًا للبت في كون بطون المتهرّبين مليئةً بالعفن الأصفر، فألقيتُ له تينًا وسألته إن كان الذهب الأصفر يصلح. عصّ العملة وسألني ماذا أريدُ أن أشتري، ولمّا أخبرته دسّ الخنجر في غمده وسألني إن كنت سكران أم مجنونًا».

قال كويتتن: «فليحسب ما شاء ما دام سيوصل الرسالة».

- «سيفعل هذا. أراهنُ أنك ستنال مقابلتك أيضًا، ولو فقط لكي يجعل أمير الخرق ميريس الحسناء تُقطع كبدك وتُحمرّها مع القليل من البصل. يجدر بنا أن نُصغي إلى سلمي. حين يقول لك بارستان الباسل أن تهرب فعلى الحصيف أن يعقد أربطة حذائه ويجري. الأفضل أن نجد سفينةً إلى (فولانتيس) والميناء لا يزال مفتوحًا».

أصاب مجرّد ذكر السفينة السير آرشيولد بالغيثان، وقال: «لا سفن ثانية. أفضل أن أرجع إلى (فولانتيس) متوثبًا على قدم واحدة».

(فولانتيس)، ثم (ليس)، ثم الوطن. أعودُ من حيث أتيتُ خالي الوفاض.

ثلاثة رجالٍ سُجعان ماتوا، ومن أجل ماذا؟

سيكون جميلًا أن يرى (الدّم الأخضر) من جديد، ويزور (صنسبير) و(الحداق المائية) ويتنفس هواء (يرونوود) الجبلي الطلق التّظيف بدلًا

من أبخرة (خليج النخاسين) الحارّة الرّطبة القدرة. يعلم كويتن أن أباه لن ينطق كلمة بتكيتٍ واحدة، لكنه سيرى خيبة الأمل في عينيه، وستهزأ به أخته وتسخر منه أفاعي الرّمال بابتساماتٍ حادّة كالسُّيوف، واللورد يرونوود -أبوه الثّاني- الذي أرسل معه ابنه ليحميه...

قال كويتن لصديقيه: «لن أبقىكما هنا. أبي كلّفني أنا وحدي بهذه المهمّة. ارجعا إلى الوطن إذا أردتما بأيّ وسيلةٍ تُريدان، أمّا أنا فباقٍ».

هزّ الرّجل الكبير كتفيه قائلاً: «إذن فأنا ودريتك باقيان أيضًا». في اللّيلة التّالية حضّر دنزو داهان إلى باب الأمير كويتن لإبلاغه بالشّروط. «سيلتقيك غدًا عند سوق التّوابل. ابحث عن بابٍ معلّم بزهرة لوتس أرجوانيّة. اطّرقه مرّتين واطلب الحرّيّة».

قال كويتن: «موافق. آرش وجيريس سيكونان معي. يُمكنه أن يجلب رجلين أيضًا، رجلين لا أكثر».

- «كما يرغب سمو الأمير». قيلت العبارة بأدب، لكن الغلّ شابّ نبرة دنزو، وتألّق التّهكّم في عيني الشّاعر المُحارب. «تعالوا عند الغروب، واحرصوا على ألاّ يتبعكم أحد».

خرج الدورنيون من (الهرم الأكبر) قبل ساعةٍ من الغروب تحسّبًا لسلوكهم منعطفًا خطأ أو مواجهتهم صعوبةً في العثور على زهرة اللوتس الأرجوانيّة، وقد تمنطق كل من كويتن وجيريس بحزام سيفه، وعلّق الرّجل الكبير مطرقتة الحرّيّة على ظهره العريض.

بينما شقوا طريقهم عبر زُقاقٍ مُنتن نحو سوق التّوابل القديمة قال جيريس: «لم يفتّ أوان التّخلّي عن هذه الحمّاقّة بعد». في الهواء رائحة بول، وبإمكانهم سماع ققعقة عجلتيّ عربيّة جُثث مؤطّرتين بالحديد في مكانٍ ما أمامهم. «اعتادَ بيل بون العجوز أن يقول إن ميريس الحسناء تستطيع أن تُطيل احتضار المرء قمرًا كاملًا. لقد كذبنا عليهم يا كويتن، استغللناهم للمجيء هنا، ثم انقلبنا إلى غريبان العاصفة».

- «كما أمّلت أوامرنا». تدخّل الرّجل الكبير قائلاً: «لكن الخِرقة لم يُردنا أن نقلب حقًا. فتَيانه الآخرون، السير أورسون وديك سترو وهنجرفورد وويل ابن (الغابة)، ما

زالت تلك الشّرذمة في ززانية ما بفضلنا. لا يُمكن أن شيئاً كهذا راقَ أمير الخرق كثيراً».

ردّ الأمير كويتن: «نعم، لكن الذهب يروقه».

ضحك جريس، وقال: «مؤسفٌ أننا لا نملك أيّ ذهب. هل تثق بهذا السّلام يا كوينت؟ أنا لا أثقُ به. نصف المدينة يدعو قاتل التّانين بالبطل والنّصف الآخر يبصق دماً إذا ذُكر اسمه».

قال الرّجل الكبير: «هارزو».

قطّب كويتن جبينه قائلاً: «كان اسمه هارجاز».

- «هيزدار، هامزوم، هاجناج، ما الفرق؟ أسميهم جميعاً هارزو. لم يكن قاتل تانين، وكلُّ ما فعله أنه انشوى وتفحّم».

- «كان شجاعاً». هل أتمتّع أنا بشجاعة مواجهة ذلك الوحش مسلحاً بحرية فقط؟

- «تعني أنه مات بشجاعة».

قال آرش: «مات صارحاً».

وضع جريس يداً على كتف كويتن، وقال: «حتى إذا عادت الملكة فستبقى متزوّجة».

قال الرّجل الكبير: «ليس إذا لطمتُ الملك هارزو لطمَةً صغيرةً بمطرقتي».

قال كويتن: «هيزدار، اسمه هيزدار».

قال آرش: «قُبلة واحدة من مطرقتي ولن يكثر أحد لاسمه».

إنهما لا يريان. لم يعد صديقه يدركان هدفهم الحقيقي هنا. الطّريق يمرُّ عبرها ولا يقود إليها. دنيرس وسيلة لبلوغ الجائزة لا الجائزة نفسها. «قالت لي إن للتّنين ثلاثة رؤوس، قالت: ليس زواجي نهاية آمالك كلّها بالضرورة. إنني أعلمُ لمَ جئتُ هنا، من أجل النّار والدّم. إن في عروقي دماء تارجارين، تعلمان هذا. يُمكنني أن أتبع نسبي إلى...».

قاطعهُ جريس: «سُحَقاً لنسبك. التّانين لن تُبالي بدمك إلّا لمذاقه فقط. لا يُمكنك أن تُروّض تنيّاً بدرس تاريخ. إنها وحوش لا مايسترات. كوينت، أهذا ما تُريد أن تفعله حقاً؟».

- «هذا ما عليّ أن أفعله... من أجل (دورن)، من أجل أبي، من أجل ويل وكليتوس والمايستر كدري».

قال جيريس: «إنهم موتى، لن يعبأوا».

- «موتى، ومن أجل ماذا؟ لآتي هنا وأنزّج ملكة التنانين. سمّاها كليتوس مُغامرةٌ كبرى، طُرق مسكونة بالشياطين وبحار عاصفة وفي النهاية أجمل امرأةً في العالم، حكاية نحكيها لأحفادنا. لكن كليتوس لن يُنجب أطفالاً أبداً ما لم يكن قد ترك نغلاً في بطن ساقية الحانة إياها التي أعجبته، ولن يعقد ويل قرانه أبداً. المفترض أن يكون لموتهما معنى ما».

أشارَ جيريس إلى جثةٍ مستندة بارتخاء إلى حائطٍ قرميد وتُحيط بها سحابة من الذباب الأخضر اللامع، وسأله: «هل كان لموته معنى؟».

رمى كويتن الجثة بنفور، وقال: «لقد ماتَ بالإسهال. ابقيا بعيداً عنه». الفرس الشاحبة ترمح داخل المدينة الآن. لا غرو أن الشوارع خالية إلى هذا الحد. «سيرسيل المُطهّرون عربة جُثثٍ تحمله».

- «بالتأكيد، لكن لم يكن ذلك سؤالي. حياة الإنسان لها معنى وليس موته. أنا أيضاً أحببتُ ويل وكليتوس، لكن هذا لن يُعيدهما إلينا. إنها غلطة يا كويتن. لا يمكنك أن تثق بالمرتزقة».

- «إنهم بشر كسائر البشر، يُريدون الذهب والمجد والسّطوة. هذا هو كلُّ ما أثقُ به». هذا وقدي. أنا أمير دورني، وفي عروقي دماء التّين.

كانت الشّمس قد غاصت وراء سور المدينة حين وجدوا زهرة اللوتس الأرجوانية مرسومةً على باب خشبي تبدو عليه آثار تقلب الأجرء، في مبنى واطئ من القرميد واقع في صفٍّ من المباني المشابهة في ظلِّ هرم رازدار العظيم بلونه الأصفر والأخضر. طرقتُ كويتن الباب مرّتين حسب التّعليمات، وأجاب صوت خشن من وراء الخشب مدمماً بشيءٍ ما غير مفهوم بلغة (خليج النّحاسين) الهجينة، ذلك الخليط القبيح من الجيسكارية والفاليريّة الفصحى. باللّغة نفسها أجاب الأمير: «الحرّيّة».

انفتح الباب ودخلَ جيريس أولاً على سبيل الحيطّة، وراه مباشرةً كويتن وبعده الرّجل الكبير في المؤخّرة. بالدّاخل الهواء ملبّد بدخانٍ مائل إلى الزرقة لا تُخفي رائحته العطرة تماماً روائح البول والتّبيذ الحامض واللحم الفاسد

الأقوى. تبدو المساحة أوسع كثيرًا مما بدت من الخارج، وتمتدُّ يمينًا ويسارًا إلى المباني الملاصقة. ما بدا دستةً من البنايات من الشارع استحالَّ إلى قاعةٍ طويلة واحدة بالداخل.

في هذه السَّاعة أقل من نصف المكان فقط ممتلئ، وحدج بعض الزبائن الدورنيين بنظرات الملل أو العداة أو الفضول، في حين اجتمع الباقون في طرف القاعة القصي حول حلبة يتقاتل فيها رجلان عاريان بالسكاكين وسط تهليل المتفرجين.

لم ير كويتن أثرًا للرجال الذين أتوا يُقابلونهم، ثم إن بابًا لم يلمحه من قبل انفتح وخرجت منه امرأة عجوز، مخلوقة ذابلة ترتدي توكارًا أحمر قانيًا مهدبًا بجماجم ذهبيَّة دقيقة، بشرتها بيضاء كحليب الفرس، وشعرها خفيف لدرجة أن فروة رأسها ظاهرة من تحته. قالت المرأة: «(دورن)، أنا زاهرينا، زهرة اللوتس الأرجوانيَّة. اذهبوا من هنا وستجدونهم»، وأمسكت الباب وأشارت لهم بالمرور.

وراء الباب سلالم خشبيَّة منحدره ملتوية. هذه المرَّة قادَ الرَّجل الكبير الطَّريق فيما تولَّى جيريس حراسة المؤخرة، وبينهما الأمير. قبو. الطَّريق إلى أسفل طويل ومظلم جدًّا حتى إن كويتن راح يتحسَّس هنا وهناك كي لا يسقط، وقرب القاع سحب السير آرشيولد خنجره.

خرجوا في قبو قريميد مساحته ثلاثة أضعاف الخمارة بالأعلى، وعلى مدى بصر الأمير تصطف رواقيد نبيذ خشبيَّة ضخمة عند الجدران، وقد علَّق قنديل أحمر من خُطافٍ داخل الباب مباشرةً، وتذبذبت شمعة سوداء من الشَّحم فوق برميل مقلوب يُستخدم كمنضدة، ولا ضوء آخر في المكان.

كان كأجو قاتل الجثث يمشي جيئةً وذهابًا إلى جوار رواقيد النبيذ وأراخه معلَّق على وركه، وتحتضن ميريس الحسناء نُشابيَّة وعيناها باردتان ميتين كحجرين رماديين. ما إن دخل الدورنيون أو صد دنزو داهان الباب، ثم وقف أمامه عاقدًا ذراعيه على صدره.

فكَّر كويتن: واحد أكثر من المفترض.

أمير الأسمال نفسه جالس إلى مائدة يحتسي كوبًا من النبيذ، يبدو شعره الفضيَّ الشائب في ضوء الشمعة الأصفر أقرب إلى الذهبي، ولو أن الكيسين

تحت عينيه يدوان ثقيلين كجرابي السرج، وقد ارتدى معطف مُسافرين من الصوف البني يلتمع تحته قميص معدني مفضّض. هل يدلُّ هذا على الخيانة أم -ببساطة- الحكمة؟ المرتزق العجوز مرتزق حذر. دنا كويتن من المائة قائلاً: «سيدي، تبدو مختلفاً من دون معطفك».

هزَّ الپنتوشي كتفيه، وقال: «زَيِّ المهترئ؟ شيءٌ حقير... لكن تلك الأسماك تملأ أعدائي خوفاً، وفي ميدان المعركة يُشجّع منظرها في الرّيح رجالي أكثر من أيِّ راية، وإذا أردتُ أن أتحرّك دون أن يلحظني أحد فما عليّ إلا أن أخلعها لأصبح تقليدياً لا ألفتُ الانتباه»، وأشار إلى الدّكة فبالته مستطرداً: «اجلس. بلغني أنك أمير. ليتني علمتُ. هل تُريد شراباً؟ زاهرينا تُقدّم الطّعام أيضاً. خبزها بائت ويختنها رديئة جداً، شحم وملح وقطعة أو اثنتان من اللحم. تقول إنه لحم كلاب، وأقول إن الجرذان احتمال أرجح. لكن طعامها لن يفتلك. لقد وجدتُ أن على المرء أن يحذر حين يكون الطّعام مغريباً فقط. دائماً يختار المسمّمون أشهى الأطعمة».

علّق جبريس بشيءٍ من الصّرامة في نبرته: «جلبت ثلاثة رجال. اتّفقنا على اثنين لكلِّ طرف».

- «ميريس ليست رجلاً. ميريس يا عزيزتي، حلّي قميصك وأريه».

قال كويتن: «لا داعي». إذا صحَّ ما سمعته فليس تحت هذا القميص إلاّ النّدوب التي تركها لميريس الرجال الذين قطعوا ثديها. «ميريس امرأة، أوافقك، لكنك حرّفت الشروط رغم ذلك».

- «سجل محرّف أنا، يا لي من شقي. أقرُّ بأن ثلاثة إلى اثنين ليسوا أفضلية كبيرة، ولكن أفضل من لا شيء. في هذا العالم على المرء أن يتعلّم أن ينتهز النعم التي تختار الآلهة أن تُرسلها إليه. إنه درس تعلّمته لقاء ثمن، وأقدمه إليك دلالة على حُسن النية»، وعاد الپنتوشي يُشير إلى الدّكة مواصلاً: «اجلس وقُل ما جئت لتقوله. أعدُ بأنني لن أقتلك حتى أسمع ما لديك. أقل ما يمكنني أن أفعله لأمير زميل. كويتن، أليس كذلك؟».

- «كويتن سليل عائلة مارتل».

- «الصفدع يُناسبك أيضاً. ليس من عاداتي الشرب مع الكاذبين والمتهريين، لكنك أثرت فضولي».

جلسَ كويتن مفكِّراً: كلمة واحدة خطأ ويتحوَّل الموقف إلى حمام دم في غمضة عين. «أطلبُ منك أن تغفر لنا خداعنا. السفن الوحيدة المبحرة إلى (خليج النخاسين) كانت تلك المستأجرة لجلبكم إلى الحرب».

مرَّةً أخرى هزَّ أمير الأسمال كتفيه، وقال: «لكلِّ مارِقِ حكايته. لستم أول من يتعهد لي بسيفه ويأخذ مالي ويفرُّ. لكلِّ منهم أسباب. ابني الصَّغير مريض، أو زوجتي تُركَّب لي قرنين، أو الرِّجال الآخرون يجعلونني أمصُّ قضبانهم. فتى فاتن هذا الأخير، لكن هذا لم يكن عُذراً لتهرُّبه. واحد آخر قال لي إن طعامنا رديء لدرجة أنه اضطرَّ إلى الفرار قبل أن يُمرضه، فأمرتُ بقطع قدمه وجعلتهم يشوونها ويُطعمونه إياها، ثم عيَّنته طبَّاحاً في جماعتنا، وتحسَّنت وجباتنا بوضوح، ولمَّا انتهت مُدَّة عقده وقَّع آخر. أمَّا أنت... كثيرون من أفضلِ رجالي محبوسون في زنازين الملكة بفضل لسانك الكاذب هذا، وأشكُّ في أنك تُجيد الطبخ حتى».

قال كويتن: «إنني أمير دورني، واجبي لأبي وشعبي. كان هناك اتِّفاق زواج سرِّي».

- «سمعتُ هذا، وعندما رأت الملكة الفضيَّة ورقتك ألقَّت نفسها في أحضانك».

قالت ميريس الحسناء: «لا».

قال أمير الأسمال: «لا؟ أوه، تذكَّرتُ. عروسك طارت على ظهر تنين، أليس كذلك؟ حسن، حين تعود احرص على دعوتنا إلى عرسكما. سيحبُّ رجال الجماعة أن يشربوا نخب سعادتكما، وعن نفسي أحبُّ الزِّفافات الوستروسية حقاً، خصوصاً الإضجاع، لكن... أوه، مهلاً...»، والتفت إلى دنزو داهان قائلاً: «دنزو، ظننتك أخبرتني بأن ملكة التنانين تزوجت رجلاً جيسكارياً ما».

- «إنه نبيل ميرينيزي، ثري».

عادَ أمير الأسمال يلتفت إلى كويتن قائلاً: «أيَعقل أن هذا صحيح؟ مؤكَّد لا. ماذا عن اتِّفاق الزَّواج؟».

قالت ميريس الحسناء: «لقد ضحكَّت منه».

لم تضحك دنيرس قطُّ. قد تراه بقيَّة (ميرين) تُحفَّة مسلِّيَّة كأمر (جُزر

الصَّيْف) المنفي الذي احتفظَ به الملك روبرت في (كينجز لاندنج)، لكن الملكة خاطبته بدمائةٍ دوماً. «وصلنا متأخرين».

قال أمير الأسمال: «مؤسفٌ أنكم لم تصلوا والفرصة سانحة»، ورشفَ من نبيذه، ثم تابع: «إذن... لا زفافٌ للأمير الصُّفدع. ألذا عدت إليّ متقافراً؟ هل قرّر فتَياني الدورنيون الشُّجعان التزام عقودهم؟».

- «لا».

- «مُغيظ هذا».

- «يوركاز زو يونزاك مات».

- «خبر قديم. لقد رأيتَه يموت. المسكين رأى تينياً وتعثر وهو يُحاول الهرب، وداسه ألف من أصدقائه المقرَّبين. لا مرأى أن المدينة الصُّفراء غارقة في الدُموع. هل طلبت لقائي لنشرب نخباً في ذكراه؟».

- «لا. هل اختارَ اليونكيون قائداً جديداً؟».

- «لم يتوصَّل مجلس الأسياد إلى اتفاق. يزان زو كاجاز حظي بالدعم الأكبر لكنه مات بدوره. الأسياد الحكماء يتداولون القيادة العليا فيما بينهم. قائدنا اليوم هو من لقبه أصدقاؤكم في صفوف الجماعة بالغازي السكَّير. غداً سيكون اللورد الرِّجراج».

قالت ميريس: «الأرب. الرِّجراج كان أمس».

- «أعترفُ بخطي يا حلوتي. أصدقاؤنا اليونكيون تفضَّلوا بتزويدنا بجداول. عليّ أن أجتهد أكثر في الرجوع إليه».

- «يوركاز زو يونزاك هو من استأجركم».

- «وقع عقدنا نيابةً عن مدينته، بالضبط».

- «(ميرين) و(يونكاي) تعاهدتا على السَّلام. سيرْفَع الحصار وتُصرف الجيوش. لا معركة، لا مذبحه، لا مدينة تُنهب وتُسلب».

- «الحياة ملأى بخيبات الأمل».

- «كم في رأيك سيظلُّ اليونكيون يدفعون أجور أربع جماعاتٍ حرَّة؟».

أخذَ أمير الأسمال رشفةً من النبيذ، وقال: «سؤال مزعج، لكن هذا هو أسلوب حياة رجال الجماعات الحرَّة. تنتهي حرب فتبدأ أخرى. لحسن الحظ أن أحداً ما يُقاتل أحداً ما في مكانٍ ما دوماً، ربما هنا. الآن بينما نحن

جالسون نشرب يحثُّ ذو اللّحية الدّمويّة أصدقاءنا اليونكيّين على تقديم رأسٍ آخر للملك هيزدار. المعتقون والنّخاسون يتبادلون النّظر إلى رقاب بعضهم بعضًا ويشحذون سكاكينهم، وأبناء الهاربي يتأمرون في أهرامهم، والفرس الشّاحبة تدعس العبيد والأسياذ على حدِّ سواء، وأصدقاؤنا من المدينة الصّفراء يتطلّعون إلى البحر، وفي مكانٍ ما في أراضي الكلاّ يلتهم تنين لحم دنيرس تارجارين الطّري. من يحكّم (ميرين) اللّيلة؟ من سيحكّمها غدًا؟، وهزّ البتوشي كتفيه مضيّفًا: «شيء واحد أعلمه يقينًا، أحدهم سيحتاج إلى سيفنا».

- «أنا محتاج إلى هذه السّيوف. (دورن) ستستأجركم».

نظر أمير الأسمال إلى ميريس الحسناء، وقال: «لا تعوزه الجسارة هذا الصّفدع. أعليّ أن أدكره؟ أميرى العزيز، آخر عقدٍ وقّعناه مسحت به مؤخرتك الوردية الغصّة».

- «سأضعف ما يتقدّم إياه اليونكيّون أيّا كان».

- «وتدفع ذهبًا بمجرد توقيع العقد، أليس كذلك؟».

- «سأدفع لكم جزءًا حين نصل إلى (فولانتيس)، والبقية حين أرجع إلى (صنسيير). لقد جلبنا معنا ذهبًا عندما أبحرنا، ولكن لكان إخفاؤه صعبًا عند التحاقنا بالجماعة، فأعطيناه للمصارف. يُمكنني أن أريك الأوراق».

- «آه، الأوراق. لكنك ستدفع لنا الضّعف».

قالت ميريس: «أي ضعف الأوراق».

قال كويتن بإصرار: «ستحصلون على البقية في (دورن). أبيع رجل شريف. إذا وضعتُ خمتي على اتّفاقٍ فسيفي بشروطه. لك كلمتي».

أنهى أمير الأسمال نبذه وقلّب كوبه ووضعَه بينهما، وقال: «طيّب، دعني أرى إن كنتُ أفهمُ. كاذب وحانث بالقسم يُريد أن يتعاقد معنا ويدفع لنا بالعود. ومقابل أيّ خدمةٍ يا ترى؟ هل تُريد أن يُحطّم مدرؤوي اليونكيّين وينهبوا المدينة الصّفراء؟ يهزموا غالاسارًا من الدوثراكي في ميدان المعركة؟ يصحبوك إلى أبيك في الوطن؟ أم أنك ستقنع بأن تُوصّل الملكة دنيرس إلى فراشك مبتلةً رغبةً؟ اصدقني القول أيها الأمير الصّفدع، ماذا تُريد مني أنا ورجالي؟».

- «أريدُ مساعدتكم في سرقة تينين».
قهقهة كاجو قاتل الجُثث، ولوت ميريس الحسنا شفتها في ابتسامه صغيرة،
وأطلق دنزو داهان صغيراً.
أمّا أمير الأسمال فتراجع في مقعده فقط، وقال: «الضعف ليس ثمنًا يليق
بالتنانين يا أميري الصغير. حتى الضفادع المفروض أن تعرف هذا. التنانين
باهظة الثمن، وعلى من يدفعون بالوعود فحسب أن يتمتعوا بالعقل ويعدوا
بما هو أكثر».
- «إذا أردتني أن أضعاف الثمن ثلاثاً...».
قاطعَه أمير الأسمال: «ما أريده... هو (پنتوس)».



الجريفين مولودًا من جديد

أرسل الرُّماة أولاً.

يقود بالاك الأسود ألف قوس. في شبابه كان چون كوننجتون يُشارك أكثر الفرسان احتقارهم للقواسين، لكن المنفى زاده عقلاً وحكمةً. على طريقته الخاصة السهم مميت كالسيف، وهكذا أصرَّ قبل بدء رحلتهم الطويلة أن يقسم هاري ستريكلاند الشريد قيادة بالاك إلى عشر مجموعاتٍ من مئة رجل ويضع كل مجموعةٍ على سفينةٍ مختلفة.

ستُّ من هذه السفن ظلت معًا حتى أنزلت راعيها على سواحل (رأس الغضب)، في حين تخلفت الأربع الأخريات لكنهن سيصلن في النهاية كما يُؤكِّد الثولانتينيون، وإن كان جريف يرى أن احتمال ضياعهن أو رسوهن في مكانٍ آخر قائم أيضًا، وهو ما ترك ستمئة قوس للجماعة، ولأجل هدفهم هذا أتضح أن مئتي قوس تكفي. قال لبالاك الأسود: «سيحاولون إرسال غدفان. راقبوا بُرج المايستر، هنا»، وأشار إلى الخارطة التي رسمها في طين معسكرهم مضيفًا: «أسقطوا كلَّ طائرٍ يخرج من القلعة».

ردَّ رجل (جزر الصيف): «هذا نفعله».

استخدم ثلث رجال بالاك النشابات، وثلثهم أقواس الشرق مزدوجة المنحني المصنوعة من القرون والأوتار. أفضل من هذه الأقواس الطويلة الكبيرة المصنوعة من خشب الطقسوس التي يحملها الرُّماة ذوو الدماء الوستروسيّة، والأفضل على الإطلاق الأقواس العظيمة المصنوعة من

القلب الذهبى⁽¹⁾ ويعزُّها بالاك الأسود نفسه وخمسون من رجاله أبناء (جُزر الصَّيف). وحده قوس من عظم التَّنانين من شأنه أن يبزَّ قوسًا من القلب الذهبى في طول المدى. أيًا كانت الأقواس التي يحملونها فجميع رجال بالاك يتمتعون بالحنكة والبصر الحاد وأثبتوا كفاءتهم في مئة معركة وغازة ومناوشة، وأثبتوها ثانيةً في (وكر الجرافن).

ترتفع القلعة على سواحل (رأس الغضب) فوق جُرفٍ شاهق من الصَّخر الأحمر القاني، محاط من ثلاث جهاتٍ بمياه (خليج السُّفن الغارقة) الجيَّاشة. يُدافع عن المسلك الوحيد إليها مبنى بُوابةٍ يقع وراءه نتوء طويل عارٍ يُسمِّيه آل كوندجتون «حلق الجريفين»، ومن شأن محاولة اجتياز هذا الحلق بالقوَّة أن تُكلِّف المهاجمين كثيرًا من الدِّماء، لأنَّ النتوء يكشفهم لِحِرابٍ وحجارةٍ وسهام المدافعين من البرجين الدَّائريين. على جانبي بُوابة القلعة الرِّئيسة، وما إن يبلِّغوا تلك البُوابة يستطيع الرِّجال بالدَّاخل أن يصبُّوا الزَّيت المغلي على رؤوسهم.

توقع جريف أن يخسروا مئة رجلٍ أو أكثر.
وخسروا أربعةً.

سمح المدافعون عن القلعة للغابة بالطُّغيان على الحقل الواقع وراء مبنى البُوابة، فتمكَّن فرانكلين فلاورز من استغلال الدَّغل في إخفاء رجاله وقيادتهم حتى مسافة عشرين ياردةً فقط من البُوابة، قبل أن يخرُجوا من بين الأشجار بالمدكِّ الذي صنعوه في المعسكر. جلب ارتطام الخشب بالخشب رجلين إلى الشُّرفة، وأسقطهما رُماة بالاك الأسود قبل حتى أن يقرُّكا أعينهما من آثار النُّوم. اتَّضح أن البُوابة مغلقة ولكن غير موصدة، وانفتحت مع الضربة الثانية، وبلغ رجال السير فرانكلين منتصف الحلق قبل أن يدوِّي بوق حربي بالإنذار من داخل القلعة.

حلق الغُداف الأول فيما ألقوا خطاطيفهم على السُّور الواقى، والثاني بعد لحظاتٍ قليلة، ولم يبتعد كلاهما أكثر من مئة ياردة قبل أن يسقطه سهم. قلب حارس بالدَّاخل دلواً من الزَّيت على أول رجلٍ بلغ البُوابة، لكن بما أنه لم

(1) القلب الذهبى نوع من الخشب الممتاز النَّادر يأتي من (جُزر الصَّيف). (المترجم).

يجد وقتاً لتسخينه فقد أحدث الدلو نفسه ضرراً أكبر من محتوياته، وسرعان ما ارتفع صليل السيوف من غير موضع في الشرفات. عبر رجال الجماعة الدّهية من الثلمات وانطلقوا على ممشي الأسوار هاتفين: «جريفين! جريفين!»، صيحة الحرب العتيقة المميّزة لعائلة كوننجتون، وهو ما زاد المدافعين ارتباكاً بالتأكد.

انتهى الأمر خلال دقائق. قطع جريف الحلق على متن جوادٍ حربي أبيض إلى جوار هاري ستريكلاند الشريد، وإذ اقترباً من القلعة رأياً غداً ثالثاً يطير من برج المايستر، فقط ليسقطه بالاك الأسود نفسه. في الساحة أخبر السير فرانكلين فلاورز: «لا مزيد من الرسائل»، فكان الشيء التالي الذي طار من برج المايستر هو المايستر نفسه، وبدا من الطريقة التي رفرفت بها ذراعاها كأنه طائر آخر.

وضِع هذا نهايةً للمقاومة كلّها. ألقى الحُرّاس المتبقون حِرابهم، وبهذه السرعة عادت له (وكر الجرافين) وعادَ چون كوننجتون إلى مصاف اللوردات. قال جريف: «سير فرانكلين، مشط الحصن والمطابخ وأخرج كل من تجد. مالو، افعل المثل في برج المايستر ومستودع السلاح. سير برندل، الاسطبلات والسبيت والثكنات. أخرجوا الجميع إلى الساحة وحاولوا ألا تقتلوا أحداً لا يصرُّ على الموت. إننا نريد الظفر بأراضي العواصف، ولن نُحقق ذلك بالتذبيح. احرصوا على البحث تحت مذبح (الأم)، فتحته سلم خفي يقود إلى المخبأ السري، وهناك آخر تحت البرج الشمال غربي يقود إلى البحر مباشرة. لا تسمحوا لأحدٍ بالهرب».

قال فرانكلين فلاورز بحزم: «لن يهرب أحداً يا سيدي». شاهدهم كوننجتون يهرعون لتنفيذ الأوامر، ثم أشار إلى النصف مايستر قائلاً: «هالدون، تول أمر المغدفة. عندي رسائل سأرسلها الليلة».

- لنأمل أنهم تركوا لنا بضعة غدافان».

حتى هاري الشريد أثارَت إعجابه سرعة نصرهم. «لم أحسب قط أن يتم الأمر بهذه السهولة». قالها القائد العام إذ دخلا القاعة الكبرى لإلقاء نظرة على كرسي الجريفين المذهب المنقوش الذي جلس وحكم من عليه خمسون جيلاً من عائلة كوننجتون.

- «سيزداد الأمر صعوبةً. حتى الآن أخذناهم على حين غرّة، لكن ذلك لن يستمرّ إلى الأبد، حتى إذا أسقط بالاك الأسود كلَّ عُدافٍ في البلاد».

تفحص ستريكلاند المعلّقات الباهتة على الجُدُران، والنوافذ المقنطرة بألواحها العديدة من الرّجاج ذي الشّكل الماسي الملّون بالأحمر والأبيض، ورفوف الحراب والسُّيوف والمطارق الحرّيبّة، وقال: «دعهم يأتون. يُمكن لهذا المكان أن يصمُد أمام عشرين ضعف أعدادنا ما دامت عندنا مؤن كافية. وتقول إن هناك طريقاً للدُّخول والخروج من البحر؟».

- «بالأسفل. كهف خفي أسفل الجُرف لا يظهر إلّا عند الجَزَر». على أن كوننجتون لا ينوي أن يدعهم يأتون». (وكر الجرافن) قويّة لكن صغيرة، وما داموا لابثين هنا فسيبدون صغاراً أيضاً. لكن هناك قلعةً أخرى قريبة، قلعة أكبر كثيراً مشهورةً بمناعتها. إن أخذتها زلزلت البلاد. «بعد إذنك أيها القائد العام، السيّد والدي مدفون تحت السّبت، ومرّت سنوات كثيرة جداً منذ دعوتُ له».

- «بالطّبع يا سيّدي».

لكن حين افترقا لم يذهب چون كوننجتون إلى السّبت، بل فادته خطاه إلى سطح البُرج الشّرقي، أطول أبراج (وكر الجرافن)، وفي الطّريق إلى أعلى تذكر مرّاتٍ أخرى عرّج فيها على هذه السّلام، مئة مرّة مع السيّد والده الذي أحبّ الوقوف والتّطلع إلى الغابة والجروف والبحر عالمًا أن كل ما يراه ينتمي إلى عائلة كوننجتون، ومرّة (مرّة واحدة!) مع ريجار تارجارين. كان الأمير ريجار عائداً من (دورن)، ومكث هو ومجموعته المصاحبة هنا أسبوعين. كان صغيراً للغاية آنذاك، وأنا أصغر. صبيّين كنا. في مأدبة الاستقبال أمسك الأمير قيثارته ذات الأوتار الفضيّة وغنّى لهم. أغنية عن الحُبّ والفناء، وعندما وضع قيثارته كانت كل امرأةٍ في القاعة تبكي. ليس الرّجال بالطّبع، بالذّات السيّد والده الذي كانت الأرض محبوبته الوحيدة. أمضى اللورد آرموند كوننجتون الأمسيّة كلّها محاولاً كسب الأمير إلى صفّه في نزاع مع اللورد موريجن.

كان الباب المفضي إلى السّطح محشوراً لدرجته تقول بجلاءٍ إن أحداً لم يفتحه منذ سنين، واضطرّ إلى دفعه بكتفه ليفتحه عنوةً، لكن حين خرج چون كوننجتون إلى الشّرفة وجدّ المشهد خلّاباً كما يذكّره تمامًا؛ الجُرف بصخوره التي نحتتها الرّياح وقممها المحرّزة، وأمواج البحر بالأسفل تتناطح وتهش

قدم القلعة كوحش لا يكلُّ، و فراسخ بلا نهاية من السَّماء والسَّحاب، والغابة بألوانها الخريفية. حيث يقف چون الآن وقفَ ريجارٍ وقال: «أراضي أبيك جميلة»، فردَّ الصَّبي الذي كانه: «يوماً ما ستكون لي كلها». كأن من شأن هذا أن يُثير إعجاب أمير هو وريث البلاد بأسرها من (الكرمة) إلى (الجدار).

صارت (وكر الجرافن) له في النهاية، ولو أن ذلك لم يدم أكثر من أعوام قصيرة. من هنا حكم چون كونجتون أراضي واسعة تمتد فراسخ لانهاية إلى الغرب والشمال والجنوب، تماماً مثل أبيه وجدّه من قبله... إلا أن أباه وجدّه لم يفقدا أراضيها قط، أمّا هو ففقدّها. شمختُ عاليًا جدًّا ووقعتُ في الغرام جدًّا وجرؤتُ على الكثير جدًّا. حاولتُ أن أختطف نجماً من السَّماء وتجاوزتُ قدرتي وسقطتُ.

بعد معركة الأجراس، عندما جرّده إيرس تارجارين من ألقابه وأرسله إلى المنفى في نوبة مجنونة من الشكّ والجحود، ظلت الأراضي واللوردية لعائلة كونجتون، أيلة إلى السير رونالد ابن عمّه، الرّجل الذي عينه چون أميناً للقلعة لدى ذهابه إلى (كينجز لاندنج) تلبية لدعوة الأمير ريجار. بعد الحرب أتمّ روبرت تدمير الجرافن. سُمح لرونالد ابن العم الاحتفاظ بالقلعة ورأسه، لكنه خسّر اللوردية ليمسي منذ ذلك الحين فصاعداً فارس (وكر الجرافن) فقط، وأخذت منه تسعة أعشار أراضيهِ ووُزعت على اللوردات المجاورين الذين دعموا روبرت في دعواه.

مات رونالد كونجتون قبل أعوام، ويُقال إن فارس (وكر الجرافن) الحالي -ابنه رونيت- غائب في الحرب في أراضي النهر. هذا أفضل، فطبّقاً لخبرة چون كونجتون يُقاتل الناس دفاعاً عن الأشياء التي يرونها ملكهم، بما في ذلك الأشياء التي اكتسبها بالسرقة، ثم إنه لم يكن يستمرى فكرة الاحتفال بعودته بقتل واحد من أقاربه. صحيح أن أبا رونيت الأحمر لم يتردّد في استغلال سقوط ابن عمّه اللورد، لكن ابنه كان طفلاً في ذلك الحين. لا يكره چون كونجتون السير رونالد الرّاحل للدرجة التي تتوقّعها حتى، فالغلطة غلطته.

في (السّبت الحجري) أفقده غروره كلّ شيء.

كان روبرت باراثيون مختبئاً في مكان ما في البلدة، جريحاً وحيداً، وعرف

چون كوننجتون هذا، كما عرفَ أن رأس روبرت على حرية سيضع نهايةً للتمرّد في التوّ واللحظة. كان شاباً ومفعماً بالكبرياء. وكيف لا؟ لقد سمّاه الملك إيرس يداً وأعطاه جيشاً، وعزمَ هو على إثبات جدارته بهذه الثقة، وبحبّ ريجار. سيقتل اللورد المتمرّد بيده ويقطع مكاناً لنفسه في كلّ تواريخ (الممالك السبع).

وهكذا ذهبَ إلى (السبت الحجري) وطوّق البلدة وبدأ البحث. من منزل إلى منزل ذهبَ فُرسانه وحطّموا كلّ بابٍ وفتّشوا كلّ قبو، بل وأرسلَ رجالاً يزحفون في البالوعات، وعلى الرغم من هذا ضلّله روبرت. كان أهالي البلدة يُخفونه وينقلونه من مخبأ سرّي إلى مخبأ سرّي سابقين رجال الملك بخطوة كلّ مرّة. كانت البلدة بأكملها عُشّاً للخونة، وفي النهاية خبأوا الغاصب في ماخور. أيّ ملكٍ هذا الذي يختبئ وراء تنابير النساء؟ وبينما تواصلَ البحث وطالَ باغتهم إدارد ستارك وهوستر تلي بجيشٍ من المتمرّدين، وتبعَت هذا الأجراس والمعركة، وخرجَ روبرت من الماخور بسيفٍ في يده، وكادَ يقتل چون نفسه على عتبة السبت القديم الذي استمدّت البلدة منه اسمها.

طوال سنواتٍ بعدها قال چون كوننجتون لنفسه إن لا تثريب عليه، إنه فعلَ كلّ ما يُمكن لأيّ رجل أن يفعله. جنوده فتّشوا كلّ حُفرة وكوخ، وعرضَ هو أعفَاءً ومكافآت، وأخذَ رهائن وعلّقهم في أقفاصِ غربان⁽¹⁾ وأقسمَ أنهم لن يأكلوا أو يشربوا حتى يأتيه أحد بروبرت، وكلّ هذا بلا طائل. ذات ليلة في عامه الأول في المنفى قال للقلب الأسود بإصرار: «لم يكن تايوين لانستر نفسه ليستطيع أن يفعل أكثر».

ردّ مايلز توين: «في هذا جانبك الصّواب. لم يكن اللورد تايوين ليُكلّف نفسه عناء البحث، بل كان ليُحرق تلك البلدة وكل مخلوق حي فيها، الرّجال والصّبية والرّضع، والفُرسان النّبلاء والسّبتونات المبجّلين، والخنازير والعاهرات، والجرذان والمتمرّدين. كان ليُحرقهم عن بكرة أبيهم، وبعد

(1) أقفاص الغربان وسيلة قديمة للإعدام أو التّشهير ترجع في عالم الواقع إلى ما قبل الميلاد، فكان المجرمون يُحبسون في أقفاص ضيقة للغاية من الحديد تشهيرا بهم أمام العوام، أو يُشنقوا أو يُتركو ليموتوا جوعاً وعطشاً ليكونوا عبرة. (المترجم).

أن تهمد النَّار ولا يتبَقَّى إِلَّا الجمر والرَّمَاد كان ليرسل رجاله ليجدوا رُفات روبرت باراثيون، ولاحقاً عند وصول ستارك وتلي بجيشهما كان ليعرض على الاثنيْن العفو، وكانا ليقبلا ويعود كلُّ منهما إلى دياره وذيله بين ساقيه». مائلاً على سور شُرْفَة أسلافه قال چون كوننجتون لنفسه متأملاً: لم يكن مخطئاً. لقد أردتُ الظفر بمجد قتل روبرت في نزالٍ فردي ولم أرد أن أسمى سفايحاً، ففرّ مني روبرت وقتك بريجار في معركة (الثالوث)، ثم قال بصوتٍ مسموع: «خذلتُ الأب لكنني لن أخذل الابن».

لدى نزوله كان رجاله قد جمعوا حامية القلعة والعوام النَّاجين في السَّاحة. على الرغم من أن السير رونيت غائب في مكانٍ ما شمالاً بالفعل مع چايمي لانستر فإن (وكر الجرافين) ليست خالية تماماً من الجرافين. بين الأسرى شقيق رونيت الصَّغير رايموند وأخته الأيْني وابنه الطَّبِيعي، وهو صبي شرس أحمر الشَّعر اسمه رونالد ستورم. سيكونون رهائن مفيدين جميعاً إذا عادَ رونيت الأحمر وحاولَ استرداد القلعة التي سرقها أبوه. أمرَ كوننجتون بوضعهم تحت الحراسة في البرج الغربي، فأجهشت الفتاة بالبكاء، وحاولَ النغل أن يعضَّ أقرب حاملي الحراب إليه، لكنه خاطبهما بحدَّة قائلاً: «كفى أنتما الاثنان. لن يمسَّ أيكم ضرر ما لم يتضح أن رونيت الأحمر أحمق كبير». قلائل من الأسرى كانوا في الخدمة هنا وقت أن كان چون كوننجتون سيّد القلعة؛ رقيب مسنٌّ إحدى عينيه عمياء، وغسَّالتان، وسائس كان عامل اسطبلٍ إبَّان ثورة روبرت، والطَّاهي الذي ازدادَ وزنه كثيراً، وحدَّاد القلعة. أطلقَ جريف لحيته خلال الرِّحلة البحريَّة للمرَّة الأولى منذ سنواتٍ عدَّة، ولدهشته نما معظمها أحمر، ولو أن هنا وهناك يظهر القليل من الرَّمَاد وسط النَّار. مرتدياً سِترةً طويلةً من الأحمر والأبيض مطرزةً بالجريفيْنين التَّوأمين المتواجهين رمز عائلته، يبدو كوننجتون نُسخةً أكبر سنّاً وأشدَّ صرامةً من اللورد الشَّاب الذي كان صديق الأمير ريجار ورفيقه... إلا أن أعين رجال ونساء (وكر الجرافين) رمقته كأنه غريب.

أخبرهم: «بعضكم سيعرف من أنا وبعضكم سيُدرك هذا. أنا سيّدكم الشَّرعي العائد من المنفى. أعدائي قالوا لكم إنني متُّ، لكن كلامهم مكذوب كما ترون. اخذموني بإخلاصٍ كما خدمتم ابن عمِّي ولن يُصيب أيكم أذى».

أمرهم بالتَّقدُّمِ واحدًا تلو الآخر وسألَ كلاً منهم عن اسمه ثم قال له أن يركع ويُقسِمَ له على الولاء، ولم يستغرق هذا طويلاً. لم يتبقَّ من جنود الحماية إلا أربعة، الرقيب الشيخ وثلاثة فتية، وقد وضعوا سيوفهم عند قدميه وأقسموا. لم يُناوئه أحد، ولم يَمُت أحد.
ليلتها أكل المنتصرون وليمةً من اللحوم المشوية والأسماك الطازجة، وشربوا نبيذاً أحمر فاخراً من أقبية القلعة. ترأس چون كوننجتون الجلسة من على كُرسي الجريفيين متقاسماً المائدة العالية مع هاري ستريكلاند الشريد وبالانك الأسود وفرانكلين فلاورز والجرايفن الثلاثة الصغار الذين أسروهم. الأطفال من دمه وشعره أن عليه أن يعرفهم، لكن حين أعلن النغل: «سيقتلك أبي» قرَّر كوننجتون أنه عرفهم بما فيه الكفاية وأمرَ بعودتهم إلى محبسهم واستأذنَ في الانصراف.

غاب هالدون النصف مايستر عن المأدبة، ووجدَه اللورد چون في بُرج المايستر منكباً على كومةٍ من الأوراق والخراط المتناثرة حوله. سأله كوننجتون: «تأمل أن تُحدِّد أين بقيَّة الجماعة؟»
- «ليتني أستطيعُ يا سيدي».

عشرة آلاف رجل أبحروا من (فولون ثيريس) بكامل أسلحتهم وخيولهم وأفيالهم، وحتى الآن لم يصل نصف هذا العدد إلى (وستروس) في بقعة الرسو المنتواة أو قُربها، مساحة مهجورة من السَّاحل على حافة (الغابة المطيرة)... الأراضي التي يعرفها چون كوننجتون جيِّداً منذ كانت ملكه.
قبل أعوام قليلة ما كان ليجرؤ على الرسو في (رأس الغضب)، إذ كان لوردات العواصف شديدي الإخلاص لعائلة باراثيون والملك روبرت، لكن بعد مقتل روبرت وأخيه رنلي تغيَّر كلُّ شيء. ستانيس رجل أفسى وأبرد من أن يُلهم النَّاس الإخلاص، حتى لو لم يكن في آخر العالم، وليست عند أراضي العواصف أسباب تدعو لمحبةٍ عائلة لانستر. ثم إن چون كوننجتون ليس معدوم الأصدقاء هنا. سيتذكَّرني بعض اللوردات الأكبر سناً، ومؤكد أن أبناءهم سمعوا القِصص ويعرف كل منهم ما جرى لريجار وابنه الرضيع الذي هشموا رأسه على حائطٍ حجري بارد.
من حُسن طالعِه أن سفينته كانت من أولى السفن التي بلغت وجهتها،

وبعدها كانت فقط مسألة إقامة معسكرٍ وحشد رجاله إذ ترجلوا من سفنهم والحركة سريعاً قبل أن يُدرك اللوردات المحليون خطرهم، وفي هذا أثبتت الجماعة الذهبية همتها وجلدها، فلم يروا لمحةً من الفوضى التي كانت لتعطل زحفهم حتماً بجيشٍ محشود على عجلةٍ من فرسان أهالي البيوت والجنود المحليين. هؤلاء ورثة الفولاذا الأليم، والانضباط عندهم كلبن الأم. قال اللورد چون: «يُفترض في مثل هذا الوقت غداً أن نكون مسيطرين على ثلاث قلاع». تُمثل القوة التي أخذت (وكر الجرافن) رُبع فُواتهم المتاحة، في حين تحرك السير تريستان ريفرز إلى مقرِّ عائلة موريجن في (عُش الغربان)، ولازويل بيك إلى معقل عائلة وايلد في (دار المطر)، كل منهما بالعدد نفسه من الرجال. ظل باقي رجالهم في المعسكر لحماية موقع الرسو والأمير تحت قيادة جوريس إدوريان أمين نقد الجماعة. يأمل أن تستمر أعدادهم في الزيادة، فكل يوم تصل سفن جديدة. «ما زالت خيولنا قليلة للغاية».

قال النصف مايستر يُذكره: «ولا أفيال». ولا واحد من الأكواج العظيمة التي تحمل الأفيال وصل بعد. آخر مرة رأوها كانت في (ليس) قبل العاصفة التي بعثرت نصف الأسطول. «الخيول موجودة في (وستروس)، لكن الأفيال...».

- «... لا تهم». لا شك أن الحيوانات العظيمة مفيدة في معركةٍ يستعدُّ لها كلا الجيشين، لكنهم لن يستعدوا للقاء أعدائهم في الميدان قبل مُدَّة. «هل أخبرتك هذه الأوراق بشيءٍ مفيد؟».

منحه هالدون ابتساماً رفيعةً، وأجاب: «أوه، الكثير يا سيدي. آل لانستر يصنعون الخصوم بسهولةٍ لكن يبدو أنهم يجدون صعوبةً في الحفاظ على الأصدقاء. حلفهم من آل تايرل يتآكل حسب ما قرأته هنا. الملكة سرسي والملكة مارچري تتصارعان على الملك الصَّغير ككلبتين تتشاجران على عظمة دجاجة، وكلتاها متَّهمة بالخيانة والفسق. مايس تايرل تخلى عن حصار (ستورمز إند) ليزحف على (كينجز لاندنج) ثانيةً ويُنقذ ابنته، وترك قوَّة محدودةً لحبس رجال ستانيس داخل القلعة».

جلس كوينجتون، وقال: «أخبرني بالمزيد».

- «في الشمال يعتمد آل لانستر على آل بولتون، وفي أراضي النهر على

آل فراي. كلتاها عائلة شهرتها بالخيانة والوحشية ضاربة في القدم. ما زال اللورد ستانيس باراثيون في تمرّد مفتوح، وحديدو الميلاد أولاد الجُزر انتخبوا ملكاً بدورهم. لا أحد يذكُر (الوادي) على الإطلاق، وهو ما يدل لي على أن آل آرن لم يُشارِكوا في شيء من هذا».

- «و(دورن)؟». (الوادي) بعيد، أمّا (دورن) فقريبة.

- «ابن الأمير دوران الصّغير خطبَ مارسلا باراثيون، وهو ما يُوحى بأن الدورنيين تحالفوا مع عائلة لانستر، لكن أحد جيوشهم معسكر في (طريق العظام) وجيش آخر في (ممر الأمير)، ينتظران فقط...».

عقدَ حاجيه متسائلاً: «ينتظران... ماذا؟». دون دنيرس وتنانينها (دورن) جوهرية لآمالهم. «اكتب لـ(صنسيير). يجب أن يعرف دوران مارتل أن ابن أخته ما زال حياً وعادَ إلى الوطن ليستعيد عرش أبيه».

قال النّصف مايستر: «كما تقول يا سيّدي»، ونظر إلى ورقةٍ أخرى مردفاً: «ما كنا لنجد توقيتاً أفضل لرسونا. هناك أصدقاء وحُلفاء محتملون لنا في كلِّ مكان».

عقبَ چون كونجتون: «لكن لا تنانين، وللظفر بهؤلاء الحُلفاء علينا أن نجد شيئاً نُقدّمه لهم».

- «الذهب والأرض المحفّزان التّقليديّان».

- «ليتنا نملك ذلك أو تلك. قد تكفي الوعود بالأرض والذهب بعضهم، لكن ستريكلاندرجاله سيتوقّعون أن يكونوا أول من يحصل على أفضل الحقول والقلاع، تلك التي أخذت من أسلافهم حين هربوا إلى المنفى. لا». قال هالدون النّصف مايستر: «عند سيّدي غنيمة يُقدّمها بالفعل، يد الأمير إجون، تحالف زواج يضمُّ إحدى العائلات الكُبرى إلى راياتنا».

عروس لأميرنا النّبيه. يذكُر چون كونجتون زفاف الأمير ريجار بحذافيره. لم تكن إليا تليق به قط. كانت هشة سقيمة من البداية، وأضعفتها الولادة أكثر. بعد ميلاد الأميرة رينيس ظلّت أمّها طريحة الفراش نصف عام، وكادَ مولد الأمير إجون يُجهز عليها، وبعدها أخبرَ المايستر الأمير ريجار بأنها لن تحمل مزيداً من الأطفال.

قال كوننجتون للنصف مايستر: «قد تعود دنيرس تارجارين إلى الوطن ذات يوم، ويجب أن يكون إجون أعزب ليتزوَّجها».

قال هالدون: «سيدي خير من يعلم. في تلك الحالة علينا أن نعرض على أصدقائنا المحتملين غنيمة أقل قيمة».

- «ماذا تقترح؟».

- «أنت. أنت أعزب، ولورد كبير مكتمل الرُّجولة ليس له ورثة إلا أولاد العمومة الذين نزعنا ملكيتهم اليوم، وسليل عائلة عريقة يملك قلعةً أنيقةً حصينةً وأراضي شاسعةً خصبةً لا شك أن ملكًا شكورًا سيُعيدها إليك وربما يُضيف إليها أيضًا بمجرد أن نتصر. إن لك اسمًا كُمحارب، وباعتبارك يد الملك إجون ستتكلَّم بصوته وتُحكِّم المملكة فعلاً إن لم يكن اسمًا. في تقديري ستجد لوردات طموحين كثيرين يتحمَّسون لتزويج بناتهم برجلٍ مثلك، بل وربما أمير (دورن) نفسه».

كان جواب چون كوننجتون نظرةً طويلةً باردةً. أحيانًا يُحنقه النصف مايستر مثل ذلك القزم. قال: «لا أظنُّ». الموت يزحف على ذراعي. يجب ألاَّ يعرف أيُّ رجل أبدًا، أو أيُّ زوجة. نهض قائلاً: «جهَّز الرِّسالة للأمير دوران».

- «أمر سيدي».

نام كوننجتون ليلتها في عُرفة اللورد، في الفراش الذي كان لأبيه من قبل، تحت مظلةً متربة من المخمل الأحمر والأبيض، واستيقظ فجراً على صوت المطر المتساقط وطرقه خجول من خادم يتطلع إلى معرفة ما يرغب فيه سيده الجديد على الإفطار. أجابه: «بيض مسلوق وخبز محمَّر وفاصوليا، وإبريق من النبيذ، أسوأ نبيذ في الأقيية».

- «ال... الأسوأ يا سيدي؟».

- «كما سمعتني».

بعدهما جلب له الخادم الطَّعام والنبيذ أوصد الباب وأفرغ النبيذ في وعاءٍ ونقع فيه يديه. كان النقع في الخل والاستحمام به الدواء الذي وصفته الليدي ليمور للقزم حين خشت أن يكون مصاباً بالداء الأرمد، لكن طلب إبريق من الخل كل صباح سيشي بالحقيقة. على النبيذ أن يكفي، ولو أنه لا يرى سبباً لإهدار الأصناف الممتازة. أظفار أربعة من أصابعه سوداء الآن، لكن المرض

لم يصل إلى إبهامه بعد، وزحف الرماذي متجاوزًا المفصل الثاني من وسطاه. الواجب أن أقطعها، لكن كيف أفسر الأصابع المفقودة؟ ليس يجرؤ على أن يعلم أحد بإصابته بالداء الأرمد. على الرغم من غرابة هذا فالرجال الذين يُواجهون المعركة بنفس رضية ويخطرون بالموت لإنقاذ رفيق هم أنفسهم الرجال الذين سيهجرون الرفيق نفسه في غمضة عين إذا عرفت إصابته بالداء الأرمد. كان عليّ أن أترك ذلك القزم يغرق.

لاحقًا يومها، بعد أن ارتدى ثيابه ووضع قفازيه، قام كوننجتون بجولة معاينة للقلعة وأرسل في طلب هاري ستريكلاند الشريد وقادته للانضمام إليه في مجلس الحرب. اجتمع تسعة منهم في غرفته الشمسية: كوننجتون وستريكلاند وهالدون النصف مايستر وبالاك الأسود والسير فرانكلين فلاورز ومالو چيان والسير برنلد بايرن وديك كول ولايموند پيز. حمل النصف مايستر أنباء سارة، وأخبرهم: «بلغ المعسكر خبر من مارك ماندريك. الثولانتينيون وضعوه على الشاطئ مع قرابة خمسمئة رجل في ما أتضح أنه (إسترمونت). لقد أخذ (الحجر الأخضر)».

(إسترمونت) جزيرة عند (رأس الغضب)، ولم تكن قط من أهدافهم. قال فرانكلين فلاورز: «الثولانتينيون الملاعين متلهفون على التخلص منا فيلقونا على شاطئ أي قطعة أرض يرونها. أراهن أن فتيتنا مشتتون في جميع أنحاء (الأعتاب) أيضًا».

أضاف ستريكلاند بنبرة محزونة: «بأفالي». يفقد هاري الشريد أفياله حقًا.

قال لايموند پيز: «لم يكن مع ماندريك رُماة. هل نعرف إن كانت (الحجر الأخضر) قد أطلقت طيورًا قبل سقوطها؟».

قال چون كوننجتون: «أتوقع هذا، لكن ما الرسائل التي حملتها؟ في أحسن الأحوال سيكون كلامًا مشوشًا عن مُغيرين من البحر». قبل إبحارهم من (فولون ثيريس) أملى على قادته ألا يرفعوا رايات خلال هجماتهم الأولى، لاتبين الأمير إجون ثلاثي الرؤوس ولا جرافن كوننجتون نفسه ولا الجماجم وأعلام المعركة الذهبية الخاصة بالجماعة. فليشك آل لانستر في ستانيس باراثيون أو قراصنة (الأعتاب) أو خارجين عن القانون من الغابات أو في أي

أحد آخر يُريدون إلقاء اللوم عليه. إذا كانت التّفاير التي تَبْلُغ (كينجز لاندنج) مرتبكةً متضاربةً فهذا أفضل كثيرًا. كلّمّا تأخّرت ردّة فعل العرش الحديدي حظوا بوقتٍ أطول لجمع قوّاتهم وضمّ الحُلفاء إلى قضيتهم. «المفترض أن في (إسترمونت) سُفناً. إنها جزيرة. هالدون، أرسل خبرًا لماندريك بأن يترك حاميةً في القلعة ويأتي ببقية رجاله إلى (رأس الغضب)، بالإضافة إلى أيّ أسرى نُبلاء».

- «كما تأمر يا سيّدي. يتصادف أن بين عائلة إسترمونت وكلا الملكين روابط دم. سينفعنا هؤلاء الرّهائن».

قال هاري الشّريد بسعادة: «ستنفعنا فدياتهم».

أعلن اللورد چون: «حان الوقت لأن تُرسل في استدعاء الأمير إجون أيضًا. سيكون أكثر أمنًا هنا وراء أسوار (وكر الجرافن) من المعسكر».

قال فرانكلين فلاورز: «سأرسلُ خيالًا، لكن اعلم أن الفتى لن يحب فكرة البقاء في أمان. إنه يُريد أن يكون في قلب الأحداث».

فكر اللورد چون متذكرًا: كلنا كنا كذلك ونحن في سنّه.

سأل بيز: «هل أنّ أوان رفع رايته؟».

- «ليس بعدُ. فلنترك (كينجز لاندنج) نظنُّ أنه ليس أكثر من لورد منفي عادٍ إلى الوطن ببعض المأجورين ليسترّد حقّه بالميلاذ. إنها قصّة قديمة مألوفة. سأكتبُ أيضًا للملك تو من أبلغه بهذا وأطلبُ العفو وإعادة أراضي وألقابي. سيُعطيهم هذا شيئًا يتروّون في التّفكير فيه بعض الوقت، وفيما يتحيرّون وبتردّدون سنرسل سرًّا إلى الأصدقاء المحتملين في أراضي العواصف (المرعى)، وفي (دورن) أيضًا». هذه هي الخطوة الجوهرية. قد ينضمُّ إليهم لوردات أدنى شأنًا خشية الأذى أو أملًا في المكسب، لكن وحده أمير (دورن) يملك القدرة على تحديّ عائلة لانستر وحُلفائها. «أكثر من كلِّ من عداه يجب أن نحظى بدعم الأمير دوران».

علّق ستريكلاندا: «فرصة ضئيلة. ذلك الدورني يخاف ظلّه، ليس رجلًا يُدعى بالجرأة».

ليس أكثر منك. «الأمير دوران رجل حذر، صحيح، ولن ينضمَّ إلينا أبدًا ما لم يقنعنا بأننا سننتصر، ولذا علينا أن نُبرهن له على قوّتنا لقنعه».

- «إذ انجح بيك وريفرز فستتحكم في السواد الأعظم من (رأس الغضب). أربع قلاع في أربعة أيام بداية رائعة، لكن نصف قوتنا لم يكتمل بعد. علينا أن نتنظر بقیة رجالي. والخيول تنقصنا أيضًا، والأفيال. رأيي أن نتنظر، نستكمل قوتنا ونكسب بعض اللوردات الصغار وندع لايسونو مار يُرسل جواسيسه ليجمعوا ما تُمكن معرفته عن أعدائنا».

رمق كونجتون القائد العام الممتلى بنظرة باردة. هذا الرجل ليس القلب الأسود أو الفولاذ الأليم أو ميليز. سينتظر حتى تتجمد الجحائم السبع جميعًا ليتحاشى الإصابة بمزيد من القروح في قدميه. «إننا لم نقطع نصف العالم لنتنظر. فرصتنا الأفضل أن نوجه ضربتنا بسرعة وقوة قبل أن تعرف (كينجز لاندنج) من نحن. إنني أنوي الاستيلاء على (ستورمز إند)، معقل شبه منيع وآخر موطى قدم لستانيس باراثيون في الجنوب. ما إن نأخذها فسنحظى بقلعة آمنة يُمكننا الانسحاب إليها عند الحاجة، وسيُثبت الظفر بها قوتنا».

تبادل قادة الجماعة الذهبيّة النظرات، وقال برنلد بايرن محتجًا: «إذا كان من يحمون (ستورمز إند) رجالًا مخلصين لستانيس فسنأخذها منه لا من آل لانستر. لِمَ لا نتحالف معه ضدهم؟».

أجاب چون كونجتون: «ستانيس أخو روبرت، من العائلة نفسها التي أطاحت بآل تارجارين، وعلاوة على ذلك ستانيس يبعد ألف فرسخ بما تبقى له من قوة زهيدة. البلاد بأكملها بيننا. سيستغرق الوصول إليه فقط نصف عام، وليس عنده ما يُقدّمه لنا».

سأل مالو: «إذا كانت (ستورمز إند) حصينة فكيف تنوي الاستيلاء عليها؟».

- «بالخدیعة».

خالفه هاري ستريكلاند الشريد الرأى قائلاً: «علينا أن نتنظر». نهض چون كونجتون، وقال: «سننتظر... عشرة أيام لا أكثر. سيستغرق الإعداد هذه المدة. في صبيحة اليوم الحادي عشر نركب إلى (ستورمز إند)». وصل الأمير للانضمام إليهم بعد أربعة أيام راكبًا على رأس فرقة من مئة خيال تتبعهم ثلاثة أفيال في المؤخرة، وأتت معهم الليدي ليمور التي عادت

ترتدي زِيَّ السَّهَّاتِ، وأمامهما ركبَ السير رولي حقل البط بمعطفٍ أبيض ناصع على كتفيه.

فكّر كوننجتون إذ شاهدَ البطةَ يترجّل: رجلٌ صُلبٌ وفي، لكنه لا يليق بالحرس الملكي. لقد بذلَ قصارى جهده لإقناع الأمير بالعدول عن إعطاء حقل البط معطفًا أبيض، مشيرًا إلى أن الأفضل حفظ هذا الشرف لمُحاربين أذيع صيتًا يُضفي إخلاصهم بريقًا على قضيتهم، وللأبناء الأصغر للوردات كبار سيحتاجون إلى دعمهم في الصِّراع المقبل، لكن الفتى لم يتزحزح، وقال: «البطة سيموت في سبيلي إذا لزم الأمر، وهذا هو كل ما أطلبه من حرسى الملكي. قاتل الملك كان مُحاربًا ذائع الصِّيت وابن لورد كبير أيضًا». على الأقل أفتته بترك الأماكن الستة الأخرى شاغرة، وإلا لوجدنا ستة أفراخ بطّ صغيرة ماشية وراء رولي، كلٌّ منها كُفء مقبول. قال أمرًا: «اصحبوا سمو الأمير إلى عُرفتي الشمسية في الحال».

على أن الأمير إجون تارجارين ليس مطواعًا على الإطلاق كالفتى الذي كانه جريف الصَّغير، إذ مرَّ ما يقرب من ساعة قبل أن يصل إلى العُرفة الشمسية وإلى جواره البطة، ويقول: «لورد كوننجتون، تُعجبني قلعتك».

قال: «أراضي أبيتك جميلة»، وكان شعره الفضّي يخفق في الرِّيح، وعيناه أرجوانيتين عميقتين، أدكن من عيني هذا الفتى. «وَتُعجبني أيضًا يا سمو الأمير. تفضّل بالجلوس. سير رولي، لن نحتاج إليك ثانية الآن».

قال الأمير: «لا، أريد أن يبقى البطة»، وجلس مردفًا: «تكلّمنا مع سترىكلاند وفلاورز. أخبرانا بالهجوم الذي تُخطّط له على (ستورمز إند)».

لم يُبدِ چون كوننجتون غضبه، وقال «وهل حاول هاري الشريد إقناعك بتأجيله؟».

أجاب الأمير: «نعم في الحقيقة، لكنني لن أفعل. هاري امرأة عجوز عانس، أليس كذلك؟ أنت محق يا سيدي. أريد أن نشنّ هذا الهجوم... مع تغيير واحد. إنني أنوي قيادته».



القُربان

أقامَ رجالُ الملكة المحرقة على حُضرة القرية.
أم على بياض القرية بالأحرى؟ يرتفع الثلج حتى الكاحل في كلِّ مكانٍ باستثناء البقاع التي جرفه فيها الرِّجال ليصنعوا حُفراً في الأرض المتجمّدة بالبلطة والرِّفش والمعول، ولم تزل الرِّيح تهبُّ بقوةٍ من الغرب دافعةً المزيد من الثلج على سطح البُحيرتين المتجلد.
قالت آلي مورمونت: «لست تُريدين مشاهدة هذا».
- «نعم، لكنني سأشاهده». أشا جرايچوي ابنة الكراكن وليست فتاةً مدلّلة لا تُطبق النظر إلى القُبْح.

كان نهارًا من الظلام والبرد والجوع كسابقه وسابق سابقه، قضيتا أغلبه على الجليد ترتجفان إلى جوار حُفرتين صنعتهما في صُغرى البُحيرتين المتجلدتين وألقيتا فيهما صنارتين وأمسكتهما بأيادٍ مقفزة خرقاء. منذ فترة ليست بالطويلة كان بإمكان كلِّ منهما الاعتماد على صيد سمكةٍ أو اثنتين، كما أن رجال (غابة الذئاب) الأكثر خبرةً في الصَّيد في الجليد اعتادوا صيد أربع أو خمس. أمّا اليوم فكلُّ ما عادت به أشا برودة تغلّغت فيها حتى النُخاع، ولم تُبلِ آلي بلاءً أحسن. ثلاثة أيام مرّت منذ صادت أيُّهما سمكةً.
حاولت الدُّبّة إثناءها ثانيةً بقولها: «أنا لا أريدُ مشاهدة هذا».

ليست أنتِ من يُريد رجال الملكة إحراقها. «اذهبي إذن. لكِ كلمتي، لن أهرب. أين سأذهب؟ إلى (وينترفل)؟»، وضحكت أشا مضيفةً: «يقولون لي إنها تبعدُ ثلاثة أيام من الرُّكوب لا أكثر».

شاهدت ستّة من رجال الملكة يُكافحون لوضع عمودين ضخمين من

خشب الصنوبر في حُفرتين حفرهما ستّة آخرون من رجال الملكة، غير أن أشا ليست مضطّرةً إلى السُّؤال عن الغرض منهما، لأنها تعرفه. وتدان. قريباً سيحلّ الليل، ولا بُدُّ من إطعام الإله الأحمر. سمّاه رجال الملكة قُرباناً من الدّم والنّار، «لِنَظُرَ إلينا إله الضياء بعينه النَّارِيَّةَ ويُذِيب هذه الثَّلوج الملعونة ثلاثاً».

أخبر السير جودري فارنج الرّجال الذين اجتمعوا لمشاهدة الودّين يُدَقّان في الحُفرتين: «حتى في مكان الخوف والظلمة هذا يحميننا إله الضياء». قال آرتوس فلينت الذي تُغطّي لحيته قشرة جلديّة: «ما علاقة إلهكم الجنوبي بالثلج؟ إنها غضبة الآلهة القديمة التي حلّت علينا، وهي من علينا أن نسترضي».

قال الدّلو الكبير وول: «أجل. والوو الأحمر لا يعني شيئاً هنا. ستثيرون غضب الآلهة القديمة فحسب. إنها تُشاهد من جزيرتها».

تقع قرية المزارعين بين بُحيرتين، كُبراهما مرقّطة بجزر مشجرة صغيرة تخترق الجليد قبضتي عملاق غارق ما، وعلى واحدة من هذه الجزر ترتفع شجرة ويروود عتيقة ملتوية، جذعها وفروعها بياض الثلج المحيط بها. قبل ثمانية أيام ذهبَت أشا إليها مع آلي مورمونت لتُلقِي نظرةً من كتب على عينيها الحمراءوين المشقوقتين طولياً وفمها الدّامي، ولمّا رأت الحُمرة قالت لنفسها: إنه النسخ فقط، النسخ الأحمر الجاري داخل أشجار الويروود هذه، إلّا أن عينيها لم تفتنعا، فالتّصديق من الرّؤية، وما رأته كان دماً متجلّطاً.

قال كورليس بني بإصرار: «أنتم أيها الشّماليون من اجتلبتم علينا هذه الثَّلوج، أنتم وأشجاركم الشّيطانيّة. راهلور سيُنقِذنا».

ردّ آرتوس فلينت: «راهلور سيُهَلِكنا».

فكرت أشا جرايچوي: اللّعة على آهتكم جميعاً.

عين السير جودري قاتل العمالقة الودّين ودفع أحدهما ليستوثق من ثباته، ثم قال: «عظيم، عظيم. سيصلحان. سير كلايتون، اجلب القربان».

السير كلايتون سوجز يد جودري اليمنى القويّة. أم ذراعه الضّامة بالأحرى؟ لا تحبُّ أشا السير كلايتون، فلئن بدا فارنج شديد التّفاني في عبادة إلهه الأحمر فسوجز -ببساطة- غليظ القلب. لقد رأته عند النّار الليليّة وراقبته

إذ يقف بشفتين منفرجتين وعينين نهمتين وتوصّلت إلى الخُلاصة. ليس الإله ما يحبُّ وإنما اللهب. حين سألت السير چاستن إن كان سوجز هكذا دومًا كسّر وأجاب: «في (دراجونستون) تعودُ مراهنه المعدّين ومساعدتهم في استجواب السُجناء، خصوصًا إذا كان السّجين امرأةً شابّةً».

لم تدهش أشا، ولا شكّ لديها في أن سوجز سيجد لذّة خاصّةً في إحراقها. ما لم تخدم العاصفة.

يعدّون ثلاثة أيام عن (ويتترفل) منذ تسعة عشر يومًا. مئة فرسخ من (ربوة الغابة) إلى (ويتترفل)، ثلاثمئة ميل بسرعة طيران العُذاف. لكن لأحد منهم عُذاف، والعاصفة لا ترقُّ ولا تلين. كلّ صباح تصحو أشا آملّة أن ترى الشّمس، فقط لتواجه يومًا آخر من الثلوج. دفنت العاصفة كلّ كوخ وسقيفةٍ تحت كومةٍ من الثلج المتّسخ، وقريبًا سترتفع الأكوام حتى تبتلع القاعة الطويلة أيضًا.

وليس هناك طعام غير خيولهم المتداعية وأسمك البُحيرتين - التي تقلّ كلّ يوم- وما يجده باحثوهم من قوتٍ شحيح في هذه الغابة الباردة الميتة. يستحوذ لوردات الملك وفرسانه على نصيب الأسد من لحم الخيل، وعليه لا يتبقّى إلا أقلّ القليل للرّجال العوام، فلا عجب إذن أنهم بدأوا يأكلون موتاهم.

ارتاعت أشا كالآخرين حين أخبرتها الدبّة بأن أربعةً من رجال پيزبوري ضُبطوا وهم يجزرون أحد رجال اللورد فل الرّاحل، يُقطّعون اللحم من فخذيه ومؤخرته فيما يدورون أحد ساعديه على سيخ فوق النّار، لكنها لم تستطع النّظاهر بالدّهشة. ليس هؤلاء الأربعة أول من دأقوا لحم البّشر خلال هذا الزّحف الكئيب، وتراهن أشا على هذا، لكنهم - فقط - أول من يفتضح أمرهم.

بأمر الملك سيدفع رجال پيزبوري الأربعة ثمن الوليمة بحياتهم... وسيُنهي إحراقهم العاصفة حسبما يزعم رجال الملكة. لا تؤمن أشا جرايچوي بالههم الأحمر على الإطلاق، وعلى الرغم من هذا دعت أن يكونوا محقّين، وإن لم يحدث فسوف تُنصب محارق أخرى، وقد ينال السير كلايتون سوجز مُنية فؤاده.

كان أكلة لحم البشر الأربعة عُرَاةً عندما ساقَهم السير كلايتون إلى الخارج، وقد رُبطت معاصمهم وراء ظهورهم بشرائط من الجلد، وبكى أصغرهم إذ مشى في الثلج متعثرًا، في حين مشى اثنان آخران كرجلين مانا بالفعل مثبّتين أعينهما على الأرض. أدّهش أشا كم يبدو منظرهم تقليديًا، وفكرت: ليسوا وحوشًا. مجرد رجال.

أكبر الأربعة سنًا رقيبهم، ووحده تمسك بالتحدي وراح يبخ السُموم على رجال الملكة إذ ساقوه واخزين إياه بجراهم. «عليكم اللعنة جميعًا، وعلى إلهكم الأحمر أيضًا. هل تسمعي يا فارنج؟ قاتل العمالقة؟! لقد ضحكك عندما مات ابن عمك المأفون يا جودري. كان علينا أن نأكله أيضًا. كانت رائحته شهيةً حين شووه. أراهن أن الصبي كان طريًا مليئًا بالعُصارة». أسقطت ضربة من كعب حربة الرّجل على ركبتيه لكنها لم تُخرسه، ولمّا نهض بصق ملاء فمه دمًا وأسنانًا مكسورة، وواصل: «القضيب ألدّ عضو حين يُشوى على السيخ. إصبع سجع صغير سمين». حتى عندما قيّده بالسلاسل تابع صياحه المحموم: «كورليس بني، تعال هنا. أي اسم بني هذا؟ أهذا هو الأجر الذي كانت أمك تطلبه؟ وأنت يا سوجز أيها الوغد الملعون، إنك...».

لم ينبس السير كلايتون بكلمة. ضربة واحدة سريعة من سيفه شقّت حلق الرّقيب مفعّرةً فيضًا من الدّم على صدره.

اشتدّ بكاء الرّجل الباكي وأخذ جسده يهتزُّ مع كلّ نسيح. كان بالغ النحول لدرجة أن باستطاعة أشا أن تعدّ ضلوعه واحدًا واحدًا. متوسلاً قال: «لا، أرجوكم، الرّجل كان ميتًا، كان ميتًا وكنا جياعًا، أرجوكم...».

قالت أشا لآلي مورمونت: «كان الرّقيب الذّكي بينهم، استفزّ سوجز حتى قتله»، وتساءلت إن كانت الحيلة نفسها ستنتلي عليه مرّتين إذا جاء عليها الدّور.

قيّد الضّحايا الأربعة ظهرًا إلى ظهر، اثنين إلى كلّ وتد، وهناك عُلقوا، ثلاثة رجال أحياء وواحد ميت، فيما كوّم عباد إله الضّياء المؤمنون الجذوع المفلوكة والفروع المكسورة تحت أقدامهم ثم سكبوا عليها زيت المصابيح. فعلوا هذا بسرعة، فالثّلج ينهمر بكثافة كالعادة، وسرعان ما سيبتل الحطب.

سأل السير كورليس بني: «أين الملك؟».

قبل أربعة أيام استسلم أحد مُرافقي الملك للبرد والجوع، صبي اسمه برايان فارنج كان من أقارب السير جودري. وقف ستانيس باراثيون متجهّم القسمات عند المحرقة الجنائزية إذ التهم اللهب جسد الصّبي، وبعدها انسحب الملك إلى بُرج المراقبة ولم يَخْرُج منذ ذلك الحين... ولو أنهم يرون جلالته بين الحين والآخر على قمة البُرج وقد حدّدت جسده نار المنارة المشتعلة ليل نهار. يقول بعضهم: يُكَلِّمُ الإله الأحمر، ويقول آخرون بإصرار: يُهَيِّبُ بالليدي ملبساندرا أن تُعيننا. في كلتا الحالتين يبدو لأشا جرايچوي أن الملك ضائع ويستغيث.

قال السير جودري لأقرب رجلٍ مسلّحٍ إليه: «كانتي، اذهب وجد الملك وأخبره بأن كل شيء جاهز». ردّ صوت ريتشارد هورپ: «الملك هنا».

فوق درع من صفائح وحلقات المعدن يرتدي السير ريتشارد سُترته المبطّنة المزركشة بعُثث رأس الموت الثلاث على خلفيّة بلون العظم والرّماد. سارَ الملك ستانيس إلى جواره، ووراءهما محاولاً مجاراتهما بصعوبة يعرج آرنولف كارستارك متكئاً على عُكَّازٍ من خشب البرقوق. وجدّهم اللورد آرنولف قبل ثمانية أيام، وجلب الشّمالي معه ابناً وثلاثة أحفادٍ وأربعمئة من حاملي الحِراب وأربعين من الرّماة ودسته من الخيالة حاملي الرّماح ومايستر وقفصاً من الغدّان... لكن ما جلبه من مؤنٍ يكفي رجاله فقط.

علمت أشا أن كارستارك ليس لورد حقاً وإنما مجرد أمين القلعة في (كارهولد) ما دام السيّد الفعلي أسيراً عند آل لانستر. الرّجل ضاوٍ محنيّ الظّهر، كتفه اليسرى أعلى من اليمنى بنصف قدم، وله عُنق ناحل وعينان رماديتان ضيّقتان وأسنان صفراء، ولا يفصله عن الصّلع التّام إلا شعرات بيضاء قليلة، ويتقاسم الأبيض والرّمادي لحيته المتشعبة المشعّنة. تراءى لأشا أن في ابتسامته شيئاً ما كريهاً، لكن إن صحّ الكلام الدائر فكارستارك هو من سيحكّم (وينترفل) إذا أخذوها. في مرحلة ما من الماضي الغابر نبت فرع عائلة كارستارك من شجرة عائلة ستارك، وكان اللورد آرنولف أول من أعلن تأييده ستانيس من حملة راية إدارد ستارك.

على حدّ علم أشا آلهة آل كارستارك هي آلهة الشّمال القديمة، الآلهة التي

يشتركون في عبادتها مع آل وول ونوري وفلينت وعشائر التلال الأخرى. تساءلت إن كان اللورد أرنولف قد جاء يُشاهد الحريق نزولاً عند رغبة الملك ليشهد قوّة الإله الأحمر بنفسه.

لدى مرأى ستانيس بدأ اثنان من الرّجال المقيدين إلى الودتين في توسّل الرّحمة، وأصغى الملك صامتاً مطبقاً فكّه، ثم قال لجودري فارنج: «يُمْكِنُكم البدء».

رفع قاتِل العمالقة ذراعيه صائحاً: «أيا إله الضّياء، اسمعنا». وترنّم رجال الملكة: «أيا إله الضّياء، دافع عنا، فالليل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال».

رفع السير جودري رأسه إلى السّماء المعتمة لتذوب رقائق الثلج على وجهه، وابتهل: «نشكرك على الشّمس التي تُدفئنا ونُصلي أن تُعيدها إلينا يا إلهنا لتُشير طريقنا إلى أعدائك. نشكرك على النّجوم التي تحرّسنا ليلاً ونُصلي أن تُمزّق السّتار الذي يُخفيها لتنتعم بمنظرها من جديد».

وترنّم رجال الملكة: «أيا إله الضّياء، احمنا وأبعد عنا الظّلّمات الآبدة». تقدّم السير كورليس يني ممسكاً مشعلاً بكلتا يديه ودوره حول رأسه في دائرة مؤجّجاً اللهب، وبدأ أحد المقبوض عليهم يتنحب.

وغنى السير جودري: «أيا راهلور، نُعطيك الآن أربعة رجالٍ أشرار. بقلوب سعيدة مخلصة نُعطيم لنارك المطهّرة ليحترق الظّلام في أنفُسهم. فليفتحهم لحمهم الحقيير ويسودّ لتزهق أرواحهم حرّة نقيّة وتسمو إلى النور. تقبّل دماءهم يا إلهنا وأذب الأغلال الجليديّة التي تُقيّد خدمك. اسمع ألمهم وامنح سيوفنا القوّة لنسفك دماء أعدائك. تقبّل هذا القربان وأرنا الطريق إلى (ويترفل) لندحر الكافرين».

وردّد مئة صوت: «أيا إله الضّياء، تقبّل هذا القربان».

أوقد السير كورليس المحرقة الأولى بالمشعل، ثم ألقاه على حطب الثانية. بدأت خيوط قليلة من الدّخان تتصاعد، وبدأ المقبوض عليهم يسعلون، ثم ظهرت ألسنة اللّهب الأولى بخجل العذارى مندفعّة ومتراقصة من الجذوع إلى السّيقان، وخلال ثوانٍ احتوت النّار كلا الودتين.

صرخ الفتى الباكي واللّهب يلحق ساقيه: «كان ميتاً! وجدناه ميتاً...»

أرجوكم... كنا جائعين...»، ثم بلغت النَّارَ خصيتيه، وإذ بدأ شعر عانته يحترق ذابت توَّسلاته في صرخةٍ طويلةٍ واحدةٍ بلا كلمات.
ذاتت أشا جرايچوي الممرّة في مؤخّرة حلّقتها. في (جُزر الحديد) رأت رُهبانًا من قومها يذبحون أفنانًا ويُعطون جُثثهم للبحر تكريمًا للإله الغريق، وعلى الرغم من قسوة ذلك فهذا أسوأ.

قالت لنفسها: أغلّقي عينيك، صمّي أذنيك، أشيحي بوجهك. ليس عليك أن تري هذا. كان رجال الملكة يُردّدون أنشودةٍ مديحٍ ما لراهلور الأحمر، لكنها لم تسمع ما يقولونه من فرط علو الصّريخ. لفتح لهيب اللهب وجهها، وعلى الرغم من هذا ارتجفت، وامتلاًّ الهواء بالدخان ورائحة اللحم المحروق، ورأت إحدى الجُثث لا تزال تختلج في السّلاسل الحامية التي تُقيدها إلى الوند.

وبعد وقتٍ ما توقّف الصّريخ.

بصمتٍ ابتعد الملك ستانيس عائداً إلى عزلة بُرج المراقبة. إلى نار المنارة بحثاً عن إجاباتٍ في اللهب. بدأ آرنولف كارستارك يعرج وراءه، لكن السير ريتشارد هورپ أخذَه من ذراعه ووجّهه نحو القاعة الطويلة، وبدأ المشاهدون يتفرّقون، كل منهم إلى ناره وما قد يجده من عشاءٍ غث.

وجدت كلايتون سوجز يمشي إلى جانبها، ويسألها: «هل استمتعت القحبة الحديدية بالعرض؟». من أنفاسه تفوح رائحة المِزر والبصل الكريهة. وله عينا خنزير... وهو ما يليق به، فعلى تُرسه وسُترته الطويلة خنزير مجنح. قرّب سوجز وجهه من وجهها للغاية حتى أصبح بإمكانها أن تعدّ الرؤوس السوداء على أنفه، وأضاف: «سيكون الجمهور أكبر كثيراً عندما تتلوين أنتِ على وتد».

ليس مخطئاً. الذّئب لا يُحبونها لأنها حديدية الميلاد ولا مناص من أن تُكفّر عن جرائم قومها، ما فعلوه في (خندق كايلن) و(ربوة الغابة) و(مرّبع تورين)، والقرون الطويلة من الإغارة على (السّاحل الحجري)، وما اقترفه ثيون في (ويترفل).

- «ارفع يدك عني أيها الفارس». كلّما كلّمها سوجز اشتاقت إلى فأسها. تبرع أشا في رقصة الأصابع كأبي رجلٍ في (جُزر الحديد)، وأصابعها العشرة

الكاملة تُثبِت هذا. كم أتمنّى الرّقص معه. لبعض الرّجال وجوه في أمس الحاجة إلى لحية، أمّا وجه السير كلايتون ففي أمس الحاجة إلى فأسٍ بين عينيه. لكنها بلا فأس ها هنا، ولذا فأفضل ما يُمكنها فعله أن تُحاول التّملص، غير أن هذا أدّى فقط إلى إحكام السير كلايتون قبضته عليها أكثر، لتتغرس أصابعه المقفّزة في لحم ذراعها كمخالب من حديد.

قالت آلي مورمونت: «سيّدتي طلبت منك أن تتركها. خيرٌ لك أن تُصغي إليها الفارس. الليدي أشا ليست للحرق».

ردّ سوجز: «ستكون كذلك. لقد أويانا عابدة الشياطين هذه بيننا طويلاً جدّاً»، لكنه تخلّى عن ذراع أشا، فالمرء لا يستنزف الدبّة بلا داع.

تلك هي اللّحظة التي اختارَ چاستن ماسي الظهور فيها بوجنتين محمرّتين برداً، وقال بابتسامةٍ تلقائيّة: «الملك عنده حُطط أخرى لغنيمته الأسيّرة».

أطلقَ سوجز نخير ازدرآء، وقال: «الملك أم أنت؟ تواطأ كما تُريد يا ماسي، لكن مصيرها النّار في النّهاية، هي ودم الملوك في عروقها. في دم الملوك قوّة كما اعتادت المرأة الحمراء أن تقول، قوّة تُرضي إلهنا».

- «فليرضِ راهلور بالأربعة الذين أرسلناهم إليه لتونا».

- «أربعة فلاحين وضيّعي الميلاد، قربان شحاذين. حُثالة مثلهم لن يُوقفوا سقوط الثلج أبداً، أمّا هي فقد تفعل».

قالت الدبّة: «وإذا أحرقتموها ولم يتوقّف الثلج؟ من ستُحرقون بعدها؟ أنا؟».

لم تستطع أشا الاعتصام بالصّمت أكثر من هذا، فقالت: «ولم ليس السير كلايتون نفسه؟ قد يحبّ راهلور واحداً من عباده، رجلاً مؤمناً يتغنّى بمدحيه فيما تعلق السنة اللّهب قضيبه».

ضحك السير چاستن، وهو ما لم يُشاركه فيه سوجز، الذي ردّ: «استمتع بقهقهتك يا ماسي. إذا استمرّ الثلج في السُّقوط فسنرى من يضحك عندها»، وألقى نظرةً نحو الرّجال الموتى على الوتدين وابتسم، ثم ذهبَ ينضمُّ إلى السير جودري ورجال الملكة الآخرين.

قالت أشا لماسي: «بطلي». يستحقّ هذا على الأقلّ أيّاً كانت دوافعه. «شكراً لك على إنقاذي أيها الفارس».

قالت الذبّة: «لن يُكسبك هذا أصدقاءً بين رجال الملكة. هل فقدت إيمانك براهلور الأحمر؟».

أجاب ماسي وأفاسه تخرُج ضباباً شاحباً في الهواء: «فقدتُ إيماني بما هو أكثر من هذا، لكنني ما زلتُ أومنُ بالعشاء. هلا انضممتما إليّ يا سيّدتي؟». هزّت آلي مورمونت رأسها قائلةً: «ليست عندي شهية».

- «ولا أنا، لكن الأفضل أن تبتلعي القليل من لحم الخيل رغم ذلك وإلّا فقد تجددين نفسك قريباً تتمنين لو أنك فعلت. حين خرجنا من (ربوة الغابة) كان معنا ثمانمئة حصان. ليلة البارحة كان العدد أربعة وستين».

لم يصدمها هذا. جميع جيادهم الحربيّة الكبيرة تقريباً هلكت، بما فيها جواد ماسي نفسه، ومعظم خيول الرُكوب نفق أيضاً، وحتى خيول الشماليّين المشعثة بدأت تكبو أيضاً من شدّة الحاجة إلى العلف. ولكن فيم يحتاجون إلى خيول؟ ستانيس لم يعد ذاهباً إلى أيّ مكان، وغياب القمر والشمس والنجوم طال جدّاً حتى إن أشا بدأت تتساءل إن كانت تلك الأجرام السّماويّة مجرد أضغاث أحلام. قالت: «أنا سأكل».

هزّت آلي رأسها ثانيةً، وقالت: «أنا لن أكل».

قال لها السير چاستن: «دعيني أعتني بالليدي أشا إذن. لك كلمتي، لن أسمح لها بالهرب».

أعطته الذبّة موافقتها على مضضٍ وقد صمّت أذنها عن نبرته المازحة، وافترقوا هناك، آلي إلى خيمتها، وأشا والسير چاستن إلى القاعة الطويلة التي لا تبعد كثيراً، لكن أكوام الثلج عميقة، والريّح عاصفة، وقدمي أشا قالبان من الجليد، ومع كلّ خطوة تحسّ بطعنة ألم في كاحلها.

على الرغم من صغرهما ووضعتهما فالقاعة الطويلة أكبر بناءً في القرية، فاستحوذ اللوردات والقادة عليها لأنفسهم، في حين استقرّ ستانيس في بُرج المراقبة على شاطئ البحيرة. على جانبي باب القاعة يقف حارسان مستندين إلى حريبتين طويلتين، ورفع أحدهما سديلة الباب الملوّثة بالشحوم لماسي، وقاد السير چاستن أشا إلى نعمة الدّفء بالداخل.

تمتدُّ على جانبي القاعة دكك وموائد تكفي خمسين رجلاً، وإن انحسرّ ضعف هذا العدد بالداخل، وقد حُفرَ خندق نارٍ في المنتصف في الأرض

التُّرابِيَّة، وفي السَّقْف بالأعلى صفٌّ من فتحات التَّهوية. تعود الذُّباب الجلوس على أحد جانبي الخندق، والفُرسان واللوردات الجنوبيُّون على الجانب الآخر.

يبدو الجنوبيُّون لأشا شردمةً مزريَّةً مثيرةً للشَّفقة، عجافًا غائري الخدود، بعضهم شاحب مريض وبعضهم وجهه مجمرٌ لوَحته الرِّيح. على النَّقيض، يبدو الشُّماليُّون بكامل صحَّتهم وعافيتهم، رجالًا كبار الحجم متورّدي الوجوه لهم لحي كثيفة كالأذغال ويرتدون الفرو والحديد. قد يُعانون البرد والجوع أيضًا، لكن الزَّحف كان أسهل عليهم بخيولهم المشعثة وكفوف الدَّببة التي يتعلونها.

خلعت أشا قُفازيها الفرو جافلةً إذ ثنت أصابعها وبسَطَها، وسرى الألم في ساقها كلسانٍ من البرق إذ بدأت قدماها شبه المتجمّدين تدويان في الدَّفء. كان المُزارعون قد تركوا مخزونًا لا بأس به من الخُث حين فرُّوا من القرية، فامتلاً الهواء بالدُّخان ورائحة النَّجيل المحروق.

علقت معطفها على مشجب بعد أن نفَضت الثَّلج العالق به، ووجدَ لهما السير چاستن موضعين على دِكَّة وجلبَ لهما العشاء المتكوّن من المِوزر وقطع لحم الخيل المفحّمة من الخارج والحمراء من الدَّاخل. أخذت أشا رشفةً من المِوزر وانقَضت على اللّحم، ومع أن القطعة أصغر من آخر واحدةٍ أكلتها فقد قرقرَ بطنها من الرّائحة، وقالت والدّم والدهن يسيلان على ذقنها: «أشكرك أيها الفارس».

قال ماسي: «چاستن. أنا مصرٌّ»، وقطَّع لحمه قطعًا صغيرةً وطعنَ إحداها بخنجره.

كان ويل فوكسجلوف جالسًا إلى المائدة يُخبر الرِّجال حوله بأن ستانيس سيستأنف الزَّحف على (وينترفل) بعد ثلاثة أيام، وقد سمعَ هذا من أحد السَّاسة الذين يعتنون بخيول الملك. «جلالة الملك رأى النصر في نيرانه، نصرًا سيُعُنون عنه ألف عامٍ في قلاع اللوردات وأكواخ الفلاحين على حدِّ سواء».

رفعَ چاستن ماسي عينيه عن لحمه، وقال: «تعداد البرد بلغ الثمانين ليلة

أمس»، ونزعَ قطعةً من غُضروفٍ علقتَ بأسنانه وألقاها إلى أقرب الكلاب مردفًا: «إذا زحفنا فسنموت بالمئات».

قال السير همفري كليفتون: «وسنموت بالآلاف إذا بقينا هنا. أقول إمامًا نواصل الزحف وإمامًا نموت».

- «وأردُّ نواصل الزحف ونموت. وإذا بلغنا (ويترفل) فماذا بعد؟ كيف نأخذها؟ نصف رجالنا أضعف من أن يضعوا قدمًا أمام الأخرى. هل سترسلهم يتسلقون الأسوار؟ يبنون أبراج الحصار؟».

قال الفارس العجوز الصَّخْم السير أورموند وايلد: «علينا أن نبقي هنا حتى يتحسن الجو».

سمعتَ أشا شائعاتٍ عن بعض الجنود الذين يتراهنون على أيِّ الفرسان واللوردات العظام سيموت المرّة التَّالية، ويبدو أن السير أورموند أبرز المرشَّحين. وكم المبلغ الذي راهنوا به عليَّ يا تُرى؟ قد تكون الفرصة ما زالت سانحةً لاشترائي في الرهان.

كان وايلد يقول بإصرار: «على الأقل هنا نحظى بمأوى، وفي البحيرتين أسماك».

ردَّ اللورد پيزبوري بكآبة: «أسماك قليلة للغاية وصيَّادون كثر للغاية». لكآبته سبب وجيه، فمَن أحرقهم السير جودري منذ قليل رجاله، وثمة بعض الرِّجال في هذه القاعة سُمِعوا يقولون إن پيزبوري نفسه كان بالتَّأكيد على درايةٍ بما كانوا يفعلونه وربما شاركهم ولائهم أيضًا.

دمدمَ كَشَّاف من (ربوة الغابة) اسمه ند وودز: «ليس مخطئًا». يُسمُّونه ند الأجدع، إذ أتت قضمة الصَّقيع على طرف أنفه قبل شتاءين، ويُعدُّ وودز من أفضل من يعرفون (غابة الدُّئاب) خير المعرفة، وحتى أعلى لوردات الملك كبرياءً تعلَّموا الإنصات إليه عندما يتكلَّم. «إنني أعرف هاتين البحيرتين، وأنتم انقضضتم عليهما بالمئات كاليرقات على جتَّة، وحفرتم حُفْرًا كثيرةً جدًّا في الجليد حتى إنها لأعجوبة أن مزيدًا من الرِّجال لم يسقطوا فيها. عند الجزيرة بقاع تبدو كقطعةٍ من الجُبنة نخرَبتها الجرذان»، وهزَّ وودز رأسه مضيقًا: «البحيرتان فرغتَا، اصطدتم كلَّ ما فيهما من سمك».

قال همفري كليفتون بإصرار: «وهو السَّبب الأُدعى لمواصلة الزَّحف. إذا كان الموت مصيرنا لا ريب فلنمُت شاهرين السُّيوف». إنه النقاش نفسه كليلة أمس وليلة أول من أمس. التَّقْدُم والموت، أو البقاء والموت، أو الانسحاب والموت.

قال چاستن ماسي: «مُت إذا أحببت يا همفري، أمّا أنا فأحبُّدُ أن أعيش وأرى ربيعاً آخر».

ردَّ اللورد پيزبوري: «قد يصف بعضهم هذا بالجُبن».

- «الجُبن أفضل من أكل لحم البَشَر».

انقلبت سحنة پيزبوري في غضب مفاجئ، وقال: «أيها ال...».

- «الموت جزء من الحرب يا چاستن». كان السير ريتشارد هورپ واقفاً عند الباب وشعره الأسود رطب من الثلج الذائب. «من يزحفون معنا سينالون حصّةً من الغنائم التي سنأخذها من بولتون ونغله، وحصّة أكبر من المجد الخالد، وهؤلاء الذين أضعف من أن يزحفوا عليهم العناية بأنفسهم، لكنني أعطيك كلمتي، بمجرد أن نأخذ (ويترفل) سنُرسل إليكم طعاماً».

- «لن تأخذوا (ويترفل) أبداً!».

- «بل سنفعل». جاء الصّوت كقوفاة دجاجة من المائدة العالية، حيث يجلس آرنولف كارستارك مع ابنه آرثور وأحفاده الثلاثة. دفع اللورد آرنولف نفسه إلى النهوض كعقاب يرتفع عن فريسته، وقبض بيده المبقعة على كتف ابنه مستنداً، وتابع: «سنأخذها من أجل الند وابتته، أجل، ومن أجل الذئب الصّغير الذي ذبحوه غيلةً. أنا ورجالي سنُرِككم الطّريق إذا دعت الحاجة. هذا ما قلته لصاحب الجلالة الملكيّة، قلت له أن نزحف، وقبل أن يدور القمر سنتحمم جميعاً بدماء بولتون وفراي».

بدأ الرّجال يدقّون الأرض بأقدامهم والموائد بقبضاتهم، ولحظت آشا أن أكثرهم شماليّون، في حين جلس اللوردات الجنوب على جانب خندق النّار الآخر صامتين.

انتظر چاستن ماسي حتى هدأ اللّغط، ثم قال: «شجاعتك تُثير الإعجاب أيها اللورد كارستارك، لكن الشّجاعة لن تخترق أسوار (ويترفل). أخبرني، كيف تتنوي أخذ القلعة؟ بكّرات الثلج؟».

أجابَه أحد أحفاد اللورد آرنولف: «سنقطع الأشجار ونصنع مِدَكَّاتٍ لاقتحام البوابة».

- «وتموتون».

تكلم حفيد آخر: «سنصنع سلالم ونتسلق الأسوار».

- «وتموتون».

رفع آرثور كارستارك ابن اللورد آرنولف الصَّغير صوته قائلاً: «سنبني أبراج حصار».

ردَّ ماسي: «وتموتون وتموتون وتموتون»، ودور عينيه في محجريهما استهجاناً، وأضاف: «بحقِّ الآلهة، أنتم مجانين جميعاً يا معشر كارستارك؟». قال ريتشارد هورب: «الآلهة؟ نسيت نفسك يا چاستن. إن لنا إلهًا واحدًا. لا تتكلم عن الشياطين في صحبتنا هذه. وحده إله الضياء يُمكنه إنقاذنا الآن، ألا تُوافيني؟»، ووضع يده على مقبض سيفه على سبيل التوكيد، لكن عينيه لم تبرحاً وجه چاستن ماسي لحظةً.

وتحت هذه النظرة استكان السير چاستن، وقال: «إله الضياء، أجل. إيماني قوي كإيمانك يا ريتشارد، تعلم هذا».

- «ليست شجاعتك ما أشكُّك فيه يا چاستن، ولا إيمانك. إنك لم تنفك تتكلم عن الهزيمة منذ خرجنا من (ربوة الغابة)، وهو ما يجعلني أتساءل في صفِّ من أنت».

قال ماسي والأحمر يزحف على عنقه: «لن أبقى هنا وأقبل الإهانة»، وانتزع معطفه الرطب من على الحائط بعنفٍ حتى إن أشا سمعته يتمزق، ثم مرَّ بهورب وخرج من الباب، وهبت دفقة من الهواء البارد داخل القاعة مطيرةً الرماد من خندق النَّار ومؤججةً اللهب بعض الشيء.

فكرت آشا: بهذه السهولة انكسر. بطلي من ورق. وعلى الرغم من هذا فالسير چاستن أحد القلائل الذين قد يعترضون إذا حاول رجال الملكة إحراقها، وهكذا نهضت وارتدت معطفها وتبعته إلى دمع العاصفة الثلجية بالخارج.

قبل أن تبتعد عشر ياردات تاهت. ما زالت ترى نار المنارة على قمة بُرج المراقبة، لهبها البرتقالي الخابي طاف في الهواء، لكن باستثناء هذا اختفت

القرية تمامًا، ووجدت أشا نفسها وحيدةً في عالم أبيض من الثلج والبرد، تخوض في أكوام ترتفع حتى فخذها. نادَتْ: «جاستن؟»، وما من مجيب. من مكانٍ ما إلى يسارها سمعت حصانًا يصهل، ففكرت: المسكين خائف. ربما يعرف أنه سيكون طعام العشاء غدًا.

أحكمت معطفها على جسدها وتقدّمت متعثرةً إلى خُصرة القرية على غير هُدى. لا يزال وتدا خشب الصنوبر قائمين، مسودّين متفحّمين لكن لم يحترقا عن آخرهما، ورأت أشا أن السلاسل التي قيّد بها الموتى قد بردت، وإن ظلت مثبتة الجُثث إلى عناقها الحديدي الوثيق. كان عُدا فاجئًا على رأس إحداها ينتزع قطعًا من اللحم المحروق العالق بالجمجمة المسودة، وقد غطى الثلج المذرو الرّماد عند قاعدة المحرقة وارتفع حول ساق الرّجل الميت حتى الكاحل. الآلهة القديمة تُريد دفنه. لم يكن هذا من صنْعها. وقال صوت كلايتون سوجز العميق من ورائها: «أمعني النّظر أيتها القحبة. ستدين بالجمال نفسه عندما تُشوين. أخبريني، هل يستطيع الحبار الصّراخ؟».

يا إله أسلافي، إن كنت تسمعي في أبهائك المائيّة تحت الأمواج فهَب لي فأسا صغيرةً واحدةً. لكن الإله الغريق لم يُجِبها، فنادراً ما يُجيب. هذا هو عيب الآلهة. سألته: «هل رأيت السير جاستن؟». - «ذلك الأبله المختال؟ ماذا تُريدين منه أيتها القحبة؟ إذا كنت محتاجةً إلى من ينكحك فأنا أكثر رجولةً من ماسي».

قحبة ثانية؟ الغريب أن أمثال سوجز يستخدمون هذه الكلمة لامتهان النساء في حين أن الجزء الوحيد من المرأة الذي له قيمة عندهم بين ساقها، وسوجز أسوأ من ليدل الأوسط. حين يقول الكلمة فإنه يعينها. قالت تُدكره: «ملكك يخصي المغتصبين».

قهقه السير كلايتون، وقال: «الملك شبه أعمى من فرط الحملقة إلى النّار. لكن لا تخافي أيتها القحبة، فلن أغتصبك. سأضطرُّ إلى قتلك بعدها، وأفضّل رؤيتك تحترقين».

صوت الحصان مرّةً أخرى. «هل تسمع هذا؟». - «أسمعُ ماذا؟».

أجابَت: «إنه حصان. لا، أحصنة، أكثر من واحد»، وأدارت رأسها مرهفَةً السَّمْع. الثلج يفعل أشياء غريبة بالأصوات، واستعصى عليها أن تُحدّد اتجاه الصَّهيل.

قال سوجز عابَسًا: «أهذه لعبة حباير ما؟ لستُ أسمع... تَبًّا، إنهم خيالة!»، وتحسَّس حزام سيفه بيدين خرقاوين في قفازيهما الجلد المبطن بالفرو، وأخيرًا نجح في انتزاع سيفه الطويل من غمده. وعندها وصل إليهما الخيالة بالفعل.

خرجوا من العاصفة كفرةٍ من الأطياف، رجال كبار على خيولٍ صغيرة، وزادهم حجمًا الفراء السميكة التي يرتدونها. على أوراكهم سيوف تُعني أغنيتهما الفولاذية الخافتة إذ تُصلصل في الأغمدة، ورأت آشا فأسا حربيةً مربوطةً إلي سرج أحد الرِّجال، ومطرقةً حربيةً على ظهر آخر، ورأتهم يحملون التروس أيضًا، لكن الثلج والجليد يُخفيان الرُّموز عليها تمامًا. على الرغم من طبقات الصُّوف والفرو والجلد المقوى على جسدها شعرت بالعُري، وقالت لنفسها: بوق، أحتاج إلى بوقٍ لإنذار المعسكر.

زَعق السير كلايتون: «اجري أيتها القحبة الحمقاء، اجري ونبهي الملك. اللورد بولتون يُهاجمنا». قد يكون حيوانًا غاشمًا، لكن سوجز لا يفتقر إلى الشجاعة. بالسيف في يده تقدّم في الثلج بخطى واسعة واضعًا نفسه بين الخيالة وُبرج الملك الذي تتوهج منارته وراه كعين برتقاليةٍ لالهٍ غريب ما. «مَن هناك؟ توقّفوا! توقّفوا!!».

توقّف قائد الخيالة أمامه. وراه آخرون قد يبلغ عددهم العشرين. لا تملك آشا وقتًا لعدّهم، فقد يكون هناك مئات غيرهم في العاصفة ينطلقون في أعقابهم، بل وقد يكون جيش رروس بولتون بأكمله يُداهمهم الآن مستترًا بالظلام ودوامات الثلوج. لكن هؤلاء...

أكثر من أن يكونوا كشافًا وأقل من أن يكونوا طليعة جيش. واثنان منهم يرتديان أسود على أسود. أدركت فجأةً أنهما من حرس الليل، ونادت: «مَن أنتم؟».

أجابها صوت شبه مألوف: «أصدقاء. سعينا إليكم عند (ويتترف)، لكننا لم نجد إلا أكل العُراب أو مبر يدقُّ الطبل ويتفخ في الأبواق. استغرقنا بعض

الوقت حتى عثرنا عليكم»، ووثب الخيال من فوق سرجه وأنزل قلنسوته وانحنى. لحيته كثة للغاية ومغطاة بالثلج للغاية حتى إن أشا لم تتعرفه لوهلة، ثم أتاها الإدراك، وقالت: «تريس؟!».

جثا تريستيفر بوتلي أمامها قائلاً: «سيدتي. البكر هنا أيضاً، وروجون وجريمتونج وأبو أصابع وروك... ستة منا، كل من يقوون على الركوب. كروم مات متأثراً بجراحه».

سأل السير كلايتون سو جز: «ما هذا؟ أنتم من رجالها؟ كيف خرجتم من زنازين (ربوة الغابة)؟».

نهض تريس ونفض الثلج عن ركبتيه مجيباً: «سبيل جلوفر تلقت عرضاً بفضية سخية مقابل إطلاق سراحنا واختارت قبوله باسم الملك».

- «فضية؟ من يدفع مبلغاً سخياً في حثالة البحر؟».

- «أنا أيها الفارس». تقدم المتكلم بحصانه، رجل فارغ جداً، نحيل جداً، طويل الساقين جداً حتى إنها لأعجوبة أنه لا يجترُ قدميه جرّاً على الأرض. «احتجتُ إلى حراسةٍ قويةٍ تصحبني إلى الملك بأمان، والليدي سبيل احتاجت إلى تقليل ما تُطعمه من أفواه». يُخفي ملامح الرجل الطويل وشاح، لكن على رأسه أغرب قُبعةٍ رأتها أشا منذ آخر مرةٍ أبحرت فيها إلى (تايروش)، بُرج عريض من قماشٍ ناعم ما كثلاث أسطواناتٍ بعضها مرصوص فوق بعض. «قيل لي إنني قد أجد الملك ستانيس هنا. من الضروري للغاية أن أتكلّم معه في الحال».

- «ومن أنت بحق الجحائم السبع اللعينة؟».

ترجل الطويل برشاقةٍ وخلع قُبعتة الغريبة وانحنى مجيباً: «يُسرّفني أن أكون تايكو نستوريس، خادم متواضع لمصرف (برافوس) الحديدي».

من بين كل الأشياء الغريبة التي كانت لتخرج عليهم من قلب الليل كان آخر ما تتوقع أشا جرايچوي أن تراه صيرفيّاً من (برافوس). الأمر عبثٌ للغاية حتى إنها ضحكت رغم أنفها، وقالت: «الملك ستانيس اتخذ بُرج المراقبة مقرّاً. سيسرُّ السير كلايتون أن يصحبك إليه، أنا واثقة».

قال الصيرفي: «لطف بالغ منه أن يفعل. الوقت جوهر المسألة»، ثم إنه

تمعن في وجهها بعينين داكنتين ثاقبتين قائلاً: «أنت الليدي أشا سليلة عائلة جرايچوي ما لم أكن مخطئاً».

- «أنا أشا سليلة عائلة جرايچوي، أجل. الآراء تختلف حول كوني ليدي حقاً».

ابتسم البرافوسي، وقال: «معنا لك هدية»، وأشار إلى الرجال وراءه مردفاً: «توقعنا أن نجد الملك في (وينترفل). هذه العاصفة الثلجية ابتلعت القلعة أيضاً للأسف. عند أسوارها وجدنا مورس أو مبر بفرقة من الصبية الخضراء في انتظار وصول الملك. أعطانا هذين».

إذ ألقي الاثنان بوقاحة في الثلج أمامها فكرت أشا: فتاة ورجل عجوز. كانت الفتاة ترتجف بعنف على الرغم مما ترتديه من فراء. لو لم تكن مرعوبة للغاية هكذا لكان يمكن وصفها بالجمال، ولو أن طرف أنفها أسود من قضمة الصقيع. أما العجوز... لا يمكن أن يصفه أحد بالوسامة أبداً، وقد رأت أشا فزاعات أكثر امتلاءً باللحم. وجهه جمجمة مغلقة بالجلد، وشعره أبيض كالعظم ومتسخ، ورائحته شنيعة! مجرد منظره ملاً أشا اشمزازاً.

رفع عينيه قائلاً: «أختاه. أرايت؟ هذه المرة تعرفتك».

كف قلب أشا عن الخفقان لحظة، وقالت: «ثيون؟!».

انسحبت شفتاه في ما قد يكون ابتسامة. نصف أسنانه لم يعد هناك، والنصف الذي تبقى مكسر مشطى. ردّد: «ثيون»، ثم أضاف: «اسمي ثيون. يجب أن يعرف المرء اسمه».



فِيكتاريون

البحر أسود والقمر فضي والأسطول الحديدي يتقش على فريسته. أبصروها في المضيق بين (جزيرة الأرز) وتلال الظهير الأستابوري الوعرة، تماماً حيث قال الرَّاهب الأسود موكُورو إنهم سيجدونها. صاح لونجووتر بايك من منصبة المراقبة بالأعلى: «جيسكاريّة»، وشاهد فيكتاريون جرايچوي شرعها يتعاطم من فوق السّلوقيّة الأماميّة، وسرعان ما ميّز مجاذيفها إذ ترتفع وتنخفض، وأثر المخر الأبيض الطويل يلتمع في نور القمر وراءها كندبة في وجه البحر.

ليست سفينةً حربيّةً حقيقيّةً، بل قادس تجاري، وكبير. ستكون غنيمةً ممتازة. أشار لربابته ببدء المطاردة توطئةً للاستيلاء عليها. كان رُبّان القادس قد أدرك الخطر المحدق به، فبدّل مساره إلى الغرب نحو (جزيرة الأرز)، أملاً ربما أن يلجأ إلى خليج صغير خفي أو يقود مطارديه إلى الاصطدام بالصُخور المحزّزة على ساحل الجزيرة الشمال شرقي. على أن سفينته مثقلة بالأحمال، والرّياح في صفّ الحديديين، فقطعت (الثبور) و(النصر الحديدي) على الفريسة طريقها، في حين انقضّت عليها (الباشق) السريعة و(راقص الأصابع) الرشيقة من الخلف، ومع ذلك لم ينزل الرّبّان الجيسكاري راياته، وحين لحقت (المرثاة) بالفريسة من الميسرة وضربتها محطمةً مجاذيفها كانت كلتا السفينتين قريبةً للغاية من أطلال (جوزاي) المسكونة لدرجة أن الرّجال سمعوا القروود ترقح على الأشجار فيما بدأ ضوء الفجر الأول يغمر أهرام المدينة المتهدّمة. عندما جلبوا الرّبّان إلى فيكتاريون مكبلاً بالسلاسل قال إن الغنيمة اسمها

(الفجر الجيسكاري)، وإنما من (جيس الجديدة) وكانت في طريق العودة إليها عن طريق (يونكاي) بعد المتاجرة في (ميرين). لا يتكلم الرجل لُغَةً مستساغةً وإنما الجيسكاريّة الحلقية المملأى بالزّمجرة والفحيح، أقبح لُغَةً سمعها فيكتاريون جرايچوي على الإطلاق. ترجمَ موذورو كلام الرّبّان إلى عامية (وستروس)، وأدعى الرّجل أنهم انتصروا في الحرب على (ميرين)، وأن ملكة التّنانين ماتت، وأن جيسكاريًا اسمه هيزداك يحكم المدينة الآن.

أمر فيكتاريون بقطع لسانه عقابًا على أكاذيبه. دنيرس تارجارين لم تمّت كما أكّده موذورو، إذ أراه ربّه الأحمر راهلور وجه الملكة في نيرانه المقدّسة. لا يطبق القائد الحديدي الكذب، وهكذا أمر بتقييد الرّبّان الجيسكاري من يديه وقدميه وإلقائه في الماء قربانًا للإله الغريق، ووعده موذورو قائلاً: «سينال إلهك الأحمر ما له، لكن البحار يحكمها الإله الغريق».

- «ليس هناك آلهة إلا راهلور والآخر الذي يجب ألا يُذكر اسمه». يرتدي الرّاهب المشعوذ الأسود الحالك بالكامل باستثناء خيطٍ ذهبي في الياقة وطرفي الكمّين والحاشية. لا تُوجد أقمشة حمراء على متن (النصر الحديدي)، لكن لم يكن من اللائق أن يتحرّك موذورو بالأسمال المبقّعة بالملح التي كان يرتديها حين انتشلَه فأر الحقل من البحر، ولذا أملى فيكتاريون على توم تايدوود أن يخيط له ثيابًا جديدةً من الأقمشة المتاحة، بل وتبرّع ببعض قمصانه لهذا الغرض أيضًا. وكانت الثياب الجديدة من الأسود والذهبي، ذلك أن رمز عائلة جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيّة سوداء، وهو الرّمز نفسه الظاهر على راياتهم وقلوعهم. ثياب الرّهبان الحمر القرمزية غريبة على حديديّ الميлад، لكن فيكتاريون أمل أن يتقبّل رجاله موذورو بسهولة أكبر إذا ارتدى لوني آل جرايچوي.

وذهبَ أمله سُدَى. مرتديًا الأسود من رأسه إلى قدميه، ويقناع من اللّهب الأحمر والبُرْتقالي الموشوم على وجهه، يبدو الرّاهب مشؤومًا منذرًا بالويل أكثر من قبل، ويتحاشاه أفراد الطّاقم حين يمشي على سطح المركب، ويصُفّون إذا سقطَ ظلّه عليهم عرَصًا. حتى فأر الحقل الذي اصطاد الرّاهب الأحمر من البحر حتّ فيكتاريون على التّضحية به للإله الغريق. غير أن موذورو يعرف هذه السّواحل الغربية أفضل من أيّ حديدي،

ويعرف أسرار جنس الثنّانين أيضًا. عين الغراب يحتفظ بسحرة، فلم لا أحتفظُ بواحدٍ أيضًا؟ مشعوذه الأسود أقدر من مشعوذي يورون الثلاثة معًا، حتى إذا اجتمعت قُوى الثلاثة في واحد. قد يستهجن ذو الشعر الرطب هذا، لكن آرون وتقواه بعيدان.

وهكذا ضمّ فيكتاريون يده المحروقة في قبضةٍ قويّة، وقال: «(الفجر الجيسكاري) اسم لا يليق بسفينةٍ في الأسطول الحديدي. من أجلك أيها السّاحر سأغيّر اسمها إلى (غضبة الإله الأحمر)». حنى ساحره رأسه قائلاً: «كما يقول القائد».

ومن جديد أصبح عدد سُفن الأسطول الحديدي أربعمًا وخمسين. في اليوم التّالي هاجمتهم زوبعة مباحته، وكان موكورو قد تنبأ بها أيضًا، وحين تجاوزتهم الأمطار وجدوا أن ثلاث سُفن قد اختفت. لم تكن عند فيكتاريون وسيلة يعلم بها إن كانت السُّفن قد غرقت أم جنحت إلى اليابسة أم دفعتها الرّيح بعيدًا عن المسار، فقال لطاقمه: «إنهم يعرفون وجهتنا. إذا كانوا ما زالوا مبحرين فسنلتقي ثانية». لا يملك الرّبّان الحديدي وقتًا لانتظار المتقاعسين فيما يُطوّق عروسه أعداؤها. أجمل امرأة في العالم في حاجةٍ ماسّة إلى فاسي.

ثم إن موكورو أكّد له أن السُّفن الثلاث لم تضع. كلّ ليلة يُوقد الرّاهب المشعوذ نارًا على سلوقيّة (النّصر الحديدي) الأماميّة ويدور حول اللّهب منشدًا الصّلوات، فيجعل ضوء النّار بشرته السوداء تَبْرُق كالجزع المصقول، وفي بعض الأحيان يكاد فيكتاريون يُقسم أن اللّهب الموشوم علي وجهه يتراقص بدوره، يتلوّى ويشني وتتمازج ألسنته وتبدّل ألوانها كلما أدار الرّاهب رأسه.

سُمِعَ أحد المّلاحين يقول: «الرّاهب الأسود يستنزل علينا الشّياطين»، ولمّا بلغ كلامه فيكتاريون أمرَ بجلد الرّجل حتى استحال ظهره إلى دم من الكتفين إلى الرّدفين، ولذا عندما قال موكورو: «ستعود حملانك المفقودة إلى القطيع عند جزيرة اسمها (ياروس)»، ردّ القائد: «خيرٌ لك أن تُصلّي أن تعود حقًا أيها الرّاهب أو قد تكون أنت من يذوق الكُرباج المرّة التّالية».

كان البحر أزرق وأخضر والشّمس تُرسل لظاها من سماءٍ زرقاء خالية

عندما استولى الأسطول الحديدي على غنيمته الثانية شمال غربي (أستاپور). هذه المرّة السّفينة كوج مايري اسمه (اليمامة) في طريقه (يونكاي) عن طريق (جيس الجديدة)، حمولته من البُسط والنَّبِيذ الأخضر الحُلُو والحريير المايري. يملك رُبّانه عيناً مايريّة تجعل الأشياء البعيدة تبدو قريبة من خلال عدستين زجاجيّتين في سلسلة من الأنابيب من النحاس الأصفر، مشكّلة ببراعة بحيث يُدسُّ كل قسم في التّالي حتى تُصبح العين بطول الخنجر لا أكثر. أخذ فيكتاريون هذا الكنز لنفسه، وغير اسم الكوج إلى (الصرد)، ثم قضى القائد أن يُحتفظ برجال الطّاقم حتى تُدفع فديتهم، فهم ليسوا نحّاسين أو عبيدًا، بل مايريون أحرار وبحّارة محنّكون، وأمثالهم يستأهلون مبالغ جيّدة من المال. بما أن (اليمامة) أبحرت من (مير) فلم تحمل لهم أخبارًا جديدة عن (ميرين) أو دنيرس، فقط الأخبار القديمة عن خيالة الدوثرافي على ضفاف (الروين) وزحف الجماعة الذهبية وأشياء أخرى يعرفها فيكتاريون بالفعل.

ليلتها سأل القائد راهبه الأسود الواقف إلى جوار ناره: «ماذا ترى؟ ما الذي ينتظرنا غدًا؟ المزيد من المطر؟». كان يشمُّ رائحة المطر في الهواء. أجاب موذورو: «أرى سماءً غائمةً وريحًا قويّة. لا مطر. من ورائنا يتحرّك الثّمور، وأمّنا تنتظر تينتك».

تينتك. راق وقع الكلمة فيكتاريون. «أخبرني بشيء لا أعرفه أيها الرّاهب».

قال موذورو: «القائد يأمر وأنا أطيع». بدأ رجال الطّاقم يدعون به باللّهب الأسود، وهو الاسم الذي ألصّقه به ستيفار الأثغ الذي لا يستطيع أن ينطق «موذورو»، لكن بأيّ اسم يملك الرّاهب قوّة. أخبر فيكتاريون: «الخط السّاحلي هنا يمتدُّ من الغرب إلى الشرق، وحيث ينعطف شمالاً ستُصادف أرنبين آخرين، أرنبين سريعين لهما قوائم كثيرة».

وقد كان. هذه المرّة اتّضح أن الفريسة زوجان من القوادس الطويلة الرّشيقة السّريعة. أبصرهما رالف الأعرج أولاً، لكنهما سرعان ما سبقا (الويل) و(الأمل اليائس)، فأرسل فيكتاريون للحقاق بهما كلا من (الجناح الحديدي) و(الباشق) و(قبلة الكراكن)، أسرع سفنه على الإطلاق. استمرت المطاردة معظم النّهار، لكن في النّهاية استولى الحديديون على القادسين

بعد قتالٍ وجيزٍ لكنٍ عنيفٍ. نهى إلى فيكتاريون أنهما كانا يُجيران خاليين في الطريق إلى (جيس الجديدة) لتحميل المؤن والسلاح للفيالتي الجيسكاريّة المعسكرة عند (ميرين)... ولجلب جُنْدٍ جُدِّد إلى الحرب يحلون محلّ مَنْ ماتوا. سأل فيكتاريون: «قتلوا في المعركة؟»، فأنكر رجال القادسين ذلك، وقالوا إنهم ماتوا بالإسهال الدّموي، أو الفرس الشّاحبة كما دعوه. وكرّبان (الفجر الجيسكاري) كرّر رُبّانا القادسين كذبة أن دنيرس تارجارين ماتت.

قال فيكتاريون: «أعطاها قُبلةً مني حين تجدانها في الجحيم»، وطلب فأسه وضرب عنقيهما، وبعدها أمر بقتل طاقميهما أيضًا ولم يُنقذ إلا العبيد المقيدين إلى المجاذيف. حطّم سلاسلهم بنفسه وأخبرهم بأنهم رجال أحرار الآن وسيتمتعون بامتياز التّجذيف في الأسطول الحديدي، وهو الشّرف الذي يحلّم به كل صبيّ في (جزر الحديد) في أثناء نشأته. أعلن القائد: «ملكة التّنانين تُحرّر العبيد، وأنا أيضًا».

غيّر اسمي القادسين إلى (الشّبح) و(الطّيف)، «لأنني أنوي أن يعودا ويُطاردا اليونكيين»، كما أخبر المرأة السّمراء ليلتها بعد أن قضى وطره منها. إنهم قريبون الآن، ويقتربون أكثر كلّ يوم. قال وهو يعتصر ثدي المرأة: «سنسقط عليهم كصاعقة البرق»، وتساءل إن كان هذا ما يشعُر به أخوه آرون عندما يُكلّمه الإله الغريق، إذ يكاد يسمع صوت الإله يرتفع ويتعاطم من أغوار البحر، ويبدو له كأن الأمواج تقول له: ستُحسّن خدمتي يا قائدي. لهذا خلقتك.

لكنه سيُطعم الإله الأحمر أيضًا، إله موذورو النَّاري. منظر الدّراع التي داواها الرّاهب بشع حقًا، لحم مشوي من المرفق إلى أطراف الأصابع، وأحيانًا لَمَّا يُغلق فيكتاريون يده يتشقق جِلدها وينبعث منه الدُّخان، إلا أن الدّراع في أقوى حالاتها. قال للسّمراء: «معي الآن إلهان. لا عدوّ يستطيع الصُّمود أمام إلهين»، ثم قلبها على ظهرها وجامعها ثانيةً.

حين ظهرت جروف (ياروس) إلى يسارهم وجدّ سفنه الثلاث المفقودة في انتظاره، تمامًا كما وعدّه موذورو، وأعطى فيكتاريون الرّاهب طوقًا ذهبيًا هديّةً.

والآن عليه أن يختار. هل يُخاطر بالإبحار في البوغاز أم يدور بالأسطول

حول الجزيرة؟ ما زالت ذكرى (الجزيرة القصية) تعتمل في ذاكرة الربان الحديدي. يومها انقصر ستانيس باراثيون على الأسطول الحديدي من الشمال والجنوب في آن واحد وهو عالق في القناة بين الجزيرة والبر، وأنزل بفيكتاريون هزيمة منكرة. لكن الإبحار حول (ياروس) سيكلفه أياماً ثمينه، وبما أن (يونكاي) قريبة للغاية فستكون الملاحة في البوغاز كثيفة، لكنه لا يتوقع أن يواجهوا سفناً حربيةً يونكيةً قبل أن يدنوا أكثر من (ميرين).
ماذا كان عين الغراب ليفعل؟ تفكر في هذا فترة، ثم أعطى لربانته إشارة تقول: «سبحر في البوغاز».

ثلاث غنائم أخرى استولوا عليها قبل أن تتضاءل (ياروس) وراءهم. أسر فأر الحقل و(الثبور) قاليون كبيراً، ومانفريد مرلين و(البومة) قادساً تجارياً. وجدوا مخزنيهما مليئين بالبضائع؛ خمور وحرائر وتوابل وأخشاب نادرة وغطور أندر، لكن السفينتين نفسيهما هما الغنيمة الحقيقية. وفي وقتٍ لاحقٍ من اليوم نفسه وقعَ مركب صيدٍ شراعي أسيراً لـ(الجماجم السبع) و(آفة الأفتان)، مركب صغير بطيء قدر، بالكاد يستحقُّ مجهود الاستيلاء عليه. استاء فيكتاريون حين علم أن إخضاع الصيادين تطلب اثنتين دفعه واحدة من سفنه، لكنه منهم سماع بعودة التين الأسود، وأخبره ربان المركب: «الملكة الفضية رحلت، طارت على تينها إلى وراء (بحر الدوثراكي)».

- «أين (بحر الدوثراكي) هذا؟ سأمنخرُ عبابه بالأسطول الحديدي وأجدُ الملكة أينما كانت».

ضحك الصياد بصوت عالٍ، وقال: «سيكون ذلك مشهداً يستحقُّ الرؤية. (بحر الدوثراكي) عُشب أيها الأحمق».

ما كان يجب أن يقول هذا. بيده المحروقة أطبق فيكتاريون على رقبتة ورفعَه بأكمله في الهواء، ثم ضرب ظهره بالصاري واعتصر حتى اسودَّ وجه اليونكي محاكياً لون الأصابع المغروسة في لحمه. رفس الرجل وتلوى قليلاً محاولاً التملص من قبضة القائد بلا طائل، وقال فيكتاريون: «لا أحد يدعو فيكتاريون جرايچوي بالأحمق ويعيش ليزهو بهذا»، ولما فتح أصابعه سقطت جثة الرجل مرتخية على السطح، ثم ألقتها لونجو وتر پايك وتوم تايدوود من فوق الحاجز كقربانٍ آخرٍ للإله الغريق.

بعدها قال الرَّاهِبُ الأسودُ موذُورو: «إلهكُم الغريقُ شيطان، ليس أكثر من خادمٍ للآخر، إله الظلمات الذي يجب ألا يُذكر اسمه».

قال فيكتاريون منذراً: «احذر أيها الرَّاهِب. على هذه السفينة رجال متديُّون يُمكنهم أن يقتلعوا لسانك لتجديفك هذا. سينال إلهك الأحمر ما له، أقسمُ على هذا. إن كلمتي من حديد. سل أياً من رجالي».

حتى الرَّاهِبُ الأسودُ رأسه قائلاً: «لا داعي. لقد أراني إله الضياء قيمتك أيها القائد. كل ليلة في ناري أبصرُ الأمجاد التي تنتظرك».

سرَّ الكلام فيكتاريون سروراً عظيماً، كما أخبرَ المرأةَ السَّمرَاءَ ليلتها. «كان أخي بالون رجلاً عظيماً، لكنني سأحقِّق ما عجزَ عنه. ستعود (جزر الحديد) حُرَّةً ويرجع النهج القديم. حتى داجون نفسه لم يستطع أن يفعل هذا». مئة عام تقريباً مرَّت منذ جلس داجون جرايچوي على كرسي حجر اليم، لكن الحديديين ما زالوا يحكون عن غاراته ومعاركه. في زمان داجون كان ملك ضعيف يجلس على العرش الحديدي ويُركِّز عينيه الدَّامعتين عبر (البحر الضيق) حيث يتألب النُّغول والمنفيُّون على التَّمرد، وهكذا أبحر اللورد داجون من (پايك) باسطاً هيمنته على (بحر الغروب). «لقد تحدَّى الأسد في عُقر داره وربط ذيل الذئب الرَّهيب في عُقدة، لكن حتى داجون لم يقوَ على هزيمة التَّنانين. أمّا أنا فسأجعل ملكة التَّنانين لي. ستشاركني فراشي وتحمل لي أبناءً أقوىاء كُثراً».

ليلتها بلغ عدد سُفن الأسطول الحديدي السِّتين.

شمال (ياروس) ازدادت القلوع الغربية. إنهم قريبون للغاية من (يونكاي) الآن، ومؤكَّد أن السَّاحل بين المدينة الصَّفراء (ميرين) يعجُّ بالسُّفن التَّجاريَّة وسُفن الإمدادات الدَّاهية والآيبة، وهكذا توغَّل فيكتاريون بالأسطول الحديدي في المياه العميقة بعيداً عن اليابسة، لكن حتى هناك صادفوا سُفنًا أخرى، فأمر الرُّبَّان الحديدي: «لا تدعوا ولو واحدةً تَهْرُب وتُنذر أعداءنا».

ولم تَهْرُب ولو واحدة.

كان البحر أخضر والسَّماء غائمةً صبيحةً أسرت (الثبور) والفتاة المُحاربة) وسفينة فيكتاريون (النَّصر الحديدي) قادس نخاسة من (يونكاي) شمال المدينة الصَّفراء. في مخزنه وجدوا عشرين غلاماً معطراً وثمانين فتاةً

في طريقهم إلى بيوت الهوى في (ليس). لم يخطر لرجال الطاقم قط أن يواجه قادسهم خطرًا على هذه المقربة من مياههم الإقليمية، ولم يلق الحديديون صعوبة كبيرة في الاستيلاء عليه. كان اسمه (العدراء الرّغبة).

أمر فيكتاريون بقتل النخاسين، ثم أرسل رجاله إلى أسفل ليضربوا سلاسل المجذفين، الذين أخبرهم: «ستجدفون لحسابي الآن. أحسنوا التجذيف وستفلاحون»، ثم إنه وزع الفتيات على ربابته، وأخبرهن: «كان اللايسينيون سيجعلونكن عاهرات، لكننا أنقذناكن، والآن عليكن خدمة رجل واحد بدلاً من عدة. من تسرر بانها سيتخذها زوجةً ملحية. إنها منزلة كريمة». أمّا الغلمان المعطرون فكبّلهم بالسلاسل وألقاهم في البحر. إنهم مخلوقات غير طبيعية، وقد تحسنت رائحة السفينة ما إن طهرت من وجودهم.

انتقى فيكتاريون لنفسه سبعًا من صفوة الفتيات. لإحداهن شعر ذهبي أحمر ونمش على ثدييها، وإحداهن شعر جسدها مخلوق تمامًا، وإحداهن شعرها بني وعيناها بنيتان وخجول كالفتران، وإحداهن أكبر نهدين رأهما على الإطلاق، والخامسة صغيرة الحجم لها شعر أسود مسترسل وبشرة ذهبية وعينان بلون الكهرمان، والسادسة بيضاء كالحليب وتضع خواتم من الذهب في حلمتيها وشفهتيها السفليتين، والأخيرة سوداء كجبر الحبار. درّبهن نخاسو (يونكاي) على فنّ التنهّدات السبعة، لكن ليس لهذا السبب أرادهن فيكتاريون، فأمراهة السمراء تكفي لإشباع شهيته حتى يصل إلى (ميرين) وينال ملكته. لا أحد يحتاج إلى الشموع والشمس في انتظاره.

غير اسم القادس إلى (صرخة النخاسين)، وبه صارت سفن الأسطول الحديدي واحدة وستين. قال فيكتاريون لرجال الحديديين: «كل سفينة نأسرها تزيدنا قوة، لكن من هنا سيزداد الأمر صعوبة. غدًا أو بعد غد سنلتقي سفنًا حربيةً على الأرجح. إننا ندخل مياه (ميرين) الإقليمية، حيث تنتظرنا أساطيل الأعداء. سنواجه سفنًا من مُدن النخاسين الثلاث، وسفنا من (تولوس) و(إليريا) و(جيس الجديدة)، وسفنا من (كارث) أيضًا. حرص على عدم ذكر القوادس الخضراء من (فولانتيس القديمة) التي من المؤكّد أنها تقطع (خليج الثبور) في هذه اللحظة تحديدًا. هؤلاء النخاسون مخلوقات واهنة. لقد رأيتم كيف يفرّون منا وسمعتم كيف يصرّخون حين نُقتلهم. كل

رجلٍ منكم يسوى عشرين منهم، فنحن فقط المصنوعون من حديد. تذكروا هذا عندما نلحم شراع سفينة نحاسية المرة الثالثة. لا ترحموهم ولا تتوقعوا منهم رحمة. ما حاجتنا إلى الرحمة؟ إننا حديديو الميلاد، وثمة إلهان يرعياننا. سنستولي على سفنهم ونحطم آمالهم ونحيل خليجهم إلى دماء».

قوبلت كلماته بهتافٍ عظيم، وأجاب القائد بإيماءةٍ ووجهٍ رصين، ثم طلب إحصار الفتيات السبع اللاتي أخذهن لنفسه إلى السطح، الأروع جمالاً بين من كنَّ على متن (العذراء الراغبة). قبل كلاً منهن على الوجنتين وأخبرهن بالشرف الذي ينتظرهن، ولو أنهن لم يفهمن من كلامه شيئاً، ثم وضعهن على مركب الصيد الذي أسروه وقطع حباله وأضرم فيه النار.

وبينما مرَّت سُفن الأسطول الحديدي الحربية بالمركب المشتعل أعلن: «بهديّة البراءة والجمال هذه نُكرّم كلا الإلهين. فلتوكّد هذه الفتيات من جديد في الضياء بلا دنس من شهوات الفانين، أو فلينزّلن إلى أبهاء الإله الغريق المائية ليمرحن ويرقصن ويضحكن إلى أن تجفّ البحور».

قرب النهاية، قبل أن يبتلع البحر المركب المحترق، بدا لفيكتاريون جرايچوي كأن صرخات الحسنات السبع تحوّلت إلى أغنيةٍ بهجةٍ وطرب، وعندها هبّت رياح عظيمة، رياح ملأت أشرعتهم ودفعتهم شمالاً وشرقاً وشمالاً ثانية صوب (ميرين) وقرميد أهراماتها عديد الألوان. على أجنحة من غناءٍ أحلقُ إليك يا دنيرس.

ليلتها، وللمرة الأولى، أخرج بوق التنانين الذي عثر عليه عين الغراب في يباب (فاليريا) العظمى ووسط دُخانها. شيء ملتبس، طوله ستة أقدام من الطّرف إلى الطّرف، أسوده برّاق وحلقاته من الذهب الأحمر والفولاذ الثاليري القاتم. بوق الجحيم الذي أتى به يورون. مرّر فيكتاريون يده على البوق الدّافئ الأملس كفخذَي المرأة السّمراء، اللّامع لدرجة أنه يرى انعكاساً مشوّشاً لصحيفة وجهه في أعماقه. على الحلقات التي تُطوّقه نُقشت كتابة سحرية غريبة، وعنها قال موكورو: «أبجدية فاليريّة».

يعلم فيكتاريون هذا بالفعل، فسأله: «ماذا تقول؟». أجاب الرّاهب الأسود: «الكثير»، وأشار إلى إحدى الحلقات الذهبية

مردفًا: «هنا اسم البوق. مكتوب: أنا (أَسْر التَّنَانِين). هل سمعت صوته من قبل؟».

- «مرّة». خلال انتخاب الملك في (ويك القديمة) نفخَ واحد من هِجان أخيه في بوق الجحيم، رجل كالوحش، ضخَم الجثّة حليق الرّأس حول ذراعيه غليظتي العضلات حلقات من الذهب والكهرمان الأسود واليَشْب، وعلى صدره وشم لصقِر عظيم. «الصّوت الذي صدرَ منه... كان حارقًا بشكل ما، كأن عظامي اشتعلت نارًا تلفح لحمي من الدّاخل. توهّجت هذه الكتابة بالأحمر ثم الأبيض وصارَ النّظر إليها يُؤلم. بدا كأن الصّوت لن ينتهي أبدًا، كصرخةٍ واحدةٍ طويلة، كألف صرخةٍ ذائبةٍ في واحدة.».

- «والرّجل الذي نفخَ في البوق، ماذا جرى له؟».

أجابَ القائد: «مات. كانت على شفّتيه قروح بعدها، وكان طائرُه ينزف أيضًا»، ودقّ على صدره متابعًا: «الصّقْر، هنا بالصّبط. كل ريشةٍ كانت تقطُر دمًا. سمعتُ أن الرّجل تفحّم من الدّاخل، ولكن ربما كانت هذه مجرد أقاويل».

- «أقاويل حقيقيّة». قلبَ موكوروو بوق الجحيم فاحصًا الحروف الغريبة على حلقةٍ ذهبيّةٍ أخرى، ثم قال: «مكتوب هنا: لا إنسانَ فانيًا سينفخُ فيّ ويعيش».

بمرارةٍ فكّر فيكتاريون في خيانة الإخوة. هدايا يورون مسمومة دومًا. «عين الغراب أقسم أن هذا البوق سيربط التّنانين بإرادتي، لكن كيف ينفعي ذلك إن كان الموت الثمن؟».

أجابَه موكوروو: «أخوك لم ينفخُ في البوق بنفسه، ويجب ألا تنفخُ فيه كذلك»، وأشارَ إلى حلقةٍ من الفولاذ قائلاً: «هنا. الدّم مقابل النّار، النّار مقابل الدّم. لا يهّم من ينفخُ في بوق الجحيم. التّنانين ستذهب إلى سيّد البوق. عليك أن تستحوذ على البوق... بالدّم».



الصَّغِيرَةُ الْقَبِيحَةُ

أحد عشر خادماً للإله عديد الوجوه اجتمعوا ليلتها تحت المعبد، أكبر عددٍ منهم رأته في آنٍ واحد. فقط اللورد الصَّغِيرُ والرَّجُلُ البدين وصلَا من الباب الأمامي، أمَّا الآخرون فأتوا من طُرُقٍ سرِّيَّةٍ عبر الأنفاق والممرات الخفيَّة. يرتدي الجميع الأردية البيضاء والسَّوداء، لكن إذ اتَّخذوا مقاعدهم أنزَلَ كل منهم قلنسوته مظهرًا الوجه الذي اختارَ أن يضعه اليوم. مقاعدهم الطويلة منحوتة من الأبنوس والويروود كمصراعَي باب المعبد بالأعلى، وعلى ظهور المقاعد الأبنوس وجوه من الويروود، والعكس بالعكس.

وقفَ أحد المُعاونين الآخرين في طرف الحُجْرة الآخرِ بإبريقٍ من النَّبِيذِ الأحمر القاني، وحملت هي الماء. متى أرادَ أحد الخدم الشرب رفعَ عينيه أو عقفَ إصبَعه، فيتقدَّم أحدهما أو كلاهما ليملاً كوبه، لكن غالبًا ظل الاثنان واقفين في مكانيهما في انتظار إشاراتٍ لم تأت قطُّ. أنا منحوتة من حجر، أنا تمثال، مثل أمراء البحر الواقفين على (قناة الأبطال). الماء ثقيل، إلَّا أن ذراعَيْها قويَّتان.

تكلمَّ الكهنة بلُغة (برافوس)، ولو أن لعدَّة دقائق تكلمَّ ثلاثة منهم بحماسةٍ بالقاليريَّة الفُصحى. فهتمَّت الفتاة الكلام في الغالب، لكنهم تكلمَّوا بأصواتٍ خفيفة ولم تستطع أن تسمعهم طوال الوقت. سمعتَ كاهنًا له وجه ضحيَّة طاعون يقول: «أعرفُ هذا الرَّجُل»، وبينما صبَّبت له الماء ردَّد البدين: «أعرفُ هذا الرَّجُل»، لكن الوسيم قال: «سأعطي هذا الرَّجُل الهدية. لستُ أعرفه»، ولاحقًا كرَّر ضيقَ العينين الكلام نفسه عن شخصٍ مختلف.

بعد ثلاث ساعاتٍ من النَّبِيذِ والنَّقاش انصرفَ الكهنة... جميعهم باستثناء

الرَّجُلِ الطَّيِّبِ وَاللَّقَيْطَةِ وَهَذَا الَّذِي يَحْمِلُ وَجْهَهُ آثَارَ الطَّاعُونَ. تُغَطِّي وَجْهَهُ الْقُرُوحُ النَّازَةِ وَسَقَطَ شَعْرُهُ كُلُّهُ وَيَقْطُرُ مِنْ أَحَدٍ مِنْخَرِيهِ الدَّمُ وَيَتَخَثَّرُ عِنْدَ أَرْكَانِ كِلْتَا الْعَيْنَيْنِ. قَالَ لَهَا الرَّجُلُ الطَّيِّبُ: «أَخُونَا يَرِغَبُ فِي الْكَلَامِ مَعَكَ أَيُّهَا الصَّغِيرَةُ. اجْلِسِي إِذَا أَرَدْتِ»، فَجَلَسَتْ عَلَى مَقْعَدٍ مِنَ الْوَيُرُودِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْأَبْنُوسِ. لَا تَخْشَى الْفَتَاةُ الْقُرُوحَ النَّازِفَةَ، فَقَدِ قَضَّتْ فِي (دَارِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ) وَقْتًا أَطْوَلَ مِنْ أَنْ يُخَيِّفَهَا وَجْهَ زَائِفٍ. سَأَلَهَا وَجْهَ الطَّاعُونَ حِينَ انْفَرَدَ بِهَا: «مَنْ أَنْتِ؟». - «لَا أَحَدٌ».

- «غَيْرِ صَحِيحٍ. أَنْتِ آرِيَا سَلِيلَةَ عَائِلَةِ سِتَارِكِ، الَّتِي تَعْصُ شَفْتَيْهَا وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَقِ كَذْبًا».

- «كُنْتُ كَذَلِكَ وَلَمْ أُعِدْ».

- «لِمَاذَا أَنْتِ هُنَا أَيُّهَا الْكَاذِبَةُ؟».

- «لَأَخْدَمَ، لِأَتَعَلَّمَ، لِأَغَيِّرَ وَجْهِي».

- «غَيَّرِي قَلْبَكَ أَوْ لَا. هَدِيَّةُ الْإِلَهِ عَدِيدُ الْوَجْهِ لَيْسَتْ لُعْبَةً أَطْفَالٍ. إِنَّكَ تُرِيدِينَ الْقَتْلَ لِتَحْقِيقِ مُرَادِكَ، لِمَتَمَتَّكَ الْخَاصَّةُ. أَتُنْكِرِينَ هَذَا؟».

عَضَّتْ شَفْتَيْهَا قَائِلَةً: «إِنِّي...».

وَصَفَعَهَا الرَّجُلُ.

خَلَّفَتْ الصَّفْعَةَ فِي وَجْهَتِهَا وَخِزًّا، لَكِنَّمَا تَعْلَمُ أَنَّهَا اسْتَحَقَّتْهَا، فَقَالَتْ: «أَشْكُرُكَ». فَلْتَلَقَّ مَا يَكْفِي مِنْ صَفْعَاتٍ وَقَدْ تَكْفُ عَنْ مَضْغِ شَفْتَيْهَا. آرِيَا مَنْ كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ لَا ذَنْبَةَ اللَّيْلِ. «نَعَمْ، أَنْكُرُ هَذَا».

- «كَاذِبَةٌ. أَرَى الْحَقِيقَةَ فِي عَيْنَيْكَ. إِنْ لَكَ عَيْنِي ذَنْبٌ وَتَشْتَهِيَنِ الدَّمَاءَ».

رَغْمًا عَنْهَا فَكَّرَتْ: السَّيْرُ جَرِيحُورٌ، دَانَسَنٌ، رَافُ الْمَعْسُولِ، السَّيْرُ الْبَيْنِ، السَّيْرُ مَرِينٌ، الْمَلِكَةُ سَرَسِي. إِذَا تَكَلَّمْتَ فَعَلَيْهَا أَنْ تَكْذِبَ، وَسَيَسْتَشْفُ كَذْبَهَا، وَلِذَا لَادَتْ بِالصَّمْتِ.

- «يَقُولُونَ لِي إِنَّكَ كُنْتِ قِطَّةً تَجُوبُ الْأَزَقَّةَ وَرَائِحَةُ السَّمَكِ تَفُوحُ مِنْهَا، تَتَّبِعُ أُمَّ الْخُلُولِ وَبَلْحَ الْبَحْرِ مِقَابِلَ مَالِ. حَيَاةٌ وَضِيعَةٌ تُنَاسِبُ مَخْلُوقَةً وَضِيعَةٌ مِثْلِكَ. اطْلُبِي وَسُرِّدِي إِلَيْكَ. ادْفَعِي عَرَبَتِكَ وَنَادِي عَلَى أُمَّ الْخُلُولِ وَعَيْشِي قَانَعَةً. إِنْ قَلْبِكَ أَرْقُ مِنْ أَنْ تَكُونِي وَاحِدَةً مِنَّا».

يُرِيدُ أَنْ يَصْرَفَنِي. «ليس لي قلب. لي فجوة فقط. لقد قتلتُ أناسًا كثيرين،
وَيُمْكِنُنِي أَنْ أَقْتَلَكَ أَيْضًا».

- «هل ستلذذين بذلك؟».

لم تعرف الإجابة الصَّحيحة، فقالت: «ربما».

- «إذن فليس مكانك هنا. في هذه الدَّارِ ليست للموت لذة. إننا لسنا

مُحَارِبِينَ أو جنودًا أو مبارزي براقو متبخترين تنتفخ أوداجهم زهوًا، لا نقتل
خدمةً لأحد السَّادة أو لاكتناز المال أو لمداعبة غرورنا، لا نُعْطِي الهدية مُتعةً
لأنفسنا أبدًا، ولا نختار مَنْ نقتلهم. إننا مجردُ خدمٍ لئله ذي الوجوه العديدة».

- «فالار دوهايرس». كلُّ البَشَرِ واجبهُم الخدْمة.

- «تعرفين العبارة، لكنك أشد غرورًا من أن تخدمي. على الخادم أن

يكون متواضعًا مطيعًا».

- «إنني مطيعة، ويُمْكِنُنِي أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَ تَوَاضُعًا مِنْ أَيِّ أَحَدٍ».

قهقهة لردِّها، وقال: «ستكونين إلهة التَّواضُعِ ذاتها، إنني واثق. لكن هل

تستطيعين دفع الثَّمَنِ؟».

- «ما الثَّمَنُ؟».

- «الثَّمَنُ أَنْتِ، الثَّمَنُ كُلُّ مَا تَمْتَلِكِينَ وَكُلُّ مَا تَأْمَلِينَ امتلاكه يومًا. لقد

أخذنا عينيك وأعدناهما. المرَّةُ التَّالِيَةُ سنأخذ أذنك وستمشين في صمت.

ستُعطِينَا ساقيك وتزحفين. ستكونين ابنة لا أحد، زوجة لا أحد، أم لا أحد.

سيكون اسمك أكذوبةً، والوجه الذي تضعينه لن يكون وجهك».

كأدت تعضُّ شفتها ثانيةً، لكنها أمسكت نفسها هذه المرَّةُ ومنعتها.

وجهي بركة مظلمة تخفي كلَّ شيءٍ ولا تُبدي شيئًا. فكَّرت في كلِّ الأسماء

التي انتحلَّتها: آري، بنت عرس، الكتكوت، قِطَّةُ القنوات، وفكَّرت في الفتاة

الحمقاء المولودة في (وينترفل) واسمها آريا وجه الحصان. الأسماء لا تهْمُ.

«أستطيعُ أَنْ أَدْفَعِ الثَّمَنَ. أعْطِنِي وَجْهًا».

- «لا بُدَّ أَنْ تَسْتَحَقَّ الْوَجْهَ».

- «أخبرني كيف».

- «بإعطاء رجلٍ معيَّنٍ هديةً معيَّنةً. أَيْمُكُنِي أَنْ تَفْعَلِي هَذَا؟».

- «أي رجل؟».

- «لا أحد تعرفينه» .
- «لستُ أعرفُ أناسًا كثيرين» .
- «وهو أحدهم، غريب، لا أحد تُحِبُّه، لا أحد تُكرِهينه، لا أحد عرفته من قبل. هل ستقتلينه؟» .
- «نعم» .
- «غداً إذن تعودين قِطَّةَ القنوات من جديد. ضعي هذا الوجه وراقبي وأطيعي، وسوف نرى إن كنتِ جديرةً حقاً بخدمة ذي الوجوه العديدة» .
وهكذا عادت في اليوم التالي إلى بروسكو وابتتته في المنزل المطل على القناة. حين رآها بروسكو اتسعت عيناه، وأطلقت بريا شهقةً صغيرةً، وقالت كات على سبيل التَّحِيَّةِ: «فالار مورجوليس»، فردَّ بروسكو: «فالار دوهايرس» .

وبعدها فكأنها لم تَغِبَ قَطُّ .

في وقتٍ لاحقٍ من الصُّباح نفسه أَلَقَتْ نظرتها الأولى على الرَّجل الذي عليها أن تَقْتله إذ دَارَتْ بعربتها في الشُّوارع المعبَّدة بالحجارة المطلَّة على (الميناء الأرجواني). وجدته عجوزًا تجاوزَ الخمسين بعدة أعوام، وحاوَلت أن تقول لنفسها: لقد عاشَ طويلاً جدًّا. لماذا يحظى بسنواتٍ كثيرة على قيد الحياة وقد حظيَ أبي بالقليل؟ لكن قِطَّةَ القنوات بلا أب، فاحتفظت بهذا الخاطر لنفسها.

نادت إذ مرَّ بها: «أم الخلول وبلح بحر وحلزون، محار وروبيان وبلح بحر أخضر كبير»، وابتسمت له أيضًا. أحيانًا لا تحتاج إلا إلى ابتسامةٍ لتجعلهم يتوقَّفون ويشترون منها. على أن العجوز لم يُبادِلها الابتسام، بل عبس في وجهها ومضى في طريقه خائضًا في بركةٍ صغيرة، ليتناثر الماء ويُبَلِّل قدميها. شاهدته يذهب قائلةً لنفسها: لا يتمتَّع بأيِّ كياسة. وجهه قاسٍ فظ. للعجوز أنف رفيع حاد وشفتان رفيعتان وعينان صغيرتان متقاربتان، شابَّ شعره لكن اللحية الصَّغيرة المدبَّبة في طرف ذقنه ما زالت سوداء. فكَّرت كات أنها مصبوغة بالتأكيد، وتساءلت لِمَ لم يَصْبُغ شعره أيضًا. إحدى كتفيه أعلى من الأخرى، وهو ما يمنحه منظرًا معوجًّا.

ليلتها عندما رجعت إلى (دار الأبيض والأسود) أعلنت: «إنه رجل شرير. شفتاه قاسيتان وعينه فظنان وله لحية شخص آثم».

قهقهة الرجل الطيب قائلاً: «إنه رجل كأي رجل آخر، في داخله نور وظلام. ليس لك أن تحكمي عليه».

حدا بها قوله إلى الصمت لحظة، قبل أن تسأل: «هل حكمت عليه الآلهة؟».

- «بعض الآلهة ربما. ما الآلهة إن لم تجلس وتحكّم على البشر؟ لكن الإله عديد الوجوه لا يزن أنفس الناس، بل يعطي هديته لأفضلهم وأسوأهم على حدّ سواء، وإلا لعاش الأختيار إلى الأبد».

في اليوم التالي قرّرت كات إذ راقبته من وراء عربتها أن أسوأ ما في العجوز يدها. أصابعه عظيمة طويلة لا تتوقّف عن الحركة، تحكّ لحيته، تشدّ أذنه، تنفّر على الطاولة، تختلج وتختلج وتختلج. يدها كعنكبوتين أبيضين. كلّما راقبت حركة يديه تضاعف كرهاها له.

في المعبد أخبرتهم: «يحرّك يديه كثيرًا جدًّا. لا شك أنه مفعم بالخوف. ستمنحه الهدية السّلام».

- «الهدية تمنح جميع البشر السّلام».

- «حين أقتله سينظر في عيني ويشكرني».

- «إذا فعل فقد فشلت. الأفضل ألاّ يلحظك على الإطلاق».

استنتجت كات بعد مراقبته بضعة أيام أن العجوز يزاول تجارة ما، ولتجارته صلة بالبحر، وإن لم تره يضع قدمًا على سفينة ولو مرّة. يقضي الرجل النّهار جالسًا في محلّ حساءٍ قرب (الميناء الأرجواني)، تاركًا عند مرفقه كوبًا من مرق البصل يبرّد فيما يُقلّب الأوراق وشمع الأختام ويتحدّث بنبرة حادة إلى سلسلة من القباطنة وأصحاب السفن وغيرهم من التّجار، الذين يبدو عليهم جميعًا أنهم لا يضمرون للرجل مودةً.

ومع ذلك يجلبون إليه مالًا، صررًا جلديةً ملأى بالذهب والفضّة وعملة (برافوس) الحديدية المربّعة، فيحصي العجوز النّقود بحرصٍ ويفرزها ويرصّ كلّ نوع من العملة في بُرج صغير أنيق، لكنه لا ينظر إلى العملات أبدًا، وبدلًا من ذلك يعصّ كل قطعة بالجانب الأيسر من فمه دائمًا حيث لا

تزال أسنانه كاملةً، وبين الحين والآخر يُدوّر واحدةً على الطاولة ويُصغي إلى الصّوت الذي تُصدِرُه عندما تكفُّ عن الدّوران.

وحين يُحصي النُّقود كلّها ويتدوّقها يدوّن العجوز شيئاً ما على رُقٍّ ويمهره بختمه ويُعطيه للرّبّان، أو يهزُّ رأسه نفيّاً ويدفع النُّقود عبر الطاولة معيِّداً إيّاها إلى صاحبها، ومتى فعلَ هذا احتقنَ وجه الرّجل الآخر ولاخ عليه الحنق أو شحبَ وجهه ولاخ عليه الخوف.

لم تفهم كات، وسألَت الرّجل الطيّب: «يُنقُدونه ذهباً وفضّةً فيُعطيهم كلاماً على ورق. أهُم أغبياء؟».

- «بعضهم ربما، لكن أكثرهم حذر ببساطة. بعضهم يُحاول استرضاءه، لكنه ليس رجلاً يُسترضى بسهولة».

- «لكن ماذا يبيعهم بالضبط؟».

- «إنه يكتُب لكلّ منهم وثيقة. إذا ضاعَت سُفْنهم في عاصفةٍ أو استولى عليها القراصنة فإنه يعدهم بتعويضهم عن قيمة السّفينة وجميع محتوياتها».

- «أهي مُقامرة ما؟».

- «نوعاً، مُقامرة يتمنى كلُّ رُبّانٍ أن يخسرها».

- «نعم، لكن إذا كسبوا...».

- «... فإنهم يخسرون سُفْنهم، وفي أغلب الأحيان حياتهم نفسها. البحار ملأى بالمخاطر، تحديداً في الخريف. لا ريب أن ربانةً كثيرين وجدوا أنفسهم يغرقون في عاصفةٍ لكنهم وجدوا قليلاً من العزاء في الوثائق التي تركوها في (برافوس)، عالمين أن أراملهم وأولادهم لن يفتقروا إلى شيء»، ومسّت ابتسامة حزينة شفّتي الرّجل الطيّب، وأردف: «إلا أن كتابة وثيقة كهذه شيء والوفاء بها شيء آخر».

وفهمت كات. لا بدّ أن أحدهم يكرهه. أحدهم جاءَ (دار الأبيض والأسود) وصلّى لئلاّ أن يأخذه. تساءلت مَنْ هو، لكن الرّجل الطيّب أبى أن يُخبرها، وقال: «ليس لك أن تتطفّلي على هذه الأمور. مَنْ أنتِ؟».

- «لا أحد».

قال: «لا أحد لا تسأل أسئلةً»، وأمسكَ يديها مستطرداً: «إن لم يكن بإمكانك أن تفعلي هذا فما عليك إلاّ أن تقولي. لا عار في هذا. بعض البشر

مخلوق لخدمة الإله عديد الوجوه وبعضهم لا. قولي الكلمة فقط وسأرفعُ
عنك هذه المهمة».

- «سأنفّذها. قلتُ إنني سأنفّذها وسأنفّذها».

لكن كيف؟ هذا هو الجزء الأصعب.

للعجوز حارسان، أحدهما طويل نحيف والآخر قصير مكتنز، ويذهبان
معه في كل مكانٍ منذ يُغادر منزله في الصّباح وحتى يعود إليه ليلاً، ويحرصان
عليّ عدم دنوّ أحدٍ من العجوز دون إذنه. في مرّةٍ كادَ رجل سكران يرتطم به
وهو عائد إلى منزله من محلّ الحساء، لكن الطويل وضع نفسه بينهما ودفعَ
السّكران بحدّةٍ طرحته أرضاً. في محلّ الحساء يذوق القصير مرقّ البصل أو لا
دوماً، ويترّكه العجوز يبرّد قبل أن يرشف منه، ما يكفي من وقتٍ ليضمن أن
سوءاً ما لم يُصب حارسه.

أدركتُ كات أن الرّجل خائف، «أو أنه يعلم أن أحدهم يسعى لقتله».

ردّ الرّجل الطيّب: «لا أعلم، لكنه مرتاب».

- «الحارسان يذهبان معه حين يخرج ليتبول، لكنه لا يذهب معهما حين
يخرجان. الطويل أسرعهما. سأنتظرُ حتى يذهب ليتبول وأدخلُ المحل
وأطعنُ العجوز في عينه».

- «والحارس الآخر؟».

- «إنه بطيءٌ وغبي. يُمكنني أن أقتله أيضاً».

- «أأنتِ جزّار في ميدان المعركة يُدبّح كلّ من يعترض طريقه؟».

- «لا».

- «أمّل هذا. أنتِ خادمةٌ للإله عديد الوجوه، ونحن خدّم ذيّ الوجوه
العديدة نُعطي هديّته لمن عُيّنوا واختيروا فحسب».

وفهمتُ الفتاة. اقتلّيه، اقتلّيه هو فقط.

استغرقتُ ثلاثة أيامٍ أخرى من المراقبة قبل أن تجد ضالّتها، ويومًا آخر
من التّدريب بسكّينها الرّفيّع. علّمها روجو الأحمر كيف تستخدمه، لكنها
لم تشقّ كيس نقودٍ منذ مُدّةٍ قبل أن يأخذوا عينها، وأرادت أن تتأكّد من أنها
لا تزال تعرف كيف. مرّةً ومرّةً ومرّةً أخرجتُ السكّين من كُمّها بخفّةٍ قائلّةً
لنفسها: بنعوميّةٍ وسرعةٍ، هذه هي الطّريقة، لا تتحسّسي، ولما وجدت نفسها

راضيةً عن قُدرتها على استخدام السكِّين شحذت نصله الفولاذي حتى برقت حافته بالأزرق الفضيّ في ضوء الشُّموع. الجزء الآخر أصعب، لكن اللقيطة موجودة لتعينها.

ثم أعلنت الفتاة في الصُّباح التَّالي على الإفطار: «سأعطي الرَّجل الهدية غدًا».

قال الرَّجل الطَّيب: «سِيرُضي هذا ذا الوجود العديدة»، ونهَض مردفًا: «قِطَّة القنوت معروفة لكثيرين. إذا رآها أحد تُنفذ المهمة فقد يدُرُّ هذا المتاعب على بروسكو وابنتيه. حان الوقت لأن تضعي وجهًا آخر».

لم تبسم الفتاة، لكنها سُرَّت في قرارة نفسها. لقد فقدت كات مرَّة ورثت لها، ولا تُريد أن تفقدها ثانيةً. «كيف سأبدو؟».

- «قبيحة». ستُشيخ النساء بوجوههن حين يرينك، ويُحدِّق إليك الأطفال ويُشيرون، ويُشفيق عليك الرَّجال الأقوياء وقد يذرف بعضهم دمعًا. لا أحد يراك سينسأك سريعًا. تعالي».

خلع الرَّجل الطَّيب القنديل عن حُطَّافه وقادها مرورًا بالبركة السَّوداء السَّاكنة وصفوف الآلهة القائمة الصَّامتة إلى السَّلام في مؤخرة المعبد، ولحقت بهما اللقيطة إذ بدأ النزول. لم يتكلَّم أحد، الصَّوت الوحيد من احتكاك نعال أخفافهم الخافت بالدَّرجات. قادتهم ثماني عشرة خُطوة إلى الأقبية، حيث تفتح خمسة أروقة كأصابع يد الإنسان، وهناك ضاقت الدَّرجات وازدادت تحدُّرًا، لكن الفتاة قطعتها صعودًا ونزولًا ألف مرَّة ولم تعد تُخيفها. بعد اثنتين وعشرين خُطوة بلغوا القبو الأدنى، حيث الأنفاق ضيقة معوجة، ثقب دوديَّة تلوَّى في قلب الصَّخرة العظيمة. أحد الممرَّات مغلق بباب حديدي ثقيل، فعلق الكاهن القنديل على حُطَّافٍ في الحائط ودسَّ يده في طيَّات ثيابه وأخرج مفتاحًا منمَّقًا.

اقشعرَّ جلدها. المعتكف. ما زالوا سينزلون إلى المستوى الثَّالث، إلى الحُجرات السَّريَّة المسموح بدخولها للكهنة وحدهم.

طقَّ المفتاح ثلاث مرَّات بمنتهى الخفوت إذ دوَّره الرَّجل الطَّيب في القفل، وانفتح الباب على مفصلاتٍ حديد مزيتة دون أن يُصدر صوتًا، ليظهر وراءه المزيد من السَّلام المنحوتة في الصَّخر المصمت. تناول الكاهن

القنديل ثانيةً وقادَ الطَّرِيقَ، وأتبعَت الفتاة الصَّوَاءَ عَادَةً الدَّرَجَاتِ وهي تنزل. 4، 5، 6، 7. وجدَت نفسها تتمنَّى لو أنها جلبت عصاها. 10، 11، 12. تعرف كم درجةً بين المعبد والقبو، وبين القبو والأدنى، حتى إنها أحصت درجات السُّلَمِ اللُّولبي الضيِّق الذي يقود إلى العليَّة، ودرجات السُّلَمِ الخشبي العالي الذي يقود إلى باب السَّطْحِ والبسطة المكشوفة للريِّح بالخارج.

لكن هذه السُّلالم مجهولة لها، وهو ما يجعلها خطيرةً. 21، 22، 23. مع كلِّ خُطوةٍ تشتدُّ برودة الهواء بعض الشَّيء، ولَمَّا بلغَ عُدَّها الثلاثين علمت أنهم تحت القنوات نفسها الآن. 33، 34. كم سيتوغَّلون في باطن الأرض؟

عندما بلغت الدَّرَجَةَ الرَّابِعَةَ والخمسين انتهت السُّلالم أخيرًا عند باب حديد آخر، وإن لم يكن هذا موصلًا. دفعه الرَّجُل الطيِّب وخطا إلى الدَّاخِلِ، وتبعته الفتاة وفي أعقابها اللَّقِيطة. ترددت أصداء خُطاهم في الظلمة، ورفع الرَّجُل الطيِّب قنديله وأزاح سدائله عن آخرها ليغمر الصَّوَاءَ الجُدْران من حولهم. ورأت ألفًا من الوجوه تُحدِّق إليها.

وجوه معلقة على الجُدْران عاليها وسافلها، أمامها وخلفها، أينما نظرت، أينما التفتت. رأت وجوهًا شابَّةً ووجوهًا عجوزًا، وجوهًا شاحبةً ووجوهًا داكنةً، وجوهًا ناعمةً ووجوهًا متغضَّنةً، وجوهًا منمَّشةً ووجوهًا نديبةً، وجوهًا وسيمةً ووجوهًا دميمةً، رجالًا ونساءً، صبيان وصبايا ورُضْعًا أيضًا، وجوهًا باسمَّةً، وجوهًا عابسةً، وجوهًا ملأى بالجشع والغضب والسُّبْقِ، وجوهًا حليقةً ووجوهًا كثيفة الشعر. قالت لنفسها: أقنعة، إن هي إلا أقنعة، لكن حتى في اللِّحظة التي جالت فيها الفكرة بدماعها كانت تعلم أن ذلك ليس صحيحًا. هذه جلود بشرية.

سألها الرَّجُل الطيِّب: «هل تُخيفك أيتها الصَّغيرة؟ لم يفت الأوان، ما زال يُمكنك تركنا. أهدأ ما تُريدن حقًّا؟».

عصت آريا شفتها. إنها تجهل ما تُريده. إذا غادرتُ فأين أذهب؟ لقد غسَّلت مئة جثةٍ وجرَّدتها من ثيابها، والأشياء الميتة لا تُخيفها. يأتون بهم هنا ثم يقطعون وجوههم، وماذا في هذا؟ إنها ذئبة الليل، وليست تخشى قطعةً من الجلد. قلنسوات جلدية، هذا كل ما هنالك، لا يُمكنها أن تؤذيني. بان دفاعٍ قالت: «افعلها».

قَادَهَا عبر القاعة مرورًا بصفٍّ من الأنفاق المفضية إلى أروقة جانبيّة، وأنار ضوء القنديل كلًّا منها بدوره. أحد الأنفاق جُدرانه من العظام البشريّة، وتدعم سقفه أعمدة من الجماجم، ويفتح آخر على سلالم ملتفة تقود إلى أسفل. كم قبوا هناك؟ هل تنزل السلالم بلا نهاية؟

قال الكاهن أمرًا: «اجلسي»، فجلست. «والآن أغمضي عينيك»، فأغمضت عينها. «سيؤلمك هذا، لكن الألم ثمن القوّة. لا تتحرّكي». بثبات الحجر. جلست بلا حراك، وكان القطع سريعًا، والنصل ماضيًا. المفترض أن يكون النصل باردًا على بشرتها، إلا أنها شعرت به دافئًا، وشعرت بالدم ينهمر على وجهها كستارٍ أحمر متموّج يُرخى على جبهتها ووجتيها وذقنها، وأدركت لماذا جعلها الكاهن تُغلق عينها. حينما بلغ شفيتها تذوّقت الملح والنحاس، ولعقتها وارتجفت.

قال الرّجل الطيّب: «هاتي الوجه»، فلم تُجب اللّقيطة، لكن الفتاة سمعت حُفّيتها يهمسان على الأرض الحجريّة. للفتاة قال الكاهن: «اشربي هذا»، ووضع في يدها كوبًا. جرعت دُفعةً واحدةً، ووجدت مذاقه لاذعًا للغاية كأنها قضمت من ليمونة. قبل ألف عامٍ عرفت فتاةً أحبّت كعك اللّيمون. لا، لم تكن تلك أنا، كانت آريا.

كان الرّجل الطيّب يقول: «الممثلون يُبدّلون وجوههم بالحيلة، والمشعوذون يستخدمون السّحر، ينسجون الضّوء والظلال والأمني معًا لعمل أوهام تخدع الأعيُن. سوف تتعلّمين تلك الفنون، لكن ما نفعه هنا يتجاوز ذلك. باستطاعة الحُكماء استشفاف الحيل، وتحت الأعيُن الثّاقبة يذوب الوهم، أمّا الوجه الذي ستضعينه الآن فحقيقي راسخ كالوجه الذي وُلدت به. لا تفتحي عينيك». شعرت بأصابعه تزيح شعرها إذ قال: «ابقي ثابتةً. سينتابك إحساس غريب، وقد يُصيبك الدُّوار، لكن يجب ألا تتحرّكي». ثم إنها شعرت بشدّةٍ وحفيّفٍ خافت إذ وُضع الوجه الجديد على القديم. احتكّ الجلد بجبهتها جافًا يابسًا، لكن عندما تشرّب دمه صارت ناعمًا لدنًا. أحسّت بدفءٍ واحتقانٍ في وجتيها، وتسارعت خفقات قلبها في صدرها، وللحظة طالت لم تستطع التقاط أنفاسها. أطبقت على عنقها يدان بصلابة الحجر وراحتا تخنقانهما، فانطلقت يدها إلى أعلى تُصارعان ذراعي مهاجمها،

إلا أنها لم تجد أحداً. أفعمها إحساس مفرج بالخوف، وسمعت ضوضاءً، ضوضاءً مهولةً كأن شيئاً ما ينطحن يصحبها ألم يُعمي، وسبح وجه أمامها، وجه وحشي سمين ملتج يلتوي فمه ثورةً. سمعت الكاهن يقول: «تنفسي أيتها الصغيرة، اطردي الخوف بالتنفس، انفضي الظلال. هو ميت وهي ميتة. ألمها انتهى. تنفسي».

أخذت الفتاة نفساً عميقاً راجفًا وأدركت أن ما قاله صحيح. لا أحد يخنقها، لا أحد يضربها، وعلى الرغم من هذا ارتعشت يدها إذ رفعتها إلى وجهها، لتفتت شذرات من الدم الجاف مع لمسة أناملها، سوداء في ضوء القنديل. تحسست وجتها ولمست عينيها ومررت أصابعها على خط فكها، ثم قالت: «لم يتبدل وجهي».

- «حقاً؟ أنت واثقة؟».

أهي واثقة؟ لم تشعر بأيّ تغيير، ولكن قد لا يكون هذا شيئاً تشعر به. مررت يدها على وجهها من أعلى إلى أسفل كما رأت چاكن هاجار يفعل في (هارنهال). حين فعل هذا تموجت ملامحه كلها وتغيرت، وحين فعلته هي لم يحدث شيء. «لا أشعر بتغيير».

رد الكاهن: «أنت لا تشعرين به، لكن وجهك تبدل».

أضافت اللقطة: «في أعين الآخرين أنفك وفكك مكسوران، وأحد جانبي وجهك غائص حيث تهشمت عظمة الخد، ونصف أسنانك مفقود».

تحسست داخل فمها بلسانها فلم تجد فجواتٍ أو أسناناً مكسورةً. شعودة.

إن لي وجهاً جديداً، وجهاً قبيحاً محطماً.

قال الرجل الطيب يُنبها: «قد ترين أحلاماً سيئةً فترةً من الوقت. لقد اعتاد أبوها ضربها كثيراً وبوحشية حتى إنها لم تنعتق حقاً من الألم حتى جاءتنا».

- «هل قتلتموه؟».

- «لقد طلبت الهدية لنفسها لا لأبيها».

كان يجدر بكم أن تقتلوه هو.

مؤكد أنه قرأ أفكارها، لأنه قال: «الموت أدركه في النهاية كما يدرك البشر جميعاً وكما يجب أن يدرك رجلاً معيناً غداً»، ورفع المصباح مضيفاً: «فرغنا هنا».

في الوقت الحالي . بينما بدأوا يصعدون السّلام بدا كأن محاجر أعين
الجلود الفارغة على الجدران تتبعها، وللحظة خيّل إليها أنها ترى شفاهها
تتحرك، تتبادل همس الأسرار الفاتنة المدلهمة بكلمات أخفت من أن
تسمعا.

لم يأت النوم ليلتها بسهولة . مشتبكة في أغطيتها، ما انفكت تتقلب في هذا
الاتّجاه وذلك في غرفتها الباردة المظلمة، وأينما انقلبت رأت الوجوه . ليس
لها أعين، لكنها تراني . رأت وجه أبيها على الحائط، وإلى جواره وجه السيّدة
والدتها، وأسفلهما وجوه إخوتها الثلاثة في صف . لا، كانت تلك فتاة أخرى .
أنا لا أحد، وإخوتي الوحيدون يرتدون ثياباً من الأبيض والأسود . ومع ذلك
ها هو ذا المغنيّ الأسود، وهنا عامل الاسطبلات الذي قتلته بل الإبرة)، وهنا
المُرافق ذو الدّمامل من الخان على مفترق الطُرق، وهناك الحارس الذي
شقت حلقة لُخرجهم من (هارنهال) . والمُدغذغ على الحائط أيضاً، يسبح
الحقد في الثقبين الأسودين اللذين كانا عينيّه، وقد أعادَ منظره شعورها
بالخنجر في يدها إذ أغمدته في ظهره مرّة تلو المرّة تلو المرّة .

عندما طلع النّهار أخيراً على (برافوس) كان غائماً مظلماً مكفهراً . كانت
الفتاة تأمل أن يكون هناك ضباب، غير أن الآلهة تجاهلت دُعاءها كما تفعل
الآلهة كلها في أغلب الأحيان . اليوم الهواء صافٍ بارد، وللريح قضمة بغیضة .
يوم مناسب لموت أحدهم . بلا دعوةٍ وجدّت صلاتها على شفيتها . السير
جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي .
لفظت الأسماء بصمت، ففي (دار الأبيض والأسود) لا يدري المرء أبداً من
عساه ينتصت .

الأقبية ملأى بالملايس القديمة المأخوذة من جُثث من جاءوا (دار
الأبيض والأسود) في سبيل أن يشربوا السّلام من بركة المعبد . كل شيءٍ متاح
هنا من أسمال الشحاذين إلى أفخم أنواع الحرير والمخمل . المفترض أن
ترتدي الفتاة القبيحة ثياباً قبيحة . وهكذا انتقت معطفاً نبيّاً متسخاً مهترئاً عند
الحاشية، وقميصاً أخضر بالياً فيه رائحة الأسماك الذّفرة، وحاداً ثقيلاً طويل
العنق، وأخيراً وضعت سكينها الرّفيف في راحة يدها .
ليست في عجلة، وهكذا قرّرت أن تسلك الطّريق الأطول إلى (الميناء

الأرجواني)، وعبرت الجسر إلى (جزيرة الآلهة). اعتادت قطة القنوات بيع أم الخلول وبلح البحر بين دور العبادة هنا متى جاء تاليا ابنة بروسكو نزيها القمري ولزمت الفراش. توقعت نوعاً أن ترى تاليا تبيع بضاعتها هنا اليوم، ربما خارج (جحر الأرناب) حيث لكل الآلهة الصغيرة المنسية مزاراتها المهجورة، لكن هذا سُخف، فالنهار شديد البرودة، وتاليا لا تحب الاستيقاظ مبكراً أبداً. كان التمثال خارج مقام سيّدة (ليس) الباكية يذرف العبرات الفضيّة إذ مرّت الفتاة القبيحة، وفي (حدائق جيليناى) ترتفع مئة قدم شجرة مذهبة أوراقها من الفضة المطرقة، ويتوهج ضوء المشاعل وراء النوافذ في بهو إله الرّفاء الخشبي، على زجاجها المطلي بالرصاص نصفمئة نوع مختلف من الفراشات زاهية الألوان.

تذكر الفتاة مرّة سارت فيها زوجة البحار معها وحكت لها عن أغرب آلهة المدينة. «هذه دار الرّاعي الأعظم، وهذا البرج ذو الشرفات الثلاث ينتمي إلى تريوس ثلاثي الرؤوس. الرّأس الأول يلتهم الأموات، والمبعوثون يخرجون من الثالث. لا أدري ما يفعله الرّأس الأوسط. هذه (أحجار الإله الصّامت)، وهناك مدخل (متاهة صنّاع الأنماط). يقول كهنة عقيدة النّمط إن من يتعلّمون قطعها دون توهانٍ فقط يجدون سبيل الحكمة. وراءها عند القناة، هذا معبد الثور الأحمر آكوان. كل ثلاثة عشر يوماً يذبح زهبانه عجلًا أبيض نقيًا ويُقدّمون أوعية الدّم للمتسوّلين». لكن اليوم ليس اليوم الثالث عشر على ما يبدو، لأن سلالم الثور الأحمر خالية.

في معبدتين توأمين متواجهين على ضفتي (القناة السوداء) يحلم الإلهان الأخوان سيموش وسيلوسو. عبرت الفتاة الجسر الحجري المزيّن بالنقوش الرّابط بينهما وشقت طريقها إلى أحواض السّفن ثم عبر (ميناء راجمان) ومرورًا بأبراج وقباب (البلدة الغارقة) البارزة قممها من الماء.

لدى مرورها خرجت مجموعة من البحارة اللايسينيين مترنحة من (الميناء السعيد)، لكن الفتاة لم تر أيًا من العاهرات، و(السّفينة) مغلقة خاوية، فلا شك أن فرقة الممثلين ما زالت نائمة، لكن بعد مسافة، على الرّصيف المجاور لسفينة صيد حيتان من (إيبين)، لمحّت صديق كات القديم تاجانورو يتقاذف كرة سوداء مع كاسو ملك الفقمات في حين يُعمل أحدث نشاليه يديه

في جيوب المتفرجين. حين توقفت تنفّج وتسمع قليلاً وقع بصر تاجانورو عليها ولم يتعرّفها، إلا أن كاسو نبّح وصفق بزغفتيه. فكّرت الفتاة: إنه يعرفني، أو أنه يشم رائحة السمك، وجدت خطاها.

عندما وصلت إلى (الميناء الأرجواني) كان العجوز كامناً في محل الحساء وجالساً إلى طاولته المعتادة، يعد ما في كيس نقود فيما يساوم ربان سفينة، ويحوم حارسه الطويل النحيف حوله ويجلس القصير المكتنز قرب الباب حيث يُلقي نظرة جيدة على كل من يدخل. لا يهم. إنها لا تنوي الدخول. بدلاً من ذلك جثمت فوق قائم خشبي يبعد عشرين ياردةً والرياح العاصفة تجذب معطفها بأصابع شبحية.

حتى في يوم بارد غائم كهذا الميناء مزدحم. رأيت بحارةً يجولون بحثاً عن عاهراتٍ وعاهراتٍ يجلن بحثاً عن بحارة، وزوجين من مبارزي البرافو في ثياب مبهجة فسدهندامها، يميل كلاهما على الآخر إذ مرّا بترنح السكارى وسيفاهما يصلصلان في غمديهما، ومرّ بها راهب أحمر يرفرف معطفه القرمزي بعنفٍ في الريح.

قبيل الظهر رأيت الرجل الذي تُريده، مالك سفينةٍ موسراً سبقت لها رؤيته يتعامل مع العجوز ثلاث مرّات، أصلع كبير الحجم متين البنية، ويرتدي معطفاً ثقيلاً من القطيفة البني المهذب بالفرو ويحيط بخصره حزام من الجلد البني مرصع بأقمار ونجوم فضية. على إثر حادثه ما تبيست إحدى ساقيه، ولذا يمشي ببطءٍ متكئاً على عكاز.

قررت الفتاة أنه يصلح لغرضها كأبي أحدٍ آخر وربما أكثر من غيره، وهكذا ففزت من فوق القائم وتبعته. دسته من الخطوات الطويلة وضعتها وراءه مباشرةً وقد وجّهت سكينها. كيس نقوده معلق على جانبه الأيمن من حزامه، لكن معطفه يعترض طريقها. مرّق نصلها بسرعةٍ ونعومة، ضربة واحدة عميقة شقت المخمل ولم يشعر بشيء. كان روجو الأحمر لبيتسم لمراى المشهد. دسّت يدها في الثغرة وشقت الكيس بسكينها وملأت قبضتها بالذهب...

ودار الرجل الكبير قائلاً: «ماذا...».

شبكت الحركة ذراعها في طيات معطفه وهي تُحاول سحب يدها، وانهاأل وابل من العملة حول قدميها. صاح الرجل الكبير: «لصّة!»، ورفع

عُكَازَه لِيضْرِبَهَا، فَرَكَلَتْ سَاقَه الْمِصَابَةَ مِنْ تَحْتِه وَتَمَلَّصَتْ بِحَرَكَةٍ رَاقِصَةٍ وَإِذْ سَقَطَ انْطَلَقَتْ كَالسَّهْمِ تَبْتَعِدُ مَتَجَاوِزَةً أُمَّا وَطَفَلَهَا. سَقَطَ الْمَزِيدُ مِنَ الْعُمَلَاتِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهَا لِيَتَدَحْرَجَ عَلَى الْأَرْضِ، وَدَوَّتْ صِيحَاتُ «لِصَّة! لِصَّة!» مِنْ وَرَائِهَا. حَاوَلَ صَاحِبُ خَانَ كَبِيرِ الْبَطْنِ كَانِ مَارًّا أَنْ يُمَسِّكَهَا بِحَرَكَةٍ خَرْقَاءَ، لَكِنْهَا دَارَتْ حَوْلَهُ وَانْدَفَعَتْ مَتَجَاوِزَةً عَاهِرَةً تَضْحَكُ وَرَكِضَتْ مَبَاشِرَةً إِلَى أَقْرَبِ رُفَاقٍ.

عَرَفَتْ كَاتِ قِطَّةَ الْقِنَوَاتِ هَذِهِ الْأَزْقَةَ، وَالْفَتَاةَ الْقَبِيحَةَ تَذَكَّرَهَا. انْدَفَعَتْ يَسَارًا وَوُثِبَتْ مِنْ فَوْقِ سُورٍ وَاطْعَى وَقْفَزَتْ عَابِرَةً قَبَاةً صَغِيرَةً وَدَخَلَتْ مِنْ بَابٍ غَيْرِ مَوْصِدٍ إِلَى مَخْزَنِ مَلِيءٍ بِالثَّرَابِ. كَانَتْ كُلُّ أَصْوَاتِ الْمَطَارِدَةِ قَدْ خَفَّتْ، لَكِنْ الْأَفْضَلُ أَنْ تَتَيَقَّنَ، فَقَبِعَتْ وَرَاءَ بَعْضِ الْأَقْفَاصِ مَطْوُوفَةً رُكْبَتَيْهَا بِذِرَاعَيْهَا. انْتَهَرَتْ قُرَابَةَ السَّاعَةِ، ثُمَّ قَرَّرَتْ أَنْ الْخُرُوجِ مَأْمُونِ الْآنَ، فَتَسَلَّقَتْ جَانِبَ الْمَبْنِيِّ وَشَقَّتْ طَرِيقَهَا عَلَى الْأَسْطُحِ حَتَّى (قَنَاةَ الْأَبْطَالِ) تَقْرِيبًا. لَا بُدَّ أَنْ مَالِكُ السَّفِينَةِ جَمَعَ نَقُودَهُ وَالتَّقَطَ عُكَازَهُ بِالْفِعْلِ وَمَضَى يَعْجُرُ إِلَى مَحَلِّ الْحَسَاءِ، وَلَعَلَّهُ يَشْرِبُ وَعَاءً مِنَ الْمَرْقِ السَّاخِنِ وَيَشْكُو إِلَى الْعَجُوزِ الْفَتَاةِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي حَاوَلَتْ أَنْ تَسْرِقَ كَيْسَ نَقُودِهِ.

كَانَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ فِي انْتِظَارِهَا فِي (دَارِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ)، جَالِسًا عَلَى حَافَةِ الْبِرْكَةِ السُّودَاءِ. جَلَسَتْ الْفَتَاةُ الْقَبِيحَةُ إِلَى جِوَارِهِ وَوَضَعَتْ قِطْعَةَ عُمَلَةٍ عَلَى الْحَافَةِ بَيْنَهُمَا، عُمَلَةً مِنَ الذَّهَبِ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْهَا تَتَيْنُ وَعَلَى الْآخَرِ مَلِكٌ.

قَالَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ: «تَتَيْنُ (وَسْتَرُوس) الذَّهَبِيِّ. وَكَيْفَ حَصَلَتْ عَلَى هَذَا؟ لَسْنَا لِمَوْصَاً».

- «لَمْ تَكُنْ سَرِقَةً. أَخَذْتُ وَاحِدًا مِنْ تَتَانَيْنِهِ وَأَعْطَيْتِهِ وَاحِدًا مِنْ تَتَانَيْنِنَا».

فَهَمَّ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ، وَقَالَ: «وَبِهَذِهِ الْعُمَلَةُ وَالْأَخْرِيَاتِ فِي كَيْسِهِ دَفَعَ لِرَجُلٍ مَعِينٍ، وَبَعْدَهَا بِقَلِيلٍ تَوَقَّفَ قَلْبُ ذَلِكَ الرَّجُلِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ مَحْزَنٌ لِلْغَايَةِ»، وَالتَّقَطَ الْكَاهِنُ الْعُمَلَةَ وَأَلْقَاهَا فِي الْبِرْكَةِ مُضِيْفًا: «أَمَامِكِ كَثِيرٌ عَلَيْكِ تَعَلَّمَهُ، لَكِنْ رُبَمَا لَا تَكُونِينَ مِيؤُوسًا مِنْكِ».

لِيَلْتَهَا أَعَادُوا إِلَيْهَا وَجَهَ أَرِيَا سِتَارِكِ.

جَلَبُوا لَهَا ثَوْبًا أَيْضًا، ثَوْبَ الْمُعَاوِنِينَ النَّاعِمِ السَّمِيكِ، أَسْوَدٌ عَلَى جَانِبِ

وأبيض على جانب، وأخبرها الكاهن: «ارتدي هذا حين تكونين هنا، لكن اعلمي أنك لن تحتاجي إليه كثيرًا حاليًا. غدًا ستذهبن إلى إزيمبارو لتبديي تدريبيك الأول. خُذي ما تشائين من ملابس من الأقبية بالأسفل. حرس المدينة يبحثون عن فتاةٍ قبيحةٍ بعينها، معروفة بالتردد إلى (الميناء الأرجواني)، فالأفضل أن تضعي وجهًا جديدًا أيضًا»، وأمسكَ ذقنها بأصابعه وأداره في هذا الاتجاهِ وذاك، ثم أومأ برأسه متابعًا: «وجهًا جميلًا هذه المرة على ما أظنُّ، جميلًا كوجهك. ومن أنتِ أيتها الصَّغيرة؟».

أجابته: «لا أحد».



سرسي

أمصّت الملكة ليلة سجنها الأخيرة في أرق. كلّمَا أغمضت عينيها ملأت رأسها وساوس وخيالات الغد. قالت لنفسها: سيكون معي حرس، سيُعدون عني الزّحام، لن يسمحوا لأحد بلمسي. هكذا وعدّها العُصفور الأعلى. وعلى الرغم من هذا تتوجّس خيفة. يوم أبحرت مارسلا إلى (دورن)، يوم انتفاضة الخبز، كان ذوو المعاطف الذهبية منشورين بطول طريق الموكب، لكن الغوغاء اخترقوا صفوفهم ليُمزّقوا السِبتون الأعلى البدين السابق أشلاءً ويغتصبوا لوليس ستوكوورث عشرات المرّات. وإذا هيّجت مخلوقة شاحبة خرعة حمقاء مثلها هؤلاء الحيوانات بثيابها كاملة فكم ستثير فيهم الملكة من الشّهوة؟

ذرعت سرسي زنانتها جيئةً وذهابًا بضجر الأسود التي عاشت في أعماق (كاسترلي روك) في صباها وكانت ميراثًا من زمن جدّها. تعودت أن تتحدّى چايمي ويتحدّها أن يتسلّلا إلى قفصها، وفي مرّة استجمعت ما يكفي من الشّجاعة لدسّ يدها بين قضيين ولمسي أحد الوحوش السّمراء المصفرّة. لطالما كانت أجراءً من أخيها. التفت اللّيث برأسه يرمقها بعينين ذهبيتين ضخمتين، ثم لعق أصابعها. كان لسانه خشنًا كمبرد الخشب، لكنها لم تسحب يدها حتى أمسكها چايمي من كتفيها وشدّها بعيدًا عن القفص. بعدها قالت له: «دورك. اجذبه من لبدته، أتحدّك». ولم يفعل. كان يجب أن أحمل أنا السيف لاهو.

حافية القدمين مرتجفةً زرعت الزّناينة وعلى كتفيها غطاء خفيف، تترقب طلوع النّهار. بحلول المساء سيكون كل شيء قد انتهى. القليل من المشي

وأعودُ إلى بيتي، أعودُ إلى تومن، في مسكني داخل (حصن ميحور). قال عمُّها إنه السَّبيل الوحيد لإنقاذ نفسها. لكن أهو كذلك بحق؟ إنها لا تثق بعمِّها أكثر مما تثق بالسِّيتون الأعلى. ما زالَ بإمكانني الرِّفْض، ما زالَ يُمكنني أن أصرَّ على براءتي وأراهن بكلِّ شيءٍ على مُحَاكِمَة.

لكنها لا تجسُر على السَّماح للعقيدة بالحُكم عليها كما تنوي مارچري تايرل أن تفعل. قد ينفَع ذلك الوردة الصَّغيرة، لكن أصدقاء سرسي قلائل بين السِّيتوات والعصافير حول هذا السِّيتون الأعلى الجديد. أملها الوحيد المُحاكِمَة بالقتال، ولأجل هذا لا بُدَّ من نصير.

لو لم يفقد چايمي يده...

طريق مسدود هذا. چايمي فقدَ يد سيفه، وهو نفسه مفقود، اختفى مع تلك المرأة بريان في مكانٍ ما في أراضي النَّهر. يجب أن تجد الملكة أحدًا آخر يذود عنها وإلا لصارت مشقة اليوم أقل متاعبها. أعداؤها يتهمونها بالخيانة، وعليها أن تصل إلى تومن مهما كان الثمن. إنه يُحبُّني، لن يرفُض طلب أمِّه. چوف كان عنيذًا متقلِّبًا، لكن تومن صبي صغير طيِّب، ملك صغير طيِّب. سيفعل ما يُقال له. إذا بقيت هنا فهي هالكة، والوسيلة الوحيدة للعودة إلى (القلعة الحمراء) هي المشي. لم يتزحَّح العُصفور الأعلى قيد شعرة عن موقفه، وأبى السير كيفان أن يرفع إصبعًا ضده.

قالت سرسي عندما مسَّت باكورة ضوء النَّهار نافذتها: «لن يُصيبي أذى اليوم، لن ينجرح إلا كبريائي»، لكن كلماتها تردَّدت برنينٍ أجوف في أذنيها. قد يأتي چايمي رغم كلِّ شيءٍ. تخيلته على سهوة حصانه في ضباب الصَّباح، تتألَّق درعه الذهبية في ضوء الشَّمس المشرقة. چايمي، إذا أحببتني يوماً...

أتتها سجَّاناتها بقيادة السِّيتة أونلا والسِّيتة مويل والسِّيتة سكوليرا، ومعهن أربع مترهبات مبتدئات وأختان صامتتان. ملأ منظر الأختين الصَّامتين الملكة بدُعرٍ مفاجئ. ماذا تفعلان هنا؟ هل سأموتُ؟ مهمة الأخوات الصَّامات العناية بالموتى. قالت: «السِّيتون الأعلى وعدَّ بأن أدَّى لن يمسنِّي». ردَّت السِّيتة أونلا: «ولن يمسنِّك»، وأشارت للمبتدئات. أحصرن معهن قطعة من صابون القلبي وطستًا من الماء الدَّافئ ومقصًا وموسى حلاقة طويلة. اقشعرَّ جسدها لمرأى الفولاذ. ينوين حلاقتي. مزيد من الإذلال، إهانة صغيرة

فوق كومة الإهانات. لن تمنحهن مُتعة رؤيتها تتوسَّل. أنا سرسي سليلة عائلة لانستر، لبؤة (الصَّخْرَة)، ملكة هذه (الممالك السَّبْع) الشرَّعية، ابنة تايوين لانستر ووريثته... والشَّعر ينمو ثانيةً. «هيا إذن».

تناولت أكبر الأختين الصَّامتين سِنًا المقص. لا شكَّ أنها حلاقة خبيرة، فجماعتها تُعنى بتنظيف جُثث النُّبلاء القتلى قبل إعادتهم إلى أهلهم، ويتضمَّن هذا تشذيب اللُّحي وقصَّ الشَّعر. عرَّت المرأة رأس الملكة أولاً، وجلست سرسي بجمود التَّمائيل الحجر. إذ طقطق المقصُّ وسقطت أكوام الشَّعر الذهبى على الأرض. لم يُسمَح لها بالعناية به كما ينبغي وهي حبيسة هذه الرِّزْزانة، ومع ذلك التمتع على الرغم من اتِّساخه وتلبُّده عندما مسَّته الشَّمْس. تاجي. أخذن مني تاجي الأول، والآن يسرقن هذا أيضاً. حين تكومت خصلها وجدائلها حول قدميها غسلت إحدى المبتدئات رأسها بالصابون وكشطت الأخت الصَّامته الجُدامة بالموسى.

أملت سرسي أن تكون هذه النِّهاية، لكن لا. أمرتها السَّيِّئة أونلا قائلةً: «اخلعي ثوبك يا صاحبة الجلالة».

- «هنا؟ لماذا؟».

- «لا بُدَّ من جزِّ شعر جسدك».

كالخراف. خلعت الثوب بحدَّة وألقته على الأرض، وقالت: «افعلن ما تُردن».

الصابون ثانيةً، ثم الماء الدَّافى، ثم الموسى. زال الشَّعر تحت إبطيها أولاً، ثم ساقها، وأخيراً الوبر الذهبى النَّاعم على جبل زهرتها. حين دخلت الأخت الصَّامته بين ساقها بالموسى وجدت سرسي نفسها تتذكَّر المرات التي ركع فيها چايمي حيث تركع الآن، يطبع القبل على باطن فخذيها ويُبِّلُّها. لطالما كانت قُبلاته دافئةً، أمَّا الموسى فباردة كالثلج.

لَمَّا انتهى هذا كانت قد بلغت أقصى درجة من العُري والاستضعاف يُمكن أن تَبْلُغها امرأة. ولا شعرة واحدة أختبئ وراءها. انبثقت ضحكة صغيرة من بين شفتيها، ضحكة كئيبة مريرة.

سألته السَّيِّئة سكوليرا: «هل تجد جلالة الملكة الأمر طريفاً؟».

- «لا أيتها السَّيِّئَة». لكن يومًا ما سأجعلهم يجتثون لسانك بكمّاشة ساخنة، وسيكون هذا مضحكًا لأقصى درجة.

جلبت لها إحدى المبتدئات رداءً من أردية السَّيِّئ ات البيضاء النَّاعمة يُغَطِّيها فيما تنزل سلالم البُرج وتمرُّ من داخل السَّيِّئ ت، لتجنب ما يلتقيه من متعبدين في الطَّريق منظر لحمها المكشوف. ليُبْقِذنا السَّبَّعة جميعًا، يالهم من مُرائين. سألت: «هل مسموح لي بانتعال صندل؟ الشَّوارع قذرة».

أجابتها السَّيِّئَة مويل: «ليست بقذارة ذنوبك. صاحب القداسة الأعلى قضى أن تُقدِّمي نفسك كما خلقتك الآلهة. هل كنتِ تتعلين صندلاً حين خرجتِ من رحم أمِّك؟».

مكرهةً قالت الملكة: «لا أيتها السَّيِّئَة».

- «تلقيتِ الجواب إذن».

بدأ جرس يدق، وانتهى سجن الملكة الطَّويل. أحكمت سرسي الرِّداء على جسدها ممتنةً لدفعته، وقالت: «هيا بنا». ابنا ينتظرها على الجانب الآخر من المدينة، وكلما عجّلت بالخروج اقتربَ مرآه.

احتكَّت حجارة الدَّرجات الخشنة بأخمص قدميها إذ بدأت سرسي لانستر رحلة النزول. لقد جاءت (سبت بيلور) ملكةً في هودج، وتُغادره صلعاء حافيةً. لكني مغادرة. لا يهيمُ إلا هذا.

كانت أجراس الأبراج تُعني مستدعيةً المدينة لتشهد على معرفتها، و(سبت بيلور الكبير) مزدحمًا بالمؤمنين الذين أتوا لحضور شعائر الفجر وتُرَدَّد القُبَّة بالأعلى أصداء صلواتهم، لكن عندما ظهرَ موكب الملكة خيم الصَّمْت والتفتت ألف عينٍ تُتابعها إذ قطعت الممشى مارّةً بالبُقعة التي مُدِّد فيها جثمان أبيها بعد مقتله. تجاوزتهم سرسي مسرعةً دون أن تنظرَ يميناً أو شمالاً، تلطم قدماهما الحافيتان الأرضية الرُّخام الباردة. كانت نظراتهم إليها محسوسةً، ومن وراء مذابحهم كان (السَّبَّعة) يُشاهدون أيضًا.

في (بهو القناديل) وجدتِ دستةً من أبناء المُحارب في انتظار وصولها، تنسدل على ظهورهم معاطف قوس قزح وتبرق البلورات على قمم خوذهم العظيمة في ضوء المصابيح. دروعهم من الصِّفائح المصقولة حتى البريق كلجين المرايا، لكنها تعلم أن تحتها يرتدي كل منهم قميصًا من الشَّعر. على

ثروسهم لوزية الشكل جميعاً الرمز نفسه، سيف بلوري يلعب في الظلام،
الشارة العتيقة التي يضعها من يدعوه العوام بالسيوف.
ركع قائدهم أمامها قائلاً: «ربما تذكرني صاحبة الجلالة. أنا السير ثيودان
الصادق، وقد كلّفني صاحب القداسة الأعلى بقيادة حراستك. أنا وإخوتي
سنصحبك في أمانٍ عبر المدينة».

جالت سرسي بنظرها في وجوه الرجال الواقفين وراءه، وها هو ذا لانسل
ابن عمّها، ابن السير كيفان الذي ادّعى حبّها قبل أن يُقرّر أن حُبّه للآلهة أكبر.
دمي وخائني. لن تنساه. قالت: «يُمكنك أن تنهض أيها السير ثيودان. أنا
مستعدة».

نهض الفارس والتفت ورفع يده، فذهب اثنان من رجاله إلى مصراعِي
الباب المنيفين ودفعاهما، وخرجت سرسي من بينهما إلى الهواء الطلق،
ترمش عيناها في ضوء الشمس كالخلد حين يُغادر جُحره.

كانت ريح شديدة تهبُّ جاعلةً أسفل ردائها يُرفرف ويُفرقع حول ساقها،
وهواء الصّباح مليئاً بروائح (كينجز لاندنج) الكريهة المألوفة. تشبّت التبيد
الحامض والخبيز والسّمك المتعفن والغائط والدخان والعرق وبول الخيول،
وفي حياتها كلّها لم تشمّ الملكة زهرة لها هذا الشذا. ملتحفةً بردائها، وقفت
سرسي على قمة السّلالم الرّخام فيما اتّخذ أبناء المُحارب تشكيلهم حولها.
خطر لها فجأةً أنها وقفت في هذه البُقعة تحديداً من قبل يوم فقد اللورد
إدارد ستارك رأسه. لم يكن يُفترض أن يحدث هذا. كان المفترض أن يُبقي
عليه چوف ويرُسله إلى (الجدار). كان ابن ستارك الأكبر ليخلفه في سيادة
(ويترفل)، ولبقيت سانزا في البلاط رهينةً. دبر فارس والإصبع الصّغير
الشروط، وابتلع ند ستارك شرفه الثمين واعترف بالخيانة ليُنقذ رأس ابنته
الصّغير الفارغ. كنت لأرتب لسانزا زيجةً جيّدةً، ليس بچوف طبعاً، لكن
لانسِل كان ليصلح، أو أحد أخويه الأصغر. تذكر أن پيتر بايلش عرض أن
يتزوَّج هو الفتاة، لكن ذلك كان مستحيلاً بالطبع، فنسب الرجل لا يليق
بها على الإطلاق. لو فعل چوف كما قيل له لما دخلت (ويترفل) الحرب
ولتعامل أبي مع أخوي روبرت.

وبدلاً من ذلك أمر چوف بقطع رأس ستارك، وأسرع اللورد سلينت.

والسير إلين باين لتلبية الأمر. فكَّرت الملكة محدِّقةً إلى البُقعة: حدث هذا هناك بالضبط. رفعَ چانوس سلينت رأسَ نَد ستارك من سَعْره لتسيل دماؤه على الدَّرجات، وبعدها انقطعت سُبُل العودة.

بَدَت الذِّكريات بعيدةً للغاية. چوفري مات، وجميع أبناء ستارك أيضًا، وحتى السيِّد والدها أدركه الموت. وها هي ذي واقفة على عتبة (السِّيت الكبير) ثانيةً، لكن الفرق هذه المرَّة أن الرَّعاع يَنْظرون إليها هي لا إلى إدارد ستارك.

السَّاحة الرُّخام الواسعة مزدحمة كما كانت يوم مات ستارك. أينما نظرت الملكة رأت الأعيُن، وبدا لها أن الرَّعاع منقسمين إلى رجالٍ ونساء بالتساوي، وعلى أكتاف بعضهم أطفال. شحَّاذون ولصوص، وأصحاب حانات وتُجَّار، وصبَّاغون وعمَّال اسطبلات وممثلون، وأرخص أنواع العاهرات... خرج جميع الأوباش ليتفرَّجوا على ملكةٍ عزيزة تذلُّ. يختلط بهم أفراد جماعة الصَّعاليك، مخلوقات فذرة مشعنة اللَّحى تحمل الحِرَاب والفؤوس وترتدي صفائح المعدن المنبعجة وحلقاته الصَّدئة والجِلد المشقَّق تحت سُتراتٍ طويلة من الخيش المبيَّض المزِين بنجمة العقيدة السُّباعية، جيش العُصفور الأعلى الحقير.

ما زال جزء منها يتوق إلى أن يظهر چايمي ويُنقذها من هذا الهوان، لكن ليس لتوأمها أثر. عمُّها متغيَّب أيضًا، ولم يُدهشها هذا، إذ وضح السير كيفان وجهة نظره تمامًا في زيارته الأخيرة. يجب ألا يُسمَح لعارها بتلويث شرف (كاسترلي روك)، وعليه فلن يمشي معها أسود اليوم. المحنة محتتها وحدها. وقفت السِّيتة أونلا إلى يمينها والسِّيتة مويل إلى يسارها والسِّيتة سكوليرا خلفها. إذا حاولت الملكة الفرار أو التراجُع فستجرُّها الشَّمطوات الثلاث إلى الدَّاخِل، وهذه المرَّة سيحرصن على عدم مغادرتها زنزانتها ثانيةً أبدًا.

رفعت سرسي رأسها. وراء السَّاحة، وراء بحر الأعيُن الجوعى والأفواه المفقورة والوجوه المتسخة، عبر المدينة، يرتفع (تل إجون العالي) من بعيد وتتصرَّج بروج وشُرَفات (القلعة الحمراء) بالوردي في ضوء الشَّمس المشرقة. ليست بعيدةً جدًّا. ما إن تَبْلغ البوابة سيتهي أسوأ همومها، ستستعيد ابنها، ستحصُل على نصيرها. لقد وعدَّها عمُّها. تومن ينتظرني، ملكي الصَّغير. أستطيع أن أفعل هذا، يجب أن أفعله.

تقدّمت السّيّطة أونلا، وأعلّنت: «أمامكم تأتي خاطية. إنها سرسي سليلة عائلة لانستر، الملكة الأرملة، أم صاحب الجلالة الملك تومن، أرملة صاحب الجلالة الملك روبرت، ولقد ارتكبت آثامًا ومفاسق فادحة».

وتقدّمت السّيّطة مويل لتقف إلى يمين الملكة قائلة: «هذه الخاطية اعترفت بذنوبها وتوسّلت الإبراء والغفران، وأمرها صاحب القداسة الأعلى بالبرهنة على توبتها بتنجيتها كل كبرياءٍ وجاهٍ وتقديم نفسها كما خلقتها الآلهة لأهل المدينة الكرام».

وأنهت السّيّطة سكوليرا: «والآن تأتي أمامكم هذه الخاطية بقلبٍ خاشع، خالصة من الأسرار والخبايا، عارية تحت أعين الآلهة والبشر، لتسير مسيرة الكفارة».

كانت سنُّ سرسي عامًا واحدًا عندما مات جدُّها، وأول شيء فعله أبوها لدى تولّيه اللوردية أنه طردَ عشيقته أبيه الجشعة وضيعة المولد من (كاسترلي روك). جرّدت المرأة مما أغدق عليها به اللورد تايوس من حريرٍ ومخمل، ومن الجواهر التي أخذتها لنفسها، وسيّقت إلى المشي عارية في شوارع (لانسپورت) ليراها الغرب على حقيقتها.

على الرغم من أنها كانت أصغر من أن تشهد الفرجة بنفسها فقد سمعت سرسي القصص في أثناء نشأتها من الغسّالات والحرس الذين حضروا. ذكروا كيف بكت المرأة وتوسّلت، والاستماتة الذي تشبّث بها بثيابها حين أمرت بخلعها، وجهدها العقيم في تغطية ثديها وعضوها الأنثوي بيديها إذ حجّلت عارية حافية في الشوارع إلى المنفى. تذكّر الملكة أن حارسًا أخبرها: «كانت مغرورة متعالية قبلها، متعجرفة لدرجة أنها بدت كأنها نسيّت أنها أتت من الحضيض، لكن حالما خلعنا ثيابها كانت مجرد عاهرة أخرى».

إذا حسب السير كيثان والسّيبتون الأعلى أن المثل سيحدث معها فقد جانبهما الصّواب تمامًا. إن دماء اللورد تايوين في عروقها. أنا لبوة، لن أنكمش منهم.

وخلعت الملكة رداءها.

كشفت نفسها بحركة واحدة ناعمة، على مهل كأنها في مسكنها تتجرّد من الملابس لأجل حمّامها تحت أنظار وصيفاتها وحدهن. عندما مسّت

الرَّيْحِ جِلْدَهَا ارْتَعَدَتْ بَعْنَفٍ، وَاسْتَدَعَتْ كَامِلَ قُوَّةِ إِرَادَتِهَا كَيْ لَا تُحَاوِلَ أَنْ تَسْتُرَ نَفْسَهَا بِيَدَيْهَا عَلَى غَرَارِ عَاهِرَةٍ جُدَّهَا. أَطْبَقَتْ أَصَابِعَهَا مَكْوَرَةً قَبْضَتِهَا، وَانْغَرَسَتْ أَظْفَارَهَا فِي لَحْمِ كَفَّيْهَا. كُلُّ هَذِي الْأَعْيُنِ الْجَائِعَةِ تَنْظُرُ إِلَيْهَا، لَكِنْ مَاذَا تَرَى؟ أَنَا جَمِيلَةٌ. كَمْ مَرَّةً قَالَ لَهَا چَايْمِي هَذَا؟ حَتَّى رَوِبَتْ مَنَحَهَا هَذَا الْقَدْرَ عَلَى الْأَقْلَ مَتَى دَخَلَ فِرَاشَهَا ثَمَلًا وَأَدَّى لَهَا فِرَوضَ التَّقْدِيرِ بِقَضِيئِهِ.

لَكِنْ هَكَذَا نَظُرُوا إِلَى نَدِ سِتَارِكَ أَيْضًا.

يَجِبُ أَنْ تَتَحَرَّكَ. عَارِيَّةٌ حَافِيَّةٌ جَرْدَاءٌ، بَدَأَتْ سَرْسِي تَنْزِلَ الدَّرَجَاتِ الرَّخَامِ الْعَرِيضَةَ بِتَوْدَةٍ، وَزَحَفَتْ الْقَشْعَرِيرَةَ عَلَى ذِرَاعَيْهَا وَسَاقِيهَا. رَفَعَتْ ذَقْنَهَا بِشَمَمٍ كَمَا يَنْبَغِي لِمَلِكَةٍ، وَانْتَشَرَ حُرَّاسُهَا أَمَامِهَا، وَدَفَعَ الصَّعَالِيكَ النَّاسَ جَانِبًا لِيَفْتَحُوا طَرِيقًا فِي الرَّحَامِ، فِيمَا انْتَضَمَ السُّيُوفُ عَلَى جَانِبَيْهَا.

تَبَعَتْهَا السُّبَيْتَةُ أُونَلَا وَالسُّبَيْتَةُ مَوِيلٌ وَالسُّبَيْتَةُ سَكُولِيرَا، وَوَرَاءَهُنَّ الْمَتْرَهَبَاتُ الْمَبْتَدِئَاتُ بِمَسُوْحَهِنَّ الْبِيضَاءُ.

صَاحَ أَحَدُهُمْ: «عَاهِرَةٌ!». صَوْتُ امْرَأَةٍ. دَائِمًا النِّسَاءُ أَقْسَى فِي مَا يَخْصُصُ النِّسَاءُ.

تَجَاهَلَتْهَا سَرْسِي. سَيَكُونُ هُنَاكَ آخَرُونَ، وَأَسْوَأُ. تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتُ لَا تَعْرِفُ مَسْرَّةً فِي الْحَيَاةِ أَحْلَى مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ بِأَعْزَةِ الْقَوْمِ. لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تُخْرِسَهُمْ، وَلِذَا عَلَيْهَا أَنْ تَتَظَاهَرَ بِأَنَّهَا لَا تَسْمَعُهُمْ. وَلَنْ تَرَاهُمْ كَذَلِكَ، بَلْ سَتُبْقِي عَيْنَيْهَا عَلَى (تَلْ إِجُونِ الْعَالِي) عَبْرَ الْمَدِينَةِ، عَلَى أَبْرَاجِ (الْقَلْعَةِ الْحَمْرَاءِ) الْبَارِقَةِ فِي الضُّوْءِ. هُنَاكَ سَتَجِدُ خِلَاصَهَا إِذَا أَدَّى عَمُّهَا دَوْرَهُ فِي الصَّفْفَةِ.

لَقَدْ أَرَادَ هَذَا، هُوَ وَالْعُصْفُورُ الْأَعْلَى، وَالْوَرْدَةُ الصَّغِيرَةُ أَيْضًا لَا رَيْبَ. لَقَدْ أَذِنْتُ وَعَلِيٌّ أَنْ أَتُوبَ، عَلِيٌّ أَنْ أَسْتَعْرِضَ عَارِيَّ عَلَى مَرَأَى مِنْ كُلِّ شِحَاحٍ فِي الْمَدِينَةِ. يَظُنُّونَ أَنَّ كِبْرِيَاءِي سَتُنْكَسِرُ، أَنَّ هَذِهِ نَهَائِي، لَكِنْهُمْ مَخْطُؤُونَ.

سَارَتِ السُّبَيْتَةُ أُونَلَا وَالسُّبَيْتَةُ مَوِيلٌ بِمَحَادِثَاتِهَا، فِيمَا أَسْرَعَتِ السُّبَيْتَةُ سَكُولِيرَا وَوَرَاءَهَا تَدُقُّ نَاقُوسًا. هَتَفَتْ الْعَجُوزُ الشَّمْطَاءُ: «عَارِ، عَارِ عَلَى الْخَاطِيَةِ، عَارِ، عَارِ»، وَفِي مَكَانٍ مَا إِلَى الْيَمِينِ اشْتَرَكَ صَوْتُ آخَرَ فِي الْأَعْنِيَّةِ بِلَحْنٍ مُسْتَقِلٍ فِي الْإِيْقَاعِ، صَوْتُ صَبِيٍّ خَبَّازٍ يَصِيحُ: «فَطَائِرُ لَحْمٍ، ثَلَاثَةٌ بِنَسَاتٍ، فَطَائِرُ لَحْمٍ سَاخِنَةٌ». الرَّخَامُ تَحْتَ قَدَمَيْهَا بَارِدٌ زَلِقٌ، فَاضْطَرَّتْ سَرْسِي إِلَى الْمَشْيِ بِحَذَرٍ خَشْيَةٍ أَنْ تَنْزَلِقَ. قَادَهُمْ طَرِيقُهُمْ إِلَى الْمَرُورِ بِتَمَثَالِ بِيْلُورِ الْمُبَارَكِ الْوَاقِفِ

ركيناً وقوراً فوق قاعدته، وجهه آية في السّماحة والإيثار، لا يشي منظره على الإطلاق بأنه كان أحرق كبيراً. أنجبت سُلالة تارجارين ملوكاً طالحين وملوكاً صالحين، لكن أحداً منهم لم يُحبّ كيلور، ذلك الملك السّبتون النّقيّ الحليم الذي تساوى حبّ العامّة والآلهة عنده، ومع ذلك سجن أخواته. إنها لمعجزة أن تمثاله لم يتهاو ويتفتّت لمراى ثديها العاريين. اعتاد تيريون أن يقول إن الملك بيلور كان مرعوباً من قضيبه. تذكّر أنه في مرّة طرد جميع العاهرات من (كينجز لاندنج)، ويقول التّاريخ إنه دعا لهن إذ ساقهن الحرس من بوابات المدينة، إلّا أنه أبى النّظر إليهن.

صرخ صوت: «بغي!». امرأة أخرى. طار شيء ما من الرّحام، نبتة متعفّنة ما حلقت فوق رأسها بنيةً تنزّ لتحتّ متفجّرةً عند قدم أحد الصّعاليك. لستُ خائفةً. أنا لبؤة. واصلت المشي، ونادى صبيّ الخبّاز: «فطائر ساخنة، عندي فطائر ساخنة»، ودقت السّبتة سكوليرا التّاقوس هاتفةً: «عار، عار على الخاطية، عار، عار». مضى الصّعاليك أمامهم دافعين النّاس بتروسهم ليصنعوا مجازاً ضيقاً، وتبعّتهم سرسي حيث قادوها رافعةً رأسها بجمود، عيناها ثابتتان على بعيد. كل خطوة تُقرب (القلعة الحمراء) أكثر، كل خطوة تُقربها إلى ابنها والنّجاة.

بدا أن قطعها السّاحة استغرق مئة عام كاملةً، لكن أخيراً أخلى الرّحام السّبيل لحجارة الرّصف تحت قدميها، وأحاطت بهم المحال والاسطبلات والمنازل، وبدأوا ينزلون (تل فيزينا).

الحركة أبطأ هنا. الشّارع ضيقٌ منحدر، والرّحام أشد. دفع الصّعاليك من يعترضون الطّريق محاولين تحريكهم إلى الجانب ولا جانب يذهبون إليه، ومَن في الخلفيّة يدفعون بدورهم. حاولت سرسي الحفاظ على رفعة رأسها، فقط لتخطو على شيءٍ مبتل زلق فاختلّ توازنها، وكانت لتسقط لولا أن السّبتة أونلا أمسكت ذراعها وأسندتها قائلةً: «على صاحبة الجلالة أن تتبّه لخطواتها».

انتزعت سرسي ذراعها، وقالت بنبرة ذليلة: «نعم أيتها السّبتة»، رغم أن غضبها كان ليجعلها تبصق في وجهها. واصلت الملكة المشي مرتدية القشعريرة والكبرياء لا أكثر، وبحثت بعينيها عن (القلعة الحمراء) لكنها

وجدتها متواريةً عن ناظرها الآن خلف المباني الخشبية الطويلة على الجانبين. ترنمت السّپتة سكوليرا وناقوسها يدق: «عار، عار». حاولت سرسي أن تحت الخطي، وسرعان ما وجدت نفسها عند ظهور النجوم أمامها فأبطأت حركتها مرغمةً. بعد مسافة قصيرة أمامهم يبيع رجل أسياخًا من اللحم المشوي على عربية يد، وتوقفت المسيرة إذ أزاحه الصّعاليك عن الطريق. بصورة مريبة بدا اللحم لسرسي لحم جردان، لكن رائحته تملأ الهواء، ولدى إفساح الطريق ثانيةً بما يكفي لمروها كان نصف النَّاس حولهم يُمسك الأسياخ ويلوك اللحم. نادى أحدهم: «تريدين قطعةً يا جلالة الملكة؟». حيوان كبير متين له عينان خنزيريتان وبطن عظيم ولحية سوداء مشعته ذكّرتها بروبرت، ولما أتاحت بوجهها رماها بالسّيخ، فارتطم بساقها وسقط أرضًا ليترك اللحم نصف المطبوخ لطحّة من الدّهن والدّم على فخذه.

الصّياح هنا أصخب مما كان في السّاحة، ربما لأن الدّهماء أقرب كثيرًا. سمعت الكثير من «عاهرة!» و«خاطية!»، لكنهم ألقوها بـ«ناكحة أخيها!» و«موس!» و«خائنة!» أيضًا، وبين الفينة والفينة يهتف أحدهم لستانيس أو مارچري. الحجارة تحت قدميها قدرة، والمساحة حولها ضيقة للغاية حتى إنها لا تستطيع الدّوران حول البرك. قالت الملكة لنفسها: لم يمت أحد من قبل بقدمين مبتلتين. تريد أن تُصدّق أن ما في البرك ماء مطرٍ فقط، وإن كان واردًا أيضًا أنه بول خيل.

انهمر عليها المزيد من القمامة من النّوافذ والشرفات؛ فواكه شبه متعفّنة، سُطول من البيرة، بيض يتفجّر برائحة كبريتية شنيعة حين ينكسر على الأرض... ثم إن أحدًا ألقى قطةً نافقةً فوق رؤوس الصّعاليك وأبناء المُحارب، وسقطت الجثة على الحجر بعنفٍ فجّرها ولطّخ أسفل ساقي الملكة بالأمعاء والبرقات.

وواصلت سرسي المشي. أنا عمياء صمّاء، وهم ديدان. غنت السّپتوات: «عار، عار»، ونادى بائع متجوّل: «كستناء، كستناء مشويةً ساخنة»، ومن شُرفةً بالأعلى رفع سكران كوبه في نخبٍ ساخر معلنًا برصانة: «الملكة المومس. فليُحيي الجميع الثّديين الملكيين!». الكلام هواء، الكلام لن يؤذيني. في منتصف الطريق إلى أسفل من (تل فيزينا) سقطت الملكة للمرّة

الأولى، عندما انزلت قدمها في شيءٍ ربما كان برازاً، ولما نهضت بمساعدة السَّيِّة أونلا كانت رُكبتها مسحوجةً داميةً. تموجت ضحكة خشنة بين المتفرجين، وزعق رجل عارضاً أن يُقبَّل الجرح ليُشفى. نظرت سرسي وراءها، وما زالت ترى قُبَّة (سِيت بيلور) العظيمة وأبراجه البلورية السبعة فوق التل. هل قطعتُ هذه المسافة القصيرة فقط حقاً؟ الأنكى، الأنكى مئة مرَّة، أن (القلعة الحمراء) غابت عن نظرها. «أين... أين...؟».

تقدَّم قائد حراستها -الذي نسيت اسمه- إلى جوارها قائلاً: «جلالة الملكة، يجب أن تواصلِي الطريق. الجمهور بدأ ينفلت». نعم، ينفلت. «لستُ أخافُ...».

قاطعها: «حريُّ بك أن تخافي»، وشدَّها من ذراعها لتمشي إلى جانبه، وتقدَّمت متعثرةً -إلى أسفل، إلى أسفل فأسفل- إلى سفح التل، تجفل مع كلِّ خطوة تاركةً إياه يسندها. المفترض أن يكون چايمي إلى جوارِي. كان ليمشق سيفه الذهبي ويشقُّ به طريقاً بين الغوغاء، ويقتلع عين كلِّ رجلٍ يجرؤ على النظر إليها.

حجارة الرِّصَف مشققة وعرة زلقة، وخشنة تحت قدميها النَّاعمتين. داس كعبها شيئاً ما حاداً، حجراً أو قطعة فخار مكسورة، فصرخت سرسي ألماً، وهدرت في السَّيِّة أونلا: «طلبتُ صندلاً! كان يُمكنكن إعطائي صندلاً، كان يُمكنكن أن تفعلن ذلك على الأقل!». شدَّها الفارس من ذراعها ثانية كأنها مجرد امرأة من العوام. هل نسيَ من أنا؟ إنها ملكة (وستروس)، ولا يحقُّ له أن يضع يداً عليها.

قُرب سفح التل قلَّ المنحدر حدَّةً وبدأ الشَّارع يتَّسع، وعادت سرسي ترى (القلعة الحمراء) بوهجها القرمزي في شمس الصُّباح فوق (تل إجون العالي). يجب أن أستمِرَّ في المشي. انتزعتُ ذراعها من قبضة السير ثيودان قائلةً: «لا داعي لأن تجرني أيها الفارس»، وواصلتُ طريقها عارجةً مخلَّفةً أثر أقدام داميةً على الحجارة وراءها.

سارت في الوحل والرُّوث، تنزف وتقسعُّ وتحجل، في كلِّ مكانٍ حولها لغو ولغط. صاحَ رجل: «ثديا زوجتي أحلى من هذين»، وسبَّ حوذي ولعن إذ أمره الصَّعاليك بإبعاد عربته عن الطريق، وترنمت السَّيِّتوات: «عار، عار،

عار على الخاطية»، ونادت عاهرة من نافذة ماخور رافعةً تنورتها للرجال بالأسفل: «انظروا إلى هذا، لم يدخله نصف القضبان التي أدخلتها بين ساقيها». كانت النواقيس تدق وتدق وتدق، وقال صبيٌّ ما: «لا يمكن أن تكون هذه الملكة. إنها مترهلة كأمي».

هذه توبيتي. لقد ارتكبت آثامًا وخيمةً وهذه كفارتني. سينتهي كل هذا قريبًا، سيصبح ورائي، ثم يُمكنني أن أنسى.

بدأت الملكة ترى وجوهاً مألوفةً. من نافذة عيس في وجهها رجل بلحية كثيفة على جانبي وجهه كما كان أبوها يعيس، وللحظة بدا شبيهًا للغاية باللورد تاويين حتى إنها تعثرت. عند نافورة جلست فتاة صغيرة يُعرقها الرذاذ تُحدق إليها باتهام بعيني ميلارا هيدرسبون، ورأت ند ستارك وإلى جواره سانزا الصغيرة بشعرها الكستنائي ومعها كلب رمادي أشعث قد يكون ذئبها. كل طفل يندس في الزحام أصبح أخاها تيريون، ينظر إليها بشماتة كما نظر حين ماتت چوفري. وها هو ذا چوف أيضًا، ابنها، طفلها الأول، ولدها الجميل النجيب بخصله الذهبية وبسمته العذبة. كم كانت شفثاه جميلتين، كم... وهنا سقطت للمرة الثانية.

كانت ترتجف كورقة في الريح عندما أنهضوها ثانية، وقالت: «أرجوكم، رُحمالك يا أمنا، لقد اعترفت».

ردت السبّية مويل: «اعترفت، وهذه كفارتك».

قالت السبّية أونلا: «لم يتبق الكثير»، وأشارت مضيفةً: «هل ترين؟ فوق التل، هذا كل شيء».

فوق التل، هذا كل شيء. المرأة محققة. إنهم عند سفح (تل إجون العالي)، والقلعة بالأعلى.

صرخ أحدهم: «عاهرة!»، وأضاف صوت آخر: «ناكحة أخيها! نجسة!»، وقال رجل يرتدي مئزر جزّار: «هل تُريدن مصّة من هذا يا صاحبة الجلالة؟»، وأخرج ذكره من سراويله مبتسمًا. لا يهم. إنها قاب قوسين أو أدنى من دارها. وبدأت سرسي تصعد.

ليس الصّياح ونظرات الاستهزاء هنا ألطف بل أغلظ. لم تأخذها مسيرتها عبر (جحر البراغيث)، فاحتشد سُكّانه على منحدرات (تل إجون العالي)

السُّفْلِيَّةَ لِيَتَفَرَّجُوا عَلَى الْعَرَضِ، وَبَدَتْ لَهَا الْوَجُوهَ الَّتِي تَنْظُرُ إِلَيْهَا شَرًّا مِنْ وِرَاءِ تَرُوسٍ وَجِرَابِ الصَّعَالِيكِ مَشْوَهَةً وَحَشِيئَةً بَشَعَةً. الْخَنَازِيرُ وَالْأَطْفَالُ الْعُرَاةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَحْتَ الْأَقْدَامِ، وَالْمَسْوُولُونَ الْمُعَاقُونَ وَالنَّشَالُونَ مُسْتَطِيرُونَ فِي الزَّحْمَةِ كَالصَّرَاصِيرِ. رَأَتْ رَجَالًا أَسْنَانُهُمْ مَنْحَوْتَةٌ مَدْبِيَّةٌ، وَحِيزُونَائِيَّةٌ غُدْدُهُنَّ الدَّرْقِيَّةَ مُتَضَخِّمَةً يُحَاكِي حَجْمَهَا رُؤُوسَهُنَّ، وَعَاهِرَةٌ تُسَدِّلُ ثُجْبَانًا مَخْطُطًا ضَخْمًا عَلَى نَهْدِيهَا وَكَتْفَيْهَا، وَرَجُلًا وَجْتَاهُ وَجْهَهُ تُغَطِّيهَا قُرُوحٌ مَفْتُوحَةٌ تَنْزُقِيحًا رَمَادِيًّا. ابْتَسَمُوا مِلْءَ أَشْدَاقِهِمْ وَلَعَقُوا شَفَاهِهِمْ وَهَتَفُوا فِيهَا سَاخِرِينَ إِذْ عَرَجَتْ مَارَّةً بِهِمْ، يَجِيشُ ثُدْيَاهَا بِاضْطِرَابٍ مِنْ مَجْهُودِ الصُّعُودِ. صَاخَ بَعْضُهُمْ عَارِضًا أَشْيَاءَ بَدِيئَةً مَشِينَةً وَصَاخَ بَعْضُهُمْ بِالشَّتَائِمِ. الْكَلَامُ هَوَاءٌ، الْكَلَامُ لَنْ يُؤَدِّيَنِي. أَنَا جَمِيلَةٌ، أَنَا أَجْمَلُ امْرَأَةٍ فِي (وَسْتَرُوس) مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا. چَايْمِي يَقُولُ هَذَا، چَايْمِي لَا يَكْذِبُ عَلَيَّ أَبَدًا. حَتَّى رُوبَرْتِ، رُوبَرْتِ لَمْ يُحِبَّنِي قَطُّ، لَكِنَّهُ رَأَى جَمَالِي وَاشْتَهَانِي.

لَكِنَّهَا لَا تَحْسُبُ أَنَّهَا جَمِيلَةٌ، وَإِنَّمَا عَجُوزٌ، مُسْتَهْلِكَةٌ، قُدْرَةٌ، قَبِيحَةٌ. عَلَى بَطْنِهَا تَجْعُدَاتٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ حَمَلْتَهُمْ، وَثُدْيَاهَا لَمْ يَعُودَا شَامِخِينَ كَمَا كَانَا وَهِيَ أَصْغَرُ، وَدُونَ فُسْتَانٍ يَرْفَعُهُمَا يَتَهَدَّلَانِ عَلَى صَدْرِهَا. لَمْ يَكُنْ يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا. كُنْتُ مَلِكْتَهُمْ، لَكِنَّهُمْ الْآنَ رَأَوْنَا، رَأَوْنَا، مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ أَدْعُهُمْ يَرُونَ أَبَدًا. إِنَّهَا مَلِكَةٌ عِنْدَمَا تَرْفَلُ فِي فُسْتَانِهَا وَتَعْتَمِرُ التَّاجَ، أَمَّا وَهِيَ عَارِيَةٌ دَامِيَةٌ تَعْرَجُ فَإِنَّهَا مَجْرَدُ امْرَأَةٍ لَا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ زَوْجَاتِهِمْ، أَشْبَهَ بِأُمَّهَاتِهِمْ مِنْ بَنَاتِهِمْ الصَّغِيرَاتِ الْحَسَنَاتِ. مَاذَا فَعَلْتُ؟

فِي عَيْنَيْهَا شَيْءٌ مَا يَلْسَعُهَا وَيُغْشِي عَلَى بَصَرِهَا. لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَبْكِي، وَلَنْ تَبْكِي، وَلَنْ تَدْعُ الرِّعَاعَ يَرُونَهَا تَنْتَحِبُ أَبَدًا. فَرَكَتْ سَرْسِي عَيْنَهَا بِظَهْرِ كَفِّيْهَا، وَدَفَعَتْهَا هَبَّةً بَارِدَةً مِنَ الرِّيحِ إِلَى الْارْتِعَاشِ بَعْنَفٍ.

وَفَجْأَةً رَأَتْ الْحِيزُونَ أَمَامَهَا وَاقِفَةً فِي الزَّحَامِ بِثُدْيَيْهَا الْمُتَدَلِّلَيْنِ وَبَشْرَتِهَا الْمَخْضِرَّةِ الْمَلَأَى بِالنَّائِلِ، تَنْظُرُ إِلَيْهَا شَرًّا مَعَ سَائِرِ الْآخَرِينَ، وَفِي عَيْنَيْهَا الصَّفْرَاوِينَ الْغَمْصَاوِينَ يَلْتَمِعُ الْخُبْثَ، وَتَفْخُ: «مَلِكَةٌ سَتَكُونِينَ، إِلَى أَنْ تَأْتِي أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْكَ وَأَجْمَلُ، لِنُطِيحَ بِكَ وَتَسْلُبِكَ كُلَّ مَا تَعْدِينَهُ عَزِيزًا».

ثُمَّ لَمْ تُعَدِّ تَقْوَى عَلَى كِتْمَانِ الدَّمُوعِ، فَانْهَمَرَتْ عَلَى وَجْهِ الْمَلِكَةِ حَارِقَةً كَالْحَمِضِ، وَأَطْلَقَتْ سَرْسِي صَيْحَةً حَادَّةً وَغَطَّتْ حَلْمَتَيْهَا بِذِرَاعٍ وَدَسَّتِ الْيَدَ

الأخرى بين ساقها وبدأت تجري، تدفع الصعاليك وتتجاوزهم صاعدة التلّ وقد انحنت وتحركت بالعرض كسراطين البحر. في الطريق إلى أعلى تعثرت وسقطت ونهضت، ثم سقطت مجدداً بعد عشر ياردات، وإذا بها تزحف، تتسلق التلّ على أربع كالكلاب فيما يُفسح لها أهل (كينجز لاندنج) الكرام الطريق ضاحكين ومشيرين ومصنّفين.

وفجأةً انشقّ الزحام وبدا كأنه يذوب، وها هي ذي بوابة القلعة أمامها، وصف من حاملي الجراب في معاطف قرمزية وخوذ قصيرة مذهّبة. سمعت سرسي صوت عمّها الأجنس المألوف يزعق بالأوامر وأت وميضاً أبيض على جانبيها إذ أقبل عليها السير بوروس بلاونت والسير مرين ترانت بدرعيهما الشاحبتين ومعطفيهما الثلجيين. صرخت: «ابني. أين ابني؟ أين تومن؟». أجابها السير كيثان بخشونة: «ليس هنا. لا يجب أن يشهد ابن عار أمّه أبداً. غطوها».

وجدت الملكة چوسلين تميل عليها وتلفّها بدثارٍ من الصوف الأخضر الناعم ساترةً عورتها.

ثم سقط ظلّ عليهما معاً حاجباً الشمس، وشعرت الملكة بفولاذٍ بارد ينزل من تحتها ويدين ضخمتين مدرّعتين ترفعانها عن الأرض، ترفعانها في الهواء بسهولةٍ كما رفعت چوفري الرضيع. نحو مبنى البوابة حملها بخطواتٍ واسعة ثقيلة، وفكرت سرسي والدوار يحفُّ رأسها: عملاق. كانت قد سمعت أن العمالقة ما زال لهم وجود في عراء الأراضي القفر وراء (الجدار). إنها مجرد حكاية. هل أحلم؟

لا. مُتخذها حقيقي. طوله ثمانية أقدام، وربما أطول، وساقاه غليظتان كجذوع الأشجار، وصدرة يليق بحصان حرث، ولن يجد ثور في كتفيه ما يعيب. درعه من الفولاذ المطلي بالميّنا الأبيض النَّاصع كآمال العذارى، يرتديها فوق الحلقات المعدنية المذهّبة، وتُخفي خوذته العظيمة وجهه، ومن قمتها تخفق سبع ريشاتٍ حريريّة بألوان قوس قزح كرجال العقيدة، وتثبت معطفه إلى كتفيه نجمتان سباعيتان ذهبيتان. معطف أبيض.

حافظَ السير كيثان على دوره في الصَّفقة، وألحقَ تو من ولدها الصَّغير الغالي نصيرها بالحرس الملكي.

لم ترَ سرسي من أين أتى كايبرن، لكنها وجدته إلى جوارها فجأةً، يهرع ليُجاري خُطوات نصيرها الطويلة قائلًا: «جلالة الملكة، جميل للغاية أن تعودني إلينا. هلَّا سمحتَ لي بشرف تقديم أحدث أعضاء الحرس الملكي؟ هذا هو السير روبرت سترونج».

همستَ سرسي إذ دخلوا من البوابة: «سير روبرت».

تابعَ كايبرن: «بعد إذن صاحبة الجلالة، السير روبرت أخذَ على نفسه عهد صمتٍ مقدَّسًا، وأقسمَ أنه لن يتكلَّم حتى يموت أعداء الملكة جميعًا ويُطرَد الشَّر من البلاد».

وقالت سرسي لانستر في أعماقها: نعم، أوه، نعم.



تيريون

ارتفعت كومة الأوراق عاليةً لدرجةٍ تُخيف، ورمقها تيريون وتنهد قائلاً: «حسبتكم جماعةً من الإخوة. أهذا هو حُبُّ الأخ للأخ؟ أين الثقة؟ الصداقة؟ التقدير العميق؟ العاطفة الصّادقة التي لا تجمع إلا بين من يُقاتلون ويبدلون دماءهم معاً؟».

قال بن بلوم البنيّ: «كلُّ شيءٍ في أوانه». أضافَ المحبرة وهو يشحذ ريشة كتابة: «بعد أن تُوقّع». ومسّ كاسپوريو المكّار مقبض سيفه، وقال: «إذا أردت أن تبدأ بذل الدماء الآن فيُسعدني أن أسدي إليك هذا الصّنيع». قال تيريون: «لطف منك أن تعرض، لكن لا أظنُّ». وضعَ المحبرة الأوراق أمام تيريون وناولَه الرّيشة قائلاً: «ها هو ذا الحبر. إنه من (فولانتيس القديمة). سبقي طويلاً كحبر المايسترات الأسود الأصلي. عليك فقط أن تُوقّع وتناولني السّنَدات. سأتولّى الباقي». أعطاه تيريون ابتسامةً معوجةً، وسأله: «هل لي أن أقرأها؟». - «إذا أردت. كلّها واحدٌ إجمالاً، ما عدا التي في القاع، لكننا سنصل إليها في حينها».

أوه، أنا واثق. بالنسبة إلى أغلب الرّجال لا يُكلّف الانضمام إلى الجماعة شيئاً، لكن القزم ليس أغلب الرّجال. غمسَ الرّيشة في الدّواة ومالَ على الورقة الأولى، ثم توقّف ورفعَ عينيه متسائلاً: «هل تُريدني أن أضع توقيع يولو أم هيو جور هيل؟».

ضَيْقُ بنِ البَنِيِّ عِينِيهِ، وَقَالَ: «هَلْ تُفَضِّلُ العُودَةَ إِلى وِرْثَةِ يَزَانَ أَمْ قَطَعَ رَأْسَكَ فَقَطُّ؟».

ضَحَكَ القَزْمُ وَذَبَّلَ الوَرِقَةَ بِتَوَقُّعِهِ، تِيرِيونَ سَلِيلَ عَائِلَةِ لَانَسْتَرِ، وَبَيْنَمَا نَاولُهَا لِلمَحْبَرَةِ إِلى يَسَارِهِ تَصْفَحُ الكُومَةَ سَرِيعًا، ثَمَّ قَالَ: «هَنَّاكَ... كَمْ؟ خَمْسُونَ؟ سِتُّونَ؟ حَسِبْتُ أَنَّ فِي الأَبْنَاءِ الثَّانِينَ خَمْسَمِئَةَ رَجُلٍ».

قَالَ المَحْبَرَةُ: «خَمْسَمِئَةَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ فِي الوَقْتِ الحَالِي. حِينَ نُوقِعُ دَفْتَرَنَا سَتَكُونُ الرَّابِعَ عَشَرَ بَعْدَ الخَمْسَمِئَةَ».

رَدَّ القَزْمُ: «إِذْنَ رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْ كُلِّ عَشْرَةٍ يَنَالُ سِنْدًا؟ لَا يَبْدُو هَذَا عَادِلًا. ظَنَنْتُكُمْ تَقْتَسِمُونَ كُلَّ شَيْءٍ بِالتَّسَاوِي فِي الجَمَاعَاتِ الحُرَّةِ»، وَوَقَّعَ وَرِقَّةً أُخْرَى.

قَهَقَهُ بنِ البَنِيِّ، وَقَالَ: «أُوهِ، إِنَّا نَقْتَسِمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِالتَّسَاوِي. الأَبْنَاءُ الثَّانُونَ لَا يَخْتَلِفُونَ عَنِ العَائِلَةِ...».

- «... وَلكُلِّ عَائِلَةٍ أَوْلَادٌ عَمُومَتِهَا البُلْه». وَقَعَ تِيرِيونَ سِنْدًا آخَرَ، وَخَشِخَشَتْ وَرِقَةُ الرَّقُوقِ إِذْ نَاولُهَا لِأَمِينِ النَّقْدِ. «فِي أَعْمَاقِ (كَاسْتَرَلِي رُوك) زَنَازِينَ احْتَفِظَ فِيهَا السَّيِّدُ وَالدِّي بِأَسْوَأِنَا». غَمَسَ الرِّيشَةَ فِي الدَّوَاةِ ثَمَّ كَتَبَ: تِيرِيونَ سَلِيلَ عَائِلَةِ لَانَسْتَرِ، وَاعَدًّا أَنْ يَدْفَعَ لِحَامِلِ السَّنَدِ مِئَةَ تِنِينَ ذَهَبِي. كُلُّ جِرَّةِ رِيشَةٍ تَجْعَلُنِي أَفْقَرًا قَلِيلًا... أَوْ لَجَعَلْتَنِي كَذَلِكَ لَوْ لَمْ أَكُنْ شَحَّادًا. قَدْ يَأْتِي يَوْمٌ يَنْدَمُ فِيهِ عَلَيَّ هَذِهِ التَّوَقُّعَاتِ. لَكِنْ لَيْسَ اليَوْمُ. نَفَخَ فِي الحَجِيرِ الطَّرِي وَنَاولَ الوَرِقَةَ لِأَمِينِ النَّقْدِ وَوَقَّعَ الَّتِي تَحْتِهَا، وَثَانِيَةً، وَثَانِيَةً، وَثَانِيَةً. بَيْنَ تَوَقُّعِي قَالَ: «لَيْكُنْ فِي مَعْلُومِكُمْ أَنِّي مَجْرُوحٌ بِشَدَّةٍ. فِي (وَسْتَرُوس) تُعَدُّ كَلِمَةُ اللَانَسْتَرِ كَالذَّهَبِ».

هَزَّ المَحْبَرَةُ كَتْفِيهِ قَائِلًا: «لَسْنَا فِي (وَسْتَرُوس). عَلَيَّ هَذَا الجَانِبُ مِنَ (البَحْرِ الضَّيِّقِ) نَضَعُ وَعُودَنَا عَلَيَّ الوَرِقِ». كَلِمًا تَنَاولَ وَرِقَّةً نَثَرَ القَلِيلَ مِنَ الرَّمْلِ النَّاعِمِ عَلَيَّ التَّوَقُّعِ لِيتَشَرَّبَ الحَجِيرَ الرَّائِدَ، قَبْلَ أَنْ يَنْفِضَ الوَرِقَةَ وَيَضَعَهَا جَانِبًا. «الدُّيُونُ المَكْتُوبَةُ بِالهَوَاءِ يَكُونُ مَصِيرُهَا غَالِبًا... النِّسْيَانُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

- «نَحْنُ لَا نَنْسَاهَا». وَقَعَ تِيرِيونَ وَرِقَّةً أُخْرَى ثَمَّ أُخْرَى وَقَدْ وَجَدَ إِيقَاعَهُ المَضْبُوطِ. «اللانستر يُسَدِّدُ دِيُونَهُ دَائِمًا».

قهقهة بلوم، وقال: «أجل، لكن كلمة المرتزق بلا قيمة». وكلمتك كذلك، والشكر للآلهة على هذا. «صحيح، لكنني لن أصبح مرتزقاً حتى أوقع دفتركم».

قال بن النبي: «قريباً، بعد السندات».

- «إنني أرقص بأقصى سرعتي». أراد أن يضحك، إلا أنه كان ليُفسد اللعبة لو ضحك. بلوم مستمتع بما يحدث، وتيريون لا ينوي أن يُفسد عليه مُتعبته بأي شكل. دعه يستمر في اعتقاده أنه قلبي على بطني ونكحني في دُبْرِي، وسأستمر أنا في شراء الشيوف الفولاذ بتنانين من ورق. إذا عاد يوماً إلى (وستروس) للمطالبة بحقه بالميلاد فسيكون ذهب (كاسترلي روك) كله تحت تصرفه وفي بوعوده، وإن لم يأت الغد بذلك فسيكون ميتاً وليمسح إخوته الجدد مؤخراتهم بهذا الورق. قد يذهب بعضهم بقصاصاتهم إلى (كينجز لاندنج) على أمل إقناع أخته الجميلة بأن تفي هي بوعوده. وليتي أكون ولو صرصوراً وسط الحصير لأشهد المنظر.

في منتصف الكومة تقريباً تغير المكتوب على الأوراق. السندات بقيمة مئة تين ذهبي للرقباء، وتحتها تزداد المبالغ فجأة. الآن يعد تيريون حامل السند بدفع ألف تين. هز رأسه وضحك ووقع، وثانية، وثانية، وقال وهو يخط اسمه: «طيب، ماذا ستكون واجباتي مع الجماعة؟».

قال كاسپوريو: «إنك أفبح من أن تكون غلام بوكوكو، لكن قد تصلح طعمة للسهام».

ردّ تيريون رافضاً ابتلاع الطعم: «أفضل مما تحسب. رجل صغير بترس كبير سيثير جنون الرُماة. أخبرني بهذا رجل أعقل منك ذات مرة».

أعلن بن بلوم النبي: «ستعمل مع المحبرة».

صحح المحبرة: «ستعمل تحت إمرة المحبرة، تمسك الدفاتر وتعدّ النقود وتُدوّن العقود والرسائل».

- «بكل سرور. أحبّ الدفاتر».

قال كاسپوريو بازدراء: «وماذا تفعل غير هذا؟ انظر إلى نفسك. لست تصلح للقتال».

قال تيريون بكياسة: «كنتُ مسؤولاً من قبل عن جميع البالوعات في

(كاسترلي روك). كان بعضها مسدودًا لسنوات، لكنني سرعان ما جعلتها كلها تُصَرَّف بكفاءة»، وغمس الريشة في الحبر مجددًا. دستة أخرى من السندات ويفرغ. «ربما يُمكنني أن أشرف على تابعات المعسكر. لا يجب أن نترك الرجال بلا تصريح، أليس كذلك؟».

لم يجد بن النبي الدُّعابة طريفةً، وقال محذراً: «ابق بعيداً عن العاهرات. أكثرهن مجدورات، كما أنهن يتكلمن. لست أول عبد هارب يلتحق بالجماعة، لكن ذلك لا يعني أن علينا الإعلان عن وجودك. لن أتركك تتسكع حيث يُمكن أن يراك أحد. ابق بالداخل قدر الإمكان، وتبرز في دلوك. الأعين كثيرة جداً عند المراحيض. ولا تخرج من حدود معسكرنا دون إذني. يُمكننا أن نلبسك فولاذ مُرافق وتظاهر بأنك غلام چورا، لكن هذا لن ينطلي على بعضهم أبداً. ما إن تسقط (ميرين) ونرحل إلى (وستروس) يُمكنك أن تتبخر كما تشاء في الذهب والقرمزي، لكن حتى ذلك الحين...».

- «... سأعيش تحت صخرة ولن أصدر صوتاً. أعطيك كلمتي». بخط مزخرف وقّع: تيريون سليل عائلة لانستر. الورقة الأخيرة، وتبقى ثلاثة سندات مختلفة عن الأخرى، اثنتان منها مكتوبتان على جلد العجول الناعم وكلها معنونة بأسماء. لكاسپوريو المكّار عشرة آلاف تين، ومثلها للمحبرة الذي يبدو أن اسمه الحقيقي تاييرو إستاريون. قال تيريون: «تاييرو؟ أقرب إلى أسماء آل لانستر. أنت ابن عمومة ضاع قديماً؟».

- «ربما. أنا أيضاً أسدّد ديوني دائماً. هذا هو المنتظر من أمين النقد. وقّع». فوق.

السند الأخير لبن پلوم النبي، وهذا مكتوب على لفافة من جلد الخراف. مئة ألف تين ذهبي، خمسون هايدلاً⁽¹⁾ من الأراضي الخصبة، قلعة، ولوردية عظيم جداً. پلوم هذا ليس رخيصاً. راح تيريون يداعب نذبه ويتساءل إن كان يجدر به إبداء السخط. عندما ينكح المرء رجلاً رغماً عنه فإنه يتوقع أن يسمعه يحتج مرة أو مرتين. يُمكنه أن يسب ويلعن ويرغي ويُرِيد عن اللصوصية،

(1) الهايد كلمة أنجلو ساكسونية ظهرت في القرن الثامن، وتشير إلى وحدة قياس للأراضي. يساوي الهايد الواحد 120 فدأناً. (المُترجم).

وَيَرْفُضُ التَّوْقِيعَ بَعْضَ الْوَقْتِ، ثُمَّ يُذْعِنُ عَلَيَّ مُضْضٍ مَعْلَنًا اعْتِرَاضَهُ بِلَا هَوَادَةٍ... لَكِنَّهُ سَتَمَ مِنَ التَّمْثِيلِ، وَهَكَذَا كَثُرَ وَوَقَّعَ وَنَاوَلَ الْمُحْبِرَةَ اللَّفَافَةَ قَائِلًا لِبْنِ الْبُنِّيِّ: «قَضِييكَ كَبِيرٌ حَقًّا كَمَا تَقُولُ الْقِصَصُ. اعْتَبِرْ أَنَّكَ نَكَحْتَنِي بِنَجَاحٍ تَامٍ أَيُّهَا الْبُلُورْدُ بِلُومٍ».

نَفَخَ بَنُ الْبُنِّيِّ فِي تَوْقِيعِهِ، وَقَالَ: «عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ أَيُّهَا الْعِفْرِيْتُ. وَالْآنَ نَجْعَلُكَ وَاحِدًا مِنَّا. أَحْضِرِ الدَّفْتَرَ أَيُّهَا الْمُحْبِرَةُ».

الدَّفْتَرُ مَغْلَفٌ بِالْجِلْدِ وَلَهُ مَفْصَلَاتٌ مِنَ الْحَدِيدِ، وَحِجْمُهُ يَكْفِي لِأَنَّ تَأْكُلَ عَلَيْهِ الْعِشَاءَ، وَدَاخِلُ دَفْتِيهِ الْخَشَبِيَّتَيْنِ الثَّقِيلَتَيْنِ أَسْمَاءُ وَتَوَارِيخُ تَرْجَعُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ قَرْنٍ. قَالَ الْمُحْبِرَةُ وَهُوَ يَقْلِبُ الصَّفَحَاتِ: «الْأَبْنَاءُ الثَّانُونَ مِنْ أَقْدَمِ الْجَمَاعَاتِ الْحُرَّةِ. هَذَا رَابِعُ دَفْتَرٍ. اسْمُ كُلِّ رَجُلٍ خَدَمَ مَعْنَا مِدُونٌ هُنَا، وَمَتَى انْضَمَّ إِلَيْنَا وَأَيْنَ قَاتَلَ وَكَمْ ظَلَّ فِي الْخِدْمَةِ وَكَيْفَ مَاتَ... كُلُّ هَذَا فِي الدَّفْتَرِ. سَتَجِدُ بَعْضَ الْأَسْمَاءِ الشَّهِيرَةِ هُنَا، بَعْضُهَا مِنْ مَمَالِكِكُمْ السَّبْعِ. إِيجُورُ رِيخْرُزُ خَدَمَ مَعْنَا عَامًا قَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ لِيُنْشِئَ الْجَمَاعَةَ الذَّهَبِيَّةَ. تُسْمُونَهُ الْفُولَازِ الْأَلِيمِ. الْأَمِيرُ السَّاطِعُ إِريُونُ تَارْجَارِيْنُ كَانَ ابْنًا ثَانِيًا، وَالذُّبُّ الرَّحَالُ رُودْرِيكُ سِتَارِكُ، هُوَ أَيْضًا. لَا، لَيْسَ ذَلِكَ الْحَبْرُ. اسْتَخْدِمِ هَذَا»، وَخَلَعَ سِدَادَةَ دَوَاةٍ أُخْرَى وَوَضَعَهَا عَلَى الْمُنْضَدَةِ.

حَنِى تِيرِيُونُ رَأْسَهُ إِلَى الْجَانِبِ قَائِلًا: «حَبْرُ أَحْمَرٍ؟».

- «أَحَدُ تَقَالِيدِ الْجَمَاعَةِ. فِي وَقْتِ سَابِقٍ كَانَ كُلُّ رَجُلٍ جَدِيدٍ يَكْتُبُ اسْمَهُ بِدَمِهِ، لَكِنْ أَنْضَحَ أَنْ الدَّمُ حَبْرٌ رَدِيءٌ».

- «آلُ لَانْسْتَرِ يُحِبُّونَ التَّقَالِيدَ. أَعْرَنِي سَكِّينِكَ».

رَفَعَ الْمُحْبِرَةُ حَاجِبَهُ، ثُمَّ هَزَّ كَتْفَيْهِ وَسَحَبَ خَنْجَرًا مِنْ غِمْدِهِ وَنَاوَلَهُ لِلْقَزْمِ مِنَ الْمَقْبُضِ. فَكَّرَ تِيرِيُونُ وَهُوَ يَخْزُ عُقْلَهُ إِبْهَامَهُ: مَا زَالَ يُؤَلِّمُنِي أَيُّهَا النَّصْفُ مَايَسْتَرُ، شُكْرًا جَزِيلًا. اعْتَصَرَ قَطْرَةً كَبِيرَةً مِنَ الدَّمِ فِي الدَّوَاةِ وَاسْتَبَدَّلَ بِالْخَنْجَرِ رِيشَةً جَدِيدَةً وَوَقَّعَ: تِيرِيُونُ سَلِيلُ عَائِلَةِ لَانْسْتَرِ، سَيِّدُ (كَاسْتَرَلِي رُوكِ) بِخَطِّ عَرِيضٍ كَبِيرٍ تَحْتَ تَوْقِيعِ چُورَا مَورْمُونْتِ الْأَكْثَرِ تَوَاضَعًا بِكَثِيرٍ.

حَسَنٌ، فَرَعْنَا مِنْ هَذَا. تَارَجَحَ الْقَزْمُ عَلَى مَقْعَدِهِ مَتَسَائِلًا: «أَهَذَا هُوَ كُلُّ الْمَطْلُوبِ مِنِّي؟ أَلَا يَجِبُ أَنْ أَحْلِفَ يَمِينًا؟ أَقْتُلْ رَضِيْعًا؟ أَمْصُ لِلْقَائِدِ قَضِيْبِهِ؟».

قال المحبرة: «امصص ما تُريد»، وأدارَ الدَّفترَ ونثرَ الرَّمْلَ النَّاعِمَ على الصَّفحة متابعًا: «التَّوَقُّعُ يَفِي بِالغَرَضِ عِنْدَ أَكثَرِنَا، لَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُخَيِّبَ أَمَلَ أَخٍ جَدِيدٍ فِي السَّلَاحِ. مَرَحِبًا بِكَ فِي الأَبْنَاءِ الثَّانِينَ أَيُّهَا اللُّوردُ تِيرِيونَ». اللُّوردُ تِيرِيونَ. رَاقَتِ العِبَارَةُ القَزْمُ. قَدْ لَا يَتَمَتَّعُ الأَبْنَاءُ الثَّانُونَ بِسُمْعَةِ الجَمَاعَةِ الذَّهِيَّةِ النَّاصِعَةِ، لَكِنَّهُمْ حَقَّقُوا بَعْضَ الاِنتِصَارَاتِ عَلى مَرِّ القُرُونِ. «هَلْ خَدَمَ لورِدَاتِ آخَرُونَ مَعَ الجَمَاعَةِ؟».

أَجَابَ بنُ البَنِيِّ: «لورِدَاتِ بِلَا أَرَاضٍ، مِثْلِكَ أَيُّهَا العِيفَرِيَتِ». نَزَلَ تِيرِيونَ مِنْ فَوْقِ المَقْعَدِ قَائِلًا: «أَخِي السَّابِقُ لَمْ يَكُنْ مَلَائِمًا عَلى الإِطْلَاقِ. أَمَتَّمَنِي المَزِيدَ مِنْ إِخْوَتِي الجُدُدِ. وَالأَنَ كَيْفَ أَحْصَلْتُ عَلى دِرْعِ وَسِلَاحٍ؟».

سَأَلَهُ كَاسِپُورِيو: «هَلْ تُرِيدُ خَنْزِيرًا تَرَكَبُهُ أَيضًا؟». - «كَنتُ أَجْهَلُ أَنَّ زَوْجَتِكَ عُضْوَةٌ فِي الجَمَاعَةِ. لُطِفْ مِنْكَ أَنْ تَعْرِضَهَا، لَكِنِّي أَفْضَلُ أَنْ أَرْكَبَ حِصَانًا».

احْمَرَّ وَجْهَ البَرَاثُو، لَكِنَ المَحْبِرَةُ أَطْلَقَ ضَحْكَةً عَالِيَةً، وَجَشَّمَ بنُ بِلُومِ نَفْسَهُ التَّمَادِي إِلَى حَدِّ الفَهْقَةِ، وَقَالَ: «أَرِهَ أَيْنَ العَرَبَاتِ أَيُّهَا المَحْبِرَةُ. يُمَكِّنُهُ أَنْ يَنْتَقِي مَا يَشَاءُ مِنْ فُولَاذِ الجَمَاعَةِ. الفَتَاةُ أَيضًا. صَعَّ عَلَيهَا خَوْذَةٌ وَحَلَقَاتُ مَعْدَنِيَّةٍ وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ يَحْسِبُهَا صَبِيًّا».

قَالَ المَحْبِرَةُ: «مَعِي أَيُّهَا اللُّوردُ تِيرِيونَ»، وَرَفَعَ سَدِيدَةَ الخِيْمَةِ وَأَمْسَكَهَا حَتَّى مَرَّ القَزْمُ مَتَمَايَلًا، وَأَرْدَفَ: «سَأخْبِرُ سِنَاتَشَ بِأَنْ يَأْخُذَكَ إِلَى العَرَبَاتِ. أَحْضِرِ امْرَأَتَكَ وَقَابِلَاهُ عِنْدَ خِيْمَةِ الطَّبَّاحِ».

- «لَيْسَتْ امْرَأَتِي. قَدْ يَكُونُ أَفْضَلُ أَنْ تُحْضِرَهَا أَنْتِ. كُلُّ مَا تَفْعَلُهُ فِي الفَتْرَةِ الأَخِيرَةِ النُّومِ وَالعَبُوسِ فِي وَجْهِي».

اقْتَرَحَ أَمِينُ النُّقْدِ عَلى سَبِيلِ المَسَاعِدَةِ: «عَلَيْكَ أَنْ تُغْلِظَ لَهَا الصَّرْبَ وَتَنْكَحَهَا أَكثَرَ»، ثُمَّ أَضَافَ بِاسْتِخْفَافٍ: «أَحْضِرْهَا، اتْرُكْهَا، أَفْعَلْ مَا شِئْتَ. سِنَاتَشَ لَنْ يُبَالِي. اعْثُرْ عَلَيَّ بَعْدَ أَنْ تَفْرُغَ مِنْ دَرْعِكَ وَسَارِيكَ كَيْفَ تُبَاشِرُ الدَّفَاتِرَ».

- «كَمَا تُرِيدُ».

وَجَدَ بِنِي نَائِمَةً فِي رُكْنِ خِيْمَتِهَا، مَتَكَوِّرَةً عَلى نَفْسِهَا فَوْقَ حَشِيَّةٍ رَفِيعَةٍ

من القشّ وتحت كومةٍ من الأغطية المتسخة. لمسّها بطرف حدائه فانقلبت وارتعش جفناها وقالت متثابئةً: «هيو جور؟ ما الأمر؟».

- «عدنا نتكلّم إذن؟». أفضل من صمتها الواجم. وكلُّ هذا بسبب كلبٍ وخزيرة تخليّنَا عنهما. لقد أفضدْنَا من العبوديّة. كان المرء ليحسب أن الامتنان مستحقّ. «إذا ظللتِ نائمةً فقد تفوتك الحرب».

قالت: «أنا حزينة»، وتساءلت ثانيةً مضيئةً: «ومتعبّة، متعبّة جدًّا».

متعبّة أم مريضة؟ ركع تيريون إلى جوار الحشيّة وجسّ جبهتها قائلاً: «تبدين شاحبةً». هل الجو ساخن هنا أم أنها محمومة قليلاً؟ لا يجرؤ على البوح بالسؤال. حتى رجال الأبناء الثّانين الأصلاب يرتعبون من فكرة امتطاء الفرس الشّاحبة. بلي وقد يُعيدوننا إلى ورثة يزان، بسندات أو دونها. «لقد وقّعت دفترهم، بالطريقة القديمة، بالدم. أنا الآن ابن ثانٍ».

اعتدلت بطني جالسةً وفركت عينيها من النّوم متسائلةً: «وماذا عني؟ هل يُمكنني أن أوقّع أيضًا؟».

- «لا أظنّ. لبعض الجماعات الحرّة سوابق في قبول النّساء، ولكن... إنهم ليسوا البنات الثّانيات».

قالت: «إننا، إذا كنت واحدًا منهم فعليك أن تقول: إننا، لا إنهم. هل رأى أحد الخزيرة الجميلة؟ المحبرة قال إنه سيسأل عنها. أو كرنش؟ هل من أخبار عن كرنش؟».

فقط إذا كنت تثقين بكاسپوريو. زعم نائب بلوم -الذي يعوزه المكر في الحقيقة- أن ثلاثة صيّادي عبيد يونكيين يجولون بالمعسكرات سائلين عن قزمين هارين، وحسب كلام كاسپو فأحدهم يحمل حربّة عليها رأس كلب. على أن خبرًا كهذا لن يُخرج بطني من الفراش، فأجابها كاذبًا: «لا شيء حتى الآن»، ثم استطرّد: «تعالى. علينا أن نجد لكِ درعًا تضعينها».

رمقته بحذر سائلةً: «درع؟ لماذا؟».

- «ذات مرّة قال لي معلّم سلاحي القديم شيئًا، قال: يا بُني، لا تدخل المعركة عاريًا أبدًا. وأنا أصدّقه. ثم إنني الآن وقد أصبحت مرتزقًا فيجدُر بي أن أحمل شيئًا أرتزقُ به». على الرغم من هذا لم تتحرّك، فقبض تيريون على رُسغها وسحبها لتقف، ثم ألقي كومةً من الثياب في وجهها قائلاً: «ارتدي

ملا بسك. ضعي المعطف المقلنس واخفصي رأسك. المفروض أننا زوجين من الصبية تحسباً لأن يكون صيادو العبيد يراقبون».

كان سناتش في الانتظار عند خيمة الطباخ، يُزجّي الوقت بمضغ التبغ المر، عندما ظهر القزمان بمعطفين مقلنسين. قال لهما الرقيب: «سمعت أنكما ستقتلان لحسابنا. سيجعلهم هذا يبولون على أنفسهم في (ميرين). هل قتل أيكما أحداً من قبل؟».

قال تيريون: «أنا. أبطش بهم كأنهم ذباب».

- «بماذا؟».

- «بفأس، بخنجر، بملحوظة منتقاة بعناية، لكنني أشد فتكاً بنشأيتي».

حك سناتش زغب وجهه برأس خُطَّافه، وقال: «شيء لعين النشائية. كم رجلاً قتلت بها؟».

- «تسعة». حتماً يسوى أبوه هذا العدد. سيّد (كاسترلي روك)، حاكم الغرب، حامي (لانسپورت)، يد الملك، زوج، أخ، أب، أب، أب.

ردّد سناتش: «تسعة»، وأصدرَ نحيراً ساخراً وبصقَ مِلءَ فمٍ من اللُّعاب الأحمر، موجّهاً إياه إلى قدمي تيريون ربما، لكنه حطَّ على رُكبته. واضح أن هذا رأيه في «التسعة». أصابع الرقيب ملطّخة بدرجاتٍ متفاوتة من الأحمر من عصير التبغ المر الذي يلوّكه، وقد وضع اثنين منهما في فمه وأطلق صفيراً، ثم نادى: «كيم! تعال هنا أيها الأبله الملعون!»، فلَمَّا جاء كيم هذا يجري أخبره: «خُذ اللورد والليدي عَفریت إلى العربات، وُقِل للمطرقة أن يُزودهما بفولاذ الجماعة».

قال كيم: «قد يكون المطرقة مغشياً عليه من السُكر».

ردّد سناتش: «تبوّل على وجهه. سيوقظه هذا»، ثم التفتَ إلى تيريون وبني قائلاً: «لم ينضمّ إلينا أقزام مأفونون من قبل، لكننا لا نفتقر إلى الصبية. أبناء هذه العاهرة أو تلك، حمقى صغار هربوا من أهاليهم ليخوضوا المغامرات، غلمان، مُرافقون، وما إلى ذلك. قد تكون خردتهم صغيرة بما فيه الكفاية للأقزام. إنها الخردة التي كانوا يضعونها حين ماتوا على الأرجح، لكنني أعلم أن هذا لن يُزعج أبهين صنديدين مثلكما. قلت تسعة؟»، وهزّ رأسه وابتعد.

يحتفظ الأبناء الثانون بفولاذ جماعتهم في ستّ عرباتٍ كبيرة مصفّفة

قُرب مركز المعسكر. قَادَ كِم الطَّرِيقَ مَدَوَّرًا حَرَبْتَهُ كَأَنَّهَا عَصَا، وَسَأَلَهُ تِيرِيونُ:
«كَيْفَ يَنْتَهِي الْمَطَافُ بِفَتَى مِنْ (كِينَجَزْ لَانْدِنَج) مَعَ جَمَاعَةٍ حُرَّةٍ؟».

زَرَّ الْفَتَى عَيْنِيهِ بِشَيْءٍ، وَسَأَلَهُ: «مَنْ أَخْبَرَكَ بِأَنْبِي مِنْ (كِينَجَزْ لَانْدِنَج)؟».
- «لَا أَحَدٌ». كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ فَمِكَ تَعْبِقُ بِرَائِحَةِ (جُحْرِ الْبِرَاغِيثِ) النَّتْنَةِ.
«بَدِيهَتِكَ وَشَتَّ بِكَ. لَا أَحَدٌ أَذْكَى مِنْ وَلَدِ لَ (كِينَجَزْ لَانْدِنَج) كَمَا يَقُولُونَ».
قَالَ وَقَدْ بَدَأَ كَأَنَّ هَذَا أَفْزَعَهُ: «مَنْ يَقُولُ هَذَا؟».

- «الجميع». أنا.

- «منذ متى؟».

منذ اختلفتُ المقولة لتوَّي. «منذ عصور. أبي نفسه دأب على قولها. هل
عرفت اللورد تايوين يا كِم؟».

- «اليد. رأيتَه يصعد التَّلَّ مَرَّةً. كَانَ رَجَالَهُ يَلْبَسُونَ الْمَعَاطِفَ الْحَمْرَاءَ
وَيَضَعُونَ أَسْوَدًا صَغِيرَةً عَلَى خُودِهِمْ. أَعْجَبْتَنِي خُودُهُمْ»، وَزَمَّ الْفَتَى فَمَهُ
مَتَبَعًا: «لَكِنَّ الْيَدَ لَمْ يُعْجِبْنِي قَطُّ. لَقَدْ نَهَبَ الْمَدِينَةَ، ثُمَّ دَحَرْنَا عَلَى ضِفَافِ
(النَّهْرِ الْأَسْوَدِ)».

- «كنت هناك؟».

- «مع ستانيس، ثم جاء اللورد تايوين مع شبح رنلي وداهمنا من المؤخرة.
رَمِيْتُ حَرَبْتِي وَجَرِيْتُ، لَكِنَّ عِنْدَ السُّفْنِ قَالَ ذَلِكَ الْفَارِسُ اللَّعِينُ: أَيْنَ حَرَبَتِكَ
يَا وَلَدٌ؟ لَيْسَ عِنْدَنَا مَتَسَّعٌ لِلْجُبْنَاءِ، وَذَهَبُوا فِي دَاهِيَةِ وَتَرْكُونِي أَنَا وَالْفَأْ آخَرِينَ.
لَا حَقًّا سَمِعْتُ أَنَّ أَبَاكَ يُرْسِلُ مَنْ قَاتَلُوا مَعَ سْتَانِيسَ إِلَى (الْجِدَارِ)، فَعَبْرْتُ
(الْبَحْرَ الضَّيِّقَ) وَانْضَمَمْتُ إِلَى الْأَبْنَاءِ الثَّانِينَ».

- «هل تفتقد (كينجزلاندنج)؟».

- «قليلاً. أفتقدُ صبيًّا معينًا. كان... كان صديقي. وأخي كينيت، لكنه مات
على جسر السفن».

- «رجال صالحون كثير ماتوا يومها». كانت نذبة تيريون تستحكه بشدة،
فأخذ يحكها بظفره.

أضفَ كِمَ بِشَجْنٍ: «أفتقدُ الطَّعَامَ أَيضًا».

- «طهو أمك؟».

- «الجرذان نفسها ترفض أن تأكل طهو أمي. لكن كان هناك محل أكل

معين، لا أحد يُقدِّم وعاءً من البنيِّ مثله. ثخين لدرجة أنك تستطيع أن تُوقف فيه ملعقتك، فيه قطع من هذا وذاك. هل أكلت وعاءً من البنيِّ من قبل أيها النصف رجل؟».

- «مرّة أو مرّتين. أسميه يخنة المغنين».

- «لماذا؟».

- «مذاقه رائع لدرجة أنه يجعلني أريد الغناء».

راقٍ الاسم كيم، وقال: «يخنة المغنين. سأسأل عنه عندما أذهبُ إلى (جُحر البراغيث) المرّة القادمة. ما الذي تفتقده أنت أيها النصف رجل؟».

چايمي، شاي، تايشا. زوجتي، أفتقدُ زوجتي، الزوجة التي بالكاد عرفتها. «النبيذ والعاهرات والثروة. الثروة تحديدًا. بالثروة تشتري النبيذ والعاهرات. وتشتري بها السيوف أيضًا، ومن يحملونها من أمثال كيم.

سأله كيم: «أصحيح أن أوعية الفضلات في (كاسترلي روك) من الذهب الخالص؟».

- «لا يجدرُ بك أن تُصدّق كلَّ ما تسمعه، خصوصًا حين يتعلّق الأمر بعائلة لانستر».

- «يقولون إن آل لانستر جميعًا ثعابين ملتون».

ضاحكًا قال تيريون: «ثعابين؟ هذا الصوّت الذي تسمعه صوت السيّد والذي يتقلّب في قبره. إننا أسود، أو أن هذا ما نحبُّ ترديده. لكن لا يهمُّ يا كيم. دُس ذيل الثعبان أو اللبث تكن في عداد الموتى لا محالة».

كانوا قد بلغوا مستودع السّلاح (إن جاز التّعبير)، وأتضح أن الحدّاد، ذلك المطرقة الأسطوري، مسخ عملاق ذراعه اليسرى أغلظ من اليمنى مرّتين.

قال كيم: «إنه سكران أغلب الوقت. بن البنيّ يتغاضى عن هذا، لكن يومًا ما سنحصّل على حدّادٍ حقيقي». تلميذ المطرقة شاب ممشوق القوام أحمر الشّعر اسمه المسمار. طبعًا، وماذا غير هذا؟ كان المطرقة في غفوة سُكرٍ عندما وصلوا إلى الورشة، تمامًا كما تنبأ كيم، لكن المسمار لم يعترض على تنقيب القزمين في العربات، وقال يُنبّههما: «معظمه حديد خُردة، لكن لكما أن تأخذا ما يُمكنكما استخدامه».

تحت سقوفٍ من الخشب المعوج والجلد المتبيّس تمتلئ العربات بأكوامٍ

عالية من الأسلحة والدروع القديمة. ألقى تيريون نظرةً واحدةً وزفرَ متذكِّراً صفوف السُّيوف والحِراب والمطارد اللامعة في مستودع سلاح (لانسپورت) عند سفح (كاسترلي روك)، وأعلن: «قد يستغرق هذا بعض الوقت».

دمدمَ صوت عميق: «ثمة فولاذ سليم هنا إن استطعنا العثور عليه. لا شيء منه حسن المظهر لكنه بقي من السُّيوف».

من فوق إحدى العربات نزل فارس كبير يرتدي فولاذ الجماعة من رأسه إلى قدميه. وافي ساقه اليسرى لا يُطابق وافي اليمنى، وواقي عنقه مبقع بالصدأ، وواقيا ساعديه فاخران منمقان مزخرفان بزهورٍ من المينا الأسود، وعلى يده اليمنى قفاز من الفولاذ المقعر وعلى اليسرى قفاز بلا أصابع من الحلقات المعدنية الصدئة، وفي حلمتي وافي صدره المضلع حلقتان من الحديد، ويرتفع من خوذته قرنا كبشٍ أحدهما مكسور.

حين خلعتها كشف وجه چورا مورمونت المروض. يبدو كمرتزق فحٍ وليس كالشيء الكسير الذي أخذناه من قفص يزان بتاتاً. كان أكثر كدماته قد خفَّ والتورم في وجهه قد هدأً إلى حدٍ كبير، فعاد مورمونت يبدو أقرب إلى إنسانٍ من جديد، وإن لن تتركه أبداً أقنعة الشياطين التي وشمها النحاسون على وجته اليمنى لتمييزه كعبدٍ خطر عاصٍ. لم يكن السير چورا رجلاً يُوصف بالوسامة قط، فحوّل الوسم وجهه إلى شيء مفزع.

قال تيريون بابتسامة عريضة: «ما دمتُ أبدو أجمل منك فسأكون سعيداً»، والتفت يُخاطبٍ پني: «خُذي تلك العربة وسأبدأ بهذه».

قالت: «أسرع إذا بحثنا معاً»، والتقطت خوذةً قصيرةً من الحديد الصدئ وقهقهت وثبتتها على رأسها متسائلةً: «هل أبدو مخيفة؟».

تبدین كفتاةٍ ممثلة تضع على رأسها قدرًا. ردًا: «هذه خوذة قصيرة. تُريدين خوذةً عظيمةً»، ووجد واحدةً واستبدلها بالأخرى.

جاء صوت پني بصدى أجوف من داخل الخوذة: «كبيرة جدًا. لا أرى شيئاً»، وخلعت الخوذة وألقته جانباً قائلةً: «ما عيب الخوذة القصيرة؟».

قال تيريون: «وجهها مفتوح»، وقرصَ أنفها مضيفاً: «إنني مغرم بالنظر إلى أنفك، وأفضل أن تحتفظي به».

أنتسعت عيناها، وقالت: «يُعجبك أنفي؟».

أوه، ليُبْقِذني (السَّبْعَة)! التفتَ تيريون عنها وشرعَ يُنْقَب في بعض أكوام الدُّروع القديمة في مؤخِّرة العربَة.

سألته بَني: «هل تُعجِبك أجزاء أخرى فيّ؟».

ربما أرادت أن تتقمَّص دور اللُّعوب، لكن سؤالها خرجَ بوقعٍ يُثير الشَّفقة. قال تيريون على أمل أن يضع نهايةً للموضوع: «تُعجِبني كلُّ أجزاءك، وتُعجِبني أجزاءي أكثر».

- «لماذا نحتاج إلى دروع؟ إننا مجرد ممثِّلين، نتظاهر فقط بالقتال».

- «أنتِ بارعة جدًا في التَّظاهر». كان تيريون يفحص قميصًا ثقيلًا من حلقات الحديد مليئًا بالثقوب كأنما أكله العُث. أي عُث هذا الذي يأكل الحديد؟ «التَّظاهر بالموت أحد طرائق النِّجاة من المعارك. الدُّروع الممتازة طريقة أخرى». لكنني أخشى أنها عزيزة المنال هنا. في معركة (الفرع الأخضر) قاتل بخُرْدَة مجمَّعة من هنا وهناك من عربات اللورد ليفورد، وخوذة عظيمة ذات ريشة مدبَّبة جعلته يبدو كأن أحدًا قلبَ على رأسه طست غسيل. فولاذ الجماعة هذا أسوأ. ليس قديمًا ولا يُناسب مقاساته فحسب، بل منبعج ومشقَّق وهش أيضًا. أهذا دم جاف أم صدأ؟ تشممه ومع ذلك لم يعرف تحديدًا. قالت بَني: «هناك نُشايَّة»، وأرته إياها.

رمقها تيريون، ثم قال: «لا أستطيع استخدام واحدةٍ عليّ تثبتتها بقدمي لألِّقها. ساقاي ليستا طويلتين بما فيه الكفاية. واحدة بيكرة وذراع تُناسِني أكثر». ولو أن الواقع أنه لا يُريد نُشايَّة حقًّا، فإعادة تلقيمها تستغرق طويلًا، وحتى إذا كمن قُرب المراحيض منتظرًا أن يأتي عدوُّ ما يُفرغ أحشاءه ففرصة أن يُطلق أكثر من سهم واحد ضعيفة.

بدلًا من ذلك اختارَ كُرَّة سائكةً ولوَّح بها ثم وضعها ثانيةً. ثقيلة جدًا. ثم تجاوزَ عن مطرقةٍ حربيَّة (طويلة جدًا)، وهراوةٍ سائكة (ثقيلة جدًا أيضًا)، ونصف دسِّة من السُّيوف الطَّويلة، قبل أن يجد خنجرًا أعجبه، قطعة فظيعة من الفولاذ لها نصل مثلث. قال: «قد يصلح هذا». على النِّصل شيء من الصِّدأ، لكن هذا سيجعله أفضح. وجد غمدًا من الصُّوف والجِلد يُناسبه ودسَّ فيه الخنجر.

قالت بَني مازحةً: «سيف صغير لرجل صغير؟».

- «إنه خنجر ومصنوع لرجلٍ كبير»، وأراها تيريون سيفًا طويلًا قديمًا، وأردفَ: «هذا سيف. جرّبيه».

أخذته پني ولوّحت به وكشّرت قائلَةً: «ثقیل جدًّا».

قال: «الفولاذ أنقل من الخشب، لكن اضربي عُتق أحدهم بهذا ولن يتحوّل رأسه إلى بطيخة»، وأخذَ منها السيفَ وفحصه بإمعانٍ أكثر، ثم أعلنَ: «فولاذ رخيص، ومثلوم. هنا، انظري. رجعتُ في قولي. يلزمك نصل أفضل لقطع الرُّؤوس».

- «لستُ أريدُ قطع الرُّؤوس!».

- «ولا يجب أن تقطعيها. وجّهي ضرباتك تحت الرُّكبة. الرُّبلة، العُرقوب، الكاحل... حتى العمالقة يسقطون إذا بترت أقدامهم. ما إن يُصبحوا على ظهورهم لا يعودون أكبر منك».

قالت پني كأنها على وشك البكاء: «ليلة البارحة حلمتُ بأن أخي عادَ إلى الحياة. كنا نتنازل أمام لورد عظيم ما ونركب كرنش والخنزيرة الجميلة، والناس يرموننا بالورد. كنا في غاية السعادة...».

وصفّعها تيريون.

كانت لطمّة خفيفةً إجمالاً، تلويحّة صغيرةً بمعصمه لم يضع فيها قوّة تُذكر، ولم تترك علامةً على خدّها حتى، لكن عينيها اغرورقتا بالدموع.

قال لها: «إذا أردت أن تحلمي فعودي إلى النوم، ولما تستيقظين سنبقى عبيدًا هاربين في قلب حصار. كرنش مات، والخنزيرة أيضًا غالبًا. والآن جدي درعًا وضعيها ولا عليك أين تُضايقك. عرض الممثلين انتهى. قاتلي أو اختبئي أو تبرّزي على نفسك، كما تُريدين، لكن أيّا كان ما تُقررين فعله فستفعلينه مرتديّة الفولاذ».

لمست پني الخدّ الذي صفّعه، وقالت: «لم يكن يجب أن نهرب أبدًا. إننا لسنا مرتزقة، لا علاقة لنا بالقتال على الإطلاق. لم يكن وضعنا سيئًا مع يزان، لم يكن. المرّبي كان قاسيًا أحيانًا لكن يزان لا. كنا المفضّلين عنده، كنا... كنا...».

- «... عبديه. هذه هي الكلمة التي تبحثين عنها».

قالت بوجهٍ يحتقن: «كنا عبديّ، لكننا كنا عبديّ المميّزين، مثل حلوى. كنا كزنيّه».

كنا حيوانيه الأليفين، وأحبنا حبًّا فيآصًا لدرجة أنه أرسلنا إلى الحلبة لتلتهمنا الأسود.

ليست مخطئةً البتّة. عبيد يزان يأكلون أفضل من فلاحين كثيرين في (الممالك السبع) وأقلّ عرضةً للموت جوعًا في الشّتاء. العبيد مقتنيات، نعم، يُمكن بيعهم وشراؤهم، وجلدهم ووسمهم، واستعمالهم لإشباع شهوات مُلاكهم، واستيلادهم لإنجاب المزيد من العبيد، أي أنهم ليسوا أرقى من الكلاب أو الخيول. على أن معظم اللوردات يُحسِنون معاملة كلابهم وخيولهم. يستطيع المعتدّون بأنفسهم أن يصيحوا أنهم يُؤثرون الموت على حياة العبوديّة، لكن الاعتماد رخيص. حين تدور الرّحى يُصبح هؤلآء بُندرة أسنان التّنّانين، وإلّا لما امتلأ العالم بالعبيد. لم يكن هناك عبد قطّ اختار ألاّ يكون عبدًا. قد يكون الاختيار بين العبوديّة والموت، لكن الاختيار موجود. لا يستشي تيريون لانستر نفسه. صحيحٌ أن لسانه درّ عليه بضع خطوطٍ على ظهره في البداية، لكنه سرعان ما تعلّم حيلة إرضاء المرّيّ والنبيل يزان. كانت مقاومة چورا مورمونت أشد وأطول، لكنه كان ليصل إلى المحصّلة نفسها في النّهاية.

وطني...

بني تبحث عن سيّدها الجديد منذ فقدَ أخوها جروت رأسه. تُريد أحدًا يعتنى بها، أحدًا يقول لها ماذا تفعل.

غير أنه كان ليقسو عليها للغاية إذا قال لها هذا، فبدلًا من ذلك ردّ: «عبيد يزان المميّزون لم يهربوا من الفرس الشّاحبة. لقد ماتوا جميعًا. حلوى أول من رحل». أخبره بن پلوم البنيّ بأن سيّدهم الماموث مات يوم هربوا، وإن لم يعرف هو أو كاسپوريو أو أيّ المرتزقة الآخرين مصير أفراد معرض وحوش يزان... لكن إذا كانت الجميلة بّني تحتاج إلى الأكاذيب لتكفّ عن الشّكوى فسيكذب عليها. «إذا أردتِ أن تكوني أمةً ثانيةً فسأجدُ لك سيّدًا طيبًا بعد الحرب وأبيعك مقابل ذهبٍ يكفي عودتي إلى الوطن، سأجدُ لك رجلاً

يونكيًا لطيفًا يُعطيك طوقًا ذهبيًا أنيقًا آخر، عليه جرسان يرتان أينما ذهبت. لكن عليك أولًا أن تنجني مما هو مقبل. لا أحد يشتري الممثلين الموتى».

قال چورا مورمونت: «أو الأقرام الموتى. سنكون طعامًا للديدان على الأرجح عندما تضع هذه المعركة أوزارها. اليونكيون خسروا الحرب بالفعل، مع أنهم قد يستغرقون بعض الوقت حتى يُدركوا هذا. (ميرين) لها جيش من المُشاة المُطَهَّرين، أفضل أجناد العالم، و(ميرين) عندها تنانين، ثلاثة تنانين بمجرد أن ترجع الملكة. ولسوف تعود. يجب أن تعود. جانبنا يتكوّن من زهاء أربعين من اللوردات اليونكيين، كل برجاله القروء أنصاف المدربين. عبيد على سيقان خشبيّة، عبيد بسلاسل... قد تكون معهم كتائب من العميان والأطفال المشلولين أيضًا، لن يدهشني هذا».

قال تيريون: «أوه، أعرف. الأبناء الثانون على الجانب الخاسر، وعليهم أن ينقلبوا ثانية وأن يفعلوا هذا حالًا»، وأضاف بابتسامة واسعة: «اترك لي هذا».



كاسِر الملوِك

ظُلُّ شاحِبٍ وظُلُّ قاتم.

التقى المتآمران في هدأة مستودع السِّلَاح بالمستوى الثَّاني من (الهرم الأكبر)، بين رفوف الجِراب وكنانات السَّهام وتذكارات المعارك المنسيَّة المعلقة على الجُدْران.

قال سكاهاز مو كانداكي: «اللَّيلة». من تحت قلنسيوة معطفه المرقَّع يظهر وجه من النُّحاس الأصفر لو طواطٍ مَصَّاص دماء. «كل رجالي سيكونون في مكانهم. كلمة السَّر: جروليو».

- «جروليو». مناسبٌ هذا على ما أظنُّ: «نعم. ما فعلوه به... هل كنت في البلاط؟».

- «رجل واحد بين أربعين، ننتظر جميعًا أن يُلقني خيال المآة الجالس على العرش الأمر لنفتك بذِي اللّحية الدّمويَّة والآخريين. أتحسب أن اليونكييين كانوا ليجرؤوا على أن يُقدِّموا لدنيرس رأس رهينتها؟».

لا. «هيزدار بدا مضطربًا».

- «ادعاء. أهله من بني لوراكي أُعيدوا سالمين كما رأيت بنفسك. اليونكييون قدّموا لنا مسرحيَّة هزليَّة بطلها الرّئيس النّبيل هيزدار. لم تكن المسألة يوركاز زو يونزاك قَطُّ، فالنّحاسون الآخرون كانوا ليدوسوا الأحمق العجوز بأنفسهم عن طيب خاطر. ما حدث حدث لإعطاء هيزدار ذريعة لقتل التّنينين».

فكّر السير باريستان في هذا برويَّة، ثم سأل: «هل تظنُّه يجرؤ؟».

- «لقد جرؤ على قتل ملكته، فلم لا يُقتل حيوانها المدلّين أيضًا؟ إذا لم تنصرف فسيتردّد هيزدار بعض الوقت ليُثبِت نفوره من الأمر ويمنح الأسياد

الحُكَمَاءُ فُرْصَةً تَخْلِيصُهُ مِنْ غَرْبَانِ الْعَاصِفَةِ وَخِيَالِ الدَّمِّ، ثُمَّ يَتَصَرَّفُ. إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَوْتَ التَّنِينِ قَبْلَ وَصُولِ الْأَسْطُولِ الثُّوْلَانِيِّينَ».

نعم، معقول. التفاصيل كلها متوافقة، لكن هذا لا يعني أن الأمر يروق باريستان سلمى أكثر. «لن يحدث ذلك». إن ملكته أم التنانين، ولن يسمح بمساس الأذى طفليها. «ساعة الذئب، الهزيع الأحلك من الليل، عندما يكون العالم نائمًا». أول مرة سمع تلك العبارة كانت من تايوين لانستر خارج أسوار (وادي الغسق). منحني يوماً للخروج بإيرس. ما لم أعد بالملك مع مطلع فجر اليوم التالي لأخذ البلدة بالفولاذ والنيران، هكذا أخبرني. كانت ساعة الذئب حين دخلت وساعة الذئب حين خرجنا. «الدودة الرمادي والمطهرون سيعلقون البوابات ويؤصدونها ما إن يتبين الخيط الأبيض».

قال سكاهاز: «أفضل أن نهاجم مع الخيط الأبيض، نندقق من البوابات ونجتاح خطوط الحصار ونسحق اليونكيين وهم يقومون مترنحين من أسرتهم».

- «لا». سبق أن ناقشنا هذا بالفعل. «هناك معاهدة سلام قائمة، صاحبة الجلالة ذيلتها بتوقيعها ومهرتها بختمها. لن نكون أول من ينقضها. بمجرد القبض على هيزدار سنكون مجلساً يحكم بدلاً منه ونطالب اليونكيين بإعادة الرهائن وانسحاب جيوشهم. إذا رفضوا فعندها وعندها فقط سنبلغهم بفض المعاهدة ونخرج لقتالهم. طريقتك شائنة».

قال الرأس الحليق: «وطريقتك حمقاء. الوقت مناسب. رجالنا المعتقدون مستعدون، متجوعون».

يعلم سلمى أن هذا صحيح. سايمون ذو الظهر المخطط قائد الإخوة الأحرار ومولونو يوس دوب قائد الثروس المقدمة كلاهما متشوق إلى المعركة، وعازم على إثبات جدارته وغسل كل ما عاناه من استبداد بطوفان من دماء اليونكيين. فقط مارسلن قائد رجال الأم يُشارك السير باريستان شكوكه. رد: «لقد ناقشنا هذا وأتفقنا على أن نفعلها بطريقتي».

زمجِرَ الرأس الحليق: «اتفقنا، لكن ذلك كان قبل جروليو، الرأس. النخاسون لا شرف لهم».

قال السير باريستان: «نحن شرفاء».

تمتَمَ الرَّأْسَ الحَلِيقَ بشيءٍ ما بالجيسكارية، ثم قال: «كما ترغب، وإن كنتُ أعتقدُ أنك ستندم على شرف العجائز هذا قبل نهاية اللُعبة. ماذا عن حرس هيزدار؟».

- «جلالته يحتفظ برجلين معه وهو نائم، واحد على باب غُرْفَةِ نومه والثاني بالدَّاخل في تجويفٍ متاخم. الليلة سيكونان كراز وصاحب الجِلد الفولاذ».

دمدم سكاهاز: «كراز. لا يُعجِبني هذا».

- «لن يبلغ الأمر إراقة الدماء بالضرورة. إنني أنوي أن أكلّم هيزدار أولاً. إذا أدرك أننا لا نسعى لقتله فقد يأمر حارسيه بالاستسلام».

- «وإذا لم يحدث؟ يجب ألا يهرب هيزدار منا».

- «لن يهرب». لا يخشى سلمي كراز، ناهيك بصاحب الجِلد الفولاذ، فهما مجرد مُقاتلين من مُقاتلي الحلبات، ومجموعة هيزدار المخيفة من العبيد المُقاتلين السَّابقين بمثابة حرس خاملين على أحسن تقدير. السَّرعة والقوَّة والشَّراسة يتمتَّعون بها، وشيء من البراعة في السِّلاح أيضًا، لكن مباريات الدَّم تدريب رديء على حماية الملوك. في الحلبات تُعلن مجيء خصومهم الأبواق والطبول، وبعد الخروج ظافرين من القتال تُضمَّد جروحهم ويبلعون القليل من حليب الخشخاش لأجل الألم، عالمين أن التَّهديد انقضى ولهم أن يشربوا ويأكلوا ويُعاشروا العاهرات حتى القتال التَّالي. بيد أن المعركة لا تضع أوزارها حقًا بالنسبة إلى فارس الحرس الملكي، فالتَّهديدات تأتي من كلِّ مكانٍ ولا مكانٍ في أيِّ وقتٍ ليلاً أو نهارًا، ولا أبواق تُعلن مجيء الخصم. الأتباع، الخدم، الأصدقاء، الإخوة، الأبناء، وحتى الزَّوجات... وارد أن أيًّا منهم يُخبئ سكينًا تحت معطفه ويضمِّر نية القتل في قلبه. مقابل كلِّ ساعة من القتال يقضي فارس الحرس الملكي عشرًا في المراقبة والانتظار والوقوف صامتًا في الظلِّ، أمَّا مُقاتلو حلبات الملك هيزدار فبدأوا يملون واجباتهم الجديدة ويتبرَّمون منها، والملولون متراخون متخاذلون بطيئو الاستجابة.

قال السير باريستان: «سأتولَّى أمر كراز. تأكَّد فقط من هدم اضطراري إلى تولِّي أمر أيِّ وحوش نُحاس أيضًا».

- « لا تخف. سنكُبلُ مارجاز بالسَّلاسل قبل أن يُحدِثَ ضرراً. لقد أخبرتك، الوحوش النُّحاس رجالي.»
- «تقول إن لك رجالاً بين اليونكيين؟»
- «مخبرون وجواسيس. رزناك له أكثر.»
- رزناك ليس أهلاً للثقة. رائحته عطرة جداً ويصدر إحساساً مفرزاً جداً. يجب أن يُطلق أحدهم سراح رهائنا. ما لم نستعد رجالنا فسيستخدمهم اليونكيون ضدنا.»
- أطلق سكاهاز نخيراً من فتحتي الأنف في قناعه، وقال: «الكلام عن الإنقاذ سهل، التنفيذ صعب. دَعِ النحاسين يُهدِّدون.»
- «وإذا فعلوا ما هو أكثر من التهديد؟»
- «هل ستفتقدهم كثيراً أيها العجوز؟ الخصي والبربري والمرترق؟»
- هيرو وچوجو وداريو. «چوجو خيال دم الملكة، دم دمها، وخرجا من القفر الأحمر) معاً. هيرو نائب الدودة الرمادي. وداريو...». إنها تحبُّ داريو. رأى هذا في عينيها متى نظرت إليه، سمعه في صوتها متى تحدت إليه. «... داريو مغرور وأرعن، لكنه عزيز على صاحبة الجلالة. لا بُدَّ من إنقاذه قبل أن يُقرَّرَ غربان العاصفة تولي الأمر بأنفسهم. الإنقاذ ممكن. ذات مرّة أخرجت أبا الملكة بأمانٍ من (وادي الغسق) حيث أسره لورد متمرّد، ولكن...».
- «... لا أمل لك في أن تمرّ مرور الكرام دون أن يلحظك اليونكيون. كلُّ واحدٍ منهم يحفظ وجهك الآن.»
- قال سلمى لنفسه: يُمكنني أن أخفي وجهي مثلك، إلا أنه يعلم أن الرأس الحليق مصيب. (وادي الغسق) كانت منذ دهرٍ كامل، ولم يعد يقوى على تلك البطولات في سنّه هذه. «علينا إذن أن نجد وسيلةً أخرى، مُتقدّاً آخر، أحداً معروفاً لليونكيين لا يلفت وجوده في معسكرهم الأنظار...».
- «داريو يدعوك بجده الفارس. لن أقول بِمِ يدعوني. لو كنا أنا وأنت رهيبتين فهل كان ليخاطر بنفسه في سبيلنا؟»
- فكّر سلمى: غير محتمل، لكنه قال: «ربما.»
- «ربما يتبوّل داريو علينا إذا كنا نحترق، لكن بخلاف ذلك لا تنتظر أن

يمدّ إلينا يد العون. فليختر غريبان العاصفة قائداً آخر يعرف مقامه. إذا لم تعدّ الملكة فسيقول مرتزقة العالم واحداً. من سيندبه؟» -
«وعندما تعود؟».

- «ستبكي وتقطع شعرها وتصب لعناتها على اليونكيين لا علينا. لا دم على أيدينا. يُمكنك أن تُواسيها. احكِ لها حكاية ما عن الأيام الخوالي. إنها تحبُّ تلك الحكايات. داريو المسكين، قائدها الشجاع... لن تنساه أبداً، نعم، لكن موته أفضل لنا جميعاً، أليس كذلك؟ أفضل لدنيرس أيضاً».

أفضل لدنيرس ولد (وستروس). تحبُّ دنيرس تارجارين قائدها، لكن هذه مشاعر الفتاة الصّغيرة في داخلها لا الملكة. الأمير ريجار أحبّ الليدي ليانا، ولأجل هذا مات أوف. ديمون بلاكفاير أحبّ دنيرس الأولى، وثار وتمردّ لمّا حرم إياها. الفولاذ الأليم وغداف الدم كلاهما أحبّ شيرانا نجمة البحر، ونزفت (الممالك السّبع). أمير (قلعة اليعاسيب) هام حبّاً بچني بنت (الحجر العتيق) لدرجة أنه تخلى عن تاجه، ودفعت (وستروس) مهر العروس جُثّاً. وثلاثة أبناء إجون الخامس تزوّجوا عن حبّ متحدّين رغبات أبيهم، ولأن ذلك الملك المستبعد نفسه اتّبع قلبه حين اختار ملكته سمح لأبنائه بأن يسلكوا طريقاً آخر، صانعاً أعداء الدّة حيث كان يُمكن أن يحظى بأصدقاء حميمين. تبعّت هذا الخيانات والقتال كما يتبع الليل النّهار، وتمّت الحكاية في (قلعة الصّيف) بالشّعوذة والنّار والمأساة.

حبّها لداريو سُم، سُم أبطأ من الجراد لكنه مميت مثله تماماً في النّهاية. «ما زال هناك چوجو، هو وهيرو، كلاهما غالٍ على جلالتهما».

قال الرّأس الحليق سكاهاز يُدكره: «إن عندنا رهائن أيضاً. إذا قتل النّخاسون واحداً منا نقتل واحداً منهم».

للحظة لم يفهم السير باريستان ما يرمي إليه، ثم إنه قال إذ أدرك: «سقاة الملكة؟».

ردّ سكاهاز مو كانداكي بإصرار: «رهائنها. جرازدار وكزنا من دم ذات النّعمة الخضراء، وميزارا من بني ميريك، وكزيميا من بني پال، وآراك من بني جازين، وباكاز من بني لوراك وقريب هيزدار. كلهم أبناء وبنات الأهرامات. زاك، كوازار، أوهلز، هازكار، دازاك، يريزان، جميعهم أولاد الأسياد العظام».

- «فتيات بريئات وصبية مليحون». تعرّف السير باريستان إليهم جميعاً خلال وقته في خدمة الملكة؛ جرازهار بأحلام المجد في مخيلته، وميزارا الخجلى، وميكلاز الكسول، وكزمية الحسناء المغرورة، وكزابعينها الكبيرتين الوديعتين وصوتها الملائكي، ودازار الرّاقص، والآخرين. «أطفال».

- «أطفال الهاربي. ثمن الدّم دم».

- «هذا ما قاله اليونكي الذي أتانا برأس جروليو».

- «لم يكن مخطئاً».

- «لن أسمح بذلك».

- «ما فائدة الرّهائن إن لم يكن المساس بهم مباحاً؟».

- «ربما يمكننا أن نعرض ثلاثة من الأطفال مقابل داريو وهيرو وچوجو. جلالة الملكة...».

- «... ليست هنا. منوط بنا أنا وأنت أن نفعل ما يجب فعله. تعلم أنني محق».

أخبره السير باريستان: «كان للأمير ريجار طفلان. رينيس كانت فتاة صغيرة وإجون كان رضيعاً. عندما استولى تايوين لانستر على (كينجز لاندنج) قتلها رجاله، وقدم الجثتين الدّاميتين ملفوفتين بمعطفين قرمزيين هدية للملك الجديد». وماذا فعل روبرت حين رأهما؟ هل ابتسم؟ كان باريستان سلمي مشخناً بالجراح على ضفاف (الثالوث) وقتها، وهكذا جنّب منظر هدية اللورد تايوين، لكنه كثيراً ما يتساءل. لو رأيته يبتسم لمرأى الخراب الأحمر الذي صارَه طفلاً ريجار لما استطاع جيش على وجه الأرض أن يمنعني من قتله. «لن أسمح بقتل الأطفال. اقبل هذا وإلا فلا دور لي في ما ستفعله».

قهقه سكاهاز، وقال: «أنت عجوز عنيد. صبيتك المليحون هؤلاء سيكبرون ليصبحوا من أبناء الهاربي. اقتلهم الآن أو اقتلهم عندئذ».

- «المفترض أن يقتل الناس للأخطاء التي ارتكبوها وليس الأخطاء التي قد يرتكبوها يوماً ما».

التقط الرأس الحليق فأسأ من على الحائط وفحصها، ثم دمدم: «ليكن. لا أذى سيمس هيزدار أو رهائنا. هل يرضيك هذا يا جدّي الفارس؟».

لا شيء من هذا سيرضيني. «لا بأس. ساعة الدّثب، تدكر».

- «ليس واردًا أن أنسى أيها الفارس». لم يتحرك فم الوطواط النحاسي، لكن السير باريستان استشعرَ الابتسامة السّاخرة تحت القناع. «لطالما انتظرَ كانداك هذه الليلة».

هذا ما أخشاه. إذا كان الملك هيزدار بريئًا فما سيفعلونه الليلة خيانة. لكن كيف يُمكن أن يكون بريئًا؟ لقد سمعته سلمي يحدّ دنيرس على تذوّق العجوز المسموم ويصيح في رجاله أن يقتلوا التّين. إذا لم نتصرّف فسيقتل هيزدار التّينين ويفتح الأبواب لأعداء الملكة. ومع ذلك مهما قلب الفارس العجوز المسألة ودورها في ذهنه لم يستطع أن يجد فيها ما يُشرف.

مرّت بقية هذا اليوم الطويل بسرعة القواقع.

يعلم أن في مكانٍ آخر ما يتشاور الملك هيزدار مع رزناك مو رزناك ومارجاز زو لوراك وجالازا جالار وغيرهم من مستشاريه الميرينيين، محاولين أن يقرروا الرّدّ الأمثل على مطالب اليونكيين... غير أن باريستان سلمي لم يعد جزءًا من تلك المداولات، وليس له ملك يحرسه، فبدلًا من ذلك جال في أرجاء الهرم من القمة إلى السّفح ليتأكد من أن الحرس جميعًا في مواقعهم. استغرق في هذا معظم الصّباح، ثم قضى الأصيل مع أيتامه وحمل سيفًا وترسًا بنفسه أيضًا ليمدّ بعض الفتية الأكبر سنًا بامتحان أصعب.

كان بعضهم يتمرن على القتال في الحلبات عندما أخذت دنيرس تارجارين (ميرين) وحررتهم من أغلالهم، فتمتّع هؤلاء بالمام معقول بالسيف والحرية والفأس الحربية من قبل أن يصيروا في عهد السّير باريستان، وقد يكون بعضهم مستعدًا الآن بالفعل. صبي (جزر البازيليسق) كبدية، تومكو لوهو.

الصّبي أسود كحبر المايسترات، لكنه قوي سريع، أفضل مُتأقّف بالفطرة رآه سلمي منذ چايمي لانستر. لاراك أيضًا، الكُرباج. لا يستحسن السير باريستان طرازه القتالي، لكن مهارته لا يُشق لها عُبار. ما زالت أمام لاراك سنوات من العملي قبل أن يُتقن أسلحة الفرسان التّقليدية، لكنه مميت بسوطه ورُمحه ثلاثي الشعب. نَبّه الفارس العجوز إلى أن السّوط عديم الجدوى إذا جابه عدوًا مدرّعًا... إلى أن رأى لاراك يستخدمه ويلفه حول سيقان خصومه ويصرعهم بشدّة. ليس فارسًا بعدُ لكنه مُقاتل مغوار.

لاراك وتومكو أفضل تلامذته، وبعدهما اللازاريني الذي يدعوه الصّبيان

الآخرون بالحمل الأحمر، ولو أنه ما زال يعتمد بالكامل على العتوّ ويفتقر إلى الأصالة الفنيّة في قتاله. وربما الإخوة أيضاً، ثلاثة الجيسكاريين وضيعي الميلاد الذين استُعبدوا سداً لليون أبيهم.

يجعل هذا عددهم ستّة. ستّة من سبعة وعشرين. كان سلمى ليأمل أن يكونوا أكثر، لكن ستّة بداية جيّدة. الصّبية الآخرون أكثرهم أصغر سنّاً، عارفون أكثر بالأنوال والمحارث وأوعية الفضلات من السّيوف والتُّروس، إلّا أنهم يعملون بجدّ ويتعلّمون سريعاً. بضعة أعوام أخرى يقضونها مُرافقين وقد يُصبح عنده ستّة فرسان آخرون يُعطيهم لمليكته. أمّا من لن يستعدوا أبداً... فليس جميع الصّبية مولودين لكي يُصبحوا فرساناً. البلاد تحتاج إلى الشّماعين وأصحاب الخانات والحدّادين أيضاً. ينطبق هذا على (ميرين) مثلما ينطبق على (وستروس).

بينما شاهدتهم يُمارسون تدريباتهم أعمل السير باريستان فكره في تقليد تومكو ولاراكي الفروسيّة في التّوّ واللحظة، وربما الحمل الأحمر أيضاً. تنصيب الرّجل فارساً يتطلّب فارساً، وإذا اختلّ شيء ما الليلة فقد يَبزغ عليه الفعّج وهو ميت أو في زنزانة، فمن يُنصب مُرافقيه إذن؟ من ناحية أخرى، يستمدّ الفارس الشّاب سمعته - جزئياً على الأقل - من شرف الرّجل الذي قلده الفروسيّة، ولن ينفع فتيته إطلاقاً أن يُعلم أن من نصّبهم خائن، وقد يُفضي هذا إلى الرّج بهم في الزنزانة إلى جواره. إنهم يستحقون أفضل. أفضل أن يعيشوا حياةً طويلةً مُرافقين من أن يعيشوا واحدةً قصيرةً فرساناً ملوثين.

إذ ذاب الأصيل في المساء أمر فتيته بوضع سيوفهم وتروسهم والاجتماع حوله، وحديثهم عن معنى أن يكون الرّجل فارساً: «لَب الفارس الحقيقي الشّهامة والمروءة وليس السّيف. بلا شرفٍ لا يتعدّى الفارس القاتل التقليدي. الموت بشرفٍ أفضل من الحياة دونه». خطر له أن الفتيّة رمقوه بنظرات الاستغراب، لكنهم يوماً ما سيفهمون.

لاحقاً، عندما عاد إلى قمّة الهرم، وجد السير باريستان ميسانداي جالسةً تقرأ بين أكوام من المخطوطات والكُتب، فأخبرها: «ابقي هنا الليلة أيتها الصّغيرة. مهما جرى، مهما رأيت أو سمعت، لا تُعادري مسكن الملكة». قالت الفتاة: «هذه الواحدة تسمع. إن كان لها أن تسأل...».

- «الأفضل ألا تفعل».

خرج السير باريستان وحده إلى حدائق الشُرفة، وفكّر متطلّعا إلى المدينة مترامية الأطراف: لستُ مخلوقاً لهذا. كانت الأهرام تستيقظ واحداً تلو الآخر، تدبّ الحياة في القناديل والمشاعل فيما تحتشد الظلال في الشّوارع بالأسفل. مؤامرات ومكايد وهمسات وأكاذيب وأسرار داخل أسرار، وبوسيلة ما أمسيتُ جزءاً منها.

ربما يفترض أن يكون قد اعتادَ هذا بالفعل، إذ كانت لـ(القلعة الحمراء) أسرارها أيضاً. وحتى ريجار. لم يثق به أمير (دراجونستون) ثقته بأثر داين قَطُّ، وكانت (هارنهال) البيّنة على هذا. عام الربيع الزائف.

ما زال اجترار الذّكري مصحوباً بالمرارة. أعلن اللورد وِنت العجوز إقامة دورة المباريات عقب زيارةٍ من أخيه السير أوزويل وِنت فارس الحرس الملكي، ومن جرّاء وسوسة فارس في أذنه أصبح الملك إيرس على اقتناع بأن ابنه يحيك مؤامرة للإطاحة به، بأن دورة وِنت ما هي إلا حيلة لإعطاء ريجار حُجّة للقاء أكبر عددٍ ممكن من كبار اللوردات في آنٍ واحد. لم تكن قدم إيرس قد وطئت حجراً خارج (القلعة الحمراء) منذ (وادي الغسق)، ومع ذلك أعلنَ بغتةً أنه سيصحب الأمير ريجار إلى (هارنهال)، ومنذ تلك اللحظة انقلب كل شيء رأساً على عقب.

لو كنتُ فارساً أفضل... لو أسقطتُ الأمير عن حصانه في ذلك النزال الأخير كما أسقطتُ كثيرين غيره لبات لي أنا اختيار ملكة الحبّ والجمال... ريجار اختارَ ليانا ستارك بنت (وينترفل)، أمّا باريستان سلمني فكان اختياره ليختلف. ليس الملكة التي لم تكن حاضرة؛ ولا إليها الدورنيّة رغم أنها كانت رقيقة طيبة القلب، ولو اختيرت لجنّبت البلاد الكثير من الحروب والكوارث. لا، كان اختياره ليقع على فتاة شابة حديثة الوفود إلى البلاط، إحدى رقيقات إيا... ولو أن مقارنة بأشارا داين كانت الأميرة الدورنيّة بمثابة خادمة مطابخ. بعد كل هذه السنين ما زال السير باريستان يذكّر ابتساماً أشارا ووقع ضحكته، وما عليه إلا أن يُغمض عينيه ليراها بشعرها الدّاكن الطويل المنسدل على كتفيها وهاتين العينين البنفسجيتين الأسرتين. دنيرس لها نفس العينين. أحياناً عندما تنظر إليه الملكة يشعر كأنما ينظر إلى ابنة أشارا...

لكن ابنة أشارا وُلِدَت مَيْتَةً، وَسَيِّدَتِهِ الْجَمِيلَةَ أَلَقَتْ نَفْسَهَا مِنْ فَوْق بُرْجٍ
 بَعْدَهَا بِفِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ وَقَدْ جُنَّ جَنُونُهَا مِنْ فِرطِ حُرْنِهَا عَلَى الطِّفْلَةِ الَّتِي فَقَدْتَهَا،
 وَرَبِمَا عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي لَوَّثَ شَرَفَهَا فِي (هَارِنْهَال) أَيْضًا. مَا تَ أَشَارَا دُونَ
 أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ السَّيْرَ بَارِيَسْتَانَ أَحَبَّهَا. وَكَيْفَ تَعْلَمُ؟ لَقَدْ كَانَ فَارِسًا فِي الْحَرَسِ
 الْمَلِكِيِّ وَمَقْسَمًا عَلَى الْعُزُوبَةِ، وَمَا كَانَ اعْتِرَافَهُ لَهَا بِمِشَاعِرِهِ لَيْسَ فَرِحَ عَنْ خَيْرٍ.
 الصَّمْتُ أَيْضًا لَمْ يُسْفِرْ عَنْ خَيْرٍ. لَوْ أَسْقَطْتُ رِيْجَارَ وَتَوَجَّتُ أَشَارَا مَلِكَةَ
 الْحُبِّ وَالْجَمَالِ فَهَلْ كَانَتْ لَتَنْظُرٍ إِلَيَّ بَدَلًا مِنْ سِتَارِكْ؟
 لَنْ يَعْرِفَ أَبَدًا، لَكِنْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ إِخْفَاقَاتِهِ لَا يُطَارِدُ بَارِيَسْتَانَ سَلْمِي مِثْلَ
 هَذَا الْإِخْفَاقِ.

السَّمَاءُ غَائِمَةٌ، وَالْهَوَاءُ سَاخِنٌ رَطْبٌ ثَقِيلٌ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فِيهِ شَيْءٌ مَا جَعَلَهُ
 يَسْتَشْعِرُ وَخَرًا فِي عَمُودِهِ الْفَقْرِيِّ. مَطَرٌ. ثَمَّةَ عَاصِفَةٍ مَقْبَلَةٍ. إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّيْلَةُ
 فَعَدَا. تَسَاءَلُ السَّيْرَ بَارِيَسْتَانَ إِنْ كَانَ سِيْحِيَا لِيَشْهَدَا. إِذَا كَانَ لِهَيْزِ دَارِ عَنكِبُوتِهِ
 الْخَاصِ فَأَنَا فِي عِدَادِ الْمَوْتِيِّ. إِذَا بَلَغَتْ الْأُمُورُ ذَلِكَ الْحَدَّ فَإِنَّهُ عَازِمٌ عَلَى
 الْمَوْتِ كَمَا عَاشَ، بِسَيْفِهِ الطَّوِيلِ فِي يَدِهِ.

حِينَ خَبَا الضُّوءُ الْأَخِيرُ فِي الْغَرْبِ وَرَاءَ قُلُوعِ السُّفُنِ الَّتِي تَجُوبُ (خَلِيجِ
 النَّخَّاسِيْنَ) عَادَ السَّيْرَ بَارِيَسْتَانَ إِلَى الدَّاخِلِ، حَيْثُ اسْتَدْعَى اثْنَيْ عَشَرَ مِنَ الْخَدَمِ
 وَأَخْبَرَهُمَا بِتَسْخِينِ الْقَلِيلِ مِنَ الْمَاءِ لِحَمَّامِهِ، فَتَدْرِيْبِهِ مَعَ مُرَافِقِيهِ خَلَالَ الْأَصِيلِ
 أَشْعَرَهُ بِالْأَتْسَاخِ وَبَلَّلَهُ بِالْعَرَقِ.

وَصَلَّ الْمَاءُ فَاتَرَا، لَكِنْ سَلْمِي لَبِثَ فِي الْحَمَّامِ حَتَّى بَرَدَ وَحَكَّ جِلْدَهُ حَتَّى
 احْمَرَّ، وَلَمَّا نَظَفَ تَمَامًا نَهَضَ وَجَفَّفَ جَسَدَهُ وَكَسَا نَفْسَهُ بِالْأَبْيَضِ. ارْتَدَى
 جَوَارِبَهُ وَثِيَابَهُ الدَّاخِلِيَّةَ وَقَمِيصًا مِنَ الْحَرِيرِ وَسُتْرَةً جِلْدِيَّةً مَبْطُنَةً، جَمِيعَهَا
 مَغْسُولٌ حَدِيثًا وَمَبْيَضٌ، وَفَوْقَهَا وَضَعَ الدَّرْعَ الَّتِي أَعْطَتْهَا لَهُ الْمَلِكَةُ أَمَارَةً
 عَلَى تَقْدِيرِهَا. الْقَمِيصُ الْمَعْدَنِيُّ مَذْهَبٌ وَمَطْرَقٌ بَعْنَائِيٌّ وَحَلْقَاتُهُ مَرْنَةٌ كَالْجِلْدِ
 الْمَمْتَازِ، وَالصَّفَانِحُ مَطْلِيَّةٌ بِالْمِينَا وَصُلْبَةُ كَالْجِلْدِ وَنَاصِعَةٌ كَالثَّلْجِ الطَّازِجِ.
 عَلَّقَ خَنْجَرَهُ عَلَى وَرْكَ وَسَيْفَهُ الطَّوِيلَ عَلَى الْآخَرِ مِنْ حِزَامِ جِلْدِي أَبْيَضٍ
 بِأَبَازِيمٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَأَخِيرًا تَنَاوَلَ مَعْطَفَهُ الْأَبْيَضَ الطَّوِيلَ وَثَبَّتَهُ حَوْلَ كَتْفَيْهِ.
 أَمَّا الْخُوْذَةُ فَتَرَكَهَا عَلَى خُطَافِهَا، فَفَتَحَتِ الْعَيْنَيْنِ الضَّيْقَةَ تَحَدُّ مِنْ رُؤْيَتِهِ،
 وَالرُّؤْيَةُ ضَرُورِيَّةٌ لَمَّا هُوَ آتٍ. قَاعَاتُ الْهَرَمِ مَظْلَمَةٌ لَيْلًا، وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ

ينقضُّ عليه الأعداء من أيِّ جهة، وعلاوةً على ذلك، على الرغم من أن جناحي التَّين المنمَّقَيْن اللذين يُزيَّنان الخوذة جميلاً المنظر، فمن السَّهل أن يشتبك بهما سيف أو فأس. سيترُكها إذن لدورة المباريات التَّالية إذا أُنعم عليه (السَّبعة) بواحدة.

مسلِّحًا ومدرَّعًا، جلسَ الفارس العجوز في عتمة عُرفته الصَّغيرة الملحقة بمسكن الملكة، تسبح أمامه في الظَّلام وجوه الملوك الذين خدَمهم وخذلهم، ووجوه الإخوة الذين خدموا معه في الحرس الملكي. تساءلَ كم منهم كان ليفعل ما يُوشك على فعله. بعضهم بالتَّأكيد، لكن ليس الجميع. ما كان بعضهم ليتردَّد في إرداء الرُّأس الحليق باعتباره خائنًا. خارج الهرم بدأ المطر يسُقُّط، وجلسَ السير باريستان وحده في الظَّلام يُصغي. كأنها دموع تنهمر، كأن الملوك الموتى ينتحبون.
ثم حان وقت الذَّهاب.

يُحاكي هرم (ميرين) الأكبر هرم (جيس) الأكبر الذي زارَ لوماس الرِّحالة أطلاله الهائلة ذات يوم، وكسابقه العتيق الذي صارت قاعاته الرُّخام الحمراء مسكنًا للعناكب والخفافيش يرتفع الهرم الميرينيزي ثلاثة وثلاثين مستوى، بما أن هذا الرِّقم مقدَّس لسبب ما عند آلهة (جيس). بدأ السير باريستان رحلة النُّزول الطَّويلة وحده ومعطفه الأبيض يتموِّج وراءه، آخذًا سلالم الخدم، ليس السَّلالم الفاخرة المنحوتة من الرُّخام المجزَّع، بل السَّلالم الأضيق والأكثر انحدارًا واستقامةً المخبَّأة داخل الجدران القرميد السَّميكة.

بعد اثني عشر مستوى وجدَّ الرُّأس الحليق في انتظاره، وقد ظلت ملامحه الخشنة مخفيةً تحت قناع الوطواط مصَّاص الدَّماء الذي وضعه هذا الصُّباح، ومع سكاهاز ستَّة وحوش نحاس يضعون جميعًا أفنعة حشراتٍ متماثلة.

جراد. قال سلمى: «جروليو».

ردَّ أحد الجرادات: «جروليو».

قال سكاهاز: «عندي المزيد من الجراد إذا دعت الحاجة».

- «ستَّة يكفون. ماذا عن الحراسة على الباب؟».

- «رجلاي. لن تُواجه متاعب».

قبض السير باريستان على ذراع الرأس الحليق قائلاً: «لا تُرقِ الدِّماءَ إلَّا مضطراً. بحلول الغد سنعقد مجلساً ونُخبر المدينة بما فعلناه ولماذا».

- «كما تقول. حظاً سعيداً أيها العجوز».

انصرف كل منهما إلى حال سبيله، وانتظم الوحوش النحاس وراء السير باريستان إذ واصل النزول.

مسكن الملك مدفون في قلب الهرم ذاته، في المستويين السادس عشر والسابع عشر، ولما بلغ سلمي هذين الطابقين وجد باب الهرم الداخلي مغلقاً بالسلاسل ويقف عليه اثنان من الوحوش النحاس، تحت قلنسوتي معطفيهما المرقعين وجه جرذٍ ووجه ثور.

قال السير باريستان: «جروليو».

ردَّ الثور: «جروليو. القاعة الثالثة إلى اليمين»، وحلَّ الجرد السلسلة ليَدْخُلَ السير باريستان ومجموعته إلى رواق خدم ضيق من القرميد الأحمر والأسود مضاء بالمشاعل، ورددت الأرضية وقع خطواتهم إذ قطعوا الرواق مارين بقاعتين وأخذوا الثالثة إلى اليمين.

خارج الباب المصنوع من الخشب الصُّلب المنقوش الذي يقود إلي مسكن الملك يقف صاحب الجلد الفولاذ، مُقاتل حلبات شاب لا يُعدُّ بعدُ ضمن الصُّفوف الأولى. وجنتاه وجهته موشومة بالأخضر والأسود المتشابكين، رموز شعوذة فاليريّة عتيقة يُفترض أنها أكسبت لحمه وجِلده صلابة الفولاذ، وتُغطِّي علامات مشابهة صدره وذراعيه، لكن إن كان من شأنها حقاً أن تصدَّ سيفاً أو فأساً فهذا ما سيَتَّضح.

حتى من دون الوشوم يبدو صاحب الجلد الفولاذ مهيباً، فالشَّاب نحيل مفتول العضلات ويفوق السير باريستان طولاً بنصف قدم. نادى مميلاً فأسه الطويلة إلى الجانب ليسدَّ طريقهم: «مَن هناك؟»، وحين رأى السير باريستان والجرادات النحاس وراءه خفضها ثانية قائلاً: «السير العجوز».

- «بعد إذن الملك، يجب أن أتكلّم معه».

- «السّاعة متأخرة».

- «السّاعة متأخرة، لكن المسألة ملحة».

قال صاحب الجلد الفولاذ: «يُمكنني أن أسأل»، ودقَّ باب مسكن الملك

بكعب فأسه الطويلة، فانفتحت كوة منزقة وظهرت عين طفل وجاء صوت طفولي عبر الباب، فرد الحارس، وسمع السير باريستان صوت مزلاج ثقيل يرفع، ثم انفتح الباب، وخاطبه صاحب الجلد الفولاذي: «أنت فقط. الوحوش يبقون هنا».

قال السير باريستان: «كما تريد»، وأوماً برأسه للجرات فردد له أحدها الإيلاءة، ودخل سلمى بمفرده.

المسكن الذي اتخذه الملك لنفسه معتم بلا نوافذ، تحيط به من جميع النواحي جدران قرميد سُمكها ثمانية أقدام، ولا يعوزه الاتساع والترّف. ترتكز السقوف العالية على عوارض ضخمة من السنديان الأسود، وتُغطّي الأرضيات بسط حريريّة من (كارث)، وعلى الجدران معلّقات نفيسة عتيقة بهتت كثيراً تصف أمجاد إمبراطوريّة (جيس) القديمة، تُصوّر أكبرها فلول جيش فاليري مهزوم تمرّ من تحت النير⁽¹⁾ وتُقيّد بالسلاسل. يحرس المدخل المقنطر المفضي إلى غرفة النوم الملكية عاشقان من خشب الصندل، تمثالان منحوتان ومصقولان ومزيّتان. وجدهما السير باريستان نابيين، ولو أن الغرض منهما الاستشارة لا شك. كلّمّا عجّلنا بالرحيل من هذا المكان كان أفضل.

الضوء الوحيد في المكان مصدره مستوقد حديد، وإلى جواره يقف اثنان من سقاة الملكة، داركاز وكيزا.

قالت كيزا: «ميكلاز ذهب يُوقظ الملك. هل نصب لك نبيذاً أيها الفارس؟».

- «لا، أشكرِك».

أشار داركاز إلى دِكّة قائلاً: «تفضّل بالجلوس».

- «أفضّل الوقوف».

حمل الهواء إلى مسامعه أصواتاً عبر المدخل المقنطر من غرفة النوم، أحدها صوت الملك، ومرّت دقائق عدّة قبل أن يخرج هيزدار زو لوراك،

(1) النير خشبة معترضة توضع فوق عنقي ثورين مقرونين، و«المرور من تحت النير» تقليد يرجع إلى إيطاليا القديمة، فكان المهزومون يُجبرون على المرور من تحت نير مصنوع من الجراب على سبيل النكابة والمهانة. (المترجم).

حامل هذا الاسم النبيل الرَّابِعُ عَشْرَ، متثائبًا ويعقد زنارًا لِيُعْلِقَ معطفَ نومه
الساتان الأخضر المزِينِ بِأناقَةٍ باللؤلؤ والخيط الفُضِّي. تحته الملك عارٍ، وهذا
جيدٌ، فالعُراة يَشْعُرُونَ بِالضَّعْفِ ولا يجنحون إلى أفعال البطولة الانتحارية.
المرأة التي لمحها السير باريستان عبر المدخل تَنْظُرُ من وراء ستارةٍ شَفَافَةٍ
عارية أيضًا، يُخفي الحرير المتموِّج ثديها ووركيها جزئيًّا.
تثاءب هيزدار ثانيةً، وقال: «سير باريستان، ما السَّاعة؟ هل من أخبار عن
ملكتي الجميلة؟».

- «لا يا صاحب الجلالة».

تتهد هيزدار قائلاً: «صاحب السُّمو من فضلك، مع أن في هذه السَّاعة
«صاحب النعاس» أدق»، ثم ذهب إلى الخوان ليصبَّ لنفسه كأس نبيذ، لكنه
لم يجد إلا قطراتٍ قليلةً في قاع الإبريق، فتذبذب الاستياء على وجهه، وقال:
«ميكلاز، نبيذ، فورًا».

- «أمرك يا صاحب العبادة».

- «خذ داركاز معك. إبريق من نبيذ (الكرمة) الذهبي وإبريق من الأحمر
الحلو. لا أريد شيئًا من بولنا الأصفر، شكرًا. وإذا وجدت الإبريق فارغًا مرَّةً
أخرى فسأضربك على هاتين الوجنتين المتوردتين الجميلتين بالسُّوط». هرغ
الصَّبي يُلَبِّي الأمر، وقال الملك ملتفتًا إلى سلمى ثانيةً: «حلمتُ بأنك عثرت
على دنيرس».

- «الأحلام تكذب يا صاحب الجلالة».

- «لا بأس بأن تُخاطبني بصاحب الرُّونق. لماذا أتيتني في هذه السَّاعة أيها
الفارس؟ مشكلة ما في المدينة؟».

- «المدينة هادئة».

لاحت الحيرة على هيزدار، وتساءل: «حقًا؟ لماذا أتيت إذن؟».

- «لأسألك سؤالًا. صاحب السُّمو، أنت الهاربي؟».

سقطت كأس هيزدار من بين أصابعه وارتدت عن البساط وتدحرجت،
وقال الملك: «تأتيني في عُرفة نومي في جوف الليل وتسالني هذا السُّؤال؟
أأنت مجنون؟». بدا لحظتها فقط أنه لحظ أن السير باريستان يرتدي صفائح
وحلقات المعدن، فتمتم: «ماذا... لماذا... كيف تجرؤ...».

ضحك كراز، وقال: «سأكل قلبك أيها العجوز». كلا الرجلين يُناهز الآخر طولاً، لكن كراز أثقل منه بأربعين رطلاً وأصغر منه بأربعين عامًا، بشرته شاحبة وعينه ميتتان ويمتدُّ خطُّ مرتفع من الشعر الأسود المحمر الخشن من جبهته إلى أصل عنقه.

قال باريستان الباسل: «هلمَّ إذن».

وانقضَّ عليه كراز.

للمرَّة الأولى منذ بداية اليوم أحسَّ سلمى باليقين. هذا ما خُلقت لأجله. الرقصة، أغنية الفولاذ العذبة، في يدي سيف وأمامي عدو.

مُقاتل الحلبات سريع، سريع كالسهم، من أسرع من قاتلهم السير باريستان على الإطلاق. في هاتين اليدين الكبيرتين استحال الأراخ إلى ضباب يشقُّ الهواء صافراً، عاصفة من الفولاذ بدا كأنها تهبُّ على الفارس العجوز من ثلاث جهاتٍ في الآن نفسه. استهدف أكثر الضربات رأسه، فكراز ليس أحق، ويعلم أن سلمى دون خوذة أكثر قابليَّة للإصابة فوق العنق.

صدَّ الضربات بهدوء، يُقابل سيفه الطويل كلاً منها ويحوِّلها جانباً. تقارع النصلان وتقارعا، وتفهمَّر السير باريستان، وبحافة بصره رأى السُّقاة الصغار يُشاهدون بأعينٍ كبيرة بيضاء كبيض الدجاج. أطلق كراز سباباً وحوَّل ضربةً عالية إلى أخرى منخفضة متجاوزاً سيف الفارس العجوز، فقط ليحتك نصله بلا تأثيرٍ بواقى ساق فولاذي أبيض، فيما ردَّ سلمى بضربةٍ أصابت كتف مُقاتل الحلبات اليسرى شاقَّة الكتان الفاخر ومنغرسه في اللحم تحته، وبدأ قميصه الأصفر يتضجَّر بالوردي، ثم الأحمر.

أعلن كراز وهو يدور: «لا يرتدي الحديد إلا جبان». لا أحد يرتدي دروعاً في حلبات القتال، فالجماهير تأتي للاستمتاع بالدماء، بالموت، بالأطراف المبتورة، بصرخات الألم، بموسيقى الرمال القرمزيَّة.

قال السير باريستان دائراً بدوره: «هذا الجبان على وشك قتلك أيها الفارس». ليس الرجل فارساً، لكن شجاعته في السِّجال جعلته يستأهل هذا القدر من الكياسة. لا يدري كراز كيف يُقاتل رجلاً مدرَّعاً، وهذا ما رآه سلمى في عينيه، الشكُّ والارتباك وبدايات الخوف. من جديد كَرَّ مُقاتل الحلبات

عليه صارخاً هذه المرة، كأن الصَّوت قادر على الإطاحة بعدوّه بعدما فشلَ الفولاذ، وجاء الأراخ من أسفل، ثم من أعلى، ثم من أسفل.

صدَّ سلمي الضَّربات الموجهة إلى رأسه وترك لدرعه الباقي، وشقَّ نصله هو وجنة مُقاتل الحلبات من الأذن إلى الفم، ثم أحدثَ جرحاً أحمر بليغاً في صدره. انبثق الدَّم من جروح كراز، وبدأ أن هذا زاده ضراوة، فقبضَ على المستوقد بيده الحُرَّة وقلبه مبعثراً الجذوات وقطع الفحم الساخن عند قدمي سلمي، فوثبَ السير باريستان من فوقها. سدّد كراز ضربةً إلى ذراعه وأصابها، لكن الأراخ كشطَ المينا الصُّلب فحسب قبل أن يُقابل الفولاذ تحته.

- «لو كنا في الحلبة لبتَرَ هذا ذراعك أيها العجوز».

- «لسنا في الحلبة».

- «اخلع هذه الدرّع!».

- «لم يفت أوان إلقاء فولاذك هذا. استسلم».

صاحَ كراز بغل: «مُت... لكن إذ رفعَ أراخه احتكَّ طرفه بإحدى المعلقات على الحائط واشتبك بها، وكانت هذه هي الفرصة التي يحتاج إليها السير باريستان. بضربةٍ فتحَ بطن مُقاتل الحلبات، وتفادى الأراخ إذ تحرَّر من الاشتباك، ثم أجهزَ على كراز بطعنةٍ في القلب إذ انزلتَ أمعاء الرّجل من بطنه كعابين الماء اللّزجة.

لوثَ الدَّم والأحشاء بسط الملك الحرير. تراجعَ سلمي خطوةً والسيف الطويل في يده أحمر حتى منتصفه، ورأى هنا وهناك البُسط تبدأ في الاشتعال حيث سقطت عليها الجمار. تناهى إلى مسامعه نحيب كزّاء، فالتفت إليها الفارس العجوز قائلاً: «لا تخافي. لن أمسك بأذى أيتها الصّغيرة. أريدُ الملك فقط».

مسحَ سيفه بستارٍ ودخلَ غرفة النوم حيث وجدَ هيزدار زو لوراكي، حامل هذا الاسم النبيل الرَّابع عشر، مختبئاً وراء معلقةٍ ينشج ويقول بتوشل: «اعفُ عني. لا أريدُ أن أموت».

قال السير باريستان: «فلائل يُريدون أن يموتوا، لكن الموت يُدرك البَشَر جميعاً رغم هذا»، وأغمدَ سيفه وسحبَ هيزدار من يده ليقف مضيقاً: «تعال. سأصحبك إلى زنزانة». المفترَض أن يكون الوحوش النُّحاس قد جرّدوا

صاحب الجلد الفولاذ من سلاحه بالفعل. «ستبقى سجيناً إلى أن ترجع الملكة. إذا لم يثبت شيء ضدك فلن يلحق بك ضرر. لك كلمتي باعتباري فارساً». أخذ سلمي الملك من ذراعه وقاده من غرفة النوم شاعراً بدوخة عجيبة كأنه شبه سكران. كنت حارساً ملكياً، فماذا أكون الآن؟

كان ميكلاز وداركاز قد عادا بنبيذ هيزدار ويقفان عند الباب المفتوح محتضنين الإبريقين ويحملقان بأعين متسعة إلى جثة كراز. كانت كِزا لا تزال تبكي، لكن چیزين ظهرت لتواسيها، واحتضنت الفتاة الأصغر منها وراحت تلمس على شعرها، ووقف بعض السقاة الآخرين وراءهما يشاهدون. قال ميكلاز: «صاحب العبادة، التليل رزناك مو رزناك يقول أن أ- أخبرك بأن تأتي في الحال».

خاطب الصبي الملك كأن السير باريستان ليس هناك، كأنه لا يرى رجلاً ميتاً ملقى على البساط ويُلوث دمه الحرير الأحمر ببطء. كان المفترض أن يقبض سكاهاز على رزناك حتى نتيقن من ولائه. هل وقع خطأ ما؟ سأل سلمي الصبي: «يأتي أين؟ أين يريد القهرمان أن يذهب صاحب الجلالة؟». بدا كأن ميكلاز يراه للمرة الأولى، وأجاب: «بالخارج، بالخارج أيها الفارس، إلى الشُرفة، ليري».

- «يرى ماذا؟».

- «التتئينان. التئينان تحرراً أيها الفارس».

وفكر الفارس العجوز: ليُنقذنا (السبعة) جميعاً.



مروّض التّانين

دَبَّ اللَّيْلُ عَلَى أَقْدَامِ سُودَاءِ بَطِيئَةٍ. أَحَلَّتْ سَاعَةُ الْوَطْوَاطِ السَّبِيلَ لِسَاعَةِ تُعْبَانِ الْمَاءِ، وَسَاعَةُ تُعْبَانِ الْمَاءِ لِسَاعَةِ الْأَشْبَاحِ، وَالْأَمِيرُ مَتَمَدَّدٌ فِي فِرَاشِهِ يَرْمُقُ السَّقْفَ، يَحْلُمُ بِلَا هَجُوعٍ، يَتَذَكَّرُ، يَتَخَيَّلُ، يَتَقَلَّبُ تَحْتَ غَطَائِهِ الْكَتَّانِ، مَحْمُومٌ وَجِدَانُهُ بِأَفْكَارِ النَّارِ وَالْدَّمِ.

وَأخِيرًا، بَعْدَ أَنْ يَثَسَّ مِنَ الرَّاحَةِ، نَهَضَ كُوَيْتِنِ مَارْتِلِ وَأَتَجَهَّ إِلَى عُرْفَتِهِ الشَّمْسِيَّةِ، حَيْثُ صَبَّ لِنَفْسِهِ كُوبًا مِنَ النَّبِيدِ وَشَرِبَهُ فِي الظَّلَامِ. وَجَدَ الْمَذَاقَ سَلْوَى حُلُوهٍ عَلَى لِسَانِهِ، فَأَشْعَلَ شَمْعَةً وَصَبَّ كُوبًا آخَرَ قَائِلًا لِنَفْسِهِ: سَيْسَاعِدْنِي النَّبِيدَ عَلَى النَّوْمِ، لَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ كَذِبَةٌ.

حَدَّقَ إِلَى الشَّمْعَةِ طَوِيلًا، ثُمَّ وَضَعَ كُوبَهُ وَرَفَعَ رَاحَةَ يَدِهِ فَوْقَ اللَّهَبِ. اسْتَلْزَمَ الْأَمْرَ كُلَّ مَا لَدَيْهِ مِنْ إِرَادَةٍ لِكَيْ يَخْفِضَهَا حَتَّى مَسَّتِ النَّارَ جِلْدَهُ، وَلَمَّا فَعَلَتْ انْتَزَعَ يَدَهُ مَطْلَقًا صَبِيحَةَ أَلَمٍ.

- «كُوَيْتِنِ، أَنْتِ مَخْبُولَةٌ؟».

لَا، خَائِفٌ فَقَط. لَا أُرِيدُ أَنْ أَحْتَرِقَ. «جِيرِيْس؟».

- «سَمِعْتِكِ تَتَحَرَّكُ».

- «لَمْ أُسْتَطِعِ النَّوْمَ».

- «وَالْحَرُوقُ عِلَاجٌ لِهَذَا؟ قَدْ يَنْفَعُكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْحَلِيبِ الدَّفَافِ وَتَهْوِيدَةِ،

أَوْ حَبْدًا لَوْ أَخَذْتِكِ إِلَى (مَعْبَدِ ذَوَاتِ النَّعْمِ) وَوَجَدْتُ لَكَ فَتَاةً».

- «تَعْنِي عَاهِرَةٌ».

قَالَ جِيرِيْسُ: «يُسْمَوْنَ ذَوَاتِ النَّعْمِ. أَلْوَانُهُنَّ مُخْتَلِفَةٌ. الْحَمْرَاوَاتُ فَقَطْ

لِلنِّكَاحِ»، وَجَلَسَ إِلَى الطَّوَالَةِ قِبَالَتَهُ مُتَابِعًا: «عَلَى السِّبْتَوَاتِ فِي الدِّيَارِ تَبْنِي

هذا التقليد إذا طلبت رأيي. هل لاحظت أن كل سبته عجوز تُشبه البرقوق المجفف؟ هذا ما فعله حياة العزوبة بالمرء».

ألقى كويتن نظرةً خارج الشرفة حيث تُهيم ظلال الليل الكثيفة على الأشجار، وترامى إلى أذنيه صوت ماء يتساقط، فقال: «أهذا مطر؟ ستكون عاهراتك قد رحلن».

- «ليس جميعهن. ثمة حُجيرات صغيرة في حدائق الهوى ينتظرن فيها كل ليلةٍ إلى أن يختارهن رجل. مَنْ لا يُخترن عليهن البقاء هناك حتى تُشرق الشمس شاعراتٍ بالوحدة والإهمال. يُمكننا مواساتهن».

- «تعني يُمكنهن مواساتي».

- «وهذا أيضًا».

- «ليست تلك المواساة التي أرغبُ فيها».

- «أخالفك الرأي. ديرس تارجارين ليست المرأة الوحيدة في العالم.

هل تُريد أن تموت رجلًا بكرًا؟».

لا يُريد كويتن أن يموت على الإطلاق. أريدُ أن أرجع إلى (يرونود) وأقبل أختيك، أن أتزوج جوينيث يرونود وأشهد براعم جمالها تتفتح وأنجب منها طفلًا. أريدُ أن أركب في المباريات وأذهب للصيد، وأزور أمي في (نورفوس)، وأقرأ بعض الكتب التي يُرسلها إليّ أبي. أريدُ أن يعود كليتوس وويل والمايستر كدري إلى الحياة. «هل تظنُّ أن ديرس سيسرُّها أن تسمع أني ضاجعتُ عاهرة؟».

- «ربما. قد يكون الرجال شغوفين بالعذراوات، لكن النساء يُعجبهن الرجل الذي يعرف ما يفعله في غرفة النوم. إنه نوع آخر من المباراة، يتطلب تدريبًا لتجيده».

لسعته المزحة لسعًا. لم يحسَّ كويتن قطُّ بأنه صبي مثلما أحسَّ حين وقف أمام ديرس تارجارين يستجدي يدها. تكاد فكرة معاشرتها تُرعبه كما تُرعبه تنانينها. ماذا لو لم يستطيع إشباعها؟ قال بلهجةٍ دفاعيةٍ: «ديرس لها خليل. لم يُرسلني أبي إلى هنا لأمتع الملكة في غرفة النوم. أنت تعلم لماذا جئنا».

- «لا يُمكنك أن تتزوجها. إن لها زوجًا».

- «إنها لا تحبُّ هيزدار زو لوراك».

- «ما صِلَة الحُبِّ بالزَّواجِ؟ ينبغي أن يكون الأمير أعقل من هذا. يُقال إن أباك تزوَّج عن حُب، فكم نال من السَّعادة؟».

أقل القليل. قضى دوران مارتل وزوجته النورفوشيَّة نصف زواجهما منفصلين والنصف الآخر في شجارٍ ونقار. كان هذا التصرف المتهور الوحيد الذي ارتكبه أبوه حسب كلام بعض النَّاس، المرَّة الوحيدة التي مشى فيها وراء قلبه بدلاً من عقله، وقد عاش ليندم على هذا. قال كويتن بإصرار: «ليس محتمًّا أن تقود كل مخاطرة إلى الدَّمار. هذا واجبي، قدري». المفترض أنك صديقي يا جيريس. لم تسخر من آمالي؟ الشُّكوك تُخالِجني بما فيه الكفاية دون أن تسكُب الزيت على نار مخاوفي. «ستكون هذه مُغامرتي الكُبرى».

- «النَّاس يموتون في المُغامرات الكُبرى».

لم يُجانبه الصَّواب. هذا جزء من القصص أيضًا. يخرُج البطل مع أصدقائه ورفاقه ويُجابه الأخطار ويعود إلى الوطن مظفراً، إلا أن بعض رفاقه لا يعود على الإطلاق. لكن البطل لا يموت أبداً. مؤكَّد إذن أنني البطل. «كلُّ ما أحتاج إليه هو الشَّجاعة. هل تُريد أن تذكُرني (دورن) باعتباري فاشلاً؟».

- «(دورن) لن تذكُر أينا طويلاً على الأرجح».

مصَّ كويتن البُقعة المحروقة من راحة يده، وردَّ: «(دورن) تذكُر إجون وأختيه. التَّنانين ليست سهلة التَّسيان. سيذكُرون ديريس أيضًا».

- «ليس إذا ماتت».

- «إنها حيَّة». بالتأكيد. «إنها مفقودة، لكنني أستطيع العثور عليها».

وعندما أفعل ستنظر إليَّ كما تنظر إلى مرتزقها، ما إن أثبت جدارتي بها.

- «من على متن تنين؟».

- «إنني أركب الخيل منذ كنت في السَّادسة».

- «وأسقطتك الخيل مرَّةً أو ثلاثاً».

- «ولم يمنعي هذا قَطُّ من امتطائها من جديد».

- «لكنك لم تسقط على ارتفاع ألف قدم من الأرض، والخيول نادراً ما تُحيل راكبيها إلى عظم متفحم ورماد».

أعرف الأخطار. «لن أسمع مزيداً من هذا. لك إذني في الرِّحيل. جد سفينةً واهرع إلى الوطن يا جيريس». قالها الأمير ونهَض وأطفأ الشَّمعة بنفخة، ثم

هذا التقليد إذا طلبت رأيي. هل لاحظت أن كلَّ سِبْطَةِ عَجُوز تُشْبِه البرقوق المَجْفَّف؟ هذا ما تفعله حياة العُزُوبَة بالمرءِ».

ألقى كويتن نظرةً خارج الشُّرفة حيث تُهَيِّم ظلال اللَّيْلِ الكثيفة على الأشجار، وترامى إلى أذنيه صوت ماءٍ يتساقط، فقال: «أهذا مطر؟ ستكون عاهراتك قد رحلن».

- «ليس جميعهن. ثَمَّة حُجيرات صغيرة في حدائق الهوى ينتظرن فيها كلَّ ليلةٍ إلى أن يختارهن رجل. مَنْ لا يُخْتَرْنَ عليهن البقاء هناك حتى تُشْرِق الشَّمْسُ شاعراتٍ بالوحدة والإهمال. يُمكننا مواساتهن».

- «تعني يُمكنهن مواساتي».

- «وهذا أيضًا».

- «ليست تلك المواساة التي أرغبُ فيها».

- «أخالفك الرَّأي. دنيرس تارجارين ليست المرأة الوحيدة في العالم.

هل تُريد أن تموت رجلًا بِكْرًا؟».

لا يُريد كويتن أن يموت على الإطلاق. أريدُ أن أرجع إلى (يرونود) وأقبلُ أختيك، أن أتزوَّج جوينيث يرونود وأشاهد براعم جَمالها تتفتح وأنجب منها طفلًا. أريدُ أن أركب في المباريات وأذهب للصيد، وأزور أمِّي في (نورفوس)، وأقرأ بعض الكتب التي يُرسلها إليَّ أبي. أريدُ أن يعود كليتوس وويل والمايستر كدري إلى الحياة. «هل تظنُّ أن دنيرس سيسرُّها أن تسمع أنني ضاجعتُ عاهرة؟».

- «ربما. قد يكون الرُّجال شغوفين بالعدراوات، لكن النساء يُعجبهن الرُّجل الذي يعرف ما يفعله في عُرفة النُّوم. إنه نوع آخر من المبارزة، يتطلب تدريبًا لتُجيده».

لسعته المزحة لسعًا. لم يحسَّ كويتن قَطُّ بأنه صبي مثلما أحسَّ حين وقف أمام دنيرس تارجارين يستجدي يدها. تكاد فكرة معاشرتها تُرعبه كما تُرعبه تنانينها. ماذا لو لم يستطيع إشباعها؟ قال بلهجةٍ دفاعيةٍ: «دنيرس لها خليل. لم يُرسلني أبي إلى هنا لأمتع الملكة في عُرفة النُّوم. أنت تعلم لماذا جئنا».

- «لا يُمكنك أن تنزوَّجها. إن لها زوجًا».

- «إنها لا تحبُّ هيزدار زو لوراك».

- «ما صلة الحبِّ بالزَّواج؟ ينبغي أن يكون الأمير أعقل من هذا. يُقال إن أباك تزوَّج عن حُب، فكم نال من السَّعادة؟».

أقل القليل. قضى دوران مارتل وزوجته النورفوشية نصف زواجهما منفصلين والنصف الآخر في شجارٍ ونقار. كان هذا النَّصرُف المتهور الوحيد الذي ارتكبه أبوه حسب كلام بعض النَّاس، المرَّة الوحيدة التي مشى فيها وراء قلبه بدلاً من عقله، وقد عاش ليندم على هذا. قال كويتن بإصرار: «ليس محتمًّا أن تقود كل مخاطرةٍ إلى الدَّمار. هذا واجبي، قدرتي». المفترَض أنك صديقي يا جيريس. لم تسخر من آمالي؟ الشُّكوك تُخالِجني بما فيه الكفاية دون أن تسكُب الزيت على نار مخاوفي. «ستكون هذه مُغامرتي الكُبرى».

- «النَّاس يموتون في المُغامرات الكُبرى».

لم يُجانبه الصَّواب. هذا جزء من القصص أيضًا. يخرُج البطل مع أصدقائه ورفاقه ويُجابه الأخطار ويعود إلى الوطن مظفراً، إلا أن بعض رفاقه لا يعود على الإطلاق. لكن البطل لا يموت أبداً. مؤكَّد إذن أنني البطل. «كلُّ ما أحتاجُ إليه هو الشَّجاعة. هل تُريد أن تذكُرني (دورن) باعتباري فاشلاً؟».

- «(دورن) لن تذكُر أينا طويلاً على الأرجح».

مصَّ كويتن البُقعة المحروقة من راحة يده، وردَّ: «(دورن) تذكُر إجون وأختيه. التَّنانين ليست سهلة السَّيان. سيذكُرُون ديريس أيضًا».

- «ليس إذا ماتت».

- «إنها حيَّة». بالتأكيد. «إنها مفقودة، لكنني أستطيع العثور عليها».

وعندما أفعل ستنظر إليَّ كما تنظر إلى مرتزقها، ما إن أثبت جدارتي بها.

- «من على متن تنين؟».

- «إنني أركبُ الخيل منذ كنتُ في السَّادسة».

- «وأسقطتُك الخيل مرَّةً أو ثلاثاً».

- «ولم يمنعي هذا قَطُّ من امتطائها من جديد».

- «لكنك لم تسقط على ارتفاع ألف قدمٍ من الأرض، والخيول نادراً ما تُحيل راعيها إلى عظم متفحمٍ ورماد».

أعرفُ الأخطار. «لن أسمع مزيداً من هذا. لك إذني في الرِّحيل. جد سفينةً واهرع إلى الوطن يا جيريس». قالها الأمير ونهَض وأطفأ الشَّمعة بنفخة، ثم

عادَ إلى فراشه وأغطيته الكتَّان المبلَّلة عن آخرها بالعرق. كان حريَّابِي أن أقبلَ واحدةً من توأمتي درينكووتر، أو ربما الاثنتين. كان حريَّابِي أن أقبلهما وأنا قادر. كان حريَّابِي الذهاب إلى (نورفوس) لأرى أمِّي والبلد الذي وُلِدت فيه لتعلم أي لم أنسها. كان بإمكانه سماع المطر يتساقط بالخارج ويدق القرميد كالطبل.

عندما زحفت عليهم ساعة الذئب أخيرًا كان المطر يسقط باطراد، ينهل في وابل قاس بارد سرعان ما سيحيل شوارع (ميرين) القرميد إلى أنهار. أظطر الدورنيون الثلاثة في برودة ما قبل الفجر على وجبة بسيطة من الفاكهة والخبز والجبنة مع حليب الماعز، ولمَّا ذهب جيريس يصبُّ لنفسه كوبًا من النيذ نهاه كويبتن قائلاً: «لا نبذ. سنجد وقتًا كافيًا للشرب لاحقًا».

قال جيريس: «هكذا أمل».

نظر الرجل الكبير إلى الشرفة بالخارج، وقال بنبوة متجهمة: «كنتُ أعرفُ أن المطر سيسقط. كانت عظامي تُؤلمني ليلة أمس. دائمًا تُؤلمني عظامي قبل المطر. لن يُعجب هذا التئنين. النار والماء لا يمتزجان، وهذه حقيقة. تُشعل بؤرة نارٍ وتذكيها ثم تبدأ السماء تتبول المطر وإذا بالخشب غرقٍ واللَّهب همد».

ضاحكًا قال جيريس: «التنانين ليست مصنوعةً من الخشب يا آرش».

- «بعضها كذلك. الملك القديم إجون، إجون الشهواني، بنا تنانين خشبيَّة ليغزونا، لكن ذلك لم ينته على خير».

فكر الأمير: وقد لا ينتهي هذا على خير أيضًا. لا تعنيه حماقات إجون غير الجدير وإخفاقاته، لكن الشكوك والهواجس تُفعمه، ومزاح صديقيه المتكلف يُصيبه بالصُداع لا أكثر. لا يفهمان. إنهما دورنيان، لكنني (دورن). بعد أعوام من الآن، بعد موتي، ستكون هذه هي الأغنية التي يُغنونها عني. نهض فجأة قائلاً: «حان الوقت».

قام صديقه، وأفرغ السير آرشيولد ثمالة حليب الماعز في جوفه ومسح الشَّراب الأبيض عن شفته العليا بمؤخرة يده الكبيرة، وقال: «سأحضرُ ثيابنا التَّنكرية».

عادَ الرَّجل الكبير بالحزمة التي أخذوها من أمير الأسمال في لقائهم الثاني،

وتحتوي على ثلاثة معاطف طويلة مقلّسة مفصّلة من عددٍ كبير من مربّعات القماش الصّغيرة المخيطة معًا، وثلاث هراوات وثلاثة سيوف قصيرة وثلاثة أقنعة من النّحاس الأصفر المصقول؛ ثور وأسد وقرد.

زوّدهم أمير الأسمال بكلّ ما يحتاجون إليه ليكونوا من الوحوش النّحاس، وحين ناولهم الحزمة نَبّههم قائلاً: «قد يطلّبون كلمة سر. إنها كلب». سأله جيريس: «أنت واثق بهذا؟».

- «واثق بما يكفي لأن أراهن بحياةٍ عليه».

لم يسئ الأمير تأويل ما يعنيه، فقال: «حياتي أنا».

- «وهذا مربوط الفرس».

- «كيف عرفت كلمة السّر؟».

- «صادفنا بعض الوحوش النّحاس وسألّتهم ميريس بتهذيب. لكن المفروض أن يكون الأمير أعقل من إلقاء هذه الأسئلة أيها الدورني. في (بيتوس) عندنا مقولة: لا تسلّ الخبّاز أبداً عمّا وضعه في الفطيرة. كلّ فحسب».

كلّ فحسب. في هذا حكمة على ما يظنّ.

أعلن آرش: «سأكون الثور».

ناولّه كويتن القناع قائلاً: «الأسد لي».

قال جيريس: «أي أنني القرد»، ووضع القناع على وجهه، ثم تساءل:

«كيف يتنفسون في هذه الأشياء؟».

- «ضعه فحسب». ليس الأمير في مزاج مزاح.

تضمّ الحزمة سوطاً أيضاً، قطعة لعينة من الجلد القديم بمقبض من النّحاس الأصفر والعظم، قويّة بما فيه الكفاية لتقشير جلد ثور عن جسمه. سأل آرش: «ماذا سنفعل بهذا؟».

أجاب كويتن: «نديرس استخدمت سوطاً لإخضاع الوحش الأسود»، ولفّ السّوط وعلقه من حزامه قائلاً: «آرش، اجلب مطرقتك أيضاً. قد نحتاج إليها».

ليس دخول (الهرم الأكبر) ليلاً مسألةً يسيرةً، فالأبواب تُغلق وتُوصد كلّ ليلةٍ عند الغروب وتبقى كذلك حتى الشروق، وعلى كلّ مدخلٍ يُعيّن حُرّاس،

ويطوف المزيد منهم بالمستوى السفلي حيث يُمكنهم مراقبة الشَّارع. آنفًا كان هؤلاء الحُرَّاس من المُطَهَّرين، والآن أصبَحوا من الوحوش النحاس، وأمل كويتن أن يكون لهذا التأثير البالغ المطلوب لمسعاها.

عند شروق الشَّمس تبدَّل المناوِبة، لكن حين بدأ الدورنيون الثلاثة نزول سلالم الخدم كان الفجر لا يزال يَبْعُدُ نِصْفَ ساعة. الجُدْران حولهم من القرميد المطلي بعشرات الألوان، لكن الظُّلال صبغتها جميعًا بالرَّمادي إلى أن مسَّها ضوء المشعل الذي يحمله جيريس. لم يُصَادِفُوا أحدًا خلال رحلة النزول الطَّويلة، ولم يُسْمَع صوت إلا احتكاك أحذيتهم بالقرميد البالي تحت أقدامهم.

تُوَاجِه بَوَّابة الهرم الرِّئيسة ساحة (ميرين) المركزيَّة، لكن الدورنيين شقُّوا طريقهم إلى مدخل جانبي يُفْتَح على زُقَاق، وهو المدخل الذي كان الرِّقيق يستخدمونه سالفًا لممارسة شؤون سادتهم، ويأتي منه العموم والتُّجَّار ويذهبون ويوصلون حمولاتهم.

الباب من البرونز الخالص، يُعَلِّقه مزلاج من الحديد الثَّقيل ويقف أمامه اثنان من الوحوش النحاس، كلاهما مسلح بهراوةٍ وحريةٍ وسيفٍ قصير، ويلتصع ضوء المشاعل على نُحاس قناعيهما المصقول؛ جردٌ وثعلب. أشار كويتن للرَّجل الكبير بالبقاء في الظلال، وتقدَّم هو وجيريس معًا. قال الثعلب: «جئتما مبكرين».

ردَّ كويتن هازًا كتفيه: «يُمكننا أن نُغادر ثانيةً إذا أردت. هنيئًا لكما بمناوِبتنا». تكلم عالمًا أن لُكنته لا تمتُّ بأيِّ صلةٍ إلى الجيسكارية، لكن نِصف الوحوش النحاس عبيد محرَّرون يتحدَّثون لُغاتٍ شتى، فلم تلفت لُكنته الانتباه.

علَّق الجرذ: «تبًّا لهذا».

قال الثعلب: «أعطينا كلمة سر اليوم».

ردَّ الدورني: «كلب».

تبادل الوحشان النحاس نظرةً، ولثلاث لحظاتٍ طويلة خشية كويتن أن شيئًا ما سارَ على غير ما يُرام، أن ميريس الحسنة وأمير الأسمال لم يحصُلا على الكلمة السليمة... ثم دمدم الثعلب: «كلب إذن. الباب لكما».

وإذ غادرَ الحارسان عادَ الأميرَ يتنَفَّسَ من جديد. ليس أمامهم وقت طويل، فلا شكَّ أن رجلي المناوَبَةِ الحقيقيَّين سيظهران قريباً. نادى كوينتن: «آرش»، فظهرَ الرَّجُلُ الكبير وضوء المشاعلِ يَوْمِض على قناع الثور على وجهه. «المزلاج، أسرع».

المزلاج الحديدي سميك ثقيل ولكن مزيتٌ بعناية، فلم يجد السير آرشيولد صعوبةً في رفعه، وبينما أوقفه على طرفه فتحَ كوينتن الباب على مصراعيه وخرجَ منه جيريس ملوِّحاً بمشعلته، وقال: «أدخلوها الآن، بسرعة». كانت عربة الجزار في الانتظار في الزُّقاق بالخارج، فهوى الحوذي على البغل بضربةٍ من كُرْباجه لتتحركَ العربة داخلةً من الباب، تُقعقع عجلتاها المؤطرتان بالحديد على القرميد بصوتٍ صاخب، وعلى ظهرها جثةٌ ثورٍ مقطّعة إلى أربعة وخروفان ميتان. دخلَ ستّة أفراد على أقدامهم، يضع خمسة منهم معاطف وأقنعة الوحوش النحاس، في حين لم تُجسّم ميريس الحسنة نفسها عناء التَّنكر.

سألَ الأميرَ ميريس: «أين سيِّدك؟».

أجابته: «ليس لي سيِّد. إذا كنت تعني قرينك الأمير فهو قريب ومعه خمسون رجلاً. اخرج بتنينك وسيصحبك إلى الأمان كما وعد. القيادة لكاجوهنا».

رمى السير آرشيولد العربة بريبةً متسائلاً: «هل العربة كبيرة بما فيه الكفاية لحمل تنين؟».

- «المفروض. لقد حملت ثورين من قبل». يرتدي قاتل الجُثث معطف الوحوش النحاس، ويختفي وجهه المتغضن النديب وراء قناع كوبرا، لكن الأراخ الأسود المؤلف المعلق على وركه وشى بشخصيته. «قيل لنا إن هذين الحيوانين أصغر من وحش الملكة».

- «الجُبُّ أبطأ نموَّهما». تُفيد قراءات كوينتن بأن الشَّيء نفسه حدث في (الممالك السبع) من قبل، فلا واحد من التنانين التي استولدت ونشأت في (جُب التنانين) بـ(كينجز لاندنج) دنا على الإطلاق من حجم فاجهار وميراكسس، ناهيك بالرُّعب الأسود وحش الملك إجون. «هل جلبتم سلاسل كافية؟».

قالت ميريس: «كم تَبِينًا هنالك؟ معنا سلاسل تكفي عشرة، مخبأة تحت اللحم».

- «عظيم». انتاب كويتن الدُّوار. لا شيء من هذا يبدو حقيقياً فعلاً. في لحظةٍ يَشْعُر كأنها لعبة، وفي التَّالية كأنه كابوس، حُلْم سيئ يرى نفسه فيه يفتح باباً قائماً عالمًا أن الهول والموت ينتظران على الجانب الآخر، لكنه عاجز عن إيقاف نفسه. وجدَ كَفِيه غارقتين بالعرق، فمسحهما على ساقيه قائلاً: «سيكون هناك مزيد من الحرس خارج الجُب».

قال جيريس: «نعرف».

- «يجب أن نكون مستعدِّين لهم».

قال آرش: «نحن مستعدُّون».

أحسَّ كويتن بانقباضية في بطنه وحاجةٍ مفاجئةٍ إلى إفراغ أحشائه، وإن علم أنه لا يجرؤ على الاستئذان في الانصراف الآن. قال: «من هنا إذن». نادراً ما شعرَ بأنه صبي صغير كما يَشْعُر الآن، ومع ذلك تبعوه؛ جيريس والرَّجل الكبير، وميريس وكاجو والمذروون الآخرون. كان اثنان من المرتزقة قد أخرجَا نُشايَّتين من مخبأ ما في العربة.

بعد الاسطبلات يستحيل المستوى الأدنى من (الهرم الأكبر) إلى تيه، إلا أن كويتن مارتل سبق له المرور من هنا مع الملكة، ويذكر الطَّرِيق. مضوا تحت ثلاث قناطر هائلة من القرميد، ثم على منحدرٍ حجري إلى الأعماق، وعبر الزنازين وحُجرات التَّعذيب، ومرورًا بخزَّائي ماءٍ عميقين من الحجر. أرجعت الجدران صدى خُطواتهم بصوتٍ أجوف فيما قعقت عربة الجزَّار وراءهم، واختطفَ الرَّجل الكبير مشعلًا من على الحائط ليقود الطَّرِيق.

أخيرًا ارتفع مصراعان من الحديد الثَّقيل أمامهم، كلاهما منيع نخرَبه الصِّدأ، وتعلِّقهما سلسلة طويلة كل من حلقاتها بسُمك كذراع رجل. تكفل حجم وسُمك هذين المصراعين بجعل كويتن مارتل يُشكِّك في حكمة هذا المسعى، والأدهى أن كلا المصراعين منبعج بوضوح من جرَّاء محاولة شيءٍ ما بالدَّاخل الخروج. الحديد السَّميك مشقَّق ومتصدِّع في ثلاثة مواضع، والرُّكن العلوي من المصراع الأيسر ذائب جزئيًّا.

يَحْرُس الباب أربعة وحوش نُحاس، يحمل ثلاثة منهم الحِراب الطَّويلة،

والرَّابِع - رقيبهم - مسلَّح بسيفٍ قصيرٍ وخنجر، ويضع قناعًا على شكل رأس بازيليسق، أمَّا الثلاثة الآخرون فيضعون أفنعة حشرات.

فكَّر كوينتن: جراد، وقال: «كلب».

وتبيَّس الرَّقِيب.

وهذا هو كل ما تطلَّبه كوينتن مارتل ليعرف أن شيئًا ما على غير ما يُرام، وبصوتٍ مبحوح قال: «خذوهم»، في اللَّحظة نفسها التي امتدَّت فيها يد البازيليسق بمنتهى السُّرعة إلى سيفه القصير.

سريع هذا الرَّقِيب... لكن الرَّجُل الكبير أسرع. ألقى آرش المشعل على أقرب جرادة، ثم مدَّ يده وراء ظهره وحلَّ مطرقته الحربيَّة، وكان نصل البازيليسق قد خرج من غِمده الجِلدي بالكاد عندما هوى طرف رأس المطرقة المدبَّب على صُدغه ساحقًا نُحاس القناع الرِّفيِع واللَّحم والعظم تحته. ترنَّح الرَّقِيب إلى الجانبِ نصفَ حُطوةٍ قبل أن تتداعى رُكبتاه ويهوي أرضًا وجسده كله يتنفض بعُنفٍ بالغ.

حدَّق كوينتن متمسِّمًا مبهورًا وقد تهيَّجت معدته. ما زال سيفه في غِمده، لم يمدَّ يده إليه حتى، وتجمَّدت عيناه على الرَّقِيب الذي يُحتضِر أمامه مختلجًا. كان المشعل السَّاقط ينطفئ على الأرض جاعلاً كلَّ ظلٍّ يتوائب ويتلوَّى في محاكاةٍ وحشيَّة ساخرة لارتجاف الرَّجُل المحتضِر، ولم يرَ الأمير حربة أحد الجرادات في طريقها إليه حتى ارتطمَ به جيريس دافعًا إياه جانبًا. احتكَّ رأس الحلقة بوجنة وجه الأسد الذي يضعه، وعلى الرغم من ذلك أصابته الضَّربة بعُنفٍ كادَ ينتزع القناع عن وجهه، فقال الأمير لنفسه ورأسه يدور: كانت ستخترق حلقي اختراقًا.

أطلق جيريس سبابًا إذ حاصرته الجرادات، وسمعَ كوينتن أصوات أقدام تعدو، ثم إذا بالمرتزقة يندفعون من قلب الظُّلال. رمقهم أحد الحرس للَحظةٍ كانت كافيةً لأن يتجاوزَ جيريس رأس حربيته ويغرس رأس سيفه تحت القناع النُّحاس وفي حلق واضعه، وفي اللَّحظة نفسها نبتَ سهمٌ نُشابيَّة من صدر الجرادة الثَّانية.

وأسقطت الجرادة الأخيرة حربتها، وصاح الرَّجُل: «أستسلم، أستسلم».
ردَّ كاجو: «لا، بل تموت»، وبتَرَ رأس الرَّجُل بضربةٍ واحدة من أراخه.

جزَّ الفولاذ الفاليري اللَّحم والعظم والغضاريف كأنها صوف الخراف، وقال قاتل الجُثث متذمراً: «ضوءاء عالية للغاية. كلٌّ من له أذنان سمعَ هذا». قال كويتن: «كلب. المفترض أن تكون كلمة السرِّ اليوم كلب. لماذا لم يدعونا نمراً؟ قيلَ لنا...». قاطعته ميريس: «قيلَ لكم إن خطَّكم جنون، هل نسيت؟ افعلوا ما جئتم ليفعله».

فكَّر الأمير كويتن: التَّينان. نعم، جئنا من أجل التَّينين، وتابع في سريرته وقد انتابه غثيان مباغت: ماذا أفعلُ هنا؟ لماذا يا أبي؟ أربعة رجال ماتوا في العدد نفسه من اللَّحظات، وفي سبيل ماذا؟ همس: «النَّار والدَّم، والنَّار والنَّار». الدَّم يتجمَّع في بركةٍ عند قدميه ويغوص في الأرضية القرميد، والنَّار وراء هذا الباب. غمغم: «السَّلسلة... ليس معنا مفتاح...».

قال آرش: «أنا معي مفتاح»، وبقوَّة وسرعةٍ هوى بمطرقة الحربية ليتطاير السَّرر عندما أصاب رأسها القفل. ثم إنه هوى بضربةٍ أخرى، وأخرى، وأخرى، ومع الضَّربة الرَّابعة تحطَّم القفل وسقطت السَّلسلة برنين جعل كويتن يُوقن بأن نصف من في الهرم سمعوه. قال: «اجلبوا العربة». سيكون التَّينان أكثر انصياعاً بمجرد إطعامهما. فليُتخما نفسيهما بالضَّان المتفحَّم. أمسك آرشيولد يرونود المصراعين الحديد وفتحهما، لتُصدر مفصلاتهما الصَّدئة صرختين قيميتين بإيقاظ كلِّ من نام خلال كسر القفل، وانقضَّت عليهم لفحة مفاجئة من الحرارة المثقلة بروائح الرَّماد والكبريت واللَّحم المحروق.

وراء الباب سواد حالك، ظلام مدلهم كتيب يبدو حياً منذراً بالويل، يبدو جائعاً، ومن فوره شعرَ كويتن بأن الظُّلمة شيئاً ما، شيئاً ملتقاً على نفسه ويتنظر. امنحني الشَّجاعة أيها (المُحارب). ليس يُريد أن يفعل هذا، لكنه لا يرى وسيلةً أخرى. وإلاً فلمَ آرَّتني دنيرس التَّينين؟ تُريدني أن أثبت نفسي لها. ناوله جبريس مشعلاً، ودخلَ الأمير من الباب.

الأخضر ريجال والأبيض فسيريون. استخدم اسميهما، مُهما، خاطبهما بهدوءٍ ولكن بصرامة، أخضعهما كما أخضعت دنيرس دروجون في الحلبة. كانت الفتاة وحدها مرتديةً غلالةً من الحرير، ومع ذلك تصرَّفت بجسارة.

يجب ألا أخاف. هي فعلتها، وأنا أيضاً أستطيع أن أفعلها. أهم شيء ألا يدي خوفاً. الحيوانات تشم الخوف، والثنايين... ما الذي يعرفه عن الثنايين؟ ما الذي يعرفه أيُّ أحد عن الثنايين؟ لقد زالت من العالم لأكثر من قرنٍ كامل.

حافة الجبِّ أمامه، وبتؤدة دنا كويتن منها محرّكاً المشعل من جانب إلى جانب، وتشربت الحوائط والأرضية والسقف الضوء. محروق، القرميد مسودّ محروق، يتفتت مستحيلاً إلى رماد. ازداد الهواء دفئاً كلما تقدّم خطوةً، وبدأ جسده يتفصّد عرقاً.

ثم ارتفعت أمامه عينان.

عينان برونزيتان، أشد من التروس المصقولة بريقاً، تتوهجان بسعيهما الخاص، مشتعلتان وراء ستارٍ من الدخان المتصاعد من منحري الثنين. غمر ضوء مشعل كويتن حراشف من الأخضر الداكن، أخضر الطحالب في الغابات العميقة ساعة الغسق قبيل زوال الضوء الأخير. ثم فتح الثنين فمه، وغمر كويتن الضوء والحرارة، ووراء سياج من الأسنان السوداء الحادة أبصر وهج الأتون، بريق نار خامدة أسطع مئة مرة من مشعله. رأس الثنين أكبر من رأس الحصان، ويمتد عنقه ويمتد منحللاً كأفعى خضراء عظيمة إذ ارتفع الرأس إلى أن أصبحت هاتان العينان البرونزيتان الملتهبتان تنظران إليه من أعلى.

خضراء، حراشفه خضراء. قال: «ريجال»، لكن صوته احتبس في حنجرتة فلم يخرج منه إلا نقيق مكسور. الضفدع، إنني أتحوّل إلى الضفدع من جديد. تذكر فقال بنبرة مبحوحة: «الطعام، أحضروا الطعام».

سمعته الرّجل الكبير وأمسك خروفاً من ساقين ورفعته عن العربة، ثم دار وألقاه في الجبِّ.

والتقطه ريجال في الهواء. التفت رأسه بحدّة، ومن بين فكّيه انبثق رُمح من اللهب، عاصفة دوامة من النّار الصّفراء والبُرْتقاليّة المجزّعة بالأخضر. اشتعل الخروف في الهواء قبل أن يبدأ السقوط، وقبل أن تضرب الجبّة الدّاخنة القرميد أطبقت عليها أسنان الثنين ولا تزال هالة من اللهب تتذبذب حولها، وفاحت في الهواء رائحة الصّوف المحروق والكبريت. رائحة الثنايين.

قال الرّجل الكبير: «ظننت أن هناك اثنين».

فسيريون، نعم. أين فسيريون؟ خفّض الأمير المشعل ليُلقي الضوء على

العتمة بالأسفل، ورأى التنين الأخضر يُمَرِّقُ جَنَّةَ الخروف الداخنة ويجلد ذيله الطويل الهواء من جانب إلي جانب كالسُّوط وهو يأكل. حول عنق ريجال طوق حديدي سميك تتدلى منه ثلاثة أقدام من سلسلة مكسورة، والحلقات المحطّمة مبعثرة على أرض الجُبِّ بين العظام المتفحّمة، لفائف من المعدن الذائب جزئياً. ريجال كان مقيّداً إلى الأرض والحائط آخر مرّة كنتُ هنا، لكن فُسيرون كان معلقاً من السّقف.

تراجع كويتن ورفع المشعل ورأسه.

لوهلة لم يرَ بالأعلى غير القناطر القرميد المسوّدة التي لفتحها نيران التنينين، ثم لفت نظره خيط من الرّماذ يشي بحركة. شيء ما شاحب، مختبيء، يتحرّك. صنع لنفسه كهفاً، جُحراً في القرميد. أساسات هرم (ميرين) الأكبر سميكة ضخمة لأجل حمل البناء الهائل فوقها، وحتى الجدران الداخليّة أسمك ثلاث مرّات من سور أيّ قلعة، لكن فُسيرون حفرَ لنفسه حفرةً فيها باللّهب والمخلب، حفرةً تتسع للنوم فيها.

والآن أيقظناه. رأى ما يُشبه أفعى بيضاء عملاقة تحلُّ نفسها داخل الجدار في أعلى نقاطه حيث يتقوّس ليلاقي السّقف. سقط المزيد من الرّماذ من أعلى، ومعه قطعة من القرميد المفتت، ولاح من الأفعى عنق وذيل... ثم ظهر الرّأس، عيناه متقدتان في الظلام كجمرتين من ذهب، وخشخش جناحا التنين وبدأ ينسطن.

وفرت خطط كويتن كلّها من رأسه.

سمع كاجو قاتل الجُثث يزعم في رجاله المرتزقة، ففكر الأمير الدورني: السّلاسل، يطلب السّلاسل. كانت الخطة أن يُطعموا الوحشين ويُقيّداهما عندما يُثقلهما الوسن، تماماً كما فعلت الملكة. تنين واحد، والاثان أفضل. قال كويتن: «مزيد من اللحم». سينعس الوحشان ما إن نُطعمهما. سبق أن رأى هذه الوسيلة النّاجعة مع الثعابين في (دورن)، أمّا هنا مع هذين الوحشين... «أحضروا... أحضروا...».

أطلق فُسيرون نفسه من السّقف بإسطة جناحيه الجليديين الشّاحبين عن آخرهما، وتأرجحت السّلسلة المتدلّية من عنقه بضراوة. أنار لهبه الجُبِّ، ذهب باهت مجرّع بالأحمر والبُرّتقالي، وتفجّر الهواء السّاكن في سحابة من الرّماذ الساخن والكبريت إذ ضربته الجناحان الأبيضان مرّة ومرّة ومرّة.

أطبقت يد على كتف كويتن، فسقط المشعل من قبضته ليتدحرج على الأرض ثم يسقط في الجبّ مشتعلًا، ووجد نفسه في مواجهة فردٍ نحاسي. جيريس. «كويتن، لن ننجح. إنهما شرسان للغاية، إنهما...».

حطّ التنين بين الدورنيين والباب بزئيرٍ كان يدفع مئة أسدٍ إلى الفرار، وتحرك رأسه من جانبٍ إلى آخر متفحصًا المتطفلين... الدورنيين والمذرويين وكاجو، وأخيرًا حدّق الوحش إلى ميريس الحسنا طويلاً وأخذ يتشمّم الهواء. المرأة. يعرف أنها أنثى. يبحث عن دنيرس، يُريد أمه ولا يفهم غيابها. انتزع كويتن كتفه من قبضة جيريس، ونادى: «فسيريون». الأيض فسيريون. لأقل من لحظةٍ خشي أنه أخطأ الاسم. ثانيةً نادى وبده تتلمّس طريقها إلى السّوط المعلق من حزامه: «فسيريون». هي أخضعت الأسود بسوط، وعليّ أن أفعل المثل.

عرف التنين اسمه، فالتفت برأسه وسلط ناظريه على الأمير الدورني مُدّة ثلاث نبضات قلبٍ طويلة والنار الشّاحبة موقدة وراء خناجر أسنانه السوداء. عيناه بُحيرتان من الذهب المصهور، ومن طاقتي أنفه ينبعث الدُّخان. قال كويتن: «انزل»، ثم سعل وسعل.

الهواء مفعم بالدُّخان، ورائحة الكبريت خانقة. فقد فسيريون الاهتمام وعاد يلتفت إلى المذرويين، ثم اندفع نحو الباب. ربما شمّ دماء الحرس القتلى أو اللحم في عربة الجزار، أو ربما رأى فقط أن الطريق مفتوح.

سمع كويتن المرتزة يصيحون. كان كاجو يطلب السلاسل، وميريس الحسنا تصرخ في أحدهم أن يتنحى جانبًا. تقدّم التنين من الباب بحركة خرقاء كرجل يزحف على مرفقيه ورُكبتيه، ومع ذلك كانت حركته السريعة عصبية على تصديق الأمير الدورني. تأخر المذروون في الابتعاد عن الطريق، فأطلق فسيريون زئيرًا آخر، وسمع كويتن صلصلة سلاسل والصّوت الوتري العميق المميّز للنشائية.

صرخ: «لا، لا!»، لكن الأوان فات. الأحمق. لم يجد وقتًا إلا لقول هذا في أعماقه قبل أن يرتد السهم عن عنق فسيريون ويختفي في العتمة، ومضّ خط من النار في أثره، دماء التنين المتوهجة بالذهبي والأحمر. كان الرامي يبحث عن سهم آخر عندما انغلقت أسنان التنين على رقبتة.

يضع الرَّجُل قنَاع وْحشٍ نُحَاسٍ يُصَوِّرُ وَجْهَ نَمْرٍ مَخِيفًا، وَإِذْ أَسْقَطَ سِلَاحَهُ لِيُحَاوِلَ فَتْحَ فَكِّي فُسِيرِيونَ عَنوَةً انبثَقَ اللَّهَبُ مِنْ فَمِ النَّمْرِ، وَتَفَجَّرَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ بِصَوْتٍ خَافَتْ وَبَدَأَ النُّحَاسُ الْأَصْفَرُ حَوْلَهُمَا يَذُوبُ. مَرَّقَ التَّيْنِ كُتْلَةً مِنَ اللَّحْمِ، مَعْظَمَ رِقْبَةِ المَرْتَزِقِ، ثُمَّ ابْتَلَعَهَا تَارِكًا الجِثَّةَ المَحْتَرِقَةَ تَتَهَاوَى أَرْضًا.

بَدَأَ بَقِيَّةَ المَذْرُوبِينَ يَتَقَهَّقَرُونَ. حَتَّى مِيرِيسَ الحَسَنَاءِ لَا تَمَلِكُ شَجَاعَةَ المَوَاجَهَةِ فِي هَذَا المَوْقِفِ. تَحَرَّكَ رَأْسُ فُسِيرِيونَ ذُو القَرْنَيْنِ جِيئَةً وَذَهَابًا بَيْنَهُم وَبَيْنَ فَرِيسَتِهِ، لَكِنَّهُ تَنَاسَى المَرْتَزِقَةَ بَعْدَ لِحْظَةٍ وَلَوَى عُنُقَهُ لِيَنْتَرِعَ قِطْعَةً أُخْرَى مِنْ لَحْمِ الرَّجُلِ المَيْتِ، أَسْفَلَ سَاقِهِ هَذِهِ المَرَّةَ.

أَرخَى كَوَيْتِنِ سُوْطِهِ لِيَنْحَلَّ، وَنَادَى بِصَوْتٍ أَعْلَى هَذِهِ المَرَّةَ: «فُسِيرِيونَ». يُمَكِّنُهُ أَنْ يَفْعَلَهَا. سَيَفْعَلُهَا. لَقَدْ أَرْسَلَهُ أَبُوهُ إِلَى أَقْصَايِ الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِ هَذَا، وَلَنْ يَخْذَلَهُ. كَرَّرَ: «فُسِيرِيونَ!»، وَفَرَّقَعَ بِالسُّوْطِ فِي الهَوَاءِ لَتُرَدَّدَ الجُدْرَانُ المَسْوَدَّةَ الصَّوْتِ الحَادِ.

ارْتَفَعَ الرَّأْسُ الشَّاحِبُ، وَضَاقَتِ العَيْنَانِ الدَّهَبِيَّتَانِ العَظِيمَتَانِ، وَتَصَاعَدَتِ خِيُوطُ الدُّخَانِ مِنْ مَنْخَرِي التَّيْنِ.

قَالَ الأَمِيرُ أَمْرًا: «انزِل». يَجِبُ أَلَّا تَدْعَهُ يَشْمُ خَوْفِكَ. «انزِل، انزِل، انزِل!». وَلَوْحُ كَوَيْتِنِ بِالسُّوْطِ وَهُوَ بِجِلْدَةٍ عَلَى وَجْهِ التَّيْنِ، وَأَطْلَقَ فُسِيرِيونَ فَحِيحًا. وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ اكْتَنَفَتْهُ رِيحٌ حَارَّةٌ، وَسَمِعَ صَوْتَ جَنَاحَيْنِ جِلْدِيَيْنِ يَضْرِبَانِ الهَوَاءَ الَّذِي امْتَلَأَ فَجَاءَهُ بِالرَّمَادِ وَالجُدُواتِ وَزَيْثٍ رَهِيْبٍ رَدَّدَ القَرْمِيدَ المَسْفُوعَ أَصْدَاءَهُ، وَسَمِعَ أَيضًا صَدِيقِهِ يَجَارَانِ بِأَعْلَى صَوْتٍ. كَانَ جِيرِيسُ يُنَادِيهِ بِاسْمِهِ وَيُنَادِيهِ وَيُنَادِيهِ، وَالرَّجُلُ الكَبِيرُ يَهْدُرُ: «وراءك، وراءك، وراءك!». التَفَتَ كَوَيْتِنِ وَأَلْقَى ذِرَاعَهُ اليُسْرَى عَلَى وَجْهِهِ لِيَحْمِي عَيْنِيهِ مِنَ الرِّيْحِ الحَارِقَةِ، وَقَالَ يُذَكِّرُ نَفْسَهُ: رِيْجَالُ، الأَخْضَرُ رِيْجَالُ.

حِينَ رَفَعَ سُوْطَهُ رَأَى الشَّرِيْطَ الجِلْدِيَّ مَشْتَعَلًا، وَيدَهُ أَيضًا، جَسَدَهُ كُلَّهُ، جَسَدَهُ كُلَّهُ يَحْتَرِقُ.

وَفَكَّرَ كَوَيْتِنِ: أَوْه، ثُمَّ بَدَأَ يَصْرُخُ.



چون

قالت الملكة سيليس: «فليموتوا». الجواب الذي توقعه چون سنو. هذه الملكة لا تُخالف أسوأ التوقعات أبداً. وعلى الرغم من ذلك لم يُخفف توقعه الوطأة، فتابع بعناد: «جلالة الملكة، إنهم يتصورون جوعاً بالآلاف في (هاردهوم). كثيرون منهم نساء...». قاطعته الملكة: «... وأطفال، نعم، محزن جداً»، وشدّت ابنتها مقربةً إياها وطبعت قبلةً على وجنتها. الوجنة التي لم يُشوّهها الذاء الأرمذ. لم يفت چون أن يلاحظ هذا فيما تابعت: «إننا نرثي لحال الصغار بالطبع، لكن يجب أن نكون متعقلين. ليس عندنا طعام لهم، كما أنهم أصغر من أن يُعينوا زوجي الملك في حروبه. أخير لهم أن يُولدوا من جديد في النور».

مجرد صيغةً اللطف لقول: فليموتوا. العُرفة مزدحمة بالحاضرين. تقف الأميرة شيرين إلى جوار مقعد أمّها، ويجلس ذو الوجه المرقّع مربّعاً ساقيه عند قدميها، ووراء الملكة السير أكسل فلورنت واقف في الظلّ، في حين تقف مليساندرا الآشائية على مقربة من النار، تنبض الياقوتة على جيدها مع كلّ نفسٍ يتردّد في صدرها. للمرأة الحمراء أيضاً صحبها؛ المرافق دُفان سيورث واثنان من الحرس الذين تركهم لها الملك.

ويقف حُماة الملكة سيليس عند الجدران في صفٍّ من الفرسان البوارق: السير ميلجورن والسير بنيثون والسير ناربرت والسير باتريك والسير دورن والسير بروس. مع غزو كلّ هؤلاء الهمج المتعطّشين للدم (القلعة السوداء) تحتفظ سيليس بحرسها الشّخصيين حولها ليل نهار، وهو ما فجرّ سماعه

ضحكات تورموند بليّة العماليق، الذي قال: «خائفة من الاختطاف؟ أمل أنك لم تُخبرها بحجم عُصوي يا چون سنو، فهذا كفيّل بإفزع أيّ امرأة. لطالما أردتُ لنفسِي واحدةً يشارب»، ثم أخذَ يضحك ويضحك.

لن يضحك الآن.

قال چون الذي بدّد ما يكفي من وقتٍ هنا: «آسفٌ لإزعاج صاحبة الجلالة. سيتولّى حرس الليل هذا الأمر».

اتّسعت طاقتا أنفها غيظًا، وقالت: «ما زلت تنوي الدّهاب إلى (هاردهوم). أرى نيّتك على وجهك. فليموتوا، قلتُ، لكنك مصرٌّ على هذه الحماقة المجنونة. لا تُنكر».

- «عليّ أن أفعل ما أراه الأفضل. مع احترامي يا صاحبة الجلالة، (الجدار) تحت قيادتي، وهذا القرار لي».

قالت سيليس: «صحيح، ولسوف تتحمّل مسؤوليّةه أمام الملك حين يعود، ومسؤوليّة قراراتٍ أخرى اتّخذتها. لكنني أرى أنك تصمُّ أذنيك عن العقل، فافعل ما تُريد».

تدخّل السير ميلجورن قائلاً: «لورد سنو، من سيقود هذه الحملة؟».

- «هل تعرض قيادتها أيها الفارس؟».

- «هل أبدو لك بهذا الحُمتق؟».

هَبَّ ذو الوجه المرّقع واقفًا ورنت أجراسه بمرح إذ قال: «أنا سأقودها! سنزحف إلى البحر ونخرُج ثانيةً. تحت البحر سنركب أفراس البحر وتنفخ عرائس البحر في الودع لتعلن مجيئنا. أوه، أوه، أوه».

ضحكوا جميعًا، وحتى سيليس سمحت لنفسها بابتسامةٍ رفيعة، أمّا چون فلم يجد الموقف طريفًا، وقال: «لن أطلب من رجالي أن يفعلوا ما أحجم عن فعله بنفسِي. أنوي قيادة الحملة بنفسِي».

قالت الملكة: «يا لجرأتك. موافقون. لا شك أن شاعرًا ما سيؤلّف عنك أغنيّةً مؤثّرةً بعدها، وسنحظى بقائدٍ أكثر حكمةً»، وأخذت رشفةً من النبيذ، ثم استطرّدت: «للتكلم في شؤونٍ أخرى. أكسل، أحضر الملك الهمجي إذا سمحت».

قال السير أكسل: «حالا يا جلالة الملكة»، وخرج من بابٍ وعاد بعد

لحظة بجيريك دم الملوك معلناً: «جيريك سليل عائلة اللحية الحمراء، ملك الهمج».

جيريك دم الملوك رجل فارح القامة طويل الساقين عريض المنكبين، ويبدو أن الملكة ألبسته بعض ثياب الملك القديمة. الآن وقد استحم وصار مهندماً وارتدى المخمل الأخضر وحرملة قصيرة من فرو الفاقوم، وغسل شعره الأحمر الطويل وشدبت لحيته النارية وهذبت، يبدو الهمجي تماماً كواحد من لوردات الجنوب، وهو ما حدا بچون إلى أن يقول لنفسه: يمكنه أن يدخل قاعة العرش في (كينجز لاندنج) ولن يطرف لأحد جفن.

قالت الملكة: «جيريك ملك الهمج الشرعي، منحدر من نسل ذكور متعاقب من ملكهم العظيم رايمون ذي اللحية الحمراء، أما الغاصب مانس رايدر فكان وليد امرأة ما من العوام وأحد إخوتك السود».

كان چون ليقول: لا، جريس من نسل أخ أصغر لرايمون ذي اللحية الحمراء. وعند شعب الأحرار لا فرق بين هذا وبين كونه من نسل حصان ذي اللحية الحمراء. ليسوا يعلمون شيئاً يا إيجريت، والأدهى أنهم يرفضون أن يتعلموا.

تابعت الملكة سيليس: «جيريك وافق بكرم على إعطاء يد ابنته الكبرى عزيزي أكسل، ليجمع بينهما إله الضياء بالرباط المقدس. ستتزوج ابنته الأخرى في الوقت نفسه، الثانية بالسير بروس بكلر والصغرى بالسير ميلجورن ابن (البركة الحمراء)».

حتى چون رأسه للفارسين المذكورين قائلاً: «أيها الفارسان، عسى أن تجدا السعادة مع خطيبتيكما».

أدى ذو الوجه المرقع حركة راقصة صغيرة مدندناً وأجراسه تُجلجل: «تحت البحر يتزوج البشر الأسماك، يتزوجونها، يتزوجونها، يتزوجونها».

تسقت الملكة، وقالت: «من الممكن إجراء أربع زيجات بسهولة ثلاث. حان الوقت لأن تستقر تلك المرأة قال أيها اللورد سنو، وقد قررت أن تتزوج فارسي المخلص الكريم السير پاتريك ابن (جبل الملك)».

قال چون: «هل أبلغت قال يا جلالة الملكة؟ عند شعب الأحرار، عندما يرغب رجل في امرأة عليه أن يختطفها، وبهذا يثبت قوته ودهاءه وشجاعته،

والخاطب يُخاطِرُ بأن يتلقَى ضرباً مبرِّحاً إذا ضبطَه أهل المرأة، وأسوأ من ذلك إذا وجدته هي نفسها غير لائق».

علق أكسل فلورنت: «تقليد بربري».

واكتفى السير باتريك بقهقهةً قائلاً: «لا رجل وجد سبباً للتشكيك في شجاعتي من قبل، ولا امرأة ستفعل».

زمت الملكة سيليس شفيتها، وقالت: «لورد سنو، ما دامت عاداتنا غريبة على الليدي فال فأرسلها إليّ لألقنها واجبات السيِّدة النبيلة تجاه السيِّد زوجها».

مؤكِّد أن هذا سيمضي على نحوٍ رائع. تساءلَ چون إن كانت الملكة ستبقى حريصةً على تزويجِ فال بأحد فرسانها إذا علّمت بمشاعرها نحو الأميرة شيرين. «كما ترغيبين، لكن إن سمحت لي أن أتكلّم بحرّيّة...».

- «لا، لا أظنُّ. يُمكنك الانصراف».

وهكذا ركعَ چون سنو وحنى رأسه وانسحبَ.

نزل السّلام درجتين درجتين مومئاً برأسه لحرس الملكة. كانت جلالتها قد عيّنت رجالاً على كلِّ بسطةٍ لحمايتها من الهَمَجِ القتلة. في منتصفِ الطّريق إلى أسفل ناداه صوت من أعلى: «چون سنو».

التفت قائلاً: «ليدي مليساندرا».

- «يجب أن نتكلّم».

- «حقاً؟». لا أظنُّ: «إن عندي واجباتٍ يا سيِّدتي».

ردّت: «تلك الواجبات هي ما أريدُ أن أكلمك عنه»، ونزلت وحاشية تُنورتها القرمزيّة تحفُّ مع احتكاكها بالسّلام، لتبدو كأنما تطفو في الهواء.

«أين ذئبُ الرّهب؟».

- «نائم في مسكني. جلالته لا تسمح بوجود جوست في حضرته، تزعمُ أنه يُخيف الأميرة. ولستُ أجرؤ على إطلاقه ما دام بوروك وخنزيره البرّي في الجوار». المقرّر أن يصحب مبدّل الجلد سوريين كاسر التروس إلى (الباب الحجري) بمجرد عودة العربات التي حملت قبيلة سلاخ الفقمات إلى (الحارس الأخضر)، وحتى ذلك الحين يُقيم بوروك بإحدى المقابر العتيقة إلى جوار ساحة الأشنة، فعلى ما يبدو أن صُحبة من ماتوا من قديم تُناسبه أكثر

من صُحبة الأحياء، كما أن خنزيره البرِّي يرمى سعيدًا بين القبور بعيدًا عن الحيوانات الأخرى. «ذلك الكائن يُناهز الثور حجمًا، وأنيابه بطول السُّيوف. سيُهاجمه جوست إذا أطلقتته، ولن ينجو أحدهما أو كلاهما من ذلك اللقاء».

- «بوروك أهون همومك. الحملة...».

- «كانت كلمة منك كفيلاً بتغيير رأي الملكة».

- «سيليس محقّة في هذا أيها اللورد سنو. فليموتوا. ليس باستطاعتك إنقاذهم. سُفنكم ضاعت...».

- «ما زالت ستُّ سُفنٍ باقيةً، أكثر من نصف الأسطول».

- «سُفنكم ضاعت كلها. لن يرجع ولو رجل واحد. رأيتُ هذا في نيرانِي».

- «سبقٌ لنيرانك أن كذبت».

- «صحيحٌ أنني ارتكبتُ أخطاءً، ولقد اعترفتُ بهذا، ولكن...».

- «فتاة رمادية على حصانٍ مائت. خناجر في الظلام. أمير موعود مولود في الدُّخان والملح. يبدو لي أنك لا ترتكبين إلا الأخطاء يا سيّدتِي. أين ستانيس؟ ماذا عن ذي القميص المُخشخِش وزوجاته الحِراب؟ أين أختي؟!».

- «سيُجاب عن أسئلتك جميعًا. تطلّع إلى السّماء أيها اللورد سنو، وحين تتلقّى الإجابات أرسل في استدعائي. الشتاء على وشك الحلول، وأنا أملك الوحيد».

ردّ چون: «أمل أحمق»، ودارَ على عقبيه وتركها.

كان ليذرز يذرع السّاحة بالخارج، ولَمَّا ظهرَ چون أبلغه: «توريج عاد. أبوه أسكنَ قومه (درع البلُّوط) وسيعود اليوم بعد الظهر بثمانين رجلًا مُقاتلاً. ماذا قالت الملكة الملتحية؟».

- «جلالتها لا تستطيع مدّنا بمساعدة».

قال ليذرز: «مشغولة بتنف شعر ذقنها؟»، وبصقَ ثم أردف: «لا يهمُّ. رجال

تورموند ورجالنا كافون».

كافون للوصول إلى هناك ربما. رحلة العودة هي ما يشغل بال چون سنو، فخلالها سيُطوى حركتهم آلاف من الأحرار الذين يُعاني كثيرون منهم المرض والجوع. نهر من الإنسانيّة يتحرّك كنهْر من الجليد أو أبطأ. سيجعلهم هذا عُرضة للخطر. أشياء ميتة في الغابة، أشياء ميتة في المياه. «كم رجلًا يكفون؟

مئة؟ مئتان؟ خمسمئة؟ ألف؟». هل ينبغي أن آخذ رجالاً أكثر أم أقل؟ إذا كانت الحملة صغيرةً فستبلغ (هاردهوم) أسرع... لكن ما جدوى السيوف دون طعام؟ الأم خلد وقومها بدأوا يأكلون موتاهم بالفعل، ولإطعامهم عليه أن يجلب عرباتٍ وحيواناتٍ تجرُّها؛ خيولاً وثيراناً وكلاباً. بدلاً من قطع الغابة بأقصى سرعةٍ سيُجبرون على الزحف إجباراً. «ما زال هناك الكثير مما علينا أن نُقرِّره. انشر الخبر. أريدُ جميع القادة في (قاعة التُّروس) مع بداية مناوئة المساء. المفترض أن يكون تورموند قد عاد حينئذٍ. أين أجدُ توريج؟».

- «مع الوحش الصَّغير على الأرجح. سمعتُ أنه صارَ مغرماً بإحدى المُرضعات».

بل صارَ مغرماً بقال. كانت أختها ملكة، فلمَ ليس هي أيضاً؟ أرادَ تورموند من قبل أن يُنصَّب نفسه ملكاً وراء الجدار قبل أن يغلبه مانس، ووارد جدًّا أن الحُلم نفسه يُراود توريج الطويل. هو أفضل من جيريك دم الملوكة. قال چون: «دعهم وشأنهم إذن. سأتكلمُ مع توريج لاحقاً»، ورفعَ ناظره وراء (بُرج الملك)، حيث (الجدار) أبيض باهت والسَّماء فوقه شتاء. سماءٌ ثلجيةٌ. «ادعُ فقط ألا تُهاجمنا عاصفة أخرى».

خارج مستودع السِّلَاح وجدَّ مولي والبرغوث واقفين يرتجفان في مناوئة حراستهما، فسألهما: «ألا ينبغي أن تكونا بالدَّاخل بعيداً عن الرِّيح؟».

قال فولك البرغوث: «لكان هذا رائعاً يا سيدي، لكن ذئبٌ ليس في مزاج صُحبة اليوم».

أضافَ مولي مؤيِّداً: «لقد حاولَ أن يعصَّني، حقاً».

مصدوماً قال چون: «جوست؟!».

- «ما لم يكن عند حضرة القائد ذئب أبيض آخر فنعم. لم أره على هذه الحال قطُّ يا سيدي، أعني جامحاً هكذا».

لم يكن مخطئاً، كما اكتشفَ چون بنفسه عندما دخل. رفضَ الذئب الأبيض الكبير أن يقبع في مكانه، وراحَ يقطع مستودع السِّلَاح من طرفه إلى طرفه ماراً بالورشة الباردة ذهاباً وإياباً. ناداه چون: «جوست، اهدأ. انزل. جوست، اجلس. انزل!»، لكن حين حاولَ لمسه انتصبَ شعر الذئب وكسَّر عن أنيابه. إنه ذلك الخنزير اللعين. حتى من هنا يشمُ جوست رائحته.

بدا غُداً فور موت مهتاجاً أيضاً، وما انفكَّ يصرُخُ: «سنو! ثلج، ثلج، ثلج!» . هسهه چون وقال لساتان أن يُشعل ناراً، ثم أرسله يستدعي باون مارش وأوثيل يارويك. «وأحضر إبريقاً من التبيد المتبّل أيضاً» .

- «ثلاثة أكواب يا سيدي؟» .

- «ستة. مولي والبرغوث يدوان محتاجين إلى شيءٍ دافئ، وأنت أيضاً» .
بعد خروج ساتان جلسَ چون وألقى نظرةً أخرى على خرائط الأراضي شمال (الجدار). أسرع طريق إلى (هاردهوم) بمحاذاة الساحل... من (القلعة الشرقية). الغابة أقل كثافةً قرب البحر، والتضاريس معظمها أراضي مسطحة وتلال مائجة ومستنقعات مالحة، وحين تعوي عواصف الخريف تسقط على الساحل حبيبات جليدية وبرد ومطر متجلد بدلاً من الثلج. العمالقة في (القلعة الشرقية)، وليدريز يقول إن بعضهم سيُساعد. الطريق من (القلعة السوداء) أصعب، إذ يمضي في قلب (الغابة المسكونة) مباشرةً. إذا كانت الثلوج عميقةً عند (الجدار) فالوضع أسوأكم مرّةً هناك؟
دخل مارش متشققاً ويارويك عابساً، وأعلن البناء الأول: «عاصفة أخرى. كيف نعمل في هذه الظروف؟ يلزمني المزيد من البنائين» .

قال چون: «استعن بالأحرار» .

هزّ يارويك رأسه نفيًا، وقال: «متاعهم أكثر من نفعهم هؤلاء القوم. مستهترون، مهملون، كسالى... بعض النجارين البارعين هنا وهناك، لن أنكر هذا، لكن البنائين بينهم نُدرة، وليس منهم حدّاد واحد. قد تكون ظهورهم قويّة، لكنهم لن يُطيعوا الأوامر المملة عليهم. ونحن بكلّ هذه الأطلال التي يجب أن نُحوّلها إلى قلاعٍ ثانية... ليس ممكناً إنجاز ذلك يا سيدي. أصدقك القول، ليس ممكناً» .

عقب چون: «سينجز، أو عليهم أن يعيشوا في الأطلال» .

يحتاج القائد إلى رجالٍ حوله يستطيع الاعتماد على مشورتهم الصادقة. ليس مارش ويارويك مُناقضين، وهذا خير... لكنهما قلما يُجديانه نفعاً كذلك، وأكثر فأكثر يجد نفسه يعلم ما سيقولانه قبل أن يسألهما.

تحديدًا عندما تخصّ المسألة شعب الأحرار، حيث يخرج الاستنكار والشجب من أعماق أعماقهما. حين وطّن چون سورين كاسر العظام (الباب

الحجري) اشتكى يارويك من أنها معزولة للغاية، فأنى لهم أن يعرفوا ما قد يَطْبُخُه سورين من أدَى في خُلوة تلك التَّلال البعيدة؟ وحين قَدِم (درع البلوط) إلى تورموند بليَّة العماليق و(بوابة الملكة) إلى مورنا ذات القناع الأبيض أشارَ مارش إلى أن (القلعة السوداء) على جانبيها الآن أعداء باستطاعتهم عزلهم يُيسر عن باقي (الجدار). وبالنسبة إلى بوروك فقد زعمَ أوثيل يارويك أن الغابة شمال (الباب الحجري) مملأى بالخنازير البرِّيَّة، ومَن يدري إن كان مبدل الجِلدة لن يستغلَّ هذا في بناء جيشه الخاص من الخنازير؟

ما زالت (تل الصَّقيع) و(بوابة الضَّريب) تعوزهما حاميتان، فسألَهما چون في اجتماع سابق رأيهما في أفضل مَن يصلح من زُعماء الهَمج وُعزاتهم لتولِّي القيادة في القلعتين. «عدنا بروج وجافن التَّاجر والفظ العظيم... تورموند يقول إن هاود الرِّحال يُفضِّل الاختلاء بنفسه، لكن هناك هارل القنَّاص وهارل الوسيم ودوس الضَّيرير... يوجون الوالد العجوز يقود بعض الأتباع، لكن أكثرهم أبناءه وأحفاده. إن له ثماني عشرة زوجة، نصفهن مختطف في غارات. أيُّ هؤلاء...».

أجاب باون مارش مقاطعاً: «ولا واحد. كلُّ هؤلاء الرِّجال أعرفهم من خلال أعمالهم. الأخرى أن نعقد الأناشيط حول أعناقهم لا أن نُعطيهم قلاعنا».

وأَيده أوثيل يارويك: «أجل. إذا كان اختيار المرء بين سيِّئ وأسوأ والأسوأ فهو شحاذ، كأن سيدي يُقدِّم لنا قطيعاً من الذَّئاب ويسألنا أيُّها نحبُّ أن يُمزق رقابنا».

على المنوال نفسه سارَ الحوار عن (هاردهوم). صبَّ ساتان النِّبيذ فيما أخبرَهما چون بما دارَ في لقاءه مع الملكة، وأصغى مارش بانتباه متجاهلاً النِّبيذ المتبَّل، في حين شربَ يارويك كوباً ثم آخر، لكن ما كادَ چون يفرِّغ حتى قال قيِّم الوُكلاء: «جلالتهَا حكيمة. فليموتوا».

أرجعَ چون ظَهْره إلى الوراء قائلاً: «أهذه هي النَّصيحة الوحيدة لديك يا سيدي؟ تورموند سيجلب ثمانين رجلاً. كم واحداً علينا أن نُرسِل؟ هل نَطْلُب مساعدة العمالقة؟ نستدعي الزَّوجات الحِراب في (الرَّابية الطَّويلة)؟ إذا أخذنا معنا نساءً فقد يُطمئن هذا الأم خلد».

ردّ باون مارش: «أرسل نساءً إذن، أرسل عمالقّة، أرسل رُصّعًا. أهدا ما يرغب سيّدي في سماعه؟»، وفرك النّدة التي ظفّر بها في معركة (جسر الجماجم) متابعًا: «أرسلهم جميعًا. كلّما فقدنا أكثر منهم قلت الأفواه التي علينا إطعامها».

ولم يمدهً بارويك بما يُفيد كذلك إذ قال: «إذا كان الهمج في (هاردهوم) محتاجين إلى نجدة فليذهب الهمج هنا لنجدتهم. تورموند يعرف الطّريق إلى (هاردهوم). من كلامه، يستطيع أن إنقاذهم جميعًا بَعْضوه الصّخّم».

نقاش بلا جدوى، عقيم، فارغ، حالة ميؤوس منها. «شكرًا على نصائحكم أيها السيّدان».

ساعدهما ساتان على ارتداء معطفيهما ثانية، وبينما قطعوا مستودع السّلاح إلى الخارج تشمّمهما جوست وقد رفع ذيله وانتفش فروه. إخوتي. حرس الليل في حاجةٍ إلى قادة بحكمة المايستر إيمون ومعارف سامويل تارلي وشجاعة كورين ذي النّصف يد وقوّة الدّب العجوز العنيدة وشفقة دونال نوي، وما لديه بدلًا من أولئك هذان وأمثالهما.

كان الثلج يسقط بكثافةٍ بالخارج. علّق يارويك: «الريّح تهبُّ من الجنوب. انظروا، إنها تذرّو الثلج على وجه (الجدار)».

عنده حق. رأى چون السّلام المتعرّجة مدفونةً حتى البسطة الأولى تقريبًا، وأبواب زنازين الجليد والمخازن الخشيبة اختفت وراء حائطٍ من الأبيض، فسأل باون مارش: «كم رجلًا في زنازين الجليد؟».

- أربعة أحياء واثان ميتان».

الجثّتان. نسيّ چون أمرهما تقريبًا. كان يأمل أن يتبيّنوا شيئًا من الجثّتين اللّتين عادوا بهما من بستان الويروود، لكن الميتين ظلّا ميتين على سبيل العناد. «علينا إزاحة الثلج عن هذه الزّنازين».

قال مارش: «عشرة وكلاء بعشرة مجارف كفيلون بهذا».

- «استخدم ون ون أيضًا».

- «كما تأمر».

لم يستغرق الوكلاء العشرة والعملاق طويلًا في جرف أكوام الثلج، لكن حتى بعد إزالته عن الأبواب لم يشعُر چون بالرّضا، وقال: «غداً صباحًا

ستكون الزنازين قد اندفنت ثانيةً. الأفضل أن نقل السُّجناء قبل أن يخنقوا». سألَه فولك البرغوث: «كارستارك أيضًا يا سيدي؟ ألا يُمكننا أن نتركه يرتجف حتى الربيع؟».

- «ليتنا نستطيع». اعتاد كريجان كارستارك العويل ليلاً في الفترة الأخيرة، ورمي من يجلبون إليه الطَّعام بالبراز المتجمِّد، وهو ما لم يُكسبه حُبَّ حُرَّاسه. «خذوه إلى (بُرج القائد). القبو السُّفلي كفيلاً باحتوائه». على الرغم من انهياره الجزئي يظل مقرُّ الدُّب العجوز السَّابق أدفاً من زنازين الجليد، وأقبيته السُّفلية سليمة في الغالب.

رفس كريجان حُرَّاسه حين دخلوا من الباب، وتلوَّى ودفع حين أمسكوه، بل وحاول أن يعضَّهم، لكن البرد كان قد أضعفَه، ورجال چون أكبر حجماً وأصغر سنّاً وأقوى. سحبوه إلى الخارج وهو يُقاوم، وجروه على الثلج المرتفع حتى الفخذ إلى سكنه الجديد.

بعد نقل الأحياء سألَ مارش: «ماذا يُريدنا حضرة القائد أن نفعل بالجثتين؟».

- «اتركوهما». إذا دفتتَهما العاصفة فلا بأس. عليه أن يُحرق الرَّجلين في النِّهاية لا ريب، لكنهما في الوقت الرَّاهن مقيدان بالسَّلاسل الحديد في زنانتيهما، ومن شأن هذا -علاوةً على كونهما ميتين- أن يحول دون أدبتيهما أحد.

وصل تورموند بليَّة العماليق في الوقت المثالي، وأعلنت ضجَّته وصوله مع مُحاربيه بعد الفروغ من جرف الثلوج. جاء معه خمسون فقط علي ما يبدو، وليس الثَّمانين الذين وعدَ توريج ليذرز بهم، لكن تورموند لا يُلقب بالمِهذار من فراغ. حلَّ الهمجي محتقن الوجه يطلب زاعقاً قرناً من المِزر وشيئاً ساخناً يأكله، على لحيته جليد والمزيد منه على شاربه.

كان أحدهم قد أبلغ قبضة الرِّعد بأمر جيريك دم الملوك ولقبه الجديد، وقد انفجر تورموند ضاحكاً لهذا، وقال: «ملك الهمج؟ هار! ملك فلقة إستي المُشعرة بالأحرى!».

قال چون: «إن له مظهرًا ملكيًا».

قال تورموند: «إن له قضيبياً أحمر صغيراً يتماشى مع كلِّ هذا الشعر الأحمر،

هذا ما له. رايمون ذو اللحية الحمراء وأبناؤه ماتوا عند (البحيرة الطويلة) بفضل أهلك آل ستارك الملاعين والعملاق السكّير. الأخ الصغير لم يَمُت. هل تساءلت من قبل لِمَ لَقَّبوه بالغُذاف الأحمر؟»، وانفجرت شفتاه عن ابتسامة عريضة أظهرت فليج أسنانه، وواصل: «كان أول من طارَ من المعركة. بعدها أَلْفوا عنه أغنيَّة. أرادَ المغنيُّ أن يجد قافيةً لـ«خوَّاف»، وهكذا...»، ومسح أنفه قائلاً: «إذا أرادَ فارسا ملكتك ابنتيه إياهما فهنيئاً لهما بهما».

نعبَ غُذاف مورمونت: «ابنتيه، ابنتيه، ابنتيه!».

أضحك هذا تورموند ثانيةً، وقال: «طائر عاقل! كم تُريد ثمنًا له يا سنو؟ لقد أعطيتك ابنًا، وأقل ما يُمكنك أن تفعله أن تُعطيني طائرًا عينيًا».

- «كنتُ لأعطيك إياه لولا أنك ستُعامله معاملة الطَّعام على الأرجح».

هدرَ تورموند ضحكًا لهذا أيضًا، وقال الغُذاف خائفًا بجناحيه الأسودين: «طعام. ذُرَّة؟ ذُرَّة؟ ذُرَّة؟».

قال چون: «علينا أن نتكلَّم عن الحملة. أريدنا أن نكون على وفاق تام في (قاعة التروس). يجب...». بترَ عبارته عندما حشرَ مولِي أنفه من الباب وقد بدا عليه التَّجهمُ ليُعلن أن كلايداس هنا حاملًا رسالةً.

- «قُل له أن يترُكها معك. سأقرأها لاحقًا».

- «كما تقول يا سيدي، لكن... كلايداس ليس على طبيعته، يبدو أبيض أكثر من وردي إذا كنت تفهم ما أعنيه... ويرتجف».

غمغمَ تورموند: «أجنحة سوداء، أخبار سوداء. أليس هذا ما تقولونه أيها الرُّكَّع؟».

أخبره چون: «نقول أيضًا: للبردان الفصد وللحموم وليمة⁽¹⁾»، ونقول: إياك أن تشرب مع دورني والبدر في تمامه. إننا نقول أشياء كثيرة».

أدلى مولِي بدلوه قائلاً: «اعتادت جدتي العجوز أن تقول: أصدقاء الصَّيف يذوبون كثلوجه، لكن أصدقاء الشِّتاء أصدقاء إلى الأبد».

(1) مثل وستروسي من خيال المؤلف بمعنى فصد دم مريض البرد والإفراط في إطعام مريض الحمى، ويعدُّ تنويغًا على مثل شعبي أوروبي من القرن السَّادس العشر بمعنى إطعام مريض البرد وعدم إطعام مريض الحمى إيمانًا بأنها وسيلة للشِّفاء. (المترجم).

قال چون سنو: «لنكتف بهذا القدر من الحكمة حالياً. قل لكلايداس أن يدخل إذا سمحت».

لم يكن مولي مخطئاً، فالوكيل العجوز يرتجف بالفعل، ووجهه شاحب كالثلج بالخارج. قال: «أظنُّ أنني أتحامقُ يا حضرة القائد، لكن... هذه الرسالة تُخيفني. انظر هنا».

الكلمة الوحيدة المكتوبة على اللِّفافة من الخارج هي «النَّغْل»، ليس «اللورد سنو» أو «چون سنو» أو «حضرة القائد»، بل -ببساطة- «النَّغْل». والرسالة مختومة بلطخة من الشمع الوردي الجامد. قال چون: «كنت محققاً بالمجيء في الحال». كنت محققاً في خوفك. كسر الختم وبسط الرقَّ وبدأ يقرأ.

ملكك المحتال ماتَ أيها النَّغْل، فُهرَ هو وجيشه خلال سبعة أيامٍ من القتال. سيفه السَّحري معي. أخبر عاهرتة الحمراء.

أصدقاء ملكك المحتال ماتوا. رؤوسهم على أسوار (ويتترفل). تعال وانظر أيها النَّغْل. ملكك المحتال كذب، وأنت أيضاً. قُلتما للعالم إن ملك ما وراء الجدار ماتَ محرّوقاً، وبدلاً من ذلك أرسلتماه إلى (ويتترفل) ليسرق عروسي مني.

سأستعيدُ عروسي. إذا أردت استعادة مانس رايدر فتعال وخذ. لقد وضعت في قفص ليراه الشَّمال كلُّه دليلاً على أكاذيبكما. القفص بارد، لكنني صنعتُ له معطفاً دافئاً من جلود العاهرات السَّت اللاتي جئن معه إلى (ويتترفل).

أريدُ عروسي. أريدُ زوجة الملك المحتال. أريدُ ابنته وساحرته الحمراء. أريدُ أميرته الهمجية.

أريدُ الأمير الصَّغير، الرِّضيع الهمجي. وأريدُ مخلوق ريك. أرسلهم إليَّ أيها النَّغْل ولن أزعجك أنت أو غربانك السُّود. امنعهم عني وسأقتلع قلبك من صدرك أيها النَّغْل وأكله.

رامزي بولتون

سيِّد (ويتترفل) الشرعي

قال تورموند بليَّة العماليق: «سنو؟ تبدو كأن رأس أبيك الدَّامي سقط من هذه الورقة».

لم يُجِبْه چون سنو في الحال، وقال بدلاً من ذلك: «مولي، ساعد كلايداس على العودة إلى مسكنه. الليل مظلم، والثَّلج جعل الطرقات زلقة. ساتان، اذهب معهما»، ثم ناول تورموند بليّة العماليق الرّسالة قائلاً: «هاك، اقرأ بنفسك».

رمقها الهمجي بارتياح ثم أعادها إليه في الحال، وقال: «يبدو أنها أخبار كريهة... لكن تورموند قبضة الرّعد عنده أشياء أهم من أن يتعلّم جعل الورق يُكَلِّمُه. إنه لا يقول خيراً أبداً، أليس كذلك؟».

- «ليس في أغلب الأحيان». أجنحة سوداء، أخبار سوداء. ربما تحتوي تلك المقولات القديمة على حقائق أكثر مما حسب. «أرسلها رامزي سنو. سأقرأ لك ما كتبه».

حينما فرغَ أطلق تورموند صفيراً، وقال: «هار. نكبة بالفعل. ما هذا الكلام عن مانس؟ وضعه في قفص؟ كيف وقد شهد مئات ساحر تكم الحمراء تُحرق الرّجل؟».

كاد چون يقول: بل أحرقت ذا القميص المُخشِخِش. كانت تلك شعوذة. سمّته وهماً. «مليساندرا... قالت: تطلع إلى السّماء». وضع الرّسالة مردفاً: «غُداً في عاصفة. لقد رأيت الرّسالة في طريقها». حين تتلقى الإجابات أرسل في استدعائي.

حك تورموند لحيته قائلاً: «قد يكون الكلام كلّه مكذوباً. لو كانت لديّ ريشة إوزة مناسبة ودواة من جبر المايسترات لكتبت أن عضوي طويل سميك كذراعي، لكنه يظلّ مجرد كلام».

- «(جالِب الصّياء) معه. يتكلّم عن رؤوس على أسوار (ويترفل)، ويعرف بأمر الزّوجات الحِراب وعددهن». يعرف بأمر مانس رايدر. «لا، ثمة حقائق هنا».

- «لن أقول إنك مخطئ. ماذا تنوي أن تفعل أيها العُراب؟».

راح چون يثني أصابع يد سيفه ويبسطها مخاطباً نفسه: حرس اللّيل لا يتدخلون. أعلّق قبضته وفتحها ثانية. ما تقترحه ليس أقل من خيانة. فكّر في روب ورفائق الثَّلج تذوب في سَعْره. اقتل الصّبي ودع الرّجل يُوكّد. فكّر في بران يتسلق حائط بُرج برشاقة القروء، في ضحك يكون اللاهث، في سانزا

تُمَشِّطُ فرو ليدي وتُدَنِّدِن لنفسها. لستَ تعلم شيئاً يا چون سنو. ففكر في آريا بشعرها المتشابك كأعشاش الطير. لكنني صنعتُ له معطفاً دافئاً من جلود العاهرات الست اللاتي جنن معه إلى (وينترفل)... أريدُ عروسي... أريدُ عروسي...

ثم قال چون سنو: «أظنُّ أن الأفضل أن نُغيِّر الخطة».

واستغرقاً قرابة الساعتين في الكلام.

حلَّ الجواد وروري محلَّ فولك ومولي على باب مستودع السلاح مع تبدل المناوبة، ولمَّا آن الأوان قال لهما: «معي». كان جوست ليتبعه أيضاً، لكن إذ جاء الدُّب في أعقابهم أمسكه چون من قفاه وأعادَه إلى الدَّاخِل قسراً. قد يكون بوروك بين المجتمعين في (قاعة التروس)، وآخر شيءٍ يحتاج إليه الآن أن يفترس ذئبه خنزير مبدل الجلد.

(قاعة التروس) من الأجزاء الأقدم في (القلعة السوداء)، قاعة احتفالاتٍ طويلة من الحجارة السوداء معرَّضة لتيارات الهواء، سوِّدت عوارض سقفيها السنديان قرون من الدُّخان. في سالف الزَّمان، عندما كان حرس الليل قوَّة أكبر كثيراً، زينتُ جدرانها صفوف من التروس الخشب زاهية الألوان. في ذلك الحين، ومثلما هي الحال الآن، عندما يرتدي الفارس أسود حرس الليل يقضي التقليد أن يتخلَّى عن أسلحته ودرعه السابقة، ويحمل بدلاً منها ترس الأخوية الأسود الخالي من أيِّ رمز، ومن ثمَّ تُعلَّق التروس المتروكة في (قاعة التروس).

معنى مئات الفرسان مئات التروس: صقور ونسور، تنانين وجرافن، شمس ووعول، ذئاب ووايقرنات، مانتيكورات، ثيران، أشجار وأزهار، قيثارات، حراب، سراطين بحر وكراكن، أسود حمراء وأسود ذهبية وأسود مربعة، بوم، حملان، عذارى وعرسان بحر، فحول، نجوم، دلاء وأبازيم، رجال مسلوخون ورجال مشنوقون ورجال محترقون، فؤوس، سيوف طويلة، سلاحف، يونيكورنات، دبية، ريش، عناكب وثعابين وعقارب، ومثة من رموز النبالة الأخرى على جدران (قاعة التروس)، لا يحلم بألوانها قوس قزح.

لكن حين يموت الفارس يُنزلون ترسه ليذهب معه إلى مثواه الأخير سواء

أكان محرقة أم مقبرة، وعلى مرّ السنين والقرون قلَّ عدد الفُرسان المنخرطين في حرس الليل باطراد، حتى جاء يوم ولم يُعد معقولاً أن يتناول فرسان (القلعة السوداء) وجباتهم بمعزلٍ عن الآخرين، فهجرت (قاعة التروس)، وطوال الأعوام المئة المنصرمة لم تُستخدم إلا قليلاً. كقاعة طعام يُقصها الكثير، فهي معتمة ومتسخة وتيارات الهواء فيها قويّة وتستعصي تدفئتها في الشتاء، وأقيبتها مسكونة بأعدادٍ غفيرة من الجرذان، وعوارض سقفها الخشبيّة الهائلة يأكلها الدود وتُرصّعها أكاليل من شبك العناكب.

على أن مساحتها تسع مئتين من الجالسين، إضافةً إلى نصف هذا العدد إذا تزاحموا. عندما دخلَ چون وتورموند تصاعدَ صوت في أنحاء القاعة كدبابير تتحرّك في عُشّها. يفوق الهمج الغربان عددًا خمسة إلى واحد حسب ما قدر من الأسود القليل الذي رآه، ولاحظ أن عدد التروس المتبقي أقل من دسته واحدة، أشياء بائسة المنظر طلاؤها باهت والشقوق في خشبها طويلة. لكن ثمة مشاعل جديدة موقدة على الحوامل الحديد بطول الجدران، كما أن چون كان قد أمر بوضع الدكك والطاولات. ذات مرّة قال له المايستر إيمون إن الجالسين على مقاعد مريحة يميلون أكثر إلى الإصغاء، والواقفين يجنحون أكثر إلى الزعيق.

عند رأس القاعة تقف منصّة بالية اعتلاها چون وإلى جواره تورموند بليّة العماليق، ورفع يديه طالبًا الهدوء، فقط ليتعالى أزيز الدبابير. ثم إن تورموند رفع بوقه الحربي إلى شفّته وأطلق دفقةً، وملاً الصّوت القاعة وتردّد على العوارض بالأعلى، وراَن الصّمت.

وبدأ چون سنو يتكلّم: «استدعيتكم هنا لوضع الخطط لإغاثة (هاردهوم). آلاف من شعب الأحرار محتشدون هناك، عالقون ويتصوّرون جوعًا، وبلغتنا تقارير عن أشياء ميتة في الغابة». إلى يساره رأى مارش ويارويك، يُحيط بأوثيل بنأووه فيما يقف مع باون كل من ويك المهزول وليو الأعرس وآلف ابن (مجرى الطّمي). وإلى يمينه يجلس سورين كاسر التروس عاقدًا ذراعيه على صدره، وعلى مسافة أبعد رأى چون جافن التّاجر وهارل الوسيم يتها مسان، في حين يجلس يوجون الوالد العجوز وسط زوجاته وهاود الرّحال بمفرده، ويستند بوروك إلى الحائط في رُكنٍ مظلم (ومن باب الرّحمة أن خزيره البرّي

ليس معه). «السُّفن التي أرسلتها لحمل الأم تُخلد وقومها حطمتها العواصف. علينا أن نُرسِل إليهم ما نقدر عليه من مساعدةٍ بَرًا أو تُترُكهم يموتون». رأى أن اثنين من فرسان الملكة سيليس حاضران أيضًا، السير بروس والسير بنيثون الواقفين قُرب الباب عند قدم القاعة، لكن غياب بقيّة رجال الملكة ملحوظ. «كان أُملي أن أقود الحملة بنفسي وأعود بأكبر عددٍ يتحمّل الرّحلة من الأحرار». لفتت نظر جون ومضة من الأحمر في مؤخرة القاعة إذ وصلت الليدي مليساندرا. «لكنني أجدُ الآن أنني لا أستطيعُ الذهاب إلى (هاردهوم). سيقود الحملة تورموند بليّة العماليق المعروف لكم جميعًا. لقد وعدته بالعدد الذي يَطُلبه من الرّجال».

سأله بوروك بصوتٍ كالرّعد: «وأيّن ستكون أنت أيها الغراب؟ مختبئًا هنا في (القلعة السوداء) مع كلبك الأبيض؟». أجاب جون: «لا. سأركبُ جنوبًا»، ثم قرأ لهم الرّسالة التي كتبها رامزي سنو.

ودبّ في (قاعة التُّروس) الجنون. بدأ كل رجلٍ يصبح في آنٍ واحد، وهبوا واقفين ملوّحين بقبضاتهم، واستلّت السُّيوف، وقرّعت التُّروس بالفؤوس. مرحى للقدرات المهدّئة للمقاعد المريحة! نظر جون سنو إلى تورموند، فعاد بليّة العماليق ينفخ في بوقه مضاعفًا طول النّفخة السّابقة ودويّها.

حين عاد ما يُشبه الهدوء إلى القاعة تابع جون: «حرس اللّيل لا يتدخّلون في حروب (الممالك السّبع)، وليس لنا أن نتصدّى لرووس بولتون أو نثار لستانيس باراثيون أو نُدافع عن أرملة وابتته. هذا المخلوق الذي يصنع المعاطف من جلود النّساء أقسم أن يقتلع قلبي من صدري، وأنوي أن أجعله يدفع ثمن هذه الكلمات... إلّا أنني لن أطلب من إخوتي أن يحنثوا بأيمانهم. سيذهب حرس اللّيل إلى (هاردهوم)، أمّا أنا فذهاب إلى (ويتترفل) وحدي، ما لم...»، وصمت لحظةً، ثم أردف: «... هل من رجلٍ هنا سيأتي ويقف معي؟».

الرّدُّ الهادر الذي تلقّاه هو كلُّ ما كان يأمله، الجلبة التي من علوّها أسقطت تُرسين أرضًا من على الجُدران. نهض سورين كاسر التُّروس، وكذا الرّحال،

وتوريج الطَّويل، وبورج، وهارل القنَّاص وهارل الوسيم كلاهما، ويوجون الوالد العجوز، ودوس الصَّيرير، وحتى اللفظ العظيم... وفكَّر چون سنو: حصلتُ على سيوفي، وأنا في الطَّريق إليك أيها النخل.

رأى يارويك ومارش ينسلان إلى الخارج ومعهما رجالهما جميعًا. لا يهيم. ليس محتاجًا إليهم الآن ولا يُريدهم. لن يستطيع أحد أن يقول بأنني جعلتُ إخوتي يحثون بأيمانهم؛ إن كان هذا حنثًا باليمين فالجريمة جريمتي وحدي. ثم إنه وجد تورموند يدق على ظهره مبتسمًا ملء شذقيه، ويقول: «أحسنت الكلام أيها الغراب. والآن أحضر البتع! اجعلهم رجالك وأسكرهم، هكذا يُقضى الأمر. سنجعل منك همجيًّا يا فتى. هار!».

بشروِد قال چون: «سأرسلُ في طلب البتع». أدرك أن مليساندرا غادرت، وفارسي الملكة أيضًا. كان يجدرُ بي أن أذهب إلى سيليس أولاً. إن لها الحقَّ في معرفة أن زوجها مات. «اعذُرني. سأتركك أنت تُسكِرهم».

- «هار! مهمَّة تُناسِبنِي تمامًا أيها الغراب. اذهب!».

سارَ الجواد وروري على جانبي چون إذ خرجَ من (قاعة التُّروس). عليَّ أن أتكلَّم مع مليساندرا بعدما أرى الملكة. إذا كان بإمكانها أن ترى غُذافًا في عاصفةٍ فيمكنها أن تعثرَ لي على رامزي سنو. ثم إنه سمع الصَّياح... وهديرًا صاخبًا بدا كأنما يُزلزل (الجدار).

قال الجواد: «الصَّوت من (بُرج هاردين) يا سيِّدي»، وكان ليقول المزيد لولا أن الصَّرخة قاطعتَه.

أول ما خطرَ لچون أنها قال، لكنها لم تكن صرخة امرأة. رجل في ألم مميت. اندفعَ يعدو، وانطلقَ الجواد وروري وراءه، وسأله الثاني: «أهمَّا الجثَّتان الحيَّتان؟».

تساءلَ چون إن كان الأمر كذلك. هل فلتتَ جثَّته من سلاسلهما؟ كان الصَّريخ قد توقَّف لدى بلوغهم (بُرج هاردين)، لكن وَن وج وَن دار وَن ما زالَ يهدر. وجدَ العملاق مدليًّا جثَّةً داميةً من سابقٍ واحدة، تمامًا كما كانت آريا تُدليُّ دُميتها في صِغرها وتُلوحُ بها ككرةٍ شائكة إذا توعَّدها أحد ياطعمها الخضراوات. لكن آريا لم تُمزقَ الدُمية إربًا إربًا قطُّ. رأى ذراع يد الرِّجل الميت ملقاةً على بُعدِ عدَّة ياردات والثَّلج تحتها يتخضَّب بالحمرة.

زَعَقَ چون: «دَعِه. وَنَ وَنَ، دَعِه!».

لم يسمعه وَنَ وَنَ أو لم يفهمه. العملاق نفسه ينزف، على بطنه وذراعه قطعات سيف. أخذَ يضرب أحجار البُرْجِ الرَّمادِيَّةِ بِجُثْمَانِ الفارسِ مرَّةً بعد مرَّةً بعد مرَّةً، إلى أن احمرَّ رأسُ الرَّجْلِ ونفَّسَ كَبْطِيخَةَ صَيْفِيَّةً، يُرْفِرِفُ في الهواء البارد معطفه الذي كان سابقًا من الصُّوفِ الأبيضِ المؤطَّرِ بِقُمَاشِ الفِضَّةِ والمنقوشِ بالنُّجُومِ، ويتطايرُ الدَّمُ والعظمُ في كُلِّ اتِّجَاهٍ.

تدفَّقَ الرَّجَالُ مِنَ الحِصُونِ والأَبْرَاجِ المِحيطة، شِمالِيُونِ وأحرار ورجال ملكة... وقال چون سنو لرجاله أمرًا: «كُونُوا صَفًّا، أبعِدوهم جميعًا، رجال الملكة تحديداً». الرَّجُلُ المِيتُ هو السِيرِ پاتريك ابن (جبل الملك). لم يَعدُ لمعظم رأسه وجود، لكن رمزه مميِّزٌ كوجهه، ولا يُريدُ چون أن يُخاطِرَ بِمِحاوَلَةِ السِيرِ مِيلجورن أو السِيرِ بروس أو أيٍّ من فُرسانِ الملكة الأخرين الانتقام له.

عَوَّلَ وَنَ وَجِ وَنَ دار وَنَ مجدِّدًا ولوى ذراع السِيرِ پاتريك الأخرى وشدَّها مجتثًا إياها من الكتف ليتناثر الدَّمُ الأحمرُ القاني. فكَرَّ چون: كطفل يقطف بتلات زهرة أقحوان. «ليدز، كلمه، هدئه. اللغة القديمة، إنه يفهم اللغة القديمة. ليتراجع بقيتكم! أغمِدوا فولاذكم. إننا نُخيفه». ألا يرون العملاق جريحا؟ يجب أن يضع چون حدًا لهذا وإلا ماتَ مزيد من الرَّجال. إنهم لا يُدرِكون مبلغ قوَّةِ وَنَ وَنَ. بوق، أحتاجُ إلى بوق. لمح لَمِعةِ الفولاذِ فالتفتَ نحوها صارخًا: «لا سلاح! ويك، أغمِد...».

... سلاحك. هكذا أرادَ أن يقول، لكن حين هوى ويك المهزول على حلقة بضرية من سكينه استحالت الكلمة إلى آهة. تَفادى چون السكِّينِ في الوقت المناسب فكشطَ جِلده بالكاد. لقد جرحني. ولمَّا وضعَ يده على جانب عنقه نبعَ الدَّمُ من بين أصابعه. «لماذا؟!».

قال ويك: «من أجل حرس اللَّيل»، وسدَّدَ إليه ضربةً أخرى، لكن هذه المرَّةَ أمسكَ چون رُسغِه ولوى ذراعه إلى الخلف حتى أسقطَ السكِّينِ، فترجعَ الوكيل الهزيل رافعًا يديه كأنما يقول: ليس أنا، لم يكن هذا أنا. كان الرَّجالُ يَصُرُّخونَ، ومدَّ چون يده إلى مخلبه الطَّويلِ، غير أنه ألقى أصابعه مِتيَّسَةً خرقاء، وبوسيلةٍ ما لم يستطِعَ أن يُحرِّرَ السِّيفَ من غِمدِه.

ثم إذا بباون مارش يقف أمامه والدموع تنهمر على وجهه، ويقول: «من أجل حرس الليل»، ولكم چون في بطنه، ولما سحب يده ظل الخنجر حيث دفنه.

وسقط چون على ركبتيه.

أمسك مقبض الخنجر وانتزعَه، وفي هواء الليل البارد انبعث الدخان من الجرح. همس والألم يكتنفه: «جوست». اطعنيهم بالطرف المدبب. وعندما انغرس الخنجر الثالث بين لوحَي الكتفين أطلق أنيناً وسقط على وجهه في الثلج.

وما شعرَ بالطعنة الرابعة.

ما شعرَ إلا بالبرد...



يد الملكة

ظلَّ الأمير الدورني يعمه في سكرات الموت ثلاثة أيام. في الفجر الأسود الموحش لفظَ نفسه الرَّاجف الأخير والمطر البارد ينهال مهسهسًا من سماءٍ مدلهمةً فيُحيل شوارع المدينة القديمة إلى أنهار. أطفأَ المطر أسوأ الحرائق، إلا أن خيوطًا من الدُّخان لا تزال تنبعث من الأنقاض المحترقة التي كانت هرم هازكار، فيما يجثم هرم يريزان الأسود العظيم - حيث أقامَ ريجال عرينه - في العتمة كمرأةٍ بدينة متبرجة بحلي بُرتقالية وقادة.

قال السير بارستان سلمى لنفسه متأملًا إذ راقبَ تلك الجِمار البعيدة: لعلَّ الآلهة ليست صمًا رغم كل شيء. لولا المطر لالتهمت الحرائق (ميرين) بأسرها بالفعل.

لا يرى ولو لمحةً من التَّنينين، لكنه لم يتوقَّع أن يراهما، فالتَّنانين لا تحبُّ الأمطار. في الأفق الشرقي شقُّ أحمر رفيع حيث ستبُج الشمس قريبًا، وقد ذكَّر سلمى بأول قطرات الدَّم المنبثقة من جرح. غالبًا، حتى مع الجروح البليغة، يسبق الدَّم الألم.

وقفَ عند سور الدَّرجة الأعلى من (الهرم الأكبر) يرنو إلى السَّماء كما يفعل كلُّ صباح، عالمًا أن الفجر حتمًا آتٍ وآملًا أن تأتي ملكته معه. مؤكِّد أنها لم تهجرنا، ليس ممكنًا أن تتخلَّى عن شعبها. كان يُحدِّث نفسه عندما سمعَ حشرة موت الأمير من مسكن الملكة.

دخلَ السير بارستان وماء المطر يجري على ظهر معطفه الأبيض، ويُخلِّف حذاؤه آثارًا مبتلةً على الأرضية والبُسط. كان قد أمرهم بإرقاد كوينتن مارتل

في فراش الملكة، فالفتى كان فارسًا، وأميرًا دورنيًا علاوةً على ذلك، وبدا لسلمي أن من الرأفة أن يدعه يموت في الفراش الذي قطع نصف العالم لكي يبلغه. تلفت تمامًا الملاءات والأغطية والوسائد والحشية وتشبعت برائحة الدّم والدخان، لكن السير باريستان احتسب أن دنيرس سئامحه.

إلى جوار الفراش تجلس ميسانداي. ظلت الصغيرة مع الأمير ليل نهار، تُلبّي ما استطاع التعبير عنه من احتياجات، وتسقيه الماء وحليب الخشخاش إذا قويَ على الشرب، وتقرأ له حين يستغرق في السكون، وتنام على مقعدها إلى جانبه. طلب السير باريستان من بعض سقاة الملكة أن يُساعِدوا، لكن منظر الرّجل المحروق كان أقسى من احتمال أجراهم. كما أن ذوات النعم الرّقاء لم يجتنّ على الرغم من أنه أرسل إليهن أربع مرّات. ربما نالت الفرس الشاحبة ممّن تبقيّن منهن بالفعل.

رفعت المترجمة النائية ضئيلة الجسد عينها مع دنوّه، وقالت: «أيها الفارس الموقر، الأمير تجاوزَ آلامه، أخذته آلهته الدورنيّة إلى الديار. أترى؟ إنه مبتسم».

وكيف عرفت؟ إنه بلا شفيتين. لكان أرحم أن يلتهمه التنينان. لكانت تلك -على الأقل- ميتةً أسرع. لكن هذا... النّار طريقة فظيعة للموت. لا غرو أن نصف الجحائم من لهب... قال للفتاة: «غطّيه».

سحبت ميسانداي الغطاء على وجه الأمير قائلةً: «ما الذي سيحدث له أيها الفارس؟ إنه بعيد جدًا عن وطنه».

- «سأحرص على عودته إلى (دورن)». لكن كيف؟ هل أعيده رمادًا؟ سيتطلب ذلك المزيد من النّار، وهو ما لا يقدر السير باريستان على هضمه. علينا أن نُجرّد عظمه من اللّحم، بالخنافس لا الغلي. في الوطن كانت الأخوات الصّامتات ليتولين الأمر، لكن هنا (خليج النخاسين)، وأقرب أخت صامتة تبعد عشرة آلاف فرسخ. «ينبغي أن تخلدي إلى النوم الآن أيتها الصغيرة، في فراشك».

- «إذا كان لهذه الواحدة أن تجتري أيها الفارس، عليك أن تفعل هذا أيضًا. إنك لا تنام اللّيل بأكمله».

لا أنامه منذ سنواتٍ طويلة أيتها الصغيرة، منذ (الثالوث). ذات مرّة قال

له المايستر الأكبر پايسل إن المسئين لا يحتاجون إلى القسط نفسه من النوم كالشبان، لكن الأمر لا يقتصر على هذا، ذلك أنه بلغ السن إياها التي ينفر فيها من إغلاق عينيه خشية ألا يفتحهما ثانية أبداً. قد يروم رجال آخرون الموت نائمين في أسرّتهم، لكنها ليست بميتة تليق بفارس في الحرس الملكي.

قال لميسانداي: «اللّيالي طويلة للغاية، وهناك أشياء كثيرة جداً واجب فعلها دومًا، هنا كما في (الممالك السبع). لكنك فعلت ما يكفي حاليًا أيتها الصّغيرة. اذهبي واستريحي». وإذا شاءت الآلهة فلن تحلّمي بالتناين.

بعد ذهاب الفتاة رفع الفارس العجوز الغطاء ليُلقي نظرةً أخيرةً على وجه كويتن مارتل، أو ما تبقى منه. جزء كبير من لحم الأمير انسلخ حتى إنه يرى الجمجمة من تحته، وعيناه بركتان من الصّديد. كان حريًا به البقاء في (دورن)، كان حريًا به البقاء ضفدعًا. ليس من شأن كل البشر أن يرقصوا مع التناين. إذ عاد يُعطي الفتى وجد نفسه يتساءل إن كان هناك من غطى ملكته أم أن جثتها ستبقى دون حدادٍ وسط أعواد العُشب الطويلة في (بحر الدوثرافي)، تُحدّق بلا بصرٍ إلى السماء إلى أن يتساقط لحمها عن عظمها.

بصوتٍ مسموع قال: «لا، دنيرس لم تمّت. لقد امتطت ذلك التين، رأيتها بأُم عيني». هذا ما قاله مئة مرّة من قبل... لكن كلّمًا مرّ يوم أضحى التصديق أصعب. كان شعرها مشتعلًا، هذا أيضًا رأيتُه. كانت تحترق.. وإذا لم أرها تسقط فهناك مئات يقسمون أنهم رأوها.

زحف النهار على المدينة، وعلى الرغم من أن المطر لا يزال يهطل فثمة ضوء مبهم مستطير في سماء الشرق.

مع الشمس وصل الرأس الحليق مرتديًا ثيابه المألوفة، المتكوّنة من تنورة سوداء ذات طيّات وواقبي ساقين وواقبي صدرٍ بشكل العضلات المفتولة، وإن حملت تحت إبطه قناعًا نحاسيًا جديدًا، رأس ذئب يتدلّى لسانه من فمه. قال سكاهاز على سبيل التحية: «مات الأحمق إذن؟».

- «الأمير كويتن مات قبيل خيط الصّوء الأول». لم يندهش سلمى من معرفة سكاهاز، فالأخبار تنتقل بسرعة داخل الهرم. «هل اجتمع أعضاء المجلس؟».

- «يتظرون أن يُشرّفهم اليد بالحضور بالأسفل».

أرادَ جزء منه أن يهتف: لستُ اليد. ما أنا إلا فارس بسيط، حامي الملكة. لم أرغب في هذا قَط. لكن في غياب الملكة واعتقال الملك لا بُدَّ أن يحكِّم أحد المدينة، والسير باريستان لا يثق بالرَّأس الحليق. «هل من أيِّ أخبار من ذات النِّعمة الخضراء؟».

- «لم تُعدُّ بعدُ إلى المدينة». عارضَ سكاهاز إرسال الكاهنة، ولم تستسغ جالازا جالار نفسها المهمَّة. قالت إنها ستذهب في سبيل السَّلام، لكن هيزدار زو لوراكي مؤهَّل أكثر للتَّعامل مع الأسياد الحُكَّماء. غير أن السير باريستان لا يستسلم بسهولة، وفي النَّهاية حنَّت ذات النِّعمة الخضراء رأسها وأقسمت أنها ستبدل قصارى جهدها.

سأل سلمى الرَّأس الحليق: «كيف الأحوال في المدينة؟».

- «جميع البوابات مغلقة وموصدة كما أمرت. نُطارِد كلَّ مرتزق أو يونكي باقٍ داخل المدينة، ومن نقبض عليهم نطرُدهم أو نحتجزهم. يبدو أن أكثرهم اختبأ، داخل الأهرامات بالطبع. المُطهَّرون يحرسون الأسوار والأبراج ومستعدُّون لأيِّ هجوم. في الميدان مئتان من علية القوم، واقفون في المطر بتوكاراتهم ويُولولون طالبين مقابلةً. يُريدون إطلاق سراح هيزدار وموتي، ويُريدونك أن تقتلَ التَّنينين. أحدهم أخبرهم بأن الفُرسان بارعون في هذا. ما زالَ الرِّجال يُخرجون الجُثث من هرم هازكار. أسياد يريزان وأوهلز العظام هجروا هرميهم للتَّنينين».

يعلم السير باريستان كلَّ هذا، وهكذا ألقى السُّؤال الذي يخشى إجابته: «وفاتورة الجزَّار؟».

- «تسعة وعشرون».

- «تسعة وعشرون؟!». أسوأ بمراحل من أشد خيالاته جموحًا. قبل يومين استأنف أبناء الهاربي حرب الظلِّ. ثلاثة قتلى في اللَّيلة الأولى، تسعة في الثانية، لكن أن يذهبوا من تسعة إلى تسعة وعشرين بين عشيةٍ وضُحاها... - «سيربو العدد على الثلاثين قبل انتصاف النَّهار. لِمَ تبدو مرِبِدَّ الوجه هكذا أيها العجوز؟ ماذا توقَّعت؟ الهاربي يُريد إطلاق سراح هيزدار، فأرسلَ أبناءه إلى السُّوارع من جديد شاهرين الخناجر. جميع الموتى معتقون ورؤوس حليقة كالسَّابق. أحدهم كان من رجالي، وحشًا نحاسيًا.

علامة الهاربي تُرِكَت إلى جوار الجُثث، مرسومة بالطباشير على الرِّصيف أو منقوشة على حائط. كانت هناك رسائل أيضًا. كتبوا: «يجب أن تموت التَّانين»، و«هارجاز البطل». عبارة «الموت لديرس» شوهدت أيضًا قبل أن يمحو المطر المكتوب.

- «ضريبة الدَّم...».

دمدم سكاهاز: «ألفان وتسعمئة قطعة من الذهب من كلِّ هرم، أجل، سنجيبها... لكن خسارة القليل من النقود لن تردع الهاربي أبدًا. وحده الدَّم يُمكنه تحقيق ذلك».

- «هذا ما تقوله أنت». الرَّهائن ثانيةً. سيقتلهم عن آخرهم لو سمحتُ له. «سمعتك أول خمسمئة مرَّة. لا».

بامتعاض زمجر سكاهاز: «يد الملكة. يد امرأة هِرمة في رأبي، متغصَّنة واهنة. أتمنى أن ترجع ديرس إلينا قريبًا»، ووضع قناع الذئب على وجهه مستطرًا: «مؤكَّد أن مجلسك بدأ يضجر».

ردَّ سليمي: «إنه مجلس الملكة لا مجلسي»، ثم استبدل بمعطفه الرطب واحدًا جافًا وتمنطق بحزام سيفه، ونزل السَّلام في رفقة الرَّأس الحليق.

القاعة ذات الأعمدة خالية من الملتسمين هذا الصَّباح، فعلى الرغم من أن السير بارستان اضطلع بأعمال اليد فإنه لا يتجرأ على عقد البلاط في غياب الملكة، ولن يسمح لسكاهاز مو كانداكي بأن يفعل ذلك. بأمر السير بارستان أزيل عرشا سكاهاز القبيحان، وإن لم يُعد الدِّكَّة البسيطة المزوَّدة بالوسائد التي فضلتها الملكة، وبدلًا من ذلك نُصبت مائدة مستديرة في منتصف القاعة، تُحيط بها المقاعد الطويلة ليجلس عليها الرِّجال ويتكلَّموا كأنداد.

نهضوا عندما نزل السير بارستان السَّلام الرُّخام وإلى جواره الرَّأس الحليق سكاهاز. مارسلن قائد رجال الأم حاضر، وكذا سايمون ذو الظَّهر المخطَّط قائد الإخوة الأحرار. كان رجال التُّروس المقدَّمة قد انتخبوا قائدًا جديدًا، رجلًا أسود البشرة من (جُزر الصَّيف) يُسمَّى تال توراكي، بعد أن اختطفت الفرس الشَّاحبة قائدهم السَّابق مولونو يوس دوب. الدُّودة الرَّمادي حاضر أيضًا نيابةً عن المُطهَّرين، ومعه ثلاثة رُقباء مخصَّيين يعتمرون الخوذات البرونز المدبَّبة. يُمثل غربان العاصفة مرتزقان محنَّكان، قوَّاس اسمه چوكين

ومُقاتل فؤوس نديب عابس معروف ببساطةٍ بالأرمل، وقد تولى كلاهما القيادة المشتركة في غياب داريو نهاريس. معظم غالاسار الملكة ذهب مع آجو وراگارو للبحث عنها في (بحر الدوثرافي)، لكن الچاگنا رهان رومو ذا العينين الضيقتين والساقين المقوستين موجود ليتكلم بلسان الخيالة الباقين. وقبالة السير بارستان يجلس إلى المائدة أربعة من حرس الملك هيزدار السابقين، مُقاتلو الحلبات جو جهور الجبّار وبيلاكو كاسر العظام وكامارون العداد والقطُّ الأرقط. أصرَّ سلمي على حضورهم على الرغم من احتجاجات سكاهاز، فقد ساعدوا نيرس تارجارين على الظفر بهذه المدينة، وينبغي ألا يُنسى صنيعهم هذا. قد يكونون قتلة غاشمين ملوثين بالدماء، إلا أنهم مخلصون على طريقتهم الخاصة... للملك هيزدار، نعم، ولكن للملكة أيضًا. وآخر الحاضرين بلواس القوي الذي دخل القاعة بخطواتٍ ثقيلة.

واجه الخصيُّ المنيّة مباشرةً ودنا منها لدرجة أنه أوشك على تقبيلها على شفيتها، وتركت المواجهة عليه آثارها. يبدو الآن أنه فقد أربعين رطلًا من وزنه، والجلد البني الدّاكن الذي كان مشدودًا على صدره وبطنه الهائلين، وتتقاطع عليه مئات الندوب الباهتة، أصبح يتدلّى في طيات فضفاضة مترهلة رجرجة، كأنه يرتدي معطفًا أكبر ثلاث مرّات من مقاسه. بالإضافة إلى ذلك بطوّت حركته وبدت متردّدةً بعض الشيء.

وعلى الرغم من ذلك أبهج مرآه قلب الفارس العجوز. لقد قطع العالم مع بلواس القوي، ويعلم أنه يستطيع الركون إليه إذا بلغت المسألة حدّ تقارع السيوف. قال سلمي: «بلواس، يسرنا انضمامك إلينا». ابتسم بلواس قائلاً: «ذو اللحية البيضاء، أين الكبد بالبصل؟ بلواس القوي لم يعد قويًا كما كان، ويجب أن يأكل ويعود كبيرًا. لقد أمرضوا بلواس القوي. أحدهم يجب أن يموت».

أحدهم سيموت، كثيرون على الأرجح. «اجلس يا صديقي». ولمّا جلس بلواس وعقد ذراعيه على صدره تابع السير بارستان: «كويستن مارتل مات هذا الصّباح قبيل الفجر».

ضحك الأرمل، وقال: «راكب التّنانين».

وقال سايمون ذو الظّهر المخطّط: «أدعوه بالأبله».

لا، كان مجرد صبي. لم ينسَ السير باريستان حماقات شبابه. «لا تذكروا الموتى بسوء. لقد دفع الأمير ثمن ما فعله غالبًا». سأله تال توراك: «والدورنيان الآخراَن؟».

- «سجينان في الوقت الرَّاهن». لم يُقاوم أيُّهما على الإطلاق. كان آرشيولد يرونوود يحتضن جسد الأمير المحترق الدَّاخن عندما عثرَ عليه الوحوش النُّحاس، كما تشهد يداه المسفوعتان، يداه اللتان استعملهما لإخماد اللُّهب الذي التهمَ كويتن مارتل. وكان جيريس درينكووتر واقفًا فوقهما بسيفه، لكنه أسقطه لحظة أن ظهرت الجرادات. «يقتسمان زنزانة». ردَّ سايمون ذو الظَّهر المخطَّط: «فليقتسما مشنقةً. هؤلاء الدورنيون أطلقوا تنيين على المدينة».

حَضَّه القِطُّ الأرقط: «افتح الحلبات وأعطهما سيفين. سأقتل الاثنين فيما تهتف (ميرين) كلُّها باسمي». قال سلمي: «حلبات القتال ستبقى مغلقةً. لن تُؤدِّي الدِّماء والصَّوضاء إلا إلى اجتذاب التنيين».

قال مارسِلن: «أو ثلاثة التناين. الوحش الأسود جاء مرَّة، فلم لا يأتي ثانية؟ هذه المرَّة بملكتنا».

أو دونها. إذا عادَ دروجون إلى (ميرين) بلا دنيرس على ظَّهره فستشتعل المدينة ناراَ ودما، وفي هذا ليس عند السير باريستان أدنى شك، وسرعان ما سيظهر بعض الجالسين إلى هذه المائدة الخناجر في وجوه بعض. قد تكون فتاةً صغيرةً، لكن دنيرس تارجارين سبب اتِّحادهم الوحيد.

- «جلالتها ستعود حين تعود. لقد سُقنا ألف خروف إلى (حلبة دازناك)، وملأنا (حلبة جراز) بالعجول، و(الحلبة الدَّهية) بالحيوانات التي جمعها هيزدار زو لوراك لمبارياته». لأن يبدو أن كلا التنيين يحبُّ طعم الصَّبان، فيعودان إلى (حلبة دازناك) متى جاعا، أمَّا إن كان أحدهما أو كلاهما يصطاد البشَّر داخل المدينة أو خارجها فإن شيئًا من ذلك لم يبلِّغ مسامع السير باريستان بعدُ. الميرينيزيون الوحيدون الذين قتلهم تنيين منذ هارجاز البطل هم النُّحاسون الذين كانوا بالحماقة الكافية للاعتراض عندما حاولَ ريجال إقامة عرينه على قَمَّة هرم هازكار. «عندنا شؤون أكثر إلحاحًا يجب

أن نناقشها. لقد أرسلت ذات النعمة الخضراء إلى اليونكيين لعمل ترتيبات إطلاق سراح رهائننا. أتوقع عودتها في منتصف النهار بجوابهم».

قال الأرملة: «بكلامهم المرسل. غريبان العاصفة يعرفون اليونكيين. إن ألسنتهم ديدان تلوّى في هذا الاتجاه وذلك. ذات النعمة الخضراء ستعود بكلام الديدان لا بالقائد».

أضاف الودود الرمادي: «أرجو أن يتذكّر حضرة يد الملكة أن الأسياد الحكماء يحتجزون جندينا هيرو أيضاً، وسيّد الخيول چوجو خيال دم الملكة».

أيده الدوثرافي رومو: «دم دمها. لا بُدّ من إطلاق سراحه. شرف الكالاسار يتطلّب هذا».

قال السير بارستان: «سيطلق سراحه، لكن علينا أولاً أن نتظر ونرى إن استطاعت ذات النعمة الخضراء تحقيق...».

قاطع الرأس الحليق سكاهاز ضارباً المائدة بقبضته: «ذات النعمة الخضراء لن تُحقّق شيئاً، بل وربما تتواطأ مع اليونكيين ونحن جالسون هنا. قلت ترتيبات؟ عمل ترتيبات؟ أي نوع من الترتيبات؟». قالها ضاغطاً على الكلمة كل مرة.

أجاب السير بارستان: «فدية، وزن كلّ رجل ذهباً».

علّق مارسلن: «الأسياد الحكماء ليسوا محتاجين إلى ذهبنا أيها الفارس. جميعهم بلا استثناء أثرى من لورداتكم الوستروسيين».

- «لكن مرتزقتهم سيطمعون في الذهب. ما قيمة الرهائن عندهم؟ إذا رفض اليونكيون فسيلقي هذا الشقاق بينهم وبين أجيرهم». أو أن هذا أملي. ميسانداي هي التي اقترحت عليه هذه الحيلة. ما كان شيء كهذا ليخطر له أبداً. في (كينجز لاندنج) كانت الرُشى من اختصاص الإصبع الصّغير، فيما عمل اللورد فارس على بذر الفرقة بين أعداء التّاج، أمّا واجباته هو فكانت أكثر مباشرة واستقامة. في الحادية عشرة من العمر لكن ميسانداي تضاهي نصف الرّجال هنا في الذكاء وتفوقهم جميعاً في الحكمة. «لقد أمليت على ذات النعمة الخضراء ألا تطرح العرض قبل أن يجتمع القادة اليونكيون كلهم لسماعه».

قال سايمون ذو الظَّهر المخطَّط بإصرار: «سِرْفُضون، سيقولون إنهم يُريدون موت التَّينين وعودة الملك».

- «أدعو الآلهة أنك مخطئ». وأخشى أنك محق.

قال الأرمِل: «آلهتك بعيدة يا جدِّي الفارس، ولا أظنُّها تسمع دُعاءك. وحين يُرسل اليونكيُّون العجوز لتبصق في عينك؟».

بخفوت، بخفوت، قال باريستان سلمي: «النَّار والدم».

للحظةٍ طويلة لم يتكلَّم أحد، ثم ربَّت بلواس القوي على بطنه قائلاً: «أفضل من الكبد بالبصل»، وحدَّق الرَّأس الحليق سكاهاز عبر عيني قناع رأس الذئب، وقال: «ستكسر سلام الملك هيزدار أيها العجوز؟».

- «سأحطِّمه تحطيمًا». ذات يوم في قديم الزَّمن لقَّبه أمير بباريستان الباسل، وما زالَ جزء من ذلك الصَّبِي في أعماقه. «سنيني منارةٌ على قمَّة الهرم حيث كانت الهاربي من قبل. حطب جاف غارق بالزيت، مغطى لوقايته من المطر. إذا حانت السَّاعة، وأتمنى الأتحين، فسُشعل المنارة. سيكون اللهب إشارتكم للتدفق من البوابات والهجوم. سيكون لكلِّ رجل منكم دور يلعبه، وعليه يجب أن يكون كل رجل على أهبة الاستعداد في أيِّ وقت، ليلاً أو نهارًا. سوف نُدمر أعداءنا أو يُدمرونا». ثم رفع سلمي يده مشيراً إلى مُرافقيه المنتظرين، وواصل: «لقد طلبتُ إعداد بعض الخرائط لإظهار توزيع قُوات الأعداء، معسكراتهم وخطوط حصارهم ومجانيقهم. إذا استطعنا قهر النحاسين فسيتخلَّى عنهم مرتزقتهم. أعرفُ أن لديكم مخاوف وأسئلة، فبوحوا بها الآن. من المحتمَّ عندما تُترك هذه المائدة أن نكون جميعًا على رأيٍ موحد ولنا هدف موحد».

قال سايمون: «الأفضل أن تُرسل في طلب طعامٍ وشرابٍ إذن. سيستغرق هذا مُدَّة».

استغرَقوا بقيَّة الصَّباح ومعظم الأصيل. تجادلُ القادة على الخرائط كبائعات سمكٍ يتماكسن على دلوٍ من سراطين البحر، نقاط الضَّعف ونقاط القوَّة، وأجدى وسيلةٍ لاستغلال فرقتهم الصَّغيرة من الرَّماة، وإن كان الأفضل استغلال الأفيال في تحطيم خطوط حصار اليونكيين أم الاحتفاظ بها مع قوَّة

الاحتياط، ومن سينال شرف قيادة الموجة الأولى، وإن كان الأفضل نشر خيآلتهم على الجناحين أم مع الطليعة.

ترك السير باريستان كل رجل يقول رأيه. رأى تال توراك أن عليهم الزحف على (يونكاي) ما إن يخترقوا خطوط الحصار، فالمدينة الصفرَاء ستكون بلا دفاعاتٍ تقريباً، ولن يجد اليونكيون خياراً إلا رفع الحصار للحاق بهم. واقتراح القط الأرقط تحدي العدو بأن يرسل بطلاً يواجهه في نزالٍ فردي، وهي الفكرة التي رآقت بلواس القوي، وإن صمم أن يُقاتل هو بدلاً من القط. وقدم كامارون العدا خطة للاستيلاء على السفن الرأسية على ضفة النهر واستخدام (السكاهازاذان) في الدوران بثلاثمئة مقاتلٍ حلباتٍ حول اليونكيين ومهاجمتهم من المؤخرة. أتفق جميع الحاضرين على أن المطهرين أفضل جنودهم، لكن أحداً منهم لم يتفق على كيفية نشرهم. أراد الأرملة استخدام المخصيين كقبضةٍ حديديةٍ تحطم قلب الدفاعات اليونكية، وارتأى مارسلن أن الأفضل وضعهم على جانبي خط المعركة الأساسي حيث يمكنهم ردع أي محاولةٍ من العدو لإحداث ثغرةٍ في الجانبين، وأراد سايمون ذو الظهر المخطط تقسيمهم على ثلاث فصائل وتوزيعهم على جماعات المعتمين الثلاث، قائلاً إن إخوته الأحرار شجعان وتواقون إلى القتال، لكن دون وجود المطهرين لشد أزهم فإنه يخشى ألا يتمتع جنده غير المختبرين بالانضباط الكافي لمجابهة مرتزقة مخضرمين وحدهم. واكتفى الدودة الرمادي بقول إن المطهرين سيطيعون مهما طُلب منهم.

وبعد مناقشة كل هذا ومداولته وتقريره طرح سايمون نقطةً أخيرة: «حين كنتُ عبداً في (يونكاي) اعتدتُ مساعدة سيدي على التفاوض مع الجماعات الحرة والإشراف على دفع أجورها. إنني أعرف المرتزقة، وأعرف أن اليونكيين لا يستطيعون تقديم ما يكفي لمواجهة لهب التنانين، ولذا أسألك... إذا فشل السلام ونشبت المعركة، فهل سيأتي التنانين؟ هل سينضمّان إلى القتال؟».

كان السير باريستان ليقول: سيأتيان، ستجلبهما الضوضاء، الصياح والصراخ، ورائحة الدماء. سيجتذبهما هذا إلى ميدان المعركة تماماً كما اجتذب هدير (حلبة دازناك) دروجون إلى الرمال القرمزية. لكن حين يأتيان هل سيفرقان بين طرفٍ وآخر؟ بشكلٍ ما لا يظن ذلك، ولذا قال فقط: «التنانين

سيفعلان ما تفعله الثَّانين. إذا أتيا فقد يكفي مجرد ظلِّ أجنحتهما لتثييط همّة النخَّاسين وحملهم على الفرار»، ثم إنه شكرهم وصرَّفهم.
مكثَ الدُّودة الرَّمادي بعد خروج الآخرين، وقال: «هؤلاء الأحاد سيكونون مستعدِّين حين إشعال المنارة، لكن مؤكِّد أن اليد يعلم أن اليونكيين سيقتلون الرّهائن ما إن نبدأ الهجوم».

- «سأفعل كلَّ ما بوسعي للحيلولة دون ذلك يا صديقي. إن عندي... فكرة. لكن أرجو أن تعذّرني الآن. لا بُدَّ أن يعلم الدورنيان بموت أميرهما». حتى الدُّودة الرَّمادي رأسه قائلاً: «هذا الواحد يُطيع».

أخذ السير باريستان اثنين من فُرسانه الجُدد معه إلى الزّنازين. معروف عن الحُزن والدُّنب أنهما يدفعان الصّالحين إلى الجنون أحياناً، وقد لعبَ آرشيبولد يرونوود وجيريس درينكووتر كلاهما دوراً في هلاك صديقيهما، لكن حين وصلوا إلى الزّزانة أمرَ سلمي تومكو والحمل الأحمر بالانتظار بالخارج فيما يدخل ليُخبر الدورنيين بأن عذاب أميرهما انتهى.

لم يُعلّق السير آرشيبولد الأصلع الكبير، واكفى بالجلوس على حافة سريره محملاً إلى يديه المضمّدتين بالكتّان، في حين لكم السير جيريس الحائط قائلاً: «قلتُ له إنها حماقة، توصلتُ إليه أن نرجع إلى الوطن. ملكتك الحقيرة لم تر له قيمةً كما كان واضحاً للعيان. لقد قطع العالم ليُقدّم لها حُبّه وإخلاصه فضحكت في وجهه».

قال سلمي: «لم تضحك قطُّ. لو عرفتُها لعرفت هذا».

- «لقد نبذته. عرضَ عليها قلبه فألقته له ثانيةً وذهبت تُضاجع المرتزق».
- «خيرٌ لك أن تحفظ لسانك أيها الفارس». لا يحبُّ السير باريستان جيريس درينكووتر، ولن يسمح له بدمّ دنيرس. «موت الأمير كوينتن كان من صنعه وصنعه كما».

- «صنعتنا؟! أين جريرتنا أيها الفارس؟ كوينتن كان صديقنا، نعم. لك أن تقول إنه كان أحقّ بعض الشّيء، لكن جميع الحالمين حمقى. لكنه كان أميرنا أولاً وأخيراً، وندين له بالطاعة».

لم يستطع باريستان سلمي أن يُجادله في هذا، فقد قضى السّواد الأعظم من حياته في طاعة أوامر السكّيرين والمجانين. «الأمير أتى بعد فوات الأوان».

كَّرَّر السير جيريس: «لقد عرضَ عليها قلبه».

- «كانت محتاجةً إلى السُّيوف لا القلوب».

- «كان ليمنحها جراب (دورن) أيضًا».

- «ليته فعلٌ». لا أحد أراد أن تستحبَّ دنيرس الأمير الدورني أكثر من باريستان سلمى. «لقد أتى بعد فوات الأوان، وهذه الحماقة... استئجار المرتزقة، إطلاق تَنِينٍ على المدينة. كان هذا جنونًا وأسوأ من الجنون، كان خيانةً».

ردَّ جيريس درينكووتر مصرًّا: «كوينت فعلَ ما فعله بدافع حُبِّه للملكة دنيرس، لإثبات جدارته بها».

قال الفارس العجوز الذي سمعَ ما يكفي: «ما فعله الأمير كوينتن كان من أجل (دورن). هل تحسبني جدًّا خرفًا؟ لقد قضيتُ حياتي حول الملوك والملكات والأمراء. (سنسبير) تنوي حمل السُّلاح ضد العرش الحديدي. لا، لا تُحاول الإنكار. دوران مارتل ليس بالرَّجل الذي يستدعي جِرابه دون أملٍ في النَّصر. الواجب هو ما أتى بالأمير كوينتن هنا، الواجب والشرف والتعطش للمجد... لكن ليس الحُب. كوينتن كان هنا من أجل التَّنانين لا دنيرس».

- «أنت لم تعرفه أيها الفارس. لقد...».

قاطعَه يرونود ناهضًا: «لقد ماتَ يا درينك، ولن يُعيده الكلام. كليتوس وويل ماتا أيضًا، فأطبقِ فمك اللعين قبل أن أدسَّ قبضتي فيه لأخرسك»، ثم التفتَ الفارس الكبير إلى سلمى سائلًا: «ماذا تنوي أن تفعل بنا؟».

- «الرَّأس الحليق سكاهاز يُريد شنقكما. لقد قتلتما أربعةً من رجاله، أربعةً من رجال الملكة. اثنان منهم كانا معتقِين تبعًا لجلالتهما من (أستاپور)». لم تبدُ على يرونود دهشة، وقال: «الرَّجال الوحوش، أجل. قتلْتُ واحدًا فقط، رأس البازيليسق. المرتزقة قتلوا الآخرين. لكن لا فرق، أعلمُ هذا».

قال درينكووتر: «كنا نحمي كوينتن، كنا...».

قاطعَه الفارس الكبير ثانيةً: «صمًّا يا درينك. إنه يعرف»، ثم قال لسلمى: «لا داعي للمجيء والكلام إذا كنت تنوي شنقنا. ليست المسألة هكذا إذن، أليس كذلك؟».

- «نعم». قد لا يكون هذا الرَّجُل بطيء البديهة كما يبدو. «إنكما أنفع لي حينئذ. اخذماني، وبعدها سأرتب أن تحملكما سفينة إلى (دورن) وأعطيكما رُفات الأمير كويتن لتعيدها إلى السيّد والده».

عبسَ السير آرشيولد قائلاً: «لماذا يجب أن تكون السفن كلَّ مرّة؟ لكن على أحدهم أن يُعيد كويتن إلى الوطن. ماذا تطلب منا أيها الفارس؟».

- «أطلب سيفيكما».

- «إن عندك آلاف السيوف».

قال سلمى: «رجال الملكة المعتقدون لم يُختبروا بعدُ، والمرزقة لا أثق بهم. المُطَهَّرُونَ جنود شُجعان... لكنهم ليسوا مُحارِبِينَ، ليسوا فُرساناً»، وصمّت لحظةً ثم تابعت: «ماذا حدث عندما حاولتم أخذ التّينين؟ أخبراني».

تبادلَ الدورنيان نظرةً، ثم أجابَ درينكووتر: «كويتن قال لأمير الأسمال إنه يستطيع التّحكّم فيهما. قال إن القُدرة في دمه، إن دم تارجارين في عروقه».

- «دم التّين».

- «نعم. كان المفروض أن يُساعدنا المرزقة على تقييد التّينين بالسّلاسل لنأخذهما إلى الميناء».

أضافَ يرونوود: «أمير الخرق جَهّز سفينةً، واحدةً كبيرةً تحسباً لاستطاعتنا الحصول على كلا التّينين، وكان كويتن سيمتطي أحدهما»، وتطلّع إلى يديه المضمّدين مردفاً: «لكن لحظة أن دخلنا كان واضحاً أن شيئاً من ذلك لن ينجح. التّينان كانا نائرين للغاية، وسلاسلهما... كانت هناك قطع مكسورة من السّلاسل في كلِّ مكان، سلاسل كبيرة، حلقات بحجم رأسك مخلوطة بالعظام المحطّمة والمشقّقة. وكويتن، ليُنقذني (السّبعة)، بدا كأنه سيتبرّز على نفسه. لم يكن كاجو أعمى، أو ميريس، وقد رأيا هذا أيضاً. ثم أطلق أحد رُماة النّشابية سهمًا. ربما كانت نيّتهم قتل التّينين من البداية واستغلّونا للوصول إليهما فقط. من يدري ما الحقيقة مع الخرق؟ لكن كيفما نظرت إلى الأمر فلم يكن هذا تصرّفًا ذكيًا. السّهم أغضبَ التّينين فقط، ولم يكونا في مزاج حسن من الأصل. ثم... ثم ساءت الأمور».

قال السير جيريس: «وذرت الرّيح المذروّين. كان كويتن يصرّخ واللّهَب

يلتهمه، ورحل المرتزقة جميعاً. كاجو وميريس الحسنة، الجميع باستثناء رجلهم الميت».

- «آه، وماذا توقعت يا درينك؟ القِطَط تَقْتُلُ الفئران، والخنازير تتمرغ في الخراء، والمرتزقة يفرّون وأنت في أمس حاجة إليهم. لا لوم عليهم. إنها طبيعتهم».

قال السير بارستان: «ليس مخطئاً. بيم وعد الأمير كوينتن أمير الأسمال لقاء كل هذه المساعدة؟».

لم يتلق جواباً. نظر السير جيريس إلى السير آرشيبولد، ونظر السير آرشيبولد إلى يديه، ثم الأرض، ثم الباب.

واصل السير بارستان: «(پنتوس)، وعده (پنتوس). قولها. لا كلام منكما من شأنه مساعدة أو إيذاء الأمير كوينتن الآن».

قال السير آرشيبالد بتعاسة: «أجل، كانت (پنتوس). لقد وضعا علامات على ورقة».

ثمّة فُرصة هنا. «ما زال عندنا مذرؤون في الزنازين، من ادّعوا التهرّب». قال يرونوود: «أذكرهم. هنجرفورد وسترو وبقيّة تلك الشّرذمة. لم يكن بعضهم سيّئاً جدّاً بالنسبة إلى مرتزقة. الآخرون... قد يكون الموت أصلح لهم. ماذا عنهم؟».

- «أنوي إعادتهم إلى أمير الأسمال، وأنتما معهم. ستكونان اثنين وسط ألوف، والمفترض ألا يلفت وجودكما في معسكر اليونكيين الانتباه. أريدكما أن توصّلا رسالة إلى أمير الأسمال. أخبراه بأني أرسلتكما، بأني أتكلّم بصوت الملكة. أخبراه بأننا سندفع ثمنه إذا أعاد إلينا رهاثنا سالمين».

عابساً ردّ السير آرشيبولد: «سيعطينا الخرقه لميريس الحسنة على الأرجح. لن يفعلها».

- «ولمّ لا؟ المهمّة بسيطة كفاية». مقارنةً بسرقة الثنائين. «لقد أخرجت أبا الملكة من (وادي الغسق) ذات مرّة».

ردّ جيريس درينكووتر: «كان ذلك في (وستروس)».

- «هذه (ميرين)».

- «آرش لا يستطيع أن يحمل سيفاً حتى يديه هاتين».

- «ليس عليه أن يحمل سيفاً. سيكون المرتزقة معكم، ما لم أكن أخطأت اختيار رجلي».

أزاح جيريس درينكووتر شعره الموحوط بالشمس قائلاً: «هل تسمح لنا ببعض الوقت لتناقش؟».

أجاب سلمي: «لا».

قال السير آرشيولد: «سأفعلها ما دام الأمر لا يتضمن قوارب لعينة. درينك أيضاً سيفعلها»، وأضاف بابتسامة عريضة: «ليس يعرف هذا بعد، لكنه سيعرف».

وتمّ الأمر.

الجزء البسيط على الأقل. بدأ باريستان سلمي رحلة الصعود الطويلة إلى قمة الهرم مفكراً أنه ترك الجزء الصعب في أيدي الدورنيين. كان جده لينزعج أيما انزعاج. الدورنيان فارسان، اسماً على الأقل، ولو أن يرونوود وحده يُعطيه انطباع تحليه بالفولاذ الحقيقي، أمّا درينكووتر فله وجه وسيم ولسان متحذلق وشعر ناعم.

لدى عودة الفارس العجوز إلى مسكن الملكة أعلى الهرم كان جثمان الأمير كوينتن قد رُفِعَ، وحين دخل وجد سته من السقاة الصغار يلعبون لعبة طفولية وقد جلسوا في دائرة على الأرض يتبادلون تدوير خنجر، ولما يتوقف عند أحدهم يقطعون خصلة من شعر من يُشير إليه. كان السير باريستان قد لعب لعبة شبيهة مع أولاد عمومته في صغره في (بهو الحصاد)... وإن كان يذكر أن اللعبة في (وستروس) تتضمن التقييل أيضاً. ناداهم قائلاً: «باكاز، كوب من النبيذ إذا سمحت. جرازار، آراك، الباب لكما. إنني في انتظار ذات النعمة الخضراء. أدخلها بمجرد وصولها، لكن بخلاف هذا لا أريد أن يُزعجني أحد».

أسرع آراك ينهض قائلاً: «كما يأمر حضرة اليد».

خرج السير باريستان إلى الشرفة. كانت الأمطار توقفت، غير أن جداراً من السحاب الرمادي كالأردواز أخفى الشمس الغاربة إذ بدأت تغوص في (خليج النحاسين). ما زالت خيوط قليلة من الدخان تنبث من أحجار هرم هازدار المسودة، تلوّيتها الريح كشرائط الشعر، وبعيداً إلى الشرق وراء أسوار

المدينة رأى جناحين شاحبين يتحرَّكان فوق سلسلة تلالٍ قصيَّة. فسيرون. يصطاد ربما، أو يطير لمجرَّد الطَّيران. تساءل أين ريجال. حتى الآن أنبتَ التَّين الأخضر أنه أخطر من الأبيض.

عندما أتى باكاكز بالنَّبيذ أخذَ الفارس العجوز جرعةً واحدةً طويلةً ثم أرسلَ الصَّبي يجلب ماءً. قد تكون بضعة أكواب من النَّبيذ ما يحتاج إليه بالضَّبط ليستطيع النَّوم، لكنه سيحتاج إلى حدَّة ذهنه حين تعود جالازا جالار من النَّفَّاض مع العدوِّ، وهكذا شربَ نبيذه مخفَّفًا بالكثير من الماء فيما أظلمت الدنيا من حوله. كم هو متعب، وكم تُفعمه الشُّكوك. الدورنيون، هيزدار، رزناك، الهجوم... هل ما يفعله صواب؟ هل يفعل ما كانت دنيرس لتُريده؟ لستُ مخلوقاً لهذا. سبق أن شغلَّ فُرسان آخرون في الحرس الملكي منصب اليدويَّة. كانوا قلائل، وقد قرأ عنهم في (الكتاب الأبيض)، والآن يجد نفسه يتساءل إن كانوا قد شعروا بالحيرة والضَّياع مثله.

- «حضرة اليد». كان جرازار واقفاً عند الباب يحمل فتيلاً مشتعلًا. «ذات النُّعمة الخضراء أتت. طلبت أن تُبلغك».

- «أدخلها، وأشعل بعض الشُّموع».

رافقت جالازا جالار أربع من ذوات النُّعم الوردية، وقد بدت المرأة للسير باريستان محاطةً بهالةٍ من الحكمة والكرامة لم يملك نحوها إلا الإعجاب. هذه امرأة قويَّة، وكانت صديقةً مخلصةً لدنيرس. قالت من تحت البرقع الأخضر اللامع الذي يُخفي وجهها: «حضرة اليد، هل تسمح لي بالجلوس؟ إن عظامي عجوز متعبة».

قال سلمى: «جرازار، مقعد لذات النُّعمة الخضراء»، وصفت ذوات النُّعم الوردية أنفسهن وراءها خافضات الأعين مشبكات الأيدي. «هل أقدِّم لك شراباً؟».

- «يا ليت أيها السير باريستان. لقد جفَّ حَلقي من الكلام. عصير ربما؟».

قال: «كما تُريدين»، وأشار إلى كِزْميا وأمرها بإحضار كأس من عصير اللَّيمون المحلَّى بالعسل للكاهنة. لشربه اضطرت الكاهنة إلى خلع بُرقعها، وهو ما ذكر سلمى بشيخوختها. أكبر مني بعشرين عاماً أو أكثر. «لو كانت

الملكة هنا فأنا واثق بأنها كانت لتنضم إليّ في شكرك على كل ما فعلت من أجلنا».

قالت جالازا جالار: «لطالما كانت صاحبة السمو مفضالة»، وأنهت شرابها وأعادت تثبيت البرقع متسائلة: «هل من أي أخبار أخرى عن ملكتنا الجميلة؟».

- «ليس بعد».

- «سأصلي من أجلها. وماذا عن الملك هيزدار إذا سمحت لي بالسؤال؟ هل تأذن لي في رؤية صاحب الرّونق؟».

- «قريباً على ما أمل. أوكد لك أن أذى لم يُصبه».

- «يسرني أن أسمع هذا. أسياد (يونكاي) الحكماء سألوا عنه. لن يدهشك أن تسمع أنهم يرغبون في عودة النبيل هيزدار إلى منصبه الشرعي».

- «سيعود إذا ثبت أنه لم يحاول اغتيال ملكتنا، وحتى ذلك الحين سيحكم (ميرين) مجلس من الأوفياء والعادلين. ثمة مكان لك في هذا المجلس. أعلم أن لديك أشياء كثيرة تُعلمينا إياها يا صاحبة الإحسان. إننا محتاجون إلى حكمتك».

- «أخشى أنك تُطري عليّ بمجاملاتٍ جوفاء يا حضرة اليد. إذا كنت تحسبني حكيمة حقاً فأصغ إليّ الآن. أطلق سراح النبيل هيزدار وأعدّه إلى عرشه».

- «الملكة فقط تقدر على ذلك».

تنهدت ذات النعمة الخضراء من تحت بُرقعها، وقالت: «السلام الذي اجتهدنا في تحقيقه يرتجف كورقة شجرٍ في مهبّ ريح الخريف. إننا في أيام عصبية. الموت يجول في شوارعنا ركباً الفرس الشاحبة من الملعونة ثلاثاً (أستاپور)، والتنانين تسكن السماء وتلتهم لحوم الأطفال، والمئات يستقلون السفن نازحين إلى (يونكاي)، إلى (تولوس)، إلى (كارث)، إلى أيّ ملاذٍ يقبلهم. هرم هازكار تهدم وتحوّل إلى أطلالٍ داخنة، وكثيرون من تلك السلالة العريقة موتى تحت أحجاره المسودة. وهرما يريزان وأوهلز أصبّحاً عربنين لوحشين، وأسيادهما صاروا شحاذين بلا مأوى. لقد فقد قومي كلّ أملٍ وانقلبوا على الآلهة نفسها، يقضون ليالهم في الشكر والبغاء».

- «والقتل. أبناء الهاربي قتلوا ثلاثين ليلة البارحة».
- «يُحزني سماع هذا. سبب أَدعى لإطلاق سراح النَّبيل هيزدار زولوراكي الذي أوقفَ القتل من قبل».
- وكيف حقَّق ذلك ما لم يكن هو نفسه الهاربي؟ «صاحبة الجلالة أعطت يدها لهيزدار زولوراكي وجعلته ملكها وزوجها وأعدت الفَنَّ المميت كما ناشدها، ومقابل هذا أعطها جرادًا مسمومًا».
- «مقابل هذا أعطها السَّلام. لا تُطح به أيها الفارس، أنوسلُ إليك. السَّلام لؤلؤة لا تُقدَّر بثمن. هيزدار من بني لوراكي، ومستحيل أن يُلوَّث يديه بالسُّم. إنه بريء».
- «وكيف تضمين ذلك؟». ما لم تكوني تعرفين المسمِّم.
- «ألهة (جيس) أخبرتني».
- «ألهتي (السَّبعة)، وحتى الآن (السَّبعة) صامتون في هذا الصَّد. هل قدَّمتِ عرضي يا صاحبة الحكمة؟».
- «لجميع أسياد وقادة (يونكاي) كما أمرتني... لكنني أخشى أن جوابهم لن يُعجبك».
- «رفضوا؟».
- «رفضوا. قالوا لي إن لا مبلغ من الدَّهب سيشتري رجالك. وحدها دماء التَّنينين ستُحرِّرهم».
- زَمَّ السير باريستان فمه. إنه الجواب الذي توقَّعه، وإن لم يكن الجواب الذي تمناه.
- تابعت جالازا جالار: «أعلمُ أنه ليس الكلام الذي رغبت في سماعه، ومع ذلك أنا متفهِّمة عن نفسي. التَّنانين وحوش مرعبة. (يونكاي) تخشاها... ولسببٍ وجيه، لا يُمكنك إنكار هذا. تاريخنا يحكي عن سادة التَّنانين الذين أتوا من (فاليريا) الرَّهيبية والدَّمار الذي أنزلوه بشعب (جيس القديمة). حتى ملكتك الشَّابة، دنيرس الحسناء التي تُسمِّي نفسها أم التَّنانين... لقد رأيناها تحترق يومها في الحلبة... حتى هي لم تسلم من ثورة التَّنين».
- «جلالته لم... إنها...».

قاطعته والعبرات تلتمع وراء بُرقعها: «... ميته. فلتمنَّ عليها الآلهة بالكرى الحلو. دَع تَينِها يموتان أيضًا».

كان السير باريستان يبحث عن ردِّ عندما سمع وقع خطواتٍ ثقيلة، ثم انفتَح الباب بعُنفٍ واندفع سكاهاز مو كانداك داخلًا مع أربعةٍ من وحوشه النُّحاس، ولمَّا حاول جرازار اعتراض طريقه دفع الصَّبي جانبًا بقوة.

في الحال قام السير باريستان متسائلًا: «ما الخطب؟».

زمجرَ الرَّأس الحليق: «المجانق، ستَّتها في آنٍ واحد».

نهضت جالازا جالار قائلَّة: «هكذا يردُّ اليونكيُّون على عرضك أيها الفارس. لقد حدَّرتك من أن جوابهم لن يُعجبك».

اختاروا الحرب إذن. ليكن. شعرَ السير باريستان براحةٍ غريبة. الحرب شيء يفهمه. «إذا كانوا يحسبون أنهم سيكسرون إرادة (ميرين) بإلقاء الحجارة...».

قالت العجوز بصوتٍ أفعمه الأسى والخوف: «ليست حجارةً. إنها جُثث».



دنيرس

التُّلُّ جزيرة حجرية في بحر من الأخضر.
استغرقت داني في نزوله نصف الصباح، وحين بلغت السفح أخيراً كانت تلهث من المجهود وتؤلّمها عضلاتها وتحسُّ بداية أعراض حُمى. كَشَطَت الصُّخُور يديها وسحجتهما، لكنها قالت لنفسها بحسم إذ داعبت نَفْطَةً مفتوحة بأصابعها: صارتا أحسن من ذي قبل. أصبحت بشرتها وردية رقيقة، وثمة سائل لبني شاحب ينزُّ من شقوق كفّيها، لكن حروقها بدأت تلتئم.
يبدو التُّلُّ أكبر من هنا بالأسفل. تعودت داني أن تُسميه (دراجونستون) على اسم القلعة العتيقة التي وُلِدَت فيها. ليست تملك ذكرياتٍ عن (دراجونستون) تلك، لكن هذه لن تغيب عن ذاكرتها قريباً. تُغَطِّي الحشائش والشُّجيرات الشائكة منحدرات التُّلِّ السُّفلية، وبالأعلى ترتفع أكوام من الصُّخور الجرداء المحزّزة بحدّة إلى السَّماء. هناك، بين الجلاميد المحطّمة والتّواءات القاطعة كالأمواس والقمم المستدقّة، أقام دروجون عرينه داخل كهفٍ ضحل، وعندما رأت داني التُّلُّ أول مرّة أدركت أنه قاطن هناك منذ مُدَّة. في الهواء رائحة رَماد، وكلُّ صخرة وشجرة في مرمى البصر مسفوعة مسوّدّة، والأرض مكسوّة بالعظام المحروقة المكسّرة، لكنه جعل من المكان داره.
وداني عليمة بفتنة الدِّيار.

قبل يومين، بينما تتسلّق قَمَّةً صخريةً، لمحت ماءً إلى الجنوب، خيطاً رفيعاً التمع فترةً وجيزةً في ضوء الشَّمس الغاربة. جدول. صغير، لكنه سيقودها إلى جدولٍ أكبر، وذلك الجدول سيصبُّ في نهرٍ صغير، وكلُّ الأنهار في

هذا الجزء من العالم روافد لـ(السكاهازاذان)، وما إن تجد (السكاهازاذان) فعلها فقط أن تتبّع مجراه إلى (خليج النحاسين).

تُحبّد داني بالطّبع أن تعود إلى (ميرين) على جناحيّ التّنين، إلّا أن دروجون لا يُشاركها هذه الرّغبة على ما يبدو.

في (فاليريا) القديمة تحكّم سادة التّنانين في مطاياهم بالأبواق السّحريةّ والتّمائم التي تربطها بإرادتهم، أمّا دنيرس فتتدبّر أمرها بكلمةٍ وسوط. كثيرًا ما تشعُر وهي على متن التّنين كأنها تتعلّم الرّكوب من أول وجديد. إذا ضربت فرسها الفضيّة بالسّوط على جانبها الأيمن ذهبّت يسارًا، ذلك أن غريزة الحصان الأولى أن يفرّ من الخطر، لكن إذا ضربت دروجون على جانبه الأيمن انحرف يمينًا، ذلك أن غريزة التّنين الأولى دومًا أن يُهاجم. أحيانًا لا يبدو مهمّمًا أين تضربه، إذ يذهب تّنينها حيثما يُريد ويأخذها معه، وبغضّ النّظر عن الكلمات أو السّوط لا يدور دروجون إذا لم تكن لديه رغبة في الدّوران. بعد فترةٍ أدركت داني أن السّوط يُصيبه بالضّيق أكثر من الألم، وقد صارت حراشفه أصلب من القرون.

ولا تهتمّ المسافة التي يطيرها التّنين كلّ يوم، فمع حلول المساء يعود دومًا إلى داره في (دراجونستون) منساقًا وراء غريزةٍ ما. داره هو لا داري. دارها هي في (ميرين) مع زوجها وعشيقها. إلى هناك تنتمي قطعًا. وإصلي المشي. إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة.

صاحبّتها الذّكريات في مشيها؛ سحب رآته من أعلى، وخيول صغيرة كالتملّ تعدو في العشب، وقمر فضّي تكاد من قربه تمسّه، وأنهار تندفق زرقاء بارقةً في الشّمس. هل سأرى مشاهد كهذه ثانية؟ على متن دروجون تحسّ بالكمال، في السّماء لا تقدر محن العالم على لمسها. كيف يُمكنها التخلّي عن هذا؟

غير أن الوقت حان. الفتاة قد تقضي حياتها في اللّعب، لكنها امرأة بالغة، ملكة، زوجة، أم لألوف، وأطفالها محتاجون إليها. لقد انصاع دروجون للسّوط، ويجب أن تحذو حذوه. عليها أن تعتمر تاجها مجددًا وتعود إلى دكّتها الأبنوس وذراعيّ زوجها النّيبيل. هيز دار صاحبّ القبلات الفاترة.

الشمس حارة هذا الصباح، والسَّماء زرقاء صافية. لا بأس، فثياب داني ليست أكثر من أسمال لا تمدّها إلا بالنَّزْر اليسير من الدَّفء. في أثناء طيرانها الجامح من (ميرين) انزلت إحدى فردتي صندلها، والأخرى تركتها بالأعلى عند كهف دروجون مفضّلة أن تمشي حافيةً على انتعال فردة واحدة. كانت قد تخلّت عن التوكّار والبُرّقع في الحلبة، وقميصها التّحتي الكتّان ليس مصنوعاً لاحتمال أنهُر (بحر الدوثرافي) الحارّة ولياليه الباردة، كما لوّثه العرق والعُشب والثرى، ومزقت داني شريطاً من حاشيته لتصنع ضمادةً لقصبة ساقها. مؤكّدة أنني أبدو في حالٍ مزرية، لكن إذا ظلّ النّهار دافئاً فلن أتجمّد. كانت إقامتها المؤقّته ها هنا مفعمةً بالوحدة، وقصّت معظمها في ألم وجوع... وعلى الرغم من ذلك سكتتها سعادة غريبة خلالها. قليل من الألم ومعدة خاوية وليالٍ باردة... فيم بهم كل هذا إن كنت تستطيع الطيران؟ لو عاد بي الزّمن لأعدت الكرة.

قالت لنفسها إن جيّكوي وإيري منتظران على قمّة هرمها في (ميرين)، وكذا مُترجمتها العذبة ميسانداي وسُقاتها الصّغار. سيجلبون لها الطّعام وتستحمّ في البركة تحت شجرة التّين الكاكي، وسيكون جميلاً أن تشعُر بالنّظافة من جديد، فليست محتاجةً إلى مرآة لترى أنها متّسخة تماماً.

كما أنها جائعة. ذات صباح وجدت بعض البصل البرّي النّامي في منتصف المنحدر الجنوبي، ولاحقاً في اليوم نفسه وجدت نوعاً محمراً مورقاً من الخضراوات قد يكون صنفاً غريباً من الكرنب، لكن أياً كان فإنه لم يُتعب معدتها. باستثناء هذا، والسّمكة الوحيدة التي اصطادتها من البركة التي يُغذيها ينبوع خارج كهف دروجون، فقد اقتاتت قدر الإمكان بفضالة التّين، بالعظام المحروقة وقطع اللّحم السّاخن نصف المتفحّمة ونصف النيئة. كانت تعلم أنها تحتاج إلى المزيد، وفي يوم ركّلت جمجمة خروفٍ مكسورة بجانب قدمها الحافية لتسقيطها على جانب التّل، وإذ شاهدتها تتوّب على المنحدر العالي نحو بحر الكلا أدركت أن عليها أن تتبعها.

بدأت داني رحلتها بخطى حثيثة شاعرةً بدفء التّربة بين أصابع قدميها، تمشي بين أعواد العُشب التي تُناهزها طولاً مفكّرة: لم يبدُ مرتفعاً هكذا حين امتطيتُ فرسي الفضيبّة وركبتُ إلى جوار شمسي ونجومي على رأس

كالاساره. إذ مَشَتْ نَفَرَت على فخذها بكَرْباج متعهَّد الحلبه، الذي لم تأخذ من (ميرين) إِيَّاه والخِرْق على بدنِها.

مع أنها تمشي في مملكةٍ من الأخضر فهذه ليست خُضرة الصَّيف النَّاضرة اليانعة. حتى هنا جعل الخريف وجوده محسوسًا، والثَّناء مقبل بسرعة. العُشب الآن أكثر شحوبًا مما تذكُر، خُضرتَه باهتة سقيمة على شفا الاصفرار، وبعدها يأتي دور البُنِّي. العُشب يموت.

ليست هذه أول مرَّة ترى فيها دنيرس تارجارين (بحر الدوثرافي)، محيط الكلا العظيم الذي يمتد من (غابة كوهور) إلى (الجبل الأم) و(رحم العالم). سبقت لها زيارته عندما كانت فتاةً حديثة الزواج بالكال دروجو، في طريقها إلى (فايس دوثراك) لتمثل أمام حيزبونات الدوش كالين. آنذاك خلب لُبها منظر كل هذا العُشب الوارف المنبسط أمامها. كانت السَّماء زرقاء والعُشب أخضر، وكنتُ مفعمةً بالأمل. وكان معها السير چورا، دُبها العجوز الخشن، وتحظى بعناية إيرري وچيكونوي ودوريا، وتجد شمسها ونجومها يحتويها ليلاً، وفي بطنها ينمو طفلها. ريجو، كنتُ سأسميه ريجو، وقالت حيزبونات الدوش كالين إنه سيكون الجواد الذي يمتطي العالم. منذ أيامها التي يكاد النسيان يطويها في (برافوس)، حين عاشت في المنزل ذي الباب الأحمر، لم تشعُر بتلك السَّعادة.

لكن في (القفر الأحمر) استحالت سعادتها إلى رماد. سقطَ شمسها ونجومها من فوق حصانه، وقتلت المايجي ميري ماز دور ريجو في رحمها، وكنمت داني أنفاس الهيكل الفارغ الذي صارَه الكال بيديها، وبعدها تحطمت كالاسار دروجو العظيم. سمى الكو پونو نفسه الكال پونو وأخذ معه خيالةً وعبيدًا عديدين وغادر، وسمى الكو چهاكو نفسه الكال چهاكو وغادر بأعدادٍ أكبر، واغتصب خيال دمه المسمى ماجو الفتاة إيررو وقتلها، الفتاة نفسها التي أنقذتها منه دنيرس من قبل. وحده ميلاد تانينها وسط نار ودُخان محرقة جنازة الكال دروجو جنبها أن نُجِرَّ هي نفسها إلى (فايس دوثراك) لتقضي ما تبقى من حياتها بين حيزبونات الدوش كالين.

حرقَت النَّار شعري، لكنها باستثناء ذلك لم تمسني. لم يختلف الأمر في (حلبة دازناك). هذا القدر تذكُرُه، ولو أن كثيرًا مما تلاه مشوش مبهم. أناس

كثيرون للغاية يَصْرُخون ويتدافعون. تَذُكُرُ خيولًا ثائرةً وعربة طعام تنقلب فيسْقُط ما عليها من سَمَام، ومن أسفل أتت حربة محلقة، يتبعها سرب من سهام النَّشَائِيَّات، ومرَّ أحدها على مقربةٍ بالغة من داني حتى إنها شعرت به يمسُّ وجنتها، في حين ارتدت السَّهام الأخرى عن حراشف دروجون أو انغرست بينها أو اخترقت غشاء جناحيه. تَذُكُرُ التَّيْنِ يتلوَّى من تحتها مرتجفًا من الصَّدَمَات وهي تشبِّثُ باستماتةٍ بظَّهره الحشفي. كان الدُّخان يتصاعد من جروحه، ورأت داني أحد السَّهام المغروسة يشتعل فجأةً، وآخر يسْقُط وقد خلخلته ضربات الجناحين. بالأسفل رأت أناسًا يدورون وقد شبَّ فيهم اللهب، يرفعون أيديهم في الهواء كأنما استبدت بهم آلام رقصةٍ مجنونة. ثَمَّة امرأة في توكار أخضر مدت يديها إلى طفل باكٍ وضمته بذراعيها لتقيه من النَّار. رأت داني اللون بوضوح لكنها لم تر وجه المرأة. كان النَّاس يدوسونها إذ انطرحت والطفل أرضًا على القرميد، بعضهم مشتعل نارًا.

ثم خبا كل هذا. خفَّت الأصوات وتقلَّص النَّاس وسقطت السَّهام والحِراب من تحتها إذ أنشَبَ دروجون مخالبه في السَّماء. إلى أعلى وأعلى وأعلى حملها، عاليًا فوق الأهرام والحلبات، جناحاه منبسطان يضربان الهواء الدَّفافي المنبعث من قرميد المدينة الذي تلفحه الشَّمس. لحظتها فكَرَّت: إذا سقطتُ ومِتُّ فالتَّجربة لا تزال تستحق.

شمالًا طارا متجاوزين النَّهر، يُحلِّق دروجون بجناحين ممزَّقين وسط سحاب يُرْفِرِف كرايات جيشٍ شبحي. لمحت داني سواحل (خليج النخَّاسين) والطَّرِيق القالييري القديم الممتد بمحاذاته وسط الرِّمال الخلاء إلى أن اختفى في الغرب. الطَّرِيق إلى الوطن. ثم ما عادَ تحتها إلا الكلاء الممتوج في الرِّيح.

كم مضى منذ حلقتُ أول مرَّة؟ ألف عام؟ أحيانًا يبدو لها أن تلك المُدَّة مرَّت بالفعل.

اشتدَّت حرارة الشَّمس مع ارتفاعها في السَّماء، ولم يمض وقت طويل قبل أن يبدأ رأسها يدقُّ. كان شعرها قد عادَ يَنْبُت، ولكن ببطء. قالت بصوت عالٍ: «أحتاج إلى قُبعة». فوق (دراجونستون) حاولت أن تصنع لنفسها واحدة بتضفير أعواد العُشب معًا كما رأت نساء الدوثرافي يفعلن خلال وقتها مع

دروجو، لكن إِمَّا أنها استخدمت نوعاً خطأ من العُشب وإِمَّا أنها -ببساطة- تفتقر إلى المهارة المطلوبة، فتفسّخت قُبَعاتها كلها بين يديها. قالت لنفسها: حاولي ثانيةً. ستبئين بلاءً أحسن المرّة القادمة. أنتِ دم التين، يُمكنك أن تصنعي قُبَعَةً. وهكذا حاولت وحاولت، لكن محاولتها الأخيرة لم تكن أنجح من الأولى.

كان الأصيل قد حلَّ حين وصلت إلى الجدول الذي أبصرته من فوق التلّ. وجدته غديرًا ضيقًا للغاية، ليس أعرض من ذراعها... وذراعها ازدادت نحولاً مع كلِّ يوم قضته فوق (دراجونستون). ملأت داني كفها بالماء ورشّت به وجهها، وعندما شبكت يديها على سبيل الكوب احتكت مفصل أصابعها بالطمي في قاع الغدير. كانت لتتمنى أن تجد ماءً أبرد وأصفى... لكن لا، إن كانت ستعلق آمالها على التمني فلتتمنّ النجدة.

ما زالت متمسكةً بأمل أن يسعى وراءها أحد. قد يأتي السير باريستان يبحث عنها، فهو أول رجال حرسها الملكي ومقسم على الدفاع عنها بحياته، و(بحر الدوثرافي) ليس غريباً على خيالة دمها الذين رهنوا حياتهم بحياتها، وقد يرسل زوجها النبيل هيزدار زو لوراك من يبحث عنها. وداريو... تخيلته داني راكباً نحوها عبر العُشب الطويل، يتسم فتبرق سنه الذهب في ضوء الشمس الغاربة.

إلّا أن داريو رهينة عند اليونكيين لضمان ألا يُصيب قادتهم أذى. داريو وهيرو، وچوجو وجروليو، وثلاثة من أهل هيزدار. مؤكّد أن اليونكيين أطلقوا سراح الرهائن جميعاً بالفعل، ولكن...

تساءلت إن كان سلاحاً قائدها ما زالاً معلقين إلى جوار فراشها في انتظار أن يعود داريو ويستردهما. حين أعطاهما لها قال: «سأترك فتاتي معك. حافظي على سلامتهما من أجلي يا محبوبتي». وتساءلت كم يعلم اليونكيون عن قيمة قائدها عندها. يوم إرسال الرهائن ألقت هذا السؤال على السير باريستان، فأجابها: «مؤكّد أنهم سمعوا الكلام، بل وربما يكون نهاريس قد تباهى بـ... بتقدير جلالتك... العظيم... له. أستميحك العذر في قلبي هذا، لكن التواضع ليس من فضائل القائد. إنه فخور للغاية بـ... ببراعته في المبارزة».

تعني أنه يتباهى بالنوم معي. لكن لا يُعقل أن يكون داريو بالحماقة التي تجعله يتباهى بهذا بين أعدائها. لا يهم. مؤكّد أن اليونكيين يزحفون عائدين من حيث أتوا بالفعل. لهذا فعلت كل ما فعلته، في سبيل السلام.

التفتت تنظّر إلى حيث بدأت رحلتها، إلى (دراجونستون) المرتفعة فوق أراضي العُشب كقبضة مضمومة. تبدو قريبة للغاية. أمشي منذ ساعاتٍ ومع ذلك تبدو كأن بإمكانني أن أمدّ يدي وألمسها. لم يفت أوان العودة. ثمّة أسماك في البركة التي يُغذيها ينبوع عند كهف دروجون، وقد اصطادت واحدة في يومها الأول هناك ويُمكنها أن تصطاد المزيد، كما أن هناك بقايا العظم المتفحّم الذي تبقى عليه القليل من اللحم، ما يُخلّفه دروجون مما يقتله.

لا. إذا نظرتُ ورائي فأنا ضائعة. قد تحيا أعوامًا بين صخور (دراجونستون) التي تُلهبها الشمس، تمتطي دروجون نهارًا وتلوك فُضالته كل مساءً فيما يستحيل العُشب العظيم من الذهبي إلى البُرتقالي، لكن تلك ليست الحياة التي وُلدت لتعيشها، وهكذا عادت تُدير ظهرها للتلّ البعيد وصمّت أذنيها عن أنشودة الطيران والحرية التي تُردّها الرياح إذ تتلاعب بين أخاديد التلّ الحجرية. حسب أفضل تقدير لديها يسري الغدير في جهة الجنوب والجنوب الغربي، وقد اتبعتة مخاطبةً إياه في قرارة نفسها: خذني إلى النهر، لا أطلب منك إلا هذا. خذني إلى النهر وسأتولّى الباقي.

مرّت الساعات ببطء. انعطفت الغدير في هذا الاتجاه وذاك، وأتبعته داني جاعلةً لمرور الوقت إيقاعًا بنقر ساقها بالسوط، تُحاول ألا تُفكّر في المسافة التي عليها أن تقطعها أو في دقات رأسها أو في معدتها الخاوية. خذي خطوة. خذي التالية. خطوة أخرى. أخرى. وماذا يُمكنها أن تفعل غير ذلك؟

بحرها هادئٌ للغاية. حين تهبُّ الرّيح يتنهد الكلا إذ تتماسّ سوقه ويهمس بلُغة لا يفهمها إلا الآلهة، وبين الفينة والفينة يُبقي ماء الغدير الصّغير أينما سرى حول حجر، وينهرس الطمي بين أصابع قدميها. حولها تطنّ حشرات؛ يعاسيب كسول ودبابير خضراء لامعة وهاموش لادغ يكاد من دقة حجمه لا يُرى، ومتى حطّت على ذراعيها ذبّتها بذهن شارد. في مرّة صادفت جرّداً يشرب من الغدير، لكنه لاذّ بالفرار حين رآها وهرع يخفي بين أعواد العُشب

الطويلة. أحياناً تسمع طيوراً تُغرد فيجعل الصوت بطنها يُقرقر، لكنها لا تحمل شبكة تصطادها بها، وحتى الآن لم تر أعشاشاً. في الماضي حلمت بالطيران، والآن وقد طرتُ صرتُ أحلمُ بصيد البيض. أضحككتها الفكرة، وقالت للعُشب: «البشر مجانين والآلهة أكثر جنوناً»، فغمغم العُشب مؤيداً.

ثلاث مرّات يومها لمحت دروجون. في الأولى كان بعيداً جداً كأنه نسر ينسلُّ إلى داخل السُحب البعيدة وخارجها، لكن داني باتت تحفظ شكله وتتعرفه حتى إذا كان مجرد نقطة في السماء. وفي الثانية مرّ أمام الشمس باسطاً جناحيه الأسودين فأظلم العالم لحظات. وفي المرّة الأخيرة طار فوقها مباشرةً على مقربةٍ شديدة حتى إنها سمعت خفقان جناحيه. للحظةٍ أو دونها خطر لداني أنه يسعى لصيدها، لكنه واصل طيرانه من دون أن يلحظها واختفى في مكانٍ ما في الشرق، ففكرت: لا بأس.

كاذ المساء يُباغتها. بينما انزلت الشمس علي ذرى (دراجونستون) البعيدة عثرت داني على جدارٍ حجري واطى محطّم تنمو عليه الطحالب بكثافة. ربما كان جزءاً من معبدٍ أو قاعة زعيم قرية. رأت المزيد من الأطلال وراءه، بئراً قديمةً ودوائر في العُشب تدل على البقاع التي احتلتها الأكواخ فيما سبق. قدّرت أنها كانت مبنيةً بالطين والقش، لكن أعوام الرّيح والأمطار الطويلة أبلتها حتى محتها. وجدت داني ثمانية قبل غياب الشمس، لكن قد يكون هناك المزيد على مسافةٍ أبعد ويُخفيه العُشب.

احتمل هذا الجدار الحجري أكثر من غيره، ومع أنه لا يزيد على الأقدام الثلاثة ارتفاعاً فمن شأن الزاوية التي يلتحم فيها بجدارٍ آخر أقصر أن تمدّها بشيءٍ من الحماية من عوامل التعرية، واللّيل يدنو بسرعة. حشرت داني نفسها في هذا الركن صانعةً لنفسها عُشاً - إن جاز التعبير - عن طريق تمزيق العُشب النامي حول الأطلال وتغطية نفسها به. إرهابها بالغ، وعلى كلتا قدميها ظهرت قروح جديدة، بما فيها اثنان متماثلان على إصبعي قدميها الصغيرين. قالت لنفسها مقهقهة: لا بدّ أن طريقة مشبي السّبب.

إذ أظلم العالم استقرت داني في مكانها وأسبلت جفنيها، لكن النّوم أبي أن يأتي. الليل بارد، والأرض صلبة، ومعدتها خاوية. وجدت نفسها تُفكر في (ميرين)، في حببيها داريو وزوجها هيزدار، في إيرى وچيكيوي والعذبة

ميسانداي، في السير باريستان ورزناك والرأس الحليق سكاهاز. هل يخشون أي مت؟ لقد طرقت على ظهر التين، فهل سيحسبون أنه أكلني؟ تساءلت إن كان هيزدار لا يزال ملكًا. لقد استمدت تاجه من تاجها، فهل يستطيع الحفاظ عليه في غيابها؟ أراد قتل دروجون. لقد سمعته. صرخ: «اقتلوه، اقتلوا الوحش»، والنظرة على وجهه كانت نظرة شبق. ولبواس القوي كان على ركبته يتقيًا ويرتعد. كان سُمًا، مؤكّد أنه كان كذلك. الجراد المحلي بالعسل. هيزدار ألح عليّ أن أجريه، لكن لبواس التهمه كله. لقد جعلت هيزدار ملكها وأخذته إلى فراشها وفتحت حلقات القتال من أجله، أي أن لا سبب يدعو إلى الرغبة في موتها، لكن من غيره يُمكنه أن يفعلها؟ القهر مان العاطر رزناك؟ اليونكيون؟ أبناء الهاربي؟

في مكانٍ ما بعيد عوى ذئب، فأشعرها الصوت بالشجن والوحشة، لكنه لم يُقلل من جوعها.

أخيرًا، إذ ارتفع القمر فوق أراضي الكلا، استسلمت داني لنوم مضطرب. وحلمت. انجابت همومها وآلامها جميعًا عنها، وبدا كأنها تطفو إلى السماء بالأعلى. من جديد طارت، دارت، ضحكت، رقصت، ومن حولها لفت النجوم وهمست في أذنها بالأسرار. «لتذهبي شمالًا يجب أن ترتحلي جنوبًا، لتبلغني الغرب يجب أن تذهبي إلى الشرق، لتمضي قدمًا يجب أن تعودني أدراجك، وكى تمسي النور عليك أن تمرّي تحت الظل».

نادت داني: «كويث؟ كويث، أين أنت؟».

ثم إنها رأتها. قناعها من نور النجوم.

وهمست لها النجوم بصوت امرأة: «تذكرني من تكونين يا دنيرس. التنانين

تعلم، فهل تعلمين؟».

استيقظت في الصباح التالي متوجعة متخشبة العضلات والنمل يزحف على ذراعها وساقها ووجهها. حين أدركت ماهيته أسرعت تزيح سوق العشب البني الجاف التي صنعت منها فراشها وغطاءها ونهضت بصعوبة. وجدت جسدها كله مغطى بلسعات حمراء صغيرة ملتهبة تستحكها، فسألت نفسها: من أين أتى كل هذا النمل؟ نفصته عن ساقها وذراعها وبطنها، ومررت يدها على فروة رأسها حيث احترق شعرها وشعرت بالمزيد من

النمل هناك، وبواحدةٍ تزحف على مؤخره عنقها. هذا أيضًا نفصته وسحقته
بقدميها الحافيتين. نمل كثير للغاية...

وأتضح أن كتيبه على الجانب الآخر من جدارها. تساءلت كيف استطاع
النمل أن يتسلقه ويجدها، فمؤكّد أن بالنسبة إليه ترتفع الحجارة المتهدّمة
شاهقة كـ(الجدار) في (وستروس). كثيرًا ردّد أخوها فسيرس: أكبر جدارٍ في
العالم، واعتاد أن يقولها بفخر كأنه شيده بنفسه.

حكى لها فسيرس حكاياتٍ عن فرسان عاشوا في فقرٍ مدقع لدرجة أنهم
لم يجدوا مكانًا ينالون فيه قسطًا من النوم إلاّ تحت الشجيرات العتيقة النامية
على طرق (الممالك السبع) الجانيّة، وكانت داني لتدفع ثمنًا باهظًا مقابل أن
تجد شجيرةً كثيفةً تام تحتها. وحبذا لو كانت دون كتيب نمل.

كانت الشمس في بداية رحلة الشروق، وفي السماء الزرقاء الداكنة ثمة
بضع نجوماتٍ لامعة. لعلّ إحداها الكال دروجو الجالس على جواده الناري
في أراضي الليل يبتسم لي من أعلى. ما زالت (دراجونستون) ظاهرةً فوق
الكلأ. تبدو قريبةً للغاية. لا شكّ أنني ابتعدتُ فراسخ عديدةً، لكنها تبدو
كأنني أستطيعُ العودة إليها في غضون ساعة. أرادت أن تتمدّد من جديدٍ
وتغمض عينيها وتعود إلى النوم. لا، عليّ أن أوصل المشي. الغدير، اتبعي
الغدير.

استغرقت داني لحظةً لتتأكد من اتّجاهاتها، فلن ينفعها أن تسير في الطريق
الخطأ وتفقد غديرها. بصوتٍ عالٍ قالت: «صديقي، إذا ظللتُ قريبةً من
صديقي فلن أضلّ الطريق». كانت لتنام إلى جوار الماء إذا جرّوت، لكن هناك
حيواناتٍ تأتي إلى الغدير ليلاً لتشرب، وقد رأيت آثارها. ستكون داني بمثابة
وجبة زهيدة لذئبٍ أو أسد، لكن الوجبة الزهيدة أفضل من لا شيء.

ما إن تيقنت من اتّجاه الجنوب بدأت تُحصي خطواتها، وظهر الغدير
عند الخطوة الثامنة. ضمت داني يديها لتشرب، وبعد أن شربت أصابها الماء
بانقباضاتٍ في معدتها، لكن الانقباضات أسهل احتمالاً من العطش، وليس
لديها شيء آخر تشربه إلاّ الندى الملتصق على أعواد العُشب، ولا طعام على
الإطلاق ما لم تُجرّب أكل العُشب نفسه. يُمكنني أن أحاول أكل النمل. النمل
الأصفر أصغر من أن يُزوّد بها بأيّ تغذية، لكن في العُشب نملاً أحمر أكبر.

قالت وهي تتقدّم عارجةً بمحاذاة غدیرها المتعرّج: «أنا ضائعة في البحر،
ربما إذن أجدُ بعض السراطين أو سمكةً سمينةً».
مضت ووسطها يطقّط على فخذها بخفوت. خطوةً بعد خطوةً وسيقودها
الغدیر إلى الدیار.

بُعید انتصاف النَّهار صادفتُ شجيرةً ناميةً إلى جوار الغدیر، فروعها
الملتوية مغطاةً بالتُّوت الأخضر الصُّلب. ضيّقت داني عينيها راقمةً إياه بشكٍّ،
ثم اقتطفت واحدةً وقضمت منها، فوجدتها مضاعغةً لاذعةً، وخلفت في فمها
مذاقاً مرّاً بدا لها مألوفاً. قالت حازمةً أمرها: «كانوا يستخدمون مثل هذا التُّوت
في الكالاسار لتنكيه الشواء»، ولما قالتها بصوتٍ مرتفع ازدادت ثقتها بهذا.
قرقر بطنها، ووجدت داني نفسها تقطف التُّوت بكلتا يديها وتلقيه في فمها.
وبعد ساعةٍ بدأ بطنها ينقبض بشدّةٍ لدرجة أنها لم تستطع مواصلة المشي،
وقضت بقيّة هذا النَّهار في تقيؤ مادّةٍ خضراء لزجة. سأموت إذا بقيت هنا.
ربما أموت الآن بالفعل. هل سيشتقُّ إله الدوثرافي الحصان العُشب ويأخذها
لتصبح جزءاً من كالاساره النجمي لتركب في أراضي اللَّيل مع الكال
دروجو؟ في (وستروس) كانوا يُعطون موتى عائلة تارجارين للنَّار، لكن من
سيشعل لها محرقةً هنا؟ بحزنٍ فكّرت: سيطعم لحمي الذئب وغربان الجيف
ويَنخرُ الدُّود رحمي. عادت عيناها إلى (دراجونستون) فوجدتها أصغر،
ورأت الدُّخان ينبعث من قمّتها التي نحتتها الرِّيح على بُعد أميالٍ وأميال. عادَ
دروجون من الصَّيد.

حلَّ عليها الغروب وهي مقرّفة في العُشب تننُّ بشدّة. ازداد ما يخرج
من أحشائها سيباناً وفاحت منه رائحة أشنع، ولدى طلوع القمر كانت تبرز
ماءً بنيّاً. كلِّما شربت أكثر تبرزت أكثر، لكن كلِّما تبرزت أكثر اشتدَّ عطشها
وأرسلها تزحف إلى الغدیر لتشرب المزيد.

وحين أغلقت عينيها أخيراً لم تدرِ داني إن كانت ستجد في نفسها القدرة
على فتحهما ثانيةً.

ليلتها حلمت بأخيها الميت.

ظهر لها فُسيرس كما رآته آخر مرّة، فمه ملتوٍ من الألم المبرِّح، وشعره

محروق، ووجهه أسود يتصاعد منه الدخان حيث سأل الذهب المصهور على
جبهته ووجنتيه وفي عينيه.

قالت داني: «أنت ميت».

- قتل. على الرغم من أن شفثيه لم تتحرّك فبوسيلة ما سمعت صوته
يهمس في أذنها. لم تبكي قط يا أختاه. قسوة أن يموت المرء ولا يبكيه أحد.
- «لقد أحببتك ذات يوم».

بمرارة جعلتها ترتجف قال: ذات يوم. كان المفترض أن تُصباحي زوجتي،
أن تحملي لي أطفالاً شعرهم فضي وأعينهم أرجوانية، أن تُحافظي على نقاء
دم التين. لقد اعتيت بك، علمتك من تكوينين، أطعمتك، بعثتُ تاج أمنا لكي
لا تجوعي.

- «لقد آذيتني، روعتني».

- فقط إذا أيقظت التين. لقد أحببتك.

- «بل بعثني، خنتني».

- لا، إنما أنت الخائنة. أنت انقلبت عليّ، على لحمك ودمك. لقد
خدعوني، زوجك أبو حصان وبرايرته كرهو الرائحة. كانوا مخادعين
كاذبين، وعدوني بتاج من ذهب وأعطوني هذا. قالها أخوها ماساً الذهب
المصهور السائل على وجهه، وتصاعد الدخان من إصبعه.

قالت داني: «كنت ستحظى بتاجك. كان شمسي ونجمي سيظفر لك به
لو أنك انتظرت فقط».

- انتظرت بما فيه الكفاية، طوال حياتي انتظرت. كنت ملكهم، ملكهم
الشرعي، وضحكوا مني.

- «كان يجدر بك البقاء في (بنتوس) مع الماچستير إليريو. كان على الكال
دروجو أن يُقدمني للدوش كالين، لكنك لم تكن مضطراً إلى المجيء معنا.
كان هذا خيارك، خطأك».

- هل تُريدن إيقاظ التين أيتها العاهرة الحمقاء؟ كالا سار دروجو كان
لي. لقد اشتريتهم منه، مئة ألف خيال صارخ، دفعتُ ثمنهم ببيكارتك.

- «لم تفهم قط. الدوثرافي لا يبيعون ويشترون، بل يمنحون الهدايا
ويقبلونها. لو أنك انتظرت...».

- لقد انتظرتُ، انتظرتُ تاجي وانتظرتُ عرشي وانتظرتُك، كلُّ هذه السنين ظللتُ منتظرًا وفي النهاية ما نلتُ إلا ملء جرة من الذهب المصهور. لماذا أعطوك أنتِ بيضات التناين؟ كان المفروض أن تصير لي. لو كان عندي تين لعلمت العالم معنى كلماتنا.

بدأ فسيرس يضحك إلى انسلخ فكه عن وجهه باعثًا الدخان وسأل الدم والذهب من فمه.

ولمَّا استيقظت دنيرس شاهقةً وجدت فخذيهما ملطختين بالدم. للحظة لم تُدرك ماهيته. كان العالم قد بدأ يُضيء للتو والعشب الطويل يحفُّ في الرِّيح. لا، أرجوك، دعني أنام أكثر. إنني متعبة للغاية. حاولت أن تغوص تحت كومة العُشب الذي مزقته قبل الخلود إلى النوم، وشعرت ببعض الشوق مبتلاً. هل أمطرت السماء ثانية؟ اعتدلت تجلس خاشيةً أنها تبرزت على نفسها في نومها، ولمَّا قرَّبت أصابعها من وجهها شمَّت رائحة الدم. أتراني أحتضر؟ ثم إنها رأت الهلال الشاحب طافياً في السماء فوق العُشب، وخطر لها أنه نزيها القمري لا أكثر.

لو لم تكن مريضةً خائفةً لأشعرها هذا بالراحة، لكنها بدلاً من ذلك بدأت ترتعش بعنف. فركت أصابعها في التراب وأمسكت حفنةً من العُشب لتمسح بين ساقها. التين لا يبكي. إنها تنزف، لكنه دم أنثوي لا أكثر. إلا أن القمر لا يزال هلالاً، فكيف يُمكن ذلك؟ حاولت أن تتذكَّر آخر مرَّة نزفت. البدر التام السابق؟ الذي قبله؟ قبل الذي قبله؟ لا، لا يُعقل أن تلك المدة الطويلة مرَّت. قالت للعُشب: «أنا دم التين».

ردَّ العُشب همساً: كنت، إلى أن قيَّدت تينيك بالسلاسل في الظلام.

- «دروجون قتل بنتاً صغيرة. كان اسمها... اسمها...». لم تستطع داني أن تتذكَّر اسم الطفلة، وأحزنها هذا لدرجة أنها كانت لتبكي لو أن دموعها لم تحترق عن آخرها. «لن أنجب بنتاً صغيرةً أبداً. كنت أم التناين».

قال العُشب: نعم، لكنك انقلبت على أطفالك.

معدتها خالية، وقدامها متألّمتان متقرّحتان، وتحسُّ بالانقباضات تزداد سوءاً، وبطنها مليئاً بشعابين ساعية تلدغ أحشاءها. غرقت ملء يديها الرَّاغفتين من الطمي والماء. عند انتصاف النهار سيكون الماء دافئاً، لكنه أقرب إلى

البرودة الآن في برد العَجْر وساعدها على إبقاء عينيها مفتوحتين. بينما تنثر الماء على وجهها رأت دمًا جديدًا يُلَوِّث فخذيها وحاشية قميصها التَّحتي المهترئة، وأثارَ مشهد كلِّ هذا الأحمر دُعرها. قالت لنفسها: التزييف القمري، إنه زيفي القمري لا أكثر، لكنها لا تذكُر سيلان الدَّم منها بهذه الغزارة من قبل. أيُّمكن أنه الماء؟ إذا كان الماء فهي هالكة لا محالة. عليها أن تشرب أو تموت ظمًا.

حدّثت داني نفسها امرأة: «امشي، اتبعي الغدير وسيأخذك إلى (السكاهازان). هناك سيجدك داريو»، لكن مجرد نهوضها على قدميها تطلّب قوتها كلّها، ولمّا نهضت لم تستطع إلا الوقوف في مكانها محمومة تنزف. رفعت عينيها إلى السماء الزرقاء الخالية وضيقتها رامة الشمس، وأدركت مفزوعة أن نصف الصّباح انقضى بالفعل. جعلت نفسها تأخذ خطوةً، ثم أخرى، ثم عادت تمشي متبعة الغدير الرّبيع. شيئًا فشيئًا ازداد النّهار دفنًا، وانهاأت أشعة الشمس بالضرب على رأسها وبقايا شعرها المحروقة. شعرت بالماء يتناثر تحت قدميها، ووجدت نفسها تسير في مجرى الغدير نفسه. منذ متى تفعل هذا؟ أراحها ملمس الطمي البني الطّري بين أصابع قدميها وخفف ألم قروحها قليلًا. تحت منسوب الماء أو فوقه عليّ أن أواصل المشي. الماء يتدفق إلى أسفل، وسيأخذني الغدير إلى النّهر، والنّهر سيأخذني إلى الوطن. إلا أنه لن يأخذها إلى وطنها حقًا.

(ميرين) ليست وطنها ولن تكون أبدًا. إنها مدينة من البشر الغُرباء والآلهة الغريبة والشعر الأغرّب، من النخاسين الملتقيين بالتوكارات المهذّبة، حيث تُكتسب النعمة بالدّعارة ويُشار إلى المجازر باعتبارها فنًا ويعدّ لحم الكلاب من الأطايب. ستظل (ميرين) مدينة الهاربي دومًا، ونديرس لن تُصبح هاربي. بنبرة چورا مورمونت الخشنة قال العُشب: أبدًا. لقد حدّرتك يا جلالة الملكة، قلت لك أن تدعي هذه المدينة وشأنها، قلت لك إن حربك في (وستروس).

لم يكن الصّوت أعلى من همسة، إلا أن داني شعرت كأنه يمشي وراءها مباشرة. دُبي، دُبي العجوز الجميل الذي أحبّني وخانني. لكم افتقدته. تُريد

أن ترى وجهه القبيح، أن تُطوّقه بذراعيها وتضغط نفسها إلى صدره، لكنها تعلم أنها إذا التفتت فلن تجد السير چورا. قالت: «إنني أحلم. هذا حلم يقظة، حلم مشي. أنا وحيدة وضائعة».

تمتّ السير چورا بنعومة الرّيح: ضائعة لأنك مكثت في مكانٍ لم يكن يجب أن تذهبي إليه أبداً. وحيدة لأنك صرفتني من جانبك.

- «لقد خنتني، تجسّست عليّ من أجل الذهب».

- من أجل الوطن. لم أُرِد إلا الوطن.

- «وأنا، أردتني أيضاً». رأّت داني هذا في عينيه.

همس العُشب بحُزن: نعم.

- «وقبلتني. لم أذن لك قطُّ لكنك قبلتني. بعثني لأعدائي، لكن قبّلتك كانت صادقة».

- لقد أخلصتُ إليك النّصيحة. قلتُ لك أن تدخري حِرابك وسيفك

(لـ(وستروس)، قلتُ لك أن تدعي (ميرين) لأهلها وتذهبي غرباً، وأبيت الإصغاء.

- «كان عليّ أن آخذ (ميرين) أو أرى أطفال ييموتون من الجوع في أثناء

الرّحف». ما زالت ترى أثر الجُثث الذي خلّفته وراءها خلال عبور (القفر

الأحمر)، وليس هذا بالمنظر الذي تُريد أن تراه ثانية». «كان عليّ أن آخذ

(ميرين) لأطعم قومي».

- وأخذت (ميرين)، ومع ذلك مكثت.

- «لأكون ملكة».

قال دُبُّها: أنتِ ملكة... في (وستروس).

- «الطريق طويل جداً. كنت متعباً يا چورا، سئمت الحرب وأردت أن

أستريح، أن أضحك، أن أزرع الشّجر وأراه ينمو. إنني مجرد فتاة صغيرة».

كان الهمس يزداد خفوئاً كأن السير چورا يتخلف عنها رويداً رويداً إذ قال:

لا، بل أنتِ دم التّين. التّنانين لا تزرع الشّجر. تذكّري من أنت، ما خلقت

لتكونيه. تذكّري كلماتك.

قالت دنيرس للكلاً المتمايل: «النّار والدّم».

انقلب حجر تحت قدمها فتعثرت وسقطت على ركبته وصاحت ألمًا

أملّة رغم انعدام الأمل أن ينجدها دُبُّها ويُساعدِها على التّهوض، لكن حين أدارت رأسها تبحث عنه لم ترَ إلّا المياه البنيّة الجارية... والعُشب لا يزال يتحرّك على مهل. قالت لنفسها: إنها الرّيح، الرّيح تهزُّ الأعواد وتجعلها تتمايل. على أن الرّيح ساكنة الآن، والسّمس فوقها مباشرة، والعالم هادئ ساخن. الهواء يعجُّ بالهاموش، وفوق الغدير يطير يعسوب مندفعًا هنا وهناك، والعُشب يتحرّك على الرغم من غياب ما يُسبّب حركته.

نقبت في الماء حتى وجدت حجرًا بحجم قبضتها ورفعته من الطّمي. سلاح رديء لكنه أفضل من اليد العزلاء. برُكن عينها رأت داني العُشب يتحرّك ثانية إلى يمينها، يتمايل وينحني بشدّة كأنه في حضرة ملك، لكن لا ملك ظهر لها.

العالم أخضر فارغ، العالم أخضر صامت، العالم أصفر يُحتضّر. عليّ أن أنهض. يجب أن أمشي وأواصل اتّباع الغدير. وعبر الكلاّ جاء رنين فضّي خافت.

مبتسمةً فكّرت داني: أجراس، وتذكّرت شمسها ونجومها الكالّ دروجو والأجراس في ضفيرة شعره. عندما تُشرق السّمس من الغرب وتغرب في الشرق، عندما تجفّ البحور وتعصف الرّيح بالجبال كأنها أوراق الشجر، عندما ينتفخ بطني من جديد وأحملُ طفلًا حيًّا في رحي سيعود إليّ الكالّ دروجو.

لكن لا شيء من هذا حدث. تارةً أخرى فكّرت: أجراس. خيالّة دمهها وجدوها. همست: «آجو، چوجو، راگارو». هل أتى داريو معهم؟ انشقّ البحر الأخضر وظهر خيال... ضفيرة سوداء لامعة، وبشرته داكنة كالنحاس المصقول، وعينه بشكل جبّتين من اللّوز المر، وفي شعره تُغنيّ الأجراس، ويتمنطق بحزام من الرّصائع ويرتدي صدره ملوّنة، ويُعلّق على أحد وركيه أراخا وعلى الآخر سوطًا، ومن سرجه يتدلّى قوس صيد وجعبة سهام.

خيال واحد بمفرده، كشاف. إنه ممّن يركبون أمام الكالّالاسار ليجدوا الفرائس والعُشب الأخضر النّضر ويتصيّدوا الأعداء أينما كانوا مختبئين، وإذا وجدها هنا فسيقتلها أو يغتصبها أو يستعدها، وفي أفضل الأحوال سيرسلها

إلى حيزونات الدوش غالين حيث يُفترض أن تذهب الكاليسي الصالحة بعد وفاة غالها.

غير أنه لم يرها، فالعُشب يُخفيها، والرجل ينظر في أتجاه آخر. تابعت داني عينيه، وها هو ذا الظل يُحلّق بجناحين منبسطين عن آخرهما. يبعد التنين ميلاً كاملاً، ومع ذلك تجمّد الكشّاف في مكانه حتى بدأ فحله يصهل خوفاً، فبدأ كأنه استيقظ من حلمٍ وتحرك ودارَ بمطيّته وانطلق يُهرول عبر العُشب الطويل.

شاهدته داني بيتعد، ولما غاب صوت الحوافر وساد الصمت بدأت تصيح.

نادت حتى بُحّ صوتها... وجاء دروجون نافثاً أعمدة الدخان. انحنى العُشب أمامه، ووثبت داني ممتطية إياه عالمة أن روائح الدّم والعرق والخوف تفوح منها، لكن شيئاً من هذا لا يهمُّ. شدّت ساقَيها العاريتين حول عنق التنين قائلة: «لأمضي قدماً يجب أن أعود أدراجي»، وركلته فألقى دروجون نفسه في السّماء. كانت قد فقدت سوطها، فاستخدمت يديها وقدميها ووجهته إلى الشّمال الشرقي حيث أتجه الكشّاف، وذهب دروجون مذعناً، إذ ربما اشتتم خوف الخيال.

بعد لحظاتٍ معدودة تجاوزا الدوثراكي المهول بعيداً بالأسفل، وإلى اليمين واليسار لمحت داني بقاعاً احترق فيها الكلاً وصارَ رماداً. سبق لدروجون أن أتى هنا. كسلسلةٍ من الجُزر الرّماديّة رقط آثار صيده البحر العُشبي الأخضر.

ظهر قطع هائل من الخيول تحتهما، ورأت خيالةً أيضاً، عشرين أو أكثر، إلّا أنهم داروا وهربوا بمجرد مرأى التنين، ونكصت الخيول واندفعت تجري عندما سقط عليها الظلُّ، تركض بأقصى سرعتها عبر العُشب حتى غطت الرّغوة جوانبها وتجرّف التربة بحوافرها... لكن مهما كانت سرعتها فإنها لا تستطيع الطيران، وسرعان ما بدأ أحدها يتخلف عن القطيع، وانقصّ عليه التنين زائراً، وفي غمضة عين اشتعلت النّار في الحيوان المسكين، وعلى الرغم من ذلك ظل بوسيلةٍ ما يركض ويطلق صرخةً تلو صرخة، إلى أن حط دروجون عليه وكسر ظهره، فيما تشبّث داني بعنق التنين بكلّ قوّتها كي لا تسقط.

الجثة أثقل من أن يحملها دروجون إلى عرينه، فالتهم الحيوان القليل في مكانه ممزقاً اللحم المتفحم وقد اشتعل العُشب من حولهما وأفعم الهواء الدخان ورائحة شعر الخيل المحروق. انزلت داني المتضوّرة جوعاً من فوق ظهره وأكلت معه منتزعةً قطع اللحم من الحصان الميت بيديها المحروقتين العاريتين. في (ميرين) كنتُ ملكةً أرثدي الحرير وأكلُ التمر المحشو والضأن بالعدل. ماذا كان زوجي النبيل ليقول لو أنه رأني الآن؟ لأصاب الذعر هيزدار لا ريب، أمّا داريو...

كان داريو ليضحك ويقتطع قطعةً من لحم الحصان بأراخه ويُعني ليأكل إلى جوارها.

بينما اصطبغتُ سماء الغرب بلون الكدمة الدامية سمعت داني صوت خيولٍ تدنو، فقامت ومسحت يديها على قميصها التّحتي المهترئ وذهبت تقف إلى جوار تينها.

وعلى هذه الحال وجدّها الكال چهاكو عندما خرج نصفمئة من الخيالة المُحاربين من الدخان المنجرف.



خاتمة

أعلنَ فارس (وكر الجرافين): «لستُ خائئًا. أنا رجل الملك تومن ورجلك».

تخلَّل كلماته صوت تقطرُ ماءٍ ثابت إذ سأل الثلج الذائب من على معطفه مكوِّنًا بركةً صغيرةً على الأرض. طيلة الليلة الماضية تقريبًا ظلَّ الثلج يسقط على (كينجز لاندنج)، وبالخارج ترتفع أكوامه حتى الكاحل. أحكم السير كيغان لانستر معطفه على جسده قائلاً: «هذا ما تقوله أنت أيها الفارس. الكلام هواء».

- «إذن دعني أثبتُ صحَّته بسيفي». كان ضوء المشاعل يُضفي وهجًا ناريًا على شعر رونيت كونجتون الأحمر الطويل ولحيته. «أرسلني ضد عمي وساتيك برأسه، ورأس التنين الزائف أيضًا».

بطوال جدار قاعة العرش الغربي يقف حرس لانستر حاملِي الجراب مرتدين المعاطف القرمزية ومعتمرين الخوذات القصيرة المزودة بريشة الأسد، وعند الجدار المقابل يقف في مواجهتهم حرس تايرل بمعاطفهم الخضراء. البرودة في القاعة ملموسة، وعلى الرغم من غياب الملكة سرسي والملكة مارچري فما زال حضورهما محسوسًا يُسمم الهواء كأنهما شبحان في مأدبة.

وراء المائدة الجالس إليها خمسة أعضاء مجلس الملك الصَّغير يجثم العرش الحديدي كوحش أسود هائل، بروزاته ومخالبه ونصاله الحادة شبيه متوارية في الظل، ويشعر به كيغان لانستر في ظهره كحكة بين لوحَي كتفيه. من السهل أن يتخيَّل الملك إيرس العجوز قابعا هناك، ينزف من جرح جديد ويُحدِّق من أعلى

باكفهرار. لكن العرش خال اليوم، إذ لم يرَ ألسير كيثان سبباً يستدعي انضمام
تومن إليهم. الأرحم أن يترك الصبي مع أمه، فالآلهة وحدها تعلم كم من الوقت
ستبقى الأم والابن معاً قبل محاكمة سرسي... وإعدامها المحتمل.

كان مايس تايرل يقول: «سوف نتعامل مع عمك وقتاه المزيف في
الوقت المناسب». يجلس يد الملك الجديد على عرش من خشب السنديان
المنحوت على شكل يد، قطعة سخيقة من الخيلاء جاء بها حضرة اللورد في
اليوم نفسه الذي وافق فيه ألسير كيثان على تكليفه بالمنصب الذي اشتهاه.
«ستتظر هنا حتى نصبح مستعدين للزحف، وعندما ستنال فرصة إثبات
ولائك».

لم يجد ألسير كيثان في هذا غضاضة، فقال: «اصحبوا ألسير رونيت إلى
مسكنه»، ولم يجد داعياً لأن يضيف: واحرصوا على بقائه هناك. مهما علت
اعتراضاته على الاتهام يظل فارس (وكر الجرافين) مشتبهاً به، فالمفترض أن
المرتزقة الذين رسوا في الجنوب يقودهم واحد من أهله.

مع تلاشي أصداء خطوات كوننجتون هز المايستر الأكبر بايسل رأسه هزة
ثقيلة، وقال: «ذات يوم وقف عم الفتى في البقعة ذاتها التي وقف فيها الآن
وأخبر الملك إيرس بأنه سيأتيه برأس روبرت باراثيون».

هذا ما يحدث عندما يبلغ المرء من الكبر عتياً كبايسل. كل شيء تراه أو
تسمعه يُذكرك بشيء رأيت أو سمعته وأنت أصغر. سأل ألسير كيثان: «كم
رجلاً مسلحاً رافق ألسير رونيت إلى المدينة؟».

أجابهُ اللورد راندل تارلي: «عشرون، أكثرهم من طغمة جريجور كليجانين
القديمة. چايمي ابن أخيك أعطاهم لكوننجتون، وأراهن أنه فعل هذا ليخلص
نفسه منهم. لم يكن يوم واحد قد مرَّ على وجودهم في (بركة العذارى) قبل
أن يقتل أحدهم رجلاً ويقتلهم آخر بالاعتصاب. الأول شنقته والثاني خصيته.
لو كان الأمر بيدي لأرسلتهم جميعاً إلى حرس الليل، بمن فيهم كوننجتون.
(الجدار) المكان الأمثل لهؤلاء الحثالة».

أعلن مايس تايرل: «الكلب يتطبع بطباع سيده. المعاطف السوداء تُناسبهم،
أوافقك الرأي. لن أسمح بوجود رجالٍ مثلهم في حرس المدينة». كان مئة من
رجالهِ المقسمين لـ(هايجاردن) قد أضيفوا إلى ذوي المعاطف الذهبية، لكن

من الجليّ أن حضرة اللورد عازم على مقاومة أيّ محاولة لإضافة المزيد من الغربيّين لموازنة القوى.

كلّما أعطيته أكثر أرادَ المزيد. بدأ كيثان لانستر يفهم نقمة سرسي المتضاعفة على آل تايرل، لكن الوقت ليس مناسباً للدخول في صدام مفتوح. راندل تارلي ومايس تايرل كلاهما جلب جيشاً إلى (كينجز لاندنج)، في حين يبقى السّواد الأعظم من قوّة عائلة لانستر في أراضي النّهر ويضمحل بسرعة. قال بنبرة استرضاء: «لطالما كان رجال الجبل مُقاتلين، وقد نحتاج إلى كلّ سيفٍ في مواجهة هؤلاء المرتزقة. إذا كانت هذه هي الجماعة الذهبية حقاً كما يُؤكّد هامسو كايبرن...».

قاطعهُ راندل تارلي: «سَمّهم كما تشاء، لكنهم في النّهاية مجرد مُغامرين». قال السير كيثان: «ربما، لكن كلّما طالَ تجاهلنا هؤلاء المُغامرين ازدادوا قوّة. لقد جهّزنا خريطةً، خريطةً لتوغلاتهم. أيها المايستر الأكبر».

الخريطة جميلة حقاً، مرسومة بيد مایستر على فرخ من أجود أنواع جلد العجول، وكبيرة لدرجة أنها غطّت الطاولة. قال پايسل مشيراً بيد مبقعة: «هنا». حيث ينحسر كُم رداثه لاحت قطعة متهدّلة من الجلد الشّاحب متدلّية من أسفل ساعده. «وهنا وهنا، بطول السّاحل وعلى الجُزر. (تارث)، (الأعتاب)، وحتى (إسترمونت). والآن بلغتنا تقارير عن زحف كوننجتون على (ستورمز إند)».

علّق راندل تارلي: «إن كان چون كوننجتون حقاً».

- «(ستورمز إند)». أطلق اللورد مايس تايرل الاسم كأنه أنين. «لن يُمكنه أن يأخذ (ستورمز إند) ولو كان إجون الفاتح نفسه. وإذا فعلَ فماذا في هذا؟ إنها تابعة لستانيس الآن. فلندع القلعة تؤول من مدّع إلى آخر، فيم يُزعجنا ذلك؟ سأعيد الاستيلاء عليها بعد ثبوت براءة ابنتي».

كيف تُعيد الاستيلاء عليها وأنت لم تستولِ عليها من الأصل؟ «مفهوم يا سيّدي، ولكن...».

لم يدعه تايرل يُكلم، إذ قال: «هذه الاتّهامات ضد ابنتي أكاذيب حقيرة. مرّة أخرى أسأل، ما الذي يُجبرنا على احتمال هذه المهزلة؟ اجعل الملك تومن يُعلن براءة ابنتي أيها الفارس ويضع نهايةً لهذه الحماقة هنا والآن».

افعل ذلك وستطارد الهمسات مارچري ما تبقى من حياتها. «لا أحد يشك في براءة ابتك يا سيدي، لكن صاحب القداسة الأعلى مصر على المحاكمة». قال راندل تارلي بازدراء: «ماذا أصبحنا إن كان على الملوك وكبار اللوردات الرقص على زقزقة العصافير؟».

- «إن لنا أعداء في كل مكان أيها اللورد تارلي. ستانيس في الشمال، والحديديون في الغرب، والمرتزة في الجنوب. تحدّ السيتون الأعلى وسنجد الدماء تتدفق في أزقة (كينجز لاندنج) أيضًا. إذا رأنا الناس نُعارض الآلهة فسندفع المتديّنين إلى أحضان أحد الرّاعيين في اغتصاب العرش».

لم يتزحّح مايس تايرل، وقال: «ما إن يكتسح باكستر رداوين الحديديين من البحر سيستردّ أبنائي (التروس). ستانيس ستقضي عليه الثلوج أو بولتون. وبالنسبة إلى كونجتون...».

علّق اللورد تارلي: «إن كان هو».

- «... وبالنسبة إلى كونجتون فما الانتصارات التي حقّقها من قبل لنخشاه؟ كان بإمكانه أن يجمع ثورة روبرت في (السيت الحجري) وفشل، تمامًا كما فشلت الجماعة الذهبية دومًا. قد يندفع بعضهم إلى الانضمام إليه، نعم، وخير للبلاد الخلاص من هؤلاء الحمقى».

تمنى السير كيثان لو يُشاركه يقينه. لقد عرفَ چون كونجتون... قليلًا. كان شابًا مفعّمًا بالكبرياء، الأشدّ عنادًا بين مجموعة اللوردات الصغار الذين تحلّقوا حول الأمير ريجار تارجارين وتنافسوا عليّ حظوته. مغرور لكن قدير نشيط. لهذا، بالإضافة إلى مهارته في السّلاح، قلده الملك المجنون إيرس اليدويّة، بعد أن سمح تراخي اللورد ميريوذر العجوز للثورة بالاستفحال والانتشار. أراد إيرس أحدًا يتمتّع بالشباب والبطش ليكون ندًا لشباب روبرت وبطشه، ولمّا بلغ الخبر (كاسترلي روك) أعلن اللورد تاويين لانستر: «تعجّل للغاية. كونجتون أصغر من اللازم وأجرأ من اللازم ومتشوّق للمجد أكثر من اللازم».

وأثبتت معركة الأجراس صحّة هذا. توفّع السير كيثان بعدها أن إيرس لن يجد خيارًا إلاّ استدعاء تاويين من جديد... لكن الملك المجنون لجأ إلى اللوردين تشيلستد ورزارت بدلًا من ذلك، ودفع الثمن بحياته وتاجه. لكن

ذلك كان منذ زمن طويل. إذا كان هذا چون كونجتون بالفعل فسيكون رجلاً مختلفاً، أكبر سنًا وأصلب وأكثر خبرة... وأخطر. «قد يكون مع كونجتون ما هو أكثر من الجماعة الذهبية. يُقال إن معه فتى يدعى أنه من آل تارجارين».

قال راندل تارلي: «ليس أكثر من فتى مزيف».

- «ريما، وربما لا». كان كيفان لانستر موجودًا في هذه القاعة عندما وضع تايوين جثتي طفلي الأمير ريجار ملفوفتين بمعطفين قرمزيين عند قدم العرش الحديدي. كان واضحًا أن الفتاة هي الأميرة رينيس، أمّا الصبي... رُعب بلا وجه من العظم وخلايا المخ والدم وبضع خصل من الشعر الأشقر. لا أحد منا أطلّ النّظر. تايوين قال إنه الأمير إجون وصدّقناه. «بلغتنا هذه الحكايات الآتية من الشّرق أيضًا. فرد آخر من عائلة تارجارين، وهذه لا أحد يُمكنه التّشكيك في نسبها. دنيرس وليدة العاصفة».

أعلنَ اللورد مايس تايرل: «مجنونة كأبيها».

الأب نفسه الذي أرزته (هايجاردن) وعائلة تايرل حتى النهاية المريرة وما بعدها. «قد تكون مجنونة، لكن مع كلّ هذا الدخان المنجرف غربًا فموكّد أن هناك نارًا ما مشتعلّة في الشّرق».

أومًا المايستر الأكبر پايسل برأسه قائلاً: «التنانين. القِصص نفسها بلغت (البلدة القديمة)، قصص أكثر من نتجاهلها. ملكة فضية الشعر بثلاثة تنانين». قال مايس تايرل: «في أقصى الأرض. ملكة (خليج النخاسين)، نعم. هنيئًا لها به».

قال السير كيفان: «على هذا نتفق، لكن الفتاة من دم إجون الفاتح، ولا أظنّها ستقنع بالبقاء في (ميرين) إلى الأبد. إذا وصلت إلى سواحلنا وضمت قوتها إلى قوّة اللورد كونجتون وأميره هذا سواء أكان مزيفًا أم لا... يجب أن ندمر كونجتون وهذا المدّعي الآن قبل أن تأتي دنيرس وليدة العاصفة غربًا». عقدَ مايس تايرل ذراعيه على صدره، وقال: «هذا ما أنوي فعله تحديداً أيها الفارس... بعد المحاكمتين».

أعلنَ پايسل: «المرتزقة يُقاتلون في سبيل المال. قد نستطيع بما يكفي من ذهب إقناع الجماعة الذهبية بتسليم اللورد كونجتون والمدّعي».

قال السير هاريس سويفت: «أجل، لو كنا نملك الذهب. للأسف أيها

السّادة، خزائنا لا تحوي إلّا الجرذان والصّراصير. لقد كتبتُ للصّيافة الماييريين ثانيةً. إذا وافقوا على تسديد ديون التّاج للبرافوسيين ومنحنا قرصًا جديدًا فقد لا نضطرُّ إلى رفع الصّرائب، وإلّا...».

قال السير كيثنان: «ماچسترات (بنتوس) معروفون بإقراض الأموال أيضًا. جرّهم». يستبعد أن يُساعدهم البنتوشيون أكثر من صيارفة (مير)، لكن لا مناص من بذل المجهود. ما لم يعثروا على مصدرٍ جديد للمال أو يُقنعوا (المصرف الحديدي) بالصّبر فلن يجد خيارًا إلّا تسديد ديون التّاج بذهب لانستر، فليس يجرؤ على اللجوء إلى المزيد من الصّرائب فيما تعجّ (الممالك السّبع) بالتمردين. نصف لوردات البلاد لا يستطيعون التّفرقة بين الصّرائب والطغيان، وسيهرعون إلى أقرب غاصب في غمضة عين إذا كان من شأن ذلك أن يوفّر عليهم قطعةً نُحاسيّةً واحدةً. «إذا لم يُسفر هذا عن نتيجة فقد يلزمك السّفر إلى (برافوس) للتّعامل مع (المصرف الحديدي) بنفسك».

جفل السير هاريس متسائلًا: «أهذا ضروري؟».

خاطبه اللورد راندل بحدّة: «أنت أمين النّقْد».

قال سويفت والشّعر الأبيض المنفوش في طرف ذقنه يهتّز غضبًا: «نعم. أعليّ أن أذكّر سيّدي بأن هذه المشكلة ليست من صُنعي؟ كما أن جميعنا لم ينل فرصة إعادة ملء خزائنه بالغنائم من (بركة العذارى) و(دراجونستون)». مغضبًا قال مايس تايرل: «أرفض ما تُلّمح إليه يا سويفت. أوكدُ لك أن لا ثروة وُجِدَت في (دراجونستون). لقد فُتّش رجال ابني كلّ شبر من تلك الجزيرة الكئيبة الرّطبة ولم يجدوا ولو جوهرةً أو شذرة تير واحدة، ولا أثر لمخزون بيضات التّنانين الأسطوري إياه كذلك».

رأى كيثنان لانستر (دراجونستون) بنفسه من قبل، ويشكُّ كثيرًا في أن لوراس تايرل فُتّش كلّ شبر من ذلك المعقل العتيق، فالقالبيريون هم من شيّدوه، وجميع أعمالهم تفوح منها رائحة الشّعوذة. ثم إن السير لوراس شاب يجنح إلى إلقاء الأحكام جزافًا كديدن الشّبّان، وعلاوةً على ذلك أصيبَ بجروح بليغة في أثناء اقتحام القلعة. على أن لا خير سيأتي من تذكير مايس تايرل بأن ابنه المفضّل ليس معصومًا من الخطأ، وهكذا أعلن: «لو كانت في (دراجونستون) ثروة لوجدّها ستانيس. لننتقل إلى شؤونٍ أخرى أيها

السَّادة. إن عندنا ملكتين سُّحاكمان بتهمة الخيانة العظمى إن كنتم تذكرون. ابنة أخي أخبرتني بأنها اختارت المُحاكمة بالنَّزال، وسيناصرها السير روبرت سترونج».

قال اللورد راندل عابساً: «العملاق الصَّامت».

سأله مايس تايرل: «أخبرني أيها الفارس، من أين أتى هذا الرَّجل؟ لِمَ لم نسمع اسمه من قبل؟ إنه لا يتكلَّم ولا يكشف وجهه ولا أحد يراه دون درعه أبداً. هل نعرف يقيناً أنه فارس حقاً؟».

لسنا نعرف إن كان حياً من الأصل. قال مرين ترانت إن سترونج لا يأكل أو يشرب، وأضاف بوروس بلاونت إنه لم ير الرَّجل يذهب إلى المراض قَطً. ولم؟ الموتى لا يتبرَّزون. عند كيثان لانستر اشتباه قوي في هوية السير روبرت الحقيقية تحت درعه البيضاء البرَّاقة، وهو الاشتباه الذي يُشاركه فيه مايس تايرل وراندل تارلي دون شك، لكن أياً كان الوجه الذي تُخفيه خوذة سترونج فعليه أن يبقى خفياً في الوقت الحالي، فالعملاق الصَّامت أمل ابنة أخيه الوحيد. وأتمنى أن يكون مهيباً حقاً كما يبدو.

لكن مايس تايرل يأبى أن يرى ما هو أبعد من التَّهديد ضد ابنته، ولذا قال السير كيثان يُذكِّره: «جلالة الملك عين السير روبرت في الحرس الملكي، وكايرن يضمن الرَّجل أيضاً. على كلِّ حال، إننا محتاجون إلى انتصار السير روبرت أيها السَّادة. إذا أدبنت ابنة أخي بالخيانة فسُصبح شرعيَّة أطفالها محلَّ شك، وإذا لم يُعدَّ تو من ملكاً فلن تعود مارچري ملكة»، وترك تايرل يتفكَّر في هذا لحظةً قبل أن يتابع: «أياً كان ما فعلته سرسي فإنها لا تزال بنت (الصَّخرة) ومن دمي. لن أتركها تموت ميتة الخونة، لكنني حرصت على خلع أنيابها. جميع حُرَّاسها صُرفوا وحلَّ محلَّهم رجالي، وبدلاً من وصيفاتها السَّابقات سترافقها من الآن فصاعداً سبَّمة وثلاث مترهينات اختارهن السِّبتون الأعلى. لن يعود لها صوت في حُكم البلاد أو في تعليم تو من، كما أنني أنوي إعادتها إلى (كاسترلي روك) بعد المُحاكمة والعمل على بقائها هناك. اقنعوا بهذا».

ترك البقيَّة بلا قول. سرسي بضاعة تالفة الآن وبلغت سُلطتها منتهاها. كلُّ صبيِّ خبَّاز وشحَّاذ في المدينة شهد عارها، وكلُّ عاهرة ودبَّاغ من (جُحر البراغيث) إلى (شارع المراحيض) رأى عُريها وزحفت أعينهم بشيق على

ثديها وبطنها وعُضوها الأثوي. لا ملكة تتوقَّع أن تحكُم ثانيةً بعد شيء كهذا. بالحرير والذهب والزُّمرد كانت سرسي ملكة، أقرب ما يكون إلى إلهة، أمّا عاريةً فهي مجرد إنسانة، امرأة تتقدَّم في السنِّ وعلى بطنها آثار الحمل وبدأ ثدياها يتهدَّلان... وهو ما حرصت السُّلطات في الزَّحام على ذكره لأزواجهن وعُشاقهن. قال السير كيفان لنفسه: الحياة في العار خيرٌ من الموت بكبرياء، وقال لمائس تايرل مؤكِّداً: «لن تصنع ابنة أخي مزيداً من المتاعب. لك كلمتي يا سيدي».

أوماً تايرل برأسه على مضضٍ قائلاً: «كما تقول. ابنتي مارچري تُفضِّل أن تُحاكِمها العقيدة لتشهد البلاد كلها على براءتها».

كان السير كيفان ليسأله: إذا كانت ابنتك بريئةً كما تُريدنا أن نعتقد فلم تصرُّ على حضور جيشك حين تُوَّجه متهميها؟ لكنه قال بدلاً من ذلك: «قريباً على ما أمل»، ثم التفت إلى المايستر الأكبر پايسل يسأله: «هل من شؤونٍ أخرى؟».

راجع المايستر الأكبر أوراقه مجيباً: «ينبغي أن نناقش تركة (روزبي). ستَّة ادِّعاءات قدِّمت...».

- «يُمكننا أن نسوي مسألة (روزبي) في وقتٍ آخر. ماذا أيضاً؟».

- «علينا إجراء ترتيبات استقبال الأميرة مارسلا».

قال مائس تايرل: «هذا ما يأتي من التَّعامل مع الدورنيين. مؤكِّد أن إيجاد زوج أفضل للفتاة ممكن، أليس كذلك؟».

كابنك ولبلاس مثلاً؟ هي شوَّهها دورني وهو أعجزه آخر؟ «لا ريب، لكن لنا أعداء بما فيه الكفاية دون أن نُهين (دورن). إذا ضمَّ دوران مارتل قوَّته إلى كوننجتون دعماً لهذا التَّين الزائف فلن تمضي الأمور في صالحنا على الإطلاق».

قال السير هاريس سويفت بضحكة مكتومة مزعجة: «قد يُمكننا إقناع أصدقاءنا الدورنيين بالتَّعامل مع اللورد كوننجتون. سيوفُّر هذا علينا الكثير من الدِّماء والمتاعب».

ردَّ السير كيفان بإرهاق: «صحيح». حان الوقت لوضع نهايةٍ للاجتماع،

وهذا قال: «أشكركم أيها السادة. لنجتمع ثانيةً بعد خمسة أيام من اليوم، بعد مُحاكمة سرسي».

- «كما تقول. عسى أن يبتَّ (المُحارب) القوَّة في ذراعِي السير روبرت». قال مايس تايرل العبارة كرهاً، وعلى سبيل الكياسة هزَّ ذقنه للورد الوصي هزَّةً تكاد لا تُرى، لكن هذا أفضل من لا شيء، وهو ما أشعرَ كيثان لانستر بالامتنان.

غادرَ راندل تارلي القاعة مع اللورد ولي أمره، ووراءهما مباشرةً ثلاثة من حملة الجراب بمعاطف خضراء، وفكَّر كيثان إذ شاهدَهما يرحلان: تارلي هو الخطر الحقيقي. رجل ضيق الأفق لكنه محنك قوي الإرادة، ومن أفضل من يتباهى بهم (المرعي) من أجناد. لكن كيف أكسبه إلى صفِّنا؟ بعد خروج اليد قال المايستر الأكبر بايسل بكآبة: «اللورد تايرل لا يحبُّني. مسألة شاي القمر هذه... لم أكن لأذكر شيئاً عنه على الإطلاق، لكن الملكة الأم أمرتني! بعد إذن جناب اللورد الوصي، سأناطُ قرير العين إذا أعرتني بعض حرسك».

- «قد يُسيء اللورد تايرل فهم هذا».

شدَّ السير هاريس سويفت لحية ذقنه الصَّغيرة قائلاً: «أنا أيضًا في حاجةٍ إلى حراسة عن نفسي. إننا في أوقاتٍ محفوفة بالخطر».

فكَّر كيثان لانستر: أجل، وبايسل ليس عضو المجلس الوحيد الذي يرغب اليد في استبداله. لدى مايس تايرل مرشحه الخاص لمنصب اللورد الخازن: عمُّه قهرمان (هايجاردن) المسمَّى جارث السمين. آخر ما أحتاجُ إليه هو تايرل آخر في المجلس الصَّغير. إنهم يفوقونه عددًا بالفعل. السير هاريس أبو زوجته، وبايسل يُمكن الاعتماد عليه أيضًا، لكن تارلي مقسم على الولاء لـ(هايجاردن)، وكذا باكستر رداوين الأيرال وقيم السفن المبحر حاليًا بأسطوله حول (دورن) للتعاقل مع حديديي يورون جرايچوي. حالما يعود رداوين إلى (كينجز لاندينج) سيصبح المجلس ثلاثة وثلاثة، لانستر وتايرل.

والصَّوت السَّابع للدورنيَّة التي تصحب مارسلا الآن إلى الديار. الليدي نيم، لكنها ليست ليدي حقًا إن صحَّ ولو نصف ما ذكرته تقارير كايرن. إنها ابنة غير شرعيَّة للأفغوان الأحمر، تكاد تُضاهي أباهَا في سوء السُّمعة، وعازمة

على احتلال مقعد المجلس الذي احتلّه الأمير أوبرين نفسه فترةً وجيزةً للغاية. لم يرَ السير كيثان الوقت مناسبًا لإبلاغ مايس تايرل بقدمها بعد، إذ يعلم أن ذلك لن يسرّ اليد بتأتًا. الرّجل الذي نحتاج إليه هو الإصبع الصّغير. بيتر بايلدس كان موهوبًا في استحضار التّنانين من الهواء.

اقترح السير كيثان: «استأجرا رجال الجبل. رونيت الأحمر لن يحتاج إليهم ثانية». لا يظنّ أن مايس تايرل بالرّعونّة التي تجعله يُحاول اغتيال بايسل أو سويفت، لكن إذا كان الحُرّاس سيُشعرونهما بالأمان فليحظيا بحُرّاس. خرج الرّجال الثلاثة معًا من قاعة العرش. كان الثلج يدور في دَوَامٍ في أنحاء السّاحة الخارجيّة كوحشٍ حبيس يعوي طالبًا الحرّيّة. سأل السير هاريس: «هل شعرتما بمثل هذا البرد من قبل؟».

قال المايستر الأكبر بايسل: «الوقت المناسب للكلام عن البرد ليس وأنت واقف فيه»، وبدأ يشقُّ طريقه البطيء عبر السّاحة إلى مسكنه. لبثَ الآحران قليلًا على سلالم قاعة العرش، وقال السير كيثان لحميه: «لستُ أتقُ بهؤلاء الصّيارفة المايريين إطلاقًا. الأفضل أن تُجهّز نفسك للذهاب إلى (برافوس)».

قال السير هاريس وقد بدا عليه الاستياء من الفكرة: «ليكن ما دامَ هذا ضروريًا، لكنني أكرّرها، هذه المشكلة ليست من صُنعي».

- «نعم. سرسي هي التي قرّرت أن على (المصرف الحديدي) أن ينتظر أمواله. هل أرسلها هي إلى (برافوس)؟».

حدّق إليه السير هاريس قائلاً: «جلالتها... هذا... هذا...».

أنقذه السير كيثان بقوله: «كانت دُعابة، دُعابة سيّئة. اذهب وجد نارًا دافئة. سأفعلُ هذا عن نفسي»، ووضع فُفّازيه وبدأ يقطع السّاحة الخارجيّة منحنيًا على نفسه بقوّة في الرّيح فيما يُرْفرف معطفه ويدور من ورائه.

يرتفع الثلج في الخندق الجاف المحيط بـ(حصن ميجور) ثلاثة أقدام، ويلتصق الصّقيع على الخوازيق الحديد المصطّفة فيه. السّبيل الوحيد لدخول الحصن والخروج منه عبر الجسر المتحرّك الممتد فوق الخندق، ودائمًا يقف أحد فرسان الحرس الملكي على طرفه القصي. اللّيلة السير مرين ترانت هو المكلف بهذا الواجب. بالون سوان يُطارِد الفارس المعجّم المسمّى النّجم

المظلم في (دورن)، ولوراس تايرل مثنى بالجراح في (دراجونستون)، وچايمي مختفٍ في أراضي النهر، أي أن أربعة فقط من السيوف البيضاء باقون في (كينجز لاندنج)، وقد زجَّ السير كيثان بأوزموند كيتبلاك (وأخيه أوزفريد) في الزنازين خلال ساعاتٍ من اعترافٍ سرسي بأنها اتَّخذت كلا الرّجلين عشيّقًا. هكذا لا يتبقّى إلّا ترانت والواهن بوروس بلاونت ووحش كايرن الصّامت روبرت سترونج لحماية الملك الصّغير والعائلة الملكيّة.

عليّ أن أجد سيوفًا جديدةً للحرس الملكي. المفترض أن يُحيط بتومن سبعة فرسان قديرون. في الماضي كان فارس الحرس الملكي يخدم مدى الحياة، إلّا أن ذلك لم يمنع چوفري من صرف السير بارستان سلمي من الخدمة لإفساح الطّريق لكلبه ساندور كليجانين، ويستطيع كيثان أن يستغل هذه السّابقة. يُمكنني أن أضع لانسِل في معطفٍ أبيض. في هذا شرف أكثر مما سيجد مع أبناء المُحارب أبدًا.

علّق كيثان لانسِر معطفه المبلّل بالثلج في عُرفته الشّمسيّة وخلع حذاءه وأمرّ خدمه بإحضار القليل من الحطب للنار، وقال إذ استقرّ إلى جوار المستوقد: «لا بأس بكوب من النبيذ المتبلّ أيضًا».

سرعان ما أذابت النار الثلج العالق بشيابه ودفّاه النبيذ من الدّاخل على نحوٍ محبّب، لكنه أصابه بالنّعاس أيضًا، فلم يجرؤ على شرب كوب آخر، فيومه ما زال بعيدًا كلّ البعد عن الانتهاء. أمامه تقارير يقرأها ورسائل يكتُبها. والعشاء مع سرسي والملك. منذ مسيرة الكفّارة أضحت ابنة أخيه خانعة صاغرةً والشكر للآلهة، وأبلغته المترهينات اللائي يخدمنها بأنها تقضي ثلث ساعات يقظتها مع ابنها وتلثها في الصّلاة والبقية في حوض الاستحمام، إذ تستحم أربع أو خمس مرّاتٍ في اليوم فاركةً نفسها بفُرش من شعر الخيل وصابون الغلي كأنها تريد أن تكشط جلدّها نفسه.

لن تستطيع الخلاص من الوصمة أبدًا مهما اجتهدت في فرك نفسها. يذكّر السير كيثان الفتاة التي كانتها، ملأى بالحياة والمشاعبة، وحين أزهرت، آآآه... هل عرف العالم بنتًا تسرُّ الأنظار مثلها؟ لو وافق إيرس على تزويجها بربيجار فكم من الموت كان ذلك ليُجنّبنا؟ كانت سرسي لتُنجب للأمير الأبناء الذين أرادهم، أسودًا بأعينٍ أرجوانيّة وبُبد فضيّة... وبزوجةٍ مثلها ربما ما كان

ريجار لينظر مرتين إلى ليانا ستارك. كانت الفتاة الشماليّة تتمتع بجمال ضار كما يذكّر، لكن مهما اتقدت نار المشعل وتأججت فلا يُمكنها أن تُنَافِس الشمس المشرقة.

لكن لا جدوى من الإسهاب في التّفكير في المعارك الخاسرة والطُرق التي لم تُسلَك، فتلك رذيلة المسنّين المقبلين على القبر. تزوّج ريجار إليها الدورنيّة، وماتت ليانا ستارك، وأتخذ روبرت باراثيون سرسي عروسًا، وها هم أولاء. والليلة سيأخذه طريقه إلى مسكن ابنة أخيه ليلتقي سرسي وجهًا لوجه.

ليس هناك سبب يدعوني للإحساس بالذنب. مؤكّد أن تايوين كان ليتفهّم. ابنته هي التي كلّلت اسمنا بالعار لا أنا. لم أفعل ما فعلته إلا لصالح عائلة لانستر.

لم يفعل كيثان شيئًا لم يفعله أخوه من قبل. في السنين الأخيرة من حياة أبيهم، بعد وفاة أمهم، أتخذ الرّجل ابنة صانع شموع مليحة عشيقّة. لم تكن بدعة أن يحتفظ لورد أرمل بفتاة من العوام في فراشه لتُدفعه... لكن اللورد تايوس بدأ يُجلس المرأة إلى جواره في القاعة ويُعِدق عليها بالهدايا والتّكريم، بل وذهب إلى طلب رأيها في شؤون الحُكم، وخلال عام كانت تصرف الخدم وتلقّي الأوامر على فُرسان أهل البيت وتكلّم نيابة عن حضرة اللورد في غيابه. تعاطم نفوذ المرأة حتى إن النّاس في (لانسهورت) أخذوا يُردّدون أن على كلّ من يرغب في أن يُسمع التماسه أن يرفع صوته ويُخاطب حجرها... ذلك أن أذني تايوس لانستر بين ساقها. ثم إن المرأة جاوزت المدى وبدأت تتزيّن بحلي أمهم.

إلى أن جاء يوم وانفجر قلب السيّد والدهم في صدره وهو يصعد مجموعة من السلالم العالية إلى فراشها. جميع الانتهازيين الذين سمّوا أنفسهم أصدقاءها ونالوا حظوتها شيئًا فشيئًا سارعوا بالتخلّي عنها حين أمر تايوين بتجريدتها من ثيابها وتجريسها في شوارع (لانسهورت) حتى الميناء كعاهرة تقليديّة، وعلى الرغم من أن أحدًا لم يمسه فقد أعلنت المسيرة نهاية سطوتها. مؤكّد أن تايوين ما كان ليتخيّل أبدًا أن المصير نفسه ينتظر ابنته الذهبيّة.

تمت السير كيثان رافعاً ثمالة نبذه إلى شفتيه: «لم يكن هناك مفر». كان من الضروري إرضاء صاحب القداسة الأعلى، فتومن محتاج إلى العقيدة وراءه في المعارك المقبلة. وسرسي... كبرت الفتاة الذهبية وتحولت إلى امرأة مغرورة حمقاء جشعة، ولو تُركت تحكّم لأفسدت تومن كما أفسدت چوفري.

كانت الرّيح تشتدُّ بالخارج وتنهش مصاريع نوافذ الغرفة. نهض السير كيثان. حان وقت مواجهة اللبوة في عرينها. انتزعنا مخالبتها، أمّا چايمي... كلاً، لن يفكر في ذلك.

ارتدى سترّة قديمة بالية تحسباً لأن يطيب لابنة أخيه أن تلقى كوباً آخر من النبيذ في وجهه، لكنه ترك حزام سيفه معلقاً على ظهر مقعده، فليس مسموحاً إلا لفرسان الحرس الملكي بحمل السيوف في حضور تومن.

وجد السير كيثان السير بوروس بلاونت في صحبة الملك وأمه حين دخل المسكن الملكي، وقد ارتدى بلاونت درعاً مطلياً بالميثا ومعطفاً أبيض واعتمر خوذة قصيرة، وإن لم يبد في حالٍ طيبة. في الفترة الأخيرة ازداد وزن بوروس بصورة ملحوظة في وجهه وبطنه، ولونه لا يدل على العافية، والآن يستند إلى الحائط ورائه كأن مجرد الوقوف صار يُجشّمه جهداً عظيماً.

قدّمت الوجبة ثلاث مترهينات، فتيات نظيفات كريمات الأصل بين الثانية عشرة والسادسة عشرة من العمر، تبدو كل منهن في ثيابها الصوف البيضاء أكثر براءةً وعزوفاً عن بُهرج الدنيا من الأخرى، وعلى الرغم من ذلك أصرّ السّبتون الأعلى على ألا تقضي فتاة ما يزيد على الأيام السبعة في خدمة الملكة خشية أن تُفسدها سرسي. تُساعد الفتيات الملكة علي ارتداء ثيابها ويُجهّز حَمَامها ويُزوّدنها بالنبيذ ويُبدّلن ملاءات سريرها كل صباح، كما تُشاركها إحداهن فراشها كل ليلة لتتحقّق من أن أحداً آخر لا يزورها ليلاً، في حين تنام الأخرى في غرفة مجاورة مع السّبتة التي تُشرف عليهن.

اصطحبته فتاة فارعة القامة مجدورة الوجه إلى الحضور الملكي، ونهضت سرسي لمّا دخل وطبعت قبلة خفيفة على وجنته قائلة: «عمّي العزيز، لطف بالغ منك أن تتناول معنا العشاء». ترتدي الملكة ثياباً متواضعة محتشمة تليق بامرأة كهلة، فستاناً بنياً داكناً مزرّراً حتى حلقها ومعطفاً أخضر مزوداً بقلنسوة

تُغَطِّي رَأْسَهَا المَحْلُوق. قَبْلَ مَسِيرِهَا كَانَتْ لِتَبَخَّرَ بِصَلْعِهَا تَحْتَ تَاجِ ذَهَبِي. قَالَتْ: «تَفَضَّلْ بِالجُلُوسِ. هَلْ تَشْرَبُ نَبِيذًا؟».

أَجَابَ: «كُوبَ وَاحِدٍ»، وَجَلَسَ وَالحَذَرَ لَمْ يُغَادِرِهِ. بَيْنَمَا مَلَأَتْ مِثْرَهْبَةَ مَنَمَشَةِ الوَجْهِ كُوبَيْهِمَا بِالنَّبِيذِ المَتَبَّلِ السَّاخِنِ قَالَتْ سِرْسِي: «تُومَنُ أَخْبَرَنِي بِأَنَّ اللُّورْدَ تَايِرْلَ يَنْوِي إِعَادَةَ بِنَاءِ (بُرْجِ اليَدِ)». أَوْمَأَ السَّيْرُ كَيْفَانُ بِرَأْسِهِ مَجِيئًا: «يَقُولُ إِنَّ البُرْجَ الجَدِيدَ سَيَكُونُ أَعْلَى مَرَّتَيْنِ مِنَ الَّذِي أَحْرَقْتَهُ».

أَطْلَقَتْ سِرْسِي ضَحْكَةً حَلْقِيَّةً، وَقَالَتْ: «رِمَاحٌ طَوِيلَةٌ، أَبْرَاجٌ عَالِيَةٌ... هَلْ يَلْمَحُ اللُّورْدُ تَايِرْلَ إِلَى شَيْءٍ مَا؟».

حَدَا بِهِ قَوْلَهَا إِلَى الِابْتِسَامِ. جَيِّدٌ أَنَّهُ لَا تَزَالُ تَذَكَّرُ كَيْفَ تَضْحَكُ. حِينَ سَأَلَهَا إِنْ كَانَتْ تَحْظِي بِكُلِّ مَا تَتَطَلَّبُهُ قَالَتْ المَلِكَةُ: «أَتَلَقَى خِدْمَةً لِائْتِقَانِي. الفَتَيَاتُ مَحَبَّبَاتٌ وَالسَّيِّئَاتُ المَبْجَلَاتُ يَحْرَصْنَ عَلَى أَدَائِي الصَّلَوَاتِ، لَكِنْ سَيَسْرُنِي فُورُ ثُبُوتِ بَرَاءَتِي أَنْ تَعُودَ تَايِنَا مِيرِيوِيذِرُ إِلَى رِفْقَتِي. يُمَكِّنُهَا أَنْ تَجْلِبَ ابْنَهَا إِلَى البَلَاطِ. تُومَنُ مَحْتَاغٌ إِلَى صَبِيَّةٍ آخَرِينَ حَوْلَهُ، أَطْفَالُ نَبِيلِي المَوْلِدِ». طَلَبَ بِسِيْطٍ لَمْ يَرِ السَّيْرَ كَيْفَانُ مَا يَمْنَعُ تَلْبِيَّتَهُ. يُمَكِّنُهُ أَنْ يَتَعَهَّدَ بِتَرْبِيَةِ ابْنِ مِيرِيوِيذِرٍ بِنَفْسِهِ فِيمَا تَصْحَبُ الِليْدِي تَايِنَا سِرْسِي إِلَى (كَاسْتِرْلِي رُوكِ). وَعَدَهَا قَائِلًا: «سَأُرْسَلُ فِي اسْتِدْعَائِهَا بَعْدَ المُحَاكَمَةِ».

بَدَأَ العِشَاءَ بِحَسَاءِ اللَّحْمِ البَقْرِيِّ وَالشَّعِيرِ، وَتَبَعَتْهُ طُيُورُ السُّمَّانِ وَسَمَكَةُ كِرَاكِي مَشْوِيَّةٌ تُنَاهِزُ الأَقْدَامَ الثَّلَاثَةَ طَوْلًا، مَعَ اللَّفْتِ وَالفَطْرِ وَالكَثِيرِ مِنَ الخُبْزِ السَّاخِنِ وَالرُّبْدَةِ. تَذَوَّقَ السَّيْرُ بُوْرُوسَ كُلِّ صَنْفٍ وَضَمَّ أَمَامَ المَلِكِ، وَهُوَ الوَاجِبُ المَهِينُ لِفَارَسِ فِي الحَرَسِ المَلِكِيِّ، وَلَكِنْ لَعَلَّهُ الشَّيْءُ الوَحِيدَ الَّذِي يَقْوَى عَلَيْهِ بِلَاوْنَتِ هَذِهِ الأَيَّامِ... وَلَوْ أَنَّهُ تَصَرَّفَ حَكِيمًا بَعْدَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي مَاتَ بِهَا أَخُو تُومَنِ.

بَدَأَ المَلِكُ أَسْعَدَ مِمَّا رَأَى السَّيْرَ كَيْفَانُ مِنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ. مِنَ الحَسَاءِ إِلَى الحَلْوَى رَاحَ تُومَنُ يُثَرِّثُ عَنْ مُعَامِرَاتِ هِرْرِهِ الصَّغِيرَةِ فِيمَا يُطْعِمُهَا لُقِيمَاتٍ مِنَ السَّمَكِ مِنَ طَبَقِ المَلِكِيِّ، وَفِي مَرَّةٍ أَخْبَرَ السَّيْرَ كَيْفَانُ: «القِطُّ السَّيِّئُ كَانَ خَارِجَ نَافِذَتِي لَيْلَةَ البَارِحَةِ، لَكِنْ السَّيْرُ پَاوْنَسُ هَسْهَسَ فِي وَجْهِهِ فَفَرَّ مَبْتَعِدًا عَلَى السُّطُوحِ».

رَدَّد السير كيفان مبتسمًا: «الْقَطُّ السَّيِّءُ؟». صَبِيٌّ جَمِيلٌ حَقًّا.
أجابته سرسي: «إِنَّهُ قِطٌّ أَسْوَدٌ عَجُوزٌ لَهُ أُذُنٌ مَقْطُوعَةٌ، حَيَّوانٌ قَدَّرَ كَرِيهَ
الْمِزَاجِ. ذَاتٌ مَرَّةً خَدَشَ يَدَ جَوْفٍ»، وَارْتَسَمَ الِامْتِعَاضَ عَلى وَجْهِهَا إِذْ
أرَدَفَتْ: «أَعْلَمُ أَنَّ الْقِطَّ تَحُدُّ مِنْ تَزَايُيدِ أَعْدَادِ الْجِرْدَانِ، لَكِنْ هَذَا الْقِطُّ
تَحْدِيدًا... مَعْرُوفٌ عَنهُ أَنَّهُ يُهَاجِمُ الطُّيُورَ فِي المِغْدَفَةِ».

- «سَأَطْلُبُ مِنْ صَيَّادِي الفُئْرَانِ أَنْ يَنْصُبُوا لَهُ مَصِيدَةً». لَا يَذْكَرُ السَّيْرُ كَيْفَانَ
رُؤْيَا ابْنَةِ أُخِيهِ بِهَذِهِ الوَدَاعَةِ أَوْ الِاسْتِكَاانَةِ أَوْ الرِّزَانَةِ. خَيْرٌ هَذَا عَلى مَا يَظُنُّ، وَإِنْ
أَحْزَنَهُ بَعْضُ الشَّيْءِ كَذَلِكَ. هَمَدَتْ نَارَهَا تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ وَهَجَهَا أَخَاذًا. قَالَ
فِيما يَنْتَظِرُونَ كَعَكَاتِ القَشْدَةِ المِفضَّلَةِ عِنْدَ المَلِكِ: «لَمْ تَسْأَلِي عَنِ أُخِيكَ».
رَفَعَتْ سَرَسِي ذَقْنَهَا لِتَتَأَلَّقَ عَيْنَاهَا فِي ضِوَاءِ الشُّمُوعِ، وَتَسْأَلُ: «جَائِمِي؟
هَلْ بَلَغَتْكَ أَخْبَارُ عَنهُ؟».

- «إِطْلَاقًا. سَرَسِي، قَدْ يَكُونُ عَليكَ أَنْ تُهَيِّئِي نَفْسَكَ ل...».
قَاطَعَتْهُ: «لَوْ مَاتَ لَعَرَفْتُ. لَقَدْ جِئْنَا هَذَا العَالَمَ مَعًا يَا عَمَّاهُ، وَمَا كَانَتْ
لِيُغَادِرَهُ مِنْ دُونِي»، وَرَشَقَتْ مِنْ نَبِيذِهَا قَبْلَ أَنْ تُضَيِّفَ: «أَمَّا تِيرِيونُ فَلِيُغَادِرْ
مَتَى رَغَبٌ. أَظُنُّ أَنَّ أَخْبَارًا لَمْ تَبْلُغْكَ عَنهُ هُوَ الأَخْرُ؟».

- «لَا أَحَدٌ حَاوَلَ أَنْ يَبِيعَنَا رَأْسَ قِزْمٍ فِي الفِترَةِ الأَخِيرَةِ».
أَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، ثُمَّ قَالَتْ: «هَلْ تَسْمَعُ بَأَنَّ أَسْأَلُكَ سِوَالًا يَا عَمَّاهُ؟».
- «سَلِي كَمَا تَشَاءِينَ».

- «زَوْجَتِكَ... هَلْ تَتَوَيَّأُ إِحْضَارَهَا إِلَى البِلَاطِ؟».
- «لَا». دُورِنَا مَرَهْفَةٌ الحَسِّ، لَا تَرْتَاحُ أَبَدًا إِلاَّ فِي بَيْتِهَا بَيْنَ أَهْلِهَا وَأَصْدِقَائِهَا.
لَقَدْ أَحْسَنْتِ البَلَاءَ فِي تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا وَتَحَلَّمَ بِأَنَّ يَكُونَ لَهَا أَحْفَادٌ وَتُصَلِّيَ
سَبْعَ مَرَّاتٍ يَوْمِيًّا وَتَحَبُّ أَشْغَالَ الإِبْرَةِ وَالزُّهُورِ، وَفِي (كِينْجِزْ لَانْدَنْجِ) سَتَكُونُ
سَعِيدَةً كَأَحْدَى هَرَّرِ تِوَمَنِ الصَّغِيرَةِ فِي جُحْرِ اللَّأْفَاعِي. «السَّيِّدَةُ زَوْجَتِي لَا
تَحَبُّ السَّفَرَ. (لَانْسِپُورْتِ) مَكَانُهَا».

- «امْرَأَةٌ حَكِيمَةٌ مَن تَعْرِفُ مَكَانَهَا».
لَمْ يَرْقُهِ وَقَعَ تَعْلِيْقُهَا، فَقَالَ: «قُولِي مَا تَعْنِينَ».
رَدَّتْ سَرَسِي: «حَسْبَتَنِي فَعَلْتُ»، وَرَفَعَتْ كِوْبَهَا لِتَمْلَأَهُ ذَاتَ النَّمَشِ ثَانِيَةً.

ثم وصلت كعكات القشدة واتخذت الكلام منعطفًا أخفَّ. فقط بعدما اصطحب السير بوروس تومن وهرره إلى غرفة النوم الملكية انتقل الحوار إلى محاكمة الملكة، وقالت سرسي تُنبئه: «أخوا أوزني لن يقفا مكتوفَي الأيدي ويتفرَّجا على أخيهما يموت».

- «لم أتوقَّع أن يفعل ذلك. لقد قبضتُ عليهما».

أدهشها هذا، وتساءلت: «بأيِّ جريمة؟».

- «الرُّنَى بالملكة. صاحب القداصة الأعلى قال إنك ضاجعتِ الاثنين...»

هل نسيتِ؟».

احتقنَ وجهها، وقالت: «لا. ماذا ستفعل بهما؟».

- «(الجدار) إذا اعترفَا بالذنب، وإذا أنكرا فيمكنهما أن يُواجهها السير روبرت. لم يكن يصحُّ أبدًا أن يُرفعَ أمثالهما عاليًا هكذا».

خفَّضت سرسي رأسها قائلةً: «لقد... لقد أسأتُ تقديرهما».

- «يبدو أنك أسأتِ تقدير أشياء كثيرة جدًّا».

كان ليقول المزيد لولا أن المترهنة ذات الشعر الأسود والوجنتين المستديرتين عادت لتقول: «سيدي، سيديتي، آسفةٌ لتطفلي، لكن هناك صبيًّا بالأسفل. المايستر الأكبر بايسل يطُلب حضور جناب اللورد الوصي في الحال».

أجنحة سوداء، أخبار سوداء. أيُمكن أن (ستورمز إند) سقطت؟ أم أنه خبر

من بولتون في الشمال؟

قالت الملكة: «قد يكون خبرًا عن چايمي».

ثمَّة وسيلة واحدة للمعرفة، وهكذا قام السير كيثان قائلًا: «أرجو أن تُعذريني»، وقبل أن يُغادر جثا على رُكبته ولثم يد ابنة أخيه. إذا خذلها عملاقها الصَّامت فقد تكون هذه آخر قُبلةٍ تعرفها على الإطلاق.

رسول بايسل صبيٌّ في الثامنة أو التاسعة متدنُّ بالكثير من الفرو لدرجة أنه يبدو كدُبِّ صغير، وكان ترانت قد تركه ينتظر على الجسر المتحرِّك بدلًا من أن يسمح له بدخول (حصن ميجور)، فقال له السير كيثان واضعًا بنسًا في يده: «اذهب وجد نارا أيها الصَّغير. أعرفُ الطَّرِيقَ إلى المِغْدفة جيِّدًا».

كانت الثلوج قد كَفَّتْ عن الانهيار أخيراً، ووراء ستار من الشُّحْب الممزَّقة يطفو البدر في السَّماء كاملاً أبيض ككرة ثلج وتلمع النُّجوم البعيدة بضوءٍ بارد. إذ شقَّ السير كيثان طريقه في السَّاحة الدَّاخِلِيَّة بدت له القلعة مكاناً غريباً نبتت لكلِّ حصنٍ وبُرج فيه أسنان جليديَّة واخفت جميع طرقاته المألوفة تحت بساطٍ من البياض، وبينما مرَّ سقطت كتلة جليدٍ طويلة كالحربة لتتحطَّم عند قدميه. الخريف في (كينجز لاندنج). ما الوضع على (الجدار) إذن؟

فتحت الباب خادمة نحيلة ترتدي معطفًا مبطنًا بالفرو كبيرًا عليها للغاية. نفّض السير كيثان الثلج عن حدائه وخلع معطفه وألقاه إليها قائلاً: «المياستر الأكبر ينتظرنني»، فأومات الفتاة برأسها بصمتٍ رصين وأشارت إلى السَّلام. يقع مسكن پايسل تحت المغدفة في جناح فسيح من العُرف المزدحمة عن آخرها برفوف الأعشاب والمراهم والعقاقير والكتب والمخطوطات. لطالما وجد السير كيثان المكان حارًّا على نحوٍ مزعج، ولكن ليس اللَّيلة، فما إن دخل من الباب كانت البرودة محسوسةً للغاية. لم يتبقَّ من نار المستوقد سوى الرَّماد الأسود والجذوات المنطفئة، وثمة بعض السُّموع المتذبذبة تُلقِي برِكا من الضُّوء المعتم هنا وهناك.

والبقيَّة مكفَّنة بالظُّلال... ما عدا تحت النَّافذة المفتوحة حيث تلمع بلُّورات الجليد المذروَّة في نور القمر وتدور في الرِّيح. على مقعد النَّافذة يتسكَّع عُذاف جيئةً وذهاباً، طائر ضخم شاحب منفوش الرِّيش، أكبر عُذافٍ رآه كيثان لانستر على الإطلاق، أكبر من أيِّ صقر صيدٍ في (كاسترلي روك)، أكبر من أكبر بومة، يتراقص الثلج حوله في دوَّاماتٍ ويطلِّيه القمر بالضُّوي. ليس الضُّوي، بل الأبيض. الطَّائر الأبيض.

لا تحمل عُذافان (القلعة) البياض الرِّسائل على غرار أولاد عمومتهما السُّوداء، وحين تطير من (البلدة القديمة) فذلك لغرضٍ واحدٍ لا غير: أن تُعلنَ تغيُّر الفصول.

قال السير كيثان: «السَّناء»، وصنعت الكلمة غمامةً بياضاً في الهواء. التفت عن النَّافذة... ثم ارتطمَ شيء ما بصدرة بين الضُّلوع بعُنْفٍ بالغ

كأن عملاقاً لكمه، شيء أفرغ أنفاسه ودفعه إلى الورا بحدّة. وثب الغداف الأبيض في الهواء وراح يضرب بجناحيه الشاحبين حول رأسه، ونزل السير كيثان على مقعد النافذة بحركة جمعت بين الجلوس والسقوط. ماذا... من... رأى سهمًا مغروسًا حتى الريشة تقريبًا في صدره. لا، لا، هكذا مات أخي. كان الدّم يتسرّب من حول القناة. تمتّ مرتبًا: «بايسل، أغثني... إنني...». ثم إنه رأى المايستر الأكبر بايسل جالسًا إلى منضدته، يتوسّد رأسه المجلّد الضخم المغلّف بالجلد أمامه. فكّر كيثان: نائم... إلى أن حدّق ورأى الشقّ الأحمر العميق في جمجمة الشيخ المبقعة وبركة الدّم تحت رأسه تلوّث صفحات الكتاب، وحول شمعته قطع من العظم وخلايا المخ، جُزر في بحيرة من الشمع الذائب.

أرادَ حرسًا. كان عليّ أن أرسل إليه حرسًا. أيعقل أن سرسي كانت محقّة طوال الوقت؟ هل ارتكب ابن أخيه هذا؟ «تيريون؟ أين...». أجاب صوت شبه مألوف: «بعيد جدًّا».

يقف الرّجل في بركة من الظلال عند خزانة كُتب، ممتلئ الجسد، شاحب الوجه، مستدير الكتفين، يقبض على نُشابية يديه الناعمتين المدهونتين بالمساحيق، وتغوص قدماه في خُفين من الحرير.

- «فارس؟».

وضع الخصيّ النُشابية قائلاً: «سير كيثان، سامحني إن استطعت. لستُ أضمرُ لك ضغينة. لم أفعل هذا بدافع الحقد، بل من أجل البلاد، من أجل الأطفال». إن لي أطفالاً، لي زوجة. أوه، دورنا. غمره الألم، وأغلق السير كيثان عينيه ثم فتحهما ثانية، وقال: «هناك... هناك المئات من حرس لانستر في هذه القلعة».

- «لكن لا أحد منهم في هذه العُرفة لحُسن الحظّ. يُؤلمني هذا يا سيّدي. لست تستحقّ الموت وحيداً في ليلة باردة مظلمة كهذه. ثمة رجالٍ مثلك، رجالٍ أختيار يخدمون قضايا فاسدة... لكنك كنت تُهدّد بإتلاف عمل الملكة الصّالح، بالتّوفيق بين (هايجاردن) و(كاسترلي روك) وربط العقيدة بملكك الصّغير وتوحيد (الممالك السّبع) تحت حُكم تومن، ولذا...».

هَبَّتِ الرِّيحُ مِنَ النَّافِذَةِ وَارْتَجَفَ السَّيْرُ كَيْثَانَ بَعْغَفَ، فَقَالَ فَارَسُ: «أَنْتَ بَرْدَانُ يَا سَيِّدِي؟ سَامِحْنِي. الْمَايَسْتَرُ الْأَكْبَرُ قَضَى حَاجَتَهُ عَلَيَّ نَفْسَهُ فِي أَثْنَاءِ احْتِضَارِهِ وَكَانَتِ الرَّائِحَةُ فُظِيحَةً وَأَوْشَكْتَ عَلَيَّ خَنْقِي».

حَاوَلَ السَّيْرُ كَيْثَانَ أَنْ يَنْهَضَ لَكِنْ قُوَّتُهُ كَانَتْ قَدْ فَرَّتْ مِنْهُ تَمَامًا وَلَمْ يَعْذُ بِحَسِّ سَاقِيهِ.

قَالَ فَارَسُ: «خَطَرَ لِي أَنْ النُّشَابِيَّةَ تَلِيْقَ. لَقَدْ شَارَكَتِ اللُّورْدُ تَايُوَيْنَ الْكَثِيرَ، فَلِمَ لَا تُشَارِكُهُ هَذَا أَيْضًا؟ سَتَحَسِبُ ابْنَةَ أُخِيكَ أَنْ آلَ تَايِرْلَ وَرَاءَ اغْتِيَالِكَ، رُبَّمَا بِالتَّوَاتُؤِ مَعَ الْعِفْرِيَّتِ، وَسِيرَتَابِ آلِ تَايِرْلَ فِيهَا، وَفِي مَكَانٍ مَا سَيَجِدُ شَخْصًا مَا وَسِيلَةٌ لَصَبِّ اللَّوْمِ عَلَيَّ الدُّورْنِيِّينَ. سَتَلْتَهَمُ الشُّكُوكَ وَالشُّقَاقَ وَالظُّنُونِ الْأَرْضِ تَحْتَ قَدَمِي مُلْكِكَ الصَّبِيِّ فِيمَا يَرْفَعُ إِجُونَ رَايَتَهُ فَوْقَ (سْتُورْمَزِ إِنْد) وَيَحْتَشِدُ لُورْدَاتِ الْبِلَادِ حَوْلَهُ».

- «إِجُونَ؟». لَوْهَلَةَ لَمْ يَفْهَمُ، ثُمَّ إِنَّهُ تَذَكَّرَ الرِّضِيعَ الْمَلْفُوفَ بِمِعْطَفِ قَرْمَزِي وَالْقَمَاشَ الْمَلُوثَ بِدَمِهِ وَخَلَايَا مَحَّةَ. «مَيْتٌ، إِنَّهُ مَيْتٌ».

بَدَا صَوْتُ الْخَصِيِّ أَعْمَقَ إِذْ قَالَ: «لَا. إِنَّهُ هُنَا. إِجُونَ مُشْكَكٌ عَلَيَّ الْحُكْمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَشْيَ. لَقَدْ دُرِّبَ عَلَيَّ السَّلَاحَ كَمَا يَلِيْقُ بِفَارَسٍ، لَكِنْ تَعْلِيمُهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَيَّ ذَلِكَ. إِنَّهُ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ، وَيَتَكَلَّمُ عِدَّةَ لُغَاتٍ، وَدَرَسَ التَّارِيخَ وَالْقَانُونَ وَالشُّعْرَ، وَلَقَنَتَهُ سِبْتَةَ تَعَالِيمِ الْعَقِيدَةِ مِنْذُ كَبَرٍ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِفَهْمِهَا، وَعَاشَ مَعَ الصَّيَّادِينَ وَعَمَلَ بِيَدَيْهِ وَسَبَّحَ فِي الْأَنْهَارِ وَرَتَّقَ الشُّبَاكَ وَتَعَلَّمَ غَسْلَ ثِيَابِهِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَبُجِيدَ الصَّيْدِ وَالطَّبِيخَ وَتَضْمِيدَ الْجُرُوحِ، وَيَعْلَمُ مَعْنَى أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ جَائِعًا وَمَطَارِدًا وَخَائِفًا. تَوْمَنْ تَعَلَّمَ أَنَّ الْمَلِكِيَّةَ حَقُّهُ، وَإِجُونَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَلِكِيَّةَ وَاجِبُهُ، أَنْ عَلَيَّ الْمَلِكِ أَنْ يَضَعَ شَعْبَهُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ وَيَحْيَا وَيَحْكُمُ فِي سَبِيلِهِ».

حَاوَلَ كَيْثَانَ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ مَنَادِيًّا... حَرَسَهُ، إِخْوَتَهُ، أَخَاهُ... لَكِنْ الْكَلِمَاتُ أَبَتْ أَنْ تَخْرُجَ، وَسَالَ الدَّمُ مِنْ فَمِهِ وَعَادَ يَرْتَجِفُ بَعْغَفَ.

بَسَطَ فَارَسُ يَدَيْهِ قَائِلًا: «أَنَا آسَفٌ. أَعْرِفُ أَنَّكَ تُعَانِي، وَمَعَ ذَلِكَ هَأَنْدَا أَثَرْتُرُ كَعَجُوزٍ سَخِيْفَةٍ. لَنْضَعُ نَهَايَةَ لِهَذَا إِذْنًا»، وَضَمَّ الْخَصِيَّ شَفْتَيْهِ وَأَطْلَقَ صَفِيرًا قَصِيرًا.

اكتنفت السير كيثان برودة الجليد، وطعته كلُّ نفسٍ جهيدٍ يُحاول أن يأخذه
بالمزيد من الألم. لمَح حركةً، وسمعَ صوت احتكاك الأبخاف الحرير النَّاعم
بالحجر، ثم خرجَ طفل من بركةٍ من الظَّلام، صبي شاحب في ثوبٍ رث لا
يتجاوز التاسعة أو العاشرة، ونهَضَ آخر من وراء مقعد المايستر الأكبر،
وظهرت الفتاة التي فتحت له الباب أيضًا. أحاطوا به من كلِّ جانب، نصف
دستةٍ منهم، أطفال بيض الوجوه سُود الأعين، صبية وصبايا.
وفي أيديهم الخناجر.

نهاية الجزء الخامس

وستروس



الملك الصَّبي



- تومن باراثيون الأول، ملك الأنداليين والروينار والبشر الأوائل، سيّد الممالك السَّبع، صبي في الثامنة،
- زوجته، الملكة مارچري، سليلة عائلة تايرل، تزوّجت ثلاث مرّات، ترملت مرّتين، متّهمة بالخيانة العظيمة، سجينه في سِبت بيلور الكبير،
 - أمّه، الملكة سرسي، سليلة عائلة لانستر، الملكة الأرملة، متّهمة بالخيانة العظيمة، سجينه في سِبت بيلور الكبير،
 - شقيقاه:
 - (الملك چوفري باراثيون الأول)، مات مسمومًا في مأدبة زفافه، صبي في الثانية عشرة،
 - الأميرة مارسلا باراثيون، فتاة في التاسعة، ربيبة الأمير دوران مارتل في صنسپير،
 - قططه، السير پاونس، الليدي ويسكرز، بوتس،
 - شقيقا الملكة سرسي:
 - السير چايمي لانستر، توأمها، لقبه قاتل الملك، قائد الحرس الملكي،
 - تيريون لانستر ولقبه العفريت، متّهم ومدان باغتيال الملك وقتل الأقربين،
 - پودريك پاين، مُرافق تيريون، صبي في العاشرة،
 - أعمام وأخوال الملكة سرسي وأولادهم:

- السير كيثان لانستر، عمَّها،
- السير لانسل، ابن السير كيثان، مُرافق الملك روبرت وعشيق سرسي سابقًا، نُصِبَ سيّدًا على داري حديثًا،
- (ويلم)، ابن السير كيثان، قُتِلَ في ريفررن،
- مارتن، ابن السير كيثان، مُرافق،
- چاني، ابنة السير كيثان، فتاة في الثالثة،
- الليدي چنا لانستر، عمّة سرسي، زوجة إمون فراي،
- (السير كليوس فراي)، ابن چنا، قتله الخارجون عن القانون،
- السير تايوين فراي، يُسمّى تاي، ابن كليوس،
- ويلم فراي، ابن كليوس، مُرافق،
- السير لاينول فراي، ابن الليدي چنا الثاني،
- (تيون فراي)، ابن چنا، قُتِلَ في ريفررن،
- والدر فراي ولقبه والدر الأحمر، أصغر أبناء الليدي چنا، وصيف في كاسترلي روك،
- تايرك لانستر، ابن عمّ سرسي الرَّاحل تايجت،
- الليدي إرميساندهايفورد، زوجة تايرك الطّقة،
- چوي هيل، ابنة جيريون عمّ الملكة سرسي المفقود النّغلة، فتاة في الحادية عشرة،
- سيرينا لانستر، ابنة ستافورد خال سرسي الرَّاحل،
- مارييل لانستر، ابنة ستافورد خال سرسي الرَّاحل وأخت سيرينا،
- السير دافن لانستر، ابن خالها ستافورد،
- السير داميون لانستر، ابن خوّولة بعيد، زوج شيرا كراكهول،
- السير لوشن لانستر، ابنتهما،
- لانا، ابنتهما، زوجة اللورد آنتاريو چاست،
- الليدي مارجو، ابن خوّولة أبعد، زوجة اللورد تايوس بيك،
- مجلس الملك تومن الصّغير:
- (اللورد تايوين لانستر)، يد الملك،
- السير چايمي لانستر، قائد الحرس الملكي،

- السير كيثان لانستر، قِيم القوانين،
- فارس ولقبه الخصي، ولي الهامسين،
- المايستر الأكبر بايسل، مستشار ومعالج،
- اللورد مايس تايرل، اللورد مائيس روان، اللورد باكستر ردواين،
مستشارون،

- حرس تو من الملكي:
- السير چايمي لانستر، القائد،
- السير مريم ترانت،
- السير بوروس بلاونت، أُعفي من منصبه ثم أعيد إليه،
- السير بالون سوان،
- السير أوزموند كتبلاك،
- السير لوراس تايرل، فارس الزهور
- السير آريس أوكهارت، مع الأميرة مارسلا في دورن،
- أهل بيت سرسي في كينجز لاندنج:
- الليدي چوسلين سويقت، رفيقتها،
- سينل ودوركاس، رفيقتها في الفراش وخادمتها،
- لوم، لستر الأحمر، هوك ولقبه ساق الحصان، ذو الأذن القصيرة، بوكنز،
حراس،

- الملكة مارچري سليلة عائلة تايرل، فتاة في السادسة عشرة، أرملة
الملك چوفري باراثيون الأول ومن قبله اللورد رنلي باراثيون،
- بلاط مارچري في كينجز لاندنج:
- مايس تايرل، سيّد هايجاردن، أبوها،
- الليدي آيري سليلة عائلة هايتاور، أمّها،
- الليدي أولينا تايرل، جدّتها، أرملة مسنّة لقبها ملكة الأشواك،
- آريك وإريك، حارسا الليدي أولينا، توأمان طولهما سبعة أقدام لقبهما
شمال ويمين،

- السير جارلان تايرل، أخو مارچري ولقبه الهمام،
- الليدي ليونيت، زوجته، سليلة عائلة فوسواي،

- السير لوراس تايرل، أصغر إخوتها، فارس الزهور، أخ محلّف في الحرس الملكي،
- رفيقات مارچري:
- بنات عمومها، مجا وآلا وإلینور تايرل،
- خطيب إينور، آلن أمبروز، مُرافق،
- الليدي أليسین بولوار، فتاة في الثامنة،
- ميريديث كرين، أو ميرى،
- الليدي تاينا ميريويدز،
- الليدي آليس جريسفورد،
- السّيّنة نستيريكا، أخت في العقيدة،
- باكستر ردواين، سيّد الكرمة،
- ابنه التّوّامان، السير هوراس والسير هوبر،
- المايستر بالابار، معالجه ومستشاره،
- مائيس روان، سيّد البُستان الذهبي،
- السير ويلام ويذرز، قائد حرس مارچري،
- هيو كليفتون، حارس شاب وسيم،
- السير پورتيفر وودرايت وأخوه السير لوكانتين،
- بلاط سرسي في كينجز لاندنج:
- السير أوزفريد كيتلبلاك والسير أوزني كيتلبلاك، أخوان أصغر للسير أوزموند كيتلبلاك،
- السير جريجور كليجاين ولقبه الجبل راكب الخيول، يُحتَضَر متألّمًا بجرح مسموم،
- السير أدام ماربراند، قائد حرس المدينة في كينجز لاندنج «ذوو المعاطف الذهبيّة»،
- چالابار شو، أمير وادي الزّهرة الحمراء، منفي من جُزر الصّيف،
- جايلز روزبي، سيّد روزبي، مصاب بسعال مزمن،
- أورتون ميريويدز، سيّد الطاولة الطويلة،
- تاينا، زوجته، امرأة من مير،

- الليدي تاندا ستوكورث،
- الليدي فاليس، ابنتها الكبرى ووريثتها،
- السير بالمان بيرش، زوج الليدي فاليس،
- الليدي لوليس، ابنتها الصغرى، حُبلى وضعيفة العقل،
- السير برون فارس النَّهر الأسود، زوج الليدي لوليس، مرتزق سابق،
- (شاي)، تابعة معسكرات تخدم كرفيقة فراش لوليس، ماتت خنقاً في فراش اللورد تاوبين،

- المايستر فرنكن، في خدمة الليدي تاندا،
- السير إين باين، عدالة الملك، جلاد،
- رينيفر لونجوتورز، رئيس مُشرفي السَّجَّانين في زنازين القلعة الحمراء،
- روجن، مُشرف سَجَّانين في الزَّنازين السَّوداء،
- اللورد هالاين الهايرومانسر، صاحبِ حكمة من رابطة الخيميائيين،
- نوهو ديميتيس، مبعوث من مصرف براهوس الحديدي،
- كايبرن، نكرومانسر، مايستر سابق من القلعة، لاحقاً عضو في رِفقة الشُّجعان،

- فتى القمر، المهرِّج الملكي،
- بايت، صبي في الثامنة، كبش فداء الملك تومن،
- أورموند ابن البلدة القديمة، عازف القيثارة والمغني الملكي،
- السير مارك مالندور، الذي فقدَ قرداً ونصف ذراع في معركة النَّهر الأسود،

- أوران ووترز، نخل دريفتمارك،
- اللورد أليساندر ستيدمون ولقبه عاشق البنسات،
- السير رونيت كوننجتون ولقبه رونيت الأحمر، فارس وكر الجرافن،
- السير لامبرت ترنبري، السير درموت ابن الغابة المطيرة، السير تالاد ولقبه الطويل، السير بايارد نوركروس، السير بونيفر هاستي ولقبه الصَّالح،
- السير هيو جو فانس، فُرسان مقسمون على الولاء للعرش الحديدي،
- السير لايل كراكهول ولقبه العُفر القوي، السير ألن ستاكسبير، السير
- چون بتلي ولقبه چون الحليق، السير ستفون سويفت، السير همفري سويفت،

- فُرسان مقسمون على الولاء لكاسترلي روك،
- جوزمين پكلدون، مُرافق ومن أبطال معركة النَّهر الأسود،
 - جاريت پايج وليو پاير، مُرافقان ورهينتان،
 - أهل كينجز لاندنج:
 - السِّبتون الأعلى، أبو المؤمنين وصوت الآلهة السَّبعة على الأرض،
رجل عجوز واهن،
 - السِّبتون توربرت، السِّبتون راينارد، السِّبتون لوشن، السِّبتون أوليدور،
أعضاء في مجلس القانتين، يخدمون الآلهة السَّبعة في سبت بيلور الكبير،
 - السِّبته مويل، السِّبته آجلانتين، السِّبته هيلسنت، السِّبته أونلا، عضوات
في مجلس القانتين، يخدمن الآلهة السَّبعة في سبت بيلور الكبير،
 - «العصافير»، أكثر البشر تواضعًا، مخلصون في إيمانهم،
 - شاتايا، مالكة ماخور مكلف،
 - ألايايا، ابنتها،
 - دانسي، ماري، من فتيات شاتايا،
 - رايلا، خادمة، خدمت الليدي سانزا ستارك حديثًا،
 - توبهو موت، من أساتذة الحدادة،
 - هاميش ذو القيثارة، مطرب مسن،
 - أالريك الآيزيني، مطرب كثير التجوال،
 - وات، مطرب يُطلق على نفسه لقب الشاعر الأزرق،
 - السير ثيودان ولز، فارس متدين، عُرف لاحقًا باسم السير ثيودان الصَّالح.
 - راية الملك تومن عبارة عن وعل باراثيون المتوج، أسود على ذهبي،
وأسد لانستر، ذهبي على قرمزي، يتصارعان.

الملك على الجدار



- ستانيس باراثيون الأول، الابن الثاني للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا
سليلة عائلة إسترمونت، سيّد دراجونستون، يُسمّي نفسه ملك وستروس،
- الملكة سيليس سليلة عائلة إسترمونت، زوجته، حالياً في القلعة الشرقيّة
على البحر،
- الأميرة شيرين، ابنتهما، فتاة في السابعة،
- ذو الوجه المرقّع، مهرّج شيرين الأبله،
- إدريك ستورم، ابن أخيه النّعل، ابن الملك روبرت من الليدي ديلينا
فلورنت، صبي في الثانية عشرة، على متن پرندوس المجنون في البحر
الضيق.
- السير أندرو إسترمونت، ابن خال الملك ستانيس، من رجال الملك،
يقود حُرّاس إدريك،
- السير جيرالد جاور، لويس ولقبه السّمّاك، السير تريستون ابن هضبة
تالي، أوامر بلاكبري، من رجال الملك حُرّاس إدريك وحّماته،
- بلاط ستانيس في القلعة السوداء:
- الليدي مليساندرا الآشايّة ولقبها المرأة الحمراء، من راهبات راهلور
إله الضياء،

- مانس رايدر، ملك ما وراء الجدار، أسير ومحكوم عليه بالموت،
- ابن رايدر من زوجته (دالا)، ولید بلا اسم بعد، «الأمير الهمجي»،
- جيلي، مُرضعته، فتاة همجيّة،
- ابنها، ولید آخر بلا اسم بعد، من أبيها (كراستر)،
- السير ريتشارد هورپ، السير چاستن ماسي، السير كلايتون سوجز،
- السير جودفري فارنج ولقبه قاتل العمالقة، اللورد هاروود فل، السير كورليس
- بني، من رجال الملكة وفُرسانها،
- دقان سيورث وبريان فارنج، مُرافقان ملكيَّان،
- بلاط ستانيس في القلعة الشرقيّة:
- السير دافوس سيورث ولقبه فارس البصل، سيّد الغابة المطيرة، أميرال
- البحر الضيق، يد الملك،
- السير أكسل فلورنت، عم الملكة سيليس، أبرز رجال الملكة،
- سالادور سان، من ليس، قرصان، رُبَّان فاليريان وأسطول من القوادس،
- حامية ستانيس في دراجونستون:
- السير رولاند ستورم ولقبه نغل التَّغريدة، من رجال الملك، أمين القلعة
- في دراجونستون،
- المايستر پايلوس، معالج ومعلّم ومستشار،
- «سجّان الثريد» و«سجّان الشلق»، سجّانان،
- اللوردات المقسمون على الولاء لدراجونستون:
- مونتريس فيلاريون، سيّد المدّ والعُزُر وحاكم دريفتمارك، صبي في
- السّادسة،
- دورام بار إمون، سيّد الرّأس الحاد، صبي في الخامسة عشرة،
- حامية ستانيس في ستورمز إند:
- السير جيلبرت فارنج، أمين القلعة في ستورمز إند،
- اللورد إلوود ميدوز، نائب السير جيلبرت،
- المايستر چورن، مستشار السير جيلبرت ومعالجه،
- اللوردات المقسمون على الولاء لستورمز إند:
- إلدون إسترمونت، سيّد الحجر الأخضر، خال الملك ستانيس، خال

- أبي الملك تومن الكبير، صديق حذر للاثنين،
 - السير إيمون، ابن اللورد إلدون ووريثه، مع الملك تومن في كينجز
 لاندنج،
 - السير آلن، ابن السير إيمون، أيضًا مع الملك تومن في كينجز لاندنج،
 - السير لوماس، أخو اللورد إلدون، خال الملك ستانيس ومناصره في
 ستورمز إند،
 - السير أندرو، ابن السير لوماس، يحمي إدريك ستورم في البحر الضيق،
 - لستر موريجن، سيد عُشَّ الغربان،
 - اللورد لوكوس تشيترينج ولقبه لوكوس الصَّغير، شاب في السَّادسة
 عشرة،
 - دافوس سيوورث، سيد الغابة المطيرة،
 - ماريا، زوجته، ابنة نجَّار،
 - (دايل وآلارد وماثوس وماريك)، أبنائهما الأربعة الأكبر، فقداهم في
 معركة النهر الأسود،
 - دقان، مُرافق مع الملك ستانيس في القلعة السوداء،
 - ستانيس، صبي في العاشرة، مع الليدي ماريا في رأس الغضب،
 - ستفون، صبي في السَّادسة، مع الليدي ماريا في رأس الغضب،
 اتَّخذ ستانيس لرايته رمز قلب إله الضياء النَّاري، وهو قلب أحمر محاط
 باللَّهب البرتقالي على خلفيَّة صفراء، وفي داخل القلب وعل باراثيون المتوجَّج
 بلونٍ أسود.

ملك الجُزر والشَّمال



ينحدر آل جرايچوي من الملك الأشيب الذي عاش في عصر الأبطال، وتقول عنه الأساطير إنه لم يحكّم الجُزر الغربيّة فحسب، بل البحر نفسه كذلك وتزوَّج عروس بحر. لآلاف السنين شكّل مُغيرو جُزر الحديد-الذين أطلق عليهم ضحاياهم لقب «الرّجال الحديديّين» رُعبًا مقيمًا عبر البحار، فقد أبَحروا لمسافاتٍ بعيدةٍ حتى ميناء إيبين وجُزر الصّيف، وتباهوا بشراستهم في المعارك وحُرّيّاتهم المقدّسة. كان لكلّ واحدةٍ من جُزر الحديد «ملك ملحي» و«ملك صخري»، وكان هؤلاء ينتخبون ملك الجُزر الأعلى من بينهم، إلى أن جعلَ الملك أوروبون انتقال العرش بالوراثة عندما اغتال بقيّة الملوك أثناء اجتماعهم للانتخاب، ثم قُضيَ على سلالة أوروبون كلها بعد ألف عام عندما اكتسَح الأنداليّون جُزر الحديد، وصاهرَ آل جرايچوي الغزاة كما فعلَ عدد من سادة الجُزر الآخرين.

بسَطَ الملوك الحديديّون سيطرتهم لمسافاتٍ تجاوزت جُزر الحديد نفسها بكثير، وأقاموا ممالك كاملةً على اليابسة بالسّيف والنّار، حتى إن الملك كوريد كان يتفاخر بأن أوامره تسري «حيثما يشمُّ النَّاسُ المياه المالحة أو يسمعون تلاطم الأمواج». في القرون التّالية فقدَ أبناء كوريد الكرمة والبلدة القديمة وجزيرة الدّبية ومساحةً كبيرةً من السّاحل الغربي، ومع ذلك ظلَّ الملك هارن الأسود مسيطرًا على الأراضي الواقعة بين الجبال من العُتق وحتى النهر الأسود خلال حروب الغزو، لكن بعد مصرعه مع أبنائه في سقوط هارنهال

منح إجون تارجارين أراضي النهر لعائلة تلي، وسمح للوردات جُزر الحديد الناجين بإحياء تقليدهم القديم واختيار من يحكمهم، فاختروا اللورد فيكون جرايچوي ابن پايك.

سبق أن قاد بالون جرايچوي سيّد جُزر الحديد تمرّدًا على العرش الحديدي، أخمده الملك روبرت باراثيون الأول وإدارد ستارك سيّد ويترفل، لكن في خضمّ الفوضى التي تبعت موت روبرت نصّب اللورد بالون نفسه ملكًا ثانية وأرسل سفنه الطويلة تُهاجم الشّمال.

يورون جرايچوي، ثالث من يحمل هذا الاسم منذ الملك الأشيب، ملك جُزر الحديد والشّمال، ملك الملح والصّخر، ابن رياح البحر، سيّد حصاد پايك، ربّان الصّمت، لقبه عين الغراب،

- أخوه الأكبر، (بالون)، ملك جُزر الحديد والشّمال، تاسع من يحمل هذا

الاسم منذ الملك الأشيب، مات سقوطًا من عل،

- أرملة الملك بالون، الملكة ألانيس سليلة عائلة هارلو،
- أولادهما:

- (رودريك)، قُتل خلال تمرّد بالون الأول،

- (مارون)، قُتل خلال تمرّد بالون الأول،

- آشا، ابنتهما، ربّان الرّيح السّوداء وغازية ربوة الغابة،

- ثيون، يُسمّي نفسه أمير ويترفل، يُسمّيه الشّماليون ثيون المارق،

- إخوة الملك يورون الأشقاء وغير الأشقاء:

- (هارلون)، مات بالداء الأرمد في شبابه،

- (كوينتون)، مات في طفولته،

- (دونل)، مات في طفولته،

- فيكتاريون، الرّبّان قائد الأسطول الحديدي، سيّد النّصر الحديدي،

- (يوريجون)، مات بجرح بليغ،

- آرون، من رهبان الإله الغريق،

- روس ونورچن، اثنان من مُعاونيه، «الرّجال الغرقى»،

- (روبن)، مات في طفولته،

- أهل بيت الملك بالون في پايك:

- المبايستر ويندامير، معالج ومستشار،
- هيليا، راعية القلعة،
- مُحاربو الملك بالون والمقسمون له:
- داجمر ولقبه ذو الفُكِّ المفلوق، رُبَّانُ ثُمالة البحر، يقود الحديديين في مَرَبِّع تورين،
- ذو السِّنِّ الزَّرَقاء، رُبَّانُ سفينة طويلة،
- أولر وسكايت، مَلَّاحان ومُحاربان،
- المطالبون بكَرسي حجر اليم في انتخاب الملك في ويك القديمة:
- جيلبرت فارويند، سيّد المنارة الوحيدة،
- أنصار جيلبرت: أبناؤه جايلز ويجون ويون،
- إريك آيرونميكِر ولقبه محطَّم السَّنادين وإريك العادل، عجوز، رُبَّان ومُغبر ذائع الصَّيت سابقًا،
- أنصار إريك: أحفاده أوريك وثورمور وداجون،
- دنستان دروم، دروم الكبير، اليد العظيمة، سيّد ويك القديمة،
- أنصار دنستان: ابنه دينس ودونل، وأندريك اللامبتسم، رجل عملاق،
- آشا جرايچوري، ابنة بالون جرايچوي الوحيدة، رُبَّان الرِّيح السَّوداء،
- أنصار آشا: كارل البكر، تريستيفر بوتلي، السير هاراس هارلو،
- ربانة آشا وداعموها: اللورد رودريك هارلو، اللورد بيلور بلاكتايد،
- اللورد ملدريد مرلين، هارموند شارپ،
- فِيكتاريون جرايچوي، أخو بالون جرايچوي، سيّد النَّصر الحديدي،
- الرُّبان قائد الأسطول الحديدي،
- أنصار فَيكتاريون: رالف ستونهاوس الأحمر، رالف الأعرج، نيوت الحَلَّاق،
- ربانة فَيكتاريون وداعموه: هوثو هارلو، آلثن شارپ، فرالج القوي،
- رومني ويثر، ويل همبل، لينوود تاووني الصَّغير، رالف كنينج، مارون فُولمارك،
- جورولد جودبراذر،
- طاقم سفينة فَيكتاريون: وولف ذو الأذن الواحدة، راجنور پايبك،
- رفيقة فَيكتاريون في الفُراش امرأة سمراء خرساء بلا لسان، هديّة من

- أخيه يورون،
يورون جرايچوي ولقبه عين الغراب، أخو بالون جرايچوي، رُبَّان
الصَّمت،
- أنصار يورون: جرmond بوتلي، اللورد أوركود سيّد أوركومنت، دونور
سولتكليف،
- ربانة يورون وداعموه: توروولد ذو السنّ البنيّة، چون ماير ذو الوجه
المسحوب، رودريك المولود حُرّاً، الملاح الأحمر، لوкас كود الأعسر،
كويلون همبل، هارن النّصف هور، كيميت پايك النّغل، ذو اليد الحجر، رالف
الرّاعي، رالف سليل لوردزپورت،
- طاقم سفينة يورون: كراجورن،
- حمّلة راية بالون، لوردات جُزر الحديد:
في پايك:
- (ساوان بوتلي)، سيّد لوردزپورت، أغرقه يورون عين الغراب،
- تريستيفر، ابنه الثاني ووريثه الشرعي، طرده عمّه،
- سايموند وهارلون وفيكون وبينايون، أبناؤه الأصغر، مطرودون أيضاً،
- جرmond، أخوه، نُصّب سيّدًا على لوردزپورت،
- ابنا جرmond، بالون وكويلون،
- سارجون ولوسيمور، أخوا ساوان غير الشّقيقين،
- وكس، صبي أخرس في الثانية عشرة، ابن سارجون النّغل، مُرافق ثيون
جرايچوي،
- والدون وينش، سيّد غابة الحديد،
في هارلو:
- رودريك هارلو ولقبه القارئ، سيّد هارلو، سيّد البروج العشرة، زعيم
عائلة هارلو في هارلو،
- الليدي جوينيس، أخته الكبيرة،
- الليدي ألانيس، أخته الصّغيرة، أرملة الملك بالون جرايچوي،
- سيحفريد هارلو ولقبه سيحفريد ذو الشّعر الفضيّ، عمّه الكبير، سيّد
بهو هارلو،

- هوثو هارلو ولقبه هوثو الأحذب، مقرّه بُرج البريق، ابن عمومة،
- السير هاراس هارلو ولقبه الفارس، فارس الحديقة الرّماديّة، ابن عمومة،
- بورموند هارلو ولقبه بورموند الأزرق، سيّد تَل هاريدان، ابن عمومة،
- حملة راية اللورد رودريك والمقسمون له:
- مارون فُولمارك، سيّد فُولمارك،
- ماير، ستونتري، كنينج،
- أهل بيت اللورد رودريك:
- ذات الثلاث أسنان، وكيلته، امرأة عجوز،
- في بلاكتايد:
- بيلور بلاكتايد، سيّد بلاكتايد، رُبّان طيّار الليل،
- بن بلاكتايد الأعمى، من رُهبان الإله الغريق،
- في ويك القديمة:
- دنستان دروم، دروم الكبير، رُبّان الرّاعد،
- نورن جودبراذر، سيّد الحجر المهشّم،
- ستونهاوس الكبير،
- تارل ولقبه تارل الغارق ثلاثًا، من رُهبان الإله الغريق،
- في ويك الكُبرى:
- جورولد جودبراذر، سيّد هامرهورن،
- أبناؤه، جرايدون وجورموند وجران، توائم،
- ابتناه، جايزلا وجوين،
- المايستر مورنميور، معلّم ومعالج ومستشار،
- تريستون فارويند، سيّد رأس الفقمات،
- سهار الكبير،
- ابنه ووريته، ستيفاريون،
- ملدريد مرلين، سيّد بلدة الحصى،
- في أوركمنت:
- أوركوود سيّد أوركمنت،
- اللورد تاووني،

في جُرف الملح:
- اللورد دونور سولتكليف،
- اللورد سندرلي،
في الجُزر والصُّخور الأصغر:
- جيلبرت فارويند، سيّد المنارة الوحيدة،
- النّورس الرّمادي العجوز، من رُهبان الإله الغريق.
راية آل جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيّة سوداء، وكلماتهم:
«نحن لا نزرع».

عائلات أخرى صغيرة وكبيرة

عائلة آرن



تنحدر عائلة آرن من ملوك الجبال والوادي، وهي واحدة من أقدم وأنقى سُلالات النبلاء الأنداليين. لم تُشارك عائلة آرن في حرب الملوك الخمسة، واحتفظت بقوّاتها للدِّفاع عن وادي آرن.

راية آل آرن عبارة عن قمرٍ وصقرٍ أبيضين على خلفيّة ذات لونٍ أزرق سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشرف».

روبرت آرن، سيّد العُش، حامي الوادي، سمّته أمّه حاكم الشّرق الشّرعي، صبي سقيم في الثامنة، يُسمّى أحياناً العُصفور الجميل،
- أمّه، (الليدي لايسا سليلة عائلة تلي)، أرملة اللورد چون آرن، ماتت مدفوعةً من باب القمر،

- زوج أمّه، بيتر بايلش ولقبه الإصبع الصّغير، سيّد هارنهال، سيّد الثالوث الأعلى، اللورد حافظ الوادي،

- إليني ستون، ابنة اللورد بيتر الطّبيعيّة، فتاة في الثالثة عشرة، هُوّيّتها الحقيقيّة سانزا ستارك،

- السير لوثور برون، مرتزق في خدمة اللورد بيتر، قائد حرس العُش،

- أوزويل، جندي عجوز في خدمة اللورد بيتر، يُسمّى أحياناً كتلبلاك،

- أهل بيت اللورد روبرت في العُش:

- ماريليون، مطرب شاب وسيم أثير عند الليدي لايسا ومتهّم بقتلها،

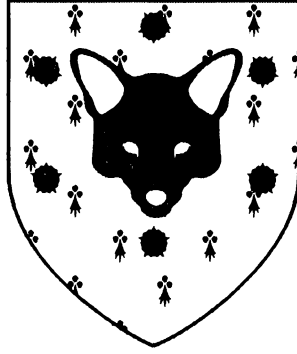
- المايستر كولمون، مستشار ومعالج ومعلّم،

- مورد، سَجَّانَ غاشم له أسنان من الذهب،
- جرتشل ومادي وميلا، خادمت،
- حملة راية اللورد روبرت، لوردات الوادي:
- اللورد نستور رويس، وكيل الوادي الأعلى وأمين قلعة بوابات القمر،
- السير ألبار، ابن اللورد نستور ووريثه،
- ميراندا وتُسَمَّى راندا، ابنة اللورد نستور، أرملة بعد زيجة قصيرة،
- أهل بيت اللورد نستور:
- السير ماروين بلمور، قائد الحرس،
- ميا ستون، سائقة وراعية بغال، ابنة الملك روبرت باراثيون الأول النغلة،
- أوسي وكاروت، سائقا بغال،
- لايونل كوربراي، سيّد بيت القلوب،
- السير لين كوربراي، أخوه ووريثه، حامل السيف الشهير سيّدة البؤس،
- السير لو كاس كوربراي، أخوه الأصغر،
- چون ليندرلي، سيّد غابة الثعابين،
- تيرانس، ابنه ووريثه، مُرافق شاب،
- إدموند واكسلي، فارس ويكندن،
- چيرولد جرافتون، سيّد بلدة النوارس،
- جايلز، ابنه الأصغر، مُرافق،
- تريستون سندرلاند، سيّد الثلاث أخوات،
- جودريك دورل، سيّد الأخت العذبة،
- رولاند لونجثورپ، سيّد الأخت الطويلة،
- أليساندور تورنت، سيّد الأخت الصّغيرة،
- لوردات البيان، حملة راية عائلة آرن المتضافرون دفاعاً عن اللورد روبرت:
- يون رويس ولقبه يون البرونزي، سيّد رونستون، من الفرع الرّئيس لعائلة رويس،
- السير أندار، ابن يون البرونزي الحي الوحيد، وريث رونستون،
- أهل بيت يون البرونزي:

- الجايستر هليويج، معلّم ومعالج ومستشار،
 - السّپتون لوكوس،
 - السير سامويل ستون ولقبه سام ستون القوي، قيمّ السّلاح،
 - حمّلة راية يون البرونزي والمقسمون له:
 - رويس كولدووتر، سيّد غدیر الماء البارد،
 - السير دامون شفت، فارس بُرج النّوارس،
 - أوثور توليت، سيّد الوادي الرّمادي،
 - آنيا واينوود، سيّدة السّنديانة الحديدية،
 - السير مورتون، ابنها الأكبر ووريثها،
 - السير دونل، ابنها الثاني، فارس البوّابة،
 - والاس، ابنها الأصغر،
 - هارولد هاردينج، ربيها، مُرافق شاب يُسمّى غالبًا هاري الوريث،
 - بنيدار بلمور، سيّد الأغرودة،
 - السير سايموند تمپلتون، فارس النّجوم التّسع،
 - (إيون هتتر)، سيّد بهو القوس الطّويل، مات قريبًا،
 - السير جيلوود، ابن اللورد إيون الأكبر ووريثه، الآن يُسمّى اللورد هتتر
- اليافع،
- السير إيوستس، ابن اللورد إيون الثاني،
 - السير هارلان، ابن اللورد إيون الأصغر،
 - أهل بيت اللورد هتتر اليافع:
 - الجايستر ويلامن، مستشار ومعالج ومعلّم،
 - هورتون ردفورت، سيّد ردفورت، تزوّج ثلاث مرّات،
 - السير چاسپر، السير كرايتون، السير چون، أبناؤه،
 - السير مايكل، ابنه الأصغر، فارس مستجد، زوج يسيلار رويس ابنة رونستون،
 - زُعماء قبائل جبال القمر:
 - شاجا بن دولف زعيم الغربان الحجرية، حاليًا يقود جماعةً في غابة الملوك،

- تيميت بن تيميت، زعيم الرّجال المحروقين،
- تشلابنت تشيك، زعيمة الأذان السّوداء،
- كراون بن كالور، زعيم إخوة القمر.

عائلة فلورنت

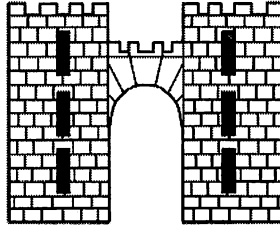


آل فلورنت أولاد قلعة المياه الوضّاءة من حملة راية عائلة تايرل، على الرغم من أسبقية حقهم في هايجاردن استنادًا إلى صلة دم بينهم وبين عائلة جارندر التي حكم ملوكها المرعى قديمًا. لدى اندلاع حرب الملوك الخمسة تبع اللورد أكستر فلورنت آل تايرل في إعلانهم تأييد الملك رنلي، لكن أخاه السير أكسل اختارَ الملك ستانيس، الذي خدمه أعوامًا كأمين القلعة في دراجونستون، وقد كانت سيليس ابنة أخيها وما زالت ملكة ستانيس. بعد موت رنلي عند ستورمز إند انضم آل فلورنت لستانيس بقوتهم كلها، وهم أول من يفعل هذا من حملة راية رنلي. نصّب ستانيس اللورد أكستر يدًا له، وأعطى أخا زوجته السير إمري فلورنت قيادة أسطوله، وفي معركة النهر الأسود ضاع كلا الأسطول والسير إمري، وعدّ الملك ستانيس جهود اللورد أكستر للتفاوض على السلام خيانةً، وأعطى الرّاهبة الحمراء مليساندرا إياه لتُحرّقه كقربان لراهلور.

رمز عائلة فلورنت عبارة عن ثعلبٍ يطلُّ برأسه من حلقةٍ من الزهور.
(أكستر فلورنت)، سيّد قلعة المياه الوضّاءة،
- زوجته، الليدي ميلارا، سليلة عائلة كرين،

- أولادهما:
- ألبكاين، وريث قلعة المياه الوضاء،
- ميليسا، زوجة اللورد راندل تارلي،
- ريا، زوجة اللورد لايتون هايتاور،
- أخواه:
- السير أكسل، أمين قلعة دراجونستون،
- (السير ريام)، ماتَ حين سقطَ من فوق حصان،
- ابنة السير ريام، الملكة سيليس، زوجة الملك ستانيس،
- ابن السير ريام الأكبر ووريثه، (السير إمري)،
- ابن السير ريام الثاني، السير إرن،
- السير كولين،
- ابنة السير كولين، ديلينا، زوجة السير هوسمان نوركروس،
- ابن ديلينا، إدريك ستورم، ابن غير شرعي للملك روبرت،
- ابن ديلينا، آلستر نوركروس،
- ابن ديلينا، رنلي نوركروس،
- ابن كولين، المايستر أومر، في خدمة أوك القديمة،
- ابن كولين، ميريل، مُرافق في الكرمة،
- أخته، رايلين، زوجة ريتشارد كرين.

عائلة فراي



يتمتع آل فراي بالقوة والثراء وعددٍ وفير من الأولاد، وهم حملة راية عائلة تلي ومقسمون على الولاء لريفررن، وإن كانوا لا يلتزمون دائمًا بأداء واجبهم، فحين قاتل روبرت باراثيون ريجار تارجارين في معركة الثالوث لم يصل رجال فراي إلا بعد انتهاء القتال، ومنذ ذلك الحين لقب هوستر تلي اللورد والدر باللورد فراي الممتلئ. لم يوافق اللورد فراي على دعم روب ستارك إلا بعد أن وافق روب ستارك على خطبة واحدة من بناته أو حفيداته، ووعد بأن يتزوجها حين تنتهي الحرب، ثم عندما تزوج چاين وسترلينج بدلاً من ذلك تأمر آل فراي مع رويس بولتون واغتالوا الذئب الصغير وأتباعه في الحادثة التي صارت معروفةً باسم الزفاف الأحمر.

والدر فراي، سيد المعبر،

- من زوجته الأولى، (الليدي پيرا) سليلة عائلة رويس:

- السير ستفرون، وريث التوأمتين،

- زوجته (كورينا سوان)، ماتت بمرض مزمن،

- ابن ستفرون الأكبر، السير رايمان،

- ابن رايمان، إدوين، زوج چانيس هنتر،

- ابنة إدوين، والدا، فتاة في الثامنة،

- ابن رايمان، والدر، لقبه والدر الأسود،

- ابن رايمان، (بيتر)، لقبه بيتر ذو الدمامل، زوج ميليندا كارون،

- ابنة پيتر، پيرا، فتاة في الخامسة،
- زوجته (چين ليدين)، ماتت حين سقطت من على حصان،
- ابن ستقرون، (إجون)، أبه ملقب بذي الجلاجل،
- ابنة ستقرون، (مايجل)، ماتت أثناء الوضع،
- السير دافين فانس،
- ابنة مايجل، ماريان، عذراء،
- ابن مايجل، والدر فانس، مُرافق فارس،
- ابن مايجل، باتريك فانس،
- زوجته (مارسلا واينوود)، ماتت أثناء الوضع،
- ابن ستقرون، والتون، زوج ديانا هاردينج،
- ابن والتون، ستفون، لقبه الحُلو،
- ابنة والتون، والدا، لقبها والدا الحسنا،
- ابن والتون، برايان، مُرافق فارس،
- السير إمون، زوج چنا سليلة عائلة لانستر،
- ابن إمون، (السير كليوس)، زوج چين داري، قتله الخارجون عن القانون قرب بركة العذارى،
- ابن كليوس، تايوين، مُرافق فارس في الحادية عشرة،
- ابن كليوس، ويلم، وصيف في آشمارك،
- ابن إمون، السير لاينول، زوج ميليسا كراكهول،
- ابن إمون، (تيون)، قتله ريكارد كارستارك وهو أسير في ريشررن،
- ابن إمون، والدر، لقبه والدر الأحمر، وصيف في كاسترلي روك،
- السير إينس، زوج (تيانا وايلد)، ماتت أثناء الوضع،
- ابن إينس، إجون وليد الدّم، خارج على القانون،
- ابن إمون، ريجار، زوج چين بيزبوري،
- ابن ريجار، روبرت، صبي في الثالثة عشرة،
- ابنة ريجار، والدا، فتاة في العاشرة، لقبها والدا البيضاء،
- ابن ريجار، چونوس، صبي في الثامنة،
- پريان، زوجة السير ليزلين هاي،

- ابن پريان، السير هاريس هاي،
- ابن هاريس، والدر هاي، صبي في الرَّابِعة،
- ابن پريان، السير دونل هاي،
- ابن پريان، السير آكين هاي، مُرافق فارس،
- من زوجته الثَّانية، (الليدي كايرينا) سليلة عائلة سوان:
- السير چارد، ابنهما الأكبر، زوج (آليس فراي)،
- ابن چارد، (السير تايِتوس)، زوج زوي بلينتري، قتله ساندور كليجاين
خلال الزَّفاف الأحمر،
- ابنة تايِتوس، زيا، فتاة في الرَّابِعة عشرة،
- ابن تايِتوس، زاكري، صبي في الثَّانية عشرة، يتدرب في سِبت البلدة
القديمة،
- ابنة چارد، (كايرا)، زوجة جارس جودبروك، قُتلت خلال الزَّفاف
الأحمر،
- ابن كايرا، والدر جودبروك، صبي في التَّاسِعة،
- ابنة تايِتوس، چين جودبروك، فتاة في السَّادِسة،
- السِّپتون لوسيون، يخدم في سِبت بيلور الكبير في كينجز لاندنج،
- من زوجته الثَّالثة، (الليدي أماري) سليلة عائلة كراكهول:
- السير هوستين، ابنهما الأكبر، زوج بيلينا هاويك،
- ابن هوستين، السير آروود، زوج رييلا رويس،
- ابنة آروود، رييلا، فتاة في الخامسة،
- ابنا آروود التَّوأم، أندرو وآلين، في الثَّالثة،
- الليدي لايتين، زوجة اللورد لوشياس فايرن،
- ابنة لايتين، إليانا، زوجة السير چون وايلد،
- ابن إليانا، ريكارد وايلد، في الرَّابِعة،
- ابن لايتين، السير ديمون فايرن،
- سايموند، زوج بيثاريوس البرافوسية،
- ابن سايموند، أليساندر، مغنّ،
- ابنة سايموند، آلكس، فتاة في السَّابعة عشرة،

- ابن سايموند، برادامار، صبي في العاشرة، نشأ في براثوس ربيياً للتاجر أورو تندايريس،
- السير دانويل، زوج واينافري ونت،
- (وُلِدَ أبناؤهما إمّا موتى أو ماتوا في المهد)،
- (ميريت)، زوج ماريا داري، ماتَ شنقاً في الحجر العتيق،
- ابنة ميريت، أميري، تُسَمَّى أمي، أرملة في السادسة عشرة، كانت زوجة (السير پايت فارس الفرع الأزرق، قتله السير جريجور كليجاين)،
- ابنة ميريت، والدا، لقبها والدا السّمينه، فتاة في الخامسة عشرة،
- ابنة ميريت، ماريسا، فتاة في الثالثة عشرة،
- ابن ميريت، والدر، لقبه والدر الصّغير، صبي في الثامنة، ينشأ في ويترفل كريبب الليدي كاتلين ستارك،
- (السير چريمي)، مات غرقاً، كان زوج كارولي واينوود،
- ابن چريمي، ساندور، صبي في الثانية عشرة، مُرافق السير دونل واينوود،
- ابنة چريمي، سينثيا، فتاة في التاسعة، ربيبة الليدي أنيا واينوود،
- السير رايموند، زوج بيوني بيزبوري،
- ابن رايموند، روبرت، في السادسة عشرة، يتدرّب في قلعة البلدة القديمة،
- ابن رايموند، مالوين، في الخامسة عشرة، يتدرّب لدى خيميائي في ليس،
- ابنتا رايموند التّوأم، سيرا وسارا، فتاتان في الرّابعة عشرة،
- ابنة رايموند، سرسي، في السادسة، لقبها النّحلة الصّغيرة،
- من زوجته الرّابعة، (الليدي أليسا) سليله عائلة بلاكوود:
- لوئار، ابنتها الأكبر، لقبه لوئار الكسيح، زوج ليونلا ليفورد،
- ابنة لوئار، تايسين، فتاة في السّابعة،
- ابنة لوئار، والدا، فتاة في الرّابعة،
- ابنة لوئار، إمبريلي، فتاة في الثانية،
- السير چاموس، زوج سالي پايج،
- ابن چاموس، لقبه والدر الكبير، صبي في الثامنة، ينشأ في ويترفل

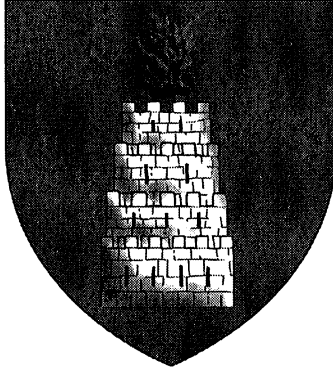
كريبب الليدي كاتلين ستارك،

- ابنا چاموس التّوأم، ديكون وماثوس، في الخامسة،
- السير والن، زوج سيلوا پايچ،
- ابن والن، هوستر، صبي في الثّانية عشرة، مُرافق السير ديمون پايچ،
- ابنة والن، ماريان، تُسمّى مري، فتاة في الحادية عشرة،
- الليدي موريا، زوجة السير فليمنت براكس،
- ابن موريا، روبرت براكس، في التّاسعة، ينشأ كوصيف في كاسترلي روك،

- ابن موريا، والدر براكس، صبي في السّادسة،
- ابن موريا، چون براكس، صبي في الثّالثة،
- تايئا، لقبها تايئا العذراء، في التّاسعة والعشرين،
- من زوجته الخامسة، (الليدي ساريا) سليلة عائلة وِنت:
- لا أولاد،
- من زوجته السّادسة، (الليدي بثاني) سليلة عائلة روزبي:
- السير پروين، ابهما الأكبر،
- السير (بنفري)، ابن اللورد والدر السّادس عشر، مات بجرحٍ أصابه خلال الزّفاف الأحمر، زوج چيانا فراي، ابنة عمه،
- ابنة بنفري، دِلا، لقبها دِلا الصّماء، في الثّالثة،
- ابن بنفري، أوزموند، صبي في الثّانية،
- الجايستر ويلامن، يخدم في قلعة القوس الطّويل،
- أوليفار، مُرافق في خدمة روب ستارك،
- روزلين، فتاة في السّادسة عشرة،
- من زوجته السّابعة، (الليدي أنارا) سليلة عائلة فارنج:
- أروين، فتاة في الرّابعة عشرة،
- وندل، ابهما الأكبر، صبي في الثّالثة عشرة، ينشأ في سيجارد كوصيف،
- كولمار، موعود بالخدمة في العقيدة، في السّابعة،
- والتير، يُسمّى تير، صبي في العاشرة،
- إلمار، خطيب آريا ستارك، صبي في التّاسعة،

- شيري، فتاة في السادسة،
- من زوجته الثامنة، (الليدي چويثيوس) سليلة عائلة إيرينفورد:
- لا أولاد بعد،
- أولاد اللورد والدر غير الشرعيين من أمهاتٍ مختلفات:
- والدر ريفرز، لقبه والدر النغل،
- ابن والدر النغل، السير إيمون ريفرز،
- ابنة والدر النغل، والدا ريفرز،
- المايستر ملويس، يخدم في روزبي،
- چين ريفرز، مارتن ريفرز، رايجر ريفرز، رونل ريفرز، ميلارا ريفرز،
آخرون.

عائلة هايتاور



آل هايتاور أولاد البلدة القديمة من أعرق عائلات وستروس الكبرى وأكثرها إباءً، وتنحدر أصولهم من البشر الأوائل. قديماً كانوا ملوكاً يحكمون البلدة القديمة والأنحاء المحيطة بها منذ فجر العصور، ورحبوا بالأنديين بدلاً من مقاومتهم، ولاحقاً خضعوا لملوك المرعى متخليين عن تيجانهم وإن احتفظوا بجميع امتيازاتهم العتيقة. على الرغم من سطوتهم وثرانهم الفاحش لطالما فضّل لوردات البرج العالي التجارة على القتال، ونادراً ما لعبوا دوراً كبيراً في حروب وستروس. كان آل هايتاور عاملاً سياسياً في إنشاء القلعة وما زالوا يحمونها حتى اليوم، ولحصافتهم ورقيتهم كانوا دوماً رعاة للعلم والعقيدة، ويُقال إن بعضاً معيناً منهم اشتغل أيضاً في الخيمياء والهايمرومانسي والنكرومانسي وغيرها من فنون السحر.

رمز عائلة هايتاور برج أبيض مدرج متوج بالنار على خلفية بلون الدخان، وكلماتهم: «نُبير الطّريق».

لايتون هايتاور، صوت البلدة القديمة، سيّد المرفأ، سيّد البرج العالي،
حامي القلعة، منارة الجنوب، يُسمّى شيخ البلدة القديمة،
- الليدي ريا سليلة عائلة هايتاور، زوجته الرابعة،

- أكبر أبناء اللورد لايتون ووريثه، السير بيلور ولقبه بيلور البشوش، زوج
روندا روان،

- ابنة اللورد لايتون، مالورا ولقبها العذراء المجنونة،
- ابنة اللورد لايتون، آيري، زوجة اللورد مايس تايرل،
- ابن اللورد لايتون، السير جارث ولقبه الفولاذ الرمادي،
- ابنة اللورد لايتون، دينيس، زوجة السير دزموند ردواين،
- ابنها، دينس، مُرافق،
- ابنة اللورد لايتون، لايلا، زوجة السير چون كوپس،
- ابنة اللورد لايتون، أليسين، زوجة اللورد آرثر أمبروز،
- ابنة اللورد لايتون، لينيس، زوجة اللورد چورا مورمونت، والآن كبيرة
محظيات تريجار أورمولن في ليس،
- ابن اللورد لايتون، السير جونثور، زوج چاين فوسواي من فرع عائلة
فوسواي الأخضر،

- ابن اللورد لايتون الأصغر، السير همفري،
- حَمَلَة راية اللورد لايتون:
- تومن كوستاين، سيّد الأبراج الثلاثة،
- أليسين بولوار، سيّدة التّاج الأسود، فتاة في الثامنة،
- مارتن مالدور، سيّد النُّجود،
- وارن بيزبوري، سيّد ربوة العسل،
- برانستون كاي، سيّد بهو عبّاد الشمس،
- أهل البلدة القديمة:
- إما، ساقية في الرّيشة والدّورق، حيث النّساء شبقات وخمر التّفّاح قويّة
للغاية،

- روزي، ابنتها، فتاة في الخامسة عشرة ستتكلف بكارتها تينًا ذهبيًا،
- رؤساء المايسترات في القلعة:
- المايستر الرّئيس نورن، قهرمان العام الحالي، خاتمه وصولجانه وقناعه
من معدن الإلكتروم،
- المايستر الرّئيس ثيوبولد، قهرمان العام المقبل، خاتمه وصولجانه

- وقناعه من الرصاص،
- المايستر الرئيس إيبروز، المعالج، خاتمه وصولجانه وقناعه من الفضة،
- المايستر الرئيس ماروين ولقبه ماروين المشعوذ، خاتمه وصولجانه وقناعه من الفولاذ الثاليري،
- المايستر الرئيس بيرستان، المؤرّخ، خاتمه وصولجانه وقناعه من النحاس،
- المايستر الرئيس فايلين ولقبه الخل، الفلكي، خاتمه وصولجانه وقناعه من البرونز،
- المايستر الرئيس ريام، خاتمه وصولجانه وقناعه من الذهب الأصفر،
- المايستر الرئيس والجريّف، عجوز تائه العقل، خاتمه وصولجانه وقناعه من الحديد الأسود،
- جالارد، كاستوس، زارابلو، بنيدكت، جاريزون، نايموس، سيثريس، ويليفر، مولوس، هارودون، جايني، أجريّفان، أوكلي، كلهم رؤساء مايسترات،
- مايسترات ومُعاونو ومبتدئو القلعة:
- المايستر جورمون، يخدم غالبًا في مكان والجريّف،
- آرمن ويسمى المُعاون، مُعاون في سلسلته أربع حلقات،
- أليراس ولقبه أبو الهول، مُعاون في سلسلته ثلاث حلقات، قوّاس بارع،
- روبرت فراي، في السّادسة عشرة، مُعاون في سلسلته حلقتان،
- لوركاس، مُعاون في سلسلته تسع حلقات، في خدمة القهرمان،
- ليو تايرل ولقبه ليو الكسول، مبتدئ من النبلاء،
- مولاندر، مبتدئ مولود بقدم معوّجة،
- پايت، يعتني بـغدفان المايستّر الرئيس والجريّف، مبتدئ غير واعد،
- روون، مبتدئ صغير.

عائلة لانستر



يبقى آل لانستر أولاد كاسترلي روك أقوى المؤيدين لدعوى الملك تومن للعرش الحديدي، ويأتي نسبهم من جهة الإناث من لان الأريب، المُحتال الذي عاش في عصر الأبطال، وقد جعلهم ذهب كاسترلي روك والنَّاب الذهبى أثرى العائلات الكُبرى.
راية آل لانستر عبارة عن أسدٍ ذهبي على خلفيّة قرمزيّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

(تايوين لانستر)، سيّد كاسترلي روك، حامي لانسپورت، حاكم الغرب، يد الملك، قتله ابنه القزم في مرحاضه،

- أولاد اللورد تايوين:
- سرسي، توأمه چايمي، الآن سيّدة كاسترلي روك،
- چايمي، توأم سرسي ولقبه قاتل الملك،
- تيريون ولقبه العفريت، قزم وقاتل أقربين،
- إخوة اللورد تايوين وأولادهم:
- السير كيثان لانستر، زوج دورنا سليلة عائلة سويفت،
- الليدي چنا، زوجة إمون فراي، الآن سيّد ريفررَن،

- ابن چنا الأكبر، (السير كليوس فراي)، زوج چاين سليله عائلة داري، قتلته الخارجون عن القانون،
- ابن كليوس الكبير، السير تايوين فراي ويسمى تاي، الآن وريث ريفررن،
- ابن كليوس الثاني، ويلم فراي، مرافق،
- ابن چنا الثاني، السير لاينول فراي،
- ابن چنا الثالث، (تيون فراي)، قُتل وهو أسير في ريفررن،
- ابن چنا الأصغر، والدر فراي ولقبه والدر الأحمر، وصيف في كاسترلي روك،

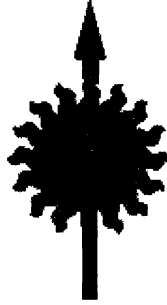
- وات ذو الابتسامه البيضاء، مطرب في خدمة الليدي چنا،
- السير تايجت لانستر، مات بالجُدري،
- تايرك، ابن تايجت، مفقود ويُخشى أنه مات،
- الليدي إرميساند هايفورد، زوجة تايرك الطفلة،
- (جيريون لانستر)، مفقود في البحر،
- چوي هيل، ابنة جيريون النخلة، فتاة في الحادية عشرة،
- أهل اللورد تايوين المقربون الآخرون:
- (السير ستافورد لانستر)، ابن عم اللورد تايوين وأخو زوجته، قُتل في معركة أوكسكروس،

- سيرينا وماريل، ابنتا ستافورد،
- السير دافن لانستر، ابن ستافورد،
- السير داميون لانستر، ابن عم، زوج شيرا كهراكهول،
- ابنتهما، السير لوشن،
- ابنتهما، لانا، زوجة أنتاريو چاست،
- الليدي مارجو، ابنة عمومة، زوجة اللورد تايوس بيك،
- أهل بيت اللورد تايوين في كاسترلي روك:
- الوايستر كرايلن، معالج ومعلم ومستشار،
- فأيلار، قائد الحرس،
- السير بنيدكت بلوم، قيم السلاح،
- وات ذو الابتسامه البيضاء، مطرب،

- حملة راية ومقسمون على الولاء، لوردات الغرب:
- دامون ماربراند، سيّد آشمارك،
- السير أدام ماربراند، ابنه ووريثه، قائد حرس المدينة في كينجز لاندنج،
- رولاند كراكهول، سيّد كراكهول،
- أخو رولاند، (السير برتون)، قتله الخارجون عن القانون،
- ابن رولاند ووريثه، السير تايولت،
- ابن رولاند، السير لايل ولقبه العُقر القوي،
- ابن رولاند الأصغر، السير مرلون،
- سيياستون فارمان، سيّد الجزيرة القصية،
- چاين، أخته، زوجة السير جاريث كليفتون،
- تايوس براكس، سيّد وادي القرون،
- السير فليمنت براكس، أخوه ووريثه،
- كويتن بانفورت، سيّد بانفورت،
- السير هاريس سويفت، حمو السير كيثان،
- ابن السير هاريس، السير ستفون سويفت،
- ابنة السير ستفون، چوانا،
- ابنة السير هاريس، شيرل، زوجة السير ملوين سارسفيلد،
- ريجينارد إسترن، سيّد ويندهول،
- جاون وسترلينج، سيّد الجرف،
- زوجته، الليدي سيل سليلة عائلة سپايسر،
- أخوها، السير رولف سپايسر، نُصّب حديثاً سيّدًا على كاستامير،
- ابن عمّها، السير سامويل سپايسر،
- أولادهما:
- السير راينالد وسترلينج،
- چاين، أرملة روب ستارك،
- إلينا، فتاة في الثانية عشرة،
- رولام، صبي في التاسعة،
- اللورد سلموند ستاكسبير،

- ابنه، السير ستفون ستاكسبير،
- ابنه الثاني، السير آلن ستاكسبير،
- تيرانس كنينج، سيّد كايس،
- السير كينوس الكايسي، فارس في خدمته،
- اللورد آنتاريو چاست،
- اللورد روبن مورلاند،
- الليدي أليسين ليفورد،
- لويس ليدن، سيّد الوكر العميق،
- اللورد فيليب پلوم،
- أبناؤه، السير دنيس پلوم، السير پيتر پلوم، السير هاروين پلوم ولقبه
الحجر الصّلب،
- اللورد جاريسون پرستر،
- السير فورلي پرستر، ابن عمّه،
- السير جريجور كليجاين ولقبه الجبل راكب الخيول،
- ساندور كليجاين، أخوه،
- السير لورنت لورك، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير جارث جرينفيلد، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير لايموند فيكاري، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير راينارد روتيجر، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير مانفريد ياو، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير تابولت هيذر سپون، فارس من مُلّاك الأراضي،
- (ميلارا هيذر سپون)، ابنته، غرقت في بئر وهي ربيبة في كاسترلي روك.

عائلة مارتل



كانت دورن آخر الممالك السَّبع التي أقسمت على الولاء للعرش الحديدي. يُمَيِّز النَّسب والعادات والتَّاريخ الدورنيَّين عن سائر الممالك الأخرى، وحين اندلعت حرب الملوك الخمسة لم تُشارك دورن فيها. بعد خطبة مارسلا باراثيون للأمير تريستان أعلنت صنسبير تأييدها الملك چوفري واستدعت راياتها.

راية عائلة مارتل عبارة عن شمسٍ حمراء تخترقها حربة ذهبية، وكلماتهم «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسر».

دوران نايميروس مارتل، سيّد صنسبير، أمير دورن،

- زوجته، ميلاريو، من مدينة نورفوس الحرّة،

- أولادهما:

- الأميرة آريان، وريثة صنسبير،

- جارين، أخو آريان في الرّضاعة، من أيتام الدّم الأخضر،

- الأمير كويتن، فارس مستجد، ربيب منذ الطفولة للورد يرونود سيّد

يرونود،

- الأمير تريستان، خطيب مارسلا باراثيون،

- أخوا الأمير دوران:

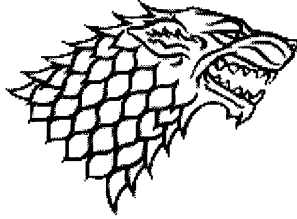
- (الأميرة إليا)، اغتُصبت وقُتلت خلال نهب كينجز لاندنج،
- (ريينس تارجارين)، ابنتها الصَّغيرة، قُتلت خلال نهب كينجز لاندنج،
- (إجون تارجارين)، رضيع، قُتلت خلال نهب كينجز لاندنج،
- (الأمير أوبرين) ولقبه الأفعوان الأحمر، قتله السير جريجور كليجاين في محاكمة بالنزال،
- إلاريا ساند، خليعة الأمير أوبرين، ابنة اللورد هارمن أولر الطَّبِيعِيَّة،
- أفاعي الرَّمال، بنات أوبرين النِّعَلات:
- أوبارا، في الثَّامنة والعشرين، ابنة أوبرين من عاهرة في البلدة القديمة،
- نايميريا ولقبها الليدي نيم، في الخامسة والعشرين، ابنة أوبرين من امرأة نبيلة من فولانتيس،
- تاين، في الثالثة والعشرين، ابنة أوبرين من سِپتة،
- ساريل، في التَّاسعة عشرة، ابنته من تاجرة، رُبَّان قُبلة الرِّيش،
- إليا، في الرَّابِعة عشرة، ابنته من إليا ساند،
- أوبلا، في الثَّانية عشرة، ابنته من إليا ساند،
- دوريا، في الثَّامنة، ابنته من إليا ساند،
- لوريزا، في السَّادسة، ابنته من إليا ساند،
- بلاط الأمير دوران في الحدائق المائيَّة:
- آريو هوتا، من نورفوس، قائد الحرس،
- المايستر كاليوت، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- نحو ستين من الأطفال من علية القوم والعامة، أبناء وبنات لوردات وفُرسان وأيتام وتُجَّار وحرفيِّين وفلَّاحين، أربَّاءه،
- بلاط الأمير دوران في صنسبير:
- الأميرة مارسلا باراثيون، ربيته، خطيبة الأمير تريستان،
- السير آريس أوكهارت، حارس مارسلا الشَّخصي،
- روزاموند لانستر، رقيقة فراش مارسلا ووصيفتها، ابنة عمومة بعيدة،
- السِّپتة إجلانتين،
- المايستر مايلز، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- ريكاسو، قهرمان صنسبير، عجوز كفيف،

- السير مانفري مارتل، أمين القلعة في صنسبير،
- الليدي آليس ليدبرايت، اللورد الخازن،
- السير جاسكوين ابن الدّم الأخضر، حارس الأمير تريستان الشّخصي،
- بورس وتيموث، خادمان في صنسبير،
- بيلاندراسيدرا والأختان مورا وميلي، خادمتان في صنسبير،
- حملة راية الأمير دوران، لوردات دورن:
- آندرز يرونوود، سيّد يرونوود، حاكم الطّريق الحجري، صاحب الدّم الملكي،

- السير كليتوس، ابنه، معروف بعينه الكسول،
- الهايستر كدري، معالج ومستشار ومعلّم،
- هارمن أولر، سيّد هضبة الجحيم،
- إلاريا ساند، ابنته الطّبيعيّة،
- السير أولويك أولر، أخوه،
- ديلون أليرون، سيّدة عطية الآلهة،
- السير ريون، ابنه ووريثه،
- السير ديمون ساند، ابن ريون الطّبيعي، نغل عطية الآلهة،
- داجوس مانوودي، سيّد مقبرة الملك،
- مورس وديكون، ابناه،
- السير مايلز، أخوه،
- لارا بلاكمونت، سيّدة بلاكمونت،
- چينيسا، ابنتها ووريثتها،
- بيروس، ابنها، مُرافق،
- نايملا، سيّدة تل الأشباح،
- كوينتن كورجايل، ابن حجر الرّمل،
- السير چوليان، ابنه الأكبر ووريثه،
- السير أرون، ابنه الثّاني،
- السير ديزيل دالت، فارس غابة اللّيمون،
- السير آندراي، أخوه ووريثه ويُسمّى دراي،

- فرانكلين فاوئر، سيّد قلعة السّماء، لقبه الصّقر العجوز، حاكم ممر
الأمير،
- چاين وچينيلين، ابتناه التّوأم،
- السير سايمون سانتاجار، فارس الغابة الرّقطاء،
- سيلثا، ابنته ووريثته، تُسمّى سيلثا الرّقطاء بسبب نمشها،
- إدريك داين، سيّد ستار فول، مُرافق،
- السير چيرولد داين ولقبه النّجم المظلم، فارس الصّومعة العالية، ابن
عمّه وحامل رايته،
- تريبور چوردائين، سيّد الرّبوة،
- ميريا، ابنته ووريثته،
- تريموند جارجالن، سيّد ساحل الملح،
- دايرون فايت، سيّد الكُثبان الحمراء.

عائلة ستارك



يعود نسب آل ستارك إلى براندون البنّاء وملوك الشّاء القُدّامي، ولآلاف السّنين حكّموا من مقرّهم في وينترفل كملوك في الشّمال، إلى أن اختارَ تورين ستارك -المَلِك الذي ركعَ- أن يُقسم على الولاء لإجون التّنين بدلاً من مُواجهته في المعركة. حين أعدمَ الملكَ چوفري اللورد إدارد ستارك تخلّى الشّماليّون عن ولائهم للعرش الحديدي وأعلنوا روب ابن اللورد إدارد ملكًا في الشّمال، وخلال حرب الملوك الخمسة انتصرَ روب في كلِّ معاركه، لكن آل فراي وآل بولتون خانوه واغتالوه في التّوأمتين في زفاف خاله. راية آل ستارك عبارة عن ذئب رهيب رمادي على خلفيّة بيضاء ثلجيّة، وكلماتهم: «الشّاء قادم».

(روب ستارك)، الملك في الشّمال، ملك الثالوث، سيّد وينترفل، أكبر أبناء اللورد إدارد ستارك والليدي كاتلين سليلة عائلة تلي، شاب في السّادسة عشرة يُسمّى الذئب الصّغير، اغتيل في الزّفاف الأحمر،
- (جراي ويند)، ذئبه الرّهيب، قُتل في الزّفاف الأحمر،
- إخوته الأشقاء:
- سانزا، أخته، زوجة تيريون لانستر،
- (ليدي)، ذئبها الرّهيب، قُتلت في قلعة داري،

- آريا، فتاة في الحادية عشرة، مفقودة ويُعتقد أنها ماتت،
- نايميريا، ذئبتها الرهيبة، تجوب أراضي النهر،
- براندون ويسمي بران، طفل مُعاق في التاسعة، وريث وينترفل، يُعتقد أنه مات،
- سمر، ذئبة الرهيب،
- رفاق بران وحُماته:
- ميرا ريد، فتاة في السادسة عشرة، ابنة اللورد هاولاند ريد سيّد قلعة المياه الرمادية،
- چوچن ريد، أخوها، في الثالثة عشرة،
- هودور، عامل اسطبل بسيط العقل، طوله سبعة أقدام،
- ريكون، طفل في الرابعة، يُعتقد أنه مات،
- شاجيدوج، ذئبة الرهيب، أسود وشرس،
- رفيقة ريكون، أوشا، همجية أسيرة سابقة في وينترفل،
- أخوه التغل غير الشقيق، چون سنو، أخ في حرس الليل،
- جوست، ذئب چون الرهيب، أبيض وصامت،
- المقسمون لروب على الولاة:
- (دونل لوك، أوين نوري، داسي مورمونت، السير وندل ماندرلي، روبن فلينت)، قُتلوا في الزفاف الأحمر،
- هالس مولين، قائد الحرس، ينقل رُفات اللورد إدارد ستارك إلى وينترفل،
- چاكس، كوينت، شاد، حرس،
- أعمام وأحوال روب:
- بنچن ستارك، أصغر أعمامه، فُقد في جولة وراء الجدار ويُعتقد أنه مات،
- (لايسا آرن)، خالته، سيّدة العُش، زوجة اللورد چون آرن، ماتت سقوطاً من عل،
- أبْنهما، روبرت آرن، سيّد العُش وحمي الوادي، صبي سقيم،
- إدميور تلي، سيّد ريشرن، خاله، أُسر في الزفاف الأحمر،

- الليدي روزلين سليلة عائلة فراي، عروس إدميور،
- السير برايندن تلي ولقبه السمكة السوداء، عمُّ أمّه، أمين القلعة في
ريقررن،

- حملة راية الذئب الصغير، لوردات الشمال:
- رويس بولتون، سيّد معقل الخوف، المارق،
- (دومريك)، ابنه الشرعي ووريثه، ماتَ بمرضٍ في البطن،
- رامزي بولتون (رامزي سنو سابقاً)، ابن رويس الطبيعي ويُسمّى نغل
بولتون، أمين القلعة في معقل الخوف،
- والدر فراي ووالدر فراي ويُسميان والدر الصغير والدر الكبير، مُرافقا
رامزي،

- (ريك)، جندي معروف برائحته الكريهة، قُتِلَ في أثناء انتحاله شخصيّة
رامزي،

- «أريا ستارك»، أسيرة اللورد رويس، فتاة زائفة مخطوبة لرامزي،
- والتون ولقبه ذو الساقين الفولاذ، قائد حرس رويس،
- بث كاسل، كايرا، تورنيپ، بالا، باندي، شايرا، بالا، العجوز نان، نسوة
من وينترفل أسيرات في معقل الخوف،
- چون أومبر ولقبه چون الكبير، سيّد المستوقد الأخير، أسير في التوأمتين،
- (چون) ولقبه چون الصغير، ابن چون الكبير ووريثه، قُتِلَ في الزفاف
الأحمر،

- مورس ولقبه آكل الغراب، عم چون الكبير، أمين القلعة في المستوقد
الأخير،

- هوثر ولقبه باقر العاهرة، عم چون الكبير، أيضاً أمين القلعة في المستوقد
الأخير،

- (ريكارد كارستارك)، سيّد كارهولد، قُطِعَ رأسه لارتكابه الخيانة وقتل
الأسرى،

- (إدرد)، ابنه، قُتِلَ في الغابة الهامسة،
- (تورين)، ابنه، قُتِلَ في الغابة الهامسة،
- هاريون، ابنه، أسير في بركة العذارى،

- آليس، ابنة اللورد ريكارد، فتاة في الخامسة عشرة،
- عمُّ ريكارد، أرنولف، أمين القلعة في كارهولد،
- جالبارت جلوثر، سيّد ربوة الغابة، أعزب،
- روبت جلوثر، أخوه ووريثه،
- زوجة روبت، سيبيل سليلة عائلة لوك،
- طفلاهما:
- جاون، صبي في الثالثة،
- إرينا، رضية،
- ريبب جالبارت، لارنس سنو، ابن (اللورد هالس هورنوود) الطَّبِيعِي،
صبي في الثالثة عشرة،
- هاولاند ريد، سيّد قلعة المياه الرّماديّة، من شعب المستنقعات،
- زوجته، چيانا، من شعب المستنقعات،
- طفلاهما:
- ميرا، صيّادة شابّة،
- چوچن، صبي موهوب البصيرة الخضراء،
- وايمان ماندرلي، سيّد الميناء الأبيض، شديد البدانة،
- السير وايليس ماندرلي، ابنه الأكبر ووريثه، بدين جدًّا، أسير في هارنهال،
- زوجة وايليس، ليونا سليلة عائلة وولفيلد،
- واينافريد، ابنتهما، فتاة في التاسعة عشرة،
- وايلا، ابنتهما، فتاة في الخامسة عشرة،
- (السير وندل ماندرلي)، ابنه الثاني، قُتِلَ في الزّفاف الأحمر،
- السير مارلون ماندرلي، ابن عمّه، قائد الحامية في الميناء الأبيض،
- الهايستر ثيومور، مستشار ومعالج ومعلّم،
- مچ مورمونت، سيّدة جزيرة الدّببة،
- (داسي)، ابنتها الكُبرى ووريثتها، قُتِلَت في الزّفاف الأحمر،
- أليسين، لايرا، چوريل، ليانا، بناتها،
- (چيور مورمونت)، أخوها، قائد حرس اللّيل، اغتالَه رجاله،
- السير چورا مورمونت، ابن اللورد چيور، سيّد جزيرة الدّببة الشّرعي

سابقًا، فارس مدان ومنفي،

- (السير هلمان تولهارت)، سيّد مرّبع تورين، قُتِلَ في وادي الغسق،
- (بنفريد)، ابنه ووريثه، قتله الحديدون على السّاحل الحجري،
- إدارا، ابنته، أسيرة في مرّبع تورين،
- (ليوبولد)، أخوه، قُتِلَ في وينترفل،
- زوجة ليوبود، بيرينا سليلة عائلة هورنوود، أسيرة في مرّبع تورين،
- ابناهما براندون وبيرين، أيضًا أسير في مرّبع تورين،
- رودريك ريزويل، سيّد الغُدران،
- باربري داستن، ابنته، سيّدة بلدة الرّواي، أرملة (اللورد ويلام داستن)،
- هاروود ستاوت، من أتباعه، لورد صغير من بلدة الرّواي،
- (بثاني بولتون)، ابنته، زوجة اللورد رويس بولتون الثّانية، ماتت بالحمّى،

- روچر ريزويل، ريكارد ريزويل، رويس ريزويل، أبناء عمومته وحملة رايته المشاكسون،

- (كلاي سروين)، سيّد سروين، قُتِلَ في وينترفل،
- چونل، أخته، عذراء في الثّانية والثلاثين،
- لייسا فلينت، سيّدة قلعة الأرملة،
- أوندرولوك، سيّد القلعة العتيقة، عجوز،
- هيوجو وول ولقبه الدّلو الكبير، زعيم عشيرته،
- بارندون نوري ولقبه النوري، زعيم عشيرته،
- تورين ليدل ولقبه الليدل، زعيم عشيرته.

عائلة تلي



كان اللورد إدمين تلي سيّد ريفررن من أوائل لوردات النهر الذين أقسموا على الولاء لإجون الفاتح، وكافأه إجون المظفر بتنصيبه حاكمًا على جميع أراضي نهر الثالوث.

راية آل تلي عبارة عن سمكة ترويت فضيَّة واثبة على خلفيَّة متموجَّة من الأزرق والأحمر، وكلماتهم: «العائلة، الواجب، الشرف».

إدميور تلي، سيّد ريفررن، أخذ أسيرًا في أثناء زفافه وسجين لدى آل فراي،
- الليدي روزلين سليفة عائلة فراي، عروس إدميور الشَّابَّة،
- (الليدي كاتلين ستارك)، أخته، أرملة اللورد إدارد ستارك سيّد ويترفل،
قُتِلت في الزَّفاف الأحمر،

- (الليدي لايسا آرن)، أخته، أرملة اللورد چون آرن سيّد الوادي، ماتت مدفوعةً من العُش،

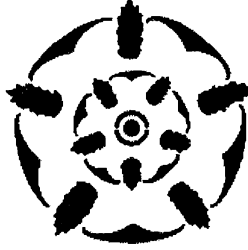
- السير برايندن تلي ولقبه السَّمكة السَّوداء، عمُّ إدميور، أمين القلعة في ريفررن،

- أهل بيت اللورد إدميور في ريفررن:

- المايستر فَايمان، مستشار ومعالج ومعلِّم،

- السير دزمووند جرل، قِيم السِّلَاح،
 - السير روبن رايجر، قائد الحرس،
 - ليو الطويل، إلوود، دِلِپ، حرس،
 - أوثيرايدس واين، وكيل ريفررن،
 - حملة راية إدميور، لوردات الثالوث:
 - تايوس بلاكوود، سيّد شجرة الغدبان،
 - (لوكاس)، ابنه، قُتِلَ في الزَّفَاف الأحمر،
 - چونوس براكن، سيّد السِّيَاح الحجري،
 - جيسون ماليستر، سيّد سيجارد، سجين في قلعته،
 - باتريك، ابنه، سجين مع أبيه،
 - السير دينس ماليستر، عمُّ اللورد جيسون، رجل في حرس اللّيل،
 - كليمنت بايپر، سيّد قلعة العذراء الوردية،
 - ابنه ووريثه، السير مارك بايپر، أُخِذَ أسيراً في الزَّفَاف الأحمر،
 - كاريل فانس، سيّد استراحة عابري السَّبيل،
 - ابنته الكبرى ووريثته، ليان،
 - ابنتاه الصّغيرتان، ريلتا وإمفيريا،
 - نوربرت فانس، سيّد أترانتا الأعمى،
 - ابنه الأكبر ووريثه، السير رونالد فانس ولقبه السيِّء،
 - أبناؤه الأصغر، السير هيوغو، السير إليري، السير كيرث، المايستر
- چون،
- ثومار سمولوود، سيّد بهو البلوط،
 - زوجته، الليدي راڤيلا سليلة عائلة سوان،
 - ابنتهما، كاريلين،
 - ويليام موتون، سيّد بركة العذارى،
 - شيلا وِنت، سيّدة هارنغال المنحاة،
 - السير ويليس وود، فارس في خدمتها،
 - السير هالمون بايچ،
 - اللورد لايموند جودبروك.

عائلة تايرل



صعد آل تايرل إلى السُلطة كوكلاء لملوك المرعى، الذين ضُمَّت أملاكهم السُّهول الخصبة في الجنوب الغربي من تخوم دورن والنَّهر الأسود وحتى سواحل بحر الغروب. يأتي نَسب آل تايرل من جهة الإناث من جارث جرينهانند، ملك البشر الأوائل البُستاني الذي ارتدى تاجًا من أوراق الشَّجر والزُّهور واستغلَّ خصوبة الأرض وزرعها حتى ازدهرت، وعندما مات الملك مرن التَّاسع -آخر ملوك عائلة جاردنر- في معركة حقل الثَّيران، سلَّم وكيله هارلن تايرل قلعة هايجاردن إلى إجون الفاتِح وأقسَم له على الولاء، فمنحه إجون القلعة وحُكم المرعى.

أعلن اللورد مايس تايرل تأييده الملك رنلي في بداية حرب الملوك الخمسة وزوَّجه ابنته مارچري، وبعد موت رنلي تحالفت هايجاردن مع عائلة لانستر، وخطبت مارچري للملك چوفري.

رأية آل تايرل عبارة عن وردة ذهبية على خلفيّة بلونٍ أخضر كالعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوة».

مايس تايرل، سيّد هايجاردن، حاكم الجَنوب، حافظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،

- زوجته، الليدي أليري، سليلة عائلة هايताور من البلدة القديمة،

- أبناؤهما:

- ويلاس، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،

- السير جارلان، لقبه الهمام، الابن الثاني،
- زوجته، الليدي ليونيت، سليلة عائلة فوسواي،
- السير لوراس، فارس الزهور، الابن الأصغر، أخ محلف في الحرس الملكي،
- مارچري، ابنتهما، فتاة في الرابعة عشرة من العمر،
- رفيقات مارچري:
- بنات عمومتهما مجا وآلا وإلینور،
- خطيب إينور، أكن أمبروز، مُرافِق،
- الليدي أليسین بولوار، فتاة في الثامنة،
- ميريديث كرين، تُسَمَّى ميرِي،
- تاينا المايرِيَّة، زوجة اللورد أورتون ميريويندر،
- الليدي أليس جريسفورد،
- السَّهْبَةُ نستيرِكا، أخت في العقيدة،
- أمُّه الأرملة، الليدي أولينا، سليلة عائلة ردواين، لقبها مَلَكَةُ الأشواك،
- أختاه:
- مينا، زوجة باكستر ردواين، سيِّد الكرمه،
- أولادهما:
- السير هوراس ردواين، توأم هوبر، يُسَمَّى هورور سُخْرِيَّة،
- السير هوبر ردواين، توأم هوراس، يُسَمَّى سلوبير سُخْرِيَّة،
- دسميرا ردواين، فتاة في السادسة عشرة،
- چانا، زوجة السير چون فوسواي،
- أعمامه وأولادهم:
- أخو أبيه، جارث، لقبه السَّمِين، وكيل هايجاردن،
- ابنه غير الشَّرْعِيَّين، جارس وجارت فلاورز،
- السير مورين، قائد حرس البلدة القديمة،
- ابن مورين، (السير لوثور)، زوج الليدي إيلين نوريدچ،
- ابن لوثور، السير ثيودور، زوج الليدي ليا سِرِي،
- ابنة ثيودور، إينور،

- ابن ثيودور، لوثور، مُرافِق،
- ابن لوثور، المايستر مدويك،
- ابنة لوثور، أولين، زوجة السير ليو بلاكبار،
- ابن مورين، ليو، لقبه ليو الكسول،
- أخو أبيه، المايستر جورمون، دارس في القلعة في البلدة القديمة،
- ابن عمّه، (السير كويتن)، مات في آشفورد،
- ابن كويتن، السير أوليمر، زوج الليدي لايسا ميدوز،
- ابنا أوليمر، رايموند وريكارد،
- ابنة أوليمر، مجا،
- ابن عمّه، المايستر نورموند، في خدمة التاج الأسود،
- ابن عمّه، (السير فيكتور)، قتلّه الفارس الباسم رجل أخوة غابة الملوك،
- ابنة فيكتور، فيكتاريا، تزوّجت (اللورد چون بولوار)، ماتت بحُمى

صيفيّة،

- ابنتهما، الليدي أليسين بولوار، فتاة في الثامنة،
- ابن فيكتور، السير ليو، تزوّج الليدي أليس بيزبوري،
- ابنتا ليو، آلا وليونا،
- أبناء ليو، لايونل ولوكاس ولورنت،
- أهل بيته في هايجاردن:
- المايستر لوميس، مستشار، مُعالج، معلّم،
- إيجون فيرويل، قائد الحرس،
- السير فورتيمر كرين، قيّم السلاح،
- برميل الزبدة، نكات ومهرج مفرط البدانة،
- اللوردات حملة رايته:
- راندل تارلي، سيّد هورن هيل،
- باكستر ردواين، سيّد الكرمة،
- أروين أوكهارت، سيّد السّنديانة القديمة،
- مائيس روان، سيّد البستان الذهبي،
- ألكستر فلورنت، سيّد قلعة المياه الوضّاءة، متمرّد يدعم ستانيس باراثيون،

- لايتون هايتاور، صوت البلدة القديمة وسيد المرفأ،
- أورتون ميريويدر، سيد الطاولة الطويلة،
- اللورد آرثر أمبروز.
- فرسانه والمقيسون له:
- السير مارك مولندور، سُئل في معركة النهر الأسود،
- السير چون فوسواي، من فرع التفاحة الخضراء من عائلة فوسواي،
- السير تانتون فوسواي، من فرع التفاحة الحمراء من عائلة فوسواي.

إخوة حرس الليل المحلفون

- چون سنو، نغل وبتترفل، قائد حرس الليل الثامن والتسعون بعد التسعمئة،
- جوست، ذئبه الرهيب الأبيض،
- وكيله، إديسون توليت ولقبه إد الكتيب،
رجال القلعة السوداء:
- بنچن ستارك، الجوال الأول، مفقود منذ فترة طويلة ويُعتقد أنه مات،
- السير ويتون ستاوت، جوال مسن تائه العقل،
- كدچ ذو العين البيضاء، بدويك ولقبه العملاق، ماثار، دايوين، جارث
جرايفيدر، أولمر ابن غابة الملوك، إرون، پایپر وُسمي پيپ، جرن ولقبه
الثور، برنار وُسمي برنار الأسود، جودي، تيم ستون، چاك بولوار الأسود،
جيوف ولقبه السنجاب، بن الملتحي، جواله،
- باون مارش، قيم الوكلاء،
- هوب ذو الثلاثة أصابع، وكيل وكبير الطهاة،
- (دونال نوي)، حداد وصانع سلاح بذراع واحدة، قتلته ماج الجبار عند
البوابة،
- أوين ولقبه الجحش، تيم المتهته، كوچن، دونل هيل ولقبه دونل المرح،
ليو الأعسر، چيرن، ويك المهزول، وكلاء،
- أوثيل يارويك، البناء الأول،
- ذو النعل الواحد، هالدر، آلبت، كيجز، بنائون،
- كونواي وجورن، مجنّدان متجولان،
- السپتون سلا دور، رجل دين سگير،
- السير أليسر ثورن، قيم السلاح السابق،
- اللورد چانوس سلينت، قائد حرس المدينة السابق في كينجز لاندنج،
سيّد هارنهال لفترة وجيزة،

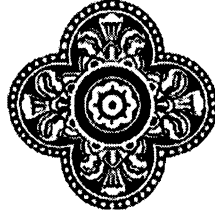
- المايستر إيمون (تارجارين)، معالج ومستشار، عجوز كفيف في المئة والاثنين من العمر،
- وكيل إيمون، كلايداس،
- وكيل إيمون، سامويل تارلي، بدين ومحِب للقراءة،
- إميت الحديدي، من رجال القلعة الشرقيّة سابقًا، قيّم السّلاح،
- هارث ولقبه الجواد، التّوأمان أرون وإمريك، ساتان، روبن النّطّاط،
- مجنّدون تحت التّدريب،
- رجال بُرج الظّلال:
- السير دينس ماليستر، قائد القلعة،
- وكيله ومُرافقه، والاس ماسي،
- المايستر مولين، معالج ومستشار،
- (كورين ذو النّصف يد)، كبير الجوّالة، قتله چون سنو وراء الجدار،
- إخوان بُرج الظّلال:
- (المُرافق دالبريدج، إيجن)، مُرافقان، قُتلا في الممر الصّادح،
- ثعبان الحجر، جوّال، مفقود في الممر الصّادح،
- رجال القلعة الشرقيّة على البحر،
- كوتر بايك، قائد القلعة،
- المايستر هارميون، معالج ومستشار،
- ذو الأسمال المالحة العجوز، رُبّان الطّائر الأسود،
- السير جلندون هيويت، قيّم السّلاح،
- إخوان القلعة الشرقيّة:
- داريون، وكيل ومطرب،
- في قلعة كراستر (الخونة):
- ديرك، الذي قتل مضيفه كراستر،
- أولو الأبتَر، الذي قتل قائده اللورد مورمونت،
- جارث جرينواي، ماوني، جروبز، آلان ابن روزبي، جوّالة سابقون،
- كارل ذو القدم المعوّجة، أوس اليتيم، بيل المُتمتم، وكلاء سابقون.

الهَمَج أو شعب الأحرار

- مانس رايدر، ملك ما وراء الجدار، أسير في القلعة السوداء،
- (دالا)، زوجته، ماتت في أثناء الوضع،
- ابنهما حديث الولادة، وليد المعركة، بلا اسم بعد،
- قال، أخت دالا الصَّغيرة، «الأميرة الهمجية»، أسيرة في القلعة السوداء،
- زُعماء الهَمَج وقادتهم:
- (هارما) ولقبها رأس الكلب، قُتِلت عند الجدار،
- هاليك، أخوها،
- سيّد العظام ولقبه ذو القميص المُخشِخِش سُخريةً، قائد فرقة حربية،
- أسير في القلعة السوداء،
- (إيجريت)، زوجة حربة شابة، حبيبة چون سنو، قُتِلت خلال الهجوم
- على القلعة السوداء،
- رايك، لقبه ذو الحربة الطويلة، من فرقته،
- راجوايل، لاينل، من فرقته،
- (ستير)، ماجنر ثن، قُتِل خلال الهجوم على القلعة السوداء،
- سيجورن، ابن ستير، ماجنر ثن الجديد،
- تورموند، ملك البتع في البهو القاني، ألقابه بليّة العماليق، المهذار،
- نافخ البوق، وكاسر الجليد، وأيضًا قبضة الرعد، زوج الدببة، كليم الآلهة،
- وأبو الجيوش،
- أبناؤه، توريج الطويل، ترويند المروّض، دورموند، درين، وابنته،
- موندا،
- (أورل ولقبه أورل النسر)، مبدّل جِلدة قتله چون سنو في الممر الصادح،

- ماج مارتون دوه ويچ، لقبه ماج الجبّار، ملك العمالقّة،
- فّارامير، لقبه ست جلود، سيّد لثلاثة ذئاب وقطّ ظلّ ودبّ ثلوج،
- البكّاء، مُغير وقائد فرقة حربيّة،
- (ألفين قاتل الغربان)، قتله كورين ذو النّصف يد رجل حرس اللّيل،
- (چارل)، مُغير شاب، حبيب فّال، مات سقوطاً من على الجدار،
- جريج التّيس، إروك، كورت، بودچر، دل، بثرة الكبير، دان القنّبي، هنك
- ذو الدّفّة، لِن، توفينجر، ذو الإبهام الحجري، هجانة،
- (كراستر)، سيّد قلعة كراستر الذي لا يركع لأحد،
- جيلي، ابنته وزوجته،
- ابنها حديث الولادة، بلا اسم بعد،
- ديا، فيرني، نِلا، ثلاث من زوجاته التّسع عشرة.

إسوس
وراء البحر الضيق



الملكة وراء البحر



- دنيرس تارجارين الأولى، ملكة ميرين، ملكة الأنداليين والروينار والبشر الأوائل، سيّدة الممالك السّبع، حامية البلاد، غاليسي بحر العُشب العظيم، تُسمّى دنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترق، أم التّنانين،
- تنانينها: دروجون، فُسيريون، ريجال،
 - أهلها الرّاحلون:
 - (ريجار)، أخوها، أمير دراجونستون ووريث العرش الحديدي، قتله روبرت باراثيون في معركة الثالوث،
 - (رينيس)، ابنة ريجار من إليا الدورنيّة، قُتِلت خلال نهب كينجز لاندنج،
 - (إجون)، ابن ريجار من إليا الدورنيّة، قُتِل خلال نهب كينجز لاندنج،
 - (فُسيرس)، سمّى نفسه الملك فُسيرس الثّالث، لقبه الملك الشّحاذ، قُتِل في فَايس دوثراك على يد غال دروجو،
 - (دروجو)، زوجها، غال الدوثرافي العظيم، لم يُهزَم قطُّ في معركة، مات متأثراً بجرح،
 - (رييجو)، ابن دنيرس وغال دروجو الجهيضم، قُتِل في الرّحم على يد ميربي ماز دور،
 - السير باريستاتن سلمبي، لقبه باريستاتن الباسل، قائد الحرس الملكي،
 - فتيناه، مُرافقون يتدربون على الفروسية:

- تومكو لوهو، من جُزر البازيليسق،
- لاراك، لقبه الكُرباج، من ميرين
- الحمل الأحمر، من اللازارين المعتقدين،
- الصّبية، ثلاثة إخوة جيسكارِيُون،
- بلواس القوي، خصي وعبدُ مُقاتل سابق،
- خَيْالة دمها الدوثرافي:
- چوجو، السّوط، دم دمها،
- آجو، القوس، دم دمها،
- راگارو، الأراخ، دم دمها،
- قادتها:
- داريو نهاريس، مرتزق تايروشي مختال، قائد غربان العاصفة،
- بن بلوم، لقبه بن البني، مرتزق هجين، قائد الأبناء الثّانين،
- الدودة الرّمادي، خصي، قائد المُطهّرين،
- هيرو، نائب قائد المُطهّرين،
- التّرس المقدام، حامل حربية من المُطهّرين،
- مولونو يوس دوب، قائد التّروس المقدامة،
- سايمون ذو الظّهر المخطّط، قائد الإخوة الأحرار،
- مارسلن، قائد رجال الأم، أخو ميسانداي،
- جروليو، بحّار من پنتوس، سابقاً رُبّان السادوليون، الآن أميرال بلا
- أسطول،
- رومو، چاكا رهان من الدوثرافي،
- بلاطها الميرينيزي:
- رزناك مو رزناك، قهرمانها،
- سكاهاز مو كانداني، لقبه الرّأس الحليق، قائد الوحوش النّحاس
- (حرس المدينة)،
- وصيفاتها وخدمها:
- إيربي وچيخوي، شابّتان من الدوثرافي،
- ميسانداي، مترجمة من ناث،

- جرازدار، كِزَا، ميزارا، كزَميا، آزَاك، باكاز، ميكلاز، دازار، دراكاز،
- چيزين، من أطفال أهرامات ميرين، سُقاتها وخدمها،
- أهل ميرين من علية القوم والعوام:
- جالازا جالار، ذات النُّعمة الخضراء، كاهنة معبد ذوات النُّعم العُليا،
- جرازدان زو جالار، ابن عمومتهها، نبيل،
- هيزدار زو لوراك، نبيل ميرينيزي ثري من عائلة عريقة،
- مارجاز زو لوراك، ابن عمّه،
- رايلوناري، امرأة معتقة وعازفة قيثارة،
- (هازيا)، ابنة مُزارع، في الرَّابعة من العُمر،
- جوجهور الجبَّار، كراز، بيلاكُو كاسِر العظام، كامارون العُدَاد، إيثوك
- الشُّجاع، القِط الأرقط، بارسينا ذات الشُّعر الأسود، مُقاتلو حلبات وعبيد
- محرَّرون،
- حُلفاؤها غير المضمونين، أصدقاؤها الرَّاثفون، وأعداؤها المعروفون:
- السير چورا مورمونت، سيّد جزيرة الدّبية السَّابق،
- (ميري ماز دور)، قابلة ومايجي، خادمة لراعي لازار الأعظم،
- زارو زون داكسوس، أمير تاجر من كَارث،
- كويث، أسرة ظلال مقنعة من آشاي،
- إيريو موياتيس، ماچستر من مدينة بنتوس الحُرّة، رَبَّت زواجها بالگال
- دروجو،
- كليون العظيم، ملك أستاپور الجَزَّار،
- خاطبو وُد الملكة:
- على ضفاف خليج النُّحاسين:
- داريو نهاريس، مرتزق تايروشي مختال، قائد غربان العاصفة،
- هيزدار زو لوراك، نبيل ميرينيزي ثري من عائلة عريقة،
- سكاهاز مو كانداك، لقبه الرُّأس الحليق، قائد الوحوش النُّحاس
- (حرس المدينة)،
- كليون العظيم، ملك أستاپور الجَزَّار،
- في قولانتيس:

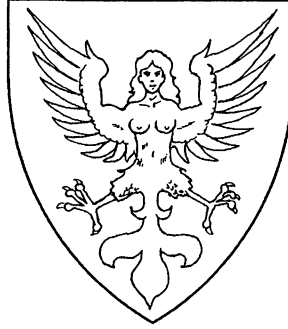
- الأمير كوينتن مارتل، أكبر أبناء دوران مارتل، سيّد صنسبير وأمير دورن،
- حُرَّاسه الشَّخصيُّون ورفاقه:
- (السير كليتوس يرونوود)، وريث يرونوود، قتله القراصنة،
- السير آرشيولد يرونوود، ابن عم كليتوس، لقبه الرَّجل الكبير،
- السير جيريس درينكووتر،
- (السير ويلام ولز)، قتله القراصنة،
- (المايستر كدري)، قتله القراصنة،
- على ضفاف الروين:
- جريف الصَّغير، فتى أزرق الشَّعر في الثَّامنة عشرة،
- أبوه بالتَّبني، جريف، مرتزق سابق من الجماعة الذَّهبيَّة،
- رفاقه ومعلموه وحُماته:
- السير رولي حقل البط، لقبه البطة، فارس،
- السَّيِّئة ليمور، امرأة من العقيدة،
- هالدون، معروف باسم النُّصف مايستر، معلِّمه،
- ياندري، صاحب ورَبَّان العذراء الخجول،
- يسيلا، زوجته،
- في البحر:
- فيكتاريون جرايچوي، قائد الأسطول الحديدي ومعروف باسم الرُّبَّان الحديدي،
- خليلته، امرأة سمراء بلا لسان، هديَّة من يورون عين الغُراب،
- معالجه، المايستر كروين، من التُّرس الأخضر، هديَّة من يورون عين الغُراب،
- طاقمه على متن النُّصر الحديدي:
- وولف ذو الأذن الواحدة، راجنور پايك، لونجوتر پايك، توم تايدوود،
- برتون همبل، كويلون همبل، ستيفار المتلعثم،
- ربابته:
- رودريك سپار، لقبه فأر الحقل، رُبَّان الثُّبور،
- رالف ستونهاوس الأحمر، رُبَّان المهرِّج الأحمر،

- مانفريد مرلين، رُبَّان البومة،
- رالف الأعرج، رُبَّان اللورد كويلون،
- توم كود، لقبه توم عديم الدَّم، رُبَّان المرثاة،
- ديجون شيبارد، لقبه الرَّاعي الأسود، رُبَّان الخنجر.

تسري دماء التَّين في عروق آل تارجارين الذين ينحدرون من كبار لوردات معقل فاليريا الحُر القديم، ويتبدَّى ميراثهم في جمالهم الأخاذ (الذي يقول بعض الناس إنه غير بشري)، والأعين ذات اللون الأرجواني أو النُّيلجي أو البنفسجي، والشعر الذهبي الفضيُّ أو الأبيض كالبلاتين. قرَّ أسلاف إجون التَّين من هلاك فاليريا والفوضى والمذابح التي تبعتَه واستقرُّوا في دراجونستون، الجزيرة الصَّخرية الواقعة في البحر الضيق، ومن هناك أبحر إجون مع أخته لغزو الممالك السَّبع. للحفاظ على الدَّم الملكي وصيانة نقائه، غالباً ما أتبع آل تارجارين التقليد الفاليري القديم وزوَّجوا الأخ أخته، وقد تزوَّج إجون نفسه أخته وأنجبَ أبناءً من كليهما.

راية آل تارجارين عبارة عن تين أحمر ذي ثلاثة رؤوس - يرمز لإجون وأخته - على خلفيَّة سوداء، وكلماتهم: «النَّار والدَّم».

على ضفاف خليج النخاسين



- في يونكاي، المدينة الصفراء:
- يوركاز زو يونزك، القائد الأعلى لجيوش وحلفاء يونكاي، نخاس
- ونبيل مسن كريم المحتد،
- يزان زو كاجاز، لقبه السّاخر الحوت الأصفر، شديد البدانة، سقيم،
- فاحش الثّراء،
- المرّبي، مُشرف عبيده،
- حلوى، خُتني، من كنوزه،
- سكار، رقيب وجندي عبد،
- مورجو، جندي عبد،
- مورجاز زو زيرزين، نبيل سكيّر، لقبه السّاخر الغازي السكيّر،
- جورزك زو إراز، نبيل نخاس، لقبه السّاخر وجه العجين،
- فازهار زو فاز، نبيل نخاس، معروف باسم الأرنب،
- جازدور زو أهلاك، نبيل نخاس، لقبه السّاخر اللورد الرّجراج،
- بازار زو ميراك، نبيل قصير القامة، لقبه السّاخر الحمامة الصّغيرة،
- تشرداز زو رازن، مايزون زو رازن، جرازدان زو رازن، إخوة نُبلاء، لقبهم

السّاخر لوردات الصّصلة،

- الحوذي، سيّد الوحوش، البطل المعطر، نُبلاء نخّاسون،
- في أستاپور، المدينة الحمراء:
- كليون العظيم، لقبه الملك الجزّار،
- كليون الثّاني، خليفته، ظلّ ملكاً ثمانية أيام،
- الملك سفّاح، حلاق، ذبح كليون الثّاني ليسرق تاجه،
- الملكة عاهرة، محظية كليون الثّاني، استولت على التّاج بعد مقتله.

المرترقة رجال ونساء الجماعات الحرّة

- الجماعة الذهبية، قوامها عشرة آلاف رجل، ولاؤها غير مضمون،
- هاري ستريكلاند الشريد، القائد العام،
- واتكين، مُرافقه وساقيه،
- (السير مايلز توين، لقبه القلب الأسود)، ميت منذ أربعة أعوام، القائد العام السابق،
- بالاكى الأسود، رجل أبيض الشعر من جُزر الصّيف، قائد رُماة الجماعة،
- لايسونو مار، مرترق من مدينة ليس الحرّة، قيّم جواسيس الجماعة،
- جوريس إدوريان، مرترق من مدينة فُولانتيس الحرّة، أمين نقد الجماعة،
- السير فرانكلين فلاورز، مرترق من المرعى،
- السير مارك ماندريك، منفي هارب من العبوديّة، مجدور الوجه،
- السير لازويل بيك، لورد منفي،
- أخواه، تورمان وپايكوود،
- السير تريستان ريفرز، نغل، خارج على القانون، منفي،
- كاسپور هيل، همفري ستون، مالو چيان، ديك كول، ويل كول،
لوريماس مود، چون لوثستون، لايموند پيز، السير برنلد بايرن، دنكان سترونج، دينس سترونج، تشينز، چون مود الصّغير، من رُقباء الجماعة،
- (السير إيجور ريفرز، لقبه الفولاذ الأليم)، ابن نغل للملك إجون تارجارين الخامس، مؤسس الجماعة،
- (ميليز بلاكفاير، لقبه ميليز الوحش)، قائد الجماعة العام، مطالب مدّع
بعرش وستروس الحديدي، عضو في زُمرة التسعة، قُتل في حرب ملوك التسعة بنسات،

- المذروون، قوامهم ألفان من الخيالة والمشاة، من أجيري يونكاي،
 - أمير الأسمال، نبيل سابق من مدينة بنتوس الحرّة، القائد والمؤسّس،
 - كاجو، لقبه قاتل الجُثث، يده اليمنى،
 - دنزو داهان، الشّاعر المُحارب، يده اليسرى،
 - هيو هنجرفورد، رقيب، أمين نقد الجماعة السّابق، غُرّم ثلاثة أصابع
 تكفيراً عن السّرقة،
 - السير أورسون ستون، السير لوسيفر لونج، ويل ابن الغابة، ديك سترو،
 چاك الزّنجبيل، مرتزقة وستروسيون،
 - ميريس الحسناء، معدّبة الجماعة،
 - كُتب، سيّاف فُولانتييني مولع بالقراءة،
 - بُقول، رامي نُشابيّة من مير،
 - بيل بون العجوز، عجوز من جُزر الصّيف،
 - ميريو ميراكيس، مرتزق من بنتوس،
 جماعة القط، قوامها ثلاثة آلاف رجل، من أجيري يونكاي،
 - ذو اللّحيّة الدّمويّة، القائد،
 الرّماح الطويلة، ثمانمئة من الخيالة، من أجيري يونكاي،
 - جايلو ريجان، القائد،
 الأبناء الثّانون، خمسمئة من الخيالة، من أجيري الملكة دنيرس،
 - بن پلوم البنيّ، القائد،
 - كاسپوريو، لقبه كاسپوريو المكار، مُبارز برافو، نائب القائد،
 - تاييرو إستاريون، لقبه المحبرة، أمين نقد الجماعة،
 - المطرقة، حدّاد وصانع سلاح سكّير،
 - المسمار، صبيّه،
 - سناتش، رقيب بيد واحدة،
 - كِم، مرتزق شاب من جُحر البراغيث،
 - بوكوكو، مُحارب فأس مخيف السّمعة،
 - أولهان، رقيب،
 غربان العاصفة، خمسمئة من الخيالة، من أجيري الملكة دنيرس،

- داريو نهريس، القائد،
- الأرملة، نائب القائد،
- چوكين، قائد رُماة الجماعة.

في فولانتيس القديمة

القناصل الحاكمون:

- مالاكو مايجر، قنصل فولانتيني، نمر،
 - دونيفوس باينميون، قنصل فولانتيني، فيل،
 - نيسوس فاسار، قنصل فولانتيني، فيل
- أهل فولانتيس:
- بنيرو، راهب راهلور إله الضياء الأعلى،
 - يده اليمنى، موكورو، من زهبان راهلور،
 - أرملة الضفة، امرأة معتقة ثرية من المدينة، معروفة أيضًا باسم عاهرة

فوجارو،

- حُماتها، أبناء الأرملة،
- بني، فتاة قزمة ممثلة،
- خنزيرتها، الخنزيرة الجميلة،
- كلبها، كرنش،
- (جروت)، أخو بني، قزم ممثل، قُتل وقُطع رأسه،
- ألبوس كايذار، مرشح للقنصلة،
- پاركلو فايلاروس، مرشح للقنصلة،
- بليكو ستايجون، مرشح للقنصلة،
- جرازدان مو إراز، مبعوث من يونكاي.

في براقوس

- فيريجو آنتاريون، أمير بحر براقوس،
- كَارو فولنتين، مُبارز براقوس الأول، حارسه،
- بيليجير أوثيريس ولقبها اللؤلؤة السوداء، محظية من سلالة الملكة
القرصانة ذات الاسم نفسه،
- الليدي المثلثة، ملكة البحار، ظلُّ القمر، ابنة الغسق، العندليب،
الشاعرة، محظيات شهيرات،
- ترنيسيو تيريس، الرُّبَّان التَّاجر مالك القاليون ابنة المارد،
- يوركو ودينيو، ابناه،
- موريدو پرستائين، الرُّبَّان التَّاجر مالك الثَّعلبة،
- لوئو لورنل، تاجر كُتب ومخطوطات قديمة،
- إزيلينو، راهب أحمر سَكَّير،
- السِّپتون إيوستس، معزول ومطروود،
- تيرو وأوريلو، مُبارزا براقو،
- بَكو الصَّرير، تاجر أسماك،
- بروسكو، تاجر أسماك،
- ابتاه، تاليا وبريا،
- ميرالين وُسَمَى مري، مالكة الميناء السَّعيد، ماخور قُرب ميناء راجمان،
- زوجة البحَّار، عاهرة في الميناء السَّعيد،
- لانا، ابنتها، عاهرة صغيرة،
- بَثاني الخجول، يانا العوراء، آسادورا الإينيزية، من عاهرات الميناء
السَّعيد،
- روجو الأحمر، جايلورو دوثار، جايلينو دوثار، مؤلَّف يُدعى كويل،
كوزومو الحاوي، من مُرتادي الميناء السَّعيد،

- تاجانارو، نَشَّال وِلص في الميناء،
- كاسو، ملك الفقمات، كلب بحر مدرَّب،
- ناربو الصَّغِير، شريكه أحيانًا،
- ميرملو، چوس المكتتب، كوينس، آلاكو، سلوي، ممثلون يعملون كلَّ ليلة في السَّفينة،
- سفرون، عاهرة قاتلة،
- الابنة السُّكَّيرة، عاهرة متقلِّبة المزاج،
- چاين القُرحة، عاهرة غير موثوق بجنسها،
- الرَّجل الطَّيِّب، اللَّقيطة، خادمان للإله عديد الوجوه في دار الأبيض والأسود،
- أوما، طاهية المعبد،
- الرَّجل الوسيم، الرَّجل البدين، اللورد الصَّغِير، ذو الوجه الصَّارم، ضيق العينين، الرَّجل المهزول، خدم سرِّيون لذي الوجوه العديدة،
- آريا سليلة عائلة ستارك، فتاة تحمل عُملَةً من الحديد، معروفة أيضًا بأسماء آري ونان وبننت عرس والكتكوت وملحة وكات،
- كاهورو مو، من بلدة الأشجار الطَّويلة في جُزر الصَّيف، رُبَّان ريح القرفة،
- كوچا مو، ابنته، رامية حمراء،
- زوندو دورو، وكيل رُبَّان على متن ريح القرفة.



شُكر وتقدير

الكتاب السَّابق كان مصيبيَّةً، أمَّا هذا الكتاب فثلاث مصائب و كارثة. مرَّةً أخرى أتقدَّم بالشُّكر إلى محرِّريِّ وناشريِّ على معاناتهم الطَّويلة. إلى جاين چونسون وچوي تشامبرلين في «فوييچر»، وإلى سكوت شانون ونيتا توبليب وأنا جرويل من «باتنام». ساعدني تفهُّمهم وحشُّهم المرح ونصائحهم السَّديدة في المراحل الصَّعبة، ولن أكفَّ أبدًا عن الامتنان لصبرهم. والشُّكر أيضًا لوكالاتي الأدبيِّين الذين لا يقلُّون عنهم صبرًا ولا ينتهي دعمهم: كريس لوتس، وفينس چيرارديس، والرَّائعة كاي ماكولي، والرَّاحل رالف فُيسينازا. رالف، ليتك كنت هنا لتشهد هذا اليوم. والشُّكر لستيهن بوتشر، الرِّحالة الأسترالي الذي يُساعدني على الحفاظ على كومبيوتري شعًالاً بهمةٍ متي زارَ ساننا فاي ليتناولَ إفطارًا من البوريتو (إكسماس) مع طبقٍ جانبي من اللحم المقدَّد بالفلفل الحريِّف. وهنا في الوطن الشُّكر أيضًا للصدِّيقين ميلندا سنودجراس ودانيل إبراهيم على التَّشجيع والدَّعم، ومديرة موقعي پاتي ناجل لحفاظها على رُكني من الإنترنت، وللمذهلة رايا جولدن على الوجبات والفنِّ والمرح الذي لا يفشل في إضاءة أشدَّ الأيام حلکةً في تيراپين ستیشن، حتى إذا حاولت أن تسرق قطعتي.

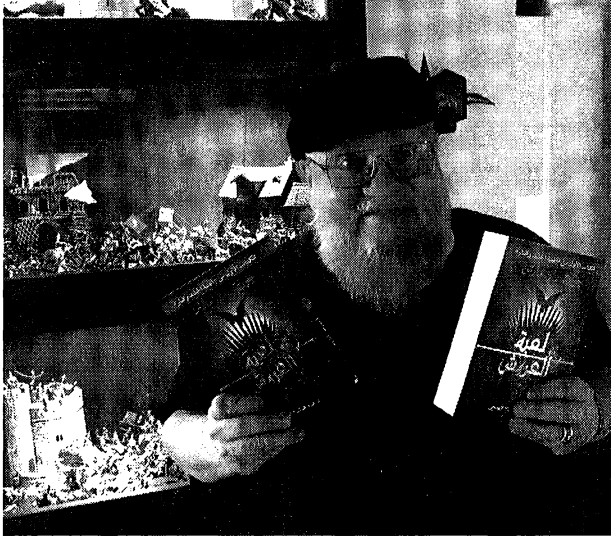
على الرغم من طول الفترة التي استغرقتها في رقص هذه الرِّقصة فمن المؤكَّد أنها كانت لتتضاعف مرَّتين دون مساعدة تابعي المخلص (واللادغ) وأحيانًا رفيق السَّفَر تاي فرانك، الذي يعتني بكمبيوتري في غياب ستیشن، ويُبعد الغوغاء الثَّائرين الافتراضيِّين عن عتبتَي الرِّقميَّة، ويُلبي طلباتي، ويُرَتِّب

ملفاتي، وبعْدُ القهوه، ولا يتكلم عبثاً، ويطلب عشرة آلاف دولار مقابل تغيير
مصباح تالف... كل هذا فيما يؤلف كتبه الرائعة الخاصة في أيام الأربعاء.
أخيراً - ولكن ليس آخرًا علي الإطلاق - كلُّ حُبِّي وامتناني لزوجتي
پاريس التي صاحبتي في الرقصة خطوةً خطوةً. أحبك يا فيپس.

چورچ ر. ر. مارتن

13 مايو/ أيار 2011

المؤلف چورچ ر. ر. مارتن



عشر سنوات قضاها چورچ ريتشارد رايموند مارتن في العمل في هوليوود، واشترك خلالها في كتابة وإنتاج عدد من المسلسلات التلفزيونية المعروفة في عقد الثمانينات، منها «Beauty and the Beast» و«The Twilight Zone»، لكن مع مجيء العام 1994 كان مارتن قد ضاق ذرعاً برفض القائمين على الاستوديوهات الكبيرة المستمر للمشاريع التي يقدمها لهم للإنتاج في التلفزيون أو السينما - بزعم أن الأفكار التي يطرحها شديدة الضخامة وستتكلف مبالغ كبيرة جداً لا قبل لهم بإنفاقها- وقال إنه اكتفى تماماً من القيود التي تفرضها التكاليف على الإنتاج، ومن ثم قدرة الشاشة على تقديم ما يرغب فيه حقاً على المستوى المطلوب، بينما يستطيع على الصفحة

المطبوعة أن يحكي كل ما يريده من قصص بكل التفاصيل التي تتفتق عنها مخيلته النشطة. هكذا اتخذ مارتن القرار بأن يترك العمل في هوليوود ويعود إلى تأليف الكتب وتقديم أفكاره كلها فيها، حيث لا توجد عقبات إنتاجية أو مالية تعوقه عن بناء العوالم الضخمة التي يتخيلها وتقديمها بأدق وأصغر تفاصيلها.

وُلد مارتن في سبتمبر 1948 في ولاية نيو جيرسي لأب من أصول إيطالية يعمل في تفرغ وتحميل البضائع على السفن وأم من أصول أيرلندية، وفي عائلة تملك جذورًا إنجليزية وألمانية وفرنسية، وهو ما يفسر شغفه الشديد بالتاريخ الأوروبي، خصوصًا حقبة العصور الوسطى التي استلهم منها الكثير في كتاباته. يقول مارتن إن طفولته كلها كانت تتلخص في الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى المنزل، ومشاهدة السفن التي تتوافد على ميناء نيوارك من جميع أنحاء العالم من نافذة غرفته الصغيرة، واضعًا قائمة بأعلام الدول التي يراها ويحلم بأن يزورها ذات يوم، وكان هذا ما شجعه على القراءة بنهم شديد على سبيل زيارة تلك الدول في خياله، قبل أن يتجه إلى الكتابة في سن صغيرة، حيث بدأ يبيع القصص التي يكتبها لأطفال الحي مقابل بنس للقصّة، وأحيانًا ما كان يقرأ عليهم هذه القصص كذلك.

ظل مارتن شغوفًا بالقراءة والكتابة، وخلال دراسته الثانوية أضاف قصص الكوميكس إلى هواياته، حتى صارت لديه مجموعة ضخمة منها، وهو ما شجعه على كتابتها كذلك، وفي سنة 1970 اشترت مجلة «Galaxy» منه واحدة من تلك القصص، لتصبح أول عمل احترافي يُنشر له على الإطلاق. ثم التحق مارتن بجامعة نورثوسترن في ولاية إلينوي ليحصل على درجتي البكالوريوس والليسانس في الصحافة، وخلال دراسته الجامعية كان من النشطاء المعارضين لحرب فيتنام.

عمل مارتن أستاذًا للصحافة في الجامعة لفترة واصل فيها نشر قصصه ومقالاته في الصحف والمجلات المختلفة، وأخيرًا في سنة 1976 نشر مجموعته القصصية الأولى «أغنية ليا» التي فازت بجائزة «Locus Poll» كأفضل مجموعة قصصية لهذا العام، ثم في العام التالي نشر روايته الأولى

بعنوان «موت الضياء» التي رُشحت لجائزتي «Hugo» و«British Fantasy Award» كأفضل رواية، وتُرجمت إلى تسع لغات.

مع حلول سنة 1979 كان مارتن قد تفرغ للكتابة تمامًا، وواصل نشر مجموعاته القصصية ورواياته، التي تضمنت «أغاني النجوم والظلال» و«التنين الجليدي» و«في الأراضي المفقودة»، ليحصده المزيد من الجوائز الأدبية المرموقة عن أعماله المختلفة، والتي بلغ عددها حتى الآن 21 جائزة بخلاف الترشيحات، غير أن روايته الرابعة التي نشرها سنة 1983 بعنوان «المعركة الأخيرة» لاقت فشلًا ذريعًا في المبيعات على الرغم من إشادة النقاد بها، حتى أنه قال إنه «دَمَّرَ مسيرته المهنية كروائي في ذلك الحين». لكن سرعان ما تعافى مارتن من هذه العقبة واتجه إلى العمل في هوليوود، وفي الآن نفسه واصل كتابة القصص والروايات، لتبلغ حصيلته منها حتى الآن 18 رواية ومجموعة قصصية لا تتضمن سلسلته الأشهر «أغنية الجليد والنار» والكتب الأخرى التي تدور أحداثها في عالمها.

يقول مارتن إن تركه لهوليوود كان من أفضل القرارات التي اتخذها في حياته، ويقرُّ بأن هوليوود كانت كفيلة بتدمير سلسلة «أغنية الجليد والنار» تمامًا لو كان قدمها للاستوديوهات الكبيرة لتحويلها إلى سلسلة أفلام سينمائية ضخمة، بدلًا من شبكة «HBO» التي حولتها إلى مسلسل «Game of Thrones»، والذي يعمل عليه كمشرف ومنتج تنفيذي وشارك في كتابة عدد من أهم حلقاته، وإن توقف عن الكتابة للمسلسل بعد موسمه الرابع، ويعيش حاليًا في ولاية نيو مكسيكو مع زوجته الثانية باريس متفرغًا لكتابة الجزئين السادس والسابع من سلسلته، واللذين ينتظرهما القراء في جميع أنحاء العالم على أحر من الجمر.

المترجم
هشام فهمي



درسَ الأدب الإنجليزي والترجمة في جامعة الإسكندرية، وعملَ مترجمًا وكاتبًا في عددٍ من الصحف والمجلات والمواقع، وترجمَ عددًا من الأعمال لكتّاب عالميين، منها «الهوييت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شيلي، «1408» لستيفن كينج، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك پولانك، «تنين الجليد» لچورچ ر. ر. مارتن، «المحيط في نهاية الدّرب» و«كوراالين» لنيل جايمان.

شُكر من المترجم

عميق الشُّكر والامتنان للغالية هالة عادل على المساندة والدَّعم المعنوي خلال شهور العمل الطَّويلة على هذا التَّرجمة.

سلسلة جورج ر. ر. مارتن الملحمة

أغنية الجليد والنار

تبدأ في
لعبة العروش
وتُستكمل في
صدام الملوك
عاصفة السيف
وليمة للغربان
رقصة مع التنانين
رياح الشتاء
حلم بالربيع